مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

« بدل الاشتراك »
٤٠ فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الأول ـ السنة الأربعون ـ المحرم ١٣٨٨ هـ ـ إبريل سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

من شوائب الإيمان

فى تبوك وفلسطين

بقلم : أحمد حسن الزيات

أقبل العام الهجرى التاسع على المسلمين فى المدينة وقد فتحت مكة وطهرت الكعبة وحررت الجزيرة وعمت العقيدة وتمت الوحدة ، إلا آثارا من الشرك فى نفوس الأعراب ، وأوكارا للنفاق فى رءوس بعض السادة ، وأوشك نور الله أن يستفيض على إيوان كسرى من مشارق الحيرة ، وعلى عرش قيصر من مشارف الشام . هنالك أوجس فى نفسه خيفة كبير الروم وخشى أن يشرق ذلك النور الإلهى على ظلام ملكه الغافل الفانى فتبصر عيون وتفقه قلوب وتعز أنفس ، فأعد العدة وجيش الجيوش ووقف متأهبا على حدود فلسطين .

وتأدى خبر هذا الزحف إلى القائد الأعظم صلوات الله عليه فاستنفر القبائل للقائه بكلمة التوحيد وصده بسيوف الفتح . وكان الوقت يومئذ بين أواخر الصيف وأوائل الخريف فهو قيظ وومد . وكان الناس من لفحات الحر قد لاذوا بحوائط النخل الباسقات وقد أوشك طلعها النضيد أن يتم نضجه ، فهى ماء برود ، وفىء متصل ، ونسيم منعش ، وثمر دان . وجاءهم النفير إلى غزو الروم وهم على

هذه الحال من الإخلاد إلى النعيم والنزوع إلى السكينة ... ولم يكونوا جميعا قد دخلوا فى دين الله عن إيمان وإيثار ، كما دخل فيه المهاجرون والأنصار ؛ وإنما كان فيهم من دخله وفى نفسه حاجة وفى قلبه مرض . فلما قيل لهم: انفروا فى سبيل الله أبطأت بهم النيات ، وجرت على ألسنتهم الأعذار ، فقال قوم لا تنفروا فى الحر ، وقد علموا أن العدو على الحدود . وبلغ الاستهتار برجل من بنى سلمة أن قال للرسول الكريم وقد سأله : هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر ؟ : يا رسول الله إئذن لى ولا تفتنى . فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء منى . وإنى لأخشى إن رأيت نساء الروم ألا أصبر !

وشق على بعضهم أن يدع الظل والماء والثمر والمال والأهل إلى سفر بعيد وعدو شديد وصحراء محرقة . واهتبل المنافقون هذه الفرصة فاجتمعوا فى بيت سويلم اليهودى يخذلون الناس ويدعون إلى التخلف . فأرسل الرسول إليهم من حرق ذلك البيت عليهم . فخشعوا وسكنت من بينهم عقارب عبد الله ابن أبى ، وخفتت أصوات المخذلين والمعذرين والمترددين وأقبل جنود الله وحماة الدعوة يجهزون جيش العسرة بأموالهم وأموال الأتقياء من الأغنياء حتى لم يبق إلا الذين يطوون صدورهم على التقوى ، ويقبضون أيديهم على الفاقة . فجاءوا الرسول يريدون أن يحملهم معه . فحمل منهم من حمل . وقال للباقين : لا أجد ما أحملكم عليه . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون فسموا لذلك بالبكائين .

واجتمع لهذا الجيش على كثرة العنت وقلة النفقة ثلاثون ألفا من المجاهدين الأبرار ليس فيهم زائغ ولا منافق ، حتى عبد الله بن أبى ! أقبل بوجهه الآخر فى جيش من قومه يريد أن يخرج مع جيش الرسول ، فرده صلوات الله عليه إلى المدينة لضعف الثقة به .

وأمر القائد الأعظم فسار الجحفل الجرار يثير النقع ويزحف بالحصا ويرمى بسقاة الحتوف الفيافى القفر مع اللغب والسغب والظمأ حتى بلغ بهم تبوك .

وكان الروم قد علموا بخروج المسلمين إليهم فى هذا العدد وتلك العدة فتفرقوا فى مسارب الشام ناجين بأنفسهم ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وعاد الرسول إلى المدينة بعد ما أخذ العهود وأمن الحدود وساق إليه ابن الوليد من دومة ماساق من إبل وشاء ودروع وبر .

وتلقاه المتخلفون بالندم المصطنع والاعتذار الكاذب فترك لله حسابهم ، إلا ثلاثة اعترفوا بالتخلف من غير عذر ، وأقروا بالذنب من غير ضرورة ، وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال ابن أمية . فرأى الرسول الكريم أن فيهم

استصلاحا فأمر المسلمين فأعرضوا عنهم خمسين يوما لا يكلمهم أحد ، ولا يصل بينهم وبين مسلم سبب ، حتى تساقطت نفوسهم من الأسف ، وانقبضت صدورهم من الكرب ، وباتوا الليالى نادمين ساهدين يتجرعون العذاب فى سبيل المغفرة ؛ حتى أن أحدهم شد نفسه إلى عمود المسجد وأقسم ألا يحل حتى يتوب الله عليه . . ثم أدركتهم الرحمة من قابل التوب وغافر الذنب فأنزل فيهم قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » .

ثم دار الزمان ودار معه الإنسان فلم يختلف ابن الفلك ، ولم يتغير ابن آدم ! ! الناس نسخ مصورة ، والتاريخ صحف مكررة . فالروم بالأمس فى تبوك هم الصهاينة اليوم فى فلسطين ، وجيش العسرة الذى أرهق تجهيزه الرسول هو الجيش الموحد الذى حاول تأليفه مؤتمر القمة الأول ، والماء والظل والتمر التى كانت تغرى المترفين بالقعود ، هى الدرهم والدينار والنعمة التى تغرى الوادعين بالسلم ، والمنافقون والمعذرون والمتخلفون الذين شاقوا الله ورسوله نجد صورهم اليوم فى وجوه الرجعيين والانتهازيين من الذين يظهرون الوفاق ويضمرون الشقاق فألسنتهم جميع وقلوبهم شتى ، أما المجاهدون الصادقون الأطهار فهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فرسموا الطريق وعينوا الغاية وجعلوا من المؤتمرات الأربعة دليلا على الجماعة ، وسبيلا إلى الوحدة ، وقائدا إلى النصر . وأما البكاءون فهم عرب فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من أموالهم بغير رحمة ، وقضى فى مصيرهم بغير عدل ، وتركهم الضمير العالمى المئوف يعيشون عشرين سنة فى المضارب والملاجئ عيش الحرمان وهم ينظرون إلى رياضهم الجنية تعيث فيها الذئاب ، وإلى حياضهم الروية تلغ فيها الكلاب ، فلا يملكون لأنفسهم إلا عبرات تتحدر ، وزفرات تتصعد !

من أجل هؤلاء قامت الثورة ، ومن أجل هؤلاء حققت الوحدة ، ومن أجل هؤلاء دعا عبد الناصر ملوك العرب ورؤساءهم ليحلوا ما بينهم من العقد ، ويمضوا أمرهم بالاتفاق فى خطر إسرائيل ، قبل أن يأتى يوم يقولون فيه : « لقد أكلنا يوم أكل الثور الأبيض » فلبوا الدعوة وصفوا الكدورة وجمعوا الكلمة ووحدوا الخطة وبدأوا العمل . ولكن الله امتحن العواصم العربية بالخلاف بينها وبين (بون) الألمانية على إهدائها السلاح إلى إسرائيل ، فأطبق ساستها على موقف العداء منها تنفيذاً لما أجمع عليه مؤتمر القمة إلا ثلاثة كثلاثة تبوك خرقوا الإجماع

وشعبوا الرأى ونقضوا العهد ، ثم ابتلاهم ربهم أشد الابتلاء بتواطؤ الصهيونية والأمريكية فى حرب يونيو من العام الماضى وكان الإيمان قد ضعف فى النفوس ، والجهاد قد مات فى العزائم ، والإيثار قد فنى فى المطامع ، والتخاذل قد فشا بين الأخوة ، والتحاسد قد دب بين السادة ، والخور والترف قد غلبا على القادة ، حتى سمعنا أن بعضهم ترك جنوده يصارعون النار والدمار فى قفار سيناء ونجا بنفسه ليلا إلى المدينة ليلوذ من مكاره الجهاد بركن وثير من أركان أحد الملاهى ! ولو كان هذا المترف الرعديد وأشباهه مؤمنين لعلموا أن الإسلام يأمر بالثبات وينهى عن الاستئثار أو الفرار إلا لخدعة أو نجدة : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله » ، « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلا » .

لذلك حقت الهزيمة وفجر العدو وراب المصير وغامت السحائب السود على هلال هذا المحرم فى سماء بيت المقدس حتى كاد دجاها يحجب مشارق الوحى ويخفى معالم العروبة ، ولو بقينا على إيمان الفاتحين الأولين لما تصدعت فى نفوسنا أركان النصر الأربعة التى أمرنا بها الله فى كتابه المحكم الخالد ، وهى الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى ، ولما انطمست فى أذهاننا معانيها الجامعة التى تضمنت على وجازتها مقومات الجهاد وموجبات الغلب من الثبات فى الحرب والمصاولة للعدو والاستعداد بالسلاح والإيمان بالله .

* * *

يا قوم : إن الرجوع إلى الله رجوع إلى طريقه الذى نأمن عليه الضلال ، وإلى حبله الذى نأمن به الفرقة ، وإلى عونه الذى نأمن معه الفشل ، وإن (التغيير) الذى نريده اليوم جميعا فى السياسة والإدارة والخطة بعد أن كشفت النكسة عن النقص ودلت على الفساد لن يؤتى ثمره إلا إذا جرى على مقتضى السنة التى بينها الله جل وعلا فى قوله : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، فإن تغيير ما بنا هو الجهاد الأصغر ، ولكن تغيير ما بأنفسنا هو الجهاد الأكبر ، ولا سبيل إلى قهر العدو المتربص على الحدود إلا بقهر العدو المتمكن فى النفوس ، وإن إخوان النسب والعقيدة متى سرت فى أعصابهم روح الله وصفت فى عروقهم دماء العروبة لا يوليهم عن قبلتهم طمع ، ولا يصرفهم عن إخوتهم خوف ، وسيحملون كبراءهم على أن يرجعوا إلى الله بالتوبة ويعودوا إلى الصف بالاستقامة ويومئذ يمضى الجيش المحمدى كله عظيما إلى النصر وينطلق الشعب العربى كله سليما إلى الوحدة ؟

أحمد حسن الزيات

"الواو" التي قيل إنها زائدة وليست كذلك

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج

الرأى فى الواو التى قيل إنها زائدة ، ليس على النحو الذى قدمناه فى بحث : « لا التى قيل إنها زائدة وليست كذلك، فإننا فى ذلك البحث لم نمنع أن تقع « لا » - فى القرآن الكريم .أو فى غيره من فصيح الكلام زائدة لتحقيق فائدة . وذلك مثل «لا» الثانية ، فى قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » . وإنما الذى منعناه ، هو زيادتها فى تلك المواطن الخاصة التى قال بعض العلماء أنها فيها زائدة .

أما الواو التى هى موضوع بحثنا هذا، فإن الرأى فيها - كما سيتبين ذلك بتفصيل فيما يأتى- أنها لا تكون فى حال من الأحوال زائدة لا فى الكتاب العزيز ، ولا فى شىء من الكلام العربى الفصيح .

وقد نبهنا فى هذا البحث إلى أن مسألة زيادة الواو فى الفصيح من الكلام قد جرى فيها خلاف بين العلماء: اختلف فيها النحاة البصريون والكوفيون، وكذلك اختلف فيها المفسرون القدامى والمحدثون .

عرضنا أولا مذاهب النحاة ، وأوردنا ما استند إليه أصحاب مذهب الزيادة ، من أبيات من الشعر ، وبعض آيات من القرآن الكريم، ثم بسطنا أقوال المفسرين فى الآيات القرآنية ، التى اعتمدوا عليها فى القول بجواز زيادة هذه الواو ، وبينا وجهات أنظارهم ، واختلاف مسلكهم فى الاحتجاج بهذه الآيات .

وقد عقبنا على ذلك كله بما رأينا أنه القول الحق، وبينا أن الواو فى القول الحق لا تكون زائدة ، وإنما هى دائما أصلية ، وأنها فى أصالتها هى التى يتجلى بها المعنى الصحيح ، لما أوردوه من الشعر ، ويستقيم بها الوجه السديد فى تفسير ما استندوا إليه من آيات الكتاب العزيز ، والله المستعان .

(مذاهب النحاة)

اختلف النحاة فى الواو ، هل تقع زائدة فى القرآن الكريم أو فى كلام يحتج به من كلام العرب ؟ .

فقال « الكوفيون والأخفش » أنها قد تقع زائدة ،وجعلوا من ذلك ما جاء فى آيات من الكتاب العزيز ، وكذلك ما أوردوه فى بعض أبيات من كلام شعراء .

فمن الآيات القرآنية :

(١) قوله تعالى: « فلما أسلما وتله للجبين

ونادیناه أن یا إبراهیم قد صدقت الرؤیا » (١٠٣ - ١٠٥ الصافات).

جعل بعضهم الواو فی : «ونادیناه» زائدة لأن هذا هو جواب لما عندهم .

وبعضهم جعل الواو الزائدة ، هی واو «وتله للجبین» لأن هذا فی رأیهم هو الجواب.

(٢) وقوله تعالى : «وسیق الذین اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام علیكم طبتم فادخلوها خالدین» (١٧٣ الزمر)

من أولئك النحاة من قال : إن الواو فی «وفتحت» زائدة ، لأنه جواب «إذا» بدلیل مجیئه قبل ذلك بدون واو فی أبواب جهنم ، وذلك قوله تعالى: «وسیق الذین كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها» ، ومنهم من قال إن الواو الزائدة هی واو : «وقال لهم خزنتها» ، إذ أنه هو جواب الشرط عندهم .

(٣) وكذلك قوله سبحانه : «فلما ذهبوا به وأجمعوا أن یجعلوه فی غیابت الجب وأوحینا إلیه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا یشعرون» ، (١٥ یوسف)

بعض أولئك النحاة جعل الواو فی «وأجمعوا» زائدة وهو جواب «لما» عندهم ، وبعضهم جعل الواو الزائدة هی واو «وأوحینا» ، لأنه فی رأیهم هو الجواب .

وقد قال بعض المحققین : إن هذا الوجه الثانی هو رأی «الفراء» ، أی أن جواب «لما» هو «أوحینا إلیه» - بعد إسقاط الواو الزائدة ، وأنه جعل ذلك نظیر ما قرأ به «ابن مسعود» آیة : «فلما جهزهم بجهازهم جعل السقایة فی رحل أخیه . ثم أذن مؤذن أیتها العیر إنكم لسارقون» (٧٠ یوسف) إذ قرأها هكذا : «فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقایة فی رحل أخیه» بزیادة واو .

قال أولئك المحققون : إن الفراء — فی تنظیره بهذه الآیة — یستند إلى تلك القراءة ، ویرى أن الواو فیها زائدة ، إذ أن جواب «لما» هو «جعل السقایة فی رحل أخیه» ، كما هو فی قراءة الجمهور .

٤ — ونقل عن «الفراء» أیضا أنه یستند — فی القول بجواز زیادة الواو — إلى قوله تعالى «حتى إذا فتحت یأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ینسلون ، واقترب الوعد الحق فإذا هی شاخصة أبصار الذین كفروا» (٩٦ ، ٩٧ الأنبیاء) وأنه یقول : أن الواو فی «واقترب الوعد الحق» زائدة لأن هذا هو جواب الشرط «إذا» .

٥ — ومن الآیات التی قیل بزیادة الواو فیها ، قوله تعالى : «إن الذین كفروا وماتوا وهم كفار فلن یقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به» (٩١ آل عمران) .

قيل إن الواو فى قوله سبحانه : « ولو افتدى به » زائدة » ، والمعنى : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به .

• • •

وقد احتجوا على جواز زيادة الواو ، من الشعر بما يأتى :

١ — قول الشاعر :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه
حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

فقد جعلوا الواو فى « وينوى » زائدة ، وقالوا إن المعنى : ما باله ينوى .

٢ — وقول الآخر :

حتى إذا امتلأت بطونكم
ورأيتم أبناءكم شبوا
وقلبتم ظهر المجن لنا
أن الغدور الفاحش الخب

قالوا إن الواو فى « وقلبتم » زائدة ، لأنه جواب « إذا » .

٣ — وكذلك قول القائل :

ولقد رمقتك فى المجالس كلها
فإذا وأنت تعين من يبغينى

قالوا إن معناه : « فإذا أنت تعين » والواو زائدة .

أما البصريون : فمذهبهم — على ما حكاه ابن يعيش — أن الواو لا تزاد بحال ، وقالوا إنه لا حجة للكوفيين ، فى شىء مما أوردوه من الآيات القرآنية أو غيرها من الشعر ، فإن الجواب فى ذلك كله محذوف ، والواو أصلية .

قال ابن يعيش : « وأما أصحابنا فلا يرون زيادة هذه الواو ، ويتأولون جميع ما ذكر وما كان مثله ، بأن أجوبتها محذوفة ، لمكان العلم بها ، والمراد : « فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا » أدرك ثوابنا ونال المنزلة الرفيعة لدينا .

وكذلك قوله : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » ، تقديره صادفوا الثواب الذى وعدوه ونحوه .

وكذلك قول الشاعر : « حتى إذا امتلأت بطونكم » : وكان كذا وكذا يتحقق منكم الغدر واستحققتم اللوم ، ونحو ذلك مما يصلح أن يكون جوابا . ا هـ (١)

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٨ ص ٩٤ ولعل هذا مذهب جمهور البصريين لا جميعهم ، وإذا لا منافاة بين ذلك وما حكاه ابن جرير فيما سيأتى عن بعض نحاة البصرة أنهم يقولون إن الواو فى « وقال لهم خزنتها » زائدة .

هذا — ومن البصريين من قال — فى آية الصافات — : إن الجواب المطوى يقدر عقب قوله سبحانه : « وتله للجبين » ، والمعنى : فلما أسلما وتله للجبين ، أجزلنا له الأجر وناديناه . وعن الخليل وسيبويه تقديره قبله، والمعنى : « فلما أسلما أسلما وتله » ، وذلك كما فى بيت امرىء القيس .

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا

بطن خبث ذى قفاف عقنقل

إذ تقديره : لما أجزنا ساحة الحى أجزناها وانتحى . (١) ونحن نقول : إنه بعد هذا البيت قد أتى امرؤ القيس ببيت فاجر يقول فيه: إذا قلت هاتى نوليتى تمايلت ٭ على هضيم الكشح ريا المخلخل . فيصح أن يكون هذا هو جواب « لما » أو دليلا على الجواب وذلك أوضح من تقدير الخليل وسيبويه . وعن المبرد والفارسى - فى آية الزمر - أن الواو فى « وفتحت » هى واو الحال ، أى جاءوها وقد فتحت أبوابها ، كما فى قوله سبحانه : « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب وجواب الشرط مطوى على نحـــو ما قال سائر البصريين (٢) .

ثم يجيب البصريون عما احتج به الكوفيون من آية يوسف : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا إليه » ـ بأن جواب « لما » ليس هو « أجمعوا أن يجعلوه » ، ولا هو « أوحينا إليه » حتى تكون الواو فى شىء ، منهما زائدة ، وإنما الواو أصلية ، والجواب محذوف ، والتقدير: فعلوا به من الأذى ما فعلوا مما لا يكاد يحتمله .

أما عن رأى الفراء ، الذى يذهب إلى التنظير بقراءة ابن مسعود « فذا جهزهم بجهازهم وجعل السقاية » ـ فنحن نقول : إن هذا الرأى غير مستقيم ، ولا وجه له من الصحة ، وإنه إذا ساغ التعلق ببعض القراءات الشاذة للاستشهاد بها فى أمر لغوى بحت ، فلا ينبغى أن يكون ذلك على اطلاقه ، بل يجب أن يكون فيما لا يأتى مخالفا لما هو الأصل المعهود فى فصيح اللغة ، حتى لا يكون الشذوذ سندا لتأييد شذوذ آخر ، فإن تلك القراءة شاذة ، وزيادة الواو فى الكلام لا شك أنها شاذة ولا أصل لها ، وهى مخالفة للأصل المقرر فى أحكام هذه الواو .

على أننا إذا سرنا مع هذه القراءة الشاذة ، التى قرأ بها « ابن مسعود » فلا نسلم أن الواو فيها زائدة ، بل هى أصلية ، عاطفة جملة : « جعل السقاية فى رحل أخيه » على جملة : « جهزهم بجهازهم » فالشرط حينئذ هو مجموع

---

(١) روح المعانى للألوسى جـ ٢٣ ص ١١٩ المنيرية .

(٢) مغنى اللبيب جـ ٢ ص ٣٥

الجملتين ، أما الجواب فهو محذوف ـ كما قال الزمخشري في الكشاف ـ ، لوجود ما يدل عليه . والمعنى « فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه (أمهلهم حتى انطلقوا) ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون » .

ونقول أيضا ـ عما ذهب إليه الفراء في آية : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج » إن رأيه فيها أوهى مما ذهب إليه في الآية السابقة ، فإنه لا وجه لدعوى أن جواب الشرط هو قوله تعالى: « واقترب الوعد الحق » حتى يلتجئ إلى جعل الواو فيه زائدة ، لأن جواب الشرط قد نطقت به الآية عقيب ذلك في قوله سبحانه: « فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين » فإن إذا الفجائية تقع كثيرا في جواب الشرط منفردة أو مع الفاء ، كما هنا ، فيتعاونان — كما يقول النحاة — على وصل الجواب بالشرط ، وتقوية ذلك وتمكينه .

وحاصل معنى الآية على هذا : أنه إذا فتحت يأجوج ومأجوج ، واقترب الوعد الحق ، وهو وعد الآخرة ، حيث يجتمع الناس للحساب والجزاء ، فإنه يحصل عقيب ذلك وبطريق المفاجأة ، شخوص أبصار الكافرين من الهلع وشدة الفزع ، وقولهم « يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا » ، لاهين عنه ، غير مصدقين به ، « بل كنا ظالمين » بالانكار على الرسل ، الذين كانوا ينذرون به وبعاقبته .

وإذا فدعوى زيادة الواو هنا في قوله سبحانه : « واقترب الوعد الحق » ـ كما يزعم الفراء ـ هي بلا شك ـ من الاسراف في القول والجرأة في تفسير الكتاب العزيز من غير اعتماد على حجة أو بينة .

أما الجواب عما استند إليه الكوفيون — من قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به » ـ فهو ـ كما يقول البصريون ـ إن الواو في : (ولو افتدى به) أصلية ، قد عطفت هذا الشرط على شرط مطوي ، دل عليه الأسلوب في معهود هذا الاستعمال .

ثم يجيب البصريون عن بقية ما استشهد به الكوفيون من الشعر .

ففي قول الشاعر :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه
حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

يقولون : إن الواو في: (وينوى) ، عاطفة هذا الفعل على فعل مقدر ، يدل عليه المقام وأصله — كما قال الدماميني — : (فما باله يهمل حتى وينوى كسرى) (١) فهو قد

---

(١) حاشية الأمير على المغني ج ٢ ص ٣٤ .

استدل من قول الشاعر : وينوى من سفاهته كسرى ، على ذلك الفعل المطوى فقدره مناسبا له . ويمكن أن يستدل عليه من صدر البيت ويقدر مناسبا له فيقال : ما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظا أصنع معه ذلك وينوى . . الى آخره .

وكذلك الواو عندهم فى البيت الآخر أصلية وتقديره : « ولقد رمقتك فى المجالس كلها ، فإذا أنا كذلك أحنو عليك ، وأنت تعين على من يبغيني .

(أقوال المفسرين)

اختلف المفسرون فى الواو ، فى تلك الآيات التى قدمناها ، كما اختلف النحويون . وسنبسط آراءهم فى كل آية منها مع بيان وجهات أنظارهم ثم نعقب بما نرى أنه الوجه الجيد الجدير بالاختيار .

« آيات الصافات »

قوله تعالى : (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين » .

(١) يقول ابن جرير فى هذه الآيات : إن جواب « فلما » هو « ناديناه » والواو فيه زائدة ، وتقدير الكلام : « فلما أسلما وتله للجبين ناديناه » ، قال : وأدخلت الواو فى ذلك ، كما أدخلت فى قوله : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » ثم قال . « وقد تفعل العرب ذلك ، فتدخل الواو فى جواب (لما) وحتى إذا وتلقيها » (١) .

(٢) وتابعه الجلال المحلى فقال : « إن جملة ناديناه ، هى جواب (لما) بزيادة الواو (٢) .

(٣) أما الزمخشرى والنيسابورى وأبو السعود والنسفى والألوسى ، فإنهم لا يقرون أن تكون الواو زائدة ، فى الآية الكريمة ، فهى عندهم على أصل وضعها عاطفة وجواب (لما) محذوف ، يرشد إليه قوله تعالى : « إنا كذلك نجزى المحسنين » ، وإنه لمعهود فى القرآن كثيرا ، أن يحذف جواب الشرط وجواب القسم وما يشبههما للعلم به أو لإرادة تعظيمه وتفخيمه ، أو تهويل الأمر فيه ، وإفادة أنه شىء لا يحيط به الوصف ، ولا يفى بالكشف عن تفاصيله البيان .

قال الزمخشرى فى هذا : (فإن قلت) أين جواب (لما) ؟ قلت : هو محذوف وتقديره : « فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا » . كان ما كان مما ينطق به

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٢٣ ص ٥١ الأميرية ببولاق .

(٢) تفسير الجلالين ج ٢ ص ١٠٢ - مطبعة عيسى البابى الحلبى .

الحال ، ولايحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما ، وحمدهما الله وشكرهما ، على ما أنعم به عليهما ، من دفع البلاء العظيم بعد حلوله ، وما اكتسبا فى تضاعيفه ، بتوطين الأنفس عليه ، من الثواب والاعواض ، ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب (١) .

وقد تابع (الزمخشرى) فى ذلك كل من (النيسابورى) وأبى السعود متابعة تامة ، واقتصرا على هذا الوجه الذى رآه صاحب الكشاف ، وهو وجـــه اختاره أيضا الألوسى وإن كان قد أورد وجوها أخر عزاها لأصحابها .

وذكر النسفى وجهين ، كلاهما على أساس أن الواو أصلية : « أحدهما » تابع فيه الزمخشرى وهو مذهب جمهور البصريين . والآخر ـ وهو مذهب بعضهم ـ قال فيه إن جواب (لما) مقدر قبل قوله سبحانه : « وناديناه » ثم عطف هذا عليه وتقديره : فلما أسلما وتله للجبين قبلنا منه وناديناه(٢) . والفخر الرازى أورد المذهبين : الكوفى

(١) تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٢٦٨ - مطبعة محمد مصطفى .

(٢) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٢٠ ـ الحسينية المصرية .

والبصرى . قال : « فى قوله سبحانه وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا » قولان : (الاول) أن هذا جواب (فلما) عند الكوفيين والفراء ، والواو زائدة .

(والقول الثانى) « إن عند البصريين لايجوز ذلك ، والجواب مقدر ، والتقدير : فلما فعل ذلك وناداه الله أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، سعد سعادة عظيمة . وآتاه الله نبوة ولده ، وأجزل له الثواب ، ثم اتبع ذلك بقوله: قالوا. وحذف الجواب ليس بغريب فى القرآن ، والفائدة فيه أنه إذا كان محذوفا كان أعظم وأفخم » اهـ [١] .

(التعقيب)

قد بسطنا فيما قدمناه مذهب الكوفيين ومذهب البصريين ، وأقوال المفسرين ، فى موضوع الواو ، ومنه يتبين أنها لم تقع مزيدة فى آيات القرآن الكريم ، ولا فى غيره من مأثور كلام العرب نثره أو نظمه ، وأن كل ما سيق مما أدعى فيه زيادة الواو ليس من هذه الزيادة فى شىء .

وأنه لا يكاد يعقل أو يقبل، ما يحدث به (ابن جرير) عن العرب ، أنهم قد يدخلون الواو فى جواب (لما) و(حتى) إذا . ثم (يلغونها) أو (يلقونها) يطرحونها » .

(١) التفسير الكبير جـ ٢٠ ص ١٥٣ الشرفية

إن الواو لها أوضاع خاصة فى اللغة ومعان معروفة ، ومعهود استعمالها فيها. ومن هذه المعانى أن تكون عاطفة. إذا وقعت فى وسط الكلام ، فما الذى صرفها عن هذا المعنى ، فى الآيات أو الأبيات التى زعم الكوفيون أنها فيها زائدة؟ وهل وجدوا أن المعنى فى هذه الآيات أو الأبيات ،لا يستقيم إلا إذا طرحت تلك الواو من الكلام فاضطروا أن يقولوا أنها زائدة ؟

إنه غير مفهوم ولا مقبول أن يعمد إلى حرف له معناه الوضعى فى اللغة فيذكر فى الكلام لا لإفادة هذا المعنى ، ولا لإرادة ما قد يراد ومن بعض الحروف التى تزاد للتقوية والتأكيد ولكنه يذكر ليلغى ويطرح ، هذا أمر عجيب، وهو شىء لا يشهد له شاهد من لغة أو عرف ولا يؤيده سند معتمد من قياس أو استعمال .

ألا إن قدسية القرآن فى لغته وأسلوبه وأحكامه لا تسمح أن يلقى القول فى تفسيره أو إعرابه جزافا ، ومن غير حساب . وأن تترك الاحتمالات غير السائغة وغير المعقولة تتسرب إلى شىء من ذلك التفسير أو ذلك الإعراب؟ .

د عبد الرحمن تاج

« بلاغة القرآن »

يقول الله تعالى :

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما من هاد » (٢٣ : الزمر)

الهجرة
منطلق جديد للإسلام

للأستاذ حسن جاد

لم تكن الهجرة الكبرى إلى يثرب رحلة ترفيهية يستروح فيها الرسول الأعظم ومن معه من المؤمنين الصادقين ، من عناء الدعوة وبلاء قريش ؛ ولا كانت خاتمة لذلك الجهاد الشاق العنيف الذى كابده فى مكة ؛ كما لم تكن مجرد فرار من أذى المشركين وعنتهم وإرهاقهم ، إلى موطن آمن ، وملاذ طمأنينة .

وإنما كانت منطلقاً جديداً للتحرر من جاهلية جاهلة ظالمة ، تمادت فى عنادها وإصرارها ، فأغمضت عيونها عن النور ، وأغلقت قلوبها على الظلام ، جاهلية يسودها الحكم المطلق ، والعبودية الذليلة ، والتحكم الفردى ، والإقطاع الجشع ، والطبقية المغرقة والأوضاع الفاسدة .

وما كانت يثرب المدينة الطيبة إلا القاعدة الجديدة لهذا الانطلاق لتحطيم أصنام الجهالة وتكسير أوثان الضلالة ، وتوكيد عقيدة الإيمان ، وتثبيت دعائم الإسلام ، وتحقيق شريعة المساواة ، وتوسيع مجالات الدعوة .

وإذا كان هذا كله يحتاج إلى تخطيط وإعداد وبسالة وجهاد ، وتضحية وفداء ؛ فإن الهجرة أروع مثال للتضحية ، وأبلغ شاهد على البسالة وأعظم دليل على روعة الفداء .

لقد ظلت قريش فى مكة تمارس صنوف الإيذاء والعسف للمسلمين ، وتبالغ فى إيقاع الظلم والجور على المؤمنين الصامدين ؛ فكم عذبوا! بالحديد والنار أمثال بلال وصهيب وعمار من المستضعفين ، تحت سمع الرسول العظيم وبصره . فيحز ذلك فى نفسه ، ويمس شغاف قلبه ، ولكن إيمانه بالله ، وثقته فى نصره ، كان يعزيه عما يجد ، وفيما يلاقيه هؤلاء المستضعفون ؛ فكان ينفث هذا الإيمان فى كلمات يشد بها من عزمهم ويربط بها على قلوبهم . كما قال : « صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة إن شاء الله » . وأحيانا يتلو عليهم من كتاب الله ما يطفىء لهيب النار المشتعلة فى أجسامهم : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » .

ومن السمات البارزة التى تميز قادة الإصلاح والتحرر ، الصبر والثبات على العقيدة ، والفهم العميق لأبعادها ، والإيمان القوى بنتائجها ، ولقد كانت هذه السمات تتجلى أبلغ ما تتجلى فى

المصلح الأكبر والقائد الأعظم صاحب الرسالة الكبرى، وصانع التاريخ العظيم الإنسانية.

يقول خباب بن الأرت : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة، فقلنا له : ألا تستنصر لنا ؟ فقال عليه السلام : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض . فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق مادون لحمه وعظمه. وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون.

وقد سبقت الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة محاولات وهجرات صغرى إلى الطائف وإلى الحبشة، فأما الهجرة إلى الحبشة فكانت فرارا من الأذى، وملاذا من الظلم، وإيواء لفئة مستضعفة من المسلمين.

وأما هجرة الطائف . فقد لقى فيها الرسول الكريم - فى ذهابه وعودته - مالقى من عنت وإيذاء، حتى استكملت الهجرة الكبرى عناصرها من الإعداد والتخطيط، ودنت ساعة الصفر ببلوغ قريش أقصى غاياتها من المكر والاحتيال، وإعداد مؤامراتها للفتك بالرسول . فكانت تلك الليلة الحاسمة فى تاريخ الإنسانية، وقد تهيأ فيها القائد الأعظم بوحى من الله، لتغيير الموقع، واختيار ميدان جديد، والاتجاه إلى يثرب.

أما التضحية بأعز ما يملك الإنسان من مال وأهل ووطن فى سبيل الحق، وأما الفدائية المثالية فى سبيل المبدأ والعقيدة، وأما الشجاعة البطولية فى مواقف الحرج والمواجهة ؛ فكل ذلك يتجلى بأروع مظاهره فى القائد الرائد وصحبه الأوفياء.

أى صراع أقوى من هذا الصراع الذى يتجاذب نفس الرسول العظيم وهو يرحل عن مكة أحب البلاد إليه، ومراح ذكرياته وصباه، وموطن أهله وأحبابه، فيشده عن هذا الإحساس ما يدعو إليه من نجاح الدعوة، وما يؤثره من الاستجابة إلى ما أمره الله به، حتى إنه ليقول : (والله إنك لأحب أرض الله إلى، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن قومك أخرجونى منك ماخرجت) ، ويتجه إلى الله وقد ودع هذا الإحساس. فيقول: (اللهم إنك أخرجتنى من أحب البقاع إلى فأسكنى أحب البقاع إليك).

إنه يهجر بلدا يحبه، ووطنا يعزه، لشىء أعز وأكرم وأحب، هو رسالة الله التى كلف بها، وثورة الحق التى نهض بأعبائها.

وأية فدائية أعظم مثلا للأجيال، وأبلغ قدوة للشباب من فدائية على بن طالب رضى الله عنه، وقد غامر بنفسه فى تجربة انتحارية، وراح يرقد فى مضجع الرسول الذى تعود

أن ينام فيه ، ويتسجى ببرده ، حتى يظن المتآمرون من قريش أنه الرسول ، وكان من الممكن أن يشفوا غليلهم بقتله بعد أن انكشفت لهم حقيقته ؟

أما فدائية أبى بكر فقد كانت تتمثل فى التضحية بالنفس والمال والولد ، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس أحد أمن على فى أهل ومال من أبى بكر » . لقد كان رضى الله عنه يتعجل الهجرة ، وما كان يمنعه عن المبادرة بالانطلاق التحرري إلا ما كان يقوله له الرسول : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فكان ذلك » حلمه الذى تحقق فى ذلك اليوم الذى فاجأه فيه الرسول فى بيته بقوله : « إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة » فابتدره بقوله : « الصحبة يارسول الله ! » فقال : « الصحبة » وفى هذا الموقف الخالد تشهد عائشة الشابة الصغيرة دموع أبيها تترقرق فى عينه من الفرح حتى لتقول : « والله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ » .

وهكذا يتجلى الإخلاص للقائد . والوفاء له ، والتضحية فى سبيله وكان المهاجرون يستخفون فى خروجهم من مكة ، تجنبا لإيذاء قريش إلا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد تقلد سيفه ، وتنكب قوسه وانتضى أسهمه ، وسار إلى الكعبة ، وفى فنائها ملأ من قريش فطاف بالبيت ، وصلى فى مقام إبراهيم ؛ ثم وقف على الملأ متحديا صائحا بأعلى صوته : « شاهت الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس . من أراد أن تثكله أمه . أو ترمل زوجه فليلقنى وراء هذا الوادى . فما جرؤ أحد على أن يتبعه . أفكان عمر يهاجر خوفا أو جبنا أو فرارا ؟ إنها الشجاعة والإقدام !

ويجىء دور المرأة ، فنرى بطولتها وفدائيتها ومساهمتها الفعالة فى نصرة الرسالة وتضحيتها فى سبيل الحق ، وتعرضها للأخطار من أجل المبدأ . كل ذلك يتمثل فى أسماء بنت أبى بكر ، وقد تعرضت لكيد قريش بعد خروج والدها مع الرسول ، وفى ذلك تقول : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه . أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك ؟ قلت : لا أدرى ، فلطم أبو جهل خدى لطمة طرح منها قرطى » .

ولكن هذه اللطمة كانت وقودا لشعلة نفسها المضيئة ، فكانت تخاطر بنفسها ، وتذهب إلى الرسول وصاحبه فى المساء بالزاد والطعام فى وحشة الجبل ، حتى إذا مضت ثلاث ليال وسكن الناس عنهما ، أتتهما بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها رباطا ، فحلت نطاقها وشقته نصفين . وربطت السفرة

بأحدهما ، وتمنطقت بالآخر ، فرضى عنها الرسول ، ووعدها بنطاقين في الجنة ، وسميت لذلك : ذات النطاقين .

هكذا كانت الهجرة الكبرى انطلاق إلى مجال أرحب ، وميدان أوسع تجلت فيها التضحية والفدائية والشجاعة . فلم تكن فرارا وجبنا ، ولا يأسا وخوفا ، ولم تكن كذلك حداً فاصلا من المكان أو الزمان بين فئة قليلة من المؤمنين لاذت بالأمن في يثرب ، وبين أراذل الشر والطغيان في مكة ؛ وإنما كانت فاصلا معنويا بين الحق المستضعف المغلوب ، ينكره الظلم والطغيان ، ويستبد به عبدة الأوثان ؛ وبين الحق الحر المنطلق ، وقد انعتق من القيود ، وكسر الأغلال ، وحطم السلاسل ، وراح يبنى قوته ، ويعد عدته للزحف المقدس الذى انتهى بفتح مكة ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا .

وهكذا نجحت الهجرة فأسست الحكومة الإسلامية فى يثرب ، وأقامت نظاما جديداً للمجتمع الإسلامى ، تتلاشى فيه الفوارق ، وتذوب الطبقية ، وتتحقق العدالة ، ويتم التكافل الاجتماعى ؛ وقضت على معالم المجتمع الظالم ، وغيرت وجهه ، ثم كونت الجيش القوى الذى نشر تلك المبادئ بالفتح المبين ، ورفع كلمة الله عالية بعد أن دك عروش الظالمين.

إن الهجرة من سنن المصلحين الذين يتخذون منها منطلقا جديداً لدعواتهم ومبادئهم . وقد حدثنا التاريخ عن هجرة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وفراره بدينه من العراق إلى الشام ، بعد أن تحداه الفرس ، وحاولوا إحراقه بالنار ، كما يحدثنا عن هجرة موسى عليه السلام مع من آمن به فراراً من فرعون وجنوده بمصر ، استدراجا لهم إلى البحر ، وعن هجرة عيسى عليه السلام من بيت لحم إلى أورشليم (بيت المقدس) .

ولا تزال الهجرة إلى الآن توحى إلينا بأعظم الدروس ، وأنفع العبر ، من حيث القدوة التى يمكن أن نحتذيها ، فى الصبر على البلاء ، والتضحية والفـداء ، والبطولة والإقدام ، والثبات على المبدأ ، والثقة بالنصر ، والإيمان بالهدف .

ولتكن ذكرى الهجرة النبوية لنا فى كل عام تجديدا للعهد الذى قطعه المسلمون على أنفسهم أمام الله ، بالتفانى فى الحق ، والتمسك بالدين ، والجهاد فى سبيل تحرير الوطن ، والتضحية من أجل خلاص أرض العروبة والإسلام من أعداء العروبة والإسلام ؛ ثم الثقة التى لا تتزعزع ، فى نصر الله لأوليائه ، كما نصر المهاجرين الأولين ، وبذلك نسترد ماضاع ، ونستعيد مافقد ، ونرأب ما انصدع ونجدد ما اندرس ، بإذن الله ؟

محمد جاد

نفحات القرآن

تثبيت النبى وأمته على كمال الإيمان

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

— ٢ —

« ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ، فتمسكم النار » - ١١٣ هود

فى هذا السياق من تثبيت النبى صلى الله عليه وسلم ، على مزيد الإيمان - على نحو ما أسلفنا فى حديث سابق - ينهانا الله عن الركون إلى الظالمين - والظالمون : هم الكافرون .

ومع أن الركون إلى الشىء أخف وطأة من المغامرة ، أو الولوج فيه ، فالله تعالى : يحذرنا المخالفة لنهيه ؛ لئلا تمسنا النار يوم القيامة بسبب ذلك .

وفى هذا التهديد إشعار لنا بأننا غير ظالمين . . بل فيه إشعار بأننا لم يحصل منا مجرد ركون إلى الظالمين ، ولذلك يتداركنا الله بالتوعية من مقاربة الظالمين فى أى لون من ظلمهم . . إذ لا يليق بنا وقد انضوينا تحت راية الإيمان أن نتلوث بأى ركون إلى أهل الكفر الذين ظلموا أنفسهم .

وكان من رفق الله بنا أنه لم يخاطبنا بأسلوب صارم مقذع ، كما يخاطب الكافرين فى تهديدهم بالخلود فى النار . . وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وأنهم كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها .

بل جعل تهديدنا فى تلطف رحيم . . والتلطف فى كلام الله معهود وليس بغريب . فهو - سبحانه - يحذرنا أن تمسنا النار . . والمس هو أخف ما يتصوره المرء من العذاب ، فمن ملامح هذا الأسلوب ندرك أن الله يربينا تربية كاملة ، ويأخذنا بأسلوبه فى هوادة ، ويتلطف بنا إلى أكرم الغايات .

وهذا هو الشأن فى خطاب من جانب الله إلى رسوله ، وإلى المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله هو البر الرحيم .

وليس معنى هذا أن نغتر بهذه الملاطفة فإنها مطوية على التخويف . . بل الحزم أن نتحامل على أنفسنا ، ولا نرخى لها العنان وراء هواها وشيطانها ، فإن النفس كالطفل على حد تعبير الإمام البوصيرى :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وكان من تبصير القرآن لنا فى هذا المقام ونحوه أن يذكرنا بما سنكون عليه يوم الحساب حينما لا يكون للإنسان نصير من أهل ، ولا ولى يذود عنه من الناس .

وإذا تهيأ للإنسان أن يباعد نفسه عن ملامسة النار ، بعدم الركون إلى الكفر : فقد بقيت حاجته إلى رضوان يطمئن فى ظلاله ، وإلى نعيم يهنأ فيه .

وهذا لا يكون إلا جزاء على عمل ، وبهذا تتمايز المنازل ، ولا يكون السابق واللاحق سواء ، فيكون المطلوب من المرء شيئين :

أحدهما : التجرد من المآثم كمن يغسل جسمه من الأدران .

والثانى : أن يضمخ جسمه بالطيب ، ويلبس الملبس البهيج . . فلابد من تخلية ، ثم تحلية . كما يقول علماؤنا .

وقد مرت بنا عبارات التخلية . . فما هى عبارات التحلية ؟ ؟ هى :

ما يقوله الله تعالى : « وأقم الصلاة طرفى النهار ، وزلفا من الليل » .

وإقامة الصلاة فى طرفى النهار ـ معناها : تأديتها فى أوقاتها : صبحا وعشيا . وفى زلف من الليل : يعنى المغرب ، والعشاء .

ونحن نسمع من ذكر الصلاة فى القرآن أكثر مما نسمع عن سواها . . لأنها أحب الطاعات إلى الله ، ولأنها لا تكلفنا مجهوداً شاقا ، ولذلك يجهد الشيطان نفسه فى صرف الناس عنها ، وجعلها بغيضة إلى أنفسهم ، حتى لا يفوزوا بثوابها . . والله تعالى يذكر لنا ذلك فى قوله : « وإنها لكبيرة : إلا على الخاشعين . . » ، يعنى : أن الصلاة شاقة على ضعاف الإيمان والمنافقين ، لا على الخاشعين المحبين للطاعة .

وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة — يعنى أنها من أحب الأعمال إلى نفس النبى صلى الله عليه وسلم .

فمجال الصلاة هو مجال الحسنات الكثيرة التى تذهب السيئات لمن تكون له سيئات .

وبما سلف يصل بنا الحديث إلى غايتين . . إحداهما : تنزه تام عن الشوائب التى تجعلنا على نقص ، وركون إلى جانب الكافرين .

والثانية : تجمل بالطاعات كلها وخاصة : الصلاة .

وكلتا الغايتين تثبتنا على الإيمان كما سلكنا مسلك القول فيه .

هذا التنزه ثم العمل الصالح يقتضى مجهوداً، وصبراً على المثابرة .. ولهذا يعقب الله على ماسبق فيأمرنا بالصبر : لأن الصبر هو سياج الاحتفاظ بما عليه الإنسان من إيمان وعمل.

والصبر : هو الإطار الذى يلتزمه الإنسان فى معية الله ، ويكون الله مع عبده ، وعونا له فى صبره .. وهذا هو الوعـــد الأكيد فى قول الله «إن الله مع الصابرين» .

والصبر كذلك : هو الوسيلة إلى ثواب أكثر مما يستحق الإنسان على عمله ، وهو لون الجمال والحسن فى علاقة الإنسان بربه .. والله ـــ تعالى ـــ يشيد به ، ويبشر بحسن جزائه فى قوله «واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين» .

فأى إنسان يصغى إلى هذا القصص ، وما يهدف إليه من توجيه الناس إلى الرشد: ثم يتهاون أو يتخلف عن النشاط فى اغتنام هذه المواهب الرحمانية ؟!

إنها لنفحات تفيض علينا من فضل الله : تعليما .. وتحذيراً .. وترغيباً .. كما تغمرنا بالوعد الكريم فيما أعد الله للمحسنين .

هذا شأن ضاعت ثمراته على أمم سبقتنا .. وتضيع ثمراته على أمم تعاصرنا ، أو تأتى بعدنا . وتذكيرنا بها يلقى علينا تبعتها منذ وعيناها ، ويسقط حجتنا فى الاعتذار نحو ربنا .

وإلى هنا يعود بنا القرآن إلى ذكر تلك الأمم الخالية ، التى ضيعت فرصتها على نفسها.

فيقول الله فيهم «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ؟؟» .

يعنى : هلا كان من القرون السابقة أهل بقية من الفضل .. أو العقل : ينهون أنفسهم وينهون قومهم عن الفساد فى الأرض حتى لا ينزل بهم ما نزل من العذاب والمحق .

لم يكن منهم أولئك العقلاء الراشدون .. إلا قليلا كانوا كذلك ، فأنجيناهم من البلاء بسبب إيمانهم وطاعتهم . وكان حقا علينا نصر المؤمنين .

أما غيرهم فقد اتبع ضلاله ، وانغمسوا فى نعمتهم ، وألهاهم الترف الذى عاشوا فيه ، وكانوا مجرمين .. فاستحقوا ما لحق بهم «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم ، وأهلها مصلحون» .

وبعد ـــ فإن الحياة الدنيا لا تزال مسرحا للأحداث .. والإنسان فيها لا يزال غاديا ورائحا بين مفاتن ، ومواعظ .. وكلنا ينظر بعينه ، ويسمع بأذنه ، ويعى من تصرفات الأيام جديداً بعد جديد .

ومع هذا نتعثر فى خطايانا ، ولا نهتدى بما وقع لمن سبقنا .

والطامة التى تحدق بنا أننا نظن أنفسنا خيراً من أولئك الذين تغاضوا عن الموعظة، واستهانوا بالعبرة الشاخصة فى ذكريات الأسلاف .. بل نستهين بما يعترضنا نحن من المكاره ، فنجزع لما يلم بنا .. ولكنا لا نعدل عن جبروتنا .

ونشهد فى قومنا اليوم قلقا يساور الجميع ، وتردد أحاديث الندم فى كل ندوة. وعند كل لقاء .. والجزع يخيم على أكثر الوجوه .. ثم ماذا ؟؟

لاشىء .. غير أن الدين يدعونا إلى جانبه، فنزهد فى دعـــوة الدين ، ثم يستمر نشاط المنحرفين ، وتتلاحق الفتن ، ويتسع الحزن، وننسى أن الجناية تقع منا على أنفسنا فن الذى يكشف عنا هذا البلاء ؟ ومن الذى يتقبل منا الدعاء لا أحد : غير الله الذى نكفر بنعمته ، ونعرض عن دعوته .

فهل تكون معاصينا قربة إليه ، أو تكون مفاسدنا فى دنيانا وسيلة إلى عونه لنـا ، وهدايته إيمانا ؟؟ إن الله طيب لا يقبل من أعمالنا إلا ما كان طيبا .. فإذا بقينا على هذا الفساد فسنظل على هذا الشقاء ، وربك لا يظلم الناس شيئاً .

عبد اللطيف السبكى

موالاة الظالمين

يقول الله تعالى : ألم تر إلى الذين تولوا قـوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ، أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون. اتخـذوا أيمـانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عـــذاب مهين لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

سورة المجادلة ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧

إلى الإسلام من جديد

للواء الركن : محمود شيت خطاب

١ ـــ من فضل الإسلام على العرب ، أنه جمع شملهم ووحد كلمتهم ورص صفوفهم وأدخل النور إلى قلوبهم ، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا : يعملون تحت قيادة واحـــدة ، لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هى العليا .

وكان العرب المسلمون قليلى العدد قليلى المدد ، وكان أعداؤهم العرب المشركون كثيرى العدد كثيرى المدد ؛ فانتصر العرب المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم على العرب المشركين ، انتصاراً ساحقاً ، فلم يلتحق الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى إلا وكانت شبه الجزيرة العربية كلها من المحيط جنوباً إلى تخوم الشام والعراق شمالا موحدة تحت لواء الإسلام .

وارتدت القبائل العربيـة فى أواخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، واشتد أمر الردة بعده صلى الله عليـه وسلم ، فارتدت العرب عامة فى بعض الأماكن وخاصـة فى بعض الأماكن ؛ فحاربهم الصديق رضى الله عنه ، حتى أعاد إليهم الوحدة تحت لواء الإسلام .

وابتدأ الفتح الإسلامى العظيم من عام أحد عشرة الهجرية ، فلم ترتد للمسلمين راية حتى سـنة اثنتين وتسعين الهجرية ، حيث امتدت دولة الإسلام من حدود الصين شرقا إلى سيبريا شمـالا إلى المحيط الهندى جنوباً إلى أعماق فرنسا غرباً .

كان انتصار المسلمين فى أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفى أيام الفتح الإسلامى العظيم ، انتصار عقيدة لا مراء .

لقد أصبح العرب بالإسلام ، قوة ضاربة ضخمة ، وحدت شبه الجزيرة العربية أولا ، ثم انطلقت من بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى شرقا وغرباً ، حتى أصبحت يد المسلمين وليس فوقها يد غير يد الله وحتى أصبح المسلمون قوة هائلة بالإسلام ، وجدت لها متنفساً بالفتح الإســـلامى العظيم .

وحين توقف مد الفتح الإسلامى ، الذى كان يحمل راياته قادة الفتح وجنوده ، كان لا يزال هناك مد آخر أبقى أثراً وأعظم تأثيراً ، هو مد قادة الفكر الإسلامى وجنوده

مد الحضارة الإسلامية التى قادت العالم قروناً طويلة إلى نور العلوم والآداب والفنون .

٢ — وابتلى الله المسلمين بالكوارث والنكبات ، حين غيروا ما بأنفسهم ، فتفرقوا بعد اتحاد ، وضعفوا بعد قوة ، وهانوا بعد عز .

ولكن المسلمين بالرغم من انهيارهم سياسياً كانوا لا يزالون بخير حضارياً ، فكانوا يشعرون بتفوقهم الحضارى على الأمم التى تجرأت على غزوهم فى عقر دارهم ، فشهد العالم كيف ينتصر العلم على السيف ، وكيف ينتصر الفكر على القوة .

غزاهم هولاكو والتاتار ، فخربوا ودمروا ودخلوا بغداد فى انتصار كأنه الإعصار ، ولكن أحفاد هولاكو وأحفاد التاتار ، بهرتهم الحضارة الإسلامية وبهرهم الإسلام بنوره القوى النافذ ، فذابوا فى الحضارة الإسلامية وفى الإسلام ، وأصبحوا بعد سنين معدودة من حملة راياته .

وغزاهم الصليبيون بموجات عارمة ، فاستولوا على القدس وعلى ساحل أرض الشام وعلى كثير من مدن شمال إفريقية ، ولكن هؤلاء الغزاة بهرتهم الحضارة الإسلامية ، فنقلوا أطايبها إلى أوربا التى كانت تغط فى دياجير الظلم والظلام .

كانت الحضارة الإسلامية هى الحصن الحصين للعرب خاصة من الخليج إلى المحيط ، والمسلمين عامة من المحيط إلى المحيط وكانت الدرع الواقى لهم من الهزات والرجات : تحفظ لهم شخصيتهم المتميزة ، وتحول دون ذوبان تلك الشخصية فى حضارة أخرى .

وكانت تلك الحضارة هى التى تمدهم بفيض غامر من الثقة بالنفس والاعتماد على النفس والأمل بالمستقبل ، وتصونهم من نتائج الاندحار فى ساحة الحرب ومن نتائج الحرب النفسية التى لا تقل خطرا عن نتائج الاندحار فى الحرب الفعلية .

٣ — وجاء الاستعمار الغربى ، وسيطر على العرب وعلى المسلمين فى آسيا وأفريقية ، وكان إلى جانب مدافعه وأساطيله وجيوشه غزو من نوع آخر : يعتمد الحضارة الغربية ويبشر بها ، ويجازى من يؤمن بها ، ثم يكافح الحضارة الإسلامية وينفر منها ، ويعادى من يؤمن بها .

وكان سبيل الاستعمار إلى إشاعة الحضارة الغــربية من جهة وطمس معالم الحضارة الإسلامية من جهة أخرى ، أنه وكل بمؤسسات أوقاف المسلمين أمر القضاء على علماء الدين وعلى المعاهد العلمية الدينية ، ووكل إلى وزارة التربية والتعليم أمر القضاء على تدريس الدين الحنيف فى المدارس .

الأوقاف قضت على المعاهد الدينية بالتدريج ونفرت الطلاب من التعلم فيها ، ذلك لأنها جعلت مرتب العلماء من الخطباء والوعاظ والمدرسين أقل من مرتب المستخدمين والفراشين فى الدوائر الرسمية وشبه الرسمية فأصبح المستوى المعاشى للعلماء واطئا وأصبح مستواهم الاجتماعى واطئا أيضا ولكى يعيشوا لجأوا إلى التجارة أو الزراعة أو إلى وسائل أخرى بعيدة عن العلم ، ولجأ أولادهم وأولاد غيرهم إلى المدارس المدنية ليضمنوا لهم الكرامة ولقمة العيش بعد التخرج .

وهكذا ضعف وازع الدين ، وقل العلماء وأغلقت كثير من المعاهد الدينية .

ووزارة التربية والتعليم . قضت على التعليم الدينى ، وذلك بجعل درسه ثانويا ، وعدم جعل الامتحان فيه إجباريا ، فاستهان به الطلاب ، واستخف به المعلمون ، فكانت النتيجة أن الطلاب والتلاميذ يتخرجون فى الجامعات والمدارس ، وهم لا يكادون يعرفون كيف يصلون ، ولا يستطيعون أن يقرأوا آية واحدة من آيات الذكر الحكيم قراءة سليمة .

ورحل الاستعمار العسكرى والاقتصادى والسياسى إلى غير رجعة بإذن الله ، ولكن بقى الاستعمار الفكرى ، وهو أشد أنواع الاستعمار - خطراً .

رحل الاستعمار العسكرى والاقتصادى والسياسى ، بفضل القوة الاستمرارية للحضارة الإسلامية ، تلك الحضارة التى جعلت كل ثورات المسلمين والعرب ترتكز على ركائز دينية - ما فى ذلك أدنى شك ! .

حتى ثورة تركيا التى قادها مصطفى كمال ، كان العامل الدينى هو الأساس فى قوتها واندفاعها ؛ وقد كان للسيد أحمد الشريف السنوسى الذى استقدمه مصطفى كمال لاثارة كوامن الجهاد الدينى أثر أى أثر فى نجاح الثورة التركية وانتصار الأتراك .

وثورة ليبيا مصدرها الزوايا السنوسية ، وثورة المغرب مصدرها جامع القرويين ، وثورة تونس مصدرها الزيتونة ، وثورة الجزائر مصدرها جمعية العلماء ، وثورات مصر مصدرها الأزهر ، وثورات العراق مصدرها الجوامع والمساجد .

وحسبنا أن نذكر شعار ثورة الجزائر : العربية لغتنا . الإسلام ديننا . والجزائر وطننا .

وما يقال عن شعار ثورة الجزائر ، يقال عن شعارات كل الثورات العربية .

٤ — خلف الاستعمار البغيض وراءه فى بلاد العرب ودار الإسلام بعد ارتحاله استعماراً فكرياً ، لا يزال العرب والمسلمون يعانون من آثاره حتى اليوم .

وكل ما حاق بالعرب والمسلمين بعد نيل حريتهم ما هو إلا نتيجة من نتائج الاستعمار الفكرى .

إن الحضارة الغربية ، هي حضارة مسيحية كما يؤكد ذلك سدنة تلك الحضارة ، لذلك تهدف إلى القضاء على الحضارة الإسلامية .

والحضارة الغربية لها جانبان : الأول علمي تطبيقي ، والثاني روحي وخلقي وعقائدي .

والذي يحتاج إليه العرب والمسلمون من الحضارة الغربية ، هو جانب العلم التطبيقي ، والذي لا يحتاجون إليه هو الجانب الروحي والخلقي والعقائدي .

والذين يريدون أن يستوردوا كل جوانب الحضارة الغربية ، مخطئون كل الخطأ أو عملاء كل العمالة ، أو مغفلون كل الغفلة .

لقد أدرك الاستعمار أن القوة إلى زوال ، وأن الفكر هو الباقي ، فأراد أن يبقى بعد زوال قوته إلى الأبد عن طريق الفكر وبذل من أجل تحقيق هذا الهدف كثيراً من الجهد وكثيراً من المال وكثيراً من الأبناء .

حاول إظهار المتمسك بدينه بمظهر المتعصب وحاول إظهار اللغة العربية بمظهر اللغة المتخلفة

وحاول إشاعة الفحشاء والمنكر والتخنث وشن حربا شعواء على الجانب الروحي من الإسلام وعلى الجانب الخلقي والعقائدي .

والإسلام قاد العرب خاصة إلى النصر ، واللغة العربية قادت الحضارة العالمية قروناً طويلة ، وإشاعة الفحشاء والمنكر والتخنث تفتت الشعب وتجعله عبداً لبطنه وجيبه وفرجه ولن يفلح شعب يكون عبداً للمادة وحدها وليست له مثل عليا .

والجانب الروحي من الإسلام يجعل المسلم يؤمن بأن الجهاد فرض عين ، وأن النصر من عند الله ، وإنما هي إحدى الحسنيين ، نصر أو شهادة .

والجانب الخلقي من الإسلام ، هو الذي جعل من المسلمين أمة لا تقهر ولا تغلب من قلة ، فهو يغرس الأخلاق المحاربة التي تقود الأمة إلى النصر .

والجانب العقائدي هو الذي يجعل من المسلمين أمة ملتزمة بالفضيلة عاملة للخير مؤمنة بالحق والخير والسلام لخير العالم والحضارة الإنسانية .

فلمصلحة من نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ ! !

وإذا كان المستعمر له عذره في محاربة الإسلام عقيدة وعملا وتضحية وفداء ، فما عذرنا بعد أن رحل الاستعمار إلى غير رجعة ؟ .

إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله فمتى يدرك العرب والمسلمون - مسؤولين وغير مسؤولين - هذه الحقيقة الناصعة ، فيعودون إلى الإسلام من جديد ، لتعود إليهم مكانتهم السامية ومجدهم المضاع ؟ .

محمود شيت خطاب

الهجرة سنة المرسلين

للأستاذ مصطفى الطير

ما من رسول دعا إلى الله إلا عاداه قومه، وبسطوا له وان آمن به أيديهم وألسنتهم بالسوء، وحملوه على الخروج من وطنه هو ومن آمن معه، فراراً بدينهم وتخلصاً من تعـــذيب قومهم، أو رغبة فى نشر شرائعهم بين من يرجى فيهم الاعتدال والرغبة فى معرفة الحق والانتماء إلى رحابه فى ظلال الأمن والسلام.

فهذا إبراهيم الخليل ألقاه قومه فى النار، بعد أن دعاهم إلى هجر الأوثان، وعبادة الديان، وبين لهم عملياً عجز آلهتهم عن دفع الأذى عن نفسها ثم نجاه الله من نار تلتهج ضراما، وجعلها عليه برداً وسلاما، وقال إنى مهاجر إلى ربى سيهدين.

وهذان موسى وهرون: دعوا فرعون أن ينزل عن كبرياء الأرباب، إلى تواضع المربوبين، وأن يؤمن بالمهيمن الخلاق، ويدع الاستعلاء على المخلوقين، فاضطهدهما ورماهما بالسحر المبين، وعذب قومهما العذاب الأليم فكان يقتل الأبناء، ويستحيي النساء، ويستخدمهن مع رجالهن كالأرقاء، فهاجر موسى بقومه إلى الأرض المباركة سيناء، ليتمكنوا من العبادة فى أمان من الذبح والتنكيل. ويا ليتهم شكروا نعمة الإنجاء، وذكروا فضل الإيواء، وحمدوا كريم التغذية بالمن والسلوى، وراحة الإظلال بظل الغمام، لكنهم اتخذوا عجلا جسدا له خوار فعبدوه، واعتدوا فى السبت فقال لهم الله: «كونوا قردة خاسئين».

فإذا كانت الهجرة شأن المرسلين فلا بدع فى أن يهاجر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة بعد أن تحجرت فى أهلها القلوب، وعميت البصائر، وتحكم فيهم تقليد الآباء، وعظمت فيهم عنجهية الجاهلية، وبعد ما أمعنوا فى الإيذاء والتآمر وقعدوا للدعوة والدعاة كل مرصد.

وبهذه الهجرة تمت للنبى صلى الله عليه وسلم سنة إخوانه الأنبياء من قبله «سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا».

حكمة الهجرة:

ألا وإن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة من حكم الله تعالى، فإن قريشا لو آمنت به ولم يهاجر لقال غيرهم إن قريشا حملوا رجلا منهم على أن يدعى النبوة فآمنوا به وولوه أمرهم، لينشر بهم دينه وسلطان قومه

على العرب أجمعين ، ولـكان هذا الظن سبباً فى انصرافهم عن قبول هذا الدين .

فلهذا شاء العليم الحكيم أن يبغضه أهله ويعادوه ، ويحملوه على الهجرة إلى المدينة ليؤمن به أهلها بغير حرب ولا قتال ، لأنهم اقتنعوا بصدق حديثه ، ومتانة أخلاقه وسمو هدفه ، وسلامة منهاجه ، وقوة بيانه . ووفرة البينات على أن الحق يكمن فى أعطاف رسالته .

فلما أمن أهل المدينة بدعوته وهم عنه غرباء . انفتحت قلوب الناس لهذا الدين ونفوا عن صاحبه أغراض الملك والسلطان لقومه .

وهجرة النبى وأصحابه درس يتعلم منه المسلم الصبر على الكفاح وتحمل الأذى والمكاره ومشقة فراق الأهل والأوطان . فى سبيل العقيدة والإيمان ، ولن يضيع ذلك سدى ، فقد قال : صلى الله عليه وسلم « من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة » .

الإعداد الروحى لمرحلة الهجرة :

كان للدعوة المحمدية مرحلتان . مرحلة البداية بمكة ، ومرحلة الغاية والنهاية بالمدينة

ولقد زود الله نبيه فى كلتا المرحلتين بزاد روحى يعينه على الصمود فى الدعوة أولهما أنه أمره بقيام الليل إلا قليلا ، ثم بين له حكمة ذلك التكليف بقوله « إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا » وذكر له أن العبادة الناشئة فى الليل معوان على ثبات القدم فى الدعوة التى يستقبل أعباءها بقوله « إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا » ومن ثم مضى النبى صلى الله عليه وسلم يستعذب التعذيب ويستهين بالصعاب ، ويحتمل من قومه الجفاء . وقد كانوا له أولياء . وكانت منزلته بينهم فى السويداء .

حتى إذا انتهت مرحلة الكفاح العنيف بمكة إلى إيمان عدد قليل من أهلها لا تمضى بهم الدعوة فى سبيل النجاح ، وهم بين قوم معادين متربصين . زوده الله بزاده الروحى الثانى ليستقبل به مرحلة جديدة ، ينتشر بها الإسلام فى محيط أرحب ومجال أوسع ، وذلك أن جبريل شق صدره الشريف ، وملأه من أسباب القوة الروحية ما لا يعلم مداه سوى الله ، وسلك به مسيرة الإسراء والمعراج ، ورأى من آياته ربه الكبرى ، فاكتملت بذلك فى نفسه عوامل الصمود ، واستعد به للمرحلة الكبرى من الكفاح ، مرحلة الهجرة إلى المدينة التى استوى فيها الإسلام على سوقه ، واكتمل بنيانه ، وعز شأنه ، وكان هذا الإعداد الروحى الثانى ليلة السابع والعشرين من رجب ، فى العام الثانى عشر للنبوة ، أى أنه قبل الهجرة بسبعة أشهر ونصف .

ماذا بعد الهجرة :

تلقى أهل المدينة الرسول بظهر الحرة ، متقلدين أسلحتهم ، فرحين مبتهجين ، بمقدم خير النبيين ، ولما نزل على بنى عمرو بن عوف بقباء . بنى مسجدها الذى وصفه الله بأنه أسس على التقوى ، وهكذا يجب أن يكون المسجد أول عمل لكل مجتمع إســلامى ، ليكون مشرق معارفهم ومركز وحدتهم .

ثم تحول النبى بعد ثلاث ليال إلى المدينة ، فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها ، وكانت أول جمعة له ، وخطب فيها خطبة رائعة قال فيها بعد ما حمــد الله وأثنى عليه .

« أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم . تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ، ألم يأتك رسولك فبلغك ، وأتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإنها تجزى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف » .

ثم ركب ناقته وكلما مر على دار من دور الأنصار تضرعوا إليه أن ينزل عندهم ، فكان يقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، ثم بركت بفناء بنى عدى بن النجار أمام دار أبى أيوب الأنصارى ، وهى موضع مسجده الشريف ، فقال الرسول : ها هنا المنزل إن شاء الله ، واختار أن ينزل أسفل دار أبى أيوب ليكون أيسر لزائريه .

واتفق فى ليلته أن كسرت زوجته جرة ماء ، فجعلا يجففان الماء بقطيفة ليس لهما غيرها خوفا من وصوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلهذا استعطف الرسول حتى صعد إلى الطابق الأعلى ، وبذلك طابت نفس أبى أيوب ، لما فيه من تكريم الرسول ووقايته من تراب المارة بالطريق ، وتعرضه لمثل حادث الجرة .

ولما تحول مع الرسول أغلب المهاجرين تنافس الأنصار فيهم ، فحكموا القرعة بينهم ، فما نزل مهاجر على أنصارى إلا بالقرعة ، وآخى الرسول بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة وأن يتوارثوا بعد الموت ، فكان الأنصار يؤثرونهم على أنفسهم ، وفيهم نزل قــوله تعالى « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » الآية .

وقد كان لهـذه الأخوة تأثيرها العميق

فى وحدة المسلمين وقوتهم ، وما أصابوه من النصر والفتح المبين ، ولما استغنى المهاجرون وأصبح لكل مسلم أسرة مسلمة ذات كيان وأولاد بعد فراق زوجاتهم المشركات نسخ الله ميراث الأخوة بآيات المواريث وبقى تآخيهم على الحق والمواساة .

التوقيت بالهجرة :

كانت العرب تؤرخ بالحوادث فيقولون حدث كذا عام الفيل أو عام حرب الفجار أو حلف الفضول أو نحو ذلك . وكان الأمر على هذا أول الإسلام ، كقولهم حدث كذا عام الابتلاء ، وظل الأمر على ذلك حتى خلافة عمر ، فاختار التوقيت بالهجرة وترك التوقيت بالحوادث .

روى أنه رفع إليه صك تاريخ حلوله شعبان ، أى شعبان هو ، ثم قال إن الأموال قد كثرت فينا ، وما قسمناه غير مؤقت ، فكيف التوصل إلى ضبطه ، فقال له ملك الأهواز - وكان قد أسلم على يديه بعد أسره - إن للعجم حسابا يسمونه (ماه روز) يسندونه إلى من غلب من الأكاسرة ، ثم شرحه لعمر وبين كيفيته فلم يرض العمل به ولا بتاريخ اليهود ، بل قال اجعلوا الهجرة تاريخا لنا ولما كانت الهجرة فى ربيع الأول رجع بالتاريخ إلى أول المحرم قبله مراعاة للضبط .

وقد أحسن عمر فى هذا الاختيار ؛ فإن الإسلام كان حبيسا بمكة ثلاثة عشر عاما لا يجد له سبيلا إلى قلوب الكافة من أهلها ؛ ولا إلى عقول أبناء العروبة خارجها ؛ فلما كانت الهجرة تحول الإسلام من حالة الركود إلى الانتشار والانطلاق . نحو مختلف الآفاق ؛ فلهذا كانت الهجرة جديرة بأن تجعل مبدأ للتاريخ الإسلامى نسأل الله أن يوفقنا بذكرى الهجرة إلى هجر ما نهانا عنه .

مصطفى محمد الحديدى الطير

دروس من الهجرة

للأستاذ سعد عبد المقصود ظلام

الدروس المستفادة من الهجرة النبوية ، تسمو بالإنسان فوق كل اعتبار . وتتخطى بالإنسانية كل أودية الغيم ، وتجنبها ويلات الشرور ، ومغبة الأمور ، كل فكرة فيها تخطيط عملى منظم مدروس ، ومنهج تطبيق للسلوك الجاد للفرد ، والتحفز الصادق للجماعة ، وكل ومضة من ومضاتها تيار موجب يصل ما بين التفكير والتنفيذ ، ويحدد لكل جهاز مسئوليته ، وطرائق العمل السليم ، فى وعى ومثابرة ، وكل لمحة فيها دستور حى لكل إنسان يقبل على أمور أو تقبل عليه الأمور فيعى كيف يكون الخلاص ، ويحدد بنفسه العمل ، ودوره أولا فيه حتى يضمن بنفسه لنفسه النتيجة .

ولم تكن هجرته عليه الصلاة والسلام فراراً من أذى قريش وعنتها ، أو هربا من الأحداث ، أوخوفا من الظلم الواقع عليه وعلى أصحابه المسلمين الأولين وهم قلة ، وإنما هاجر الرسول لأنه يريد العزة لنفسه ولدينه ولأتباعه المستضعفين وينشد مساراً آخر للدعوة بعد أن غلقت قريش فى وجه دعوته المسارات ، وسدت الطرق ، ووضعت على قلوبها الأقفال ، ثم لعله يجد فى مهجره الجديد بعد ذلك كله منبتاً جديداً ، وأفقاً جديداً ، وقلوباً جديدة تشرق فيها هداية الله ، فتكون الدعوة والمهتدون بها فى أمن وأمان ، والملاح الماهر يفكر فى طريقة تجنب سفينته الهلاك إذا عوت الريح ، وزمجرت العواصف ، وخالفت مساره ، وسارت على غير ما يهوى أو يريد ، عليه أن يتصرف فى سبيل يبعد السفينة عن الخطر أو يباعد بينها وبينه ، وإلا كان غير ماهر وألقى بنفسه وبمن معه إلى التهلكة .

ولن تمر ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن نأخذ منها العبرة ، ونستلهم الرشد والهداية ، ونستوضح معالم الطريق فى محاولة التأسى بالرسول وهو يبنى دولة الإسلام الفتية ، ويشيد دعوته الناهضة ، ولا شك أن فى الهجرة دروساً نافعة لمن يريد التعرف على المبادئ الأصيلة ، والمقومات الأساسية ، والعناصر الحقة لبناء الدولة وإقامة نهضتها وحضارتها .

لقد جربت معه كل وسائل القمع والتهديد والمساومة والاسترضاء لتثنيه عن دعوته

النامية ورسالته الهادية ، ولكن إرادته وعزيمته ، وإيمانه وعقيدته كانت صخرة تحطمت عليها أحلامهم الباهتة ، وتكسرت عندها أمواج أمانيهم الخادعة الصفراء ، جربوا معه صنوفا شتى من الاضطهاد ، وألوانا كثيرة من الحروب ، جربوا حرب الدعاية والتشويش ، ونشر الشائعات الكاذبة ، والافتراءات الضالة ، والأقوال الزائفة ، فوقفوا فى طريق قوافل الحجاج فى موسم الحج ، والرسول يعرض نفسه على القبائل لعله يجد من تتفتح نفسه للشروق ، أو يهفو قلبه نحو الحق ، فيكون معه من ينصره أو يساعده على تبليغ الرسالة ، وقفوا يشهرون به ، ويسخرون منه ، وينفرون الناس عن دعوته ، وهم ينهون عنه وينأون عنه ، وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون .

وإذا كان غرضهم من الدعاية محاربة الإسلام وتعويق تقدمه ، وعرقلة خطاه ، فقد كان فى طياتها ما عجل بانتشار الإسلام لقد كان لها فى نفس الوقت وجه آخر مضىء ، فقد شرقت النفوس لتتعرف على الدين الجديد ، وعطفتها نحو غدرانه السمحة وحركت فيها نوازع نهمة لأخذ فكرة عنه ، فجعلت القلوب تنعطف نحوه ، والأفئدة تهوى إليه ، فلكل جديد لذة ، والنفس أشوق ما تكون إلى معايشة الجديد .

وسواء أعلمت قريش ذلك أم لم تعلم ، فالشىء الذى نود أن نذكره أن هذه المحاولة لم تؤت ثمارها المرجوة ، ولم تحقق نجاحا ، ورأت قريش نفسها إقبال النفوس على الدين إقبال الظامىء على الرى ، وظما عن الحر على جداول الدوح الفينانة ، فرأت أن تتحول من سياسة تكميم الأفواه إلى مزيج من سياسة الملاينة والإغراء ، والملاطفة والاسترضاء فعرضوا على رسول الله مراتب الشرف والسيادة ، وقدموا له عروض المال والجاه لعل فى هذا ما يثنيه عن دعوته أو يغير من عقيدته . ويلين من عزيمته ولكنه وهو الواثق بالله ، المؤمن بالحق لم ترق فى نظره تلك المساومات الرخيصة ، أو تغره هذه الاسترضاءات المبذولة ولم يغير من نفسيته صلى الله عليه وسلم جو المودة المائع ، وأوفق الود المفتعل والمهادنة الخادعة ، وما كانت لتلين من عزيمته أو تغير من حدته وصلابته ، بل أصر على مبدئه إصرار الحق ثبت عليه ثبات الشم ، وترفع عن سخافاتهم ترفع السماء ، فانطلقت كلماته الهادئة الرزينة الواضحة تذيب ما عرض الكفار عليه ، وتذهب به كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف شديد .

قال لهم الرسول : « ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا

الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ».

لم تجد حيلهم معه ، ولم تنطل على رسول الله هذه الخدع المكشوفة ، فجن جنون القوم وتحولت أفكارهم الثائرة إلى أتون ملتهب يقذف بالضرام والثورة ، ويضطغن بالحقد والنقمة وذهب وفد منهم إلى أبي طالب قائلين له « إن لك منزلة وشرفا منا ، وإنا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لن نصبر على هذا من شتم آبائنا وعيب آلهتنا ، وتسفيه أحلامنا فانهه عنا ، أو خل بيننا وبينه فأشار أبو طالب إلى رسول الله ليبقى عليه وعلى نفسه فقال : « ياعم . . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ملحمة من ملاحم البطولة استمدت إلهامها من الله ، وروحها من خلق الرسول الكريم ، وإصرارها من حرارة الإيمان وذوب العقيدة ووقدة الشعور ، وكيف ينزل محمد على مارأوا ، أو يجيبهم إلى ما طلبوا ، وهو يرى أن الكون عنده والحياة أيضا بدون مايدعو إليه تافهة كعقولهم ، ناقصة كتفكيرهم ، وكيف يرضى ، وهو يعتقد أنه مصباح يجاهد ظلام الشرك وضباب الجهل ، وغيوم الحقد والانانية ، والأغشية المتخلفة من بقايا فهم ذابل سقيم ، وبمقدار وقوفه بجانب الحق وحمايته للمثل بقدر ما يقوى المصباح على هزيمة الظلام والضباب والغيوم والأغشية المتخلفة ، والفهم الذابل السقيم .

ونجح «محمد» في امتحان الإرادة والعزيمة والقدرة . وكيف لا ينجح وهو الذى جاءه قبل الهجرة بقليل « خباب بن الأرت » صاحبه ، وهو متوسد ببرده في ظل الكعبة فقال يا رسول الله : « ألا تدعو لنا ... ؟ » وأحس الرسول أن في قالته رنة أسى ، ونغمة شكوى فأقلق رسول الله هذا القول فقعد رسول الله محمر الوجه ، ثم قال لخباب : «إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ، ويوضع المنشار على رأس أحدهم فيشق . ذلك ما يصرفه عن دينه» ثم طمأن «خبابا» على الدين وعقباه فقال : « وليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من « صنعاء » إلى « حضرموت » لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه » .

ولما أحسوا بهزيمتهم أمام إرادته الصادقة وعزيمته الثابتة ، انقلبوا على أصحابه القلائل

وصور لهم زعمهم الواهن ، وعقليتهم الضيقة ، وتفكيرهم الساذج أن إيذاءهم سيفتنهم فى دينهم ويصرفهم عنه ، ويباعد بينهم وبين ربانهم السائر المشوق ، وفى زعم قريش أنهم سيأتون بنيان الدعوة من القواعد ، ويقتلعونها من القلوب ، ويقوضون دعائمها من الأساس ، فيكون التخذيل لمحمد ودعوته ، فيضيع بذلك سعيه ، ويكون كالداعى فى وهاد ، أو النافخ فى رماد .

ولكن عزيمة المسلمين السابقين كانت شمساً أذابت تحت وهجها الصامد الملتهب قتام المنى وضباب الفكر ، وثلوج السذاجة والاغترار بالآمال ، والشمس تظهر فى الأفق ضاحية الوجه ، فتمس الكون تيارات من الدفء الوامض ، وأنفاس من الحيوية الناشطة ، والتماعات من الأضواء التى تمسح كدح الحياة وتغسل أدران الجو ، وتنضج حرارتها مراحل الكفاح ، وكذلك كان الصحابة ، وهكذا كان وقوفهم فى معمعات الحوادث ، عزيمة أنضجتها حرارة الإيمان ، ونور من التنزيل والفرقان وثبات من العقيدة والتشريع وآيات من الوحى المهيب تملأ قلوبهم فينسون فى ذوبها أرواحهم وقلوبهم ودنياهم ويذيبون فى وهجها نفوسهم وأجسامهم ، فلا يحسون أمام معترك الحياة بضجر ، ولا يلمسون فى الأذى إلا مناجاة حانية ، تدعوهم إلى محراب الصفاء الأطهر ، والنقاء الأقدس ، فيغمسون الأجساد المخدوشة ، والنفوس المنهوشة ، فتهدأ جراحاتها وتسكن ، ورائدهم رسول الله لقد تحرش به الكفار ، آذوه ، أدموا قدميه كادوا له . استفرغوا طاقاتهم الكامنة وحقدهم الأسود فأغروا به نساءهم وعبيدهم يسبونه ويقذفونه بالحجارة الدامية عبر الطريق ، فى مجيئه ومراحه ، ومسائه وصباحه ، فلم تنفجر من عينه دمعة باكية ، أو تنبعث من قلبه زفرة شاكية إلا إلى الله وحده . فما كان ألذ عنده أن يبعثر آثار الألم ويغسل قلبه وجسده الداميين ، بدعوة تائبة ، وهمسة من النجوى منيبة إلى البارى سبحانه : « اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أكرم الأكرمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى » !

وهكذا سار الصحابة مسار نبيهم ، ولهم به القدوة ، وحسن الأسوة ، لقد رماهم الكفار بالصخر الملتهب فى القيظ ، وبالقيظ الأشد التهاباً من قلبهم ، وألقوا فوقهم الحديد المحمى فى النار ، وجروهم فى دروب مكة على الأرض وفى بطحائها وشعابها ، فى وهج الشمس ، وصقيع البرد ، ولكن كان إيمانهم بالله كإيمان رسولهم أكبر دائماً من الألم وأقوى

من الإيذاء ، وأشد من التحمل ، والمؤمن المتفانى فى إيمانه ، الذائب فى حرارة دينه ، وأشواق عقيدته يرى فى الأذى الواقع عليه سعادة لأنه فى الله ، ويحس فى الألم نشوة ، لأنه فى سبيل دينه ، ويتذوق فى الإساءات طعما يجعله يرتفع . بإحساسه فوق مستواها ، ويسمو بنفسه فوق لسع الأذى ووقع الخطوب .

ولقد هاجر الصحابة إلى الحبشة لا فرارا بدينهم كما يتوهم ، وإنما التماسا لأفق متسع ينشرون فى جوه كلمة الحق ودعوة الإسلام ، لكن القرشيين هالهم أن يستمعوا الكلمة القاهمة وهالهم كذلك أن يسمع غيرهم إليها ، أو على الأصح لقد خافوا أن يلقى الدين نفوسا تتلقاه بشوق وتتقبله بقبول حسن ، أو يقع فى نفوسها موقع التقبل والاستحسان فى الحبشة فأرسلوا وراءهم رسولين منهم ومعهما هدايا للنجاشى ملك الحبشة ، ليوغر الرسولان صدر النجاشى عليهم فيرجعوا من حيث أتوا .

وكان ذلك كفيلا بأن يؤلب الكفاء على رسول الله وصحبه من جديد لكن . . ياترى . . ماذا يريدون أن يفعلوا . . وقد جربوا صنوفا لا حصر لها من اللؤم الماكر والخبيث العنيد ، ! ماذا تقصد قريش أن تفعل وقد أشعلت ألوانا كثيرة من الاضطهاد ، وشيئا غير قليل من اللوم والدهاء ؟

لقد أكل الحقد قلوب الزعماء منهم ، وباض الشر وأفرخ ضراوة على الإسلام ومعتنقيه ، فهداهم التفكير المضطرم بالثأر ، المطلول بالأحقاد أن يشعلوا حرب التجويع ، وسياسة الحصار الاقتصادى ، فاجتمعوا ، وعقدوا معاهدة على أن يقاطعوا بنى هاشم وبنى المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ، وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا فلا يصل إليهم شىء إلا سرا ، مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش ، وشق الأمر على الرسول وعشيرته حتى كانوا يأكلون ورق الشجر .

ولكن الله سلم . . فتبعثرت وسائل الحرب فى نفس الميدان الذى أشعلوا فيه الحرب ، إذ قام ثلاثة رجال من أشرافهم فنقضوا الصحيفة ، وكانت الأرض قد أكلتها ولم يبق منها إلا لفظ « الله » ؟

ضاعت فرصة قريش السانحة ، وخسرت معركة الحرب الاقتصادية وتبخرت آمالهم العجاف على نفس الصحيفة التى قد ثبتوها فى جوف الكعبة وفاء عهد وميثاق .. ومن قبل خسروا معارك الحرب السياسية مع النجاشى ومعارك الدعاية ، وتكميم الأفواه ، والقهر ، وسياسة الملاطفة والملاينة ، وعروش الجاه والسيادة ، فماذا تبقى فى كنانة قريش من

العرب لا تستخذى !

للدكتور على العمارى

أراد العالم الراوية عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعى أن يستثبت فى كلمة (استخذى) هل هى مهموزة ، أو غير مهموزة ، أى هل يقال : استخذى ، أو استخذأ ؟ قال : فقلت لأعرابى : أتقول استخذأت أم استخذيت ؟ فقال : لا أقولها . قلت : ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذى !

كلمة قالها الأعرابى دون تفكير أو تكلف لأنها تعبير طبيعى عن خلق العربى الذى كان يحس دائما أنه عزيز فى نفسه ، وقومه ، حتى سئل أحدهم وكان يسير عاريا : ألا تخاف البرد ؟ فقال : أسير يدفئنى حسبى !

ونفور - غير متكلف أيضا - من هذا الأعرابى أن يسند هذا الفعل (استخذى) إلى نفسه ، ولو فى جواب سائل ، لأنه ينفر - أشد النفور - من الضيم يحل به أو بقومه ، فهو ينفر أيضاً أن يسند فعله إليه .

ولقد كانت الشجاعة هى الصفة الأولى التى يفخر بها العربى ، ويمدح ، ويرثى . تدلنا على ذلك خطبهم وأشعارهم ، كما تدلنا عليه أخبار مفاخراتهم ومنافراتهم .

وإذا نصحوا دعوا أقوامهم أن يثبتوا فى المعارك ، وأن يسرعوا النهضة فى الصريخ ، وأن يقلدوا أمورهم رجلا عالما بشئون

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

سهام الغدر والمكر . . ماذا يخبئون من شر وماذا يضمرون من مكيدة ماذا ؟ وقد ذهبت كل أمانيهم أدراج الرياح ، ولم تزل آثار هزائمهم ماثلة تدمغهم بالخيبة والخسران وتورث فى قلوبهم الحقد والأضغان .

أخيراً وليس آخرا طاش سهمهم ، وضل صوابهم ، وأخطأوا التقدير ، فمالوا إلى سياسة الغوغائية المنحرفين ، واتخذوا من آخر سهم لهم مرسى ظلمهم ومباءة ظلامهم ، فعمدوا إلى الاغتيال ، وهذه ثالثة الأثافى ، ونهاية المطاف ، وآخر ما فى جعبتهم من سياسة حاقدة حمقاء فاجتمعوا فى دار الندوة ، وقرروا قرارهم الآثم باغتيال محمد صلى الله عليه وسلم ، ليخلو لهم الجو ، وتستريح أفكارهم الثائرة الهوجاء ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

محمد عبد المقصود ظلام

الحرب ، قويا عليها ، لا يبطر إذا غمرته النعمة ، ولا يخضع إذا نزل به المكروه .

وقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده
ولا إذا حل مكروه به جزعا

وإذا وصف رجل بنيه كانت الشجاعة أولى الصفات التى يتمدح بها فيهم ، حتى الفتاة العربية كانت حين يسمح لها أن تصف ما تحب من الأزواج تذكر الشجاع البطل ، الذى يفلق هامات الرجال .

وكان العزاء للباقين فيمن يموتون أن يكون موتهم تحت ظلال السيوف ، أو مستشهدين فى سبيل الله ، فقد كانوا يكرهون أن يموت الرجل حتف أنفه ، وعلى فراشه .

خطب عبد الله بن الزبير - لما بلغه قتل أخيه (المصعب) - فقال : (إن قتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه ، إنا - والله - لا نموت حتفاً ، ولكن قطعا بأطراف الرماح ، وموتا تحت ظلال السيوف ، وإن يقتل المصعب فإن فى آل الزبير خلفا منه) .

وهذا يشبه ما ورد فى شعر أحد شعرائهم :

وما مات منا سيد حتف أنفه
ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا
وليس على غير السيوف تسيل

وقريب منه قول سيدنا خالد بن الوليد : (لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ، ثم ها أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء) .

ولما وفد متمم بن نويرة - وكانت أشعاره فى رثاء أخيه مالك قد طوفت فى أنحاء الجزيرة العربية - على سيدنا عمر بن الخطاب ، وجرى بينهما حديث عن رثاء متمم لمالك ، وحزن سيدنا عمر على أخيه زيد بن الخطاب الذى قتل فى حروب الردة ، قال متمم لسيدنا عمر : لو مات أخى ميتة أخيك ما قلت فيه شعرا ، فقال سيدنا عمر : ما عزانى أحد فى أخى كتعزيتك هذه .

ولقد كان إيمان العرب الوثيق بأن الإنسان ميت — ولا شك — هو السر فى التعالى بأنفسهم أن تقبل ضيما ، أو تستكين إلى مذلة ، أو تقعد عن إجابة داعى الحرب ، أو تجبن عن قتال العدو .

ولقد عبر عن هذا المعنى أحد شعرائهم الجاهليين الذى لم يكن يدين بعقيدة من تلك العقائد السماوية التى عمقت هذا المعنى ، وثبتته فى نفوس المؤمنين . هو عنترة بن شداد إذ يقول :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها : إن المنية منهل
لابد أن أسقى بكأس المنهل

فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى
أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

فلما جاء الإسلام قالها لهم صريحة حاسمة قوية : (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) .

وهذا أحد الأسرار التى جعلتهم يثبتون فى المعارك ، ويحرص كل بطل على ألا يقتل إلا مقبلا ، ولقد أطالوا فى هذا المعنى حتى لنظن أنه كان عندهم بمنزلة العقيدة الراسخة . يقول سيدنا حسان بن ثابت :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا
ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وكانوا يفخرون بأن أكفال خيولهم محرمة على الرماح ، أما لبانها ونحورها فدامية من كثرة الطعان ، وكما حرموا على أنفسهم أن ينالهم الأعداء وهم مدبرون ، حرموا عليها كذلك - عزة ومروءة وأنفة - أن يطعنوا أعداءهم فى ظهورهم !

وأحسن ما كانوا يتمادحون به أن فرسانهم كانوا (يستعذبون مناياهم) والذى يستعذب الموت يقبل على حوضه فى شغف وشوق ، ولا يحدث نفسه بالفرار فإذا حدثته به ثبتها وحمسها بما ينشد من أشعار ، أو يستحضر من كلمات ، أو بما ينتظره من نعيم إذا استشهد فى سبيل الله ، ولو وقع منه ما يكره حرص على أن يكفر عن زلته بالاستبسال فى معركة أخرى .

كان عبد الله بن مطيع من رجالات المسلمين وصلحائهم ، وقد فر فى موقعة الحرة التى كانت بين جيش يزيد بن معاوية ، وبين أهل مدينة رسول الله ، فلما حاصر الحجاج بن يوسف مكة بجيش الأمويين — أيضاً — ليقضى على عبد الله بن الزبير تقدم عبد الله بن مطيع ، وجعل يقاتل جيش الحجاج ببسالة وشجاعة ، وينشد :

أنا الذى فررت يوم الحره
والحر لا يفـــر إلا مره
فاليوم أجزى كرة بفره
ما أحسن الكرة بعد الفره

ولم يزل يقاتل حتى قتل .

والعرب من قديم يقدمون ولا يحجمون مهما أحاط بهم الأعداء ، ولعل أوضح ما يصور ذلك قول تلك الأعرابية الكندية التى تصف قومها :

أبوا أن يفروا والقنا فى نحورهم
ولم يرتقوا من خشية الموت سلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة
ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

وهذا ما أمر به الإسلام ، وتشدد فى الحض عليه . يقول الله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » . وقد

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح رواه الشيخان قوله : « اجتنبوا السبع الموبقات، أى المهلكات . قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) .

فالتولى يوم الزحف إحدى الكبائر التى توعد إليها الإسلام بالغضب الشديد والعذاب الأليم . وقد كان من فرسان العرب فى الجاهلية من يتريث فى ملاقاة الأعداء ، ولم يكن ذلك جبنا ، وإنما كان حزما . سئل عنترة : أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا . قيل له : فبماذا شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما . وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما ، وما دخلت موضعا إلاقدرت لنفسى الخروج منه ، وكنت أعتمد الجبان الضعيف بالضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثنى عليه فأقتله .

وكثير من الكلمات السائرة التى رويت عن العرب يدلنا على مكان العزة من نفوسهم وعلى مدى حرصهم على الثبات أمام الأعداء وإحراز النصر مهما كلفهم من ثمن فى الأرواح أو فى الأموال ، وربما كانت كلمة سيدنا أبى بكر : (احرص على الموت توهب لك الحياة) على رأس هذه الكلمات ، وأحقها بأن يتأملها كل مدافع عن حقه أو زائد عن وطنه.

ومن هذه الكلمات الصادقة ، الممتلئة شجاعة وعزة : (المنية ولا الدنية) و (استقبال الموت خير من استدباره) ومفردات اللغة نفسها فيها الروح المحاربة ، حتى قيل : إن اللغة العربية لغـــة محاربة ، ولذلك نجد العرب وضعوا أسماء كثيرة للسيف والأسد والحرب وأكثروا من وصف أدوات القتال .

ولقد بلغ بهم الاعتداد بأنفسهم والحرص على أن يظلوا أعزاء أن كان بعضهم يرى أن الابتداء بالظلم هو الشرف والعزة ، حتى ليقول شاعرهم : (ونبدأ حين نبدأ ظالمينا) كما كان من المثالب عندهم أن توصف القبيلة بأنها تجزى من الظلم إحسانا .

ولقد هجا النجاشى الشاعر قبيلة بنى العجلان بأنها :

قبيلة لا يخفرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل

فرفعوا أمره إلى سيدنا عمر ، فحكم حسان ابن ثابت فحكم بأن هذا من أشد الهجاء .

ولم يكونوا يدينون بهذه الأخلاق لمجرد أنها ترضى كبرياءهم ، ولكنهم كانوا يرون أن الرجل إذا كان هينا لينا طمع فيه الناس وأنه إذا لم يتذأب أكلته الذئاب .

متى تجمع القلب الذكى وصارما
وأنفاً حميا تجتنبك المظالم

وفى اللين ضعف والشراسة هيبة
ومن لا يهب يحمل على مركب وعر

د . على العمارى

العقيدة الدينية
وأثرها في تربية النشء

للدكتور محمد غلاب

عند ما تحدق بالبلاد ظروف عسيرة ، وتنزل بها محن قاسية تؤلم الكبير والصغير إيلاما شديدا ، ولكنه ليس ماديا من النوع الذى يرهق الضعفاء ، أو يزعج الجبناء أو ينال من أفئدة المترددين والانهزاميين ، بل هو إيلام معنوى ناشىء من خدش العزة المتأصلة فى الرفعة ، والمتعودة على الشموخ حين تجد أن تلك المحنة قد نزلت بها من قبل ذنب قذر من أذناب دولة مستعمرة غادرة لا تاريخ لها ، ولا ماضى يشرفها ، ولا وراثة شهمة ترفع من قدرها ، وإنما هى لميم من حثالات شعوب مختلفة تجمعت وتألفت منها أكبر كية من المتشردين وقطاع الطرق والمجرمين الذين يهاجمون المصارف فى رائعة النهار ليستولوا على ما فيها عنوة وعنفا .

عندما تلقى إحدى الأمم العريقة كأمتنا مثلا نفسها فى هذه الحالة ، تشعر بألم قاس يحز فى قلبها ، وتحس إحساسا باطنيا فعالا بأن عاملا قويا يدفعها إلى ضرورة التفكير الجدى والتأمل العميق فى معانى الأحداث المحيطة بها ، والأخطار التى تتعرض لها الأمم العربيه كلها وسرعان ما تجد أن مقدمة الخطوة الأولى هى العمل السريع الحاسم الحازم على محو آثار العدوان بطريقة عزيزة كريمة تحتفظ للأمة جمعاء بهيبتها كاملة غير منقوصة ، وأن مؤخرة هذه الخطوة هى النظر العاجل فى إعادة تكوين الشباب وتقويم تربيته وجميع حركاته وسكناته وتعويده على الصدق فى القول والإخلاص فى العمل .وهذا لا يتيسر إلا إذا ربى الشباب تربية دينية تعتمد قبل كل شىء على العقيدة والإيمان .

ونحن فى هذا لا نلقى الكلام على عواهنه فقد أثبتت الوقائع المادية صحة هذه الدعوى مرارا ونشرت فى تقارير رسمية ، إذ حين روعت الهزيمتان : المادية والمعنوية جيش الحلفاء فى إحدى مواقع الحرب العالمية الثانية استدعى المسئولون أطباء نفسيين ليدرسوا حالات المنهزمين أودعاة الانهزام ، فلما فعلوا تبين لهم أن أولئك وهؤلاء جميعا ممن فقدوا العقيدة الدينية وصاروا لا يؤمنون بشىء ألبتة ، وبالتالى فقدوا الإيمان بالغاية فانهارت معنوياتهم وأصبحوا لا يجدون فى نفوسهم الهدف الذى يستحق التضحية بالحياة .

ومن ثم فإنه حين نزلت الآية الكريمة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » كان لها كما أجمع الرواة — أثر بعيد الغور فى النفوس .

من هذا كله يتبين ذلك الأثر الرائع الذى تطبع به العقيدة نفوس المؤمنين ، وتهون عليهم المال والحياة فى سبيل الشرف والكرامة والعزة .

وإذا أغضينا مؤقتا عن مواقف الحرب والتضحية واسترجاع الهيبة وتضميد ذلك الخدش العارض الذى أصابها ، ونظرنا إلى سير الحياة العامة وشئونها العادية التى لا تستقيم إلا بالفضائل والأخلاق ، ألفينا أن عشرين فى المائة يمتنعون عن الجرائم خوفا من القانون ، لأنه لا يأخذهم إلا بما يثبته عليهم بشهود رؤية يقينية ، ولأنهم يستطيعون فى كثير من جرائمهم أن يختفوا عن أعين الرقباء فتكون سلطة القانون هباء ، وأن عشرة فى المائة يمتنعون لا عن الجرائم فحسب ، بل عن صغائر الآثام والسيئات بدافع الدين .

فإذا كان احترام القانون لدى المجتمع قد بلغ إلى حد أنه إذا دوت فى المكان كلمة « باسم القانون أفعل كذا » خشعت الأبصار وانحنت الرؤوس ، وساد الصمت بين الجميع إذا كان ذلك كذلك ، أفليس يكون للدين من الإجلال بقدر ماله من التأثير فى صيانة المجتمع على أقل تقدير ؟ أولا ينبغى أن يقدر المربون الذين تعنيهم استقامة الشباب وصلاح المجتمع أن ترفع المؤمنين الحقيقيين عن الغدر والخيانة والخداع هو ترفع أصيل صادر من القلب ثابت مدى الحياة ، بينما أن امتناع الخائفين من القانون هو امتناع الروغان ، وأن الفرق بين الامتناعين كالفرق بين المرأة التى تصون عرضها من كل قلبها وعقلها ، والأخرى التى تصونه خوفا من بطش زوجها أو أسرتها أو من كشفها أمام المجتمع ؟ وشتان ما بين حالة الثقة والطمأنينة ، وحالة المراوغة الظاهرية . .

على أنه قد يغلب على أوهام فريق من شبابنا السطحيين أن التمسك بالدين أو السير على نهجه القويم ، وصراطه المستقيم ، ضرب من التأخر أو الجمود ، وذلك خطأ شنيع فادح الكوارث والنكبات .

إن المستعمرين الذين كان لهم فى البلاد العربية سماسرة وأعوان ذوو قوة وسلطان ، كانوا قد أعدوا ميزانية خاصة وضعوها تحت أيدى أولئك السماسرة الخونة ، قصد إنفاقها فى إفساد تربية الشبان وعقولهم وعقائدهم ، وقد نجحوا فى الوصول إلى هذه الغاية فنقشوا فى أذهان أنصاف المثقفين أن أداء الفروض الدينية من : صوم وصلاة وزكاة وما إلى

ذلك من التكاليف ، من شأنه أن يجلب إلى أصحابه الإهانة والاستهزاء ؟؟ ولقد خلقت هذه المحاولات الاستعمارية الخطرة فى نفوس الكثيرين من المسلمين عقدة نفسية كان من نتائجها أن دفعتهم إلى التهاون فى إقامة الشعائر الدينية التى هى مناط التماسك والترابط وتلك هى الغاية الجهنمية التى رمى إليها المستعمرون لأنهم يعلمون تمام العلم أنه متى عم الاستهتار بالعقيدة ، ومتى ساد الانحلال انهار الكيان من أساسه ، ومتى انهار الكيان تثبتت أقدام الاستعمار وسر ذلك أن المستعمرين قد حنقوا على أهل هذه التعاليم القوية المتينه ، فودوا أن يعملوا ضعضعة قواهم ، ومحو هيبتهم ومقاومتهم وقد استعملوا لهذه الغاية سلاح إزلاق الشباب فى هوة الاستهتار بالشعائر الدينية ، وإبعاده عن فهم مغزى الأوامر السماوية ، وأغلقوا دون عقوله أبواب الحضارة الإسلامية الأصيلة، وفتحوا أمامه لمعان المدنية الغربية المادية .

ولكن لو أن المسلمين المسئولين عن تربية الشباب وقيادته فى سبل الحياة الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، قد فهموا دينهم حق الفهم ، ولقنوا الشباب مبادئه وتعاليمه على أصولها ، وراقبوا تحقيق تطبيقها مراقبة دقيقة ، لو أنهم فعلوا ذلك ، لاحتقروا سخرية الساخرين منهم ، ولتباهوا بقوة الإيمان وثبات العقيدة والمحافظة على تأدية الواجبات الدينية والدنيوية ، ولصموا آذانهم عن الترغيب والترهيب ، ولأغمضوا أعينهم عن البعيد والقريب ، ولنظروا إلى المثل العليا المرسومة فى دينهم ، وتطلعوا إلى السمو الممثل فى مبادئهم وشعائرهم ، ولأيقنوا أن هذه المبادئ وتلك الشعائر من شأنها أن تقودهم إلى الحرية والسعادة ، بل إلى الرفعة والسيادة ، لا عن طريق الاستبداد والطغيان والاستعلاء والتحكم فى شؤون الغير ، بل بواسطة المبادىء العالية المسعدة . وذلك لأنه إذا انتصرت فى قلوب المؤمنين روح الخير تعهدت العلائق بين الإنسان وربه بالتقوية والتنمية ، ومتى تقوت هذه العلائق ، جعلت النفس المؤمنة تتلقى أوامر السماء بهيئة نقية صافية ، ثم تمليها أولا على حياتها العملية الخاصة لكى يطبق العلم على العمل فتتحقق الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وإذا تم له ذلك ، أفاض تلك الأوامر الإلهية على بيئته ومجتمعه . وقد تتسع الدعوة حتى تعم الإنسانية جمعاء فتصلح حالة الدنيا ويسودها الوئام والسلام وتعمها العدالة والنصفة ، ويحل الرضى محل النزاع ، وتشغل المحبة من النفوس موضع البغض والحفيظة . ومن آيات ذلك أن الأوامر

الإلهية كانت منذ غابر العصور وستظل تقتاد بنى الإنسان إلى الفلاح والكمال، إذا وضعوها موضع الاحترام والعناية والتطبيق. ولكنها - لا قدر الله - تشهد دمارهم وفناءهم إذا هم سحبوا عليها أذيال الإهمال والنسيان.

فإذا كانت كل الظروف والأحوال شاهدة بأننا كنا فى أشد الحاجة إلى إرشاد الأوامر السماوية وقيادة الكتاب الكريم والسنة الغــراء لجميع أقوالنا وأفعالنا وخطواتنا وتصرفاتنا، وأن ذلك كله كان قبل أن نختلط بالأجانب ونتعرض لما هب علينا من ربوعهم من عواصف الفتن والغوايات، فكيف بنا بعد أن انهمرت علينا من أصقاعهم سيول المادية والميوعة والتحلل والزندقة والإلحاد ؟!

نعم، إن الذين ينظرون إلى الأمور نظرة سطحية عائمة، تفتنهم روعة المدنية الغربية البراقة التى يؤلف إنتاجها العلمى والأدبى والفنى والثقافى ألوانا لماعة لشبح مدنيــة زائفة، تعلن أنها راقية مصقولة، وتزعم أنها بعيدة عن كل عنف وقسوة؛ ولكن النظرة الفاحصة تكشف للأدقاء المتعمقين حقيقة هذه المدنية، وتبين فى وضوح أن الأزمات الخلقية الراهنة النابعة من الغرب تنم عن غلظة وفظاظة لا نظير لهما إلا بين الوحوش الضارية، وأن الحربين العالميتين الأخيرتين قد كشفتا لنا عن حقيقة هذه المخلوقات التى يعتبرها القشوريون عندنا ينابيع المدنية، وأن الحالة الراهنة تظهرنا على أن كل ما بينهم هو عبارة عن كفاح وحشى حاد دائم مخبوء تحت ستار الحقد والغل والجشع، وأنهم غارقون فى معارك طاحنة لا نظير لها فى عهود البشرية الأولى التى يطلق عليها أولئك المتبجحون الماجنون اسمى العصر الحجرى، والعصر الحديدى وذلك لأنهم استخدموا فى ضراوتهم البغيضة مقدرتهم العقليــــة ووسائلهم التيكنولوجية، ومخترعاتهم الميكانيكية التى تزلزل تنوعاتها وتجديداتها المتوالية جميع النظريات العلمية السابقة بمباغتاتها المفاجئة فتقضى على مظاهر الاعتدال والاتزان، ولا تلبث أن تحقق رجحان إحدى الكفتين حيناً من الزمن سرعان ما يزول ويتخلى للكفة الأخرى عن ذلك الامتياز. وهكذا دواليك صعوداً وهبوطاً تتابعهما الأبصار والعقول والقلوب بلا ثبات ولا استقرار. وتلك بالإجمال هى حرب الفروض والتكهنات والرهبة والفزع والتسابق على الأسلحة المدمرة، والجاسوسية، والتنافس فى مضاعفة الميزانيات لتقوية مصانع التخريب والتقويض ومن المجون أيضا أنهم يسمونها حروب

المذاهب والمبادىء ، وكان الأولى بهم أن يطلقوا عليها اسم «حروب القهر على التمذهب» أو الإجبار على اعتناق المبـــادىء ولو لم تسترح لها العقول ولا القلوب .

ذلك هو النهج الذى أعده المستعمرون ولا يزالون يعدونه ويحاولون فرضه على العالم كأنه سحابة تحلق فى الجو بين الشمس والحياة فتحول بين البشرية والضوء والدفء ، وتجعلها تعيش فى ظلمة وتجمد وفزع ؛ ويتناوبها القلق المضنى ؛ ويظل يعذبها ويشقيها إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا .

لذلك كله نحن ندعو الأمة العربية خاصة والأمم الإسلامية عامة أن تتكتل لمواجهة هذه الأخطار الوحشية ؛ وأن تعتصم بحبل الله القوى المتين ، وأن تنقب فى دينها عن تلك المبادىء العالية التى هى وحدها القديرة على تعميم السلام وإنقاذ البشرية من هذه الوهدة التى هى سائرة على حافتها ؛ والتى لو لم تغثها تلك المبادىء السماوية لتردت فيها وقضى عليها القضاء الأخير . ونهيب بالمسلمين ألا يقفوا سلبيين أمام هذه السيول العارمة ، والعواصف العاتية ، والأحداث المجتاحة ، فليس أبغض إلى الإسلام ؛ ولا أبعد عن تعاليمه من السلبية والجمود كما ندعوهم إلى أن يصونوا أبناءهم وبناتهم عن التحلل والميوعة بإحكام تربيتهم على النماذج الإسلامية ؛ إذ أن التربية هى الوسيلة المثلى التى يؤسس بها كل مجتمع فى قلوب أبنائه الدعائم الجوهرية لوجوده الخاص ؛ وهى الأثر الخالد الذى تتركه الأجيال الناضجة فى نفوس الأجيال التى لم تنضج بعد ولم تهيأ لحسن مزاولة الحيـــاة الاجتماعية . وهدفها الرئيسى هو أن تنشىء وتنمى فى تلك الأجيال الشابة مزيجا من الشعور بالحاجة إلى العوامل الدينية والأخلاقية والعقلية إلى جانب القوة البدنية التى هى ضرورية لقوام المجتمع بوجه عام وللأوساط التى تحيا فيها بنوع خاص .

ومنشأ ضرورة التربية الدينية أو الحاجة الماسة إليها هو أن الطفل لا يحمل معه إلى الحياة إلا طبيعته الفردية مزودة بالأنانية الغريزية ، ولكنه يحمل أيضا الاستعداد لتعلية تلك الأنانية وترقيتها . ومعنى هذا أن المجتمع - بإزاء كل جيل جديد - يكون أمام صحيفة بيضاء ينبغى أن يبذل جهوده لينقش عليها ما يجعلها صالحة للحياة والسعادة المسعدة للغير ، أى أن المهيمنين على أموره يجب عليهم عن طريق أيقن المناهج وأصرحها أن يمزجوا بذلك الكائن الأنانى كائناً آخر عادلا معتدلا قادراً على قيادة حياة خلقية واجتماعية لا تستطيع الوراثة أن تحققها له .

ولما كانت هذه الجهود فى أشد الحاجة إلى مدنية دائمة السير إلى الأمام لتكلل مساعيها

بالنجاح ، ولتضمن لباذليها الفوز بنتائج جهودهم ، ولما كان كل متأمل فى المدنية الغربية المادية ، يتضح له تمام الاتضاح أنها سائرة إلى التدهور والانحدار بخطوات واسعة نرجو ألا تهوى بسببها الإنسانية كلها إلى الحضيض ، ولما كانت الحضارة الإسلامية هى وحدها المستقيمة المعتدلة المتزنة السائرة إلى التقدم والرفعة ، ولم تكب عبر التاريخ فى أية نكسة إلا بسبب تقصير أبنائها أو انحرافهم عن مبادئ دينهم القويم .. لما كان كل ذلك من الحقائق الواقعية الناصعة ، فإن أقل ما يحقق الإنسانية من مسكة العقل ، يحتم على المهيمنين على شؤون الأطفال والمراهقين ألا ينشئوهم إلا على مبادئ التربية الإسلامية ليضمنوا لهم الاستقامة والقوة والشهامة والعدالة والغيرية والسهر على إسعاد المجتمع الذى يعيشون فيه ، بل على إسعاد الإنسانية جمعاء « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . « وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » .

وأكثر من ذلك : أن مبادىء الإسلام لا تقف عند تسوية الغير بالنفس إلا بإزاء المسلم العادى ، أما المسلم الذى يتطلع إلى مزيد من السمو ، ويمد عينى قلبه إلى شمول من رضاء ربه وإلى رفعة منزلته الخلقية ، ولا يكتفى بمستوى الأخيار ، ويرنو إلى مكانة الأبرار ، فهو يفضل الغير على نفسه ويقف منه فى الدرجة الثانية أو الثالثة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ؟

د . محمد غلاب

« والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين »

أيها المسلمون :

اعملوا لوحدة إسلامية

للدكتور عفيفي عبد الفتاح

لا تصطنع أمة من الأمم مجدها ، ولا تستمتع بما تنشد من عزة ومنعة ، إلا إذا انتظم كيانها على دعائم القوة واستكمل وسائلها وأسبابها .

ويتمثل ذلك أول ما يتمثل فى تلاحم عناصر الأمة وترابط أفرادها وانسجام مزاجها ، بما ينعكس فى إحساسات ومشاعر متبادلة ، وأفكار وعقائد مشتركة ، ثم يستحيل إلى وحدة ، وحدة الخصيصة والذات أو وحدة الطابع والطبع .

وأصدق مظهر لذلك حال المسلمين مع الإسلام فى عهد عزتهم ومجدهم وفى عهد انحلالهم وتخلفهم .

لقد جاء الإسلام إلى العرب وهم ذلك البدو الذين عاشوا حياة مادية قاسية كل القسوة شاحبة كل الشحوب ، ثم عاشوا حياتهم الأدبية فى متاهات جهالة . وعمايات ضلالة ، وتهور فى العادات والتقاليد ، وانحلال خلقى واجتماعى ، واضطراب فى الأفكار والعقائد .

جاء الإسلام فكان لهم ولغيرهم المعجزة التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا فى ماضيه ولا فى غابرة ، والتى شغلت ـ كظاهرة فريدة ـ أفكار الباحثين .

إذ ماذا كان عسى أن يصنع الإسلام لقوم شأنهم ذلك ، مستضعفين فى الأرض يتخطفهم من حولهم فى عرض الوهاد والنجاد من جزيرتهم ؟ فإذا عادوا إلى مأمنهم فبأسهم بينهم شديد تمزقهم النوازع المنحرفة وتجرفهم العصبيات الجامحة ، حيث لا حائط ولا ضابط ولا قائد ولا رائد !

ولكن الإسلام جاءهم بالعلاج والقوة جميعا ، حمل إليهم الدواء المستأصل لشأفة هذه الأدواء من جذورها وفى مجراها ومداخلها .

دعاهم إلى العقيدة ـ العقيدة الحقة ـ وكانت فى منطقها عقيدة التوحيد وفى مظهرها جماع الوحدة بين الأبعاد المتنافرة من قلوب العرب كانت دعوة إلى المعرفة والضوء ، ثم كانت هى نفسها دعوة إلى اللقاء عند هذه المعرفة وفى هذا الضوء ، واعتزازا بهذا اللقاء الجامع للشمل ، المانع من الفرقة والخلاف .

وكان من ذلك أن (جاء الحق وزهق الباطل) وأن تآلفت القلوب بعد عداوة وتآخت النفوس بعد افتراق كما يقول الله سبحانه : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) .

ثم كان من ذلك أن برىء المجتمع من علاته وانتفض من آفاته واستوفز يداعب آمالا كبارا ، فبمقدار ما كان يستذكر من أسواء هزاله فى جاهليته ، أخذ يعتز بحوله وطوله وإسلامه .

لقد استقبل وجوداً كريماً وعزيزا ، واستقام - بعقيدته الجديدة - على دعائم يشد بعضها بعضا ، وأصبح مثل الجسد الواحد رباطا وصلابة .

وشد ما برزت تلك الحقيقة التى يعرفها الاجتماعيون اليوم ، والتى تؤكد أن عناصر القوه - قبل أن تكون فى العنصر والجنس- روحية ونفسية ، وأن التحام النفوس أبعد أثراً وأبلغ نفوذاً من التحام الأجسام ، وأن القربى خير من القرابة .

ثم شد ما ظهر أثر ذلك فيما بعد ، من الرسوخ والصلابة فى أساس الدولة الإسلامية وقوة صمودها للأحداث على الرغم من تآلفها من أجناس متباينة وعناصر متنافرة .

وسرعان مافعلت العقيدة فعلها فى قلوب العرب لقد اندلعت إلى وحدة فى المشاعر والأحاسيس والأفكار والقيم ومظاهر السلوك. والإسلام دولة ، تستمد قوتها من وحدتها ، ووحدتها من عقيدتها ، وعقيدتها من كتاب « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

ويؤكد التاريخ - بما يذكر من فتوحات الإسلام وحضاراته - سلامة هذا التسلسل طرداً وعكسا . فالقرآن يهدى إلى العقيدة ويصهرها بحرارة اليقين ، والعقيدة تنفرج عن وحدة فى الفكر والمشاعر والوجدانيات وتضفى على هــذه الوحدة انطباعات القوة والاستقرار ، والوحدة بدورها ملاك الدولة وكيانها الطبيعى . وبالتالى : يعتبر انهيار الدولة ترجمة لانهيار وحدتها وتمزق هيكلها وذلك أثر محتوم لضعف مقوماتها الروحية والأدبية .

فإذا كان شأن المسلمين ما نشهده اليوم من تنافر وتناحر وفرقة واختلاف ، فلأنهم لم يقطعوا الشوط من نقطة البدء ، ولم يستمدوا الجهد من مصدر القوة الحقيقى ، فكان لزاماً أن يكون أمرهم شتيتا ، وأن يتوزعوا فى مسيرتهم أحزاباً وشيعاً حتى تضعف شوكتهم وتتخطفهم الناس مرة أخرى .

وكذلك أمرهم كلما تعثرت خطاهم فى أطوار تاريخهم ، فالقوة والضعف يرجعان إلى الطاقة فى نقطة الارتكاز .

وإذا كان الأمر كذلك فإن حال المسلمين اليوم لا تصلح إلا بما صلحت ؛ فى طورها الأول : عود إلى الوحدة الجامعة ، وحدة

قوامها الدين والعقيدة السليمة خالية من الشوائب المشوهة لمعالمها ، وحدة ينشدها ضمير كل مسلم مستهيناً بما يتطلب ذلك من جهود وتضحيات ، وحدة تصهرها المشاعر الروحية وتصدر عنها قوة الجماعات والشعوب.

فما يشك أحد فى أن حياة المسلمين اليوم ، كأفراد وجماعات وشعوب ، لا تمثل كثيراً صورة الإسلام ، ولا تتسم بمسحة صحيحة من روحه وتعاليمه .

لقد استحال أمر المسلمين ، منذ انفرط عقد وحدتهم ، فى مجرى التاريخ ، إلى ما هم فيه من ضعف ، بعوامل انحلال وتصدع يرجع بعضها إلى فقدان الشخصية الإسلامية على أثر ثقافات منحرفة ومذاهب معتلة ، غزت تفكيرهم الدينى من بعيد الزمن وقريبه ولا تزال تنفث سمومها فى جسمه حتى اليوم ويرجع بعضها إلى غزو خارجى على الصعيدين السياسى والاجتماعى ، قام به أعداء الإسلام ليشجبوا نفوذه ويحاربوا سلطانه .

وإن على دعاة الإصلاح وذوى النفوذ من جماعة المسلمين أن يرتادوا الميدانين ويعملوا فى كلا الجانبين لتحقيق وحدتهم واستعادة مجدهم وعزتهم ، وهم - إن فعلوا - واصلون إلى غاية وحاصلون على هدف ، والفرصة متاحة .

وواضح أن الدعوة لوحدة إسلامية - حتى فى أفقها الواسع - لا ينبغى أن تفهم على أسلوب ينافى الدعوة إلى الوحدة فى ألوان أخرى وعلى امتدادات أبعد ، استجابة لمقتضيات الأوضاع العالمية وما تتطلب من مختلف الصلاة والعلاقات . وإن الإسلام نفسه ليدعو لكل ذلك فى سبيل سلام العالم وأمن الإنسان .

فلتكن دعوة فى الإطار السياسى ، لوحدة عربية ، تحمل شعار العروبة لتكفل لأبناء الجنس الواحد قوة الجانب وتدفع عن حماهم العاديات .

ولتكن دعوة لوحدة إقليمية فى مجال المصالح المشتركة تعززها عواطف الجوار وروابط التاريخ .

ولتكن دعوة لوحدة سياسية ، فى نطاق الحياد الإيجابى مثلا ، لحماية التوازن بين الدول المتسمة بالتطرف ...

وليكن مثل ذلك فى المجالات الثقافية والصناعة وغيرها مما يعنى الشعوب ويفيدها .

لكن كل ذلك ولن يحول أن نضع فى الصف الأول - بالنسبة للعالم الإسلامى - الدعوة لوحدة إسلامية سداها قلب المسلم ولحمتها علاقة بالآخرين ، تخلق لشعوبه - كما خلقت من قبل - قوة تطاول الأحداث والغير وتتحدى كيد أعدائهم اليوم : الصهاينة والمستعمرين .

وواضح كذلك أنا لا ندعو إلى وحدة صف عالما بعيد الأطراف متشعب المنازع والغايات ولكن ندعوا إلى وحدة هدف تكفل إصلاح ما فسد من أنفسنا ومن علاقات شعوبنا ، وتتجاوز فى طبيعتها وأبعادها ما تصطنع الدول من اتفاقات ومعاهدات وأحلاف .

ندعو القيادات المفكرة والمدبرة والمصلحين الغيورين إلى العمل لإتاحة هذه الوحدة . بصورة حية وبأسلوب فعال . استجابة لرغبة شعوب تنتظم أكثر من ربع سكان العالم ، يقاسون مرارة التفكك ، برغم ما يملكون من إمكانيات لا تحد وقوى كامنة لا تنفد ولا أدعى أنى رائد فى هذه الدعوة ، فلقد كانت — ولا تزال — أملا يداعب شعور المفكرين ، ورغبة تشغل بال المصلحين ، فى عصور مختلفة وظروف مختلفة . وكانت كلما أطلت برأسها إلى الوجود اختفت توا تحت ستار النفوذ العارم والمعادى لشعوب الإسلام.

إنى أدعى - فقط - أن الأوضاع الراهنة والظروف التى نعيشها اليوم ؛ فى مواجهة المطامع المسعورة والعادية علينا . تهيب بنا وبصورة ملحة إلى علاج ما نشكو من خلاف وتخلف فى أنفسنا وفيما بيننا ، وإلى ضرورة بناء قوتنا مجتمعة على أساس ثقافتنا الحية وتراثنا الخالد ، وأعتقد أن محاولة العلاج والبناء هى اليوم ، أكثر تناولا ويسراً منها عن ذى قبل .

وواضح ، أخيراً ، أن العمل فى هذا الميدان ، يرتكز ، أولا ، على دراسة دقيقة لعوامل الضعف والانحلال الروحية والعقلية فى الحياة الفردية والاجتماعية ، تمهيداً لعلاجها وتفاديها ، ووسيلة لتكوين النموذج الصالح للمسلم فى ذات نفسه وفى مجتمعه .

وثانيا — فى المجال الخارجى — على تخطيط واع لمختلف جوانب النشاط فى محيط هذه الشعوب على أساس من واقعها وإمكاناتها ، لإمكان العمل على شد الروابط وتقريب مسافات الخلف .

(يتبع)

د. عفيفى عبد الفتاح

قيس بن سعد

للأستاذ محمد محمود زيتون

— ١ —

عندما كتبنا مقالنا عن (سعد بن عبادة بين الحقيقة والأسطورة)[1] كنا نمهد فى الحقيقة لابنه قيس بن سعد. وإلقاء الأضواء الأولى على شخصيته، وجمع ما تناثر من مآثره ومفاخره عبر المصادر التاريخية، حتى تتكشف للقارئ صورة متكاملة لصحابى جليل، كانت له مكانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وله مواقفه المشهودة فى تثبيط نيران الفتنة، التى احتدمت واندلعت أسنتها بين على ومعاوية وامتدلهبها إلى مصر - وقد وليها قيس بن سعد من قبل على - واتبع مع العثمانية بها سياسة الحيدة وعدم الانحياز، حقنا للدماء، والضواء تحت راية أمة شعارها الوحدة والتوحيد، واعتصاماً بحبل الله من الفرقة والهوى، فلما جرفت الفتنة أصحابها إلى الخلاف، تبين الجميع أن سياسة قيس كانت عين الحكمة والسداد، ولكن هيهات فقد جاءه أمر الخليفة بالعزل، أشد ما تكون مصر حاجة إليه..

(١) مجلة الأزهر: عددا أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٦٦.

ولقد رأينا كيف نشأ أبوه — وهو الخزرجى الأنصارى — سيداً فى قومه، سخيا بالمال، جواداً بالنفس، فى سبيل إعلاء كلمة الله، وإعزاز دعوة رسوله عليه السلام، حتى دعا النبى بالبركة له ولأهله من بعده، فلم يكن إلا الخير كله فى هذا البيت، ولما لحق النبى بالرفيق الأعلى، كان أول مرشح للخلافة من بعده، وكان (يوم السقيفة) حاسما لكل ما عساه ينشب بين المهاجرين والأنصار، فانفض الجمعان على خير ما يرضى قوم، أراد الله أن تأتلف قلوبهم على الهدى، وتتوحد وجهتهم، سيراً بمواكب الدعوة إلى غايتها.

أما سعد وابنه قيس: فكان هواهما مع بنى هاشم، وليس أدل على ذلك من خطبة قيس فى هذه المناسبة حيث قال:

«إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رجل من قريش، وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه، وأيم الله لا أرانى أنازعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تخادعوهم»[1].

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة.

فى هذا القطاع من الزمان والمكان نشأ قيس بن سعد ، فورث عن أبيه السخاء بالمال والروح ، وزاد ، كما ورث عنه سماحة النفس ، والغيرة على دينه ، والبراعة فى الحرب لتكون كلمة الله هى العليا ، ورضع العقيدة من صحبته لرسول الله ، وآل بيته الكريم من بعده ، ونافح عن على والحسن بكل ما أوتى من عاطفة طاهرة ، ودهاء رزين ، وظل - ما عاش - عالى النفس ، شامخ الأنف ، بعيد النظر ، بطلا شجاعا لايهاب ولايتزعزع ، عف اليد واللسان والوجدان ، فلم تؤخذ عليه زلة أو سقطة ، ولا اضطر يوما إلى وقفة اعتذار عن خطيئة ، والتفت حوله أحابيل معاوية ، فلم يقع ، بينما تشكك على وارتاب ، دون تهمة لقيس بأدنى جريرة ، ثم استبان الأمر فى ضحى الغد ، وانكشف الضباب عن المعدن الأصيل الذى صيغ منه طبع قيس . فمضى على سنة الولاء والوفاء لعلى وابنه الحسن : فلما انقضت الفتنة الجامحة ، عاد قيس إلى (المدينة) بعيداً عن الجائحات المهلكات ، حتى جاز إلى ربه ، وهو عنه راض .

ولقيس بن سعد بعد هذا كله مكانته من الحديث والمحدثين ، وتعتبر رسائله السياسية وخطبه فى الذود عن الحق نماذج فريدة فى التراث العربى ، ووثائق نادرة فى مجال الحكم والقتال ، وله فى التاريخ - كما سنرى - مواقف رائعة تذكر فتشكر كما كان له فى السلالة العريقة رجال نقلوا الخطى إلى الاندلس ثم مصر ، فكان منهم سادات المجاهدين ، والحكام العدول ، والقضاة والشعراء والأطباء والمحدثون الأعلام ، ممن زخرت بهم - لعدة قرون - أمهات التراجم الأندلسية ، حتى لقد كان يقال فيها : فلان منتماه إلى قيس بن سعد أو هو من ولد قيس بن سعد ، ومنهم أبو العباس المرسى نزيل الإسكندرية (١) .

أما فصاحته وبلاغته ورجاحة رأيه فحدث عنها ولا حرج ، فإنه لما طلب على المشورة من المهاجرين والأنصار فى غزو الشام وقف قيس يقول : « يا أمير المؤمنين ، انكمش بنا إلى عدونا ولا تعرد (لا تحجم) فو الله لجهادهم أحب إلى من جهاد الترك والروم لإدهانهم (غشهم) فى دين الله ، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو جرموه أو سيروه (أخرجوه من بلده) وفيئنا لهم فى أنفسهم حلال . ونحن لهم - فيما يزعمون قطين (عبيد) . »(٢)

ولعلنا نذكر مع هذا الموقف وقفة الأنصار من رسول الله عندما جمعهم ؟ مع

---

(١) الصلة : ابن بشكوال . الحلة السيراء : ابن الآبار .

(٢) وقعة صفين : المنقرى

المهاجرين ليستشيرهم فى إحدى غزواته فكانت وقفة قيس امتدادا لوقفات أبيه من قبله، وتلك شنشنة نعرفها من أخزم!

وكان إلى جانب هذه الخلال الكرام، حاكما ضابطا، عارفا بأصول الحكم، عالما بدخائل العامة: ضبط مصر (١)، فكان جريئاً فى الحق لايهاب، عادلا لايجور، أدر الأرزاق على خصومه حتى استمالهم إلى جانبه، ومنع الطعام عن أهل الشام نكاية فى معاوية.

ولقد جرى كثير من المصنفين خلف المصادر الأولى، دون تمحيص، فاندس فى كتاباتهم أمور نسبوها إلى قيس، كذلك الكتاب الطافح بالشتائم على لسانه إلى معاوية (٢). وليس ذلك من طبيعة قيس فى شىء، لهذا كان ابن عبد البر القرطبي (٣)، أول من حذرنا مما زوروه عليه من شعر لا يتناسب مع سيرته فى نفسه، ونزاهته، ولا يشبه أخلاقه ولا مذهبه فى معاوية، وإنما هى الخصومة، إذا فجر صاحبها، دفعته هوجاء إلى ارتكاب إحدى خصال النفاق، ونعيذ بالله منها كل كاتب مستنير!

لزم قيس أباه وهو من الرعيل الأول من جلة الصحابة، وجاهد مع النبي وبذل ماله ولم يدخر شيئا، بل كان يستدين ليطعم - كما سنرى -. أما الآن فيحق لنا أن نميط اللثام عن معالم هذه الشخصية الفذة التى شغلت حيزاً قليلا من التاريخ ولكنه مع ذلك عميق الأثر، بالغ الأهمية.

كان رجلا طوالا، إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض. فكان أحد العشرة الذين أدركوا الإسلام وطول كل منهم عشرة أشبار (١)، وكان سناطا أى فى ذقنه بعض الشعر، وليس منه فى العارضين شىء. وكان ضخما جسيما ذا رأس صغير، ووجه جميل ولقد شغل الأنصار بلحية قيس، وكانوا يتمنون لو اشتروا له لحية بنصف أموالهم، حبا منهم له، وإعجاباً بجماله.

وكان فصيح اللسان، قوى الحجة، حريصاً على الكتمان متى أراد، صريحاً كل الصراحة إذا لزم الأمر، يغضب ويثور، ولكن بمقدار، تتدفق عباراته كالبركان، ويندفع بوجدانه نحو غايته، بكل ما يملك من حرية وانطلاق، حتى كان يسبق الأشياخ فى الكلام، فينكرون ذلك عليه فما كان أسرع بديهة فى التبرير، إذ تأخذه الحماسة، فلا يجد محيصاً من الاستجابة لدوافعها غير وان.

سبق قومه عندما طلبهم على للشورة. فقالوا: «لم تقدمت أشياخ قومك، وبدأتهم

---

(١) سير أعلام النبلاء: الذهبى.

(٢) التاج فى أخلاق الملوك: الجاحظ.

(٣) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب: ابن عبد البر.

(١) حسن المحاضرة: السيوطى.

يا قيس بالكلام ؟ » فأسرع يقول : « أما أنى عارف بفضلكم ، معظم لشأنكم ، ولكنى وجدت فى نفسى الضغن الذى جاش فى صدوركم، حين ذكرت الأحزاب ».

روى عمرو بن دينار أنه كان يخرج عن وعيه إذا غضب ، ويبدر منه فاحش القول ، كما حدث عندما بايع الحسن معاوية !

هذا ، ولم تخل كتب السيرة من إشارات عن قيس بن سعد ، فى الصحابة : ذكروه فى الكوفيين (١) ، ولم يذكروه فيمن نزل منهم بمصر ، وذكره آخرون فى المدنيين (٢) ، وذكره غيرهم فى ولاة مصر (٣) ، ومات بالمدينة سنة ٥٩ فى آخر خلافة معاوية على أرجح الأقوال .

وقد عرف التاريخ كثيراً غيره ممن يحملون اسمه كقيس بن سعد بن عدس النابغة الجعدى ، وقيس بن سعد بن الأرقم بن النعمان الكندى ، وقيس بن سعد ابن ثابت الأنصارى صاحب لواء النبى ، أما صاحبنا فكان أشهر (قيس ابن سعد) فى الجميع ، وغطت شهرته باسمه هذا على كل من عداه . فهو صاحب رسول الله وابن صاحبه ، وتعددت كنيته فقالوا : أبو الفضل ، وأبو عبد الله ، وأبو عبد الملك .

قال الواقدى : « كان قيس من كرام أصحاب النبى وأسخيائهم ودهاتهم » ، وقال أبو عمر : « كان أحد الفضلاء الجلة ، وأحد دهاة العرب ، وأهل الرأى والمكيدة فى الحروب ، مع النجدة والبسالة والسخاء والكرم ، وكان شريف قومه غير مدافع ، وكان أبوه وجده كذلك » .

وقال ابن شهاب : « . . . من ذوى الرأى والبأس إلا ما غلب عليه من أمر الفتنة » .

وقال أنس : « كان من النبى مكان صاحب الشرطة من الأمير » .

وقال الذهبى : « الأمير المجاهد » .

وقال ابن الأثير : « من أعظم الناس جوداً وكرما » .

وقال المسعودى : « كان من الزهد والديانة والميل إلى على بالموضع العظيم » . وذكره الدار قطنى فى كتابه (الأسخياء) .

ولعل أسمى ما قيل عنه حديث للنبى عليه السلام : « إنه من بيت جود وكرم » ، ورآه أبو بكر وعمر يستدين ليطعم فقراء المسلمين عند الشدة والمحنة فقالا : « إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه » ، وعلم أبوه ، فأنكر عليهما ذلك ، خشية أن يرتد ابنه بخيلا .

وكان عواده كثيرين . وله عندهم ديون لا تحصى ولا تمد ، فلما مرض انقطعوا عنه ، حياء منه . فاستبطأهم ، فأمر مناديا ينادى

---

(١) الطبقات الكبرى : ابن سعد .

(٢) الاستيعاب .

(٣) ولاة مصر وقضاتها : الكندى .

يتنازله عن كل ما له عندهم ، فجاءوا إليه يتدافعون بالمناكب . حتى تهدمت درجة بباب داره !

وشكت إليه عجوز أنه ليس في بيتها جرذان . فقال . « ما أحسن ما سألت ، أما والله لأكثرن جرذان بيتك ! » وملأ عليها بيتها طعاما وإداما ، وفي (جيش العسرة) استدان فنحر وأطعم ،وطالما نهاه عن ذلك أمير الجيش أبو عبيدة ، واستقرض منه أحدهم ثلاثين ألفا ، فلما ردها أبى أن يقبلها ، إذ المال عنده عارية مستردة ، يتوسل بها المرء إلى المجد ، إذ أنفقه في حله ، ونفع به نفسه والناس ، فكان يقول : « اللهم ارزقني مالا ، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال » .

وكان قيس وأبوه يتبادلان الغزو كل عام ، وفي إحدى غزوات النبي كان قيس يحمل راية النبي ، وفي أخرى نزل على النبي أضياف كثيرون . فقال سعد : إن يك قيس ابني فسيقول : يا قسطاس (غلامه) . هات المفاتيح . أخرج لرسول الله حاجته ، فيقول قسطاس : هات من أبيك كتابا ، فيدق أنفه ويأخذ المفاتيح ويخرج لرسول الله حاجته . فكان الأمر كذلك ، إذ حمل للمسلمين يومذاك مائة وسق ، ولما مات أبوه وقسمت التركة على بنيه وبناته ، ظهر له وريث لم يحسبوا له نصيبا ، لأنه كان حملا في بطن أمه . فتنازل قيس عن نصيبه له ، ولم يغير شيئا مما تركه له أبوه ، ولم يخل مصدر قديم من ذكره في المطعمين الكرام .

ومن أبرز معالم شخصيته : المكر والدهاء ، في غير خبث أو أذى . فقد عصمه دينه المتين من أن يتحول بمكره إلى الشر والإفساد في الأرض . ولذلك كان يتحدث عن نفسه فيقول « لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب » وسنرى مكايداته لأدهى دهاة العرب الخمسة معاوية وشريكه عمرو بن العاص ، لقد كان مكر قيس نعمة على الإسلام والمسلمين ، فقد حقن دماءهم ، وأطفأ الفتنة المنبثة في صفوفهم ، وأشاع السلام بين أحزابهم . وأخمد الثارات ، وخرج منها مغفوراً له مرضياً عنه .

وكان أبوه قد دفعه وهو صغير ليخدم النبي ويتعلم منه ، ويقتفي آثاره الطاهرة ، فبقي عشر سنوات ، في خدمته وصحبته ، أبوه محمود السيرة في الجاهلية والإسلام ، وأمه (فكيهة) قد بايعت النبي ، ولهم جميعاً أحاديث عنه ، أما قيس وحده فقد حدث بها في الكوفة والشام ومصر . وقد استعمله النبي على صدقات المسلمين ، وأسلم إليه راية الأنصار يوم الفتح بعد أن نزعها من أبيه لشكوى قريش منه ، تأديباً وترضية في آن واحد . (يتبع)

محمد محمود زيتون

من أساليب الإيجاز في اللغة العربية

للدكتور محمد محمد الفحام

لفت نظرى وأنا أنظر فى معاجم اللغة العربية وجود طائفة من الأفعال اتفقت أصولها وأصول كلمات هى أسماء لأجزاء أو أعضاء من البدن ، واتفقت أيضاً فيما يأتى :

(ا) كونها أفعالا ثلاثية .

(ب) مفتوحة عين الماضى .

(ح) متعدية لواحد .

(د) متضمنة معنى « أصاب ونحوه » .

مثال ذلك « قلب » فعلا « وقلب » اسما . تقول : قلب فلان فلاناً أى أصاب قلبه .

وتقول: رأس فلان فلاناً بمعنى أصاب رأسه.

وقد رأيت أن أنظم ما عثرت عليه من هذه الأفعال فى سلك واحد مرتبا لها ترتيباً أبجدياً فكانت كما يأتى :ـ

(ا) أذنه يأذنه أذناً : أصاب أذنه ـ أنخه يأنخه أنخاً : أصاب يأفوخه أو يافوخه . واليافوخ حيث يلتقى عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذى يتحرك من رأس الصبى ـ أمه يؤمه : أصاب أم رأسه أنفه يأنفه ويأنفه أنفاً : أصاب أنفه .

(ب) بطنه يبطنه : أصاب بطنه .

(ت) ترقاه : أصاب ترقوته وهى العظم الذى فى أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان وجمعها التراقى والترايق على القلب المكانى .

(ث) ثغره يثغره ثغراً : أصاب ثغره .

(ج) جبهه يجبهه جبهاً : أصاب جبهته . وفى غير هذا الباب يقال جبهه بمعنى فاجأه وبمعنى رده عن حاجته جبهه بالمكروه : استقبله به . جبه الشتاء القوم : جاءهم ولم يتهيئوا له ـ جلده : أصاب جلده ـ جنبه : أصاب جنبه ـ جافه يجوفه : أصاب جوفه .

(ح) حدقه : أصاب حدقته ـ حشاه : أصاب حشاه ـ حقاه : أصاب حقوه .

(خ) خربه : أصاب خربته ـ خرطمه : أصاب خرطومه ـ خشمه يخشمه خشماً : أصاب خيشومه ، (وهو أقصى الأنف) ـ خصاه : أصاب خصييه وإن شئت قلت

خصيتيه ، والغالب استعماله بمعنى سلهما - خطمه : أصاب خطمه أى أنفه .

(د) دمغه يدمغه من بابى ضرب ونصر دمغا . أصاب دماغه .

(ذ) ذكره : أصاب ذكره - ذرعه : أصاب ذراعه . ذقنه : أصاب ذقنه .

(ر) رآه : أصاب رئته - رأسه : أصاب رأسه . رجله : أصاب رجله - رقبه : أصاب رقبته - ركبه يركبه : أصاب ركبته ويقال أيضا بمعنى ضربه بركبته .

(س) سته : أصاب أسته ، وتستعمل أيضا بمعنى تبعه من خلفه - سره : أصاب سرته - ويقال سر الصبى بمعنى قطع سره وهو ما تقطعه القابلة من سرته عند الولادة - سمخه : أصاب سماخه (لغة فى صماخ) - سنه : أصاب سنه .

(ش) شعره : أصاب شعره - شغفه : أصاب شغاف قلبه أى غلافه - شفهه: أصاب شفته - شواه : أصاب شواته أى جلدة رأسه.

(ص) صدره : أصاب صدره ؛ أما صدر كعنى فمعناه : زكا صدره - صدغه : أصاب صدغه - صقعه: أصاب صوقعته أى رأسه ثم استعير لمطلق الضرب - صمخه : أصاب صماخه.

(ض) ضلعه : أصاب ضلعه .

(ط) طحله : أصاب طحاله .

(ظ) ظفره يظفره : أصاب ظفره بكسر أو قلع ، ويستعمل أيضا فى معنى غرس فى وجهه ظفره - ظهره : أصاب ظهره .

(ع) عجنه : أصاب عجانه - عضده: أصاب عضده - عظمه : أصاب عظمه - عانه يعينه : أصاب عينه ؛ ومن معانيه : حسده .

(غ) غلفه : أصاب غلاف قلبه .

(ف) فأده : أصاب فؤاده ؛ أما فئد فمعناه شكا فؤاده . فأسه : أصاب فأس رأسه . فرصه : أصاب فريصته وهى لحمة بين الكتف والجنب . فقره : أصاب فقاره . فهقه : أصاب فهقته وهى عظم عند مركب العنق وهو أول الفقار .

(ق) قراه : أصاب قراه أى ظهره . قفقه يقفنه : أصاب قفنه أى قفاه (ويقال فيه قفن أيضا) ويطلق أيضاً بمعنى « تبعه » قلبه يقلبه ويقلبه أصاب قلبه . وداء القلب يسمى القلاب .

(ك) كبده يكبده ويكبده : أصاب كبده والكباد : وجع الكبد . كلاه يكليه كليا : أصاب كليته فكلى واكتلى .

(ل) لسنه : أصاب لسانه .

(م) مأنه يمأنه : أصاب مأنته أى سرته متنه : أصاب متنه أى ظهره . مثنه : يمثنه ويمثنه : أصاب مثانته . معده يمعده معدا : أصاب معدته .

(ن) نساه : أصاب نساه فهو منسى ؛ أما نسى الرجل ينسى نسى فهو نس فمعناه : شكا نساه .

(و) وتنه يتنه وتنا : أصاب وتينه . وجهه يجهه وجها : أصاب وجهه . وراه : أصاب رئته . ودجه يدجه ودجا : أصاب ودجه (والودج عرق فى العنق يجرى فيه الدم) .

(ى) يداه ييديه يديا : أصاب يده فهو ميدى والفاعل ياد . يفخه ييفخه يفخا : أصاب يافوخه : فهو بمعنى أفخه .

ومما تقدم من الأمثلة يعلم أنه قد استثنى من كون الفعل ثلاثيا فعلان : ترقاه وخرطمه .

هذا ما وصل إليه علمى من هذه الأفعال . وإنى لا أدعى أننى قد استقريتها استقراء تاما وأننى أحطت بها علما ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، وفوق كل ذى علم عليم » .

د . محمد الفحام

عميد كلية اللغة العربية سابقا

« العربية لسان القرآن »

يقول الله تعالى :

« وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » .

الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥

طريقة القرآن في الدعوة والإقناع

للأستاذ أحمد مهنا

— ٢ —

٣ — عناصر الفلاح في طريقة الدعوة (١) .

أما الطريقة المثلى التي رسمها القرآن الكريم لطريقة الدعوة ، فقد وضحها مركزة في قول الله تبارك وتعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . » النحل . ١٢٥ .

وقلنا « مركزة » لأن كل طريقة أرشد إليها الكتاب الكريم في دعوة الناس إلى أي عنصر من عناصر الإيمان — وقد استوعبت جميعها — تندرج تحت هذا القانون العام ، ويمكن للمتأمل في الآيات التي تتصل بهذا الموضوع أن يتبين :

(١) أن القرآن قد راعى الطبيعة البشرية وما جبلت عليه من ميول ولم يسقطها من حسابه قط ، ولا شك أن ذلك منتهى الحكمة ويتجلى ذلك واضحا في :

١ — الإصرار على أن يترك المدعو وحريته في اعتناق دينه ، وألا يستخدم ضده أي نوع من أنواع الإكراه حتى لا يكون اعتناقه لهذا الدين صناعيا طارئا يزول بزوال الأسباب التي أرغمته على اتباعه . نقرأ في ذلك قول الله تبارك وتعالى :.

« لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي . . » البقرة : ٢٥٦ .

« قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » يونس ١٠٨

« وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » . الكهف : ٢٩ .

ووضح الكتاب الكريم أن ترك الإنسان لحريته فيما يتصل بالعقيدة والدين هو تشريع الله منذ القدم ، فنقرأ في قصة نوح عليه السلام مما وجهه لقومه : « قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ، وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم ، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » هود : ٢٨ ووضح الكتاب كذلك أن الإكراه ليس مستحيلا على الله سبحانه فلو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، ولكنها الحكمة الإلهية لتتحقق المسئولية ، ويصح التكليف ، وتتجلى العدالة الشاملة ،

(١) نشرنا الجزء الأول من هذا المقال في عدد ذي الحجة ١٣٨٧ هـ

وفى ذلك يقول الحق سبحانه : « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» يونس ٩٩ ويقول : «إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين . » الشعراء : ٤

٢ ـ استخدام أساليب الترغيب والترهيب (١) . لما جبلت عليه النفس البشرية من الرجاء والخوف . فنقرأ فى الترغيب فى الإيمان والعمل الصالح قول الله تبارك وتعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم آمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » . النور ٥٥ ويبين أن ذلك تطبيق للقانون العام الذى تعبر عنه الآية الكريمة : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون . » الأنبياء : ١٠٥ ويؤكد ذلك فى أكثر من موضع فيقول : «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا» غافر ٥١ ويقول : « يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » محمد : ٧ ويعد وهو لا يخلف الوعد ـ فيقول : « ... ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه » الطلاق : ٢ ، ٣ ويقول أيضا : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » الجن : ١٦ .

ويمدح الله سبحانه أولئك المؤمنين الذين بايعوا رسوله تحت الشجرة ويمنيهم الغنيمة فيقول : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزا حكيما . وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما » . الفتح : ١٨ ـ ٢٠

ومرة أخرى يبين القرآن الكريم أن هذه هى سنة الله منذ عرف الناس الهدى الإلهى ؛ إذ يحكى ما قاله نوح لقومه ، ومنه : « ... استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهارا » نوح : ١٠ ـ ١٢ ، ويحكى ما قاله هود لقومه : « وياقوم استغفروا ربكم

---

(١) يهمنا أن نلفت نظر القارىء إلى أننا لم نتحدث هنا عن الترغيب والترهيب فيما يتعلق بالثواب أو العقاب فى الآخرة . وإنما قصرناه على ما يرجى وما يخاف فى الدنيا ، لأنه ألصق بما يراد من الدعوة .

ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ... » هود : ٥٢ .

ويقول القرآن الكريم فى حديثه عن أهل الكتاب : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ... » المائدة : ٦٦ .

ونقرأ فى ترغيب الناس فى الصدقة قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » البقرة : ٢٤٥ .

وقوله جل شأنه : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » البقرة : ٢٦١ .

وقوله عز وجل : « إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم » التغابن : ١٧ .

أما بالنسبة للترهيب فقد استخدمه الكتاب الكريم فى درجات متفاوتة وأساليب مختلفة ؛ فتارة يسوقه ضمنيا غير صريح وذلك عند حديثه عمن سبق من الأمم التى كفرت بأنعم الله ، فحق عليها عذابه ، ويلفت النظر إلى أن العاقبة التى حاقت بهم — مع ما كانوا عليه من قوة وتمكن فى الأرض — من الممكن أن تكون نهاية هؤلاء الذين وجهت إليهم الدعوة الإسلامية إذا لم يصيخوا إلى داعى الحق ويقلعوا عن العناد والعتو ، وفى ذلك نقرأ قول الله تعالى : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم . وأرسلنا السماء عليهم مدرارا . وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم . فأهلكناهم بذنوبهم . وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » الأنعام : ٦.

« وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال » إبراهيم : ٤٥ .

« أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ، إن فى ذلك لآيات لأولى النهى » طه : ١٢٨ .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كيف كان عاقبة المجرمين » النمل : ٦٩ .

« أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » الروم : ٩ .

« أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؛ كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » . غافر : ٨٢

« ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ، وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ، فما أغنى

عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون » . الأحقاف : ٢٦

« أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم . دمر الله عليهم ، وللكافرين أمثالها » . محمد : ١٠

وتارة أخرى يحذر المدعوين من الاغترار برحمة الله سبحانه ويبين لهم أن من الخطأ أن يركنوا إلى ما هم فيه ظنا منهم بأن هذه الرحمة ستظل شاملة لهم ؛ يقول القرآن الكريم فى ذلك :

« أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » .
الأعراف : ٩٧ - ١٠٠

ويقول :

« أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض . أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون . أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين . أو يأخذهم على تخوف ، فإن ربكم لرءوف رحيم » . النحل : ٤٥ - ٤٧

ويتحدث القرآن إلى هؤلاء الذين يضرعون إلى الله حين يمسهم الضر فى البحر ثم يجحدون النعمة بعد أن يهيء لهم سبيل النجاة فيقول :

« أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ، ثم لا تجدوا لكم وكيلا . أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ، ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » .
الإسراء : ٦٨ — ٦٩

ويخاطب الله عباده مبينا نعمته عليهم فى جعله الأرض ذلولا لهم ، ويحثهم على الانتفاع بكل ما فيها حين يقول : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » ثم يعقب على ذلك بتحذيرهم من أن يركنوا إلى ما هم فيه من دعة نتيجة لاستقرار الأرض بهم ؛ يقول جل شأنه : « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور . أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير . ولقد كذب الذين من قبلهم ، فكيف كان نكير » . الملك : ١٦ - ١٨

ويبلغ أسلوب الترهيب ذروته فى قول الله تبارك وتعالى :

« فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » . فصلت : ١٣

فالتوعد هنا سافر واضح ، ونوع ما توعد به من العقاب معروف ومحدد .

« للحديث بقية »

أحمد ابراهيم مهنا

صدارة مصر الإسلامية بعد تحرير القدس

للدكتور عباس حلمي إسماعيل

ما تعانيه الآن فى أيامنا هذه حدث مثله فى مصر الإسلامية على عهد صلاح الدين ، باعتبارها محور ارتكاز القوى الدفاعية عن الشرق العربى كله ضد الاستعمار الصليبى ، فقد عمل هذا البطل على تصفية الجو العربى من الخلافات فى المؤتمر الذى عقده بدمشق فى ذى القعدة سنة ٥٧٩ هـ (مارس ١١٨٤م) ونجح فى تكوين جبهة عربية إسلامية من مصر والشام والعراق ، وامتدت دولته من بلاد الأرمن شمالا إلى النوبة جنوبا ومن الموصل شرقا إلى برقة غربا .

وفى أثناء ذلك عزم الأمير الصليبى « أرناط » على القيام من إمارته بالكرك بمشروع جرىء ، قوامه الزحف بالصليبيين على شبه الجزيرة العربية والاستيلاء على المدينة المنورة ، ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونقل جثمانه الطاهر إلى بلادهم ليدفنوه عندهم وليجعلوا من ضريحه وزيارته منبعاً للإيراد ، وبذا يقطع الصلة بين الحجاز من جهة وبين مصر والشام من جهة أخرى ، وتضمن المشروع أيضاً استعادة قلعة « أيلة » على خليج العقبة ، والاستيلاء على ثغر عدن ليهيمن الصليبيون على التجارة فى البحر الأحمر والمحيط الهندى ، كما تناول المشروع فكرة إقناع مملكة الحبشة المسيحية بضرورة المشاركة فى الحروب الصليبية ضد المسلمين ، ومضى الصليبيون - فعلا - فى البحر الأحمر إلى ميناء عيذاب ، ثم أغذوا السير فى الصحراء نحو المدينة المنورة ؛ غير أن العادل أخا صلاح الدين وحسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول أفسدا ذلك المشروع وتلك الغزوة بحملة مضادة ، شهد نتائجها الباهرة الرحالة الأندلسى ابن جبير (١) .

ورغم أن « أرناط » لم يجن من عدوانه سوى عداوة صلاح الدين ، فإنه ظل يتحدى المسلمين أصحاب الفتوح العريقة ، لينتزع تجارة الشرق من أيديهم ، ولكنه لم يتمكن لأن صلاح الدين حرص على فتح حصن الكرك ، حتى لا يعوقه عن الاتصال بمصر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٣١٠ ، رحلة ابن جبير ص ٢٩ .

وهو خارجها ، فحاصره وهدم أسواره ، ولم يحل بينه وبين دخول المسلمين فيه إلا خندق واسع كان لا بد من ردمه ولما شرعوا فى ذلك العمل ، صدر أمر صلاح الدين بالتوقف ، استجابة لزوجة « أرناط » ، التى أنفذت رسالة إلى صلاح الدين ، ترجوه فى هدنة قصيرة ، حتى يتم زفاف ابنها ، غير أن أرناط الغدار لم يكن أهلا للمروءة الإسلامية فانتهز الفرصة وبعث رسله إلى مملكة بيت المقدس يستنجدها فأنجده ملكها « بلدوين » الرابع (١) .

لكن صلاح الدين لم يشأ أن ينقض الهدنة بينه وبين الصليبيين ، كما فعل أرناط عندما استوقف قرب الكرك قافلة للحجاج قيل خطأ : إن أخت صلاح الدين كانت بها ، وبرغم احتجاجه ، هدد أرناط القافلة ، فأقسم صلاح الدين أن يقتله إذا وقع فى يده ، وتقدم نحو الكرك ليمنعه من اعتراض الحجاج ، فوصلوا ومعهم أخت صلاح الدين سالمين إلى دمشق . ثم انتصر صلاح الدين فى حطين فى ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ (٣ يوليو ١١٨٧) وكان من الأسرى أرناط ، فقتله برابقسمه (٢) . وبعد أن تم للمسلمين فتح عكا ويافا وعسقلان ، استعد صلاح الدين لفتح القدس ، وتم له فتحه بعد حصار وقتال شديدين ، وقبض من مال المفاداة ما قيمته ثلثمائة ألف دينار مصرية ، وطلب العادل منه ألف أسير صليبى فأعتقهم ، وتعهدت زوجة أرناط بتسليم حصن الكرك كفاء خروجها بأموالها من القدس .

ودخل الناصر صلاح الدين ، ناصر الدنيا والدين ، القدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ، وهو يوم الاحتفال بذكرى ليلة الإسراء . فكانت مناسبة طيبة وفألا حسنا ، وأقيمت الجمعة فى المسجد الأقصى لأول مرة ، بعد أن ظلت معطلة ثمانية وثمانين عاما ، وأمر صلاح الدين بفتح مدرسة به لفقهاء الشافعية ، وغسل قبة الصخرة المقدسة بماء الورد ، وجلس تحتها يتقبل التهانى بفتح القدس ، واستمع إلى قدسيات الشعراء احتفالا بيوم القدس ، فأنشد الشاعر المصرى الشريف الجوانى فيما أنشد :

قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الرسول ، فسبحوا واستغفروا

وكانت أجمل القصائد قصيدة الشاعر المصرى ابن سناء الملك التى يقول فيها :

قد ملكت الجنان قطرا فقطرا
إذ فتحت الشآم حصنا فحصنا
إن دين الإسلام من على الخلـ
ـق ، وأنت الذى على الدين منا !

---

(١) Lane — Poole : Saladin P. 179

(٢) أبو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ٧٥ و ٨٠

وحوى الأسر كل ملك يظن الـ
دهر يفنى وملكه ليس يفنى
لا تخص الشآم منك التهانى
كل صقع وكل قطر يهنا

ثم أخذ معاقل الصليبيين فى الشام تقع فى أيدى المسلمين الواحد بعد الآخر ، وكان أخطرها حصن الكرك ، فصارت بلاد الشام حسبما قال صلاح الدين لأخيه : « لا تسمع فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما » .

غير أن انتصارات صلاح الدين أفزعت أوربا فمات البابا إربان الثالث كمدا ، ولحقه خلفه جريجورى الثالث فى عام واحد . ودعا البابا كليمنت الثالث إلى وحدة الصف من أجل إنقاذ بيت المقدس ، فأنهى الخلاف بين بيزة وجنوة توحيدا لكلمة إيطاليا ، وأوقف الحروب بين فيليب أغسطس ملك فرنسا وهنرى الثانى ملك انجلترا ، وبين الامبراطور فردريك بربروسا ومنافسيه توحيدا لكلمة المانيا . وفرض فيليب أغسطس ضريبة على الفرنسيين ، خصص حصيلتها لمحاربة صلاح الدين ، اعتبرها الاقتصاديون أول ضريبة عامة فى تاريخ أوربا . وكان « وليم الثانى » ملك صقلية أول من لبى الدعوة للحملة الصليبية الجديدة المعروفة بالثالثة .

ولما عدد بربروسا لصلاح الدين أسماء سبعة وعشرين شعبا أوربيا ، سوف يشتركون معه فى تلك الحملة ، أجابه صلاح الدين بأنه « لا يمكن حصر المسلمين ، وفى قدرة البدو وحدهم مواجهتكم ، وعلى التركمان إبادتكم ، وإذا دعونا الفلاحين حاربوكم بشجاعة » .

وعرف صلاح الدين قدر نفسه سلطانا للشرق ، وكما لقبه أعداؤه باللغة اللاتينية (Rey omnium regnum orientalium) أى ملك المملكة الشرقية كلها ، فهدد بعبور البحر ، ليغزو أوربا ذاتها ، إذا أصر الامبراطور على تهديد السلام فى المشرق العربى ، ثم جاءت الأنباء إلى صلاح الدين من حليفه إسحاق الثانى أمبراطور الدولة البيزنطية تنذر بما بيته الصليبيون ، وأكدها ما رواه تجار البندقية الذين حرصوا على الاحتفاظ بمصالحهم التجارية فى الشرق ، غير عابئين بغضب البابا وقرارات الحرمان من غفران الكنيسة ، مما يؤكد أن كثيراً من القوى التى اشتركت فى الحروب الصليبية لم يكن يعنيها كثيراً الاحتفاظ بكنيسة القيامة بقدر ما يهمها الاحتفاظ بمراكز لها فى عكا وطرابلس والإسكندرية تحتكر بها تجارة الشرق [1] .

---

(١) أبو شامة : نفس المرجع ص ١٣٦ .
Lane — Poole : op. cit, .P 174

ولذا عمد صلاح الدين إلى تقوية حصون عكا، وجاءته جنود الموصل وحماة وحران، فأصبح الصليبيون المحيطون بعكا محصورين بين المسلمين داخل عكا وخارجها، وجرت حروب كثيرة، منها اليوم المشهود ومنها ما هو دون ذلك [1]. وحمل صلاح الدين على الصليبيين يوم الجمعة حملة أزاحتهم عن مواقعهم، ودخل عكا بالذخائر والطعام، وتمرس بمناجزة العدو، قبل وصول الأساطيل الصليبية بالجند والمؤن، ثم استنجد بالخليفة العباسى الناصر لدين الله، بعد أن قدمت مراكب أوربية إلى عكا تحمل ثلثمائة امرأة، جاء بعضهن فتنة، وارتدى البعض الآخر زى الأجناد لمحاربة المسلمين، وكان العادل أول الواصلين بالنجدة إلى أخيه صلاح الدين، ثم وصل الأسطول المصرى إلى ميناء عكا فى خمسين قطعة وزهاء عشرة آلاف بحار بقيادة حسام الدين لؤلؤ، فقويت الروح المعنوية لدى أهل عكا، غير أن الصليبيين ضيقوا الحصار عليها، فعمد صلاح الدين إلى الاتصال بحاميتها بالحمام الزاجل. وجاءت نجدة الخليفة من النفط والعتاد والمال، وتمكن الفدائى الدمشقى على بن عريف من إحراق أبراج الصليبيين بقدور النفط، وحمل العادل على العدو حملة شديدة، ونجا أهل عكا من المجاعة بوصول المؤن من الاسكندرية فى ثلاث بطس مصرية.

ولم تشأ الأقدار أن يصل الامبراطور فردريك بربروسا إلى عكا، غير أن ابنه «فردريك سوابيا» تمكن من الوصول إليها، وهاجمها بدبابة كبيرة تصدى لها أهلها بالمجانيق فأحرقوها، ثم توقفت الحرب لهطول الأمطار، وتوفى فردريك سوابيا، وقضى الصليبيون الشتاء فى ضيق شديد، وحمل الجوع بعضهم على الالتجاء إلى معسكرات المسلمين. وهناك عرفوا الإسلام على حقيقته، فأسلموا وحسن إسلامهم. وأذن صلاح الدين لجنده بالعودة إلى بلادهم للمرحة والراحة، على أن يعودوا فى الربيع، واستبدل بحامية عكا غيرها.

وأدرك صلاح الدين أهمية القوة البحرية وأراد أن يشترك المغرب العربى إلى جانب المشرق فى مكافحة الصليبيين، فاستنجد بسلطان المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، ليرسل له جزءا من أسطوله، يتمكن به وبالأسطول المصرى من مواجهة أسطولى فيليب أغسطس ملك فرنسا وريتشارد ملك انجلترا. ثم مرض الملكان، واشتدت وطأة المرض على ريتشارد. فأرسل صلاح الدين إليه أطباء وفاكهة وثلجا، وأبى أن يهاجم

(١) ابن الأثير: الكامل ج ١٢ ص ٢٢.

المعسكر الصليبي وقائداه في محنة، ولذا اقتصرت الحرب على مبارزة الفرسان، وطالما نسى الأجناد العداء فأنس البعض إلى الآخر، وأقاموا الحفلات، فهذب الخلق الإسلامي طباع الصليبيين وصقل خشونتهم. وارتشفوا من مناهل الحضارة العربية الإسلامية ما مهد للنهضة الأوربية الحديثة.

ثم عرض ريتشارد بعد شفائه أن يقابل صلاح الدين ليفاوضه في الصلح، فأبى خشية تفتير العزمات وتضييع الأوقات، وعندئذ هاجم ريتشارد عكا بقلب الأسد، فتمكن من رفع الأعلام الصليبية على أسوارها سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) لحزن صلاح الدين لأن عكا مدينة إسلامية عظيمة، وصف معالمها الرحالة عبد اللطيف البغدادي بقوله: «كان السوق الذي في عسكر السلطان على عكا عظيما، ذا مساحة فسيحة، فيه مائة وأربعون دكان بيطار، وعددت عند طباخ واحد ثمانية وعشرين قدرا، كل قدر تسع رأس غنم، وكنت أحفظ عدد الدكاكين... وأظنها سبعة آلاف دكان.. وأما سوق البز العتيق والجديد فشيء يبهر العقل. وكان في العسكر أكثر من ألف حمام، وكان أكثر ما يتولاها المغاربة ... يغسل الرجل رأسه بدرهم وأكثر» (١) وظل المسلمون خلال العصور يحاصرون عكا، البقية الباقية من إمارة بيت المقدس، حتى استردوها بالقوة بفضل القيادة المصرية الرشيدة سنة ٦٦٩ هـ (١٢٩١م) بعد أن لبثت في أيدي الصليبيين مائة عام.

وما أحوجنا لحطين أخرى ترفع راية الحق ليفيء العرب إلى حمى السلام القائم على العدل وليكن تراب فلسطين العزيزة مسرحا لنصر كبير آخر على عصابة الصهيونيين، فيسحقهم العرب كما سحقوا الروم في اليرموك، والصليبيين في حطين، والتتر في عين جالوت، ويلحقونهم بمن سبقهم في الغابرين، من زمر المعتدين الآثمين.

عباس حلمي اسماعيل

---

(١) عبد اللطيف البغدادي: الإفادة ص٨، المقريزي: السلوك ج ١ ص٤٩.

انتشار الإسلام في جيلان

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

التقيت بالقارىء الكريم على صفحات مجلة الأزهر الغراء فى حديثين سابقين : فى الأول منهما (عدد ذى القعدة سنة ١٣٨٧) تتبعت معه انتشار الإسلام فى إقليم طبرستان وكان محور الدراسة فى ثانيهما (عدد ذى الحجة سنة ١٣٨٧) يدور حول انتشار الإسلام فى منطقة أذربيجان .

واليوم أستسمح القارىء الفاضل أن نقضى سويا دقائق قليلة نتعرف فيها على صفحة جديدة من الصفحات الخالدة لانتشار الدين الإسلامى ، بل لعلها أروع صفحة كتبها هذا الدين الحنيف فى منطقة بحر قزوين كلها ، ونعنى بها صفحة انتشاره فى منطقة جيلان .

تعرف منطقة جيلان (الرسم الفارسى للإسلام هو كيلان) عند الجغرافيين العرب تحت أكثر من اسم ؛ فهى تارة بجانب الاسم السابق - الكيل وأخرى كيلان وثالثة الجيل ورابعة الديلم ، وسواء استخدمنا هذه التسمية أم تلك فإن المنطقة التى نعنيها هنا هى تلك التى تشكل الزاوية الجنوبية الغربية لبحر قزوين ، وتحدها من الجنوب مدينة قزوين والبلاد التابعة لها ، كما يتاخمها من الشرق إقليم طبرستان ، أما بالنسبة للغرب فإنا نجد إقليم أذربيجان جنوبا وبلدان الران شمالا .

هذا هو الموقع الجغرافى لمنطقة جيلان كما نعرفها طوال السنوات التى عاصرت انتشار الإسلام فيها ، أما بالنسبة للتاريخ الحديث فإن جيلان هى إحدى المقاطعات الشمالية للإمبراطورية الإيرانية ، وهى بذلك تتاخم الجمهورية الكرجية ، إحدى جمهوريات اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، وقد استطاعت روسيا أن تبسط سيادتها على هذه المقاطعة لفترة قصيرة أوائل العقد الثالث من القرن الحالى (١٩٢٠ - ١٩٢١) .

منطقة جيلان فى جملتها شبه مغلقة ، إذ قد حبتها الطبيعة حصانتها ، فهى محصورة بين الجبال المنيعة من الغرب والجنوب ، وبحر قزوين الذى يقابل الجبال من الجهة الثانية . ولا تتصل بلاد جيلان بإقليم طبرستان إلا عن طريق كلار - شالوس .

كان لهذه الحصانة الطبيعية أكبر الأثر فى احتفاظ جيلان باستقلالها وعدم خضوعها

للمؤثرات الخارجية، وهذا يفسر سر بقائها خارج منطقة النفوذ المباشر للإمبراطورية الساسانية، الأمر الذى شجع بعض منافسى الأكاسرة على اتخاذها مركزاً لهم . كما كانت هذه الحصانة نفسها من العوامل الهامة التى وقفت فى وجه المحاولات التى قام بها المسلمون لفتح البلاد، وبالتالى قدر على مواطنى هذه المنطقة أن يتأخر اعتناقهم للدين الإسلامى عشرات السنين .

كان سكان المنطقة خليطا من عناصر مختلفة أبرزهم الديلم الذين كانوا يقيمون بصفة خاصة فى البيئات الجبلية، وبجانب الديلم كان يوجد الجيل الذين اتخذوا مواطنهم فى المناطق السهلية، ولعل هذا يفسر لنا بعض السر الذى بسببه اختلفت تسمية المنطقة لدى الجغرافيين العرب .

هذا — وبالإضافة إلى تعدد الجنسيات — زخرت المنطقة بتعدد فى الديانات أيضاً، فبجانب المجوسية كان يوجد فى هذه البلاد أتباع لكل من الوثنية والمانوية القديمة والزردشتية، وبالنسبة للديانات السماوية فإن المراجع تشير إلى أنه كان يوجد فى هذه المنطقة عدد من أتباع الديانة المسيحية .

يستطيع الباحث أن يفسر سر تعددالديانات فى مثل هذه الرقعة الضيقة من أن المناعة الطبيعية للإقليم قد جعلت منه قبلة للجماعات التى عانت الاضطهاد فى مواطنها الأصلية بسبب معتقداتها المذهبية، ومما هو معروف عن أتباع كل من المانوية القديمة والزردشتية أنهم قد واجهوا فترات من الاضطهاد الدينى أثناء حكم بعض أكاسرة الدولة الساسانية .

أخذ الإسلام يطرق أبواب جيلان فى السنوات الأخيرة من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (توفى فى الأيام الأخيرة من سنة ٢٣ هـ) وذلك حينما وفد إلى المنطقة البراء بن عازب على رأس قوة إسلامية ليفتح مدينة قزوين المتاخمة لبلاد جيلان من الجهة الجنوبية . فى حديث البلاذرى بخصوص هذه الحملة قال عن أهل قزوين : إنهم استجابوا لدعوة البراء بن عازب واعتنقوا الدين الإسلامى، وبالتالى اندمجوا فى الجماعات الإسلامية الأخرى بما لها من حقوق وما عليها من واجبات، أصبحت مدينة قزوين بعد هذا الفتح ثغر المسلمين فى مواجهة جيلان من الناحية الجنوبية .

حوالى ذلك الوقت — وربما بعد التاريخ السابق بقليل — أخذ الإسلام ينتشر فى أذربيجان، أى بالقرب من الحدود الغربية للمنطقة موضوع الدراسة، ومعنى هذا أنه فى أواخر الحلقة الثالثة من التاريخ الهجرى أصبح للدين الإسلامى وجوده على مشارف جيلان من الغرب ومن الجنوب .

يعتمل فى ذهن القارىء الآن سؤال حول الموقف بالنسبة لبلاد جيلان ، وموقفها من الإسلام . وأسارع فأقول : إن انتشار الإسلام فى جيلان يختلف اختلافا كلياً عن انتشاره فى كل من قزوين وأذربيجان ، يختلف فى ظروفه وفى توقيته . كما يختلف أيضاً فى طبيعته . وسنعمل على إبراز هذه الجوانب من خلال الدراسة التى سنقدمها فى هذه الصفحات .

والحقيقة التى يستطيع الباحث أن يؤكدها هى أن الدولة الإسلامية ، سواء فى عهد الخلفاء الراشدين أم فى عهد كل من الأمويين والعباسيين ، لم تدخر جهداً فى سبيل فتح جيلان ونشر نور الإسلام بين ربوعها ، ولكن الجهود الإسلامية لم يصادفها التوفيق، الأمر الذى يضفى على هذه المنطقة صفة متميزة بالمقارنة مع الأقاليم الأخرى التى وجه إليها المسلمون نشاطهم .

من الممكن تقديم الحصانة الطبيعية التى اتسم بها الإقليم والتى أشرنا إليها فى صدر هذا المقال بوصفها العامل الحاسم الذى أفسد فاعلية المحاولات التى بذلها المسلمون لفتح البلاد . ويضاف إلى الحصانة الطبيعية هذه ما هو مشهور عن أهل المنطقة من الشجاعة والمهارة الحربية .

هذا صحيح بالنسبة للاستيلاء العسكرى أو السياسى ، ولكن تعويق انتشار الدين كعقيدة بين مواطنى جيلان يعود فى المرتبة الأولى إلى ظروف موضوعية كانت تحكم العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع فى المنطقة . وقد انعكست هذه الظروف على طبيعة اعتناق الجيلانيين أو الديالمة للدين الإسلامى فيما بعد وهذا ما ستعالجه الدراسة بالتفصيل ولكن بعد أن نستعرض أولا المحاولات التى بذلت لنشر الإسلام هناك ومدى ما حققته كل منها من نجاح .

فى العقد الخامس من القرن الثانى الهجرى سيطرت الدولة الإسلامية على إقليم طبرستان سيطرة مباشرة . وقد ترتب على ذلك أن أصبح المسلمون يواجهون منطقة جيلان من جهات ثلاث : الشرق حيث طبرستان ، والغرب حيث أذربيجان ، والجنوب حيث قزوين .

كانت سيطرة المسلمين على طبرستان عاملا حاسماً فى تغيير ميزان القوى بين أهل جيلان من جهة . والقوات الإسلامية التى نيطت بها مهمة فتح الإقليم من الجهة الأخرى . وذلك لان منطقة الحدود المشتركة بين طبرستان وجيلان شكلت موقعاً أمامياً انطلقت منه القوات الإسلامية فى محاولاتها من أجل فتح البلاد ونشر نور الإسلام فيها . وتبرز أمامنا قيمة هذا التطور بصفة خاصة إذا ما عرفنا

أن منطقة الحدود المشتركة هذه كانت تمتاز بالسهولة النسبية لمن أراد أن يجتازها ، وهذا بالقياس إلى مناطق الحدود المشتركة الجنوبية أو الغربية .

حققت القوات الإسلامية فى جهة طبرستان بعض الانتصارات الجزئية على مواطنى جيلان ، فما يذكر عن عمر بن العلاء الذى تولى طبرستان أكثر من مرة كان آخرها سنة ١٦٧ هـ أنه هاجم هذه المنطقة المستعصية عدة مرات ، وقد استطاع فى إحداها أن يتوغل فى صميم البلاد الجيلانية . وقد أخذت الحملات الإسلامية التى توجهت من طبرستان إلى جيلان — شأنها فى ذلك شأن الحملات التى سبق أن انطلقت من مدينة قزوين — طابع الغارات تشنها القوات الإسلامية ثم تعود إلى قواعدها من جديد . وهكذا .

صاحب هذا التطور السياسى والعسكرى تغير فى الموقف بالنسبة لانتشار الدين الإسلامى فى هذه البلاد ، فقد ذكرت المراجع الموثوق بها عن عمر بن العلاء أنه فى إحدى غاراته استطاع أن يوغل فى إقليم الديلم حتى وصل إلى مدينة (محدثة) التى تقع على بعد فراسخ قليلة من حدود طبرستان ، ويذكر ابن الفقيه أن بعض أهالى هذه المدينة قد اعتنقوا الدين الإسلامى على يد ابن العلاء .

هذا هو الاشعاع الأول للدين الإسلامى فى هذا الإقليم أخذ يتسرب إليه من جهة الحدود الشرقية حوالى السنوات الاولى من الحلقة السابعة للقرن الثانى الهجرى ، أى بعد مرور أكثر من قرن وربع على وجود الإسلام فى المنطقة متاخما لجيلان من الغرب ومن الجنوب ، ولا شك أنه تاريخ متأخر ونتيجة دون ما بذل فى سبيلها بكثير .

يبدو أن عدد من اعتنقوا الإسلام استجابة لابن العلاء كان قليلا ، كما يبدو أيضا أنهم لم يقوموا بجهود لترويج عقيدتهم الجديدة بين الآخرين ، أو أن مثل هذه الجهود — على فرض وجودها — لم يحالفها التوفيق ورغم قلة عدد من أسلموا فإنهم لم يتعرضوا لأى ضغط من الجماعات الأخرى نتيجة لدينهم الجديد ، والسر فى ذلك ما سبق أن أشرنا إليه آنفا وهو أن هذه المنطقة كانت موطنا لخليط من أنصار اتجاهات مذهبية مختلفة وجدوا فيها مأمنا لهم من الاضطهاد الذى سبق أن تعرضوا له فى مواطنهم الأصلية ، فلا يستبعد فى ضوء هذا أن يستوعب إقليم جيلان عددا من أنصار ديانة جديدة .

وما عدا ذلك فإن المراجع التى تحت أيدينا ليست سخية بالدرجة التى تمكننا من أن نزيل الغموض الذى يكتنف تاريخ هذا العدد القليل الذى تمثل فيهم أول إشعاع للدين الإسلامى

فى داخل إقليم جيلان ، وعلى سبيل المثال ، نحن لا نستطيع أن نحدد التاريخ الدقيق لإسلامهم ، ولا نستطيع أن نتعرف على عددهم أو الدوافع التى جعلتهم يتقبلون الدين الإسلامى ، كما أنه ليس فى إمكاننا - أيضا - أن نتحدث عن حقيقة دينهم السابق . وهذا القصور أمر طبيعى لأن الكتابات التاريخية آنذاك لم تكن تعنى عناية كاملة بشئون العامة.

وسط هذا الغموض يستطيع الباحث أن يستخلص حقيقتين تفرضان وجودهما من خلال الظروف التى صاحبت ظهور أول إشعاع للإسلام فى منطقة جيلان .

الأولى هى أن عدد أولئك الذين شكلوا طليعة الدين الإسلامى فى هذا الإقليم كان قليلا.

والثانية هى أنهم اعتنقوا ديانتهم الجديدة مصطبغة باللون السنى ، والذى يسوقنا إلى القول بالحقيقة الثانية هو ما نعرفه عن عمر ابن العلاء من أنه كان سنيا يدين بالاتجاه المذهبى الذى يدين به سادته العباسيون - هذا بالإضافة إلى ماسبق أن قلناه من أن الإسلام بدأ ظهوره فى المنطقة فى حدود السنوات الأولى من الحلقة السابعة فى القرن الثانى الهجرى .

بعد هذه الوقفة القصيرة نواصل تقصينا للمحاولات التى أدت إلى انتشار الإسلام فى هذه المنطقة .

فى هذا الصدد نقول : إنه فى أواخر سنة ١٦٩ هـ دارت معركة « فخ » بين العلويين ، بقيادة الحسين بن على بن الحسن ، والقوات العباسية ، وقد دارت الدائرة فى هذه المعركة على العلويين وقتل زعيمهم ، ومن ثم نشط العباسيون فى تتبع رجال البيت العلوى مما دفع بعضهم إلى الهرب بعيدا عن متناول أعدائهم ، وممن هرب من بطش العباسيين يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب .

ذهب يحيى هذا إلى بلاد الديلم فى سنة ١٧٥ هـ وهناك اكتسب ما يمكن أن نسميه بحق اللجوء السياسى من كبير المنطقة أو ملكها المعروف بجستان . تخشى الخليفة هارون الرشيد مما يمكن أن يؤدى إليه استمرار بقاء يحيى فى جيلان ، ومن ثم أعمل الحيلة فى الإتيان به إلى بغداد ، وقد تم له ذلك فى سنة ١٧٦ هـ .

لم يشر الدينورى إلى حركة يحيى بن عبدالله هذه ، أما اليعقوبى فقد أشار إلى وجود يحيى فى بلاد الديلم إشارة سريعة وقد تناول الطبرى تاريخ يحيى بشىء من التفصيل ، ولكن هذا التفصيل انصب - بالدرجة الأولى - على وجود يحيى فى بغداد بعد إحضاره من بلاد الديلم ، وأوفى ما كتب عن يحيى فى مهجره قدمه لنا مؤرخ الزيدية المحلى حسام الدين

فى مؤلفه « الحدائق الوردية فى مناقب أئمة الزيدية » (مصور بدار الكتب رقم ٨٦٧ تاريخ) فقد كتب عنه حوالى عشرين صفحة والذى يتصل بموضوعنا من خلال هذه الصفحات أمران : الأمر الأول هو أن المحلى وصف الديالمة أكثر من مرة بأنهم أهل الشرك أو الكفرة ، والأمر الثانى أنه قال بالنص فى آخر ما كتبه عن هذا الزعيم الزيدى : « وكان قد أسلم على يد يحى جماعة من الديلم وبنوا مسجدا » . وهذا المسجد هو أول بناء من نوعه فى هذه البلاد .

ومعنى هذا أنه فى حوالى سنة ١٧٦ هـ اعتنق الدين الإسلامى عدد آخر من الديالمة ويبدو أن عدد من أسلموا على يد يحى كان كثيرا نسبيا . وقد انعكست هذه الكثرة النسبية فى المسجد الذى أسسوه وسط أماكن العبادة الخاصة بالديانات الأخرى .

يمكننا القول إذن بأن أولئك الذين اعتنقوا الإسلام استجابة لدعوة يحى العلوى يمثلون فى الحقيقة أول « جماعة إسلامية » فى هذه المنطقة ، وقد تمثل كيان هذه الجماعة فى الجهود البشرية والمادية التى أسفرت عن بناء مسجد يجمع أفراد هذه الجماعة ويكون مقرا لتأدية شعائر دينهم ، وفوق هذا وذاك يكون رمزا شاخصا للدين الجديد الذى وفد إلى إقليم الديانات العديدة .

لم تشر المصادر إلى المكان الذى بنى فيه هذا المسجد ، والمرجح أنه أقيم فى المنطقة الجبلية الجنوبية التى كانت مركزا لحكم الأسرة الجستانية . وكل ما نستطيع أن نؤكده بالنسبة لهذه الجماعة هو أنهم اعتنقوا الدين الإسلامى ملونا بالمذهب الزيدى ، نفس المذهب الذى كان يدين به ويدعوا إليه يحى بن عبد الله .

هذا هو الموقف بالنسبة لانتشار الإسلام فى جيلان حتى سنة ١٧٦ ، ونواصل فى مقال تال بقية المحاولات التى أدت إلى جعل الإسلام دين الأغلبية الساحقة فى هذه البلاد .

د. عامر غنيم أبو سعيد

الكتب

الحجّ
حِكَمُه . أحكامُه . أسرارُه . مناسِكُه

عرض وتعليق : الأستاذ يوسف عبد الهادى الشال

هذا الكتاب جامع لأطراف فريضة الحج من حين التهيؤ لأدائها حتى العـودة من سفرها المحبب .

ومؤلفه الأستاذ محمد الفقى بدار الكتب والوثائق القومية .

وقد قدم الكتاب فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود بكلمة ختمها بقوله : « وكانت ا. وح الدينية للمؤلف واضحة جلية بعبارات أنيقة وعرض شيق وأسلوب جذاب ... وهو فى كل هذا التطواف المبارك لا يعوزه الدليل من الكتاب والسنة بما يشرح صدور قوم مؤمنين ، ويكون قرة عين للعارفين وروضا آنفا المقيمين وزاداً للمسافرين » .

واستهل المؤلف كتابته بمقدمة بين فيها قيمة هذه الفريضة الجليلة وما تعود به على الأمة الإسلامية فى مشرق الأرض ومغربها من خير غامر باعتبار الحج أعظم اجتماع عالمى دورى على مستوى الشعوب والدول . يمكن أن يسفر عن تأثير بالغ الأهمية عميق الشأن فى أحداث العالم وتطور الأمم ، وهى من قبل ذلك ومن بعـده مجال أى مجال للتعاون والتعارف والتآلف وتطبيق عملى للأخوة الصادقة والمساواة الأصيلة .

ثم بدأ موضوعه بذكر آداب السفر فى ضوء تعاليم الإسلام مبيناً أن السفر إلى الحج لا يضاهيه سفر من الأسفار ، ولا يدرك هـذا المعنى حق إدراكه إلا أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى .

وبعد تحليقات ورفرفات روحية بين حكم مناسك الحج تناول أعماله فارقا بين الركن والواجب فى هذه الفريضة بقوله :

فالركن ما لا يصح الحج بدونه ولا يجبر تركه بدم ، والواجب ما يصح الحج بدونه ولكن يجبر تركه بدم .

والأركان هي : الإحرام : أي نية الإحرام بالحج ، الوقوف بعرفة ، طواف الإفاضة ، السعي بين الصفا والمروة ، الحلق أو التقصير ترتيب معظم هذه الأركان .

والواجبات هي : الإحرام من الميقات ، المبيت بمزدلفة ، المبيت بمنى ، رمي جمرة العقبة ، يوم النحر ، رمي الجمرات الثلاث أيام التشريق الثلاث إن لم يتعجل .

والأركان لا يتم الحج ولا يجزئ حتى يأتي بجميعها ولا يتحلل من إحرامه التحلل الأخير إذا بقي شيء منها ، وأما الواجبات فمن ترك شيئاً منها لزمه تقديم دم ، ويصح الحج سواء تركها عمدا أو سهوا لكن العامد يأثم بالترك .

وأما السنن فمن تركها فلاشيء عليه ولا إثم ولا دم لكن فاته الكمال وتركته الفضيلة وعظيم الثواب .

ثم استطرد المؤلف في شرح هذه الأعمال موضحا كيف تؤدى وموقع كل ركن وواجب .

وأسلمه ذلك إلى الحديث عن المحظورات التي يجب على المحرم أن يجتنبها مبينا أسرار هذا الحظر الذي يتركز في أنه أسلوب من الأساليب الجادة العملية التي تترك أثرها التربوي في أعماق من يمارسها .

وقد أطنب في بيان هذه المحظورات توضيحا ورتبها على النحو الآتي :

اللبس : فيحرم على الرجل ستر رأسه أو بعضه بما يعد ساترا سواء كان مخيطا أو غير مخيط . وغير الرأس فيحرم ستره بغير الإزار والرداء ونحوهما . والمرأة تلبس الملابس المعتاده عدا الوجه بيد أن لها أن تستر منه القدر اليسير الذي لا يمكن ستر جميع الرأس إلا به . فهو من باب ما لا يتم الواجب إلا به .

استعمال الطيب في البدن : والثوب أو الفراش بما يعد طيبا .

إزالة شعر الرأس : والجسد بأي طريق من طرق الإزالة . وكذا تقليم الأظافر .

الزواج أو تزويج غيره .

مقاربة الزوجة أو التمتع بها في أي صورة من صور التمتع العملي .

التعرض للصيد وقطع نبات الحرم وشجره .

كل ذلك في شرح واضح من خلال المذاهب الفقهية .

وقد بين حدود الحرم فقال :

أما حده من طريق المدينة . فهو على ثلاثة أميال من مكة . ومن طريق اليمن سبعة أميال . ومن طريق العراق والجعرانة سبعة أميال ومن طريق الطائف على عرفات من بطن وادي نمرة سبعة أميال أيضا . ومن طريق جدة عشرة أميال . وهذا حد ما جعله

الله عز وجل حرما لما اختص به من التحريم.

وقد قام المؤلف بتحديد المواقع التي تحتاج إلى تحديد معتمدا على النصوص.

وبعد مسيرة طويلة على طريق الحج ختمت بطواف الوداع انتقل بنا المؤلف إلى دار الهجرة ومثوى الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وطوف بنا فى آفاق النور موجها إلى أمثل آداب الزيارة وكيفية أدائها. ولم يغفل التعريف بالمشاهد التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه

وأولها مشهد البقيع الذى يضم بين جناحيه أولئك الذين عاشوا لدينهم وصدقوا ماعاهدوا الله عليه وما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.

ثم قدم المساجد الأثرية كمسجد أحد ومسجد الوادى ومسجد الفتح وغيرها مبينا بالعبارة المصورة موقع كل مسجد على الطبيعة.

وأردف ذلك بالآبار الأثرية أيضا كبئر أريس التي توضأ منها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وبئر ردمة وغيرهما وقد ضبط الأسماء بالحروف.

وأنهى المؤلف فصول كتابه ببيان ما يجب على الحاج إذا ترك مأمورا به أو ارتكب منهيا عنه موضحا أنواع الدماء الواجبة وجزاء الصيد وقطع الشجر.

وختم المؤلف رحلته على صفحات كتابه الذى بلغ مائتين وأربعا وعشرين صفحة بقوله فى تواضع العلماء:

وما إخالنى أثبت إلا بما تتسع درايتى لتصويره وإملائه ويتلاءم مع طاقتى. وأنى أرجو من القارىء الكريم ألا يتخذ من فيض علمه منفذا لتوجيه النقد إلى هذا الكتاب»

يوسف عبد الهادى الشال

(أول بيت وضع للناس)

قال الله تعالى: «إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين»

«سورة آل عمران ٩٦»

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيي الدين الألوائي

— ١٥ —

كتاب الخصل : المسمى بمصدق الفضل للشيخ شهاب الدين أحمد الهندى المتوفى سنة ٨٤٩ هـ .

(الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ بحيدر آباد)

ويقول المؤلف عن سبب تأليف الكتاب وتسميته . « كان أصحابه صلى الله عليه وسلم يتناشدون وهو جالس بينهم وكفاك أن بعض المهاجرين والأنصار صاغوا كثيراً من الأشعار ، خصوصا كعب بن زهير ابن أبى سلمى المازنى الذى أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخول جناب كرمه وعفا عن جريمته بعد إهدار دمه ، وله قصائد جليلة وأشعار جزيلة ، منها لاميته التى أولها بانت سعاد .

وإنى فى مجلس المذاكرة مع الأصحاب كنت أنشر فوائدها من كل باب فالتمس صديق صدوق أن أسطر ما أذكر فى حواشيها وأنمق ما أحقق من معانيها ، وهل بقى بتصوير الحسان أقلام الحواشى ، فأردت أن أكتب كتابا أشرحها فيه لفظا بعد لفظ ، بل حرفا بعد حرف ، وابتدأت فيه باللغة ثم الصرف ثم أنحو نحو علم الإعراب ، ثم أمعن النظر فى علم المعانى من كل باب ، ثم أبين ما يتعلق بعلم البيان من التشبيه والمجاز والكناية بالإتقان ، ثم أكشف عن وجوه الوجوه المحسنة ، ثم أتعرض بضروب العروض ، ثم أحصل حاصل المعنى بالبيان الوافى ، فتيسر لى بتيسير الميسر الوهاب شرح عظيم الخصل ، وسميته « بمصدق الفضل » .

وقبل أن نقدم نموذجا لشرح المؤلف للقصيدة ومنهجه فيه ، نقتبس من بيانه فى الشعر والشعراء عامة ، وفى كعب بن زهير صاحب « بانت سعاد » بصفة خاصة ، ما يلى : إن الشعر ليس فى ذاته مذموما ، ولا صاحبه ملوما ، كيف وأنه من محاسن الشيم ، كثيراً ما يتضمن محكمات الحكم ، أليس يكفيه فى إثبات الرفعة والعظمة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر لحكمة » .

وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يتناشدون وهو جالس بينهم، وكذلك بعض المهاجرين والأنصار صاغوا كثيراً من الأشعار.
وأما قوله تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاوون»(١) فقيل: الشعراء هم بعض شعراء قريش، ومنهم عبد الله بن الزبعرى السهمي، وهبيرة ابن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة الجمحي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويروون عنهم قولهم(٢). وكانت الأعراب يحفظون تلك الأشعار ويقرءونها، فقد نزلت هذه الآية أي لا يتبعهم في باطلهم وكذبهم إلا الغاوون أي السفهاء أو الشياطين أو المشركون أو الضالون عن الحق.

ثم بين سبحانه قبائح شعراء الباطل، فقال: «ألم تر أنهم في كل واد يهيمون» والمعنى ألم تر أنهم في كل فن من فنون الكذب يخوضون، فتارة يهتكون الأعراض بالهجاء وتارة يأتون من المجون بكل ما يمجه السمع ويستقبحه العقل، وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق ويمدحون الباطل. ثم قال سبحانه: «وأنهم يقولون ما لا يفعلون». وقد ينسبون إلى أنفسهم من أفعال الشر ما لا يقدرون على فعله. كما تجده في كثير من أشعارهم من الدعاوى الكاذبة.

وقال المؤلف في صاحب القصيدة، كعب ابن زهير رضي الله عنه: إن زهيرا كان أشعر العرب فقد روى أن عمر رضي الله عنه سئل عن أشعر الناس فقال سلوا سيد الناس فأشار إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقالوا سألنا عن أشعر الناس فعرفنا سيد الناس، فلنذهب إليه لنعرف أشعر الناس. فأتوا ابن عباس فسألوه عن أشعر الناس فأنشد شعرا لزهير بن أبي سلمى، فقالوا عرفنا أشعر الناس أيضا.

وقيل أشعر العرب أربعة زهير والأعشى وامرؤ القيس والنابغة. وكان لزهير ابنان أحدهما كعب والآخر بجير، وهو سبق كعبا في الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان كعب يومئذ على الكفر ويهجى النبي صلى الله عليه وسلم بشعره، ولما أهدر دمه كتب بجير إلى أخيه أن الرسول أهدر دمك، لكنه كريم إذا أتيته تائبا يعفو عنك، فتوجه إلى جنابه فأنشد قصيدته الشهيرة تائبا ومؤمنا.

ونجعل من البيت الأول من قصيدة «بانت سعاد» نموذجا لشرح المؤلف ولمنهجه في بيانه:

---

(١) الشعراء آية ٢٢٤.
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن جـ ٧ ص ٥٧.

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول

اللغة : البين ـ الفراق . والوصل ، وهو من الأضداد وسعاد اسم امرأة ، والقلب اسم المضغة المعروفة المودعة فى الجانب الأيسر . وقيل هو لطيفة ربانية مودعة فى تلك المضغة . والياء ضمير متصل للمتكلم الواحد مجرورا ، واليوم ظرف محدود ، ويقال تبله الحب أى أسقمه فهو متبول . والمتيم المجعول عبدا ، والأثر ما يظهر فى الأرض من علامة القدم ، وها للغائبة ولم لقلب المضارع ماضيا ونفيه ، والفداء تخليص المأسور بشىء ، والكبل الأسر والقيد .

الصرف : بانت فعل ماض للغائبة من الأجوف اليائى الخ .

النحو : سعاد فاعل بانت أنث الفعل لتأنيثه الحقيقى الخ ..

البيان : إن كان العشق من الأمراض الباطنية كما ذكر فى بعض كتب الطب ، فقوله متبول على الحقيقة ، وإن كان من أمثال السكر والحزن والفرح كان قوله متبول من باب الاستعارة الخ .

البديع : وفى ذكر التبل والتتيم والفداء والكبل مراعاة النظير ، وفى قوله متبول ومكبول تجنيس لاحق اختلفا فى حرف واحد وهو التاء الخ .

العروض : اعلم أن هذه القصيدة على البسيط وأصله ثمانية أجزاء مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مرتين ، قد يقع فيه الخبن وهو حذف الثانى الساكن فيصير متفعلن فيجعل على مفاعلن ، والطى وهـــو حذف الرابع الساكن الخ .

فالحاصل : إنه يقول : « فارقت سعاد فقلبي يوم الفراق مريض مرض الشوق ، ذليل مطيع كالعبد ، لا يخلص عنه بفداء عاشق لا يمكن له أن يتجاوز عنها ، وأن ينفك عن جانبها . وهكذا مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم بقصيدته المذكورة بعد التشبيب بذكر محبوبته سعاد والحكاية عن محاسنها والشكاية مساوىء أخلاقها ووصف ناقة بها يبلغ إلى أرض فيها سعاد .

وذكر الوشـــاة والسعاة والاعتذار عما نسب إليه ، وتوسل ببسط هذه القصيدة المادحة إلى جناب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ونال منه أقصى الأمانى » .

« يتبـع »

محي الدين الألوائي
المدرس بجامعة الأزهر

أنباء وآراء

رسالة الإمام الأكبر إلى العالم الإسلامى

● وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة إلى العالم الإسلامى بمناسبة عيد الأضحى المبارك ، أشار فيها فضيلة الإمام إلى المعانى الأصيلة التى يستلهمها المسلمون من يوم التضحية والصبر والفداء . قال فضيلة شيخ الأزهر :

أيها المسلمون :

ونحن نحتفل بعيد التضحية والفداء جدير بنا أن نستلهم من هذه الذكرى ما يزيدنا إصراراً على التمسك بمبادئنا والتضحية بكل غال ورخيص فى الذود عن حقنا والدفاع عن أرضنا .

وإنا إذا كنا نذكر اليوم بيت الله الحرام فإن ما نعيشه اليوم جدير بأن يذكرنا بما بين بيت الله الحرام فى مكة وبيت الله الأقصى فى بلاد عزيزة علينا (فلسطين) .

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

إن عيد الأضحى وما يحمل من أسمى المعانى ليحث المسلمين من أقصى الدنيا إلى أقصاها على أن يتمسكوا بحقهم ويدافعوا عن كل شبر من أرضهم ويصبروا ويصابروا حتى يتم الله لنا النصر : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

وليكن لنا فى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وقدوة طيبة فى التماسك والترابط والتعاون والعطف على إخواننا اللاجئين منهم والمهاجرين حتى يشعر الجميع بأننا جميعا فى عيد : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

فى محيط الأزهر :

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه . غبطة الكاردينال مكسيمليان دى فيوستنبرج - مبعوث البابا بولس السادس بابا روما . إلى الشرق الأوسط - والوفد المرافق له .

وبعد أن رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه قال فضيلته : إن الأديان كلها تدعو إلى الإيمان والسلام والمحبة والتعاون . وإن الاعتداء الصهيونى موجه إلى الأديان وبخاصة الإسلام . فالصهيونية عصبية جنس لا تمت إلى الأديان بصلة وأن التعاون الإنسانى ليدعو العالم بأسره إلى مساعدة الدول العربية لإزالة آثار هذا العدوان الظالم وصد أطماع إسرائيل التوسعية.

وفى ختام الحديث حمل فضيلة الإمام الأكبر . المبعوث البابوى . تحياته وشكره لقداسة البابا لتعاونه وتفهمه للقضية العربية .

وتحدث غبطة الكاردينال فأبلغ فضيلة الإمام الأكبر تحيات قداسة البابا . ثم قال : إن الإيمان عصب الأديان كلها لرد أى اعتداء غادر . ونحن متقاربون ومتفاهمون ثم استفسر سيادته عن عمر الأزهر فأجابه فضيلة الإمام الأكبر : إنها أقدم جامعة فى العالم حيث إن عمرها يزيد على ألف عام ويفد إليها جميع المسلمين من أنحاء العالم .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه السيد / وزير التربية والتعليم بجمهورية جنوب اليمن الشعبية . وقد رحب فضيلته بالضيف قائلا : باسم الأزهر أرحب بكم فى بلدكم وبين أهليكم وذويكم وأود أن تفتحوا أعينكم جيدا لمؤامرات الاستعمار فهو لا يحقق أطماعه ومآربه إلا من خلال الاختلاف بين أبناء الوطن الواحد .

وتحدث السيد الوزير فقال : إن مؤامرات الاستعمار على مستوى الوطن العربى وإن يستطيع أن يحقق أغراضه مادمنا وحدة متكاملة ، وفى نهاية الحديث طلب سيادته المزيد من مساعدة الأزهر دينيا وثقافيا حتى تستطيع جمهورية اليمن الجنوبية الناشئة أن تستعيد سالف مجدها وعزها .

فوعده فضيلة الإمام الأكبر بتزويدهم بالأساتذة والعلماء والكتب الدينية اللازمة .

• • •

نص حديث فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر :

● فى المقابلة التى تمت بين فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر والسيد / أندريه جياك الرئيس العلمانى للكنيسة اللوثرية بتشيكوسلوفاكيا وعضو الوفد البرلمانى التشيكى الذى زار الجمهورية العربية المتحدة بدعوة من مجلس الأمة والتى أشرنا إليها بالعدد الماضى . وجه السيد / أندريه جياك بعض الأسئلة إلى فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر وإليكم نص الأجوبة :

س : ما هى علاقة الدين الإسلامى بالاشتراكية ؟

ج : إذا كان الهدف الأول من الأديان عامة إصلاح حال الناس وإسعادهم فإن الدين الإسلامي على وجه الخصوص إنما جاء من عند الله لينقذ البشرية من الأوضاع الفاسدة وليحفظ للإنسان كرامته وفرصته في الحياة . فهو يشجعه على العمل ويعقد أواصر المحبة والتعاون على البر والتقوى بين الناس وهذه هي الأسس التي من أجلها جاء الإسلام فأنقذ الناس من الطغيان وتحكم بعضهم في بعض وأنقذهم من من الضلال والشرك ورسم لهم حياة طيبة متحابة متعاونة وشجعهم عليها ، وعلى هذا الأساس ، فإننا نقول : إن الاشتراكية بمعنى النظام الاجتماعي المبني على الإيمان بوحدانية الله ، والإيمان بالمثل العليا ، والعمل على تحرير الفرد والمجتمع من تحكم وسيطرة رأس المال ، هذا النظام الذي يهدف إلى تحقيق المساواة والعدالة بين الناس ويعطي كل فرد فرصته المتساوية في الحياة وفي العمل وفي الحقوق والواجبات ، هذا النظام الاشتراكي يشجعه الإسلام ويحتضنه ، ونعتبره تنفيذاً عملياً لمبادئ الإسلام .

س : ما رأي سيادتكم في معنى الثورة أو ما هي الثورة ؟

ج : الثورة فيما أعتقد ما هي إلا محاولة الخروج على الأوضاع الفاسدة ومحاولة تغييرها بأوضاع أصلح للناس وللمجتمعات الإنسانية وبهذا المعنى نحن نستطيع أن نقول : إن الإسلام نفسه كان ثورة على الاوضاع الفاسدة من ناحية العقيدة . فهو ثورة على الشرك والوثنية . كما كان ثورة على الأوضاع الفاسدة الاجتماعية فكان ثورة على الإقطاع وكان ثورة على التفرقة بين الناس بغير العمل النافع وكان ثورة على كل ظلم يحيق بالإنسان وعلى كل طغيان يقع من إنسان على إنسان ، ونحن إذا رجعنا إلى تاريخ الإسلام عندما بعث به الرسول عليه الصلاة والسلام نجد أن الرسول بعث في مجتمع كان يسوده الإقطاع كما كان يسوده الطغيان وكانت تسود فيه الوثنية ، فنادى الإسلام بأن الله إله واحد وبأن المعبود هو الله وحده وعلى الناس جميعاً أن يرتفعوا بأنفسهم عن عبادة الوثن الذي لا يضر ولا ينفع وأن يعبدوا الواحد القهار خالق الخلق ومالك الملك ، ولقد ثار الإسلام أيضا على التفرقة بين الناس ، فنادى بأن الناس أخوة « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » فالإسلام بهذا قد أعطانا عدة مبادىء :

أولا : أن الناس أخوة ومعنى هذا أنهم متساوون في الحقوق والواجبات ، ثم إن الناس حينما افترقوا وتشعبوا إلى شعوب

وقبائل فالواجب عليهم أن يتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى .

ثانيا : أعطى مبدأ التقييم السليم الصحيح، فقرر أن قيمة الإنسان ليست بنسبه ولا بحسبه ولا بلونه وإنما بعمله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وهذه النظم والمبادىء التى جاء بها الإسلام هى من عند الله العليم الخبير الذى يعلم كل شىء والذى يحيط بكل شىء علما ، والذى يضع الأمور فى أحسن وضع، ولهذا فعلينا أن نمتثل . وعلينا أن نعمل بهذه المبادىء القويمة ، فالإسلام ثورة فى مبادئه على كل النظم الفاسدة ، وعلى هذا الأساس فنحن نؤيد الثورة التى تعمل لخير الإنسان والتى تعمل على رفع الظلم ودفع العدوان وإحقاق الحق .

س : أؤكد بعد دراستى للخلافات والفروق الموجودة بين الناس وبين النظم الاجتماعية أنه يمكن حلها بطريق السلام وبدون اللجوء إلى القوة وفى اعتقادى أن التعاون بين النظم الاشتراكية يمكن أن يحقق الوجود السلمى، فما رأى سيادتكم فى امكانية ذلك ؟ .

ج : إن المجتمعات البشرية بطبيعتها يمكن أن تختلف إلى نظم وشعوب مختلفة . وذلك ناتج عن حرية التفكير الإنسانى . فالانسان يختار لنفسه النظام الذى يعتقد صلاحيته له ، هذا أمر طبيعى ولا شىء فيه ، ولكن يمكن ولا شك أن تلتقى النظم المختلفة . على الوئام والسلام .على شرط أن يحفظ كل نظام للآخر حريته فلا يخدشه ولا يحرجه ولا يعمل على تغييره بالقهر والقوة . وما دامت النظم المختلفة يمكنها أن تعيش وتتفاهم بحيث إن كل نظام يحتفظ لنفسه بما اختاره فحينئذ يكون الأمر طبيعيا ومشروعا ، ونحن إذن نحبذ التعايش السلمى بين النظم المختلفة . .

السودان :

● طلبت حكومة السودان من الأزهر موافاتها بالمناهج الدراسية الخاصة بمعهد القراءات التابع لإدارة المعاهد الأزهرية ، وذلك للعمل بها فى معهد القراءات الذى تقرر إنشاؤه فى السودان .

مجلس الأمة :

● قدم النائب الشيخ محمد حافظ سليمان عضو مجلس الأمة ، اقتراحا بإدماج وزارتى الأزهر والأوقاف فى وزارة واحدة وسيناقش الاقتراح فى جلسة يحضرها السيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الأوقاف وشئون الأزهر .

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

greeting and there they shall abide for ever : a blessed dwelling and a blessed resting-place."

And it says in the Tradition of the Prophet :

من شهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل .

(Whoever witnesses that Allah alone, without partner, is God, that Muhammad is both His servant and His Apostle, that Jesus is no more than Allah's servant and Apostle and His Word which He cast to Mary, and that Paradise and Hell are true, Allah shall admit him to Paradise notwithstanding whatever works he might have done).

من شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار .

(Whoever witnesses that there is no other God than Allah and that Muhammad is Allah's Apostle, Allah shall forbid him the Fire).

يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان .

(He his sure to get out of Hell whose heart fostered an atom's weight of faith.)

من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة .

He is sure to enter the Garden who has avowed, "I content myself with Allah for God, Islam for Faith and Muhammad for Prop. et.

إذا أسلم العبد فحسن إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله تعالى .

(Having embraced Islam, should a man conduct himself with becomingness, ten-fold and even more up to seven hundred-fold shall be recorded every good work he does, whereas every ill-deed he commits shall be recorded the like of it only, until he meets Allah — exalted be He).

من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

(He will enter the Garden whose last words are ; "There is no other God than Allah).

(to be continued)

bondage to material and passions. In fact, such aspects of unseen idolarty as the worship of wealth, benefit and magnanimity, with all the evils that inevitably come out of it, contradict monotheism and will not concord with "there is no other God than Allah".

Resorting to the Qur'anic and the Sunnite demonstration of the faithful, we find wonders that lift hearts up. It sayes in the Glorious Book :

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » (الأنفال)

It means : "The true believers are those whose hearts are filled with awe at the mention of Allah, and whose faith grows stronger as they listen to His revelations, They are those who put their trust in their Lord, establish worship and bestow in alms of that which We have given them. Such are the true believers ; for them are high grades of honour with their Lord, and pardon and a bountiful provision."

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ... » (الآيات ٦٣ - ٧٦ الفرقان)

It means : "The true servants of the Merciful are those who walk humbly on the earth and say : 'Peace' to the ignorant who accost them, who pass the night standing and on their knees in adoration of their Lord, who say : Lord, ward off from us the punishment of Hell - for its punishment is untold anguish - a wretched dwelling and a wretched resting-place', who are neither extravagant nor niggardly but keep the golden mean, who invoke no other god besides Allah and do not kill except for a just cause - manslaughter is forbidden by Him, who do not commit adultery (for he that does this shall meet with evil : his punishment shall be doubled on the Day of Resurrection and in disgrace he shall abide for ever - unless he repents and believes and does good works, as then Allah will change his sins to good actions. Allah is forgiving and merciful, and he that repents and does good works truly returns to Allah), who do not bear false witness and do not lose their dignity when listening to prophane abuse, who do not turn a blind eye and a deaf ear to the revelations of their Lord when they are reminded of them, who say : 'Lord, give us joy in our wives and children and make us examples to those who fear you.' These shall be rewrded with Paradise for their fortitude. There they shall find a welcome and a

From the Tradition of the Prophet :

FAITH - II

BY : SOLIMAN BARAKAT

Muhammad, blessed be he, did not pretend then to point man to a way in which he might subject Allah, exalted be He, to his full grasp. Yet, Muhammad is Allah's servant and Apostle ; (Rasûl) Allah sent him forth with guidance and true faith so that he might exalt it above all religions. His ancestry, the conjunctures of his birth and upbringing, his name, the fact that his birth marked the beginning of the end for many a colossus of evil and deviousness, the sort of man he was, the care Allah embraced him in, and, last, his mission, all these tell us he was the Prophet whom the Gospel had told men to await. A paragon of innocence and purity, he lived among his people for forty years hinting neither at mission nor at prophethood and dreaming neither of leadership nor of sovereignty. Then, when he was past young age, and mature in both mind and body, he called men to faith and piety whereas Allah supported him with the miracle of the Glorious Qur'an.

Does this mean that Islam denies man's intellect the right of grasping a complete idea of Allah ? Yes (on the earth, in the least,) to be sure ; and here lies the significance of the name Islam. On one hand, it is not intellect alone that Islam addresses ; it also adresses intuition, conscience and feeling. On the other hand, Allah willed it that man's worship should not be so automatic and strife-less as reflex actions. No wonder then that the Prophet who said, "Meditate upon Allah,s creation but do not meditate upon Himself or you shall perish", said also, "By Him in whose hand lies my soul, should you not err, Allah would destroy you and bring other men into being who would err and then seek His pardon, and whom He would absolve."

There is no great difficulty, however, that a man believes in one God. The difficulty arises when monotheism has to change from a belief into a state, For negation of idolatry in one's words and works is based on the denial of all forms of idolatry from one's heart and soul. But this is a degree attained only by those who have freed themselves from

Once a man said to Prophet Muhammad : O Prophet, tell me about the best thing that secures to me the entry of Paradise ? Muhammad replied : his wealth, his wealth ; namely to spend his money in aiding others, to worship only God Almighty to observe prayers and give alms and to keep close relations with your relatives. Jareer ben Abdullah said : I made a pledge to the Prophet — Peace be upon him — that I shall pray, give alms and advise all muslims.

God calls on people not to treasure their wealth as well as not to over spend them. He advised them to spend money where it is justified. He also warns them not to be conceited in their contributions and alms. He says O faithful, do not follow your alms with favour and harm. God accepts only well-brought alms. He increases them and He abhors sinful disbelievers.

Prophet Muhammad said, "God accepts under His shade seven groups of people when there is no shade but His : a just Imam, a youth who grows up in worshipping God and likes to pray in Mosques — this explains the importance of Prayers in Islam ; two disinterested friends who meet and depart from each other for the sake of sincere friendship and fraternity ; a man tempted by a womna and refuses her temptation saying I fear God the Lord of the world ; a contributer who gives alms without letting his left hand knowing what he does with his right hand ; and a man who sheds tears whenever he remembers Allah.

Therefore, to give alms to the poor, satisfies the giver and the receiver. This makes them closer to each other, for they are translating the teachings of Islam into action. This action enlightens human souls and hearts.

The fourth basis of Islam is fasting. This has been imposed upon those preceded them, but it is characterized in Islam by a true spiritual signs. It urges muslims to have patience and to stick to right actions; these are good values and manners which a human being should possess. Because they can make him pious and sincere. Fasting, no doubt, teaches the human being to be patient and restrains himself, besides it makes him come closer to his Creator.

inspiration, and promotes fear and hope in the faithful hearts, for prayer prevents evil and abuse, and the name of God is the greater.

Praying strengthens good intentions, it leads to good behaviour and treatment among Muslims and other people ; it also cements relationships and praying in groups calls for communion and cooperation as well as sympathy. In this respect God says :

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» .

It means : "O Man we have created you from male and female and made you nations and tribes to acquaint with each other". Also, Prophet Muhammad said, "Do you like to know who would be the dearest and the nearest to me at the Resurrection ? They asked who would be those people ? He said those who have best manners, who love people and are loved ; but those who would be most detested and farthest away of me are the talkative and the sophisticated.

Praying in groups leads to sym pathy and cooperation among people in a mosque, besides the prayers of Al Guma'a (Friday) strongly confirms this fact, hence God's prohibition of trading and selling during the prayers time, and He urges people to observe this prayers.

Imam El Boukhari quoted Huthifa as saying : I heard Prophet Muhammad saying : Man's sins and his happiness in his family and property will be forgiven by his prayers, fasting and alms. Abu Horreira quoted Prophet Muhammad as saying : Those who were considered as prayers would be called from the prayers' gate and those who were fighting for the sake of God, would be called from the holy fighteres gate, this also applies to those who observed fasting and contributions". Abu bakr said : could any one be called from all these gates ? Muhammad said, "yes, and I hope that you would be one of them".

Alms giving (Zakah) is the third basis of Islam ; this basis calls for fraternity and mutual asistance as well as mercy. It eliminates class distinctions, and removes the gap between the rich and the poor. If people are sympathetic towards each other there will be no hunger or poverty.

'Zakah, is order by God aims at eliminating famine and starvation; it gives the poor, the have-nots a share in the rich's wealth ; God prevents usury and steps up alms, He accepts repentance from His worshipers and accepts alms, which are for the poor.

THE FOUNDATIONS OF ISLAM
AND THEIR PSYCHOLOGICAL EFFECTS

By

DR. GAMAL EL DIN EL RAMADY

The foundations of Islam have great psychological impacts, and grand spiritual purposes. They are not decisions, laws or judgments to be observed without a rational basis or a legal ground. They are not imposed at random, without consideration or wisdom; indeed they grand psychological lessons which carry the human soul to the highest degree of perfection.

The first foundation, namely, the oneness of God, means that a human being must believe in one sole God, this oneness of God brings stability and peace to the soul, evokes satisfaction and security in the heart. It also makes men attached to one sole God, who owns everything and has the destiny of Mankind in His hands; in this respect God says: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

It means: "If there were therein gods besides Allah, then verily both (the heavens and the earth) had been disordered". This, of course, fits in with the nature of things. For if in this limitless universe are more than the one sole God, then all things will go the wrong way, and it will turn into chaos and confusion. This, however, will be a very ugly state of affairs. Because if one god likes it to be day the other would prefer it to be night, there may be contractions and contrasts all over and the universe will be unstable and uncontrolled without order or system.

Undoubtedly, the belief in God's oneness brings peace to human soul, it finds relief in Him and asks His help and aid in distress and pain.

Besides, to believe in Muhammad's mission is to believe in Islam and the coming of this mission into being as well as in the Glorious Qur'an revealed unto His servant to guide all people to the right path. God had selected Muhammad to carry this mission, which thing he did in the best clearest way possible, then he died after the completion of this mission.

As for the second basis, namely the prayer, it contains heavenly

without teaching or guidance. That is why the Quran calls good as "ma'ruf" (معروف or "the known". and calls evil "munkar" (منكر) the "unknown" or the "denied." The Qur'an sayes :

« ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » . (سورة الشمس)

It means : "By the soul and the proportion and order given to it. And its enlightenment as to its wrong and its right. Truly he succeeds who purifies it. And he fails who corrupts it."

If moral feeling is innate in human heart, why, do we hear about different ethical systems? And what is the meaning of our assumption that Islam has its own moral method to reform individuals and societies?

The difference between the ethical systems of Islam and the other systems goes back to the Islamic view toward our universe, which may be centered around these questions : Is there a Creator for this universe ? If so, is He one or several ? What are His atiributes ? What is the relation between us and Him ? Did He will our guidance ? Are we responsible before Him ? And what is the purpose our life and what is our destinty ?

To answer all this, we can say that there is a God to this universe, and He is One God. This wonderful uinverse is running according to His Will and Order. He is Wise, Powerful, Knower of everything. Man by his nature is created as a servant to God, to act according to His ordinances and the purpose of his life is complete servitude to his Creator. God sent Prophets and messengers to guide His servants to the right way. Man is created to be charged with responsibilities, for which he will account for in front of his Lorod in the Hereafter. Therefore, his objective must be the Love and Grace of God. This objective is obtained by following the orders of God and His guidance.

This is the basic difference between the ethical system of Islam and other systems.

Thus, this middle course of behaviour is just a lawful way of conduct, and does not invite punishment or reward. We notice the three types of conduct in many places in the Holy Qur'an. We read for example :

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما . إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا » . (سورة النساء)

It means : "God loves not that evil should be made public execpt one who has been wronged, God is ever Hearer, Knower. Whether you publish a good deed or conceal it or forgive evil, verily God is Forgiving, Powerful".

God, the Almighty, in these verses forbids oppression and aggression, which invite His anger, except in case of one who was oppressed, and even so he is advised not to act for revenge. The verses are concluded by pointing out to high and noble course of conduct, what is forgivensess. The person who forgives is really acting according to the Divine Manner. God is described as the One Who forgives sins while He is able to punish. And if God is forgiving for His sinful servents, why man does not forgive for his fellow man if he seeks the forgiveness of his Creator ?

This is the method of Islam which elevates man over the degradation of selfishness and brings him up to the noble position of altruism.

Are virtues and moral excellences changeable according to different times and places or they are stable and unchangeable ?

Moral feeling is innate in human heart. Tough this feeling differs to some extent still moral judgment that virtues are good and vices are bad is almost universal. Truthfulness, justice, and fulfilment of promise-all are virtues which are praised in all societies. Humanity in any stage of history did not approve falsehood, injustice, or treachery. The case holds true regarding all other virtues and vices which are universally agreed upon.

As to social virtue or evil, it also comes under the same consideration. Good societies are universally known to be the societies in which order and peace prevail. On the contrary, disorder, chaose disunity and hatred are the evil elements which destroy the society.

Therefore' we can state that ethical rules are stable facts which are not subject to change in any place or time. Good and evil are obvious to everybody. Moral feeling is made innate in human heart

parable of a group of people who rode aboard a ship, some of them happend to ride on the top of the ship, and the others in the bottom. Those in the bottom tried foolishly to pierce the bottom of the ship to get water and save the trouble to going up the ship and getting the water from the sea by the bucket. Now if the people on the top did not stop the foolish action of the other group in the bottom, both will drown. But if they prevent such crazy idea, both will be safe. Such is the case of the good and the bad people in the society. If the good poeple do not estand collectively in the face of the bad elements in the society, the result will be general harm to all. This is the positive aspect of the ethical system in Islam.

The negative espect is based on the principle of boycott. Boycotting the bad people and avoiding them, to be away from their evil habits and behaviour is an example for the negative method. The example about this from the Holy Qur'an is that of those three persons who stayed behind and refused to join other believers in participating in war for the cause of God, during the battle of Yarmuk. The Prophet ordered the believers to boycott them, until God had forgiven them.

What is the position of Islam regarding the three social types of people, who are either to take the middle road in behaviour, to be in the bottom of bad conduct, or to be on the top of moral excellence ?

People in their behaviour differ into three groups :

The first group is those who like to be prised over something good which they did not do. Such people used to commit crimes and charge the inocent people with it. They try always to get but not to give or at least to take more than to give.

The second are those who balance their rights and duties : they give to other as they are eager to take from them.

The third are those who do not wrong others whatsoever. They try to give more than to take.

These three kinds of people represent the ethical trends of selfishness, altruism, and equality.

The position of the Holy Qur'an regarding these trends is that it considers one virtue to be on the top of all virtues, that is altruism. There is also one vice which is put in the bottom of all vices, that is selfishness. The middle course in between which is called equality, it is not considered by the Qur'an neither a virtue nor a vice, though it was considered by the Greek ethics to be the mother of all virtues.

The Basis of the Ethical System in Islam

BY

ABDUL WADOOD SHALABI

It is known fact that society is the basis of the state. If this basis is sound and strong, the state will be likewise. Individuals are the elements of the society, and the strength of the society depends upon the good conditions of the indinviduals. The conduct and behaviour of the individuals differ within the general structure of the society. Some times the behaviour of the individuals strengthens and supports the society, and in other cases such behaviour destroys its structure. Sound morality is the criterion of the good society. The social reformers have to use the measure of the ethics if they want to elevate the conditions of any society. Society needs common consciousness to oppose the bad elements within social structure. Islam has its own way in social reformation. This way has its positive and negative aspects. The positive aspect includs the enjoining what is good and forbidding what is bad whether on the individual or the group level. The Holy Qur'an says :

« يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر » . (سورة لقمان)

It means : "O my son ! Establish prayer and enjoin what is good and forbid what is bad". And :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . (سورة آل عمران)

It means : "You are the best nation brought forth for humankind, you enjoin what is good and you forbid what is bad and you believe in Allah". And :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله » . (سورة الحجرات)

It means : If two parties among the believers fall into a quarrel, make you peace between them, but if one of them transgresses beyond bounds against the other, then fight you all against the one that transgresses until it complies with the command of God . . . "

The Prophet describes the collective social responsibility with the

It means : "If you do not help him, yet God has helped him already, when the unbelievers drove him forth the second of two, when the two were in Cave, when he said to his companion, 'sorrow not, surely God is with us'. Then God sent down on him His 'Sekîna', (calmness) and confirmed him with legions you did not see and He made the word of the unbelievers the lowest ; and God's word is the upper most ; God is All-Mighty All-Wise. Go forth, light and heavy ! Struggle in God's way with your possessions and your selves ; that is better for you, did you know." (9 : 40 — 41)

After three days the Qureysh slackened their efforts. On the evening of the third day the Prophet and Abû Bakr left the cavern on two camels, procured with great difficulty, by unfrequented paths, to Medîna. But even here the ways were full of danger. The heavy prise set upon Muhammad's head had brought out many horsemen from Mecca, and they were diligent in search of him. Once a powerful horse man actually caught sight of the fugitives and pursued them. When the wild and firece warrior approached them Abû Bakr cried : "We are lost"; but the Prophet said : "Be not afraid, God will protect us". Upon nearing Muhammad and Abû Bakr, the horse of the idolater reared and fell. Struck with sudden awe he entreated the forgiveness of the Prophet and asked for an attestation of his pardon. This was given to him on a piece of bone by Abû Bakr. They continued their journey, without further molestation and distrubance but under a severe June sun.

After three days' journeying the Prophet and Abû Bakr reached the turritories of Yathrib. They rested for four days at a village called 'Qubâ', few miles south of Yathrib. He found there many Muslims and there Ali also joined them, journeyed from Mecca on foot, hiding in the day time and travelling only at night. In this period of days the Prophet built the first Mosque in the world. The Banû Amr bin Auf, to whom the village belonged, requested the Prophet to prolong his stay amongst them. But the duty of the Prophet lay before him, and he proceeded towards Yathrib, attended by a numerous body of his disciples. Thus the Prophet entered the city on Friday, 16th of Rabî' Awwal (2nd of July 622 A. D.). With his advent to Medîna a new era dawned in the history of Islam.

of the assassins fixed upon his bed, the Prophet asked Ali to put on the Prophet's own green garment and to lie on the bed. He also told Ali to remain in Mecca for a few days so as to return the belongings of persons who had entrusted them to him for safe keeping. Then the Prophet departed from his house at a moment when the assassins were unaware of his intention. It is reported that a peep slumber over took the conspirators that moment and the Prophet walked among them. He went straight to the house of Abû Bakr and they walked together unobserved from the city of their birth, to a cavern in "Mount Thawr", which was a few miles to the south of Mecca. They lay hide for three days in the cavern, and all this time the Prophet and Abû Bakr were sustained by food brought to them at night by the daughter of Abû Bakr, Asmâ. She always walked to the cavern in front of the sheep which oblitrated her foot-prints, in order to cover all traces of her movements.

The news that Muhâmmad (peace be upon him) had escaped and the would - be assassins had returned unsuccessful, aroused the fury of the Qureysh and their whole energy. Their horsemen scoured the country searching everywhere for the two fugitives. A very handsome reward of a hundred camels was set upon the capture of Muhammad. Once or twice the danger approached so near the cavern, as some of the search party including a few of the selected youth, reached 'Mount Thawr' and saw the cavern. One of them said 'that they may be in that cavern', and some of them climbed to it and, then, saw a very old cobweb hanging over its entrance, and also a pigeon had laid eggs just in the entrance. Seeing this, one of them said 'by the look of that web it was there a long time before the birth of Muhammad. Hearing the voice of the search party so close, Abû Bakr approached the Prophet and touched him muttering : "If one of them had only looked down at his feet, he would hove seen us". the Prophet looked at him and said in deep faith : "Abû Bakr, what do you think of two, God is their third ? Grieve not, God is with us." The Holy Qur'an referred to this story of the cavern in the following verses :

« إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه ، لاتحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ». (التوبة)

Abû Bakr were the only notable Muslims left in Mecca. Thuroughout this period the Prophet remained bravely at his post; when the storm was at its height and might. Nobody could say whether he would leave Mecca or not. Before, he had ordered his friends to emigrate to Abyssinia while he remained and preached his mission at the city. Thus the Qureysh doubted his intention to leave Mecca. Even Abû Bakr asked permission from the Prophet to emigrate, but he said to him, "Do not hurry, for God may send with you a friend." The Qureysh were fully aware of the influence and power the the Muslims had in Medîna, especially in the way of trade with syriya. They were also aware of the danger of the emigration of Muhammad, and his appearance among the Muslims of Medîna. The clouds were gathering fast. The matter had become one of life and death for the Qureysh. An assembly of the Qureysh met in the town hall, called "Dar-el-Nadwa" and some chiefs of other clans were invited to attened. It was as a stormy meeting, for fear, of the escape of the Prophet, had entered their hearts. Inprisonment for life, or explusion from the city were debated in the meeting. Assassination was then proposed, but assassination by one man would have exposed him and his family to the vengeance of blood. Thus Abû Jahl suggested that a number of caurageous men, chosen from different families should strike simultaneously in Muhammad's bosom with their swords, in order that the responsibility of the deed might rest upon all the tribes represented, so that the relations of Muhammad would not be strong enough to avenge his blood. This proposal was accepted and a number of youths were selected for the execution should be carried out.

The Prophet was well aware of the murderous intention of the Qureysh but this did not prevent him from staying on Mecca until he received orders from God to emigrate. Receiving his Master's order to emigrate to Yathrib, he went to Abû Aakr and asked him to be his companion on the journey. The venerable Abû Bakr most decidedly agreed and both were ready to leave, but were sure that the Qureysh would prevent them. On the appoiented date, as the night advanced, the assossins posted themselves around the Prophet's dwelling. They watched all night long, waiting to murder him when he should leave his house in the early dawn. They were peeping now and then through a hole in the door to make sure that he still lay on his bed.

In order, to keep the attention

In the year 620 A.D., at the season of the yearly pilgrimage, he came upon a little group of six men from Yathrib, a city more than 200 miles away from Mecca, who heard him gladly. On their return to yathrib they told what they have seen and heard from the Praphet. At yathrib there were Jewish tribes with learned rabbis, who had often spoken to the pagans of a prophet soon to come among the Arabs with whom, when he came, the Jews would destroy the pagans as the tribes of Aâd and Thamûd had been destroyed of old for their idolatry. When the man from Yathrib saw Muhammad (Peace be up on him) they recognised him as the Prophet whom the Jewish rablis had described to them.

At the next season of pilgrimage a deputation came from Yathrib purposly to meet the Prophet. These deputies met the Prophet on the same spot which had witnessed the conversion of the former six. In that meeting they swore allegiame to the Prophet. This called, in the history of Islam, the first 'pact of Al-Aqaba', from the name of the hill on which the conference was held. They then returned to Yathrib with a Muslim teacher in their company and soon there was not a house in Yathrib wherein there was not mention of the messenger of Allah. In the following year, 622 A.D., at the time of pilgrimage, 73 Muslims from Yathrib came to Mecca to vow allegiance to the Prophet and invite him to their city. At Al-Aqaba, they swore to defend him as they would defend their on wives and children. Then the Prophet selected twelve men of position from among them as his delegates. Thus was concluded the second pact of Al-Aqaba. These delegates are called 'Naqibs'. This event occured in the month of Dhul Hijja.

The news of this pact spread among the Qureysh and they worried about the far-reaching danger resulting in the effect of the conclusion of the great pledge. It did not take long for the Qureysh to realise the effects of the Prophet's preaching and beginning of victory for his mission. The Qureysh started a furious persecution of the Prophet and his disciples. Fearing a general massacre, the Prophet advised his followers to leave for Medîna silently. About a hundred families left Mecca, separately, and proceeded to Medina, where they were received with enthusiasm, in order not to warn the Qureysh of the planned emigration.

All his disciples had left for Yathrib, and the Prophet, his devotde cousin Ali, and his intimate friend

the Prophet to a compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intercessors with Allah, or to make him their king if he would give up attacking idolatry.

The bitterness of the idolaters was increased by the refusal of his uncle 'Abû Talib' to let them kill Muhammad as well as by the conversion of Umar, one of their stalwarts. The Qureysh were now alarmed that Muhammad's preaching took a serious revolutionary movement and their power and prestige were at stake. They accordingly decided upon an organised system of persecution. The converts of the first four years were mostly humble folk unable to defend themselves against oppression, so the Prophet advised all who could possibly contrive to do so to emigrate to Abyssinia. In spite of cruel persecution and emigration, the little company of Muslims grew in number. While the desciples of Muhammad were seeking safety in other lands from the persecution of their enemies, he himself stood bravely at his post and amidst every insult and outrage pursued his mission.

Again they came to him with promises of honour and riches, to seduce him from his duty; always the reply was, full of life and full of faith : "I am neither desirous of riches nor ambitious of dignity nor of dominion. I am sent by God Who has ordained me to announce glad tidings unto you. I give you the words of my Lord; I admonish you. If you accept the message I bring you, God will be favourable to you both in this world and the next; if you reject my admonitions, I shall be patient, and I leave God to judge between you and me". The idolaters grew more and more embitered and they decided to ostracise the Prophet's whole clan and protectors. With that purpose they, in the seventh year of the mission, towards the end of 616 A.D., formed an alliance against the descendants of Hâshim and Muthalib. They bound themselves by a document, which was deposited in the Ḳa'ba, to the effect that not to enter into any contract of marriage with the Hâshimites or to buy and sell with them. Then, for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold which was situated in one of the mountain passes which run down to Mecca. Only at the time of pilgrimage could he go out and preach or did any of his kinsfolk dare to go into the city. Towards the tenth year of the mission, 619 A.D. the ban was removed and the Prophet was again free to go about the city.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

MUHARRAM 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	APRIL 1968

The 'Hijrah' - The Emigration

OF THE PROPHET FROM MECCA TO MEDINA

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The migration of Prophet Muhammad (Peace be upon him) from Mecca to Medîna was the turning point in the history of Islam. This important event happened at the age of fifty — three, after the thirteen years of his mission. The departure of the Prophet from Mecca to Medîna commenced on the 4th of Rabî' Awwal (corresponding with the 20th of June 622 A. D.) and he entered Medîna (Yathrib) on Friday, 16th of Rabî' Awwal (2nd of July 622. A. D.). The 'Hijrah' year or the era of 'Hijrah' was instituted seventeen years later by the second Caliph, Umar, when he officially proclaimed the year of the Hijrah as the 1st year of the Muslim era. However, the months of the lunar year were retained and Muharram was kept as the first month of the Hijrah year. On the beginning of the Hijrah year, it is good to review the events leading up to this important happening which marked the greatest moment in the history of Islam.

For the first three years of his mission, the Prophet preached only to his family and his intimate friends. At the end of the third year he received the command of God to preach his mission in public. It was then the 'Qureysh' became actively hostile. At the season of the pilgrimage they posted men on all roads leading to Ka'ba, to warn the tribes against Muhammad (peace be ubon him) who was preaching in their midst. They tried to bring

الفهرس

English Section

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشاً فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثانى - السنة الأربعون - صفر ١٣٨٨ هـ - مايو سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان وحده كان سر الفتوح

بقلم : أحمد حسن الزيات

أرأيت ذلك الصوفى التقى الواصل يمتلىء قلبه بحب الله ، ويفنى وجوده فى وجود الله ، كيف يستعذب العذاب ويستحلى الصعاب ويستمرىء الجوع ويستلين الخشن وتنقلب الدنيا فى عينه إشراقة من الفردوس ، وفى نفسه نشوة من الرحيق ، وفى خياله عالما من الحور . فلا يشعر إلا بالضياء ، ولا ينظر إلا إلى السماء ، ولا يفكر إلا فى لقاء ربه ؟ ! إن أشبه الناس به لهو ذلك المجاهد الفدائى المؤمن ، يستولى عليه إخلاصه لدينه أوحبه لوطنه فينسى نفسه ويذكر الله ، ويبيع روحه ويشترى الجنة ، ويعتقد أن الله أكبر من كل كبير ، وأقدر من كل قدير ، وأعلى من كل على ، فيهاجم الجيش الكثيف ولا يخشى ، ويقتحم الخطر الداهم ولا يبالى ، وتتجلى له قوة الله فى المعركة ممثلة فى الملائكة والروح ، محققة بالنصر أو بالشهادة - وفى النصر إظهار الدين وسلطان الدنيا ، وفى الشهادة لقاء الله ونعيم الآخرة - فتصبح قوته بالإيمان أضعاف قوة عدوه ، فلا يحفل الكثرة ولا يرهب السلاح ولا يخاف الموت .

ولن تجد فى سير الشهداء والصديقين من أخذ الإيمان بالله بمجامع قلبه فاستبرد فى سبيله النار ، ولاذ من مكروهه بالصبر ، كبلال

ابن رباح ، وعمار بن ياسر ، وعامر بن فهيرة ، وخباب بن الأرت ، وغيرهم من ضحايا الشرك وصرعى الجهالة ؛ فقد كانت أناتهم من سوء العذاب ، وزفراتهم من حر الأذى ، تصعيدا لكلمة الله فى آفاق الجزيرة ، وتمهيدا لسلطان العرب فوق الأرض . ثم فعل الإيمان فعله بالقلة القليلة والفئة الذليلة ففروا إلى يثرب من الفتنة ، واستعانوا بالصبر والصلاة على الكفر ، وخرج بهم القائد الأعظم إلى وادى بدر وهم ثلاثمائة يتعاقبون على سبعين نضوا من أباعر المدينة ليلقوا أبا جهل فى قرابة ألف من صناديد قريش يموجون فى الخيل والحديد ، ويجيشون بالغل والحفيظة . وكان الرسول الكريم قد رأى بحكمته العليا أن يستطلع رأى القوم فى هذه الغزوة على هذه الحال فقال المقداد ابن عمرو : « امض يا رسول الله لما أمرك الله به فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك ومن خلفك . فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (الحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه » وقال سعد بن معاذ : « امض يا رسول الله لما أمرت . فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد » .

ثم كانت معجزة الإيمان ففاضت الحياة على الناس من هذه البئر . واتصل الماضى بالمستقبل من هذه السبيل ، وبدأ التاريخ عهده الجديد من هذه الموقعة .

ثم تغلغل الإيمان فى قلوب المسلمين وعمق واتسع حتى بلغ حد الفداء والاحتساب فيقول بعض المهاجرين من الأعراب وقد قسم له الرسول الكريم شيئا من الغنائم فى بعض الغزوات : ما هذا ؟ فقال : قسمة لك . فيقول: ما على هذا اتبعتك يا رسول الله ولكنى اتبعتك على أن أرمى هاهنا بسهم (وأشار إلى حلقه) فأموت فأدخل الجنة . فأجابه الرسول إن تصدق الله يصدقك . ثم كانت غزوة أخرى فأتى به النبى محمولا قد أصابه سهم حيث أشار . فقال النبى صلوات الله عليه : (أهو هو؟) قالوا نعم . فقال صدق الله فصدقه ، ثم كفن فى جبة النبى وقدم فصلى عليه ، وقال فيما جهر به من صلاته : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا وأنا على ذلك شهيد » .

ويقول الرسول المجاهد وهو يحرض المؤمنين يوما على القتال : (والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة)

فيقول حمير بن الحمام وبيده تمرات يأكلها : بخ بخ ! ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم يقذف التمرات من يده وهو جائع ويأخذ سيفه ويقاتل حتى يقتل !

ويصيح عكرمة في موقعة اليرموك بشباب العرب : من يبايع على الموت ؟ فتفعل فيهم هذه الكلمة فعل السحر فيندفقون على علوج الروم بالسيوف حتى لم يبق منهم إلا جريح أو شهيد .

ويتقدم في القادسية شيخ جليل فتقطع يداه ورجلاه ، ويراه الراءون يفحص في التراب فيسألونه : من أنت يا عبد الله ؟ فيجيب : رجل من الأنصار من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا .

ويحاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا منيعا فيندب الناس إلى اقتحام نقب في سوره ، فيه الخطر اليقين ، ولكن فيه الفتح المبين ، فيجيء فدائي من عرض الجيش فيدخله فيفتح الله عليهم بدخوله ، فينادي مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فلا يجيبه أحد . فينادي انني قد أمرت صاحب أذني أن يدخله على ساعة يجيء فنشدته الله إلا جاء .

وتمضي هنيهة ثم يقبل رجل على الآذان يسأله أن يستأذن له على الأمير . فيقول له : أنت صاحب النقب ؟ فيقول أنا أدلكم عليه . فلما دخل على مسلمة قال : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ألا تسودوا اسمه في صحيفة الخليفة ، وألا تأمروا له بشيء ، وألا تسألوه من هو ، قال فذلك له . قال : أنا هو . ثم ارتد مسرعا .

فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

* * *

بهذا الروح المنبثق من روح الله في نفوس المجاهدين خرج البدريون إلى أئمة الكفر من أبطال قريش فكبكبوهم قتلى في وادي بدر وعادت الفئة القليلة إلى يثرب بالنصر والأسرى ، وعادت الفئة الكثيرة إلى مكة بالهزيمة والجرحى .

وبهذا الإيمان الصادق المبثوث من دين الله في دماء المؤمنين خرج بدو الجزيرة من أجواف الأودية وأعماق القفر ضئال الجسوم قلال العـــدد ضعاف القوة إلى لقاء الامبراطوريتين اللتين تقسمتا يومئذ ملكوت الارض فقوضوا الإيوان على ملك كسرى ، وحطموا العرش على سلطان قيصر .

وبهذا الشعور القدسي الذي ينبعث ويقود وبهذا اليقين النفسي الذي ينتصر ويسود ، يقف الفدائيون اليوم من رجال المقاومة في فلسطين من بني إسرائيل الباغية المحتلة وقفة الأسود عاثت في عرنها الثعالب

والضباع ، يتفجرون عليهم بالمنايا السود فى كل بكرة وعشية ، ويفجأونهم بالدواهى النكر فى كل مكمن ومأمن ، لا ينكلون أمام الرصاص ، ولا يرهبون وحشة السجن ، ولا تكسر من بأسهم نذالة العدو من نسف القرى واستحياء النساء واعتقال الضعفاء وتعذيب الأسرى . ذلك لأن العاطفة الوطنية قبس من العقيدة الدينية ، فهى فناء فى الغيرية ، واندماج فى الجمعية ، وتوجيه للأمل المشترك إلى المقصد الأسمى . فإذا خلا القلب من تقوى الله وتجرد الشعب من روح الدين ، فقدنا السر الذى يجعل من الضعف قوة ومن القلة كثرة ومن اليأس أملا ومن الشتات وحدة ، وعاد مجتمعنا كمجتمع القطيع يفتقد السيادة فى نفسه ، ويستمد القيادة من غيره .

كذلك كانت الحال فى العراق والأندلس: توهج نور الإسلام فى القلوب فضاءت الطرق ، واتضحت المعالم وفتحت الممالك ودانت الأمم واستوثقت الأمور ، ثم خبا ذلك النور لضراوة المادة وتحكم الشهوة وتسلط العصبية وتفرق الكلمة ، فكثر المترفون فغلب الفسق ، وتعددت العروض فضعفت الخلافة ، واستكانت النفوس فمات الجهاد ، وإذا مات الجهاد بالأموال والأنفس فى سبيل الله ذل الجانب وصغر الشأن واستطال العدو وأصبحنا على الحال التى تنبأ بها الرسول صلوات الله عليه إذ قال : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : أو من قلة نحن يارسول الله يومئذ ؟ قال : لا . انكم حينئذ لكثير . ولكنكم غثاء كغثاء السيل . فقال قائل : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » .

يريد الرسول الكريم بحب الدنيا وكراهة الموت القعود عن الجهاد والنكوص فى الحرب . وإن لنا فى رسول الجهاد الذى استأصل بنى إسرائيل من المدينة بالقتل والنفى اتقاء لشرهم وأمانا من مكرهم أسوة حسنة . وبنو إسرائيل فى الحجاز هم بنو إسرائيل فى فلسطين ، وفعل الرسول كقوله سنة يتبعها جميع المسلمين ؟

أحمد حسن الزيات

"الواو" التي قيل إنها زائدة وليست كذلك

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج

— ٢ —

(آية الزمر)

قوله تعالى : «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» .

أقوال العلماء في الآية

(الطبري)

عرض ابن جرير بعض أقوال النحاة المختلفين في جواب «إذا» من قوله سبحانه: «حتى إذا جاءوها» هل هو مذكور في الآية أو محذوف ؟ وما يترتب على ذلك من زيادة الواو أو عدم زيادتها .

ومما نقله عن بعض نحاة البصرة ، إنهم يقولون : إن قوله تعالى: «وقال لهم خزنتها» هو في معنى : «قال لهم» وإذا تكون الواو فيه زائدة ، وأن مثل ذلك قد جاء في الشعر في قول الشاعر :

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن
إلا توهم حالم بخيـــال

قالوا فكأنه يريد : «فإذا ذلك»

ثم اختار الطبري القول بأن الجواب محذوف ، قال : لأن قوله تعالى : «وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» يدل على أن في الكلام متروكا ، إذ كان عقيبه: «وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده» فمعنى الكلام : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دخلوها وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده (تفسير الطبري ج ٢٤ ص ٢٤، ٢٥) .

وهذا الذي اختاره الطبري ، هو قول الزجاج ، كما سيأتي التصريح بذلك في كلام النسفي ، ثم هو الذي اختاره الجلال المحلي كما سنعرف .

(الفخر الرازي)

قال : إن الواو في : (وفتحت أبوابها) واو الحال ، كأنه قيل : جاءوها وقد فتحت أبوابها ، لأن أبواب الجنة تفتح قبل مجيء أهلها إليها ، بخلاف أبواب النار ، وذلك كما قال تعالى : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) ثم قال : إن جواب الشرط فيه وجهان : (الأول) : أنه محذوف ، والمقصود من الحذف أن يدل على أنه بلغ في الكمال ، إلى حيث لا يمكن ذكره .

(الثاني) : أن الجواب هو قوله تعالى :

(وقال لهم خزنتها سلام عليكم) ، والواو محذوف ، أى لأنها زائدة .

قال : والصحيح هو الأول : (تفسير الفخر الرازى جـ ٧ ص ٢٧٦، ٢٧٧) .

(النسفى)

قال النسفى : جواب إذا الشرطية محذوف ، وإنما حذف لأنه فى صفة ثواب أهل الجنة ، فدل بحذفه على أنه شىء لا يحيط به الوصف .

قال : وقال الزجاج : تقديره : (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (دخلوها) فحذف دخلوها ، لأن فى الكلام دليلا عليه . ثم قال : وقال قوم : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، فعندهم جاءوها محذوف ، والمعنى : حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها . وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها ، وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها ، لقوله تعالى : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) فلذلك جىء بالواو ، كأنه قال : حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها . (تفسير النسفى جـ ٤ ص ٥٢).

(الجلال)

وقال الجلال المحلى : إن الواو فى : (وفتحت) للحال بتقدير (قد) ، وجواب (إذا) مقدر ، أى دخلوها ، وعطف عليه : « وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده » ، ثم قال : وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم ، وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم (تفسير الجلالين جـ ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦) .

(الزمخشرى)

قال : إن جواب الشرط محذوف وإنما حذف لأنه فى صفة ثواب أهل الجنة ، فدل بحذفه على أنه شىء لا يحيط به الوصف ، وحق موقعه ، ما بعد (خالدين) . وقيل : حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها ، أى مع فتح أبوابها .

وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها ، وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها بدليل قوله : « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » ، فلذلك جىء بالواو ، كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها . (الكشاف جـ ٢ ص ٣٠٧) .

(أبو السعود)

وقال أبو السعود : وجواب (إذا) محذوف ، للإيذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ، ما لا يحدق به نطاق العبارات ، كأنه قيل : « حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » كان ما كان مما يقصر عنه البيان » . (تفسير أبى السعود على هامش تفسير الفخر الرازى جـ ٧ ص ٦١٣) .

(النيسابورى)

قال إن جواب : « حتى إذا » محذوف ، وحق موقعه ما بعد (خالدين) أى كان ما كان من أصناف الكرامات والسعادات ، فتكون الواو فى (وفتحت) واو الحال ، كأنه قيل : «حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها» وهذا معناه أن أبواب الجنة يتقدم فتحها على وقت دخول أهلها ، يشهد بذلك قوله تعالى فى آية أخرى : «جنات عدن مفتحة لهم الأبواب» (تفسير النيسابورى على هامش تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٢١) .

(الآلوسى)

قال : «وفتحت أبوابها» الواو للحال ، والجملة حالية بتقدير «قد» على المشهور ، أى جاءوها وقد فتحت لهم أبوابها ، كقوله تعالى : «جنات عدن مفتحة لهم الأبواب» ، وجواب (إذا) محذوف مقدر بعد (خالدين) للإيذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ، ما لا يحيط به نطاق العبارات ، كأنه قيل : «حتى إذا جاءوها مفتحة لهم أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» ، كان ما كان مما يقصر عنه البيان ، أو فازوا بما لا يعد ولا يحصى من التكريم والتعظيم .

وقال : وقدره المبرد : (سعدوا) بعد (خالدين) أيضا ، ومنهم من قدره قبل : (وفتحت) ، أى حتى إذا جاءوها جاءوها وقد فتحت ، وليس بشىء .

ثم قال : وقال الكوفيون : واو (وفتحت) زائدة ، والجواب جملة (فتحت) ، وقيل الجواب : «قال لهم خزنتها» والواو زائدة والمعول عليه ما ذكرنا أولا اهـ .

(روح المعانى ج ٢٤ ص ٣١) .

(النتيجة)

أنه يتبين من الأقوال ، التى قدمناها لأولئك العلماء فى الآية الكريمة ، أنهم جميعا متفقون على أن جواب الشرط فيها محذوف ، للعلم به ودلالة المقام عليه أو لأنه شىء بلغ من العظم والفخامة مبلغا لا يحيط به الوصف ، فلم يجز أحد منهم أن يكون شىء مما ذكر فى هذه الآية هو الجواب . لأن ذلك لا يكون إلا على أساس زيادة الواو فى قوله تعالى : «وفتحت أبوابها» أو قوله سبحانه : «وقال لهم خزنتها» . لم يجز ذلك أحد من هؤلاء العلماء ، وإنما حكاه بعضهم عن الكوفيين وبعض النحاة البصريين ، ثم عقب عليه بأنه لا معول عليه ، أو أن الصحيح خلافه .

حتى الطبرى ـ الذى كان قد ذهب مذهب بعض النحاة فى آية «الصافات» فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا» فقال كما قالوا : إن جواب «لما»

هو ناديناه ، والواو زائدة ـ لم يذهب هذا المذهب فى آية « الزمر » التى معنا ، بل قال : « إن أولى الأقوال عندى بالصواب هو قول من قال ، إن الجواب متروك » أى أنه محذوف العلم به .

إن مذهب النحويين الذين يجيزون أن تقع الواو زائدة فى بعض آيات الكتاب العزيز ـ لا وجه له . ولا سند يؤيده ، وليس له شاهد من كلام فصيح ، أو قول عربى صحيح ، أما الرأى السديد ، فهو الذى اتفق عليه المفسرون ، مخالفين فيه رأى أولئك النحاة : ذلك أن الأمر فى مواطن هذا الخلاف ، دائر على وجهين من الإعراب ، لا ثالث لهما .

« أحدهما » لا شاهد له ، ولا دليل على صحته من قياس صحيح أو استعمال صريح لا شبهة فيه ، وهو اعتبار أن الواو زائدة ملغاة لا تؤدى معنى ، وليس لزيادتها سر ولا حكمة .

« والثانى » واقع ومعهود ، وتكرر فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم ، وهو أن جواب الشرط محذوف لوجود ما يدل عليه أو لتفخيمه وتهويل الأمر فيه كما قال الزمخشرى وتبعه عليه جمع من العلماء كما قدمنا . وإذا تكون الواو أصلية لا زائدة .

وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يعدل فى إعراب القرآن الكريم أو تفسيره . عن هذا الوجه السديد المعهود ، إلى ذلك الوجه الغريب ، الذى أقل ما يقال فيه : أنه شىء لم يعهد فى كلام عربى فصيح ؟

وهنا نريد أن نختم القول ، بأن نورد طرفا من الآيات القرآنية ، التى قلنا إنه قد وقع فيها الشرط من غير أن يصرح معه بجواب ، اعتمادا على أنه معلوم من المقام :

(١) قال تعالى : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعا (٣١ الرعد) فجواب الشرط هنا محذوف ، قدره بعض المفسرين بأنه : « لكان هذا القرآن » ورجح ابن هشام فى المغنى أن تقديره : « لما آمنوا به » قال : لأنه يدل عليه قوله سبحانه فى الآية السابقة : « وهم يكفرون بالرحمن » .

(٢) وقال تعالى : « وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية » . (٣٥ الأنعام) .

فالشرط الثانى ـ وهو : « إن استطعت » لم يذكر له فى الآية جواب ، وتقديره : « فافعل » .

(٣) وقال تعالى : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون » (٤٥ يس) .

فجواب (إذا) فى الآية محذوف تقديره : (اعرضوا) ، ويدل عليه قوله سبحانه

- في الآية التي بعدها - « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » ، فهذه الآية ليست بذاتها جواب الشرط ، ولكنها دليل عليه .

(٤) وقال تعالى : « قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون » (١٩ يس) .

فالشرط في قوله : (أئن ذكرتم) لم يذكر له في الآية جواب ، وتقديره : (تطيرتم) .

(٥) وقال سبحانه : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون » (١٢ السجدة) .

فجواب : « لو ترى إذ المجرمون » محذوف وتقديره : (لرأيت أمراً فظيعا) .

(٦) وقال عز وجل : « كلا لو تعلمون علم اليقين » (٥ التكاثر) .

فجواب : (لو تعلمون) محذوف ، تقديره : لارتدعتم وما ألهاكم التكاثر .

« آية يوسف » :

قوله سبحانه : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » .

أقوال العلماء في الآية :

الجمهور الغالب من المفسرين ، على أن جواب (لما) مقدر ، لوجود ما يدل عليه ، ولتهويل الأمر فيه :

(١) قال الزمخشري : وجواب (لما) محذوف ، ومعناه : فعلوا به من الأذى ما فعلوا ، ثم سرد طرفا من الأذى الذي لاقاه منهم يوسف ، قال : « فقد روى أنهم لما برزوا به إلى البرية ، أظهروا له العداوة ، وأخذوا يهينونه ويضربونه ، وكلما استغاث بواحد منهم ، لم يغثه إلا بالإهانة والضرب ، حتى كادوا يقتلونه » .

(٢) وقد ذكر نحو هذا كل من « الفخر الرازي » و « النسفي » .

(٣) وقال « أبو السعود » : وجواب « لما » محذوف ، إيذانا بظهوره ، وإشعارا بأن تفصيله مما لا يحويه تلك العبارة وبجمله : « فعلوا به من الأذى ما فعلوا » ، ثم ذكر بعض ما كان من ألوان تعذيبه ، كما رواه « الزمخشري » .

وهذا الذي قاله « أبو السعود » هو الذي جاءت به عبارة « الآلوسي » من غير تغيير ولا تحوير ، غير أنه زاد أن بعضهم يجعل الجواب مذكورا غير محذوف وهو « أوحينا إليه » وأن الواو فيه زائدة . قال الآلوسي : (وليس بشيء) .

ونحن نقول : نعم ، هو ليس بشيء . وما كان ينبغي أن يذهب إليه ذاهب ، أو يجرؤ على القول به قائل ، فإن الحكم بأن حرفا له معناه في اللغة ، قد وقع زائدا في القرآن ، وحشوا لا يؤدي معناه ، ولا توكيد ما

يناسب معناه ، وأنه غفل حال من الفائدة ـ هو حكم لا نجد غضاضة أن نقول : إنه حكم باطل ، لا يجوز الأخذ به في تفسير القرآن الكريم .

لماذا زيدت الواو في «وأوحينا» ، مادام هذا الفعل هو الجواب ؟ أليس كان الأيسر ألا تذكر هذه الواو اختصارا في القول ؟ بل أليس كان الواجب ألا تذكر ، مادام ذكرها هكذا لا يفيد معنى ، بل هو شيء يضطرب به المعنى وينتقض به المراد ؟

ثم إن هذا الذي قلناه في الواو في: «وأوحينا» يقال في واو « وأجمعوا » ، على رأي من يجعل هذا الفعل هو جواب « لما » ، فإنه لا يصح القول بزيادة الواو في شيء من ذلك.

« آية آل عمران » :

قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به » .

الكلام في الواو في قوله سبحانه: « ولو افتدى به »

« تمهيد : المقرر في اللغة ـ وهو شيء لا يسع أحدا أن يجادل فيه ـ هو أن الواو الداخلة على « لو » الوصلية تفيد عطف المنطوق المصرح به مع « لو » على مقابل له مسكوت عنه غير مصرح به وذلك كما قالوا في « أن » « الوصلية . ومعنى كون « لو » وصلية، أنها تفيد اتصال المنطوق الذي بعدها بالمسكوت المقدر قبلها ، اتصالا يدل التركيب معه ، على أن ذلك المسكوت ، أولى بالحكم المصرح به مع المنطوق ، من هذا المنطوق نفسه .

وذلك كما تقول : أكرم فلانا ولو أساء إليك « فإن عبارة : « ولو أساء إليك » معطوفة بالواو على مقابل لها مقدر معلوم، تقديره : لو أحسن اليك أو « لو لم يسيء إليك، فالتركيب يفيد ـ من غير شك ـ أن فلانا هذا إذا كان إكرامه مأمورا به إذا أساء ، فيكون الأمر بإكرامه إذا لم يسيء أو إذا أحسن ثابتا بالطريق الأولى .

ومثال ذلك أيضا ما يقال: « أعطوا السائل ولو جاء على فرس » .

ومن ذلك قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » فإنه يفيد وجوب القيام بالقسط ، والشهادة بالحق ، إذا كان على الأجنبي بالطريق الأولى ، إذا أن إقامة العدل والشهادة بالحق على الأجنبي أيسر على الإنسان مما يكون على النفس أو على الوالدين والأقربين .

إذا كان الأمر كذلك ، وكان التركيب المشتمل على « لو » الوصلية مع واو العطف مفيدا ثبوت الحكم للطرفين المتقابلين اللذين إحدهما منطوق والآخر مسكوت، مع أولوية

ثبوته لهذا المسكوت ، فكيف تفهم الآية التي معنا ، وهي قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به»؟ وهل كلمة «لو» في هذه الآية وصلية تفيد أن هناك طرفين متقابلين ثبت لهما ذلك الحكم - وهو أنه لن يقبل من أحد منهما ملء الأرض ذهبا - مع ملاحظة أن أحد الطرفين منطوق والآخر مسكوت ثابت له الحكم بالطريق الأولى ؟ ثم ما هو ذلك الطرف المسكوت ؟ .

أم أن «لو» هذه ليست وصلية، بل شرطية مستقلة تحتاج إلى جواب ؟ ثم أين جوابها ؟ وما شأن الواو التي دخلت عليها ؟ .

أقوال العلماء في ذلك مضطرابة اضطرابا شديدا ، يدل على أن ما ينبغي أن يكون معنى للآية غير واضح تمام الوضوح لكثير منهم، كما يتبين ذلك مما نورده فيما يلي :

« أقوال العلماء » (الطبري)

(١) قال ابن جرير : يقول عز وجل « فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة ، في الآخرة ، جزاء ولا رشوة ، على ترك عقوبته على كفره ، ولا جعل على العفو عنه ، ولو كان له من الذهب ، قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها ، فرشا وجزى على ترك عقوبته ، وفي العفو عنه على كفره ، عوضا عما الله محل به من عذابه » .

ثم قال : وادخلت الواو في قوله : ولو افتدى به لمحذوف من الكلام بعده ، دل عليه دخول الواو ، كالواو في قوله : « وليكون من الموقنين » ، وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والأرض ، فكذلك ذلك في قوله : ولو افتدى به قال :

ولو لم يكن في الكلام واو لكان الكلام صحيحا ، ولم يكن هناك متروك ، وكان فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به (١) .

من هذا يعلم أن ابن جرير « يجعل (لو) شرطية صريحة مستقلة ، لها جواب يقدر بعدها ، قد دل عليه المقام ، أو كما يقول . . قد دل عليه دخول الواو ، وتأويل الكلام عليه : (ولو افتدى به لا يقبل منه أيضا ، كما قال — في تأويل قوله تعالى :

(وليكون من الموقنين) — أنه على معنى : وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والأرض .

(الزمخشري)

(٢) قال في الكشاف ما نصه: فإن «قلت» كيف وقع قوله: (ولو افتدى به)؟«قلت»هو كلام محمول على المعنى ، كأنه قيل : فلن تقبل من أحدهم فدية ، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا .

---

(١) تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ طبعة بولاق .

ثم قال: ويجوز أن يراد: «ولو افتدى بمثله»، كقوله: «ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به»، والمثل يحذف كثيراً فى كلامهم، كقولك: (ضربته ضرب زيد)، تريد مثل ضربه، (وأبو يوسف أبو حنيفة) تريد مثله، (ولا هيثم الليلة للمطى)، (وقضية ولا أبا حسن لها) كما أنه يراد فى نحو قولهم: (مثلك لا يفعل كذا)، تريد أنت، وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر، فكانا فى حكم شىء واحد.

وأن يراد: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا كان قد تصدق به، ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه» اهـ(١).

(أبو السعود)

٣ ــ وقال أبو السعود: (ولو افتدى به) محمول على المعنى، كأنه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية، ولو افتدى بملء الارض ذهبا.

قال: (أو معطوف على مضمر) تقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو تصدق به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة.

ثم قال: أو المراد: (ولو افتدى بمثله)، كقوله تعالى: «ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه»، والمثل يحذف ويراد كثيرا، لأن المثلين فى حكم شىء واحد(١).

ثلاثة أوجه أوردها أبو السعود فى الآية كما فعل الزمخشرى.

وقد تابعه أبو السعود فى اثنين منها متابعة تامة، وهما:

(١) وجه مراعاة المعنى.

ووجه تقدير لفظ المثل، فى قوله تعالى: «ولو افتدى به».

أما الوجه الثالث فهو الذى يجعل الواو فى قوله سبحانه: ولو افتدى به «عاطفة حالة الافتداء بالمال فى الآخرة على حالة التقرب به فى الدنيا، فيكون الحكم بعدم قبوله من الكافر شاملا للحالتين جميعا.

هذا الوجه الثالث قد يرى ببادى الرأى، أن أبا السعود قد تابع فيه «الزمخشرى» أيضا لكن الأمر ليس كذلك: فإن الزمخشرى يجعل الواو عاطفة الجملة الشرطية التامة بشرطها وجوابها المقدر، على جملة تامة قبلها، وهذا هو رأى الزجاج وابن الانبارى، وتقدير الكلام عليه: إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء

---

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣١٣، ٣١٤.

(١) تفسير أبى السعود على هامش تفسير الفخر الرازى جـ ٢ ص ٣١٩، ٣٢٠.

الأرض ذهبا كان قد تصدق به في الدنيا ، ولو افتدى به في الآخرة لم يقبل منه أيضا .

أما أبو السعود فقد سار على المشهور في « لو » الوصلية أنها لا تحتاج إلى جواب خاص تصير به جملة مستقلة ، بل هي معطوفة بالواو مع مدخولها وحده ، على المقابل المقدر قبلها ، فيكون الكلام كله جملة واحدة حكم فيها بحكم واحد ، على مجموع الشرطين المتقابلين . وهذا الحكم هو المصرح به في الآية ، وهو قوله تعالى : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا .

(النسفي)

(٤) وقال النسفي : « ولو افتدى به » ، أي فلن يقبل من أحدهم فدية ، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا ، قال عليه السلام : يقال للكافر يوم القيامة : لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت مفتديا به؟ فيقول نعم . فيقال له : لقد سئلت أيسر من ذلك . » ثم قال النسفي : قيل : الواو لتأكيد النفي » اﻫ (ج١ ص١٢١) .

(الفخر الرازي)

(٥) وقال « الفخر الرازي » ما نصه : ما فائدة الواو في قوله : « ولو افتدى به » ؟ الجواب ذكروا فيه وجوها :

الأول — قال الزجاج : إنها للعطف ، والتقدير : لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهبا ، لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهبا ، لم يقبل منه . قال : وهذا اختيار (ابن الأنباري) .

ثم قال : وهذا أوكد في التغليظ ، لأنه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه .

الثاني — الواو دخلت لبيان التفصيل بعد الإجمال ، وذلك لأن قوله : (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا) يحتمل الوجوه الكثيرة ، فنص على نفي القبول بجهة الفدية . ثم قال (ارازي) .

الثالث - وهو وجه خطر ببالي - وهو أن من غضب على بعض عبيده ، فإذا اتحفه ذلك العبد بتحفة وهدية ، لم يقبلها البتة إلا أنه يقبل منه الفدية ، فأما إذا لم يقبل منه الفدية أيضا كان ذلك غاية الغضب والمبالغة إنما تحصل بتلك المرتبة ، التي هي الغاية لحكم تعالى بأنه لا يقبل منهم ملء الأرض ذهبا ولو كان واقعا على سبيل الفدية ، تنبيها على أنه لما لم يكن مقبولا بهذا الطريق ، فبأن لا يكون مقبولا منه بسائر الطريق أولى اﻫ

التفسير الكبير ج ٢ ص ٤٩٢)

(النيسابوري) :

(٦) وقال (النيسابوري) أما الواو - في قوله : (ولو افتدى به) - فأنها تشبه عطف الشيء على نفسه ، لأنه كالمكرر ، فلهذا كثر أقاويل العلماء فيه :

فقال الزجاج وابن الأنباري : إنها للعطف ،

والتقدير : لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهبا ، لم ينفعه ذلك مع كفره ، ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه .

وقيل : إنها لبيان التفصيل بعد الإجمال فإن إعطاء ملء الأرض ذهبا ، يحتمل الوجوه الكثيرة ، فنص على نفى القبول بجهة الفدية .

وقيل : (إن الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية. فإذا لم يقبلوا الفدية، كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط ، فعبر بنفى قبول الفداء عن شدة الغضب) .

وقيل : (إنه محمول على المعنى ، كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا .

وقيل : يجوز أن يراد : ولو افتدى بمثله ، كقوله : « ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به » والمثل يحذف كثيرا فى كلامهم ، مثل ضربت ضرب زيد (أى مثل ضربه) . وأبو يوسف أبو حنيفة (تريد مثله) ، كما أنه يراد به فى نحو قولهم : (مثلك لا يفعل كذا) أى أنت ، وذلك أن المثلين يقوم أحدهما مقام الآخر فى أغلب الأمور ، فكانا فى حكم شىء واحد) اه[1]

هذه الأوجه التى ذكرها (النيسابورى) فى تفسير قوله تعالى : (ولو افتدى به) - هى مجموع ما قاله (الزمخشرى) فى (الكشاف) والفخر الرازى فى (التفسير الكبير) وقد سردها سرداً ولم يرجح شيئا منها على غيره ، وكان يلزم أن يفعل ، فإن تلك الأقوال ، ليست فى منزلة واحدة ، من حيث القوة أو الصحة ، وسنبين الوجه المختار فى تفسير الآية إن شاء الله تعالى .

هذا - وقد أورد (الألوسى) من الآراء والاحتمالات فى تفسير الآية ما لا يخرج عما ذكرناه من أقوال أولئك المفسرين الأعلام .

(يتبع)

عبد الرحمن تاج

---

(١) تفسير النيسابورى المطبوع على هامش تفسير الطبرى ج ٢ ص ٢٤٧ .

وا أسفاه على القدس ...

للّواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

إن نكبة فلسطين قد أدخلت على كل بيت من بيوت العرب والمسلمين فى ديارهم حزناً وغماً وحسرة وأسى ، وإن كلمات التفجع والرثاء على القدس تكتب اليوم بالدموع حسرة ولوعة وأسفا ...

ولكن البحار والمحيطات إذا جرت دموعاً ، واجتمع العرب والمسلمون على البكاء أفراداً وجماعات وشعوباً ، فإن هذه الدموع لا تنقذ القدس ولا تبدل مصيرها المفجع من حال إلى حال .

ولم يسبق لأمة من الأمم ، أنها استطاعت أن تحول الهزيمة إلى نصر ، بالبكاء وحده ، وما يمت إلى البكاء بصلة قريبة أو بعيدة ، ومنها الكلام خطباً وقصائد ومقالات وكتباً دون أن يدعم الكلام بالعمل .

وتاريخ الحروب لكل الأمم فى كل العصور والأزمان خير دليل .

هل استطاع الفاتحون الأولون وعلى رأسهم الفاروق القائد عليه رضوان الله ، أن يفتحوا القدس بالذات بالبكاء أو بالكلام ؟

وهل كان المسلمون الفاتحون الذين كانوا يحاصرون القدس سنة ست عشرة الهجرية ، يبكون وينتحبون ، ويقولون مالا يفعلون ؟

وهل كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يبكى وينتحب حين ارتقى جبل المكبر

فأشرف على المدينة المقدسة ، فلما بدت لناظريه تعالى تكبيره : الله أكبر .. الله أكبر ومن يومها سمى ذلك الجبل بجبل المكبر !!

إن الفاتحين الأولين من المسلمين، وقواتهم التى كانت تحاصر القدس وتضيق عليها الخناق، وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كل أولئك كانوا مدججين بالسلاح ، وكانوا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وكانوا يرجون إحدى الحسنيين : الشهادة ، أو النصر .

(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) .

كانوا يعدون أنفسهم إعدادين فى آن واحد إعداداً مادياً، وإعداداً معنوياً :

الاعداد المادى هو استحضار كل متطلبات القتال تدريباً أو تسليحاً أو تجهيزاً أو تنظيماً أو قيادة.

والإعداد الروحى ، هو الإيمان بتعاليم الإسلام ، وإخراج هذا الإيمان من حيز الإعتقاد إلى حيز العمل .

هكذا كان ينتصر أجدادنا : بالإعداد الحربى للقتال إعداداً متكاملا ، وبالإعداد الروحى الذى يجعل من جيش المسلمين جيشاً لا يقهر .

— ٢ —

لقد كان انتصار المسلمين فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفى أيام الفتح الإسلامى العظيم ، انتصار عقيدة لامراء .

كان التفوق العددى والعـددى إلى جانب المشركين فى كل معركة خاضها النبى صلى الله عليه وسلم . والمعركة الوحيدة التى كان عدد المسلمين فيها وفيرا هى غزوة (حنين) ولكن المسلمين لم ينتصروا فى أول هـذه الغزوة ، ولولا ثبات بطل الأبطال ورجل الرجال سيدنا رسول الله ـ صلوات الله وتسليمه عليه ـ مع عشرة رجال فقط من أصحابه وآل بيته ثباتا بدل الهزيمة إلى نصر بعون الله وتوفيقه ، لكانت هزيمة المسلمين حينذاك هزيمة نكراء لا يكبح جماحها غير البحر كما قال عنها أحد الذين شهدوا المعركة .

وصدق الله العظيم « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين [1] » .

لقد كان انتصار الفئة القليلة من العرب المسلمين فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، على الفئة الكثيرة من العرب المشركين ومن يهود ومن الروم ، انتصار عقيدة بدون أدنى شك .

وابتدأ الفتح الإسلامى العظيم فى أواخر أيام النبى صلى الله عليه وسلم . واستمر مده يعلو ثم يعلو كأنه لجة من تحت اللجة بحر ، حتى بلغ مداه عام ثلاثة وتسعين الهجرية على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير فى أوربا ، فامتدت دولة الإسلام من سيبريا شمالا إلى المحيط الهندى جنوبا ، ومن الصين شرقا إلى قلب فرنسا غربا ، فى فترة زمنية قصيرة لا تزال أعجوبة العالم ومفخرة الدنيا .

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٢٥ - ٢٦) .

ولقد كان التفوق العددى والعددى مع أعداء المسلمين دائما ، كان المسلمون هم الفئة القليلة التى انتصرت على الفئة الكثيرة بإذن الله .

كان العرب المناذرة الذين قاتلوا إلى جانب الفرس فى القادسية أكثر عدداً وأعظم عددا من العرب المسلمين ، وكان المناذرة أكثر حضارة وأعرف بأساليب القتال وأقرب إلى قواعدهم من أولئك العرب المسلمين الذين قدموا من الصحراء .

وكان العرب الغساسنة الذين شهدوا معركة اليرموك مع الروم أكثر عددا وأقوى عددا من العرب المسلمين ، وكانوا أعرف بأساليب القتال وأقرب إلى قواعدهم من أولئك العرب المسلمين الذين قدموا من شبه الجزيرة العربية .

لم يكن انتصار العرب المسلمين فى معركتى القادسية واليرموك على العرب غير المسلمين وعلى الفرس والروم ، لأنهم عرب وكفى ، ولكن لأنهم عرب مسلمون .

وما يقال عن معركتى اليرموك والقادسية ، يقال عن المعارك الحاسمة الأخرى التى خاضها المسلمون شرقاً وغرباً .

لذلك كان انتصار المسلمين انتصار عقيدة . ولذلك كان عمر بن الخطاب يوصى المجاهدين وقادتهم بقوله : « إنكم تعرفون بماذا ... انتصرنا بالإسلام ... فتمسكوا به » .

وكان يقول لهم : « أخوف ما أخاف عليكم ذنوبكم » .

والتاريخ يحدثنا أن رايات المسلمين لم تهزم أبدا ، حتى غلوا (١) أو غل قسم من رجالهم فهزمهم الله ...

بدلوا ما بأنفسهم فبدل الله نصرهم هزيمة ... وصدق الله العظيم : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (٢) .

— ٣ —

ولكن القول بأن انتصار المسلمين كان انتصار عقيدة لا يغنى عن كل قول :

فالواقع أن المسلمين الأولين كان لديهم قادة هم خريجو مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم : استطاعوا أن يقودوا رجالهم المؤمنين حقا إلى النصر بإذن الله .

بعث أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد ابن الوليد رضى الله عنه لفتح العراق من جنوبه ، وبعث عياض بن غنم لفتح العراق

(١) غل فلان غلولا : خان فى المغنم أو فى مال الدولة ، وفى التنزيل العزيز « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » .

(٢) الآية الكريمة سورة الرعد (١٣ : ١١)

من وسطه ، وكان مع القائدين صفوة المسلمين من الصحابة الكرام ؛ فاستطاع خالد أن ينتصر على الفرس فى معارك كثيرة حتى وصل إلى (عين التمر) ، بينما بقى عياض أمام (دومة الجندل) لم يستطع فتحها .

وكتب عياض إلى خالد يستمده ، فأجابه خالد بأقصر رسالة حربية عرفها تاريخ الحرب قال فيها : « من خالد إلى عياض : إياك أريد

ولبث قليلا تأتك الحلائب
يحملن آساداً عليها القاشب
كتائب تتبعها كتائب » .

وخرج خالد على تعبية مسرعاً ، فلما بلغ أهل (دومة الجندل) مسير خالد إليهم بهتوا . ثم اختلف زعماؤهم فيما يصنعون ، وكان عليهم رئيسان : أكيدر بن عبد الملك ، والجودى بن ربيعة ، فقال أكيدر : « أنا أعلم الناس بخالد ! لا أحد أيمن منه ، ولا يرى قوم وجه خالد قلوا أو كثروا ، إلا انهزموا عنه ؛ فأطيعونى وصالحوا القوم » .

ونزل خالد (دومة الجندل) فجعلها بينه وبين عياض ، فخرجت إليه بعض قوات الحصن، فهزمهم خالد وأخذ الجودى أخذاً .

واقتحم خالدا الحصن ، ففتحه الله عليهم ...

لقد كان جنود خالد يشابهون جنود عياض ابن غنم : كلهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قيادة خالد غير قيادة عياض .

لقد كانت العقيدة الإسلامية عقيدة منشئة بناءة ، ذاد عنها حماة قادرون ...

— ٤ —

وا أسفاه على القدس ...

ذلك لا يكفى .

لا بد أن نعود إلى الله تائبين منيبين ، ذلك هو الدرس الأول ...

ولا بد أن يتولى أمرنا حماة قادرون ، وذلك هو الدرس الثانى ...

إن للقائد الحق أثراً عظيما فى إحراز النصر .

وأعظم القادة بدون جنود متميزين لا قيمة لهم .

وأحسن الجنود المتميزين بدون قادة قديرين لا قيمة لهم .

وقد كان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، من أعظم قادة التاريخ على الإطلاق .

لقد كان من جملة أسباب النصر فى غزوة (بدر) الكبرى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قاتل بأسلوب (الصف) ، وقاتل المشركون بأسلوب (الكر والفر) .

وكان من جملة أسباب النصر فى غزوة (الخندق) ، أن المسلمين حفروا الخندق ،

ولم يكن للعرب معرفة بمثل هذا الأسلوب في القتال .

واستخدم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام المنجنيق في حصار الطائف بعد غزوة (حنين) .

لقد قاتل النبي صلى الله عليه وسلم أعداءه في غزواته بأساليب قتالية جديدة وبأسلحة حربية جديدة ، وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها ، وكان يطبق مبدأ : الحرب خدعة ، وكان يحرص أعظم الحرص على متطلبات الكتمان ، لذلك باغت أعداءه في كل غزواته تقريباً ، ولم يستطع أعداؤه أن يباغتوه في أية غزوة .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ملء العين والسمع قدراً وجلالا ، وكفاية ومقدرة عسكرية ، وتضلعا بفنون الحرب ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

والإسلام بتعاليمه الروحية والمادية هيأ له جنوداً متميزين .

وكان عون الله وتأييده معه ، فنصره الله على أعدائه الكثيرين .

لقد كان قائدا عظيما ، قاد جنوداً متميزين ؛ لذلك انتصر بعون الله وتأييده .

وفي معركة اليرموك ، كان على المسلمين خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وكان خالد من أعظم قادة التاريخ على الإطلاق .

وقبل المعركة ، وجد تعبية الروم تعبية متفوقة ، وكان من مزايا خالد القيادية : أنه لا ينام ولا ينيم .

كان الروم يقاتلون بأسلوب الكراديس .

ولم يكن العرب يعرفون هذا الأسلوب في القتال .

ودأب خالد ليلا ونهارا على تعبية رجاله بأسلوب الكراديس ؛ فجعل منهم ستة وثلاثين كردوسا ، فلما أنجز ذلك تنظيما وتدريبا ؛ أنشب المعركة فانتصر على الروم . ولو قاتل بأسلوب (الكر والفر) أو بأسلوب (الصف) لما انتصر أبدا .

إنه لا نصر بدون قيادة متميزة وبدون جنود متميزين .

— ٥ —

فما أثر الإسلام على إحراز النصر ؟

إنه دين يربي النفوس على الجندية الحقة الأصيلة ، ويشيع فيها النظام والضبط . ويأمر بالجهاد بالأموال والأنفس ، وينهى عن التنازع والتفرق ، ويحث على الصمود في القتـــال . ويجعل التولي يوم الزحف

من الكبائر ، ويجعل للشهيد مقاما فى الجنة من أعظم المقامات .

ولو أردت أن أستقصى أثر الإسلام فى إحراز النصر ، لاحتجت إلى كتابة مجلد ضخم .

والعجيب فى الأمر ، أن القضايا العسكرية التى يتباهى بها الغرب والشرق حديثا موجودة فى تعاليم الإسلام .

الحرب الاجتماعية ، أو الحرب الشاملة ، أو الحرب الاعتصابية ، هى حشد كل طاقات الأمة المادية والمعنوية للحرب ، وتعتبر من مفاخر الحرب الحديثة ، وقد جرى تطبيقها فى الحرب العالمية الثانية فقط ، ولم تكن مطبقة قبل ذلك .

وقد ألف عن الحرب الإجماعية المشير فون لودندروف بعد الحرب العالمية الأولى كتابه : الأمة فى الحرب .

وقد زعم لودندروف أنه أول من فكر فى الحرب الإجماعية .

وكنت قرأت هذا الكتاب قبل أكثر من عشرين عاماً ، ولكننى حين قرأت قول الله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله »[1] وجدت أن هذه الآية وحدها شملت كل ما جاء فى كتاب : الأمة فى الحرب ... وأكثر ! ...

وسأنقل ما جاء عن تفسير هذه الآية الكريمة فى تفسير (الكشاف) للزمخشرى ، قال : « خفافاً وثقالا : خفافاً فى النفور لنشاطكم له ، وثقالا عنه لمشقته عليكم . أو خفافاً لقلة عيالكم وأذيالكم ، وثقالا لكثرتها أو خفافاً من السلاح ، وثقالا منه . أو ركباناً ومشاة ، أو شباباً وشيوخا ، أو مهازيل وسماناً ، أو صحاحاً ومراضاً وعن ابن أم مكتوم[1] أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أعلىّ أن أنفر ؟ قال : نعم . حتى نزل قوله : ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس : نسخت بقوله : ليس على الضعفاء ولا على المرضى . وعن صفوان بن عمرو : كنت والياً على حمص ، فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو ، فقلت : ياعم ! لقد أعذر الله إليك ! فرفع حاجبيه وقال: يا ابن أخى . استنفرنا الله خفافاً وثقالا ، إنه من يحبه الله يبتليه . وعن الزهرى: خرج سعيد ابن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضرر ، فقال : استنفرنا الله الخفيف والثقيل ، فإن لم يمكنى

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة ٩ : ٤١

(١) وكان أعمى رضى الله عنه .

الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع»(١).

فإذا علمنا أن العلامة أبا القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، متوفى سنة ٥٢٨ من الهجرة ، وأنه فسر الآية بهذا التفسير الرائع الذي بز به لودندروف في الدقة والشمول والإيجاز ، علمنا أن الحرب الإجماعية جاء بها الإسلام قبل أربعة عشر قرنا ، وأن علماء المسلمين فصلوا أهدافها ومعانيها قبل تسعة قرون (٢) .

ولكن أين المسلمون الذين يقرأون ثم يعملون بما يقرأون ؟ ؟

وا أسفاه على القدس ! ولكن القدس لا يمكن إنقاذها بالأسى والأسف حتى ولو ابيضت عيون المسلمين من الدمع .

إنها تنقذ بالعودة إلى الله ، وبالحماة القادرين الذين يعملون بهدى الله ونوره وصدق الله العظيم : (ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور)(١) .

إن الله ينصر من ينصره ...

ولكن الله سبحانه وتعالى ذكر الذين ينصرهم ، فأين هم الآن ؟ أين هم اليوم ؟

إن المؤمن لاييأس ...

والمؤمن لا يقنط ...

وإسرائيل إذا انتصرت ساعة ، فلن تنتصر إلى قيام الساعة .

ومصير يهود معلوم ، وأنا واثق من نصر الله ...

إن الله يغار على قبة الصخرة أن يرتفع عليها علم إسرائيل.

ويغار على مسرى النبي صلى الله عليه وسلم أن تنتهك فيه الحرمات وتقترف فيه الموبقات.

وقد أعد اليهود يوماً عصيباً ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ! ...

محمود شيت خطاب

---

(١) تفسير الكشاف ـ للزمخشري ـ طبعة بولاق ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٣١٨ .

(٢) أرجو أن يفهم ذلك المستغربون قبل المستشرقين ، وعلى أساتذة الكليات العسكرية وكليات الأركان فى دار الإسلام أن يلقنوا ذلك طلابهم وتلاميذهم .

(١) الآية الكريمة من سورة الحج (٢٢ : ٤٠-٤١) .

نفحات القرآن

دعوة "هود" إلى الدين والدنيا

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) ويا قوم استغفروا ربكم ... ثم توبوا إليه
(ب) يرسل السماء عليكم مدراراً . ويزدكم قوة إلى قوتكم
٥٢ — هود

فهذا خطاب رحيم ، من رسول كريم ينادى به شعبه بقوله (أيا قوم . . اعبدوا الله مالكم من إله غيره) ثم يعود . . فيقول (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا) .

ثم يكرر ، ويقول : (ويا قوم استغفروا ربكم ، ثم توبوا إليه) .

ومن رقة الخطاب أن يشعر الرسول أو المتحدث إلى جماعة من الناس أنه منهم.. فهذا دخول حسن إلى قلوبهم ،وتلطف فى توجيه الدعوة إليهم بأنهم قومه ، وعشيرته .. فهو أمين عليهم وحريص على جلب الخير لهم : بحكم العصبية ، والرحم ، ولا مجال لسوء الظن به . . خصوصا: إذا كان فيما بينهم حميد السيرة كريم الأرومة.. كما هو الشأن فى كل رسول يصطفيه الله لأمته من بين أمجادها : نسبا أو حسبا ، وإن لم يكن من بين أثريائها مالا ، ولا من بين حكامها وأمرائها ثم يكاشفهم - هود - بطلب التوحيد لله . لأنه لا إله لهم سواه ... وهذا مطلب غير شخصى له وإنما هو رضى لهم ما رضيه لنفسه ، وبلغهم ما لديه من العلم بما هو أجدى عليهم فبقاؤهم على ما هم عليه يكون بقاء على باطل ليس مستمدا من علم . ولا معتمدا على عقل

ويعود هود - ويقول : (لا أسألكم عليه أجرا) يعنى لا شبهة لكم فى إخلاصى . فإنى لم أطلب منكم نفعا ماليا ، ولا أدبيا ، فلماذا تترددون فى الاستجابة لدعوة هى لكم وليس لى فيها مغنم خاص .

ثم يزيدهم بيانا بأن دعوته لهم ليست صرفا لهم عن الدنيا التى يتشبثون بها .

وإذا كانت هذه القبيلة هى قبيلة - عاد : الأولى - التى يحدثنا عنها التاريخ بأنها كانت

ذات نعيم فى دنياها ، وذات أمــوال ، وحصون وقصور ، وبساتين،وذات أجسام فارعة وقوة نادرة فإن الدين الذى يدعوهم إليه سوف لا ينقصها شيئا من حظها . بل سيزيدها أكثر مما لديها فهو يقول :استغفروا ربكم من الشرك،وادخلوا فى دينه ، وتوبوا إليه من المعاصى ، وحينذاك تجدون ربكم يرسل عليكم ماء المطر كثيرا، يخصب الأرض أكثر مما هى خصبة . ويسق الزرع فى غير انقطاع ، ولا إضرار بكم ولا بأموالكم .

وستجدون ربكم إذا تدينتم بدينه يزدكم قوة مالية ، وبدنية إلى قوتكم التى أنتم عليها فإن أعرضتم بعد ذلك الوعد الذى أحكيه لكم عن ربكم : فأنتم تجرمون على أنفسكم بالحرمان مما بشرتكم به ، وبالتعرض للبلاء الذى لا تطيقونه ، ولا يبقى لكم بقية من حضارتكم التى فتنتم بها عما هو خير منها عند ربكم ...

هذا خطاب هود لقبيلته (عاد) .

وهذه ـ عاد ـ التى يحدثنا عنها القرآن بأنها بلغت من الشأن ما لم يخلق لمثلها فى البلاد .

فماذا كان من إجابتهم على خطابه ؟ وماذا كان لهذا الرفق والتلطف ، من أثر عند القوم ؟

كان جودهم القديم شعاراً يمتزج بأرواحهم وكانت الغلظة فى القول طابعا لا يزايل عقولهم، ولا ألسنتهم .

والمفروض فى أهل الحضارة أن يكونوا غــير متحجرين ، ولا غلاظاً نافرين ، ولا أغبياء متخلفين ، ولكن العقلية الإنسانية إذا لم يصادفها إشعاع من هداية الله . . ولم تعاودها ذكريات رشيدة رحيمة بأنفسها فهى عقلية ممسوخة ، لا تتقدم بالإنسان عن منازل الحيوان الأعجم .

وهذه العقلية حرب على نفسها .

فالأمر ليس أمر أموال ، وثراء ، ولا أمر شموخ واعتلاء ، ولكنه أمر تفكير، وحسن تدبير ، وأمر اتصال (وحى بجانب الله) وتقدير لما يأتى به رسول الله .

كانت إجابات عاد لرسولهم هود ـ أولا ـ يا هود : ما جئتنا ببينة ! ! يعنى لم يكن معك دليل على صحة ما تدعونا إليه . . فى غفلة عقولهم ينسون ما فى الكون من آيات بينات على أن لهذا الكون إلها قادرا يدير ليله ، ونهاره، ويسير البحار فى مجاريها. والكواكب فى منازلها ، ويبدى لخلقه كل يوم شئونا لم تكن معهودة لهم بالأمس .

ثم يسرفون عليه فى الإنكار ، فيقولون : « وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » .

يعنى أنهم مصرون على الشرك بالله ، وعبادتهم الأوثان ، وليسوا منصرفين عن ذلك بسبب ما يقوله لهم.

ويقولون له ثالثا: «وما نحن لك بمؤمنين» يعنى: لسنا مؤمنين بما دعوتنا إليه، فهم ينكرون ما يقوله ـ ثم يقررون له أنهم على ما هم عليه، ولن يحيدوا إلى ناحية أخرى ـ وذلك غاية ما يكون من رفض الإيمان، وقطع أمل الرسول فيهم.

ثم ينتقلون إلى موقف آخر من مواقف الإجرام، والعناد. فيتحولون إلى الاعتزاز بآلهتهم، ويفرضون لها سلطانا على هود ـ ويقولون له رابعا ـ «إن نقول: إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء».

يعنى ياهود لقد أصابتك الآلهة التى نعبدها وأنت تطعن عليها، بجنون تأثر به عقلك فأنت تهذى فى كلامك، ولا تتعقل ما تقوله، فكيف نؤمن بك، ونصدق دعوتك لنا.

وإلى هنا يمكن أن نتصور ما وراء هذا الموقف من صلابة أهل الباطل فى وجه الحق.

ويمكن أن نستشعر ما يحس به هود: من إباء القوم عن مطاوعته، وتعاظمهم على متابعته فلم يبق إلا أن يعتزلهم، ويبرأ إلى الله من صنيعهم ـ ويتركهم لله يفعل بهم ما يشاء بقدرته ـ قال: «إنى أشهد الله، واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه».

فأنا على توحيدى.. ومن آمن بى فهم على الحق معى، ولست أعبأ بكثرتكم، ولا أخشى بأسكم، وإن شئتم إيذائى فاجمعوا جموعكم، ودبروا كيدكم «وكيدونى جميعا، ثم لا تنظرون» ـ لا تمهلونى فإن الله سيعصمنى منكم، وإن تمكنتم منى فأنا شهيد عند ربى.

ومن سنن الله فى عباده أن يقف اللجاج عند غاية، وأن يكون لكل شىء نهاية.. ومهما يكن للإفك من صولة، وللمجرمين من دولة. فإن غيرة الله على دينه، ونصرته لانبيائه، وقدرته على أخذ المجرمين بجرمهم: هذه الصفات القدسية لا تتخلف عن مجاريها، ولا تدع للظالمين أن يعيثوا فى الأرض فسادا.

وفى الدنيا سوابق كثيرة، وسنة الله قائمة.. وفى سير الأسلاف عبر لمن يخلفهم من الأجيال.. ولكن (عادا) لم تثب إلى رشدها، ولم تنظر إلى أمة نوح وما جرى عليها من قبلها...

فكان لله بأس فيها، جعلها عبرة لمن يجىء بعدها «وفى عاد: إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم» «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية» ـ قوية الصوت، فيها برد لا يطاق ـ «سخرها عليهم سبع ليال، وثمانية أيام، حسوما، فترى القوم فيها صرعى، كأنهم أعجاز نخل

خاوية . . فهل ترى لهم من باقية ؟ ؟ ، هذه الريح لم تكن تعهدها الدنيا ، ولم تكن تسبق لأمة قبل عاد ، وصار معروفا من شأنها أنها عذاب أليم ، لقوم عصاة ، فكان أسلافنا المؤمنون الصالحون إذا رأوا عواصف تهب عليهم : خافوا ، وتذكروا أهوال عاد ، وقالوا : اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا لأن الرياح تكون خيرا ، ومبشرات بالمطر النافع . . وأما الريح فهى ما كانت لقوم هود واستمرت بهم نحو سنة ، وأشد أيام السنة هى الأيام الثمانية الأخيرة التى كانت الريح فيها تنزع الناس من مخابئهم فى الكهوف كما تنزع النخل المنقلع من منابته ، وصار جافا ، مطروحا على الأرض ، فلا تماسك فيه ، ولا ثبات له فى عصف الريح التى تهوى به إلى حيث لا قرار . . هكذا جعلهم الله مثلا للآخرين .

هذه المهلكة كانت معجزة لهود عليه السلام وهنا شبهة تدور ببعض الخواطر . . وهى ما قيمة هذه المعجزة بعد أن هلك القوم جميعا إن المعجزة يراد منها إقناع الناس بصدق الرسول ليؤمنوا به ، وهم أحياء ، فاذا هلكوا فلا فائدة فى المعجزة .

والجواب أن كل رسول جاء بمعجزات تكفى للإقناع والموعظة فاذا لم يؤمنوا كان إهلاكهم أخيرا معجزة جديدة بالنسبة للمؤمنين الذين نجاهم الله مع رسوله من هذا العذاب ، وظلوا فى دنياهم أمدا آخر . . وتكون معجزة له عند الأجيال التى تسمع بقصته من بعد فيكون إيمانهم به عن بينة ، ويكون تصديقا للغيب الذى سبقهم .

ولا شك فى أن عدل الله لم يكن بتعجيل العذاب دون معجزة ، أو معجزات سابقة .

وليس حتما أن تذكر لنا جميع المعجزات ويكفى أن الله عرفنا بحصول الدعوة المؤيدة من عنده سبحانه ، ثم عرفنا بما وقع أخيرا .

ولدينا من أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك قوله (ما من نبى : إلا وقد أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) يعنى كل نبى أرسل ودعا قومه فقد أوتى من المعجزات ما كان كافيا لإيمان من آمن أو يريد الإيمان .

وبذلك لا يكون للناس معذرة عند ربهم فقد أرسل إليهم الرسل ، وبينوا لقومهم ، بلغتهم كل ما يحتاجون إلى بيانه .. ثم أيد الله رسله بالمعجزات القطعية الصدق من عنده ـ تعالى ـ فاذا ابتىء .

وانظر إلى قوله سبحانه ـ « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ثم إلى قوله « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم . . » فالرسالة ، والبيان من الرسل للأمم حاصلتان قبل العذاب حتما . . فاذا حاق

العذاب ببعض الأمم - كعاد - ونحوها : فإنما هى العدالة فى جزائهم على الإعراض منهم « فكلا أخذنا بذنبه . . . »

ولهذا كان هود - عليه السلام - يصارح قومه بالبراءة من جرمهم .. ويؤكد لهم أنه متوكل على الله ربهم جميعا وأن الله آخذ كل دابة على الأرض بقدرته ، وأن هذه هى شئونه فى خلقه ، وأنه على كل شىء حفيظ ، بعلمه وإحاطته ، وقدرته على الجزاء بعدله وجبروته .

وهذه التوجيهات من هود - تحمل فى مقاصدها تخويفا للقوم من عنادهم ، وزجرا لهم عن تماديهم ، وتشعرهم بما وراء ذلك من سوء العاقبة ، لعلهم يتداركون أنفسهم . ولكن كيف يسمع الصم ، أو يهدى أبصار العمى ؟ أو يوقظ الأموات .

لقد أسمعت إذ ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

وعند هذا المدى بلغ الأمر مبلغه ، ولم يبق إلا الوعيد الذى لم يحسبوا حسابه .

وقد نفذ الوعيد بالريح التى وصفها القرآن فيما سلف من الآيات ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا .

وأين هود ، ومن كان مؤمنا به ، جواب ذلك فى قوله - عز شأنه :

« ولما جاء أمرنا ونزل عذابنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا - ، بفضل الإيمان الذى هديناهم إليه تفضلا منا على من علمنا فيهم الخير لأنفسهم ، - ونجيناهم من عذاب غليظ ، وهو الأهوال التى سخط الله بها على أولئك المشائيم الذين تلوث بذكرهم تاريخ الإنسانية فى دنياها وحالهم فى الآخرة أشد نكالا مما مس بهم فى الحياة الأولى .

وهذا مايحمله القرآن فى قول الله سبحانه : « وأتبعوا - بضم الهمزة - فى هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة . . ألا إن عادا كفروا ربهم . ألا بعداً لعاد : قوم هود » آية ٦٠ م سورة هود .

وهنا تخصيص لعاد : بأنهم قوم هود . . وذلك التخصيص يشعرنا بأن هناك عادا أخرى سوى هذه التى يحدثنا عنها هذا السياق .

وجمهور العلماء يذكرون أن هذه هى عاد إرم التى تنسب إلى جدها إرم ، بن سام ، ابن نوح وهى التى ذكرت فى سورة الفجر بأنها لم يخلق مثلها فى البلاد . وتسمى عادا الأولى : التى يقول الله عنها فى سورة النجم « وأنه أهلك عادا الأولى » آية - ٥٠ -

وأما عاد الأخرى - فهى عاد الأخيرة كما يسجلها العلماء - وهم ثمود - قوم صالح - عليه السلام .

ومن هذا القصص المزعج عن قوم هود : ما يكفى : تبصرة لنا بأننا بحاجة قصوى إلى اليقظة من الغفلة ، والاقتراب من جانب الله

حتى لا تحجب عن أنفسنا مشارق الهداية ، ونطرح بها فى ظلمات الضلال .

ونحن مع إيماننا - والحمد لله - بما نزل على خاتم الرسل - صلى الله عليه وسلم - لم نحرص على نصيب راجح من الطاعة . . بل لم نتجه إلى محاولة الكسب من الخير الذى تزود به لحياة الخلود .

نحن نسمع ونقرأ ، ونقول - ولكننا لا نخادع أنفسنا . ولا ندعى لها غير ما أخذت به من السمع والطاعة وقد تلونت بنا الحياة الدنيا ، وما نزال فى تقاعد عن السبق إلى ما سبق إليه الأبرار من عباد الله .

ولم نأخذ لأنفسنا حيطة من البلاء الذى يصادف المتخلفين ، والذى يحذرنا الله منه بالقصص عن الأولين .

بيننا أناس لا بأس بمسالكهم فى الطاعة ، والبعد عن المآثم ، ولكنهم قلة ، لا تكفى طاعتها لتكفير مآثم الجمهرة منا ، ونحن نشهد من المكاره الشائعة ما لا يكفى لدرئه غير سوط الحاكم العدل ، وإنكار ذوى السلطان بالقمع ، والتأديب .

وحينما يكون للدين وآدابه نصير من ذوى النفوذ فى الأمة الإسلامية : فإن سلطان الله يكون معنا ، ولا يكون علينا . ومعاذ الله أن يخذل من يكون نصيرا لدينه ، أو يبتلينا بتسليط أعدائه الكافرين ها نحن ننظر فى آفاق البقاع العربية ، فنرى شتاتا فى الجموع ، وزهادة فى التكتل وكل هذه الثغرات شقاق على الدين ، وانحياز إلى غير دائرته وكان التصدع أولى بغيرنا . ولكننا استبدلنا مبادئنا بما هو من المحرم علينا ، ووقفنا فى موقف الآخرين . فهل إلى خروج من سبيل » .

اللهم كن لنا ، ولا تكن علينا ، وانصرنا ولا تخذلنا ، واحفظنا من التخاذل ، ومن التهريج بدعوة التشكيك ، والتفريق ؟

عبد اللطيف السبكى

« ولا تركنو إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » .

« سورة هود : ١١٣ »

السلام والحرب في الإسلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

إن للإسلام فضلا على البشرية فيما جاء به من مبادىء التعايش السلمى والتسامح بيننا وبين أهل الأديان المختلفة .

ولقد اعترف بذلك المنصفون الأجانب فيما ألفوه من كتب ، أو نشروه من آراء ومن ذلك ما قاله القسيس ميشون الفرنسى فى كتابه - سياحة دينية فى الشرق (إنه لمن المحزن حقا أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة ، وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب

وتلك شهادة حق جريئة تدعو إلى الإعجاب والإكبار .

إن الأدلة والأحداث فى العصور المختلفة شاهـــدات بأن المسلمين العاملين بشريعتهم لا يرضون العدوان على أحد ، وإن القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح حافلة بقوانين وصور التسامح المختلفة ، التى استفاد بها المشركون وأهل الكتاب إحسانا وأمنا وسلاما ، لا من نقض العهود وخان المواثيق وتربص بأمن الدولة وسلامها الدوائر ، فهؤلاء لا بد من مقابلة شرهم بشر مثله دفاعا عن كيان الدولة ، وحماية لدين الله ، والشر بالشر والبادىء أظلم وسنعرض فيما يلى أمثلة روائع من القوانين الإسلامية ، وصورا لوامع من تطبيقها لنعلم الجد البعيد الذى وصل إليه الإسلام والمسلمون فى التعايش السلمى مع المشركين وأهل الأديان المختلفة.

يقول الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) ويقول (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) ويقول (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) إلى غير ذلك من روائع آيات التسامح .

وعن عائشة رضى الله عنها (لم يكن النبى صلى الله عليه فاحشا ولا متفحشا،ولا يجزى السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح) .

وقد طبق النبى صلى الله عليه وسلم وأمراء المؤمنين وصلحاء قواد الجيوش الإسلامية هذه المبادىء تطبيقا سخيا يدعو إلى الإعجاب على من خالفهم فى الدين ومن ذلك أنه حدثت مجاعة بمكة بعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة دينار إلى أبى سفيان ليفرقها على مشركى مكة الجائعين إسهاما فى تخفيف أزمة

الجوع على من آذوه وأصحابه ثلاثة عشر عاما وأخرجوهم من ديارهم ، فأى إحسان يسمو إلى هذه المنزلة الرفيعة وأى كرم يدنو منها لقد تناسى الرسول العظيم ماضيهم الأليم ولم يتحرك فى نفسه سوى عاطفة الإحسان إلى من أساءوا إليه ولم يتركه المشركون يهدأ بعد الهجـــرة لينشر دعوته ،بل حاربوه ثمـان سنين ، ومن ذلك غـزوة أحد ، فقد نالوا فيها من إيذاء النبي صـلى الله عليه وسلم مالم ينالوه منه من قبل ومن بعد. فقد كسروا رباعيته وشجـــوا رأسه ووجهه ، ودخل من المغفر حلقتان فى وجهه ، فلما شق ذلك على الصحابة قالوا للرسول لو دعوت عليهم فقال إنى لم أبعث لعانا ، ولـكن بعثت داعيا ورحمة ، اللهم أهـد قـومى فإنهم لا يعلمون ، فأى حلم وصبر وسماحة تصل إلى هذا القدر الشريف .

ولمـا أذن الله بالنصر الساحق ، والفتح المبين لمكة معقل الوثنية دخل الـكعبة وكبر فى نواحيها . ثم جلس فى المسجد والعيون شاخصة إليه ، والناس من حوله ينتظرون ما هو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه وأخرجوه من بلده وقاتلوه .

لقد كان النبي مالكاً لزمام الموقف ، وفى وسعه أن يعمل السيف فى نحورهم ، وما كان لمنصف أن يلومه إن انتقم منهم ، ولـكنه صلى الله عليه وسلم كان رضاه وغضبه لله ، ولم يكن لهوى نفسه ، فلهذا قال يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ، قالوا خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم . فلم يخيب لهم ظنا فى صفحه . وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء ورحم الله البوصيرى إذ يقول :

ولو أن انتقامه لهوى النفـ
ـس لدامت قطيعة وجفاء

قام لله فى الأمور فأرضى الله
ـه منـــه تباين ووفاء

فعـله كلـه جميـل وهل ينـ
ـضح إلا بمـا حـواه الإناء

وعفـا عمن كانت لهم جرائم لا تغفر ، ومنهم وحشى قاتل حمزة عمه صلى الله عليه وسلم وهند زوجة أبى سفيان التى قضمت كبد حمزة بعد مقتله شفاء لغليلها منه ، فقد أسلم هؤلاء ، والإسلام يجب ما قبله .

وإذا استجار بنا مشرك أجرناه ، وعرضنا عليه ديننا الحنيف ، فإن أباه فعلينا أن نبلغه مأمنه ولا نغدر به ، قال تعالى « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » .

ومن دخل فى عهدنا من المشركين استظل بحمايتنا . وحرم سفك دمه ، قال صلى الله عليه وسلم « من قتل معاهدا لم يرح رائحة

الجنة) فأى تسامح مع من يخالفنا فى الدين يصل إلى مثل هذا التسامح مع الكرم والسلام.

التعايش السلمى مع أهل الكتاب:

ولقد بلغ التعايش السلمى مع أهل الكتاب أبعد مداه ، فقد أمرنا أن لا نجادلهم إلا بالتى هى أحسن ، وأن يكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإذا تحاكموا إلينا حكمنا بالعدل وفق ما أنزل الله ، ولو كان ذلك ضد المسلمين ، فلا يحل لنا تعصب دينى ينحرف بنا إلى إنصاف مسلم مبطل على كتابى محق ، وقد سمح لنا الإسلام بالتزوج منهم ، ونهانا عن إكراههم على الدين (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) .

جاء رجل اسمه الحسين من بنى سالم بن عوف ، وقال يا رسول الله إن لى ولدين نصرانيين يأبيان الدخول فى دين الله ، وإنى لمجبرهما على ذلك ، فقال له الرسول (لا إكراه فى الدين) .

ومن الحقائق التاريخية أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى لأهل نجران المسيحيين بعض مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية أثناء إقامتهم بالمدينة .

وعدلنا فيهم ورحمتنا بلغا أبعد الغايات ، حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من آذى ذميا فقد آذانى » وعلى هذا المنهج سار أمراؤنا وحكامنا الصالحون ، فهذا عمر بن الخطاب ينصف مصريا من ابن عمرو بن العاص أمير مصر لأنه ضربه ، ولم تحمه إمارة أبيه من العقوبة ، فقد استدعاهما فى موسم الحج وحاكم ابن عمرو على ضربه المصرى ، حتى إذا اتضح أنه ضاربه أمر المصرى أن يضربه بمشهد من حجاج بيت الله الحرام ، فلما نال حقه خاطب أمير المؤمنين عمرو بن العاص وابنه الجانى وقال لهما كلمته المشهورة . منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

وجاء فى كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة المسيحيين ما يلى : (وجعلت لهم . أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الإسلام ، فإن خرجوا إلى غير دار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم) فهذه كفالة إجتماعية لمن خالفنا فى الدين طبقناها قبل أن يعرفها غيرنا بمئات السنين.

الحرب فى الإسلام :

والإسلام يكره الحرب ويأباها ما لم يكن منها بد ، وقد حرص أعداؤه على اتهامه بأنه انتشر بالقوة والسيف ، مع أن من مبادئه (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وقد مر بك مثل لذلك .

إن الإسلام مقتنع بصحة مبادئه وقوة حجته ، والسياق النفوس إليه طوعا متى تركوا أحرارا دون إكراه ، بعدأن يتفهموا براهينه ويتحققوا من مبادئه ويقارنوها بغيرها من مبادىء الأديان ، ويكونوا قد تجردوا من مرض التقليد وتخلصوا من قيود الأغراض الدنيوية المانعة من الخير والهدى .

ولكن أعداء الإسلام وهو حق لم يتركوه يتحرك إلى قلوب الناس فى سلام ، بل قعدوا لدعاته كل مرصد ، ووضعوا لهم العقبات ، وشنوا عليهم الغارات وما كان لهؤلاء الدعاة وهم يحملون مشاعل النور ورحيق الحياة أن يفهموا أن طريقهم ملىء بالورد والريحان ، وما كان ينبغى أن يكونوا عزلا بدون سلاح يدفع عنهم أذى أعدائهم ، فلهذا أمروا أن يستعدوا حربيا حتى ينصروا بالرعب، فيكف عدوهم عن قتالهم حذرا من قوتهم ، قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، فإن قاتلوهم دفاعا فليحذروا البغى والاعتداء « (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المتعدين) » .

هذه الآية الكريمة هى دستورنا فلا نقاتل إلا من قاتلنا ، ولا نبدأ بالعدوان فإن الله لا يحب المعتدين ، وقد كانت حروب النبى صلى الله عليه وسلم كلها دفاعا وليس فيها بداية وعدوان ، فالقتال مع قريش كان دائما لرد عدوانهم ، وكان مع مشركى العرب بعد فتح مكة لنبذهم عهودهم معه .

ولا يلزم فى كل معركة أن تكون دفاعا عن هجوم مباشر ، فإذا كانت لرد المشركين عن الطمع فى المسلمين وتأمينهم من أعدائهم الوثنيين الذين لا ينامون عنهم ولا يعترفون بالأديان . فإنها تكون معركة دفاعية ، لأن حالة الحرب قائمة بيننا وبينهم ، ولولا هذا الدفاع والتأمين لزال الدين من أساسه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

أما قتال النبى صلى الله عليه وسلم لليهود فقد كان لنقضهم عهودهم معه ، ومؤازرتهم لمشركى مكة عليه مع أنهم جيرانه ، فكيف تكون آمنا من جيرانك الأقوياء وهم يتربصون بك الدوائر ويعينون عليك الأعداء ، أفلا تكون فى حل إذا ناجزتهم ، وجزاء سيئة سيئة مثلها .

ولقد كان يأمر الغزاة بدعوة الناس إلى الله قبل الغزو فإن أجابوا حقنت دماؤهم . قال صلى الله عليه وسلم : « تألفوا الناس وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل بيت من مدر

ولا وبر إلا أن تأتونى بهم مسلمين أحب إلى من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » .

وكان يوصيهم بأعظم آداب الحرب ، روى مسلم أن الرسول كان يقول « اغزوا ولاتغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع » .

وقد تأثر أبو بكر بآداب الرسول فى الحرب فأوصى أسامة بن زيد حين وجهه لغزو قضاعة الغادرين فقال له ولجيشه : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا الأكل ، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم للصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا) وتعتبر هذه الوصية من أعظم الوثائق فى آداب الحرب فى الإسلام .

وقد اعترف المستر هاك بمساهمة الإسلام فى السلام العالمى فقال « ولو طبقت أحكام الإسلام فيما يتعلق بالحروب والجهاد تطبيقا كاملا لوجد العالم فيها جنته التى يبحث عنها ، بدل الجحيم الذى هو مسوق إليها ، ليطع كل منا دعوة الله التى يقول فيها : « وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا فى الأرض مفسدين » .

على أن استعمال الشدة (إن لم ينفع النصح فى إيصال الحق إلى القلوب) أمر تقره العقول أفرأيت إن كان ولدك منحرفا ، ولم ينفع معه إقناع . بل تجاوزه إلى إعراض ، ثم إلى السفه والإعتداء ، أفتتركه فى اعوجاجه ، أم ترده بالقوة إلى الجادة حتى يستقيم ، فإن قلت نعم . قلت هذا هو ما فعله المسلمون فى غزواتهم .

وقد قبلنا من أهل الكتاب أن يكونوا على دينهم فى كل غزواتنا الوقائية معهم ، ورضينا منهم أن يدفعوا ضريبة دفاعية تسمى الجزية تقابل ضريبة الزكاة بالنسبة للمسلمين ، وما أكرهناهم على الدين .

والاعتراف بالحرب لعلاج أهل الزيغ أمر لم تنفرد به الشريعة الإسلامية فقد جاء فى الإنجيل عن السيد المسيح « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا » متى إصحاح ١٠ فقرة ٣٤ .

احترام المعاهدات :

والإسلام يحترم المعاهدات مع الأعداء ويحرص على الوفاء بها ، قال تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الإيمان

بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون) .

فالحرب فى الإسلام ضرورة دفاعية ، فإذا تم للمسلمين النصر أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، كما قال تعالى (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) أما غيرهم فإنهم يبيحون المنكرات لجنودهم فى البلاد المفتوحة فيرتكبون الفواحش ويفرقون الروابط ويذلون الأعزة كما أنهم لا يحترمون القواعد الدولية فى الأسرى ، فإنهم يوسعونهم قتلا وتعذيباً ، وتراهم فى حربهم لا يفرقون بين المدنيين وأهل الحرب فهم يلقون على أهل المدن القنابل الحارقة والمتفجرة ، فقارن بين ما يفعل هؤلاء وما أوصانا به الرسول من السلام مع المدنيين كما بيناه سابقاً ، ثم إنهم لا يحترمون المعاهدات فهم لا عهد لهم ولا ذمة وقد قاست البلاد العربية من المستعمرين ألوان العذاب ، ولا ينبئك مثل خبير ، فليس لمنصف أن يفترى على الإسلام انتشاره بالقوة أو قسوته على البشرية بعد ما بيناه من الآيات البينات .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عميد معهد دمياط

من سماحة الاسلام

قال الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

(الممتحنة الآية ٨و٩)

طريقة القرآن في الدعوة والإقناع

للأستاذ أحمد مهنا

– ٣ –

(ب) ومن الآيات التي تتحدث عن أسلوب القرآن الكريم في طريقة الدعوة نتبين أن الكتاب الكريم قد استخدم الأسلوب المنطقي ليفند الشبهة، ويسوق الدليل، ويقطع على المنكرين والمعارضين طريق الاعتذار العقيم، فعل ذلك في حديثه عن كل عنصر من عناصر الإيمان.

ففي إثبات الألوهية، تحدث القرآن عن هؤلاء الذين أنكروا وجود الإله في أسلوب الاستفهام الإنكاري الذي يدفع الباطل ويثبت دعائم الحق في مثل قوله تعالى:

«أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض. بل لا يوقنون»

الطور: ٣٥، ٣٦

ووجه إليهم السؤال تلو السؤال، فوضعهم وجها لوجه أمام الحقيقة السافرة التي لا يمكنهم أن يهربوا منها؛ يقول جل شأنه:

«أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون» الواقعة: ٥٨، ٥٩

«أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون» الواقعة: ٦٣، ٦٤

«أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون»

الواقعة: ٦٨، ٦٩

أفرأيتم النار التي تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون»

الواقعة: ٧١، ٧٢

وكما تحدث مع المنكرين للألوهية، فقد ناقش من لم يؤمن بوحدانية الله سبحانه في أسلوب منطقي واضح؛ يقول الحق تبارك وتعالى:

«قل لو كان معه آلهة كما يقولون، إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا»

الإسراء: ٤٢

ويقول سبحانه:

«أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون. لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فسبحان الله رب العرش عما يصفون» الأنبياء: ٢١، ٢٢

ويقول عز وجل:

«ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، إذاً لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون»

المؤمنون: ٩١

وأطال الحديث مع الذين تركوا عبادة الله إلى عبادة غيره؛ فتارة يقرر عجز آلهتهم

الباطلة فى أسلوب إخبارى قاطع ، مثل قوله تعالى :

(والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ، وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) .

الأعراف : ١٩٧ ، ١٩٨

(ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ، ولا يستطيعون) : النحل : ٧٣

(والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون .

أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيان يبعثون .) النحل : ٢٠ ، ٢١

وتارة يفرق فى المقارنة بين الخالق سبحانه والآلهة الباطلة المخلوقة ، ويطالب السامع بمحاولة الادراك والفهم فيقول :

(قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفا تخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور . أم جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار . الرعد : ١٦

ويقول :

(أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون؟)

النحل : ١٧

وتارة أخرى ينعى على هؤلاء الذين لبسوا الحق بالباطل وتنكبوا طريق النور وزجوا بأنفسهم فى ظلمات الجحود والجهل ، ويوجه إليهم السؤال تلو الآخر علهم يفيقون إلى رشدهم ويثوبون إلى ما يتطلبه العقل الراشد والإدراك السليم ، ومن ذلك قول الله سبحانه

« قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ، والله هو السميع العليم وقوله عز وجل : المائدة : ٧٦

« قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الأرض ،أم لهم شرك فى السموات ، ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم . إن كنتم صادقين » .

الأحقاف : ٤

ومن هنا أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يقول :

« ... أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم . . »

الأنعام : ١٤

ويقول : « . . . أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ، ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران ، له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ، قل إن هدى الله هو الهدى ، وأمرنا لنسلم لرب العالمين . الأنعام : ٧١

ثم نجد القرآن يصارح هؤلاء - فى بعض

آياته ـ بأنهم أوغلوا فى الضلال ووصلوا إلى نهاية طريقه . فيقول جل شأنه :

« يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ، لبئس المولى ولبئس العشير) .

الحج : ١٢ ، ١٣

ويقول سبحانه بعد أن يقرر أنه خلق السموات بغير عمد . وألقى فى الأرض رواسى .. الخ (هذا خلق الله ، فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون فى ضلال مبين) .

لقمان : ١١

وفى صدد الحديث عن رسالة النبى صلوات الله وسلامه عليه وتفنيد مزاعم خصومه ومعارضيه يحتكم القرآن إلى تاريخ محمد ونصاعته وما ينطق به من صدقه وأمانته فيتساءل :

(أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون . أم يقولون به جنة . بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) . المؤمنون : ٦٩ ، ٧٠

ويقول :

(أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ، إن هو إلا نذير مبين . الأعراف : ١٨٤

ويوجه الرسول إلى الرد عن الطاعنين فى القرآن لأنه ـ كما قالوا ـ من عمل محمد وليس وحيا من الله إليه ، فيحتكم كذلك إلى تاريخه عليه السلام بينهم ؛ يقول الله تبارك وتعالى :

« قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، أفلا تعقلون » يونس : ١٦ .

ويقول : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لا ارتاب المبطلون » العنكبوت : ٤٨ .

ويعتبر ما جاء فى القرآن من قصص الأمم السابقة والأنبياء الذين بعثوا قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه دليلا قويا على صدق الرسول فى دعواه ، إذ أخبر بما لم ير وما لم تهيئه ظروفه وثقافته البشرية المحدودة قبل النبوة لمعرفته ، وذلك قول الله سبحانه ـ بعد أن تسرد قصة موسى عليه السلام وما حدث له من أمور ـ :

« وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ، ولكنا كنا مرسلين .

وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » القصص ٤٤ : ٤٦ .

وفى الحديث عن البعث وعدم استحالته ، خاطب القرآن الكريم منكريه بالمنطق السليم وألزمهم الحجة عن طريق الدليل الواضح ؛

« ... يقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا ؟ » مريم : ٦٦ .

فيرد الله عليه بما يبهته : « أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » . مريم ٦٧ . ويقول الكافرون : « أإذا متنا وكنا ترابا ، ذلك رجع بعيد » ق : ٣ . فيجيبهم القادر العظيم فى أسلوب لاذع - بعد إقامة الأدلة على قدرته المطلقة - :

« أفعيينا بالخلق الأول ، بل هم فى لبس من خلق جديد » ق : ١٥ .

ويتمادى بعضهم فى جهله فيفتت العظم البالى فى يده ويقول فى استنكار متغطرس : « من يحيى العظام وهى رميم؟ » فيأتيه الجواب المفحم يرد إليه صوابه ويعيد إليه - إن عقل - توازنه :

« قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ! وهو الخلاق العليم » . يس : ٧٨ - ٨١ .

ولم يكن حديث القرآن عن البعث لإثبات إمكانيته وعدم استحالته فحسب ، وإنما سيق ليقرر أنه لابد منه لأنه من مستلزمات حكمة الله وعدله ، وذلك هو قول الله سبحانه :

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم إلينا لا ترجعون .

فتعالى الله الملك الحق ، لا اله إلا هو رب العرش الكريم . » المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦

وقوله جل شأنه :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار . » ص : ٢٧ ، ٢٨

ويحكى القرآن موقف المنكرين للبعث ويجيبهم بأنه واقع لا محالة لتحقيق العدل وتثبيت الحكمة فيقول :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كاذبين » النحل : ٣٨ ، ٣٩

ويدلل القرآن على المعنى المراد بما يوصل إلى تحقيقه فى مثل قوله عز وجل :

. ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » القيامة : ٣٧ - ٤٠

وقوله سبحانه :

« فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر . الطارق : ٥ - ٨

للبحث بقية

أحمد ابراهيم مهنا

قضية السجع ونظم القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور محمد أحمد العمراوى

— ٣ —

ما دام القرآن الكريم والفطرة كلاهما من عند الله ، ليس لغير الله فيهما قول ولا سلطان ، فأقل ما ينبغى للقرآن على أهله أن يقفوا منه موقف علماء الفطرة من الفطرة : يلتمسون منه ، ولا يتحكمون فيه برأى ، ويتحاكمون إليه حتى فى أمور الفن والأدب عند الاختلاف ، ويجعلون إعجازه فى الأسلوب وفى المعنى مناراً لهم فى كل بحث يتعلق به أو تعرض هو له فيحدوا من هذه الفوضى الشائعة فى آداب العربية اليوم !

وقضية (هل فى القرآن سجع؟) وإن كانت تفقد أهميتها بعد الاتفاق على أن السجع إن كان فى القرآن فهو برىء من كل تكلف ، إلا أنها ككل ما يتعلق بالقرآن الكريم يجب أن يراعى فى بحثها تمام الدقة والاحتياط من ناحية ، وأن يجعل تنزيه القرآن وتعابيره عن التكلف أصلا آخر يرجع إليه من ناحية أخرى كأصل الإعجاز الذى يشمله . لكن أصل التنزيه أوضح حدوداً وأسهل تطبيقا عند الاختلاف .

والتكلف شىء وكون كل حرف فى القرآن مراداً لله شىء آخر . فلو كانت إرادة الله لكل لفظ وكل تعبير فى القرآن دليل تكلف لكان القرآن كله متكلفا ، ولكانت الفطرة كلها متكلفة لأنها تجرى كلها على سنن لله فيها ، ومعاذ الله أن ينسب التكلف إليه سبحانه « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » (١) ، فالقرآن برىء من التكلف براءة كل آيات الله فى الفطرة .

والخطر والخطأ كامنان فى نظرة الإنسان إلى الفطرة وإلى القرآن ، فالإنسان فى غروره ينظر إلى ظاهر الفطرة ويحاول تقليده فينتج الزهر الصناعى والتمثال الحجرى ، ويظن أنه قد أتى ما أتى الخالق سبحانه !

وكذلك هو فى محاولته الحكم على القرآن بقياس بلاغته بالمقاييس الصناعية التى لا تصلح له إلا كما تصلح مقاييس الأبعاد فى الارض لقياس الأبعاد فى السماء ، وقد عرف علماء الفطرة كيف يتوقون الخطر والخطأ فى دراسة الفطرة ، فلم يبق على أهل القرآن إلا أن يعرفوا كيف يتوقون مكامن الخطر والخطأ فى دراسة القرآن .

---

(١) سورة يس آية ٨٢ .

وقضيه السجع قضية أدبية ، إلا أنها صالحة للدراسة بالطريقة العلمية من حيث الاستقراء أولا ثم الاستنباط ، فمن الممكن استقراء السجع لإدراك تطوره فى كلام الناس من العصر الجاهلى إلى اليوم ، ما تكلفه الناس منه وما لم يتكلفوه . وهو بحث لا يكفى فيه الاقتصار على الأمثلة المحدودة التى تنافى محدوديتها معنى الاستقراء . فإذا ما تم بحث كهذا على وجهه ، وأدى إلى ما يمكن أن يؤدى إليه بالاستنباط الصحيح الذى لا دخل للهوى فيه أمكنت المقارنة بين نتائجه ونتائج بحث آخر ينبغى القيام به من الطرف الآخر ، طرف القرآن الكريم ، عن طريق استقراء ما يشتبه بالسجع من آياته ، واستنباط ما يمكن أن يستنبط من خصائص التعبير فيها ، غير غافلين أثناء ذلك عن الأصلين الهاديين : أصل أعجاز القرآن وأصل تنزيه القرآن عن التكلف . وهما يقابلان فى ميدان الفطرة ما يصح أن يسمى أصل إعجاز الفطرة وأصل براءة الفطرة من الخطأ .

فكما أن لكل ظاهرة فى الفطرة دلالة وحكمة وإن دقت ، فكذلك لكل لفظ وكل فرق فى التعبير دلالة وحكمة فى القرآن . وقد عرف ذلك للقرآن الفخر الرازى فى القديم فقال فى تفسير الآية (٣٣) من سورة العنكبوت « ما من حرف ولا حركة فى القرآن إلا وفيه فائدة » ، ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل إلى أكثرها . وما أوتى البشر من العلم إلا قليلا » . فبحث كالذى أشرنا إليه لا يكفى أن يقوم به واحد بل يجب أن يشترك فيه من يضمن ألا يهمل فيه أصل الإعجاز وأصل ألا تكلف فى القرآن .

وهما إذا روعيا كما ينبغى ضمنا ألا يتأثر البحث بما قال من الأقدمين من لم يتورع عن نسبة التكلف إلى القرآن مراعاة للفاصلة ، ولا بما قال المستشرقون الذين حملهم قولهم إن القرآن من عمل بشر على الخوض فيه بما يتفق وقولهم هذا ، وبما لا يمكن أن يتفق مع حقيقة القرآن .

وأصل براءة القرآن من التكلف كاف وحده إذا روعى حق رعايته أن يصحح الموقف الذى نجم من قديم عند القائلين بالسجع فى القرآن ومن الف لفهم فى العصر الحديث اقتداء بهم أو بأقوال المستشرقين . وقد رأينا فى المقال الثانى مثالا من الخطأ الشنيع الذى لا ندرى كيف وقع فيه مثل الفراء والزركشى من تجويز أن يكون القرآن خالف الأصول فى اللغة العربية مراعاة لرءوس الآى ، وكيف أقر ذلك وأكده الدكتور صاحب مقالات (السجع والقرآن والباقلانى) معللا إياه بمراعاة الموسيقى والتناغم فى رءوس

الآى ، كأن الموسيقى والتناغم لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق التكلف ومخالفة الأصول ، ناسين أنهم بقولهم هذا فى القرآن العزيز إنما يقيسون قدرة الخالق بقدرة المخلوق ! فإن الإنسان فعلا كثيراً ما يعجز عن تحقيق التناغم إلا عن طريق التكلف ومن أجل هـذا أنكر السجع فى القرآن من علماء المسلمين وأدبائهم من أراد ألا يعرض القرآن الكريم لتهمة التكلف .

لكن سواء أكان فى القرآن سجع أم لم يكن فما ذلك بمقتض أن يكون فيه تكلف قط ، لأنه ليس من عند بشر ولا جن ولا ملك إذا أعجزه تحقيق موسيقى النغم فيه بمراعاة أصول العربية حققها بمخالفة الأصول ، ولكنه من عند الله الذى لا يعجزه فى اللغة شىء كما لا يعجزه فى الفطرة شىء . وأهون بالسجع أو بالنغم أن يتكلف له فى القرآن شىء .

فالقرآن مبرأ منزه عن العيب والنقص وإلا لما تحدى الله الجن والإنس حتى بأقصر سورة فيه . على أن موسيقى العربية . وربما موسيقى النفس الإنسانية حقيقة واقعـة فى الكلم القرآنى فى كل آية منه ، ولم يبق إلا أن نطلب سر ذلك . وإذا كان السجع جزئية من جزئيات تلك الموسيقى فهو جزئية صغرى ، وهو على أى حال سجع لا تكلف فيه . وما أيسر على الله أن يحقق لعباده أقصى الموسيقى اللغوية فى كتابه الكريم من ألفاظ العربية، كما حقق لهم فى الفطرة أنماطا من الجمال شتى من عناصر محدودة وموجات معدودة .

فالذى يتطلب أسرار الموسيقى اللغوية فى القرآن الكريم عليه أن يطلبها بروح الصدق والصبر واطراح الغرور ، أى بالروح التى يتطلب بها عالم الفطرة أسرار الجمال وما إليه من حقائق سنن الله فى الفطرة .

وروح الصدق والصبر واطراح الغرور ، وإن اهتدى إليها عالم الفطرة فى العصر الحديث قد وصى بها القرآن من قديم لكن خالفها كل من قال فى القرآن بتكلف مراعاة الفواصل فى رؤوس الآى وإن كان ممن يدينون بالقرآن . ولا ندرى من فتح الطريق لذلك، أهو الفراء أم أحد قبله .

لكن الذى تولى كبره بعد ذلك فى العصر القديم هو شمس الدين بن الصائغ ، فما رأيت أحداً جاء بأنكر مما جاء به فيما نقل عنه السيوطى فى فصل خصه به من الفصول التى وقفها على فواصل الآى فى الإتقان . وما أظن كلامه فى هذا الفصل إلا المنبع الذى أخذ منه الدكتور الفاضل ما نقلناه عنه وأخذناه عليه فى مقالنا الأول[1] من أن القـرآن الكريم فى سبيل الاسجاع ، يفرد

---

(١) ذو القعدة سنة ١٣٨٦ هـ.

ما حقه الجمع أو يجمع ما أولى به ، الإفراد أو يؤخر ما من شأنه أن يتقدم أو يؤثر تقديم ما الأصل فيه أن يتأخر ، إلى آخر ذلك الذى قال مما يعارض أصل إعجاز القرآن مع إفراده بالإعجاز فى مقاله الأخير[١] .

فبعد أن قال ابن الصائغ (إن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية) زعم أنها (يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول) وهو زعم لا يمكن أن يسلمه له إلا أهل التصنع والتكلف فى القول . فإذا ماقال بعد ذلك إنه قد أحصى فى القرآن نيفاً وأربعين مخالفة وقعت فى أواخر الآى مراعاة للمناسبة فقد جاء ظلماً وزورا . والمناسبة عنده هى مراعاة الفواصل فى رؤوس الآى . وهو يذكر لك ما سماه مخالفة فى صورة توهم الشيوع فى القرآن وأنه إنما يضرب لها المثل أو المثلين ، وهذا مما يزيد فى شناعة ما جاء به .

وقد عد ما سماه (تقـــديم الفاضل على الأفضل) وذكر له مثل هارون وموسى الذى ليس عندهم غيره ، وقد ذكرنا للتقديم حكمتين فى مقالنا السابق[٢] ، فهارون كان أفصح وكان أسن من موسى فأشير إلى هذا ، وربما إلى غيره أيضاً عند أهل الكتاب ، بهذا التقديم اللطيف .

وعد ما سماه (تقديم ما هو متأخر فى الزمان نحو فلله الآخرة والأولى) وزعم أنه لولا مراعاة الفواصل لقدمت الأولى كقوله (له الحق فى الأولى والآخرة)، جهل حكمة التقديم فقال بمراعاة الفواصل ، ولو أنه كان رجع إلى السياق فى سورة النجم وفى سورة القصص لربما كان استبان أن المقام هو اقتضى ذلك التقديم فى كل ، فالأمر فى سورة النجم متعلق بالآخرة ، يدل عليه قوله تعالى فى الآية بعدها (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) . والآيات قبل وبعد فى سورة القصص متعلقة بأمور الدنيا : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون . وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون . وهو الله لا إله إلا هو ، له الحمد فى الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا تسمعون الآيات . فالحكمة فى التقديم واضحة لمن لا ينزع الكلمات من سياقها ويحكم برأيه فيها .

وعد ابن الصائغ ما سماه « تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً)، ولا يدرى

(١) رجب سنة ١٣٨٧ هـ .

(٢) عدد ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ .

أحد لماذا جعل ابن الصائغ (منشوراً) صفة لكتاب لا حالا من (يلقاه)، ولا لماذا لم يجعل (يلقاه منشوراً) جملة بيانية لقوله تعالى (ونخرج له) وهى عندنا أولى الأوجه إذ تزيد المعنى الذى تم قبلها بيانا، وعلى أنهما صفتان لكتاب فأيتهما أولى بالتقديم أن يكون الكتاب يلقاه الإنسان أو أن يكون منشوراً؟ لكن ابن الصائغ فيما يبدو رجل نحو وربما رجل فقه لا رجل بيان.

وعد ابن الصائغ ما سماه تقديم المعمول على العامل وضرب له مثلا قوله تعالى (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) يريد أن المفعول (إياكم) تقدم على الفعل «يعبدون» من أجل الفاصلة!

والسؤال الرهيب موجه إلى الملائكة يوم القيامة أمام من كانوا يعبدون الملائكة من البشر كما تنطق به نفس الآية (٤٠) من سورة سبأ (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، فاحكم أنت على ابن الصائغ هذا أكان من الممكن فى مثل هذا المقام إلا هذا التقديم الذى يتمثل فيه الغضب والتهديد والسخط حتى فرقت منه الملائكة. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن».

لكن ابن الصائغ كان محروما فيما يبدو من كل ذوق أدبى فلم يدرك شيئاً من هذا، كما لم يدركه فى قوله تعالى «ولم يكن له كفواً أحد». وجعله مثلا لتقديم خبر كان على اسمها من أجل الفاصلة أيضا!

ولو أنه وقف على اللفظ الرابع فأى الوقفين يكون أدل على المعنى المراد وأسبق إلى نفس السامع به: أن يقال (ولم يكن له كفوا) وإن احتيج إلى تقدير محذوف هو الذى نفى عنه أن يكون كفواً لله، أو أن يقال (ولم يكن له أحد) مع أنه سبحانه له كل شىء؟ فهذا مثل من عزة القرآن وإحكام آياته، كل كلمة فى موضعها محكمة لا يليق به غيرها، وليست اللغة كلها نحوا وأجرومية، لا فى العربية ولا فى غيرها من اللغات الراقية، فأن يضرب ابن الصائغ الذكر صفحا عن قواعد المعانى ولا يذكر إلا قواعد النحو بجعلها مناقضة لقواعد المعانى بحيث لو اتبعت هذه كانت خارجة عن أصول تلك، يدمغ ابن الصائغ بجهل يجعله غير أهل للنظر فى كتاب الله العزيز.

واقرأ له واعجب كيف جعل قوله تعالى: «لنريك من آياتنا الكبرى» مثلا لتقديم معمول على آخر أصله التقديم إذا أعربنا (الكبرى) مفعول (نرى) فتكون الآية عنده (لنريك الكبرى من آياتنا)! وحتى فى هذه الحالة لا يكون تقديم (الكبرى) هو الأولى كما يتبين من الاختبار بالوقف كما فعلنا فى حالة الآية الكريمة «ولم يكن له كفوا أحد» فلو وقفنا على (الكبرى) كما يريدها ابن الصائغ لما عرفنا ما هى ولما أفادت أنها من آيات الله، وهى الفائدة التى يفيدها الوقف على (آياتنا) فى الآية الكريمة ولو لم تذكر (الكبرى).

على أن ابن الصائغ قد أخطأ وأوغل فى الخطأ حين افترض إعراب الكبرى مفعولا فهو مخطىء فى هذه الحالة حتى فى النحو إذ ليس هناك معمول غيرها للفعل تقدم عليها وهى أولى منه بالتقديم ، لأن (من آياتنا) تصير صفة لها لو تقدمت ، كما هى صفة لآياتنا فى النظم العزيز . ثم هو من ناحية المعنى مخطىء أيضا فيما افترض ، لأن الله سبحانه أرى سيدنا موسى آيتين لا آية واحدة تكون هى الكبرى فى فهم ابن الصائغ : أراه آية اليد بعد أن كان أراه آية العصا ، وعقب عليهما سبحانه بقوله (لنريك من آياتنا الكبرى) فلا يجوز مطلقا تقديم (الكبرى) من موضعها فى الآية الكريمة وإلا لكانت آية اليد أكبر من آية العصا التى سبقتها ، وليست كذلك بالطبع . والآيتان كلتاهما من آيات الله الكبرى وهو ما يفيده النظم كما جاء فى الآية الكريمة من سورة طه ، لا كما يريد ابن الصائغ لاحتمال نحوى يأباه النظم الحكيم من ناحية . ويدخل الخلف حيث الخلف مستحيل من ناحية أخرى .

ثم يمضى ابن الصائغ فى تحكماته وفى شناعاته فمن تحكماته عده الاستعمال وهو جائز فى اللغة ثم عده عكسه إذا كان هو أيضا جائزا فقد عد تذكير اسم الجنس فى قوله تعالى (كأنهم أعجاز نخل منقعر) ، ثم عد تأنيثه فى قوله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خاوية) ! فالمعقول أن يعد أحدهما إن كان الآخر هو المرجح عنده ، أما أن يعد الاثنين وقد تساويا فى اللغة بدليل نزول القرآن بهما وبدليل عدم ترجيحه هو أحدهما فهذا هو التحكم الممقوت عند الله كأنما يريد ابن الصائغ أن يحجر الوسع الذى وسع الله على أهل لغة كتابه حسب المناسبة كما يقول ابن الصائغ ولكن من غير مخالفة لأصل ما ، كما زعم وادعى !

ومن تحكماته ما زعم من إبقاء حرف العلة مع الجازم فى قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) على القول بأنه نهى ! وهو قول شاذ لم ترد به قراءة من القراءات العشر [1] . وكان على ابن الصائغ أن ينبذه بدليل إثبات حرف العلة اللهم إلا إذا كان يعتمد اللغة التى تجيز الإثبات مع الجازم وقد وردت فى كلام الإمام الشافعى فى الرسالة ، وعندئذ لا يكون لابن الصائغ أن يعده . أما أن يفترض النهى ولا يعتمد لغة الإثبات فهذا هو التحكم بالهوى فى كتاب الله على أن احتمال النهى يحول دونه الاستثناء فى الآية بعدها فى قوله تعالى (إلا ما شاء الله) ويكفى هذا وما قبله توضيحا لتحكماته .

أما شناعاته فقل فيها ما شئت . أهونها لزه

---

(١) انظر كتاب البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضى شيخ معهد القراءات فى كل ما يتعلق بالقراءات فى هذا المقال .

بالخروج إحدى قراءتين متواترتين في الحرف الواحد ، كالذي عد من حذف ياء المنقوص المعرف في نحو (الكبير المتعال) في الآية (٩) من سورة الرعد و (يوم التناد) في الآية (٣٢) من سورة غافر ، وكالذي عد من حذف ماسماه ياء الإضافة في نحو (فكيف كان عقاب) في الآية (٣٢) من سورة الرعد وفي الآية (فكيف كان عذابي ونذر) في مواطنها المتعددة في سورة القمر ، وكالذي عد من حذف ياء الفعل غير المجزوم في نحو (والليل إذا يسر) في سورة الفجر ، والحذف والاثبات كلاهما وارد متواتر في كتاب الله فهما إذن لغتان فصيحتان جمع الله بينهما في كتابه فلا معنى للبز إحداهما بمخالفتها الأخرى مادام الحق سبحانه قد أقرهما معاً توسعة منه على أهل العربية لغة كتابه العزيز . بل الذي لمز ابن الصائغ منهما هي الأشهر لأن قراءها هم الأكثر .

وقل مثل ذلك في عده ماسماه زيادة حرف المد في نحو (الظنونا) و (الرسولا) و (السبيلا في الآيات (١٠، ٦٦، ٦٧) من سورة الأحزاب وعده ما سماه صرف ما لا ينصرف في نحو (قوارير قوارير) في الآيتين (١٥، ١٦) من سورة الإنسان .

والصرف بالتنوين ليست هي قراءة حفص ولا أبي عمرو ولا ابن عامر ولا حمزة ولا يعقوب وقد وردت القراءتان كلتاهما عن عاصم إحـــداهما براوية حفص والأخرى برواية شعبة . ولا مفاضلة بينهما إذ كل من عند الله وإن اشتهرت إحداهما عندنا لكن الشناعة التي لا يدري كيف يقع فيها عالم مسلم أن يزعم مثل ابن الصائغ أن الله سبحانه أنزل . من أجل مراعاة الفاصلة ، (مستوراً) بمعنى (ساترا) في قوله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) . والحجاب لابد أن يكون حاجبا أي ساتراً . فقد جعل ابن الصائغ (مستوراً) حشواً بالمعنى الذي زينه له شيطانه أو هيأه له جهله فضلا عن نسبته إلى القرآن الكريم استعمال الكلمة في نقيض معناها . وإنما الحجاب في الآية الكريمة هو حجاب العناد وتقليد الآباء إلى آخر ما كان يصد الكفار عن سماع القرآن من عوامل نفسية كلها غير بادية للعين فهي حقاً حجاب حاجب جد مستور . ولعل أشنع من ذلك مازعم من الاستغناء بالتثنية عن الافراد في نحو قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أراد جنة فثنى من أجل الفاصلة ! وإن نسبه إلى الفراء .

فانظر كيف يجني إيثار السجع على أهله إذ يورطهم في صنوف من الجهل لايقبلونها من أنفسهم ولا من صبيانهم ثم ينسبونها إلى كتاب الله عز وجل ؟

محمد أحمد الغمراوي

العامل النفسي في صلة الأرحام

قصة واقعية ذات مغزى

للدكتور محمد رجب البيومي

من أمثلة الإعجاز القرآني الذي قد لا نلتفت إليه قول الله عز وجل « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » فقد قرنت الآية الكريمة تقطيع الأرحام بتولية الحكم ، وجاء ذلك مصداقا لما نطق به لسان التاريخ من بعد ، حين قطعت الأرحام أبشع تقطيع ، إذ دأب ولاة الحكم في كثير من عهود الدول السالفة في الشرق والغرب على أن يقطعوا أرحامهم بانتزاع ولاية العهد ممن عقدت له إلى ابن الحاكم القائم بالأمر ، وذلك حدث هائل لا يتم بغير تهديد ووعيد ، يصلان في أكثر الأحوال إلى التآمر والاستئصال ، وما تآمر أبي جعفر المنصور وعشرات ممن ساروا على صنته في ذلك مما يجهل ، فنعيد الخوض فيه ! بل إننا لنذكر ما كان من تقاليد الدولة العثمانية حين دأب سلاطينها على استئصال أقاربهم وذوي رحمهم في الساعات الأولى من توليتهم الحكم ! حتى اضطر بعض مؤرخيهم أن يقول في بدء الحديث عن كل سلطان ، « وقد قام بإعداد حمام الدم المتبع في مثل هذه الأحوال » وما حمام الدم هذا إلا سفك دماء ذوي القرابة القريبة ممن يتوهم فيهم الحاكم - بالظنة المحتملة - تطلعا إلى الحكم في يوم بعيدا وكأن السلطان سليم الأول قد سن دستورا جازما لمن بعده ، حين قال قولته المشئومة « السيفان لا يجتمعان في قراب واحد » بعد أن قتل أباه وأخاه ، فصار خلفاؤه ينهجون نهجه الظالم في تقطيع الأرحام كعمل مشروع تتقبله الناس بكل ارتياح ! وأمثال هؤلاء هم الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم وحقت عليهم لعنته في كتابه حين قال « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » .

ولا عجب بعد ذلك أن يهتم الإسلام بصلة الرحم ، وأن يشدد النكير على قاطعها استنادا لأمر نفسي جبلت عليه الطبائع البشرية في كل زمان ومكان ، إذ أن ذا رحمك دائم التطلع إلى خيرك إن حرمه . فهو يعتده حقا حتميا ينادي به الدم الممتزج والقرابة الواشجة . فأنت إذا كنت غنيا موسرا وتركت الفقير

الأجنبي محروما من صدقتك ، فإن غضبه عليك لا يبلغ معشار ما يشتعل فى صدر قريبك الفقير من غضب ، لأن منطق الدم القريب يصيح فى عروقه مؤكدا حقه عليك فى رعايته ، فأنت بإهماله تشعل فى صدره جمرا لا يزال يتقد حتى تطفئه بشاشتك بالخير وصلتك بالبر ! تلك حقيقة نفسية فطن إليها الإسلام حين قدم ذوى القربى على غيرهم فقال صلى الله عليه وسلم حين سئل أى الصدقة أفضل : جهد المقل وابدأ بمن تعول ، وقد أمر رسول الله يوما بالصدقة فقال رجل : يا رسول الله عندى دينار ، فقال : تصدق به على نفسك ، قال عندى آخر قال تصدق به على ولدك . قال عندى آخر قال : تصدق به على زوجك قال عندى آخر قال : تصدق به على خادمك قال عندى آخر قال : أنت أبصر به .

هذا بعد ما جاء فى الحديث النبوى ، أما القرآن فقد رتب مصارف الصدقة ترتيباً لا يحتمل اللبس حين قال عز وجل فى سورة البقرة « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل » وحين قال فى سورة الروم (فآت ذى القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله) وحين قال فى سورة البقرة (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب) !

وكعادة علماء الإسلام فى التحليل والشرح ، نجدهم يسهبون فى علة تفضيل ذوى الرحم لدى الصدقات فمن قائل : إن المتصدق أقدر على معرفة المحتاج من ذوى قرباه ، وأخبر بهم من سواهم ، فقد يضع الصدقة فى يد البعيد وهو غير فقير منخدعا ببعض الظروف والملابسات ، أما ذوو رحمه فهو أدرى بمصادر رزقهم ومبلغها من الضيق والسعة ، لذلك كانت صدقة القريب يقينا لا يتطرق إليه الظن ، ومن قائل : إن فى مودة ذوى القرابة تدريبا على مودات الأباعد ، وتمهيداً للإحسان الشامل الذى ينتظر أن يعم البعيد باتساع منافذ الرحمة تدريجياً لدى المحسن ! ومع ارتياحى لهذين التعليلين فإنى أضيف إليهما أن العامل النفسى المشترك بين ذوى القرابة ، يجعل الغنى مدفوعا إلى العطف عليهم بادئ ذى بدء بحيث لو قصر فى ذاتهم ما صادف ذلك ارتياحا خالصا من ضميره فهو يثور عليه فى أعماقهم ثورات متقطعة قد تجد صداها عند الخيرين من ذوى البر وقد لا تجده عند من أعمتهم الشراهة وأفسدهم الطمع ! كما أن هذا العامل النفسى بذاته يجعل الفقير مترقبا خير قريبه الثرى فى كل لحظة من لحظات عسره ، فإذا أبطأ عنه فإنه

لا يستطيع إطلاقا أن يقرن شحه بشح الأجنبي البعيد . فالقريب لديه أعظم جريرة وأفدح ذنبا ! وليس ذلك فيما يتعلق بالصدقة وحدها بل إنه يمتد إلى كل تصرف من تصرفات الحياة ! وهذه حقيقة إنسانية واضحة لمحها الجاهلي القديم حين قال :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

وما أريد أن أفيض فى استيفاء مناحى القول فى تفضيل ذوى القرابة ، فلعل غيرى أقدر على ذلك وأكفأ ، ولكنى أمهد بهذه المقدمة الموجزة لقصة أدبية رائعة ذات مغزى خلقى يؤكد صلة الرحم ! وقد قرأتها فى كتاب المكافأة وحسن العقبى لأحمد ابن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية المتوفى سنة ٣٤٠ هـ .

وفى تراثنا الأدبى كتب جيدة يصح أن تكون كتب أخلاق عملية قبل أن تضاف إلى التراث الفنى وحده ، وكتاب المكافأة من أظهر الأمثلة لهذه الكتب ، إذ كان هدفه الأساسى خلقيا مثاليا يدعو إلى البر والعرف ، ويؤكد مثوبة الخير المرتجاه ، وعقوبة الشر المنتظرة فى الحياة الدنيا قبل الآخرة بما يروى من قصص واقعى ويسجل من حدث متعالم مشتهر ، وهو بذلك أنفع لقارئه من كتب الأخلاق التقريرية التى تعتمد على المواعظ والنقول وحدها أو التى تستند على النظريات التجريدية فى فلسفة الخير والشر ، دون أن تمس شغاف القلوب بما تصور من عاطفة وبما تلون من منظر وقد كان أحمد بن يوسف من كبار البلغاء الذين يرتسمون الإيجاز اللامح ، ويبتعدون عن بريق اللفظ ورنين الصنعة إلى جمال الصدق ، وصفاء التعبير ، وإصابة المحز ولن نقدمه بأحسن من بيانه حين يروى هذه القصة المؤثرة فيقول :

وحدثتنى أم آسية ، وكان لها دين ومذهب جميل ، ومحل لطيف من خمارويه ، وقد تذاكرنا لطف الله عز وجل فى أرزاق عباده ، وحسن الدفاع عنهم ، أنه تزوجها وأختها أخوان فأقبلت حال زوج أختها ، وأدبرت حال زوجها ، قالت وتوفى زوجها بأسوأ حالة وخلف لها بنات ، وتعذر عليها تجهيزه من اختلاله ، وتوفى زوج أختها ، وقد خلف من العين والمساكن والأوانى لولد أختها .

قالت فكنت أجاهد فى مؤنة ولدى ، وإذا وقف أمرى ، صرت إلى أختى فقلت اقرضينى كذا وكذا (استحياء من أن أقول لها (هبى لى) ودخل شهر رمضان فلما مضى نصفه اشتهى على صبيانى حلوا فى العيد فصرت

إلى أختى فقلت لها أقرضينى دينارا أعمل به للصبيان حلوا فى العيد) فقالت يا أختى تغيظى (١) بقولك اقرضيى وإذا قرضتك من أين تعطينى أمن غلة دورك أو بساتنك ؟ لو قلت لى هي لى كان أحسن) فقلت لها أقضيك من لطف الله تعالى الذى لا يحتسب، وجوده الذى يأتى من حيث لا يرتقب، فتضاحكت وقالت (يا أختى هذا والله من المنى، والمنى بضائع النوكى) فانصرفت عنها أجر رجلى إلى منزلى).

وكان فى جوارنا خادم أسود لبنت اليتيم امرأة خمارويه، فلما بلغت حارتنا، قال لى فى جوارنا امرأة تطلق (٢) قد أوجعت قلبى أدخلى إليها فليس لها قابلة) قالت أم آسية (ووالله ما عاينت مخوضة (٣) قط، فدخلت إليها فسحت جوفها، وأجلستها كما كان القوابل يجلسننى فى طلقى، فولدت من ساعتها، فلما أمسك صياحها، جاء الخادم يسأل عنها فقلت قد ولدت، فعجب من سرعة أمرها وظن هذا شيئا قد اعتمدته بحذق صناعة، ولطف فى مهنة، فمضى إلى سته بنت اليتيم، وكانت مقربا (١) بأول ولد حمل لأبى الجيش، وقد عرض عليها قوابل استثقلتهن، فقال فى جوارنا قابلة أحضرناها لامرأة فى حارتنا تطلق فوضعت يدها على جوفها فسقط ولدها ووصفنى بما لا يوجد فى قدرة أحد إلا بالله عز وجل، فقالت للخادم: إذا كان غدا فجئنى بها، فأتى الغلام ودعانى إلى مولاته فأجبت بانشراح صدر وثقة بالله تعالى فاستخفت روحى: وقالت: (إلى التمام بتقدير الله الله تعالى، ثم اشتكت مغسا (٢) تجده المقرب، فأدخلت يدى فى ثيابها ومسحت جوفها، وعججت إلى الله تعالى فى سرى بتوفيقى، وكنت أدعوه، ومن حضر من أهلها يتوهم أنى أرقى - فسكن ما وجدته وتبركت بى ودخل إليها خمارويه وقال ما وجدت؟ فقالت مغسا فى جوفى فوضعت قابلة أردتها يدها عليه فزال ما أجده، وأخرجتنى إليه - وكان قريبا من حرمه - فقال لى: أرجو أن يخلصها الله عز وجل: ببركتك قالت أم آسية ودخلنا فى العشر الأواخر من شهر رمضان وقد تمسكت من الإخلاص لله عز وجل بما

---

(١) طلقت المرأة إذا أدركها المخاض

(٢) المخوضة التى ضربها الطلق.

(٣) الحامل المقرب: التى دنت ولادتها

(١) هكذا بحذف النون على لغة مرجوحة تعمدها الكاتب مراعاة لأساليب العامة فى التخاطب.

(٢) المغس: المغص

ويجىء ، فلما ولدت — وكانت تتوقع من الولادة أمراً عظيماً — قالت لى أهذا الطلق؟ قلت نعم ، فقبلت — يعلم الله — عينى من الفرح ، وصاح خمارويه :

أخبرينى يا مباركة بخبرها ، فقلت وحياة الأمير إنها فى عافية ، وقد ولدت غلاماسوى الخلق بحمد الله ، فوجه إلى بألف دينار ، وألح أبو الجيش فى النظر إليها لفرط إشفاقه عليها ، فاستوقفته إلى أن نقلت حوائج الولادة ، وقلت لها ياسيدتى اضحكى فى وجهه كما تريه ، فلما دخل إليها ضحكت فى وجهه فتقدم بصدقة ومال كثير عنها وعن ولده .

وقالت أم آسية ، لما كان يوم الأسبوع ووقع قبل العيد بيوم واحد ، أمرت لى بخمسمائة دينار وحصل من أتباعها ألف دينار . فحصل لى ألفان وخمسمائة دينار ، وخلعت على وسائر حشمها أكثر من ثلاثين خلعة ، وحمل إلى مما أعد للعيد ثلاث موائد خاصة ، وانصرفت إلى منزلى وأرسلت إلى أختى مائدة ، ووافتنى مهنئة وقد تقاصر طولها ، فأريتها ماحصل لى من المال والخلع والطيب ، وقلت لها : يا أختى أنكرت على قولى ، أقرضينى ، ومن هذا كنت أقضيك فلا تستصغرى من كان الله مادته وعليه مدار ثقته وتعويضه ، .

واكتسبت هذه المرأة بمحلها من أبى الجيش مالا كثيراً ، وقضت لجماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة ا هـ

هذه الحادثة تغنى عن المائة صحيفة تكتب فى إيضاح الحساسية المفرطة بين ذوى الأرحام فهى تكشف بأوضح الصور ما يمور به تيار الدم فى النفوس ذوات الوشائج القريبة والأواصر الدانية ! فمن الواضح أن أخت القابلة كانت محسنة تعطى شقيقتها ما تطلب ، فليست من العقوق بمحل يستنكره ! ولكن جملة يسيرة من قولها العابث فعلت فى نفس الأخت ما تفعل النار فى الهشيم ! تلك هى قولها ، تغيظينى بقولك أقرضينى وإذا قرضتك من أين تعطينى ؟ ولو كانت الأخت المحسنة تدرك حساسية الموقف بين شقيقتين من نبعة واحدة ماقالت شيئاً ! ولعرفت أن التى تقول لها أقرضينى كانت تشعر بلذع النار استحياء من قولها هى لى !

ولك أن تقدر شعور البائسة المسكينة وهى تتحدث عن حرصها البالغ فتقول ، فأدخلت يدى فى ثيابها وعججت إلى الله تعالى فى سرى بتوفيقى ، وكنت أدعو ، ومن حضر من أهلها يتوهم أنى أرقى !!

أو تقول ، ودخلنا فى العشر الأواخر من شهر رمضان وقد تمسكت من الإخلاص لله عز وجل بما لا يصل إليه من ساح فى الجبال خوفا من شماتة أختى بى ، .

بقية المنشور على ص (١٣٨)

من صور البطولة والفداء

للأستاذ محمود محمد شبكة

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم المثل العليا فى الكفاح والتضحية ، وهم النماذج الصادقة فى الإخلاص والتفانى وإنكار الذات وهم الذين قدموا أرواحهم رخيصة إعلاء لدين الله ، ووقفوا صفا واحدا خلف قائدهم الأعظم يشدون من أزره ويأتمرون بأمره ، ويحاربون أعداء الحق بصبر وشجاعة وثبات وكانت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول تملأ نفوسهم إيمانا وقوة ، وتنير أمامهم الطريق ، وترغبهم فى الجهاد والعمل ، وتحثهم على التضحية والبذل : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله »

« إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

« لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » .

وكان الاستشهاد فى سبيل الله أمنية غالية يسعون إليها ويعملون على تحقيقها فما كان صحابة رسول الله طلاب مال ولا جاه ولا سلطان وإنما كانوا طلاب مثل وعشاق مبادئ ، لا يلقون بالا إلى زخارف الدنيا ولا إلى مفاتن الحياة ومباهجها ، باذلين أرواحهم ثمنا وقربانا : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ومن هؤلاء الأصحاب الأبطال (سعد ابن الربيع) فقد نشأ سعد فى يثرب ورأى الصراع الدامى بين قومه الخزرج وبين الأوس والذى طالما شبت ناره ، واشتعل أواره ، للتافه من الأسباب وكان بفطرته يكره هذا التطاحن الذى لا طائل تحته ، ويتمنى للقوم أن يعيشوا فى سلام ووئام ، وبخاصة أن اليهود كانوا يؤججون نيران العداوة بين الحيين ، ويتحينون الفرص المواتية للدس والوقيعة ، وينظرون بعين الرضا والاغتباط إلى ما يحتدم بينهم من خلاف ، وتشوقت نفس سعد إلى صبح جديد يبدد ظلمات هذا الليل البهيم الذى طالما ضل فيه السائرون وتخبط فيه المدلجون ، وكان له من شرف

أسرته ومن وجاهة قومه ما جعله يسمو بنفسه عن الصغائر والسفاسف، ويربأ بها أن تنزلق فيما ينزلق فيه القوم من العبث والكذب والنفاق ومقارفة المنكر وما إلى ذلك مما كان ذائعاً ومنتشراً فى المجتمعات الجاهلة، وبهذا السلوك المهذب عظمت منزلته وكبر فى أعين الناس، لا سيما أنه كان قارئا كاتبا على قلة من كان يقرأ ويكتب حينذاك.

وما أن ترامت إلى سمعه أنباء دعوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى تحرك لها ضميره واهتز لها كيانه وأحس إحساساً داخلياً بأنها تخاطب عقله ووجدانه، ففيها طلبته، وفى مبادئها ما يحقق أمانيه، فسارع إليها فى لهف وشوق كما يهرع السائر فى البيداء وقد أعيته الهاجرة ولفحته الشمس وأجهده الظمأ حينما تلوح له من بعيد واحة فيها الظل الظليل والماء الفرات.

آمن سعد بالدين الجديد عن رغبة واقتناع ورأى فيه وفى مبادئه النجاة مما ارتكس فيه القوم من خلافات وحروب لا تنتج إلا الشر ولا تثمر إلا الكراهية والحقد، وحضر سعد بيعة العقبة الأولى وفى ليلة العقبة الكبرى وهى الليلة المباركة التى تعهد فيها الأنصار بالوقوف إلى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته، ومنعه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم كان سعد نقيبا على قومه. وعندما تمت هجرة المسلمين إلى المدينة كان سعد من بين الذين عناهم الله سبحانه وتعالى بقوله: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)، فقد أراد الرسول أن يقوى الرابطة، ويدعم الصلة بين المهاجرين والأنصار فآخى بينهم، ولقد أظهر هذا الإخاء نبل الأنصار وكرمهم، فقدموا لإخوانهم المهاجرين أموالهم وبيوتهم عن طيب خاطر تضحية وإيثارا، وآخى الرسول بين سعد وعبد الرحمن بن عوف وسر سعد بهذا الإخاء واستراح له واطمأن به وقال لأخيه فى الله لى امرأتان وأنت لا زوجة لك، فأنزل لك عن واحدة فتتزوجها. فرفض عبدالرحمن ابن عوف ثم عرض عليه سعد أن يشاطره ماله فرفض كذلك، وطلب منه أن يدله على السوق فلقد كان عبد الرحمن تاجراً وعنده المال الكثير ولكنه تركه لقريش فى مكة وهاجر ناجيا بدينه، وانطلق إلى سوق المدينة، واستطاع فى فترة قصيرة أن يكون من الأثرياء مقدرا لأخيه كرم وفادته وجميل صنيعه.

وفى مجال التضحية بالنفس والجود بها فقد آلى سعد على نفسه منذ أسلم أن يكون

جنديا مخلصا فى جيش الإسلام فلقد قاتل بشجاعة وإقدام فى غزوة بدر وفى غزوة أحد وهى المعركة التى كسب فيها المسلمون الجولة الأولى ثم لما خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا مواقعهم طمعا فى الغنيمة حدث ما حدث من انقضاض المشركين من الخلف وإعمالهم السيوف فى ظهر المسلمين ضربا وتقتيلا وكان أن التاث الأمر على المسلمين وزلزلوا زلزالا شديداً.

فكان سعد يقاتل المشركين قتال الأبطال فلم يضعف ولم يتقهقر، بل كان يدرك خطورة ما صار إليه المسلمون غير عابىء بما ناله من سيوف الأعداء وفى النهاية وبعد أن روى سعد سيفه بدماء الكفار سقط صريعا وفيه بقية من روح.

ولما انجلى الموقف وانتهت المعركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأتنى بخبر سعد بن الربيع فإنى رأيت الأسنة قد أشرعت إليه فقام رجل من الأنصار فقال: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد فتفقد الرجل جثث القتلى حتى وقف على سعد وقال له: إن رسول الله يسأل: أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟ فقال سعد: أبلغ رسول الله عنى السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله خير ما جزى به نبى عن أمته، واقرأ على قومى السلام وقل لهم: الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة فوالله ما لكم عذر إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف، ثم أسلم الروح فلما بلغ ذلك رسول الله قال: رحمه الله نصح لله ورسوله حيا وميتا:

دخل رجل على أبى بكر الصديق وفى يده طفلة يحملها ويقبلها فقال له: من هذه؟ فأجابه الصديق: هذه بنت رجل خير منى سعد بن الربيع كان من النقباء يوم العقبة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد.

ومضى سعد إلى ربه راضيا مرضيا ضاربا المثل الأعلى فى الجهاد والتضحية مطمئنا ظافرا تستقبله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدا فيها لقاء ما قدم وكفاء ما بذل؟

محمود محمد شبكة
مدرس بدار المعلمين بطنطا

انتشار الإسلام في جيلان

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٢ —

سلط الضوء فى المقال السابق [1] على ثنتين من المحاولات التى بذلت فى سبيل نشر الإسلام بين أهالى منطقة جيلان ، ونعنى بهما : محاولة عمر بن العلاء ، ومحاولة يحيى بن عبد الله العلوى ، وقد بينا مدى ما حققته المحاولتان من نجاح ، والذى نود أن نبرزه هنا هو ما يبدو من أن الذين اعتنقوا الإسلام فى كل من المحاولتين كانوا من عامة الناس ؛ إذ لو كان بين من أسلموا أحد من علية القوم لأشارت إليه المراجع باسمه أو بصفته ، وهذا ما لم نجده فى دراستنا لكل من المحاولتين .

نجح الخليفة هارون الرشيد فى إخراج يحيى بن عبد الله من بلاد الديلم والإتيان به إلى بغداد ، بيد أنا لا نستطيع أن نقول : إنه نجح فى صرف نظر العلويين عن أهمية هذه المنطقة كمأمن لهم من الاضطهاد الذى يعانونه على أيدى منافسيهم العباسيين ، وكحقل بكر يزاولون فيه نشاطهم من أجل العقيدة الإسلامية والدعوة الشيعية تجمع المراجع على أن الكثير من العلويين قد اتخذوا من إقليم طبرستان دار هجرة لهم ، وذلك منذ أواخر القرن الثانى الهجرى حيث كانت لهم جهودهم المشكورة فى حمل مجوسى طبرستان على اعتناق الدين الإسلامى .

امتد نشاط بعض هؤلاء العلويين إلى الإقليم المجاور جيلان ، حيث زاولوا نشاطهم فى سبيل العقيدة الإسلامية ، وكان من نتيجة ذلك أن اعتنق رأس الأسرة الجستانية الإسلام ، والأسرة الجستانية هـــذه هى الأسرة التى عاصرت مراحل انتشار الدين الإسلامى فى الإقليم ، وكانت لها فى نفس الوقت السيادة على قبائل الديلم الذين استوطنوا بصفة رئيسية المناطق الجبلية الجنوبية ، يلح علينا تطور الحديث إلى هذه النقطة أن نلقى مزيدا من الضوء على موقف هذه الأسرة من الإسلام ودعاته .

مما سبقت الإشارة إليه آنفا عرفنا أن رأس هذه الأسرة فى العقد الثامن من القرن الثانى الهجرى هو الذى منح يحيى بن عبد الله

---

(١) فى عدد المحرم ١٣٨٨ هـ .

حق اللجوء السياسى ، ولـكنه فى نفس الوقت لم يعتنق الدين الإسلامى .

استغل أعداء العلويين نقطة الضعف هذه ، وذلك بإيهام الزعيم الديلمى أن يحيى عبد آبق من سيده هارون الرشيد ، وليس من حفدة الرسول عليه السلام . وقد أضيف إلى نقطة الضعف هذه قوة تأثير زوجة الزعيم الديلمى عليه ، هذا التأثير الذى مارسته الزوجة استجابة لما غمره بها الفضل بن يحيى البرمكى من الهدايا والتحف والأموال ، وقد أدى هذا وذاك فى النهاية إلى تخلى رأس الأسرة الجستانية عند حماية يحيى العلوى .

مهما يكن الأمر ، فقد أدى ذهاب يحيى ابن عبد الله إلى بلاد الديلم ، وإخراجه منها ـ بالصورة التى سبقت الإشارة إليها إلى هزة عنيفة فى العلاقات بين أفراد الأسرة الجستانية الأمر الذى ترتب عليه أن أرغم جستان على التنحى عن الملك والرياسة ، وحل محله آخر من أبناء عمومته ، . لم نتعرف من خلال المراجع التى بين أيدينا على اسم الرئيس الجديد للأسرة الجستانية ، ولعله هو المرزبان الذى أشار إليه المستشرق « شتروتمان » فيما كتبه عن الأطروش فى دائرة المعارف الإسلامية .

بعد هذا التتبع يمكننا القول بأن المرزبان هذا هو الذى اعتنق الإسلام بفضل جهود بعض العلويين الذين زاولوا نشاطهم الدعائى فى المنطقة بعد رحيل يحيى العلوى عنها . وعلى هذا الاعتبار يمكننا افتراض تحديد الفترة الزمنية التى أسلم فيها المرزبان بحيث لا يتعدى هـذا التحديد السنوات القليلة التى أعقبت عام ١٧٦ هـ . مهما يكن من أمر فإن المرزبان لم يستمر موا ليا لعقيدته الجديدة ، ومن ثم ظلت المكاسب التى حققها الإسلام هناك محصورة فى نطاق بعض العامة الذين سبق لهم أن اعتنقوا هذا الدين بتأثير كل من عمر ابن العلاء ويحيى بن عبد الله .

هذه هى حصيلة الجهود التى بذلت فى سبيل نشر الدين الإسلامى فى منطقة جيلان حتى آخر القرن الثانى الهجرى ، ولا شك أن هذه النتيجة محدودة الآماد ، وذلك بالنظر إلى الجهود التى أنفقت فى سبيلها . الأمر الذى بموجبه ظلت المنطقة خارجة عن نطاق التبعية للدين الإسلامى الذى أصبحت له الغلبة على غيره من الديانات فى الأقاليم المتاخمة لجيلان من الشرق والغرب والجنوب .

لم نجد فى المراجع إشارة إلى ازدياد فى معتنق الإسلام من بين أهالى المنطقة ، وذلك حتى منتصف القرن الثالث من الهجرة ، وليس معنى هذا أن البلاد قد خلت من الدعاة إلى الدين الإسلامى ، إذ أنه مما لا شك فيه أن الجهود فى هذا المجال لم تتوقف وإن اعتراها شىء من الركود ، والتعليل الوجيه لخلو المراجع

من الإشارة إلى شيء من هذا القبيل هو أنه لم يحدث أثناء تلك الفترة الزمنية أن اعتنق الإسلام أحد من كبار الديالمة أو الجيل، كما أنه لم يتفق أيضا أن حدثت للإسلام طفرة متمثلة فى إسلام جماعة لها وزنها العددى من بين مواطنى جيلان . ومعنى هذا أنه لم يطرأ على المنطقة تطور يستحق اهتمام المؤرخين .

هذه هى صورة الموقف بالنسبة للدين الإسلامى فى جيلان حتى منتصف القرن الثالث ، وابتداء من سنة ٢٥٠ هـ أخذ يظهر فى المنطقة تطور سياسى جديد ، وقد انعكس هذا التطور بالتالى على ظروف انتشار الإسلام فى إقليم جيلان . هذا التطور هو قيام الدولة العلوية بطبرستان تحت زعامة الحسن ابن زيد .

ابتدأت النواة الأولى لهذه الدولة فى منطقة الحدود بين إقليمى طبرستان وجيلان ، وذلك نتيجة تحالف تم بين بعض أهالى طبرستان وجيرانهم . وقد لعب مواطنو جيلان ، وخاصة الديلم ، دورا كبيرا فى إقامة هذه الدولة ومساندتها ؛ لعب الديالمة هذا الدور رغم أنهم لم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام بعد، وقد تنبه إلى هذه الحقيقة أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى فى مؤلفه « التاجى فى أخبار الدولة الديلمية » (ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٩ ص ٤) وذلك حيث يقول : « وصاروا جميعا (الديلم وجيرانهم الطبرستانيون) بما اشتملهم من الجور متفقين على عداوة السلطان ، واستثقال وطأته ... وهذا موضع يجب أن يتأمله الإنسان حق التأمل فإنه شاهد بفضيلة العدل » .

كان لقيام الدولة العلوية على الشاطىء الجنوبى لبحر قزوين أثره فى اعتناق عدد من الديالمة للدين الإسلامى . سبق أن قلنا : إن الديالمة قد لعبوا دورا رئيسيا فى إقامة الدولة العلوية ومساندتها ، ونضيف إلى هذا القول ما أجمعت عليه المراجع من أن الحسن بن زيد (توفى فى شهر رجب سنة ٢٧٠) قد لجأ إلى المنطقة الجبلية المتاخمة لإقليم طبرستان (أى المنطقة التى يقيم بها الديالمة) أكثر من مرة ، ووقع نفس الشيء لأخيه وخليفته محمد بن زيد . وقد حدث نتيجة للمعايشة بين العلويين والديالمة ، سواء منها ما كان فى داخل المنطقة الجبلية أم ما وقع خارج نطاقها - أقول : حدث نتيجة لهذه المعايشة أن اعتنق عدد من الأخيرين الدين الإسلامى .

التفت إلى هذه الحقيقة كثير من المؤرخين الذين عنوا بالتأريخ لانتشار الدين الإسلامى؛ فهذا الاصطخرى يقول فى (المسالك والممالك ص ٢٠٥) : « وكان الديلم دار كفر يسبى من رقيقهم إلى أيام الحسن بن زيد فتوسطهم العلوية وأسلم بعضهم » . ونجد مثل هذا القول لدى ابن حوقل الذى كان معاصراً

للاصطخرى . أما المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم ابن هلال الصابى فإنه يقول عن محمد بن زيد (توفى فى شوال سنة ٢٨٧ هـ) : وأسلم على يده قوم من الديلم .

حقيقة اتفق عليها أغلب المؤرخين ، وهى أنه كان من نتيجة المعايشة بين العلويين والديالمة أن أسلم بعضهم ، ولكن ما مقدار هذا البعض ؟ هذا ما لم تشر إليه المراجع ، وإن كان النص يفيد أن من أسلموا كانوا قلة بالنسبة لجموع المواطنين فى المنطقة كلها ، وهذا لا يمنع من أن تكون هذه القلة فى نفسها عدداً كبيرا ، ولعل هذا هو ما أدركه المستشرق أرنولد فقال فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) : « وفى سنة ٨٧٣ (٢٦٠ - ٢٦١ هـ) أسلم عدد كبير من عبدة النار فى بلاد الديلم » . والتوقيت الذى ذكره أرنولد يكاد يتفق مع ثالث مرة التجأ فيها الحسن بن زيد إلى بلاد الديلم حيث مكث هناك حوالى ستة شهور .

هل كان بين من سلموا فى هذه الموجة الجديدة أحد من الأسرة الجستانية ؟ هذا الأمر يحوطه الغموض والاضطراب فى المراجع التى بين أيدينا ؛ فمن ناحية لم ترد فى أغلب هذه المراجع إشارة صريحة تفيد أن أحداً من أفراد هذه الأسرة قد اعتنق الإسلام بتأثير أى من الزعيمين العلويين ، ومن الناحية الأخرى فإن المسعودى الذى انفرد — على مقدار معرفتنا — بإثبات أن بعض زعماء الأسرة الجستانية قد اعتنقوا الإسلام فى هذه الموجة ، يسوق تعبيره فى صورة تثير التساؤل .

ولنحاول الآن أن نتعرف سويا على نماذج مما أورده المؤرخون بخصوص هذه القضية . يقول الطبرى (ج ١١ ص ٩٢) عن الحسن بن زيد : « وبايعه ... وهسوذان ابن جستان » . كما يقول عنه أيضاً فى مناسبة أخرى : (ج ١١ ص ٢٣٤) « وقد مالأه خرشاد بن جيلا وصاحب الديلم » . ويقول ابن اسفنديار عن محمد بن زيد (تاريخ طبرستان ، الترجمة الانجليزية ص ١٩٠) : « وانضم إليه من الجبال جستان ابن وهسوذان » .

يستطيع الباحث أن يفهم من البيعة التى يريدها الطبرى أنها كانت مقصورة على الجانب الحربى ، وهذا الفهم يجد ما يعضده فى مضمون الملاءة التى وردت فى التعبير الثانى ، ونفس المعنى يمكن أن ينطبق أيضا على مفهوم الانضمام الذى يقصده ابن اسفنديار . ولو كان الطبرى يعنى بالبيعة أن وهسوذان اعتنق الإسلام لأشار إلى ذلك صراحة لكون اعتناقه الإسلام يحتل من حيث الأولوية المركز الأول ، وحديث الطبرى عن هذا الموضوع له

أهميته لأنه كان معاصرا لهذه الأحداث التى وقعت فى موطنه الأصلى .

هذا الفهم يتسق مع السياق الذى وردت فيه النصوص الثلاثة ، بيد أنه لا يستبعد أن بعض أفرادالأسرة الجستانية قد اعتنقوا الإسلام فى هذه الموجة ، ولكن إذا صح مثل هذا الفرض فلنا أن نقيده بأن إسلامهم لم يكن نابعا عن عقيدة ، بل كان مرتبطاً بتحقيق مآرب سياسية معينة ، ومن ثم لم يلتزموا بتعاليم الدين الإسلامى .

نسترشد فى هذا الاستنتاج ـ بجانب تحليلنا للنصوص السابقة ـ بما سبق الحديث عنه بالنسبة للمرزبان ، هذا بالإضافة إلى ماتسوقه إلينا المراجع من أن رأس الأسرة الجستانية أثناء السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجرى كان متزوجا بجدته ـ وفوق هذا وذاك نجد المسعودى يقول : « وقد كان قبل ذلك (العقد الأخير من القرن الثالث الهجرى) جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون فى الإسلام وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبى طالب » . فلم اختار المسعودى صيغة المضارع « يدخلون » ولم يقل دخلوا أو قد دخلوا ؟ ! .

على كل ، نخلص من هذا التضارب الذى تواجهنا به المراجع إلى القول بأنه استجابة لتأثير كل من الحسن بن زيد وأخيه محمد ومن معهما من العلويين ، اعتنق عدد لا بأس به من الديالمة الدين الإسلامى ، وإذا أردنا أن نحدد الرقعة الجغرافية التى تأثرت بهذه الموجة الجديدة للإسلام فإننا نستطيع أن نقول : إنها الرقعة الجبلية الجنوبية من المنطقة موضوع الدراسة ، وبهذا تكون المحاولات التى بذلت لنشر الإسلام فى إقليم جيلان حتى عهد محمد بن زيد قد تركزت فى داخل نطاق محدود .

ولكن هل أصبح المسلمون بعد هذه الموجة الجديدة يشكلون الأغلبية فى داخل هذا النطاق المحدود ؟ هذا ما لا نستطيع أن نقدم عنه إجابة حاسمة ، وذلك لعدم وجود إشارات تاريخية تنير أمامنا الطريق ولكن مما لا شك فيه أن الذين اعتنقوا الإسلام حتى ذلك التاريخ كانوا لا يزالون أقلية بالنظر إلى مجموع الديالمة الذين كانت مساكنهم متوزعة بين البيئات الجبلية من ناحية والشريط الساحلى الذى يقع إلى إلى الجنوب من بحر قزوين من ناحية أخرى .

وتمشيا مع هذا التدرج فإن أولئك الذين اعتنقوا الإسلام نتيجة للجهود التى بذلت فى هذا السبيل ، ابتداء من عمر بن العلاء حتى محمد بن زيد ، كانوا لا يزالون أقلية ضئيلة بالنسبة لمجموع مواطنى جيلان بالتحديد

الجغرافى الذى سبق أن بيناه فى صدر هذه الدراسة .

هذه النتيجة تقف دون الجهود التى بذلت من أجلها بصفة متواصلة على امتداد أكثر من قرن من الزمان، نتيجة تقف دون الجهود بكثير، وخاصة إذا عرفنا أن الالتقاء المباشر كان هو الطابع السائد للعلاقات بين الدعاة الإسلاميين ومواطنى المنطقة فى هذه الفترة وليس من قبيل المبالغة أن نقول : إن إقليم جيلان ربما انفرد بهذه النتيجة بين بقية الأقاليم التى انتشر فيها الإسلام فى منطقة بحر قزوين ، فإذا أخذنا فى الاعتبار الفترة التى سبقت زمن عمر بن العلاء ، وما بذله أهل الإقليم إبانها من مقاومة عنيدة ضد السيادة الإسلامية - نجد الفضول يدفعنا إلى محاولة التعرف على السر الذى يقف وراء هذه النتيجة .

هل هذا السر يكمن فى طبيعة الدين الإسلامى أم فى طبيعة أولئك الذين توجهت إليهم الدعوة الإسلامية ؟ . ستكون معالجة هذه النقطه فاتحة المقالة التالية التى تضم الدراسة التى نقدمها عن انتشار الإسلام فى جيلان .

يتبع

د . حامد غنيم أبو سعيد

(بقية المنشور على صفحة ١٢٩)

ثم حين تقول فى النهاية « وانصرفت إلى منزلى فأرسلت إلى أختى مائدة ووافتنى مهنئة، وقد تقاصر طولها فأريتها ما حصل لى من المال والخلع والطيب ، وقلت لها يا أختى أنكرت على قولى : أقرضينى ، ومن هذا كنت أقضيك، فلا تستصغرى من كان الله مادته » ،

إن قولها عن أختها « تقاصر طولها » على إيجازه المفرط ليتحدث حديثاً مسهباً طويلا عن دقائق العلائق بين ذوى الأرحام !

إذ أن وشائج الدم تفرض لنفسها حقوقا يسمع صوتها مجلجلا فى حنايا الضلوع وشغاف القلوب ! ومثل هذا الصوت المجلجل لا يستطاع إسكاته دون عسف وإرهاق ! وأذكر أنى فرغت من قراءة كتاب المكافأة جميعه على فترات ، ولكن لفظتى « تقاصر طولها » لم تزالا تعتملان فى صدرى حتى حاولت التخلص منهما بتحرير هذا المقال .

د . محمد رجب البيومى

استيطان اللغة العربية فى مصر

للدكتور أحمد مختار عمر

— ١ —

لم يكن استيطان اللغة العربية فى مصر سهلا ، ولم يكن الطريق أمامها ممهدا حين جاءت مع الفاتحين العرب ؛ وإنما خاضت معركة عنيفة طويلة ، مع اللغات التى صادفتها هناك ، امتدت نحو ثلاثة قرون ، حتى كتب لها النصر وأصبحت اللغة العامة لكافة المواطنين .

ولم تكن اللغة العربيه غريبة على مصر حين جاء الإسلام إليها ، فقد كان لها فى بلدنا تاريخ طويل يمتد عدة قرون قبل ظهور الإسلام وربما كان قبل ظهور المسيحية أيضا ، حين كانت وفود القبائل العربية تفد إلى مصر إما للتجارة وإما للاستقرار . فمن ناحية التجارة : أشار المؤرخون إلى أنه كانت هناك خطوط تجارية برية وبحرية تصل بين مصر والجزيرة العربية ، وتفيد المصادر اليونانية واللاتينية وغيرها أن مدينة « غزة » كانت فى ذلك الوقت ميناء تجاريا هاما ، ومركزا يلتقى فيه التجار ورجال الأعمال لعقد الصفقات التجارية وكان التجار العرب يقدمون إليه لبيع ما عندهم من حاصلات اليمن وجنوبى الجزيرة العربية ، وشراء ما يلزمهم من حاصلات اليونان وإيطالية ومصر وغيرها . وتشير إحدى الوثائق التى يرجع تاريخها إلى عام ٢٦٣ ق م إلى علاقات تجارية بين المصريين والعرب فى تلك الفترة النائية ، ومن الثابت كذلك أن عمرو بن العاص زار مصر قبل الفتح الإسلامى بوصفه تاجرا ، وذهب إلى الدلتا ومن بعدها إلى الإسكندرية ، وأن خبرته بالبلاد المصرية هى التى جعلته يفكر فى غزوها ويغرى الخليفة بذلك ، وهى التى سهلت له عملية الفتح ، وأما بالنسبة للهجرات العربية بقصد الاستقرار ، فقد كان هناك كثير من الموجات دفعت بها بلاد العرب إلى مصر فى العصور الفرعونية ، وكان طريق سيناء قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات العربية منذ القدم ، ومن هذه الهجرات ما كان يؤخذ فيه رأى حاكم مصر ويتم بموافقته ، وقد أشار المؤرخون إلى سلسلة من تلك الهجرات أخذت مكانها قبل الفتح الإسلامى ومن بينها :

١ — هجرة قبائل من أصل كهلانى استقرت فى الجزء الشمالى الشرقى من مصر ، وقد تم ذلك فى فجر المسيحية .

٢ — هجرة قبائل من طىء كان من أهمها قبيلتا لخم وجذام اللتان استقرتا فى إقليم الشرقية .

٣ — قبيلة « بلى » التى دخلت مصر قبل الإسلام واستوطنت ما بين القصير وقنا ،

وكان عليهم الاعتماد فى نقل التجارة الهندية ، وقد قدم وفد منهم على الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلموا .

٤ — هجرة بطون من خزاعة ، خرجوا فى الجاهلية إلى مصر والشام لأن بلادهم أجدبت.

٥ — فى عهد عمر بن الخطاب - بعد فتح الشام وقبل فتح مصر - هاجرت بعض القبائل من غسان ولخم وجذام وعاملة - وكانت تدين بالمسيحية - إلى مصر ، واستقرت هناك فى الجزء الشمالى الغربى من سيناء ، وقد منحهم الأمبراطور الرومانى حينذاك إقطاعية « تنيس » (صان الحجر) ، وقد قابلت النجدة التى أرسلها عمر بن الخطاب عبر وسط سيناء لمساعدة عمرو جمعا هائلا يبلغ نحو ثلاثة آلاف ، وحين سألوهم عرفوا أنهم من عرب غسان ولخم وعاملة .

٦ — وقد أشار المؤرخون اليونان - بما فيهم استرابو (٦٦ ق م) - إلى أن عدد العرب فى عهدهم قد تضاعف حتى أنهم شغلوا كل المنطقة الموازية للجزء الجنوبى من مصر العليا الممتدة بين الشاطىء الغربى للبحر الأحمر ونهر النيل . ووصف استرابو مدينة « قفط » بأنها مدينة واقعة تحت حكم العرب ، وصرح بأن نصف سكانها من أولئك العرب .

وبالإضافة إلى هذا فإن الوثيقة السابق الإشارة اليها - والتى يرجع تاريخها إلى عام ٢٦٣ ق م - تفيدنا أنه كان يوجد فى ذلك الوقت المبكر جالية عربية كبيرة من القبائل التى هاجرت من جنوبى الجزيرة العربية واستقرت فى مصر . وإنه لمن الأهمية بمكان أن نذكرهنا أن لغة هذه الوثيقة تبدو قوية الصلة باللغة العربية ، مما يدل على أن هؤلاء العرب كانوا يشكلون جزيرة لغوية فى مصر ، وأن هذه الجالية ظلت مخلصة لقوميتها محتفظة بأبجديتها تكتسب بها وتعتز بتراثها ومن الكلمات التى وردت فى هذه الوثيقة والتى يمكن بسهولة ردها إلى أصل عربى أو سامى الكلمات « دين » التى استعملت فى نفس معناها العربى ، « ونفقس » التى تعنى « ثروته » أو « نفقته » ، و « محرمهى » التى تعنى الحرم و « رثد » التى تعنى رصد أو خصص .

وعلى أى حال فمن الطبيعى أن يكون قد حدث نوع من الاحتكاك فى ذلك الوقت بين اللغتين العربية والمصرية ، وأن يكون قد حدث بينهما قدر ما من التبادل . ويبدو أن آثار كلتا اللغتين على الأخرى كانت قوية لدرجة أنها خلقت تشابها أو تقاربا بين اللغتين أدى ببعض اللغويين المحدثين أن يزعموا وجود قرابة بينهما . وقد كان نفوذ اللغة المصرية على اللغة العربية كبيرا من ناحية المفردات مما أدى إلى دخول كلمات مصرية فى اللغة العربية واعتبارها من اللغة الأدبية النموذجية ومن ذلك كلمات وردت فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والشعر الجاهلى .

وخلاصة القول أن اللغة العربية كانت لغة الحديث فى مصر فى فترة ما قبل الإسلام بين أبناء العربية ، وعلى ألسنة التجار العرب ، وأن احتكاكا حدث بين اللغتين العربية والمصرية أدى إلى ترك بعض الآثار من كلا الجانبين على الجانب الآخر ، ولكن دون أن يفقد أى منهما شخصيته نهائيا .

ولقد ظهر الصراع الحقيقى بين اللغتين العربية والمصرية - والتى سنسميها منذ الآن باللغة القبطية [(١)] - بشكل واضح بعد الفتح الإسلامى لمصر . فقد حدثت إذ ذاك معركة كبيرة بين اللغتين انتهت بهزيمة كاملة للغة القبطية ونصر مبين للغة العربية . ولم يحدث هذا - بالطبع - دفعة واحدة

وإنما خطوة بعد خطوة ، واستغرق فترة طويلة بالمقارنة بما حدث فى أماكن أخرى من العالم الإسلامى .

وقد كانت هزيمة اللغة القبطية نتيجة لأسباب متعددة عملت كلها فى صالح اللغة العربية ، كما أن تأخير هذه الهزيمة يمكن أن ينسب - من ناحية أخرى - إلى عقبات معينة عطلت التقدم السريع للغة العربية ، وقبل أن نناقش هذه الأسباب وتلك العقبات يجب أن نتحدث أولا عن العوامل الرئيسية التى تتحكم فى صراع اللغات ، والتى يسرى مفعولها على أى لغتين يحدث بينهما احتكاك هذه العوامل هى :

١ - العامل السياسى .
٢ - العامل الاقتصادى .
٣ - العامل الدينى .
٤ - عامل التفوق اللغوى .

وقد قامت هذه العوامل كلها بدور هام فى صالح اللغة العربية ، وتعاونت فيما بينها لتطارد اللغة القبطية فى مصر ، فإذا نحن نظرنا إلى العاملين : السياسى والاقتصادى ، وجدنا أنهما كانا يعملان فى صالح اللغة العربية ، فمما لا شك فيه أن القوة كانت فى أيدى العرب الذين لم يدخروا وسعا لتعريب البلد ونشر الإسلام وقد أدت عمليات التعريب ، ونشر

---

(١) القبط - وكذلك الأقباط اسم أطلقه العرب على المصريين حتى من قبل الفتح الإسلامى ، وفى الحديث النبوى : استوصوا بالقبط خيرا .

= وتذهب المراجع العربية القديمة فى تفسير كلمة « قبط » مذهبا أسطوريا فتزعم أنها مشتقة من اسم ملك لمصر القديمة كان يدعى قبطيم بن مصرايم بن مصر بن حام بن نوح وورد مصرايم فى الأنساب فى العهد القديم تكوين أما المحدثون فلهم فى تفسيرها آراء عدة أصحها أنها تحريف للكلمة اليونانية Aiguptios وهو الإسم الذى أطلقه اليونانيون على المصريين ، ويبدو - على كل حال - أن هذه الكلمة استعملت أول ما استعملت وأريد بها غير المسلمين من المصريين، ثم بمرور الوقت أصبح اللفظ علما على المسيحيين المصريين ، ولم يعد يتضمن أصحاب أى ديانة أخرى .

الإسلام إلى نتائج اقتصادية هامة كان لها أثرها فى دعم اللغة العربية ورفع شأنها فى مصر . وقد كان من أهم الخطوات التنفيذية التى خطاها العرب ، والتى قوت جانبى الإسلام واللغة ما يأتى :

١ — إحلال اللغة العربية محل اللغة اليونانية أو القبطية فى الدواوين والمكاتبات الرسمية .

٢ — تهجير عديد من القبائل العربية إلى مصر بقصد الإقامة الدائمة .

٣ — قصر الوظائف القيادية على المسلمين

فإذا انتقلنا إلى العامل الدينى نجد من الثابت أنه لم يكن هناك ضغط على الأقباط ليعتنقوا الاسلام ولكننا نجد من الثابت أيضا أنه كانت هناك امتيازات معينة ومجالات خاصة يتمتع بها المسلمون دون الأقباط ، بالاضافة إلى عامل الهيبة الذى كان يتمتع به المسلمون باعتبارهم الطبقة الحاكمة ، وقد أغرى هذا وذاك بمجموعة من الأقباط أن يعتنقوا الاسلام لينعموا بالخير فى ظله ، ومن ناحية أخرى : فإننا نجد عددا آخر من الأقباط يعتنقون الاسلام بمحض اختيارهم بعد أن اقتنعوا بصدق تعاليمه وروحه البناءة . ومن البديهى أنه إذا اعتنق شخص الاسلام تحت حكم عربى فإنه سيحاول أن يحاكى المسلمين فى كل تصرفاتهم . سيذهب إلى المسجد ، وسيقرأ القرآن ، وسيصلى باللغة العربية ، وباختصار سيعيش عيشة : إسلامة كاملة .

وعامل الإسلام من الناحية اللغوية يعتبر ذا أهمية قصوى ، وقد كان من الواضح جدا ارتباط تقدم اللغة العربية وانتشارها بتقدم الإسلام وانتشاره فى كل الأقطار المفتوحة على السواء ، كذلك كان من الواضح أن الأماكن النائية أو التى لم ينتشر فيها الإسلام بسرعة ظلت اللغة القبطية فيها حية لمدة أطول من غيرها ، وقد كان اكتساب الأقباط الذين أسلموا للغة العربية أسرع من اكتساب أولئك الذين لم يسلموا لها ، ولهذا فنحن نتفق مع المستشرق « دى لاسى أوليرى » الذى علق أهمية كبيرة على هذا العامل بقوله « كان انتشار الاسلام بلا شك عاملا فعالا من عوامل إحلال اللغة العربية محل القبطية » .

وقد حاول بعض الكتاب الذين عالجوا انتشار الاسلام فى مصر أن يصلوا إلى نتيجة معينة هى أن الاسلام قد انتشر فى مصر بالقوة ! واعتمد هـؤلاء أساسا - ومعظمهم من المستشرقين - على كتاب عنوانه « سير الآباء البطاركة » بقلم سويرس بن المقفع وهو مسيحى يعقوبى شغل منصب أسقف فى كنيسة « أشمونين » حوالى عام ٩٨٥ م . وهذا الكتاب - فى الحقيقة - ملىء بالوقائع المزورة والأكاذيب الفاضحة ، ولذا طعن فى صحته

كثير من العلماء فى الشرق والغرب ، وممن تشكك فى كتابه هذا الرجل ، ورأى ضرورة التثبت منها Nabia Abbot مؤلفة كتاب : The Kurrah Papyri .

وقد تنبهت هذه الكاتبة كذلك إلى حقيقة هامة بالنسبة لما كتب عن الأمويين ، إذ قالت ما معناه : إن معظم المراجع التى تمدنا بمعلومات عن الأمويين ونظام حكمهم كتبها أناس أعداء لهم مثل العباسيين والمسيحيين من أمثال سويرس بن المقفع . كذلك حذر (بل) Bell فى مقاله (The Administration of Egypt) أى (الإدارة فى مصر) من الثقة الكبيرة فى المصادر القبطية حيث إن التعصب الدينى قد لعب دوراً كبيراً فيها ، وذكر لنا مثالا من الأخطاء التى وقعت فيها المراجع القبطية وكشفت عنه أوراق البردى.

والشىء الذى نحب أن نبرزه هنا ونجعله واضحا هو أن الأقباط قد تمتعوا فى ظل الحكم الإسلامى بحرية دينية لم يجدوها من قبل ، وأنهم باشروا — سواء تحت حكم الأمويين أو العباسيين — عباداتهم بحرية تامة . وكل ما كان يحرص عليه الحكام فى ذلك الوقت هو أن تترجم لهم دروسهم القبطية وصلواتهم ليتأكدوا من أنها لا تحمل أى هجوم أو إهانة للإسلام . وقد اعترف (ترتون) فى كتابه (أهل الذمة فى الإسلام) بأن المسلمين بمصر منذ البداية اتجهوا إلى عدم احتلال أى كنيسة وعدم التدخل فى شئون الأقباط ، وأن كثيراً مما لحق بالأقباط مصدره أنفسهم ومرده الغيرة الدينية بين أتباع الدين الواحد .

فإذا نحن انتقلنا إلى العامل الأخير وهو التفوق اللغوى ، نجد أن تفوق أى لغة وتمتعها بالهيبة يرجع إلى قيمتها الذاتية . وفى حال اللغة العربية نجد قيمتها عظيمة ، وتفوق إلى حد كبير ، القيمة الذاتية للغة القبطية فى ذلك الوقت . فهى من ناحية لغة الحكام ، ومن ناحية أخرى لغة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى بالإضافة إلى ذلك لغة حضارة عظيمة وثقافة تفوق أختها القبطية ، ويشير (فندريس) فى كتابه (اللغة) إلى التفوق الذاتى الذى تتمتع به بعض اللغات ومن بينها اللغة العربية بقوله : « والقدرة على الانتشار التى نشاهدها فى بعض اللغات الهندية الأوربية أو السامية كاللغة العربية ، ترجع بلا شك إلى أسباب معقدة ولكن القيمة الذاتية للغة لها فى ذلك نصيب ... » . ويمكننا أن نقدر الفجوة بين اللغتين القبطية والعربية فى هذا الصدد إذا أخذنا فى الاعتبار الحقيقتين التاليتين :

أولا : أن اللغة العربية كانت قد انتشرت فى كثير من أنحاء العالم ، وتمثلت ثقافات وحضارات كثيرة مما أعطاها ميزة ضخمة ، وقيمة كبيرة . وبمرور الزمن ازداد هذا العامل قوة ، فما أن جاءت العربية إلى

معركتها الحاسمة مع القبطية حتى كانت قد أصبحت لغة ثقافة عالية .

ثانيا : إن اللغة القبطية فى فترة احتكاكها باللغة العربية كانت فى موقف ضعيف بشكل واضح . فقبل ذلك بمدة طويلة كانت اللغة القبطية قد وقعت فريسة للغة اليونانية التى أصبحت فيما بعد لغة الكتابة . وهذا يعنى أن الأعمال الكتابية الهامة كانت تكتب باليونانية لا القبطية ويعنى بالتالى إضعاف اللغة القبطية لدرجة لافتة للنظر .

ويقال كذلك : إن لغة الثقافة الثانية فى مصر لم تكن القبطية ، بل كانت السريانية التى كانت تستعمل بخاصة فى جامعة الإسكندرية العتيقة ، والتى صارت مألوفة للدارسين بعد هجرة بعض الأساتذة السوريين إلى مصر وعملهم على نشر ثقافتهم .

ويقال أيضا : إن اللغة القبطية لم تكن وحدها لغة الحديث فى بعض أجزاء من مصر بما فيها الإسكندرية ، وإنها كانت فى صراع دائم مع اللغة اليونانية على ذلك ، بل أكثر من هذا يقال : إن اللغة القبطية كانت حديث الطبقات الدنيا وغـير المثقفة فقط ، وإن الطبقات الارستقراطية كانت تفضل الحديث باللغة اليونانية .

كذلك يبدو أن الاقباط فى ذلك الوقت لم يكونوا غيورين بدرجة كبيرة على لغتهم حتى إنهم تخلوا عن أحرفهم الهجائية فى القرن الرابع أو الخامس الميلادى واختاروا أحرفا جديدة استعير معظمها من اليونانية وأضيف إليها سبعة رموز من الكتابة الديموتيقية لتعبر عن أصوات لا وجود لها فى اللغة اليونانية .

ومن أجل هذا كله ـ حين جاءت حركة الترجمة النشيطة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وبلغت قمتها ـ لم يجد الباحثون شيئا ذا بال يستحق الترجمة من القبطية إلا ما ندر . ولا توجد إشارات إلى ترجمات من القبطية إلى العربية تمت فى مصر حتى نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) اللهم إلا ما يتعلق بالديانة المسيحية . وربما كانت الترجمة الوحيدة التى وصلنا نصها هى تلك التى قام بها (سويرس بن المقفع) وأصحابه فى القرن الرابع الهجرى ، والتى أطلقوا عليها إسم « سير الآباء البطاركة » . وتأخذ دائرة المعارف الإسلامية (مادة قبط) برأى كازانوفا Casanova فى أن الترجمة العربية للأعمال القبطية لم تتم إلا فى أيام الفاطميين . وتذكر الدائرة : أن الأدب القبطى لم يكن أدبا راقيا ، وأنه عاش فى شكل ترجمات معظمها من اليونانية ، مثل ترجمة العهد القديم والعهد الجديد وقصص حيـاة الأولياء والقديسين ؟

« يتبع »

احمد مختار عمر

قيس بن سعد

للأستاذ محمد محمود زيتون

– ٢ –

وعاش قيس بن سعد خلافة الراشدين الأربعة ، حتى لقى الله فى آخر خلافة معاوية ، وتركت تجاربه فى نفسه أعمق الآثار ، شهد المغازى ، وصحب عليا فى المحنة التى ألمت به . وحضر معه (الجمل) و(صفين) و (النهروان) . وهو الذى ولاه مصر . وكان قد اشترك فى فتحها . فاختار لنفسه بها دارا . ولما حضرت الوفاة : جعلها للمسلمين عامة ، فكان ينزل بها الولاة من بعد .

كان الأنصارى الوحيد فى الخمسة المعروفين باسم (دهاة العرب) ، ولاه على مصر ، أشد ما كانت حاجة إلى مثله ، ولا سيما بعد أن بلغت الفتنة أقصى درجات السعار . فتمرد محمد بن أبى حذيفة على عثمان ، وتآمر على قتله سنة ٣٦هـ وجاء الخليفة الإمام على فوجد هذه المشكلة الضخمة تواجهه لا تزحزح ، وتمضى الأحداث عبر أيام وشهور قلائل ، مثقلات بكل ما يذهل العقل ، ويفسح التاريخ صدره لمواقف هذا الوالى الجديد ، والخليفة المشغول .

وقبل أن يذهب قيس إلى ولايته المحفوفة بالمخاطر ، يحبوه خليفة المسلمين بوصاته فى هذا الظرف الحرج فيقول له فى وداعه :

« سر إلى مصر . فقد وليتكها ، واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ، ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك . وأحسن إلى المحسن ، واشدد على المريب ، وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن » . وجمع له الخراج والصلاة . وجعل على شرطته السائب ابن هشام بن عمرو ، وكان من الطبيعى أن يقول الوالى كلمة فى الرد على الخليفة ، إذعانا للطاعة . وإظهارا لوجهة النظر ، وتوكيدا لعهد الله ورسوله ، ورعاية لحقوق الأمة : قال قيس :

« رحمك الله يا أمير المؤمنين ، فقد فهمت ما قلت ، أما قولك اخرج إليها بجند فوالله لئن لم أدخلها إلا بجند آتيها به من المدينة ، لا أدخلها أبدا ، فأنا أدع ذلك الجند لك ، فإن أنت احتجت إليهم كانوا منك قريبا ، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك ، كانوا عدة لك ، وأنا أصير إليها بنفسى وأهل بيتى ، وأما ما أوصيتنى به من الرفق والإحسان ، فإن الله عز وجل هو المستعان على ذلك » .

ألقى قيس بالرأى الحر الشجاع ، تتوقد بين جنبيه شعلة المجاهد المؤمن بقائده ، وملء رأسه حكمة تتطلبها ظروف حرجة ، انفردت بها مصر دون سائر الأمصار ، فلم يكن يغيب عن قيس – وهو الثقف اللقف – أنه مقبل على أرض تتلظى نيرانها ، فيها محمد بن أبى حذيفة الذى كفله عثمان رضى الله عنه يتيما

ورباه وأسبغ عليه نعمه ، وأجابه إلى رغبته في ولاية مصر ، وأمده بالمال والجيش فنكص على عقبيه ، وتنمر وتمرد . وخان المواثيق ، وألب على ولى نعمته ، وطرد والى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وبعث من المصريين وفدا إلى المدينة تسلقوا الدار على عثمان وقتلوه ظلما وعدوانا . فباءوا بالخزى والعار وسخط الله والملائكة والناس أجمعين .

عاد القتلة إلى مصر ، وكأنهم راجعون من نزهة للصيد . فثارت عليهم مصر عن بكرة أبيها ، ولاسيما أشد الناس حبا لعثمان ، ودار القتال بين حزب الله وحزب الشيطان ، وكان ذلك أول رمضان من عام ٣٦ هجرية ، عند قرية من أعمال البحيرة من مصر يقال لها (خربتا) وانتصر العثمانية مما شجع معاوية بن أبي سفيان على القدوم من الشام ، في شوال من هذا العام ، وظل معاوية يطلب من ابن أبي حذيفة تسليم المجرمين . وفجأة قتل ابن أبي حذيفة بالعريش .

وخلت مصر من واليها . فقد قتل ابن أبي حذيفة ، وفر من وجهه سلفه عبد الله ابن سعد وبعث الخليفة قيس بن سعد أميرا على مصر ، وهما أدرى به من غيرهما ، فهل أيس معاوية وعمرو من انتزاع أرض النيل من أيدى الهاشميين لينعم بها بنو أمية ؟ كلا ، بل لقد بدأت الفتنة المسعورة مرحلة من أعنف مراحل التصعيد ، إذ ارتفعت الأصوات عالية تطلب دم عثمان الشهيد ، من كل مصر ، وبكل إلحاح واهتمام . وتركزت التهمة في الخليفة الذى يؤوى الجناة ولا يسلمهم وبالتالى في الوالى الذى من بلده خرجوا إلى الجريمة النكراء ، ولو لم يكن له يد في اقترافها من قريب أو بعيد .

وفى مستهل ربيع الأول من عام ٢٧ هجرية قدم قيس بالإمارة على مصر من الكوفة ، في سبعة نفر من أصحابه ، فقد أبى أن يأتى على رأس الجيش الذى عرضه عليه الخليفة واستغنى بذكائه ودهائه ومكره ومكايدته عن الجيوش المحشودة . وفى يقينه أن كل سلاح دون ما يحشده هو في عقله الوقاد مغلول لا محالة

أدرك قيس للوهلة الأولى ، ومنذ وطئت قدماه أرض مصر ، أن أهلها على ثلاث فرق : فرقة دخلت في الجماعة والطاعة فهى معه ، وفرقة اعتزلت بقرية (خربتا) تطالب بقتل قتلة عثمان كشرط للدخول في الجماعة وفرقة مع الجماعة ومع على مادام لا يسلم القتلة .

أما المعتزلة فكانوا يكتبون لمعاوية سرا لا يطيقون مكاثرة المصريين ، ويرد عليهم أن يثبتوا أمام قيس ، ما دام فيهم قادة العثمانية كمعاوية بن حديج ، ومسلمة بن مخلد وحصين بن نمير ، وقد حشد معاوية ثلاثة رهط من أمراء فلسطين جعلهم سندا عند الطوارىء ، وكتب قيس إلى على يبسط له قضية مصر كما رآها ، في بدء عهده بولايتها . ولم يكن يرى من وراء ذلك إلا مجرد الإعلام ، أما هو فقد تجرد للعمل في الحال وبلا توان ، وفاقا لما يمليه عليه الضمير

الحى ، والذكاء الوقاد ، وهو يعلم أنه يواجه اثنين من دهاة العرب ، لا يستهان بهما .

وأمر قيس فاجتمع عليه الناس ، وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرىء عليهم . وطلب له البيعة فبايعوا من عند آخرهم واستقامت الأمور فى طول البلاد وعرضها ، وبعث العمال عليها ، غير أن هناك قرية (خربتا) تغلى مراجلها لم تذعن، بها عشرة آلاف كلهم عثمانية ، عليهم يزيد بن الحارث، من بنى كنانة وبنى مدلج ، وهنا يكمن الخطر المدلهم ، لم يبايعوا ولكنهم لم يزحفوا للقتال لقد ثاروا على رأس الجناة ، فكانوا طليعة العثمانية ، لقد كان معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد على رأس المتوقفين عن البيعة ، فضمها قيس بحزمه، أما (خربتا) فله معها شأن آخر ليكن أى شىء إلا القتال ، فإن آخر الدواء الكى .

بعث قيس إلى أهل خربتا فجاءوا ، وقد نصبوا من أنفسهم أولياء دم عثمان لا عن قرابة به ، أو عصابة له ، وأقل ما فى الأمر أنهم يستفظعون قتل عثمان ، على أيدى جناة بعث بهم ربيبه الخائن محمد بن أبى حذيفة من مصر يالها من جريمة لحقت بالمصريين إن لم يتداركوها ويغسلوا عارها ويبرأوا منها بين يدى الله ، وعلى ملأ من الناس ، واستل قيس سخائم الصدور ، وأنكر على الجناة ما ارتكبوا ، ودعا إلى السلم فجنحوا إليه . وجبى الخراج منهم عن طاعة ورضى وأجرى عليهم الأعطيات ، ودعاهم إلى بيعة على . فلم يتخلف منهم أحد ، وخرجت الفتنة من القلوب إلى غير رجعة ، فقد أكرمهم وترضاهم وانكفأت القدور على مضرمى نيرانها ، ومرت العاصفة وكفى الله المؤمنين القتال .

هذا ما كان من أمر (خربتا) الثائرة فإذا لم تكن القلوب معه ، فإن السيوف لبست عليه وهو خير على كل حال .

بهذا تملك قيس زمام الأمن فى مصر ، وهى الجناح الغربى من أرض السلام وسارت الأمور على خير ما يرتجى منها ، وتم لقيس فى مصر من الضبط والربط ما يشتهى وخرج على إلى (وقعة الجمل) وهو مطمئن ، وكان أثقل شىء على صدر معاوية أن ينحصر فى الشام بين على بالعراق وقيس بمصر ، التى أغلقت أبوابها فى وجه الرياح العاتية ، تحمل معها جراثيم الفتن تترى من الشام ، كما خشى معاوية أن ينقلب المصريون شيعة لعلى ، فاستعان بعمرو ، واجتمع الرأى على مكايدة قيس ، والفرسان الثلاثة فى قمة الصراع السياسى بما هو معروف عنهم جميعا من الحيلة والمكيدة والدهاء ، ويشهد التاريخ معارك من لون جديد يستخدم فيها قادة الأمة الإسلامية سلاح الذكاء الخارق ، وسرعة الخاطر ، والخديعة والمكايدة لكل فريق حجته ومنطقه ، ولكل أسلوبه البارز أو الخفى فى الغلبة والظفر . وفى المقال القادم إن شاء الله صلة الحديث ؟

محمد محمود زيتون

بين الأدبين العربي والإغريقي

للأستاذ محمد مفيد الشوباشي

بينما انصرف شعراء الإغريق إلى عالم الوهم والخيال ينسجون من خيوطه قصص الخوارق غير الطبيعية ، والأساطير غير المعقولة ، ارتد الشعراء العرب القدامى إلى عالم الواقع يستشفون من ظواهره الطبيعية موضوعات لمنظوماتهم .

وقد أرجع بعض الباحثين الاوربيين فى العصر الحديث هذا التباين إلى أن العرب كانوا أهل بادية أقفرت عقولهم وجوانحهم إقفار صحرائهم التى درجوا على التنقل بين أرجائها الشاسعة مستهدفين عيون الماء والكلأ ، فاستنفدوا وقتهم وجهدهم فى سبيل هدفهم ، وفى التقاتل لتحقيقه ، فلم تتيسر لهم عيشة مدنية تمدهم بالمعرفة والعلم ، ولم تتوفر لهم طمأنينة تعين على التأمل والتفكير .

ولكن يدحض هذا الحكم المتسرع أن الجزيرة العربية غنيت بالمدن ، وبسكان المدن الذين مارسوا الحياة المدنية ، وزاولوا بعض الصناعات ، وأن الزراعة ازدهرت فى أطراف الجزيرة شمالا وجنوبا ، وأن الحياة المدنية والريفية انعكست على الحياة البدوية ، وأن كلتا الحياتين تأثرت بالأخرى وأثرت فيها .

ولم تكن أمة العرب منقطعة الصلة بالعالم الخارجى ، بل كانت أشد أمم العصر القديم اتصالا بغيرها ، وتعرفا عليه ، فقد جاورت الروم والفرس فى الشمال الشرقى كما جاورت الاحباش فى الجنوب الغربى ، واختلطت بتلك الشعوب التى كان لها السبق آنئذ فى مضمار الحضارة القديمة ، وكانت قوافلها التجارية لا تنقطع عن جوب مختلف الامصار القريبة والبعيدة ، والتغلغل حتى مصر والهند وجزرها الغربية ، فلم تتوثق الصلة بين أطراف الجزيرة والدول المتاخمة لها فحسب ، ولكن بين قلب الجزيرة والدول النائية أيضا .

وقد أسفر ذلك عن تقدم اقتصاد العرب ، واتساع أفق معارفهم ، وازدياد قدرتهم على تمحيص هذا الوجود ، وإدراكه على حقيقته الواقعية بعد عهد التيه فى مجاهل الأوهام ولا عجب فى ذلك فقد كانت بلادهم بؤرة تجمعت فيها المعلومات ونتائج الخبرات التى اقتطفوا

شتاتها من مختلف الأمصار ، وأضافوا إليها معلوماتهم ومعارفهم ونتائج خبراتهم الخاصة وعصروا ذلك كله ، واستخلصوا منه الحقائق ببصيرة ثاقبة استمدت من الصحراء صفاءها واتساع أفقها .

ولكن بطرس البستاني رأى في انصراف العرب عن عالم الخرافة إلى عالم الواقع عيبا . رأى في هذه الخطوة التي فتحت في ميدان الفكر والأدب فتحاً جديدا خطوة إلى الوراء . ومن الواضح أنه تأثر في رأيه هذا بالباحثين الأوربيين المتحيزين للإغريق ، ولكل ما هو أوروبي ، قال في كتابه (الشعراء الفرسان) :

« لم تكن عقائد العرب الدينية — قبل الإسلام — ذات أثر فعال في تلطيف استغراقهم في المادية لأن الدين الوثني كان ضعيفا في قلوبهم ، ومع كثرة أربابهم لم يتيسر لهم أن ينضدوا مراتبها ، ويرفعوا لها مجتمعا علويا تنتظم فيه شئونها فتتبين علاقة بعضها ببعض ثم علاقاتها بالناس ، وما يبدو خلال ذلك من طباعها وأخلاقها وأهوائها ... » .

عاب بطرس البستاني على العرب أن إيمانهم بالأوثان كان ضعيفا ، وأنه لم ينسق لها عالما (علويا) يلعب كل منها فيه دوره ، وأنه بحث في علاقات الناس بعضهم ببعض بدلا من علاقاتها بهم ، وفي طبائع البشر وأخلاقهم وأهوائهم بدلا من طباعها وأخلاقها وأهوائها ... » .

ومن قبله نعى بعض الأوربيين على العرب أنهم لم يعرفوا الأساطير ، ونسبوا ذلك إلى قصور خيالهم ، وعجزهم من اختزان المحسوسات وخلقها من جديد في صور وهمية .

وقد فات أولئك النقاد أن الأساطير نشأت خلال مرحلة من مراحل التطور كان الإنسان فيها يعتمد على إدراكه الحسي ، دون إدراكه العقلي ، في فهم الوجود . ومن الواضح أن التقدم الحضاري تحقق شيئا فشيئا بنمو الإدراك العقلي وسيطرته على الإدراك الحسي وتوجيهه ومن ثم يكون العرب قد خطوا — كما قلنا — خطوة واسعة في سبيل التقدم الحضاري عند ما انصرفوا من عالم الوهم إلى عالم الواقع وحاولوا فهمه وتفسيره بالإدراك العقلي مقترنا بالإدراك الحسي المهتدي بهديه .

وهناك طائفة من العلماء أمثال « ادوارد تلور » و « جيمس فريزر » يؤيدون الرأي الذي ذكرناه ، ويدللون على صحته . فالأساطير في نظرهم متعلقة بالمجتمعات البدائية ، متولدة من أعمال السحر والطقوس الدينية التي كانوا يؤدونها ، وأنها تشعبت بمرور الزمن وظلت مترسبة في وجدان البشر حتى بعد أن خطوا خطوات في طريق التطور الحضاري ، وهم لا يؤمنون بأن وقائعها ترمز إلى ما يحدث

فعلا فى الحياة الواقعية ، أو يشكون فى ذلك على الأقل .

بيد أن العرب لم يجهلوا الأساطير كما توهم بطرس البستانى وغيره ممن غالوا فى تقدير القصص الأسطورية الإغريقية ، ووضعوا تصوراتها فوق التصورات الواقعية الحقيقية واتخذوا من ذلك وسيلة إلى إعلاء شأن الإغريق والحط من شأن العرب .

قال جورجى زيدان فى كتابه : « آداب اللغة العربية » أن العرب عرفوا ، إلى جانب علم الفلك ، ما يعبر عنه الفرنجية بالميثولوجيا - أى الأساطير - وهى أحداث ينسبونها إلى الآلهة مع أنها لا تختلف عن الأحداث التى يرتكبها البشر ، إلا من حيث المبالغة ومن الأقاصيص الميثولوجية التى كان العرب يتناقلونها أن « الدبران » خطب « الثريا » لنفسه وتوسط القمر فى ذلك فقالت له « ماذا أصنع بذلك السبروت الذى لا مال له فجمع الدبران مطاياه يتمول بها ، وبعد أن اجتمع له الصداق ساقه أمامه ، وظل يتبع به الثريا أينما سارت وعلل العرب مسير كثير من النجوم بمثل هذه الأساطير ..

ولكن هـــذه الأساطير لم تستحوذ على ألباب العرب كما استحوذت مثيلاتها على ألباب الإغريق ، وإلا لما اضمحلت على مر الزمن وتبددت ، ولما اختفى أثرها من تراث الأدب الجاهلى المشتمل على كثير من المعتقدات الوثنية ... ولا بد أن نتساءل أهناك سبب لاضمحلالها وتبددها قبل ظهور الإســـلام بزمن غير وجيز ؟

كانت الحروب بين بعض القبائل العربية وبعضها الآخر لا تكاد تنقطع يوما واحدا فى العصر الجاهلى ، وكان البدوى ينام كل ليلة بعين مقفلة وعين مفتوحة مستنداً إلى رمحه كما قال جورجى زيدان متوقعا فى كل لحظة أن يهب للقتال . وقد علمته التجارب اليومية أن يعتمد على نفسه فى الحروب المتوالية التى يخوضها دفعا لشر الأعداء أو سعيا وراء الرزق وأن النصر فيها لا يتوقف إلا على شجاعته وحسن بلائه ، ففطن إلى أن أصنامه وأوثانه لا تكاد تملك له نفعا أوضرا فيما يبتليه وأن ما يقدمه لها من قربان لا يجديه ، وهذا فيما يبدو من أهم الأسباب التى أدت إلى ضعف إيمانه بأوثانه ولم يكن بين المجتمع البدوى والمجتمع الحضرى فاصل قوى يحول دون تأثر كل منهما بخواطر الآخر ومعتقداته ... ويضاف إلى ذلك ما ذكرناه من تقدم العرب فى ميدان العلم والمعرفة بسبب اتصالهم بالعالم الخارجى هذا التقدم الذى أدى بدوره إلى انتقالهم من مرحلة الإدراك الحسى إلى مرحلة النمو العقلى وجنوحهم إلى التشكك فى معتقداتهم الوثنية .

وسرعان ما ظهرت بين أولئك المتشككين جماعة قطعت الشك باليقين فكفرت بالأصنام والأوثان وفطنت إلى أن هناك حقا خافيا عليها فراحت تبحث عنه علها تتبينه . وتصدر أمية بن أبى الصلت هذه الجماعة التى عرفت باسم الحنفاء . وهكذا انتهى التشكك إلى ظهور فلسفة تبحث عن الحقيقة الدينية (يراجع كتابه نهاية الأرب فى معرفة أحوال العرب الألوسى) .

بدأت إذن محاولة الاعتماد على الإدراك العقلى لفهم الوجود بدلا من أوهام الحس وواكب الأدب هذه المحاولة فأعرض الشعراء عن تصوير عالم الخرافة وراحوا يصورون الوجود الواقعى على نحو ما يبدو لهم ويحاولون تفسيره عقليا .

صوروا فى شعرهم كل ما يحيط بهم من مختلف الظواهر الطبيعية وعبروا عن مشاعرهم البشرية الصادقة وفسروا الوجود الحقيقى بحكمهم وأمثالهم ...

وصفوا الليل والنجوم والقفار والرياض والجبـــال والوديان والخيول والإبل والوحوش والطيور وغير ذلك مما يقع تحت حسهم وبصرهم ، ولكن هناك أمرين كانا يشغلانهم أكثر من سائر الأمور وهما الحرب والحب ، فانصرف الجانب الأكبر من شعرهم إلى وصف كل ما يتعلق بهما إلى وصف الخيول والرماح والسيوف والدروع والكر والفر والشجاعة وقوة المراس ونجدة القريب ونجـــدة الجار والضعيف ، ورثاء القتلى والوعد بالانتقام . وكذلك وصف منازل الأحباب وذمها وجمال العشيقات وملابسهن وزينتهن ودلالهن ...

كان أولئك الأجداد القدامى يقدرون المرأة بل يجودون فى الحرب بأرواحهم فى سبيل حمايتها ولكن حبهم لها لم يتنزه على الأغلب من شهوات الحس فبينما كانوا يستمسكون بالنبل والشرف والترفع عن الدنايا فى معاملتهم للناس أيام السلم والحرب افتقر حبهم إلى مثل تلك الفضائل . ولم يتورع كثيرون من شعرائهم عن وصف اتصالهم غير العفيف بالنساء . ولا عجب فى ذلك فان تخلص الحب من البهيمية يتحقق لدى بلوغ مستوى عال من الرقى ومصداق هذا أن الإغريق مع ما قيل عن حضارتهم لم يعرفوا الحب العفيف .

ولم يعرف الشاعر الجاهلى الكذب فوصف مختلف ألوان حبه وصفا واقعيا مؤثرا الصدق على تمويه الحقائق .

وقد فرضت حياة البادية القبلية على قطانها ألا يكفوا عن الانتقال من مكان إلى مكان فكثر الفراق بين الأحبة واضرمت بقايا منازل الراحلين ضرام الحب فى الأفئدة

وهاجت ذكريات أيام الوصال ولذا شاع فى الشعر الجاهلى وصف تلك الأطلال وطول المكث عندها وسؤالها عن الأحبة وبكاء العهود السالفة .

بيد أن كثيرين منا لا يستسيغون مثل هذا الشعر لانقراض بواعثه ولعلهم يغيرون رأيهم إذا استعادوا الماضى وهم يقرءون أدبه فلا بد للقارىء أن يتمثل العصور القديمة ويعيش فى جوها ليتذوق آثارها الأدبية ويصدق فى الحكم لها أو عليها .

كان أولئك الشعراء يتحرون الصدق والدقة فى التعبير عن عواطفهم وفى تصوير واقعهم لقد تحاشوا كل تهويل وكل مبالغة فلم ينطلقوا وراء شطحات الأوهام ولم يجعلوا من وقائع حروبهم خوارق ومن فرسانهم آلهة أو أنصاف آلهة أو مردة أو عمالقة بل وصفوا الأشياء على حقيقتها الموضوعية وصوروا الأحداث على نحو ما حدث فى الواقع ، فكان شعرهم مرآة لحياتهم الفعلية ولما جرى لهم من أحداث وما جاش فى صدورهم من مشاعر .

ولم يرق هذا الشعر للمتخنين من المفكرين الغربيين ومن نهج نهجهم من أدبائنا المغرر بهم فقد عجزوا عن أن يستشفوا محاسنه وميزاته فأخطأوا فى الحكم عليه وقالوا عنه أنه مادى أرضى يعبر عن ظواهر الطبيعة ومظاهر الوجود تعبيرا مباشرا ضيق الأفق .

بيد أن الذى ينظر إليه بعين لا يضللها الغرض يرى أن العيوب التى يرميه بها أولئك القوم إنما هى حسنات لقد عبر عن الواقع الموضوعى فى صور فنية ، فاستوفى من ناحية الأسلوب أقصى ما يتطلبه النقد الثورى الحديث وأحال الواقع المادى الجامد إلى واقع حى متحرك وحمل القارىء على معاناة تجربة الشاعر ومشاركته وجدانيا .

لقد أدرك العرب الوجود عقليا فلم يحتاجوا إلى الرموز الاسطورية لتفسير الوجود فبرىء شعرهم من الشطحات الوهمية . واستبدل التشبيه بالرمز فى تصويره الواقع ولا يرجع هذا التحول الذى طرأ على أدب العرب إلى جمود حسهم ونضوب خيالهم كما قال أولئك المتعنتون ولكن يرجع فى حقيقة الأمر إلى صدق حسهم وسلامة خيالهم ثم يرجع فوق ذلك إلى صحة إدراكهم للواقع .

ومما قلناه عن أولئك المتعنتين أنهم يعيبون على الأدب العربى القديم خلوه من الملاحم المطولة . والمسرحيات وقد غفلوا أو تغافلوا عن ظهور أنواع مختلفة منه فى الجزيرة منذ العصر الجاهلى .

ولو احترم أولئك المتعنتون الحق والتزموا الصدق لاعترفوا من أول وهلة وهم فى معرض الموازنة بين الأدب الإغريقى والأدب العربى القديم بأن هذا الأدب الأول تضمن من الأنواع الأدبية نوعين لهما اليوم شأن أى شأن فى عالم الأدب الحديث وهما الشعر العاطفى الإنسانى والقصة الواقعية .

اعترف الثقاة من مؤرخى الأدب الأوربيين بأن العرب القدامى هم الذين ابتدعوا هذين اللونين من الأدب . يكفينا اعتراف المستشرق الفرنسى (بريفو) بذلك فى أقواله « ظهر فى فرنسا خلال القرن الثانى عشر تقليد أدبى جديد لم تعرفه أوربا من قبل وهو الشعر العاطفى الإنسانى وقد تلقنه الشعراء البروفانسيون من الشعراء العرب » .

وقول رينان « امتلأت أوربا بقصص لا حصر لها جاء بها الصليبيون من الشرق العربى إثر عودتهم إلى بلادهم » وقول (ميشيل) فى كتابه « تراث الإسلام » « إذا كانت أوربا مدينة بديانتها المسيحية لتعاليم المسيح فهى مدينة بقصصها للعرب وقول البارون (كارادى فو) « ليس هناك أدب سبق الأدب العربى فى ابتداع الأقاصيص » .

ومع ذلك لم يسأل المتعنتون الغربيون أنفسهم لماذا لم يبتدع الإغريق هذين اللونين الفريدين من الأدب ؟ !

ويعيب المتعنتون الغربيون على الشعراء العرب تصورهم المادى للوجود فالإغريق كانوا ينظرون إلى عناصر الوجود على أنها كائنات حية وإلى الحيوانات على أنها كائنات واعية مفكرة يتعاطفون معها ويشاركونها وجدانيا على عكس العرب الذين كانوا يرون عناصر الطبيعة كائنات جامدة لا حياة فيها ويرون الحيوانات خرسا لا تفكر ولا تشعر .

وهذا الحكم مخالف للواقع ، فالعرب القدامى كانوا يناجون الليل والنجوم ومنازل الأحباب المقفرة ومعنى المناجاة التخاطب الوجدانى والمشاركة الحسية بل كان شعراء العرب القدامى يتصورون أن رسوم منازل الأحباب المهجورة تشعر بآلامهم وتكاد تخاطبهم لقد افترى المغرضون على الأدب العربى وآن للحقائق أن تنكشف ؟

محمد مفيد الشوباشى

الكتب

المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم

عرض وتعليق : الأستاذ سعيد زايد

إذا كانت المصطلحات العسكرية قد قطعت شوطاً بعيداً نحو التوحيد داخل جيوش البلاد العربية ، بعد أن بذل كل جيش عربي بعض الجهود في هذا السبيل ؛ فإن صعوبة التعاون وعدم وجود الانسجام الفكري بين الجيوش العربية ما زال موجوداً في اللغات العسكرية التي تستعملها هذه الجيوش . ومما لا شك فيه أن توحيد اللغة العسكرية بين جيوش تنطق أوطانها بلغة الضاد لهو عمل مفيد كل الفائدة ، بل إنني لا أبالغ إن قلت إنه أكبر دعامة من دعامات الوحدة القومية .

واللواء الركن محمود شيت خطاب مؤلف (المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم) له باع طويل في ميدان المصطلح العسكري ، وله - أيضا - تجربة عملية في أكثر الجيوش العربية . وهو - فوق هذا وذاك - عالم جهبذ من علماء اللغة العربية ، فلا غرو في أن يتجه صوب هذه الناحية من نواحي التأليف بعد أن ملك جميع أسلحتها .

وكتاب (المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم) يقع في جزأين كبيرين ، ويحتوي على ألف ومائة وعشرين صفحة من القطع الكبير ، ويشتمل على أكثر من ألف مصطلح ما بين عسكري وشبه عسكري مستعملة جميعها في الجيش .

ومصطلحاته مرتبة على حسب الحروف الأبجدية العربية ، وتتضمن جميع الجوانب التي تعتمد عليها الجيوش ، فهي تتضمن المصطلحات العسكرية العامة ، ومصطلحات واجبات الأركان ، ومصطلحات التعبية ، ومصطلحات التدريب والتهذيب ، ومصطلحات الرتب والوحدات والتجنيد ، ومصطلحات القوة الجوية ، ومصطلحات القوة البحرية والنهرية ، ومصطلحات الدروع والخيالة ، ومصطلحات المدفعية ، ومصطلحات الهندسة ، ومصطلحات المخابرة أو سلاح الإشارة ، ومصطلحات الإمداد والتموين ، ومصطلحات الطبابة ، ومصطلحات العينة أو اللوازم

والمهمات ، ومصطلحات الأشغال العسكرية ، ومصطلحات الضبط العسكرية ، ومصطلحات الجغرافية العسكرية .

وقد اتبع الأستاذ اللواء منهجاً خاصاً في إثبات المصطلحات العسكرية التي وردت في كتاب الله الكريم ، فقد جعل عنوان المصطلح العسكري صيغته بالفعل الماضي ، حتى يمكنه ترتيب الكلمات حسب الحروف الأبجدية أسوة بمعجمات اللغة ، وأعقب ذلك بأن فصل كل كلمة وردت في القرآن الكريم في مواد ثلاث أورد في المادة الأولى بعض الآيات القرآنية كأمثلة للكلمة الواردة فيها والتي اشتقت منها المصطلحات العسكرية ؛ وذكر في المادة الثانية مشتقات الكلمة التي تمت بصلة للمصطلحات العسكرية موردا معاني تلك المشتقات اللغوية ، وذلك تسهيلا لفهمها وفهم المصطلحات العسكرية المقتبسة منها ؛ ثم سجل في المادة الثالثة المصطلح العسكري المشتق من كلمات القرآن الكريم وذكر معانيه الحديثة المستعملة في الجيوش العربية .

وقد أورد الأستاذ اللواء إحصاء لعدد الآيات القرآنية التي ورد فيها المصطلح العسكري ومشتقاته في هامش كل مصطلح عسكري ذكر في القرآن الكريم . وهو لم يعتمد في إيراد المعاني اللغوية على معجم لغوي معين ، ولو فعل ذلك لوجب عليه الإشارة إليه ، ولكنه أخذ من المعجمات بصفة عامه وبالقدر الذي يوضح المصطلح العسكري ثانيا . وهو يشيد بالمعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة العربية ، ويذكر أنه اعتمد عليه أكثر من غيره من معاجم اللغة العربية ، كما يشيد بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للمرحوم الأستاذ الجليل محمد فؤاد عبد الباقي .

ويهدف الأستاذ اللواء من تأليف هذا الكتاب إلى توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية . إذ من المسلم به أنه لا يصح أن تتكلم جيوش دول تضمها أمة واحدة وتنطق بلغة واحدة هي لغة الضاد ويجمع شملها اللغوي كتاب منزل من عند الله هو القرآن الكريم ، نقول إنه لا يصح أن تختلف اللغات التي تستعملها جيوش هذه ، الدول أما الهدف الخاص فهو كما يقول الأستاذ اللواء ، إظهار عظمة القرآن الكريم للعسكريين على تفهم معاني آيات كثيرة من القرآن العظيم ، تلك المعاني التي تبهر العقول والقلوب معا إن المعنويات العالية هي أبرز مقومات الجيوش ، والثقة باللغة والتراث والتمسك بالعقيدة هي المعنويات العالية في أصدق مفاهيمها ومقاصدها ... إن الدعوة إلى العامية ، دعوة مريبة تهدف إلى جعل الشعب العربي شعوبا ، ولن تنجح مثل هذه الدعوة ما دام القرآن الكريم هو الحارس الأوحد للغة العربية » .

هذا ويشمل الاختلاف في ألفاظ المصطلحات العسكرية جميع أنواع الأسلحة من خفيفة أو ثقيلة ،

برية كانت أو جوية أو بحرية ، كما يشمل مصطلحات الخدمات الإدارية كالتموين والنقل الآلي والهندسة الآلية الكهربائية . ويشمل كذلك أجزاء السيارات والمدرعات والطائرات وما إلى ذلك ، ويشمل أخيرا أسماء الرتب والمناصب والتعبية (التكتيكات) والسوق (الاستراتيجية). فلماذا يكون هذا الاختلاف؟

صحيح أنه قد بذلت بعض الجهود في سبيل توحيد المصطلحات العسكرية - كما ذكرنا في أول المقال - إلا أنه لا تزال هناك اختلافات كثيرة ، بل كثيرة جدا في التسميات . وقد صدرت بعض معاجم عربية في هذا السبيل: منها معجم عراقي ، ومعجم سوري ، وثالث لبناني. بل صدرت نشرة بالمصطلحات العسكرية من القيادة العربية الموحدة ، ولكن ذلك كله لم يوف بالغرض المطلوب. وما زال الموضوع كله في حاجة ماسة إلى بذل جهود أكثر في سبيل بناء صرح شامخ من صروح الوحدة العربية .

فتوحيد الجيوش العربية إن دخلت فيه عناصر التنظيم والتسليح والتدريب والتجهيز وتوحيد القيادة ، فإنه لا يكمل تمامه ولا يؤتي ثمره بغير توحيد المصطلحات العسكرية .

ويرى الأستاذ اللواء أن واجب المجامع العلمية واللغوية هو تحمل تبعة توحيد المصطلحات العسكرية في البلاد العربية، ويقترح أن يكون السبيل إلى تحقيق ذلك كما يلي :

١ — أن يؤلف كل مجمع لجنة من بين أعضائه تعنى بتوحيد المصطلحات العسكرية العربية.

٢ — تعمل هذه اللجنة على جمع المعجمات العسكرية المتيسرة في البلاد العربية وتوحد ما جاء فيها من مصطلحات عسكرية ، على أن يكون المعجم العسكري الموحد هو المعجم المعتمد في البلاد العربية كلها .

٣ — تواصل اللجنة وضع المصطلحات العسكرية الجديدة ، لما يستجد من مصطلحات عسكرية في الجيوش الأجنبية ، وتنشر هذه المصطلحات تباعا في مجلات المجامع العلمية واللغوية وفي المجلات العسكرية للجيوش العربية وتضاف بعد ذلك إلى الطبعات الجديدة للمعجم العسكري الموحد .

٤ — يكون مع لجنة المصطلحات العسكرية الموحـــدة المؤلفة من بعض أعضاء المجامع العلمية واللغوية العربية ما لا يقل عن ضابطين من ضباط القيادة العربية الموحدة للمشاركة في وضع المصطلحات العسكرية الجديدة وفي توحيد المصطلحات العسكرية العربية في معجم عسكري واحد .

٥ — تعمل القيادة العربية الموحدة على تعميم المعجم العسكري الموحد والمصطلحات العسكرية الجديدة على الدول العربية للعمل بها في جيوشها ، ولعله من المفيد أن يكون للقيادة العربية الموحدة مجلة عسكرية تنشر فيها تنشره في صفحاتها المصطلحات العسكرية الجديدة تباعا .

٦ — تنشر القيادة العربية الموحدة المجعم العسكرى الموحـــد على نفقتها بإشراف لجنة المصطلحات العسكرية المؤلفة من المجامع العلمية واللغوية العربية ومن ممثلى القيادة العربية الموحدة .

هذه هى الخطوات التى يرى الأستاذ اللواء أن من الواجب اتباعها حتى يكون للأمة العربية معجم عسكرى موحد يسهل مهمة التفاهم بين الجيوش العربية . فإن من المؤسف حقا أن لا تزال هناك مصطلحات عسكرية تركية وانجليزية وفرنسية وأمريكية وإيطالية تستعمل فى جيوش الأمة العربية ، فذلك أثر من آثار الاستعمار الفكرى ، وهو شىء بغيض ، يذكر دائما بأيام مضت كانت تخضع فيها هذه الدول للأجنبى مما يؤثر فى معنويات الجنود فإن من أهم عوامل الانسجام الفكرى بين صفوف الجنود هو استعمال تسمية واحدة لما يستخدم من آلات وما يعتمد علية من مؤن وذخائر واللغة العربية بعد من أغنى اللغات التى تستطيع وضع مصطلحات فى كل الفنون والعلوم وتستطيع مواجهة التقدم العلمى فى جميع المجالات ، وعلى المجامع العلمية واللغوية فى البلاد العربيه أن تتسنم دورها القيادى لتوحيد المصطلحات العسكرية فى البلاد العربية ، ووضع المصطلحات العسكرية الجديدة لما يستجد من أسلحة مختلفة وآلات ومعدات وأساليب تعبوية وسوقيه من هذا يتبين مدى اهتمام الأستاذ اللواء بتوحيد المصطلحات العسكرية التى تستعملها الجيوش العربية ، ولقد بلغ اهتمامه الذروة فقدم كتابا قيما استقى موارده من كتاب الله عز وجل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليكون نبراسا للمشتغلين بالعلم والمهتمين بوحدة الأمة العربية وهل يوجد مثل القرآن الكريم جامعا لأمة العرب على صف وموحدا لها على منهج سوى

وأحسب أن كتاب « المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم » سيكون نموذجا طيبا بين أيدى اللجنة التى تكونت منذ قريب فى جامعة الدول العربية وضمت ممثلين للجيوش العربية إلى جانب ممثلين لأعضاء المجامع العلمية فى البلاد العربية ومجمع اللغة العربية بمصر ، كى تنهض بقضية المصطلحات العسكرية وتصل بها إلى رأى موحد ، وعلى الله قصد السبيل .

وإن خير ختام لكلمتنا هذه هو قول الأستاذ المؤلف إنه « حين بدأت بإعداد هذا البحث ظننت أن المدى لإنجازه لن يطول وأنه سيكون وريقات محدودات ولكننى وجدت أن القرآن الكريم بحر خضم لا يدرك ساحله ولا يسبر غوره حتى فى ميدان المصطلحات العسكرية » .

صعيم زايد

المراقب العام بمجمع اللغة العربية

أنباء وآراء

استفتاء

● جاءنا من المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالمملكة المغربية الاستفتاء التالى :

ويسر باب أنباء وآراء - أن يتلقى إجابات السادة القراء - وإليكم نص الاستفتاء :

هل هناك تلازم أو ارتباط ما بين انتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية ؟
وفى حالة الإيجاب ما هو مدى هـذا التلازم أو هذا الارتباط ؟

أمثلة إيضاحية

هل تناصرون الرأى القائل بوجود علاقة سببية بين الإسلام واللغة العربية وأنه لولا الإسلام لما تأتى للغة العربية أن تنتشر فى العالم ، كما أنه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الإسلام ؟ - مهما كان جوابكم هل يمكنكم أن تتفضلوا بالاستدلال على صحة رأيكم بواقع بيئتكم الإقليمية وبماضيها ؟

هلا تلاحظون فى بلدكم بصفة خاصة وفى البلاد الإسلامية بصفة عامة أن الوعى الإسلامى والوازع الدينى يقويان ويضعفان تبعا لما يعترى لغة الضاد من قوة وضعف وأن العكس بالعكس ؟

ما هو مدى تأثير الفكر الإسلامى عن طريق لغة القرآن فى اللهجات أو اللغات الإقليمية فى الأقطار الإسلامية غير العربية أو لدى الجاليات الإسلامية فى الأقطار الغربية أو الآسيوية ؟

إذا كان هنالك تأثير ما للهجتكم الإقليمية فى تعابيركم العربية المحلية فما هى نسبته ومداه ؟

ما هى المكانة التى يجب أن تحتلها العربية فى بلدكم بالنسبة للغات الأجنبية ؟ وانتظاراً لجواب حضرتكم تفضلوا بقبول خالص تحياتنا ، والسلام ؟

التعريف بمكتب التعريب :

● انبثق هذا المكتب عن مؤتمر التعريب الذى عقد فى المملكة المغربية بدعوة من حكومتها فى إبريل سنة ١٩٦١ وتحت إشراف جامعة الدول العربية وجاء فى توصيات المؤتمر ما نصه :

يوصى المؤتمر بأن يصبح هيئة دائمة وأن يستمر انعقاده دوريا وينشأ له مكتب دائم مقره المملكة المغربية تحت إشراف الجامعة العربية وتمثل فيه جميع البلاد العربية . مهمته أن يتلقى ويتتبع ما تنتهى إليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والأدباء والمترجمين ويقوم بتنسيق ذلك كله وتصنيفه ليستخرج منه ما يتصل بأغراض المؤتمر لعرضه على المؤتمرات المقبلة .

ومن نشاط هذا المكتب أنه نظم فى العام الماضى استفتاء حول قضايا ومشاكل اللغة العربية ، ثم هذا الاستفتاء « علاقة الإسلام باللغة العربية » .

* * *

احتفال الأزهر بالهجرة :

● احتفلت مشيخة الأزهر بذكرى الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون الدعوة إلى كبار رجالات الدولة والسلك الدبلوماسى العربى والإسلامى .

وحضر الحفل السيد حسين الشافعى نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر .

وبعد صلاة العشاء بمسجد الجامع الأزهر افتتح الحفل بآيات من القرآن الكريم ثم قدم الأستاذ أحمد فراج ، فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فألقى كلمة أشاد فيها بالهجرة النبوية وما تتضمنه من مثل وقيم وتضحية وفداء .

ثم قال فضيلته : اليوم ونحن نحتفل بهذه الذكرى العطرة يجب أن نعرف مكاننا بين الأمم وأن يكون هدفنا اجتماع كلمة المسلمين والعرب فى أنحاء الأرض وأن ننهض معتمدين على الله لنرد الباغين ونطهر الأرض الطيبة من رجسهم بحشود الإيمان وجحافل العروبة والإسلام واتباع السنة والقرآن . داعين المولى سبحانه أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين .

ثم تقدم / السيد الدكتور عبد العزيز كامل نائب وزير الأوقاف فتحدث عن توحيد الجبهة الداخلية عملا بشريعة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار . وكان حديثه عذبا منمقا .

ثم تقدم / السيد حسين الشافعى نائب الرئيس فارتجل حديثا طيبا تناول فيه السكينة فى القرآن وأن القائد الناجح هو الذى

تملأ قلبه السكينة . ثم ختم الحفل بآيات من القرآن الكريم .

* * *

وفد الصداقة الهندى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه وفد الصداقة الهندى برئاسة السيد / معين الحق كشودرى وزير الموارد والغابات بحكومة آسام الهندية . بمناسبة عودة الوفد من الأراضى الحجازية وبعد أن هنأهم فضيلة الإمام الأكبر بأداء شعيرة الحج قال : إن الحج مؤتمر تعاونى يلتقى فيه المسلمون ليتعارفوا ويتعاونوا على حل مشكلاتهم وليكونوا قوة واحدة ضد الطغيان والعدوان . وإننى لأدعو الله تعالى أن يمحو عن أرض الإسلام كل عدوان ليبقى المسلمون أقوياء معتزين بدينهم .

ثم تحدث السيد الوزير قائلا إن الهند كدولة صديقة تربطها بالجمهورية العربية المتحدة علاقات المحبة والتعاون وهى تتيح للمسلمين فيها الحرية وتكافؤ الفرص حتى غدا طابع الإسلام ظاهرا فى الهند .

ثم إن الهند تؤيد الجمهورية العربية فى كل خطواتها التى ترفع من شأن المسلمين والعرب وبالنسبة لقضية فلسطين فنحن أحرص الناس على أن نشارك الأمة العربية بكل قوانا وإمكانياتنا لإزالة آثار العدوان .

ثم وجه الضيف الدعوة إلى فضيلة الإمام لزيارة الهند قائلا ، إن من حق الهند أن تسعد بكم لأنكم إمام المسلمين جميعا كما أن الأزهر فخر للمسلمين فى أنحاء الأرض فشكره فضيلة الإمام ووعده بتلبية الرغبة عندما تتاح الفرصة .

* * *

مؤتمر الأدباء العرب :

● عقد فى القاهرة فى الفترة ما بين السادس عشر والحادى والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ المؤتمر السادس للأدباء العرب وشاركت فيه وفود كبيرة من أدباء مفكرى إحدى عشرة دولة عربية بالإضافة إلى الجمهورية العربية المتحدة وجامعة الدول العربية كما دعيت إلى المؤتمر ألمانيا الديمقراطية ومثلها السيد ماكس فالترشولقس .

ولقد عقد المؤتمر فى ظروف قاسية فالوطن العربى يجتاز مرحلة من أخطر مراحل كفاحه ونضاله ومن ثم كان محور اهتمام المؤتمر ونشاطه الموضوعات التى انبعثت من الإعتداء الصهيونى الأمبريالى ، ودور الأديب فى معارك التحرير ، وإحاطة الرأى العام العالمى بحقيقة قضيتنا وأبعادها السليمة .

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

(A man shall not be a true believer unless he has embraced four things : the witness that Allah alone is God and that I,Muhammad, am Allah's Apostle whom He has sent forth with true faith, and the belief in death, resurrection to follow next, and in destiny.)

ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان
من عبد الله وحده وعلم أنه لا إله إلا الله ،
وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه
كل عام ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا
المريضة ولا الشرط اللئيمة .

(He knows the taste of faith who does these three : to serve Allah alone realising that there is no other god besides Him; to give the poor-due, year after year, from a kindly and persuasive soul; and to refrain from choosing his worst things with which to deal with men)

قل آمنت بالله تعالى ثم استقم .

(Say, "I believe in Allah, exalted be He" and then follow the right path.)

ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان:
من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،
ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله ومن يكره
أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى
منه كما يكره أن يلقى فى النار .

(Three things will let a man taste faith : that he finds Allah and His Apostle dearer to himself than what ever else, that he loves men only for Allah's sake, and that he loathes to turn a renegade after Allah, exalted be He, has delivered him from disbelief - just as he loathes to let himself be thrown into fire.)

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(A man shall not be a true believer until he loves for his brother that which he loves for himself.)

من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع
لله فقد استكمل الإيمان .

(He has perfected his faith who lets only the sake of Allah govern his love and hate and his giving and withholding.)

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم

(A Muslim is he whose tongue and hand match no mischief against other muslims; and a Faithful is he whom men will confide with their lives and properties.)

مراجع الأحاديث :
١ — صحيح البخارى .
٢ — تيسير الوصول للشيبانى .

From the Tradition of the Prophet :

THE TRUE BELIEVER

BY : SOLIMAN BARAKAT

It says in the Prophetic tradition:

عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له .

(Wonderful are the ways of the true believer. They are all good to him, which occurs to none but a true believer. For in prosperity he gives thanks, which promotes his benefit ; while in adversity he takes to patience, which promotes his benefit also).

الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . والساعة ، ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وأماراتها أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيـان .

(By Islam is meant that you bear witness that there is no other God than Allah and that Muhammad is His servant and Apostal, attend to your prayers, pay the alms-tax, fast all Ramadan long and visit the House (Ka'ba, in pilgrimage) so long as you are of means that allow it. By faith is meant that you believe in Allah, His Angels, His Scriptures, His Apostles and the Last Day, and also believe in destiny as Allah's preordained beneficial and afflicting decrees. By goodness is meant that you serve Allah as though you see Him, for if you are incapable of seeing Him, He does see you. As for the Hour of Doom, Allah alone has knowledge of it. However, such are its portents : the slave girl gives birth to her mistress, and one sees soaring power erected by the naked and barefoot shepherds.)

لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر .

The wisdom behind the mission of the Prophet was as great as the wisdom behind the revealing of the Holy Qur'an. The noble presonality of the Prophet matched the wise teachings of the Qur'an ; thus he was like the Qur'an brought to life in the form of a human being. Therefore, the Prophet was the good model of conduct for humankind in its long history. His biography shakes the soul to its deepest feeling. It is natural that those who saw the Prophet and had the honour of his company were lucky to aquire the complete spirtual share, and, thus, they were able to change, in spite of their few number, the course of history.

(Continued from page 10)

opportunities for democratic interaction.

How to Develop Leadership?

The development of leadership capactities in the field of adult education is a long term, it is almost a life-long job. There is no certain recipe which can be given to create leaders in the field of adult education. However, here are some suggestions which may help in the development of leadership.

1) To study leadership
2) To work with groups
3) To develop the ability of listening to people.
4) To seek a variety of experience in group service
5) To seek every opportunity for self-evaluation.

In a summary, the teacher in adult education should be trained in leadership. He must know the subject that he teaches ; he must believe in the value and interest of the subject. He must have the ability of loving people and getting along with them. He must have the ability of leading a disscussion and promoting new ideas.

لا يموت فيها ولا يحيى ، ومن يأته مؤمناً ، قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها . وذلك جزاء من تزكى .)
(طه ٧٤ — ٧٦)

It means :

"Whose comes guilty to his lord, for him is surely hell. He will neither die therein, nor live. And whose comes to Him a beliver, having done good deeds, for them are high ranks. Gardens of eternity, wherin flow rivers, to abide therein. And such is the reward of him who purifies himself." (S : 20, V : 74-76)

Are there other means for ethical guidance in Islam other than the method of worship ?

Islam, besides the mothod of worship, recommends the way imitation, in guiding people to moral excellences. There are also the methods of preaching, and cases of history.

The method of imitation is considered the most effective. It is easy to author a book on education, good behaviour, and morality, but it will be useless until they are realized into actival facts, and turned into real action in the conduct of people. Therefore, God the Almighty, sent the Prophet Muhammad to be a good model of conduct for humankind, as the holy verse says :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة)
(الاحزاب ٢١)

It means :

"You have in the Messenger of God a good model of conduct."

(S : 33, V : 21)

The Prophet realized through his personality the Islamic method of morality. When Aysha, his wife, was asked about his behaviour, she said : "His behaviour is (contained in) the Qur'an." She means that the conduct of Prophet was a real illustration for the noble teachings and principles of the Holy Qur'an. The Prophet was a politician who was able to organize a united nation out of different races and nationalities.

He was a leader who was a genius in planning the methods of war. He was a good father who adiminstered his family affairs with kindness and effeciency. He was a good friend to all people, full of sympathy towards the sorrows and joys of others, and poured all people with his mercy and kindness. He, moreover, was a sincere worshipper who is completely dedicated to contemplation, and is elevated over disires and temptation. Yet, he was the initiator of the greatest call on earth, the call which realized the real meaning of humanity.

shortcomings, and the elevation of man's conditions is the vital reason behind the legisla ion of Zakah. Thus, the Prophet made the meaning of charity as wide as to include many moral excellences. He saide : "Smiling in the face of your fellowmen is a charity; your enjoining what is good and forbidding what is bad is a charity; your guidance to the right road for a lost person is a charity; your removal of harmful objects from the ways of people is acharity; your help to others to get water, even at the expense of your own, is a charity; and your aid to the blind or the one of bad sight is a charity."

Islam legislated Fasting not to deprive people from food and drink, but to be a means over the bad desires of body and soul. The Prophet said : "Whoever does not leave false testimony and acting according it, God shall have no need of his giving up his eating and drinking. "He also said : "Fasting is not from eating and drinking but from nonsense and indecent words. So if one directed insults to you or treated you harshly, just answer him by saying : « إني صائم » (I am fasting.)

Some people think that going to pilgrimage is just a trip that has no moral significance. This is far from truth, because God, the Almighty says :

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب. »
(البقرة ١٩٧)

It means : "The months of pilgrimage are well known; so whoever determines to perform pilgrimage therein shall voice no immedest speech, nor abusing or altercation in pilgrimage. And whatever good you do, God knows it. And make provisions for yourselves, the best provisions being to keep one's duty. And keep your duty to Me, O men of understanding." (S : 11, V : 197)

This is a short review to the noble meanings of Islamic worship which are to be its pillars, through which we come to realize the intimate relation in Islam between religion and ethics. There are different kinds of worship, though they aim at one objective which the Prophet expressed when he said : "I have been sent to realize but moral excellences." Therefor, prayer, fasting, poor-rate and pilgrimage are practical exercise on good ethics and morality. If man does not benfit from them to obtian good conduct, he is undoubtedly is in great misguidance. The Holy Qur'an says :

(إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم ،

The Basis of the Ethical System in Islam - II

BY

ABDUL WADOOD SHALABI

What are the measures Islam took to establish society on the basis of its own ethical system ?

The kinds of worship in Islam which are considered as its pillars are not meaningless rituals or vague rites. The obligations of Islam are continuous exercise on moral excellences. They are meant to educate people in good behaviour in all conditions and circumstances. In this respect, these kinds of worship and obligations, are like physical exercises which are necessary for the health and strength of the body. The Holy Qur'an and the Prophetic Traditions reveal these facts. The daily prayers are obligated for the noble purpose which is spoken of in this Qur'anic verse :

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »
(العنكبوت ٤٥)

It means : ". . . Surely prayer keeps one away from indecency and evil .. " (S : 29, V : 45)

So the real essence of prayer is keeping people away from vices, and cleanse them from bad actions and words. It is related in the Tradition which the Prophet reports from his Lord :

"I accept the prayer from whom who shows his humility to My Greatness, did not take a pride over My servants, did not insist on his disobedience to Me, spent his time in My remembrance, and had mercy toward the unfortunate, the wayfarer and the widow".

Zakah or poor-rate in Islam is not merely a levied tax. It is meant to establish the feelings of mercy and kindness in the hearts of people, and to strenghten the unity and the good relationship among the different classes of the society. The Holy Qur'an imphasised its care over the payment of Zakah. It says :

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (التوبة ١٠٣)

It means :

"Take alms out of their property, so you would cleanse them and purify them thereby . . ." (S : 9, V : 103)

Therefore, the cleansing of the soul from the bad effects of spiritual

ahead in their thinking and knowing, from where they are to where they want to be.

The leader of adult education should not be proud of himself as a leader. He should avoid to give any slightest hint which will make adults feel that he is a leader. The leader has to know that he himself is in great need of learning. Actually, he will learn a great deal through his leadership among adults.

The leader should strive to develop a climate of faith and confidence in one another among his group. He should encourage people to express their hidden ideas. He should encourage people to join in the formulation of their own goals. Finally, the leader must know the nature of his society and the nature of the problems which are facing the people. He should encourage adults to study their own problems and find solutions to them and not to blame the government for finding solutions to their own local problems which they can solve.

The good teacher in adult education is a leader who succeeds in developing the understanding and skills among adults which can promote democratic and prosperous living based on justice and equality. He is the person who can enrich the community in which he lives. In a summary, he is the person who succeeds in the following things :

1 — To help adults comprehend the ideals of their society and work hard to attain those ideals.

2 — To make adults aware of their civic responsibilities to one another, to the community, and to the nation.

3 — To make them economically more efficient by developing new skills and new techniques.

4 — To help adults develop a sense of responsibility and a knowledge of how to proceed in making personal adjustments to home life, family relationship and community relationships.

5 — To help adults promote health and physical fitness.

6 — To help provide the means for encouraging cultural development and an appenciation of the arts.

7 — To help adults to supplement and broaden their educational backgrounds. And finally, to help provide for the development of a vocational interest through apportunities for self-expression

It is becoming increasing clear that knowledge attitudes, understanding, and skills necessary for living in a social cooperative society are best developed in adult education situations which provide vital

(continued on page 14)

methods geared to adult problems and psychology.

The leader is not an ordinary teacher, and adults are not like boys in a classroom. School boys come to school but the leader of adult education should go to the adults. They will gather around him; the leader will arouse them to think their own way. The leader should inspire adults to solve the problems facing them.

When he talks to them, he should take into consideration that he is talking with grown up people, who have all sorts of problems and interests.

So the leader's job is not to teach adults a specific body of knowledge but his job is to help them find themselves. The situation of the leader among adults is much different from that of the teacher among pupils in the classroom. The leader in adult education has to be acceptable to adults, and what is more, he must keep in mind that adults have grown up with different beliefs, different emotions, different attitudes, and different habits.

The teacher in adult education should know the fundamental factors, which affect the learning of adults. Miss Cass in her book *Adult Elementary Education*, summarizes these factors as follows :

1 — The physiological and psychological changes.
2 — The learning ability.
3 — The intersts and attitudes.
4 — The memory and the power speed of learning.

So it is a great task for the person who will work with adults. Some adults are confused and puzzled about life. The good job of the leader in this case is to help these adults get out from this confusion.

Some adults are hungry for new experience. Here again, the task of the leader is to help these peole meet their needs.

The leader of adult education should remember that those adults resume the status of learner not as if they were children. On the contrary, they assume this status out of their volition, yet they remain adults.

Who is the Good Leader ?

It is not enough for the leader to have a good command of a body of knowledge, but what he needs more is the capacity of putting this knowledge at the disposal of adults. The leader should be a sincere person who loves his work and who works hard out of his zeal and eagerness. Then he will be able to create conditions under which adults can really learn, can really move

it a work that anyone can do. It is a wonderful position, not only because it was the prophets' profession, but also because it gives the teacher privilege of using his mental abilty on valuable subjects. It is a genuine happiness to explain subjects to others, to feel your mind grappling with their difficulties, to welcome every new look on their faces, and to learn as you teach.

The good teacher must know the subject that he is going to teach, and what is more, he must believe in the value and interest of the subject, otherwise the students would learn nothing and hate school and turn away from valuable fields of knowledge.

He must like the subject he teaches. How would you feel if you visited a doctor for treatment and the doctor said to you that he cared nothing about the art of healing ?

The good teacher should love the students and know their names and their faces. He must know what a student can do and what he cannot do.

Now then, there is a basic question : Can this described good teacher be a successful teacher in adult education ?

My answer is "No," not necessarily.

Dr. Harry A. Overstreet in his book *Leader of Adult Education* points out that teachers and ministers are less successful in leadership in the field of adult education, that is because they find it difficult to let seemingly foolish remarks pass without trying to polish them up a bit.

So, as adult education is not mere teaching in a classrom, but it is widely different activities, I think of the teacher of adult education *as a leader* rather than as a teacher.

Here I can put some questions : Who is the leader in the field of adult education ?

What qualifications does the leader need to be a suceessful leader ?

Can every teacher be a leader in adult education ?

Dr. Overstreet answered the first question : He says : a leader is one person who counts as more than one. The effect of his outlooks and behaviors is multiplied in all who adopt his way of looking at things.

Actually, the basic problem of the movement of adult education is to discover and train leaders who can exert the type of influence characteristic of edueators, and employ

WHO CAN TEACH ADULTS ?

BY :

DR. IBRAHIM M. SHALABY

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
يتلو عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
إنك أنت العزيز الحكيم » (البقرة ١٢٩)

It means :

"Our Lord ! And rise up in their midst a messenger from among them,

Who shall recite unto them Thy revelations,

And shall instruct them in the Scripture and Wisdom, and shall sanctify them,

Lo ! Thou art the Mighty,

The Wise." (S : 11, V : 129)

Adult education has become imperative ; especially in this rapidly changing world. Most people find themselves in a world where everything is changing. They take new jobs in different fields where they often encounter new atmospher, new patterns of living, new sets of values and new attitudes to which they must adjust and adapt themselves. Accordingly, one can easily see why adult education has become imperative in our era.

Adult education involves activities of widely different kinds. Such activities as reading and discussion clubs, forums, community centers, parent-teacher organizations, evening schools, amateur dramatics, correspondence schools, teaching illiterates how to read and write, and the like may be considered as part of adult education development.

However, the purpose of adult education is not just to run such activities mentioned above ; rather it is to help people understand the basis of order and sscurity in a world of rapid change and to build their goals realistically in fitting terms ; and to help people understand their problems, discover the resources which are available to them, and find the way to solve their problems and to reach their goals under current circumstances.

And here comes up the question which has been chosen as a title of this article.

Who can teach adults ?

Teaching is not an easy job, nor is

land and historically as well as by ties of trade and commerce it formed part of the Arab world. The well-known western Philosopher, Arnold Toynbee, rejecting the claim that Palestine was the home of the Jews, points out : "After a lapse of 1,800 years, it could not be said that Palestine was the land of the Jews. Otherwise, the United States of America should now belong to the Red Indians and the situation in England and in many other countries of the world should be different. In my opinion, the Jews have no right in Palestine except their right to personal property. They do not have the right to establish a state".

Eversince Israel came to existence it has been a source of constant irritation to the Arab countries, and tension in Middle East. Apart from this there is the big problem of the millions of Palestine refugees. Israel is an outpost from which the freedom of Arab countries might at any time be threatened. It was wrong and inhuman action of the western powers to impose the Zionists on the Palestine Arabs. It would be a crime against humanity to crush and suppress a nation in their own homeland. The extremist Israelis, on the other hand, must remember the series of disasters which one after another had befallen the doomed nation of Moses, had culminated in the wars of 'Titus and Hadrian'. Pagan Rome had destroyed their temple and stamped out in fire and blood their existence as a nation. But the misfortunes of the Past had no lessons for them in the future. Their own sufferings at the hands of ruthless persecutors had failed to teach them the value of humanity and peace. God the Almighty says :

«إن الله لا يغير ما بقـــوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» .

It means : "Lo ! Allah changeth not the condition of a folk until they (first) change that which is in their hearts . . . ."



Nations as a result of a draft resolution proposed and recommended by the United States of America.

The role played by Israel in the 1956 tripartite aggression against Egypt is widely known. When President Nasser announced, on 26 th July, 1956, the nationalistation of the Suez Canal, the domination of European powers over East, which had lasted for over a hundred Years, was weekened. The sudden Israeli aggression on Egypt on 29 th October, 1955, followed by the Anglo – French invasion two days later was an attempt to revive western presence in Middle East.

It is necessary to recount in brief the developments which lead to the war of 5th June, 1967. The main reason for the increased tension was the highly provocative and threatening statements made by the Israeli leaders. At the same time, there were Israeli troop concentrations over the Syrian border. Syria, fearing an imminent attack from Israel held urgent consultations with the united Arab Republic under the U. A. R. — Syria mutual defence agreement which had been signed in November, 1966, In these circumstances, the U. A. R. wanted to declare openly that it would come Syria's help if attacked by Israel. The U. A. R. had consequently taken necessary measures to deter the Israelis from any aggressive designs against Syria or U. A. R. It will be recalled that on 5th June, 1967, Israel committed clear aggression against neighbouring Arab countries. It is obvious from the U. N. Secretary General's report on 5th June to the U.N.Security council. In this report, the first mention by Uthant regarding offensive action was to Israeli Air Craft violating U.A.R. Air space at 8. A. M. an 5th June, 1967, over Gaza and Al-Arish. The Arab-counter action against Israel was indicated in this report as having taken place only after 8. A.M. Subsequent developements have more than conformed that Israel committed aggression and Israel itself scarcely bothers to deny that it started shooting first.

Almost every ten years (1948, 1956 and 1967) Middle East has been the scene of turmoil. What is the continuing basic reason for this tension ? It is the imposition of Israel on the people of Palestine. At the dawn of history Palestine was occupied by Cannanits who emigrated from the Arabian Peninsula. It was the cradle of different civilisations and the home of three religions, Judaism, Christianity and Islam. But amidst all this diversity, the basic Arab character of Palestine stood foursquare. It alwayes remained an Arab-speaking

The Zionists and the Jewish torrorist organizations began attacks against the Arabs. Until the end of March, 1948 the Arabs with the aid of volunteers from nearby Arab countries appeared to be achieving their military objectives. But early in April the Israeli 'Haganah' reversed the trend of the battles and registered a chain of victories which placed in Jewish possession most of the importent twons including Haifa, Jaffa, Tiberias, salad and the bulk of the new city of Jerusalem. Mention should be made here of the massacre on 9th April, 1948 by Israeli extremist elements of hundreds of women and children in the Jerusalem Arab suburb of 'Dayr Yasin'. This, coupled with the military defeats and lack of political leadershing on the part of the Arabs, caused their general demoralisation. By the middle of May, 1948 an estimated 200,000 Arab had already fled their homes seeking sanctuary in neighbouring countries. The Jews on their part had begun to establish their authority over the zoons occupied by terrorism and they consolidated their hold over the costal plain and eastern Galilee. A provisional national council of Jews elected a provisional cabinet, with Ben-Gurion as primior and minister of defence. On The 14th May, 1948 this Jewish cabinet announced the creation of the so-called state of Israel in Palestine.

After the announcement of the creation of Israel by Zionist terrorists, units of the regular armed forces of Jordan, Syria, Lebanon, Iraq and Egypt, together with a minimal force from Saudi Arabia, were sent to Palestine for combat with Israel. The secretary general of the Arab League stated that time that because of the end of the Mandate there was no legally constituted authority to administer law and order and elfored necessary protection of life and property. The conflict had been started by Zionist aggression and imperialistic motives. The Arab states proposed to restore peace and law and order and then hand over the government to the Palestine Arabs. Initially the Arabs had a military advantage, however with the lapse of time the Israelis were able to acquire arms from Europe and elsewhere. A number of Jewish veterans of World War II were also recruited in the Israeli Army, Although the security council ordered to observe a truce, continuing state of tension and conflict between the Arab countries and Israel became the dominent feature of Middle East after 1948, as a result of the manner in which Israel was brought into being and a result of the behaviour of the new Israelis. On the 11th May, 1949 Israel was admited to the United

National Home in Palestine. The Mandate also recognised the Jewish Agency as a public body to co-operate with the Palestine government in such matters as may effect the establishment of the Jewish population in that country.

The area in question had been inhabited by the Arabs continuously, and at the time of the establishment of the Palestine Mandate 90 percent of the population in Palestine were Arabs. According to the statement of the Jewish Agency itself prior to the early 1880's there had hardly been any Jews in Palestine. The period between the two world wars was used by the Zionists to increase the Jewish population by immigration so as to obtain a Jewish majority in Palestine. It is pionted out that, whereas in 1918, the Arabs out-numbered the Jews by ten to one, by 1938 they only out-numbered them by two to one. The persecution of Jews in Europe undoubtedly increased the Jewish migration into Palestine. The Mandate mentioned that the permission given for Jewish immigration and land settlemnent was not to prejudice the rights and position of other sections of the population. But these promises were disregarded by the British in the interests of the establishment of the Jewish National Home. It is difficult to see what the moral or legal grounds were for carving out such a home from Palestine which was essentially Arab?

The ruthless measures adop ed by the British to suppress Arab protests against the increasing Jewish immigration into Palestine, are evident from the following statements :

"In April 1936, the Palestine Arabs declared a general strike which lasted for nearly six months in spite of every attempt by British authorities, through military force and reprisals, to crush it, huge concentration camps grew up after the well-known Nazi pattern. The British government has pursued and is pursuing a ruthless policy of destruction and killing thereby seeking to crush the national struggle for freedom. Methods which are even worse than those employed in the Black and Tan era in Ireland are being practised in Palestine and a heavy censorship hides them from the rest of the world. Yet what comes through is bad enough. I have read of Arab 'Suspects' being herded to gether by the British military forces in huge barbed-wire enclosures called iron cages, each of these cages holding 50 to 40 prisoners, who are fed by their relations, literally like animals in a cage".(1)

(1) Glimpses of World History.

form a settlement in Palestine, this, was refused them by the Sulthan and they in turn refused an offer by the British of a settlement in 'Uganda'. Until the outbreak of the First World War in 1914 the Zionists centered the activity of their organization in Germany. With the Division of Europ into two hostile camps, another centre was formed in London under the leadeship of Dr. Chaim weizmann. A similar centre to the English one was founded in America under the leadership of Justice Brandeis.

At this time the Zionists were concantrating on obtaining from the Allies a definite promise to create a Jewish state in Palestine. During the course of the First World War, the British became increasingly sysmpathetic to zionist aspirations for the creation of a national home, primarly on the grounds that zionist money, talent and sympathy were required both in Europe and the United states for the promotion of the Cause of the Allies. In 1914 Dr. Chaim Weizmann promised Jewish support in the war in return for a British promise of support for zionist claims. Zionist claims included Palestine, the present territory of Jordan and the Gaza strip.

The Zionists also worked for an exclusively British Post-war administration in Palestine. Prior to world war I Palestine was a part of the Ottoman Empire, and the whole area now constituting Syria, Jordan and occupied Palestine (Israel) was commonly referred to as 'Syria'. After the first world war the territories of Lebanon, Syria, Palestine and Trans--Jordan were established. After the war these former Turkish provinces were converted into Mandates as provided for in the Covenant of the League of Nations. The Mandate for Syria and Lebanon was allotted to France and the Mandate for Iraq (Mesopotamia) and Palestine were given to Britain. This decision was taken at the Sanremo conference of the principal Allied powers, on 25th May, 1920.

The Palestine Mandate was thus generally framed in the interests of the Zionist movement. On 2nd November, 1917, the British Cabinet approved the issue of the well-known 'Balfour Declaration' which was essentially a declaration of support to zionist aspirations. The declaration was subsequently endorsed by the other Allied and Associated powers. The substance of the declaration was also incorporated in the Mandate for Palestine. The Mandate made Britain responsible for facilitating the establishment of such political, economic and administrative conditions as would secure the establishment of a Jewish

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

SAFAR 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	MAY 1968

14th MAY, 1948
– A Blot on the History of the Humanity

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

On the 14th May, 1948, Ben-Gurion, Chairman of the Jewish Agency, proclaimed the establishment of a Jewish State in Palestine to be called Israel. Sixteen minutes after Ben-Gurion's declaration in Tel Aviv, President Truman of America announced de facto recognition of Israel. The aggressive nationalism of Israel, backed by American dollars and world imperialism, remains dangerous not only for the Middle East countries concerned but for the peace and security of the world. At this juncture it is necessary to recount briefly the history of the Palestine question.

The seeds of the present tension in Middle East, were sown at the beginning of the 20th century, when the proposal of the Zionist movement to creat a 'Jewish National Home' in Palestine received the sanction of the British Government. The subsequent conflicts, violence and tension in the area can all be traced to this decision on the part of the British, who were awarded the Mandate for Palestine at the conclusion of the First World War.

In the late 19th century there was much anti — semitism in Europe and an outburst against Jews in Russia. These were some of the factors which encouraged Zionism and caused Theodor Herzl to establish the world Zionist Organization in Basle, switzerland in 1897. At this time the Zionists asked the Turks to allow them to

الفهرس

English Section

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثالث - السنة الأربعون - ربيع الأول ١٣٨٨ هـ - يونيه سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكرى المولد

محمد المجاهد ﷺ

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان محمد رسول الرحمة صلوات الله وسلامه عليه مجاهداً طوال عمره : جاهد الرجز في نفسه من يوم شب إلى يوم بعث ، وجاهد الشرك في قومه من يوم هاجر إلى يوم قضى .

ولد صفي الخالق وصفوة الخلق في مهد اليتم والفقر ، لا يجد الدفء كمن له أم ، ولا العطف كمن له أب ، ولا اللبن كمن له مال . ثم درج في بيئة ارستقراطية لا ترجو لله وقاراً ، ولا تقيم للضعيف وزناً ، ولا تبذل للفقير عوناً ، ولا تجعل الشأن في الحياة إلا للتكاثر بالمال والولد ، والتفاخر بالغزو والغلب ، والتدفق في اللهو والباطل . فهم يأكلون الربا ويشربون الخمر ويلعبون الميسر ويأتون المنكر ويقتسمون أرزاق الناس على مقتضى السيادة والقوة ، فكان محمد الصبي في غمرة هذا الجهل العارم ، وسطوة هذا الفساد المعدي ، يحصن نفسه من شرور هذه البيئة بمجاهدة النفس ومغالبة الشرك ، فلم يكذب في قول ولا فعل ، ولم يشارك في لهو ولا منكر ، ولم يعنُ وجهه لصنم ولا وثن ، ولم تمتد عينه إلى متعة أو زينة . وتلك هي فطرة الله التي فطر عليها العقول السليمة ، تهيأ لها بروحه ، ومال إليها بطبعه قبل أن يقول له الله عز قوله : « فأقم وجهك للدين

حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ولولا مجاهدة النبي لنفسه منذ الحداثة لما تميز بالخلق الرضى والرجولة الكاملة والشخصية المهيمنة والحياء الوقور والحلم الرفيق والصبر المطمئن والصفح الجميل واللسان الصادق والذمة الوثيقة والجأش القوى والفؤاد الجميع ، حتى قال عن نفسه : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وحتى قال الله فيه : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

تألبت عليه عناصر الشرك فأصيب فى بدنه ، واتهم فى عقله ، وأوذى فى أهله ، وحورب فى دعوته ، وعذب فى صحبه ، فما قابل ذلك العدوان الجماعى الباغى إلا بعزمة الإنسان الأعلى ، فجاهد بالصدق ، وجالد بالصبر ، وجادل بالرأى ، وصاول باللسان . وكل هذه الأمور إنما تصدر عن براعة الذهن وإعجاز البطولة .

ثم جاهد الفقر وهو يافع بالعمل ، فتمرس بالحياة على أسلوب قريش ، فرعى على بعض أهله ، وسعى لبعض قومه ، ومضى يضرب فى الآفاق إلى الأسواق يكسب لعمه وينمى ثروة زوجه . ثم استعان على الفقر بالزهد حتى أصبح الصبر عليه معنى من معانى العبادة فى حياته ، وعلاجه فى الناس جزءا من حقيقة الجهاد فى رسالته ، فآثر أن يظل فقيراً لا يكاد يجد الكفاف حتى بعد أن ملك الحجاز ونجدا واليمن ، وجبى الجزيرة وما داناها من العراق والشام ، فكان ينام على فراش من أدم حشوه ليف ، ويبيت هو وأهله الليالى طاوين لا يجدون العشاء ، ويمكثون الشهر لا يستوقدون نارا ، إن هو إلا التمر والماء . ولما استعز به الله كانت درعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله ! .

ثم رأى بعد البعثة جرائر الفقر على العرب من تضرية الغرائز وتمزيق العلائق ومعاناة الغزو ومكابدة الحرمان وقتل الأولاد وفحش الربا وأكل السحت وتطفيف الكيل وعنت الكبراء وأثرة الأغنياء وفقد الأمن وانحطاط المرء إلى الدرك الأسفل من حياة البهيم ، فكانت بوادر جهاده فى الإصلاح الإلهى أن قلم أظفار الفقر بالزكاة ، وأسا كلوم الفقراء بالمواساة ، وقمع بوائق البؤس فألف بين القلوب وآخى بين الناس وساوى بين الأجناس ، وعصم النفوس من القتل الحرام ، وطهر الأموال من الربا الفاحش ، وعالج هذا الداء الأزلى بما لو أخذ به المصلحون لوقاهم شرور هذه الحروب التى أمضت حياة الناس ، وكفاهم أخطاء هذه المذاهب التى قوضت بناء المجتمع.

ثم هيأه الجهاد النفسى الشاق إلى الجهاد الإنسانى الأشق . فاتجه بروحه اللطيف الصافى إلى الملأ الأعلى من فوق الجبل فى صمت حراء الموحى ، وفى سكون الوادى الملهم ، وفى

غيابة الفضاء الرهيب ، يفكر فى الملكوت الدائم ، ويسبح للجلال القائم ، ويفنى فى الوجود المطلق ، حتى أوحى إليه فى هذا الغار بالرسالة والمعجزة ، فقام بأعباء الدعوة ثلاث سنين فى طى الخفاء حتى نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » فعالن بها قريشاً وبلغها أئمة الكفر ، لا يسنده سلطان ولا يؤيده جيش ولا يمهد له مال . فنفروا منها نفور الوحش المروع ، ثم رأوا فيها سيادة الأسرة وخضوعا لقانون وخروجاً على عرف ، فقابلوها بالعناد ، وعارضوها بالحجاج ، ودافعوها بالكيد ، فآذوا الرسول فى نفسه وفى أهله وفى صحبه فما وهن عزمه ولا لانت قناته ، وإنما قابل الأذى بالصبر ، والسفه بالحلم ، والفظاظة بالرقة ، وهذا هو الخلق . ثم قارع الجدال بالتحدى ، والمكابرة بالسيف ، والإغراء بالإيمان ، وهذه هى الرجولة .

وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر محمد وحده على العرب . وبهذا الخلق وهذه الرجولة انتصر العرب بعده على العالم .

حمل أبو القاسم رسالة الله ، وحمل أبو جهل رسالة الشيطان ، واستحالت مكة المشركة جبلا من السعير سد عليه طريق الدعوة ، فكان يخطو فى طرقها وشعابها على أرض تمور بالفتون ، وتتسعر بالعذاب ، وتفجرت لاعيه من كل مكان سفاهة أبى لهب بالأذى والهون والمعاياة والمقاطعة — وكل قريش كانت يومئذ أبا لهب إلا من حفظه الله — وافتن شياطين مكة فى أذى الرسول ليحملوه على ترك هذا الأمر فما استكان ولا تردد . وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه فى (الندوة) فقرر القتل ، وتدخل الله بروحه فى (الغار) فقدر النجاة . انطلق محمد وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المشركين فى الطريق الموحش الوعر حتى بلغ يثرب ، وهنالك طابت الأرض للغرس الإلهى فزكا وأزهر وأثمر ... واستوثق الأمر للرسول ، فضم شتات الجماعة ووثق عقدة الدين وجمع أهبة الحرب وألف بين الأوس والخزرج وآخى بين المهاجرين والأنصار وعاهد بين المسلمين واليهود حتى تكتب فى المدينة جيش الله الذى فتح الدنيا بفتح مكة .

° ° °

استحال على قريش أن يفتنوا المسلمين عن دينهم بالإغراء والإيذاء فأخرجوهم من ديارهم وجردوهم من أموالهم فجاءوا المدينة ساغبين لاغبين لا يملكون الكساء ولا يجدون القوت ، فكان ذلك داعياً إلى أن يصادر الرسول عليه السلام تجارتهم الذاهبة إلى الشام أو الآيبة منها فحدثت بين المسلمين والمشركين موقعة بدر ، وتوالت بعدها الغزوات والسرايا يقودها الرسول بنفسه أو يرسلها بأمره بعد أن كتب القتال

وشرع الجهاد : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير » ، « يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، « وقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين » .

وكان أمر القتال مقصوراً أول الأمر على قريش ومن مالأها من يهود المدينة ، فلما شايعتها قبائل الجزيرة قال الكتاب العزيز : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » . ولم يكن القائد الأعظم بنجوة من معارك الشرك وإنما كان يخوضها مع سيوف الله رابط الجأش صادق الحملة . وقد ثبت فى الصحيح أنه كان أشجع الناس وأصبرهم على البأس وأولهم فى الكر على العدو ، ولم يعهد عنه أنه أدبر فى معركة من المعارك التى خاضها على كثرتها . قال العباس بن عبد المطلب : فر المسلمون يوم حنين إلا رسول الله فقد طفق يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها كى لا تسرع . وقال على ابن أبى طالب كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما أحد يكون أقرب إلى العدو منه .

ولقد ابتلى الرسول والمؤمنون بالهزيمة فى بعض الغزوات فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا وإنما ظلوا على ثقة بموعود الله الذى منه النصر وإليه الأمر وفى سبيله الجهاد يعالجون الهزيمة، ويجددون العزيمة ويراجعون الصبر ويصابرون العدو ويطلبون الشهادة حتى خنس الشرك واستخذت الجهالة وذلت قريش وفتحت مكة ، ووقف المجاهد الأعظم بباب الكعبة وهو يقول :

(لا إله إلا الله ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده)

واستمر بعد الفتح المبين يبذل جهده الجاهد فى سبيل الدعوة الهادية والوحدة الشاملة والإنسانية المهذبة : يجيش الكتائب إلى القبائل ، ويرسل الكتب إلى الملوك ، حتى كان آخر أمر قضاه وهو يعانى مرضه الأخير أن دعا أسامة بن زيد وأمره أن يسير بجيشه إلى غزو الروم ودعا له بالخير .

* * *

إن حياة الرسول دستور إلهى خالد لصاحب الدين وصاحب الدنيا ، وإن فى قوله الصادق الخالد : « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » ، تفسيراً لمرارة الأرض وتعبيراً عن سنة الحياة وتطويراً لطبيعة الإنسان . وإن من أساس الإسلام أن نطيع الله فى كتابه ، وأن نطيع الرسول فى سننه وآدابه ، وما كان فى حدود الإمكان أن يرتطم العرب والمسلمون فى مراغة الذل لو أنهم اتخذوا من أحكام ربهم منهاجا ، ومن كلام رسولهم علاجا ، ومن حياة السابقين الأولين من رجالهم قوة وقدوة ؟

أحمد حسن الزيات

"الواو" التي قيل إنها زائدة وليست كذلك

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج

— ٣ —

« نظرة فيما قدمناه من أقوال العلماء : فى آية آل عمران »

قدمنا ما يقوله الطبرى فى تفسير الآية الكريمة . وبالتأمل فيه يرى :

أولا : أنه كلام مبهم ملفوف بعضه على بعض ، متداخل بعضه فى بعض . وأنه كان ينبغى أن يكون على وجه آخر من البيان ، يتجلى فيه ما يتطلبه تفسير الآية من الدقة والتحقيق .

وثانيا : أنه اشتمل على إضافة لا تدعو إليها حاجة . بل هى شىء قد يكون ضرره أكثر من نفعه ، كما سيأتى بيان ذلك كله :

« أما الأول » — فإن ابن جرير — فى تفسير قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به » — قال مانصه : « فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة ، جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته على كفره ، ولا جعل على العفو عنه ، ولو كان له من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها فرشا ، وجزى على ترك عقوبته ، وفى العفو عنه على كفره ، عوضا عما الله محل به من عذاب » .

فتكون الآية حسب هذا التفسير — قد جمعت الأوصاف التى يمكن أن يوصف بها المال ، الذى يقدمه من مات على الكفر ، فى سبيل العفو عنه وترك عقوبته على كفره وحكمت بأن هذا المال لا يقبل من صاحبه ، ولا يفيده شيئا فى سبيل الوصول إلى غايته مهما كان كثيراً ، ولو كان ملء الأرض ذهبا . سواء قدمه جزاء أم رشوة ، أم جعله جعلا للعفو عنه ، وعوضا عما الله محل به من العذاب .

وبعد هذا يجعل « الطبرى » من قوله تعالى : « ولو افتدى به » جملة شرطية تامة ، قد حذف جوابها للعلم به ، ودلالة الواو — كما يقول — عليه ، وتقديره : « ولو افتدى به لم يقبل منه » .

وفى هذا يقول مانصه : « وأدخلت الواو — فى قوله : « ولو افتدى به » لمحذوف من الكلام ، بعده ، دل عليه دخول الواو كالواو فى قوله : « وليكون من الموقنين » :

وتأويل الكلام : « وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والأرض » . فكذلك ذلك فى قوله: «ولو افتدى به » اه .

وبالنظر فيما قاله « ابن جرير » عن هذه الجملة الشرطية ، مع ما قدمنا له فى تفسير الجملة التى قبلها ، يتجه السؤال الآتى :

ما الذى أفادته الجملة الشرطية من المعنى وراء ما تضمنته الجملة التى قبلها ، تلك الجملة التى أحاطت بمختلف الفروض فى ذلك السبيل الذى يود فيه الكافر أن يبذل كل ما يقدر عليه من مال ليحصل على العفو عنه وترك عقوبته ؟

الحق أنه — على حسب التفسير الذى سار عليه « ابن جرير » — تكون جملة : « ولو افتدى به لم يقبل منه » فى معنى الكلام المعاد ، فإن معناها قد تضمنته الجملة التى قبلها .

هذا ما يتعلق بالأمر الأول ، من الأمرين اللذين يؤخذان على تفسير « ابن جرير » أما الأمر الثانى - وهو أمر تلك الإضافة ، التى هى زيادة لا تدعو إليها حاجة - فهو قوله : « ولو لم يكن فى الكلام واو ، لكان الكلام صحيحا ، ولم يكن هناك متروك ، وكان فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به » فإنه افتراض شىء لم ترد به الآية ، ولا يتوقف عليه تفسيرها ، فهو حينئذ شىء يصح الاستغناء عنه ، لا بل هو شىء قد يكون ضرره أكثر من نفعه ، فإن تعقيب الكلام بتلك الإضافة يشعر بالميل إلى القول بزيادة الواو ، التى وردت بالفعل فى نص الآية ، وقد يغرى بالجنوح إلى هذا القول ، ما دام أن معنى الآية — كما يقول « ابن جرير » — كان يكون صحيحا لو لم ترد فيها تلك الواو .

وهناك أقوال ثلاثة تدور عليها اختيارات العلماء :

« الأول » أن تلك الواو زائدة ، وقد أورده النسفى « أحد رأيين فيها » ، إذ قال ما نصه « قيل الواو لتأكيد النفى ، فإن الظاهر من أنها لتأكيد النفى أنها زيدت لذلك .

ونحن لا ندرى كيف تكون الواو زائدة فى كلام فصيح أو قول عربى صحيح ؟ ثم كيف تكون مؤكدة للنفى ؟ وما طريقة هذا التأكيد؟

وهل عثر على ما يثبت جواز زيادة الواو فى شىء من كلام العرب الموثوق بكلامهم ، وبصحة نسبته إليهم ، وأن ما قد يكون مأثوراً من ذلك لا يستقيم معناه إلا على أساس الزيادة؟

لا نظن ذلك ، وقد عرفنا ما استند إليه أنصار القول بجواز زيادة الواو ، وبينا أنه سند ضعيف واه ، ونبهنا إلى الوجه الصحيح الذى ينبغى أن يحمل عليه ما استندوا إليه ،

ولكن على أساس أن الواو أصلية وليست بزائدة .

ونكتفى بهذا فى إبطال القول بالزيادة .

القول الثانى : أن الكلام فى الآية محمول على المعنى ، وأن قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به » معناه « فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا » . أى فيكون فى الآية تقديم وتأخير . وبتعبير آخر أصح وأصرح : يكون فيها « القلب » أى قلب الوضع الأصلى ، الذى أشار إليه ذلك الوجه من التفسير .

وهنا نقول : إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم ترد الآية على ذلك الوضع الأصلى؟ ولماذا اختارت أن تكون على ذلك الوجه المقلوب؟ لماذا لم تقل الآية : «فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا » حتى تكون مستقيمة لأداء المعنى الذى يريده منها صاحب الكشاف ؟

إننا بحثنا وبذلنا أقصى الطاقة فى البحث لعلنا نعثر على ما يمكن أن يكون وجها سديدا لتفسير الآية ، ذلك التفسير العجيب ، لكننا لم نجد لذلك من أثر ، ولم نعثر على سبب معقول يبيح القول بأن الآية مقلوبة الوضع ، اللهم إلا شيئاً واحداً هو أن المعنى الصحيح لهذه الآية قد خفى على صاحب ذلك التفسير ، فقال فيها برأيه ، لكن القول بالرأى لا يصح أن يطلق أمره فى القرآن حتى يتناول الرأى الذى ليس له مسوغ أى مسوغ .

« القول الثالث » أن الكلام فى الآية على تقدير المثل ، فقوله تعالى : « فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به » هو على معنى : ولو افتدى بمثله معه .

وصاحب هذا القول قد استوحى تقدير المثل هنا من قوله تعالى : ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة » .

(٤٧ من سورة الزمر)

ولعله استوحاه أيضاً من قوله سبحانه : « إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) .

(٣٦ من سورة المائدة)

لكن ورود كلمة المثل (فى هاتين الآيتين ووقوعها منهما فى الموقع الأصيل ، لا يكفى ليكون مسوغا لتقديرها فى آية آل عمران) التى معنا ، حيث لا موقع لها فيها ، وحيث لا يدل عليها دليل .

إنه لا يصح بحال أن يدعى فى آية أن الكلام

فيها على تقدير لفظ مطوى ، من غير أن يكون هنـــاك دليل يدل عليه ، من الذى يستطيع أن يدعى أن لفظ (المثل) يلوح من بين الكلمات الواردة فى آية آل عمران (أو أن معنى الآية متوقف عليه ، أو أن الضرورة قاضية بتقديره ؟

لكن الحال على خلاف هذا فى الأمثلة التى أريد التنظير بهـا أو القياس عليها ، فإن الدليل قائم فيها على المعنى المراد ، وعلى تعيين اللفظ المطوى بالذات .

١ ــ وذلك أن من يقول (ضربت ضرب فلان) لا يريد إلا أنه ضرب مثـل ضربه ، لأنه يستحيل أن يكون قد ضرب الضرب نفسه الذى كان من فلان هذا .

٢ ــ وكذلك إذا قيل : (أبو يوسف أبو حنيفة) فهو على تشبيه أبى يوسف صاحب أبى حنيفة به ، فى العلم والفقه وسعة الباع فى الاجتهاد ، فأبو يوسف أبو حنيفة معناه أنه مثله .

٣ ــ وأما قولهم : (قضية ولا أبا حسن لهـا) [1] . فهو قول جرى مجرى الأمثال ، ويضرب للمسألة العويصة والقضيـة الصعبة المشكلة ، التى يعز وجود من يفصل فيها فصلا حكيما ، كما كان يفعل فى القضايا على بن أبى طالب ، فهو فى تقـــديره ولا مثل أبى حسن لهـا .

ولكن قد يقال : لماذا كان الكلام فى هذا المثال على تقدير لفظ مثل (أليس يمكن أن يكون المراد أبا حسن نفسه ، ولا شك أن المعنى على ذلك بين واضح) ، والجواب ، : ــ على ما قالوا ــ أن أبا حسن معرفة ، هو كنية على كرم الله وجهه ، والمعرفة لا تصلح أن تكون اسما (للا) التى تعمل عمل (إن) فلزم تقدير لفظ مناسب نكرة لا يتعرف بالإضافة وذلك هو لفظ (مثل) [1] .

(١) يروى أن أول من قال هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حينما عرضت له قضية مشكلة ، فقد كان يرجو أن يكون حاضرها على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(١) هذا الوجه هو الذى يقتضيه التمثيل بالمثال المذكور هنا فى مقام تقدير لفظ المثل . وهناك وجه آخر لا يحتاج إلى هذا التقدير : وذلك بأن يؤول قوله : ولا أبا حسن لها ، باسم جنس يطلق على كل من يتصف بالمعنى الذى اشتهر به على رضى الله عنه ، ويكون المعنى : (قضية ولا فيصل لها) .

ومثل هذا يقال أيضا فى : (لا هيثم الليلة للمطى) فهو على تأويل : (لا متقنا للحداء ولا محسنا للسوق أو الرعى) أى أن (هيثما) العلم يؤول باسم جنس على هـذا النحو حتى يصلح أن يكون اسما (للا).

٤ — ومثل هذا يقال فى . (لا هيثم الليلة للمطى) فهو على تقدير . (لا مثل هيثم) .

وبهذا يتبين أن هذه الأمثلة لا يصلح التنظير بها ولا القياس عليها ، لتحقق الفارق بينها وبين الآية التى هى موضوع البحث .

الوجه المختار فى الآية :

هذا الوجه هو المقرر المعهود فى (لو) الوصلية ، حسبما أشرنا إليه فى التمهيد ، ومقتضاه أن (الواو) فى قوله تعالى : « ولو افتدى به » عاطفة ما بعدها على شرط مقدر ، هو نقيض ذلك المذكور بعدها وأولى منه بالحكم المصرح به ، فيكون تقدير الآية : أن الكفار الذين ماتوا على الكفر لن يقبل من أحد منهم ملء الأرض ذهبا لو لم يجعله فدية له من العذاب ، بل لو جعله فدية أيضا .

ومعنى أنه لا يقبل منه ذلك لو لم يجعله فدية أنه لا يقبل منه لو كان قد تصدق به أو قدمه قربة أو وجهه فى أى وجه من الوجوه غير مريد به الافتداء من العذاب ، فإذا كان لا يقبل منه ملء الأرض ذهبا لو أراد الافتداء به ، كما صرحت الآية فأولى ألا يقبل منه فى غير ذلك من الوجوه .

وهذا هو معنى ما أورده الفخر الرازى أحد احتمالات ثلاثة ، وقال إنه شىء خطر بباله . أما رأى الزجاج وابن الأنبارى - وهو الذى أورده كل من الزمخشرى والنيسابورى أحد احتمالات فى الآية وأورده الفخر الرازى أيضا أحد احتمالات ولكنه غير الوجه الذى خطر بباله فهو من حيث الصناعة الإعرابية قريب من الوجه المختار هو عينه ، وذلك أن الوجه المختار وهو الذى سار عليه العلامة أبو السعود كما قدمنا مبنى على أن (لو) وصلية لا تحتاج إلى جواب خاص تصير به جملة مستقلة وليس بخلاف رأى الزجاج وابن الانبارى ، كما يتبين ذلك بشىء من التأمل .

وتحقيقه أن الكلام على رأى الزجاج وابن الانبارى - قد عطفت فيه جملة : لو بشرطها وجوابها المقدر : (ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه) على ما قبلها . أما على الوجه المختار فالمعطوف هو : (لو مع مدخولها وحده) على المقابل المقدر ، فيكون قوله تعالى : « لو افتدى به » معطوفا بالواو على مقدر معلوم ، وهو (لو لم يفتد به) كما بينا .

هذا - والمعنى المراد من الآية واحد على كلا الرأيين ، وهو أنه لا يقبل المال من الكافر فى كلتا الحالتين .

والنتيجة أن قوله سبحانه « ولو افتدى به » ليست الواو فيه زائدة ، وليس الكلام فيه

على مراعاة المعنى ، تلك المراعاة التى تؤدى إلى قلب الوضع الأصلى للآية . كما أنه ليس الكلام فيه على تقدير (المثل) فإن هذه كلها تكلفات لا حاجة إليها ولا ضرورة تقضيها ولا موجب للخروج بالأسلوب - من أجلها - عن المقرر فى اللغة والمعهود فى الاستعمال .

(تذييل)

(خمس كلمات ظن أن الواو فيها زائدة وهى ليست كذلك) .

(١) قولهم : « ربنا ولك الحمد » .

جاء فى اللسان فى مادة (و) ما نصه : قال ابن السكيت : قال الأصمعى : قلت لأبى عمرو ابن العلاء : « ربنا ولك الحمد » ما هذه الواو ؟ فقال : يقول الرجل للرجل : بعنى هذا الثوب فيقول :

(٢) (وهو لك) ، أظنه أراد (هو لك).

وقال أبو كبير الهذلى :

(٣) فإذا وذلك ليس إلا حينه
وإذا مضى شىء كأن لم يفعل

أراد : فإذا ذلك ، يعنى شبابه وما مضى من أيام تمتعه) اهـ .

ومن ذلك ما جاء فى بيت الأسود ابن يعفر .

(٤) فإذا وذلك لا مهاه لذكره
والدهر يعاقب صالحا بفساد .

قيل إنه يريد : فإذا ذلك لا مهاه لذكره فالواو زائدة .

ومنه أيضا ما قيل فى بيت زهير بن أبى سلمى :

(٥) قف بالديار التى لم يعفها القدم
بلى وغيرها الأرواح والديم .

إنه على معنى : (بلى غيرها) وأن الواو زائدة .

هذه هى خمس الكلمات التى أردنا إيرادها هنا وليس المقصود الحصر ، ولكنها هى التى كانت حاضرة .

ونقول فى الجواب عنها : إنه لا موجب لجعل الواو زائدة فى شىء منها :

(١) وذلك أن قول البائع للمشترى : (وهو لك) معناه : (بعتكه وهو لك)، وإذا لا تكون هناك ضرورة لجعل الواو زائدة لغوا غير مفيدة شيئا ، فهى أصلية قد عطفت جملة على جملة .

ومن هذا القبيل ما نعهده يجرى بين الناس فى محادثاتهم ومحاوراتهم :

يبدى الرجل لصاحبه فى أمر ما رأيا ، أو يفضى إليه فى ذلك برغبة ، فيقول له صاحبه : (وهو كذلك) يوافقه على ما رأى، ويقره على ما رغب . فالواو فى قوله : (وهو كذلك) ليست زائدة ، وإنما هى أصلية عطفت هذه الجملة على معلوم من المقام،

فكأنه يقول له : (أنا أقرك على ما أبديت ، والأمر فى الواقع كما رأيت .

ب — وكذلك الحال فى عبارة : « ربنا ولك الحمد التى هى من صيغ العبادة المأثورة فإنه لا مانع مطلقا من أن تكون الواو فيها أصلية ، ويكون المعنى : « ندعوك أو نعبدك ربنا ولك الحمد » . وقد يرشد إلى ذلك قوله تعالى : « بل الله فاعبد وكن من الشاكرين : » (٦٦ سورة الزمر .

جـ — وبيت أبى كبير ليست الواو فيه زائدة ، وإنما هى أصلية عطفت ما بعدها على مقدر يفهم من المقام ، والتقدير : فإذا الحال الذى نحن فيه ، وذلك الحال الذى كنا فيه من قبل ، لا بقاء لشىء منه ، ولا أثر له فى النفس إلا حين يكون ، فإذا مضى بوقته فكأنه لم يكن .

د — ومثل هذا يقال فى بيت الأسود :

فإذا وذلك لا مهاه لذكره
والدهر يعقب صالحا بفساد

فإن الواو فى : « وذلك » ، عاطفة ما بعدها على مقدر . وأصله : فإذا عيشنا الحاضر ، وذلك العيش الذى مضى ، لا مهاه لذكره أى لا حسن فى شىء منه ولا فضل ، ما دام شأن الدهر أنه يعقب الصلاح بفساد [1] .

هـ — أما بيت « زهير » فإنه يتبين مما قيل فيه إن الواو فى قوله : « بلى وغيرها » ليست زائدة ، بل هى أصلية ، وذلك أن « أبا عبيدة » يقول : إن الشاعر قد أكذب نفسه ، فإنه بدأ فنفى أن الدار قد عفاها القدم ثم رجع فقال بلى ، أى قد عفاها ودرسها وغيرت معالمها الرياح والأمطار [2] .

---

(١) تفسير الطبرى جـ ١ ص ٤٤١ دار المعارف .

(٢) لعل أبا عبيدة أراد أن يلتمس للشاعر عذرا فى صنيعه هذا ، كما أثبت ذلك بعض شراح الديوان، إذ قال : قال أبو عبيدة إن زهيرا نفى أولا أن الدار قد عفاها القدم ، لما وقف عليها ورمى ببصره فى جوانبها ، فرأى موقدا خفيا ، ونؤيا قد اندفن إلا أقله (والنؤى الحفير حول الخباء أو الخيمة لمنع السيل) . قال : فلما ظهر له ذلك استجدت عنده فقال : لم يعفها القدم ، ثم رجع إلى نفسه فقال : « بلى وغيرها الأرواح والديم » ، وهو بهذا يريد أن يقول إنى إن كنت قد عرفتها بذلك الأثر الخفى الذى ظهر لى فأنها تخفى على غيرى ممن لا يعرفها ، وذلك لدروسها وتغير معالمها بفعل الرياح والأمطار .

ويقول الأصمعى : « إن هذا قد جاء على عادة العرب ، فإنها تخبر عن الشىء ، ثم ترجع عنه » فالشاعر أخبر أولا أنه لم يعفها القدم ، ثم رجع فقال : بلى قد عفاها ، وذلك كما قال الطهوى .

فلا تبعدن يا خير عمرو بن جندب
بلى إن من زار القبور ليبعدا

ومن هذا يتبين أنه سواء أكان الأمر فى بيت زهير ، على ما يقول الأصمعى . من أنه قد جاء على طريقة شعراء العرب : أنهم يخبرون بالشىء ، ثم يرجعون عنه ، أم كان على ما يقول أبو عبيدة، إن الشاعر قد رجع إلى حقيقة الحال ، بعد ما بنى حكمه الأول على التخيل والتوهم سواء أكان هذا أم ذاك فلا سبيل مطلقا لاعتبار الواو فى ذلك البيت زائدة ، بل لا يكون لما قرره أبو عبيدة والأصمعى معنى صحيح ، إلا على أصالة الواو فى ذلك البيت والله أعلم .

عبد الرحمن تاج

من إعجاز القرآن

يقول الله تعالى :

« وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ، قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » .

النحل الآية : (١٠١ - ١٠٣)

من وحي ذكرى مولد الرسول :

محمد
وكرامة البشرية

للأستاذ محمد الدسوقي

---

١ — كانت البشرية قبيل مولد محمد صلى الله عليه وسلم قد ضلت طريقها إلى الله ، ففقدت حياة العزة والكرامة والفضيلة ، وعاشت حياة طابعها الفساد والانحلال والعدوان والطغيان .

إن الإنسان حين تنطمس بصيرته ، وينسى خالقه ينجرف فى تيار شديد من النزوات والأهواء ، ويطغى فيه عنصر الحيوانية طغيانا مروعا حتى يصير الإنسان كالأنعام ، أو أضل سبيلا ، وعندئذ لا يعرف حياة الحرية والكرامة ، لأنه أصبح عبداً لشهواته الباغية ، وعبودية الإنسان للشهوات والأهواء أشد فتكا بمعانى وقيم الحرية والعزة من عبودية الإنسان لأخيه الإنسان .

إن البشرية التى هجرت تعاليم السماء ، واتخذت الأصنام والأوثان آلهة من دون الله ، وآمنت بالعصبية والعنصرية ، وحكمت سياسة القهر والبغى ونصرة الأخ ظالما أو مظلوما ، كانت — بلا مراء — تعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض ، وكانت فى أمس الحاجة إلى من ينير لها طريق الهداية ، ويأخذ بيدها إلى سواء السبيل حتى تعتصم من جديد بالقيم التى من اجلها كان الإنسان خليفة لله فى أرضه .

٢ — فلما ولد محمد عليه السلام كان مولده إرهاصا بنهاية ذلك العهد المظلم فى تاريخ البشرية ، وبداية لعهد جديد مشرق بالحرية والكرامة والفضيلة ، فقد بعثه الله إلى الناس كافة على رأس الأربعين من عمره برسالة العدل والمساواة والحق والخير والعزة .

بعث محمد ليعيد للبشرية كرامتها ، ويذكرها برسالتها ، ويقضى على كل ما قد يحول بينها وبين القيام بهذه الرسالة على أكمل وجه وأكرم غاية .

لقد حررت رسالة محمد البشرية من إسار العبودية لغير الله ، فليس هناك إلا إله واحد

يجب أن تعنو له الجباه « وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو » ، « إن إلهكم لواحد . رب السموات والأرض وما بينهما » .

وعقيدة التوحيد هي السبيل اللاحب للحياة الآمنة الكريمة التي لا تعرف التسلط والقهر ، ولا تؤمن بالخرافات والأساطير التي تغل العقل البشري ، وتحصره في دائرة مغلقة من الأوهام والأفكار الفاسدة ، ولذا فإن محمداً عليه السلام برسالته العامة الخالدة قد رسم للبشرية طريق العزة والكرامة ، وطريق الحياة المتجددة المتطورة .

إن الإسلام شريعة تجعل العقل مناط التكليف ، وتفرض عليه أن يكون دائما إيجابيا يؤثر في الحياة ، وأن يكون مستعليا على الأهواء الفردية والنزوات الهابطة حتى لا ينحرف عن الجادة في سعيه المثمر نحو التقدم والنمو ، وليس أدل على ذلك من دعوة القرآن — دستور الإسلام — في آيات كثيرة للنظر والتفكر ، وربطه بين الإشراك بالله وعدم التدبر والنظر « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون » ونعيه على الذين يلغون عقولهم وينهجون منهج سلفهم دون تدبر واع لآيات الله ، وخلوه من آية ما تشل حركة العقل في سيره وانطلاقه .

٣ — وإذا كان الإسلام رسالة التوحيد والنظر فإنه أيضاً رسالة الأخوة الإنسانية والمساواة العادلة بين الناس قاطبة ، فالناس مهما تباينت أجناسهم وألوانهم وتناءت ديارهم وأوطانهم يرجعون إلى أرومة واحدة « يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » ، « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

والإيمان بهذه الحقيقة إيمان بأن الكل أمام الله سواء ، وأن الناس لا يتفاضلون بالأشكال والأنساب والمال والسلطان ، ولكن بالتقوى والعمل الصالح « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

وإعلان الأخوة والمساواة بين الناس وأنهم جميعاً أمام الله سواء لا فرق بين حاكم ومحكوم ، ولا بين سادة وعبيد ، إعلان بأن الناس متساوون في الحقوق والواجبات ، وأن العصبية العنصرية من خلال الجاهلية ، وأن هذه العصبية كانت وما تزال مصدر امتهان لكرامة الإنسان .

وتأكيداً لمحاربة العصبية العنصرية أو المذهبية بين القرآن ، أن دين الله واحد فى أصوله ومقصده « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا! » ووحدة الدين تفرض الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين ، وتجعل التفريق بينهم كفراً بالله الواحد الأحد « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحدمنهم ونحن له مسلمون » .

والإيمان بوحدة الدين فى أصوله ومقصده ، وعدم التفريق بين أنبياء الله ورسله ، هو السبيل لإنقاذ البشرية من أوزار التعصب الدينى الذى جر على البشرية قديماً وحديثاً صنوفا مختلفة من الصراع والقلق والاضطراب ، وأوضح مثل له اليوم ما تقوم به الصهيونية العالمية من نشاط محموم لتحقيق أحلامها العريضة فى الوطن العربى .

إن اليهود بأسطورة الشعب المختار ، وتعصبهم الكريه ، ونازيتهم الشريرة التى لا تعرف عدلا ولا رحمة ، ونظرتهم إلى غيرهم نظرة ملؤها الحقد والكراهية والعداء ، سيدفعون بالبشرية إلى أتون حرب عالمية لا يعلم غير الله آثارها .

٤ — إن محمداً عليه السلام الذى جاء بهذه المبادىء السامية قد أيقظ البشرية من غفوتها وبدد الظلمات التى كانت تكتنف وجودها وتزرى بمكانتها ، وتجعلها أشبه بالقطيع فى الغابة تقوده الشهوات الجامحة ، وتحكم علاقاته القوة الظالمة .

لقد وضعت تلك المبادىء البشرية على طريق الحياة السوى ، طريق الكرامة والعزة والقوة والفضيلة ، وكان المسلمون الأولون الدعاة الذين حملوا أرواحهم على أكفهم ، وانساحوا فى الأرض ليوصلوا تلك المبادىء إلى الناس فى مختلف الأصقاع والبلدان .

وابتدأت البشرية منذ أربعة عشر قرناً عهداً جديداً فى تاريخها ، وقاد المسلمون حركات البعث والنهضة على تباين ألوانها ، وكانوا بحضارتهم التى تقوم على المذهب الإنسانى وترعى خط الروح والجسد وتؤمن بالدنيا والآخرة المثل التى تحتذى ، ويكفى أنهم زودوا أوربا التى كانت تعيش على فتات علوم الإغريق بأدوات التقدم والحضارة ، بحيث يمكن القول ـ دون إسراف أو مبالغة ـ بأنه منذ ظهور الإسلام إلى اليوم لم ينشأ فى العالم أثر جديد لا يرجع إلى الحضارة الإسلامية بسبب قريب أو بعيد .

٥ — غير أن الحضارة الإسلامية ـ لأسباب لا مجال هنا لتفسيرها ـ أصابها

الضعف والجمود فتخلت عن الريادة والقيادة على حين أخذت الحضارة الأوربية تشق طريقها وتفرض وجودها ، وتحتل منزلة الصدارة والزعامة ، ومع أنها حققت للبشرية خيراً كثيراً ، إلا أنها لم تحقق لها الأمان والاطمئنان والكرامة الإنسانية ، لأنها حضارة عنصرية تفاضل بين الناس على أساس من أشكالهم وأجناسهم ، وتجعل هذا سبيلا للاستغلال والاحتلال والسيطرة والاستعلاء إن العالم يشهد اليوم صراعا مؤلما بين البيض والسود ، وفى أفريقيا تئن مناطق متعددة من وطأة الرجل الأبيض وجشعه واحتكاره .

وفضلا عن النزعة العنصرية للحضارة الحديثة فإن طابعها المادى لم يجعلها حضارة إنسانية بالمعنى الكامل ؛ لأن الإنسان ليس جسما ماديا فحسب ، ولذا فإن أية حضارة لا تلبى حاجات الإنسان المادية والروحية لا تكون حضارة إنسانية تحقق للبشرية الكرامة والعزة والأمن والسلام .

إن الحضارة المادية يجب أن تكون وسيلة لا غاية ، فإذا كانت غاية أضحت نقمة لا نعمة ولا بد أن تقود إلى الدمار ، وحضارة القرن العشرين بالرغم من مظاهرها الخلابة ومنجزاتها العلمية الرائعة ، حضارة مادية ، المادية لديها هى كل شىء . ولهذا فإن البشرية وإن سعدت بما قدمته تلك الحضارة إلا أنها شقيت بها أيضاً ، وآية ذلك سيطرة الخوف والجزع على الناس جميعاً من نشوب حرب لا تدع حيوانا ولا نباتا .

٦ — وبعد فإن محمداً عليه الصلاة والسلام برسالته العامة الإنسانية الخالدة قد كرم البشرية أحسن تكريم ، ووضح لها طريق الحياة الآمنة الفاضلة ، وجنبها مزالق الهمجية والعنصرية وهى اليوم تعانى بعض ما كانت تعانيه قبل الإسلام ، فهى فى حاجة إلى تلك المبادىء السامية التى ترد إليها أمنها وتدفع عنها شرة الانحلال والعنصرية والمادية ، وتذكرها برسالتها التى ناطها الله بها . وعلى المسلمين فى هذا العصر تقع مسئولية جسيمة فهم حملة تلك المبادىء وأعلم الناس بها ، ولكنهم لن ينجحوا فى القيام بهذه المسئولية المفروضة عليهم حتى يكونوا صورة حية واقعية لتلك المبادىء التى صلح عليها أمر الدنيا والآخرة ؟

محمد الدسوقى

المحرر الأول بالمجمع اللغوى

نفحات القرآن

تبعات الإنسان محسوبة عليه وذلك هو العدل

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ، وكانوا مجرمين » ـ آية ١١٦ هود .

١ ــ فى كل مقام من مقامات القرآن يجد القارئ له ، والناظر فيه توجيها إلى اليقظة .. وإشعاراً بأن تبعات الإنسان فى مسلكه محسوبة عليه فى موقفه بين يدى الله .. فلا هو مفلت منها .. ولا هى تحمل عنه إلى غيره ... وكثيراً ما تصادفنا آيات صريحة فى هذا التحديد .. نحو : « كل امرئ بما كسب رهين » ، « كل نفس بما كسبت رهينة . . » الخ .

وفى آية الموضوع حملة على أهل الظلم . . ووصفهم بأنهم كانوا فى دنياهم مغمورين فى نعمهم .. ومتابعين للترف ، والمتاع المهيأ لهم ، فلم يكن منهم شىء يحسب لهم فى الحياة الآخرة .

فهم أولا : ظالمون لأنفسهم بالكفر ، وظالمون للرسل بالتكذيب والإساءات .

ثانيا : مغمورون بضلال النعم ، فلم يقدروها بالشكر عليها ، ولا راعوها بحسن التصرف فيها ، بل استخدموها فى البطر ، وسخروها فى استباحة المآثم والبخل بها عن الحقوق .

ثالثا : أنهم كانوا فوق هذا الطغيان ملازمين للإجرام كلما عرضت لهم فرصته .

ومن المعلوم ـ بداهة ـ أن من رضى هذا لنفسه لا ينكره على غيره ، فكأن صاحب هذا الظلم يعيش فى ظلمات متراكمة من بين يديه ومن خلفه .

ولذلك وصفهم الله تعالى بقوله « وكانوا مجرمين » ، استمروا على الإجرام ، وتلك حالهم التى انقضت عليها دنياهم ؛ ثم ماذا كان لهم بعد هذه الوصمة التى سجلها الله عليهم ؟ ؟ كان لعيشهم أجل ، ولدنياهم نهاية ، ولترفهم عاقبة . . فذلك كله كان شؤماً عليهم ، وهلاكا حاق بهم ، وكانت عاقبة مكرهم أن الله دمرهم أجمعين .

وهذا التدمير لم يكن على لون واحد . . بل كان صنوفا من البلاء ، وألوانا من

العذاب ، وكثيراً ما نقرأ عن تلك الألوان من العذاب آيات رهيبة . تهتز لها القلوب لو كانت خاشعة .

٢ — وفي سياقنا الآن لا يذكر نبأ الهلاك بخصوصه لأنه معلوم من سياقات كثيرة .

بل يغنينا عن إعادته أن الله - سبحانه - يؤكد لنا عدله فيهم ، والعدل مع المجرمين لا يكون بالعفو عنهم ، لأن العفو عن المجرم المسيء إقرار للفساد ، وتشجيع على المآثم ، والله لا يحب الفساد في دينه ، ولا في ملكه ، ولا بين خلقه .

وذلك العدل الذي يؤكده لنا ربنا هو قوله تعالى بعد الآية مباشرة « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

فإذا كانت لنا جنايات على أنفسنا ، وانحرافات عن ديننا : فإن عدل الله لا يفلتنا من حسابه إن شاء ، ولا يتجاوز بنا جزاءنا على ما فرط منا ، وعدل الله مقدس عن ظلمنا في جزائنا ، وقد حرم الله الظلم على نفسه ، بل حرمه علينا فيما بيننا مهما يكن الظلم تافها .

٣ — فمستحيل عقلا على الله تعالى أن يهلك أمة من الأمم ، أو قرية من القرى حالة كونها مستقيمة على دينه وسالكة مسلك الإصلاح في حياتها ، وفي مجتمعها « فكلا أخذنا بذنبه » .

نعم ، يجوز على الله - تعالى - أن يظهر حلمه لعباده ، ويترفق بالمذنبين منهم إلى وقت ما . وهذه رحمته التي يبسطها لنا بالليل ليتوب مسيء النهار . أو يبسطها لنا بالنهار ليتوب مسيء الليل وهكذا إلى أمد .

ومقام الرحمة مقام فضل وإحسان . . فهو يهب لنا من فضله وإحسانه ما يشاء بكرمه هو ، وبحكمته .

وأما ظلمه لنا في العذاب ، أو إهلاكه لبعضنا من غير انحراف لنا . فذلك هو المستحيل في حقه - تعالى - .

ربما صادف البعض منا بلاء سيئا ولا يدري سببه .. أو نزل المكروه بأناس ، ولا نعرف لهم ، ولا منهم تعرضا لأسبابه .. وربما خطر بالبال شيء من العجب لذلك .

ولكننا نحن لا نحيط بعلم الله دائما . ولا نقف على أسباب القضاء في كل شيء . . فإن ظهر لنا سبب من ناحيتنا أدركنا الحكمة ، واقتنعنا بالعدالة ، ورضينا . . ثم عدلنا عن التسبب فيه مرة أخرى .

وإن لم ندرك للقضاء أسبابا من ناحيتنا ؟ رجعنا إلى الله في حكمته ، وآمنا بقضائه . . لأن المرجع إليه .. كما منه البداية .

وهذه سنته فيما ذكر لنا من شأن عباده السالفين .. وفيها توعية ، لا يأذن الله أن نغفلها ، فإن الغفلة هي رأس البلاء كله . .

والله - تعالى - لا يحب الغافلين .. بل جعلهم مضرب المثل فى الكفر ، وفى المآثم .

٤ - ونحن فى هذا الموقف من الحديث نواجه سؤالا يتردد عند كثيرين - هو :

إذا كانت تبعة الإنسان فى أعماله محسوبة عليه ؛ فهل يمكن أن يكون الناس جميعا على هداية فى مسالكهم حتى لا تكون عليهم تبعات ؟

أو يمكن أن يقع الناس جميعا فى الضلال ، حتى يتساووا فى تحمل المسئوليات ؟ ؟

وجواب هذا أن مشيئة الله فيصل بين الأشقياء ، والسعداء . وقد مرت بنا آية تقول « فأما الذين شقوا ففى النار ، لهم فيها زفير وشهيق » يعنى لهم عذاب حار مرهق . تخرج منهم الأنفاس اللهيبة ، وتدخل فيهم الأنفاس اللهيبة : فضلا عما هناك من ويلات شداد وعذاب من يحموم .

ومرت بنا كذلك آية أخرى تقول « وأما الذين سعدوا ، ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض .. » الآية .

فذلك تقسيم للناس فيما يؤول أمرهم إليه بعد الحساب . . ولا يتأتى أن يكون شأنهم واحدا كما يقرر القرآن ، وهو ما تدين الله به كما تقرر . .

٥ - ولكن السؤال الذى يتردد لا يزال يتطلع إلى جوابه عن إمكان التساوى بين الناس فيما يؤول شأنهم إليه . وإن كان هذا الجواب من باب التقريب » .

والتحقيق الذى ينتهى إليه بحث العلماء أن كل عبد منا له اختيار مبنى على إرادته الشخصية ، ومقتضى ميله الذى هيأه الله له أن يجنح إلى ناحية الخير ، أو ناحية الشر باعتباره إنسانا له عقل وتمييز .

وقد ذكرنا عند مناسبة سابقة أن علم الله - تعالى - سابق على وجود العبد فى دنياه .

وهذا العلم السابق يحيط باختيار العبد الذى سيختاره فيما بعد .

فربك يعلم قبل وجودك أنك ستختار بإرادتك العمل الفلانى . . فيرتب الله على هذا العلم السابق ما يكون منك فيما بعد . . فإذا خلقت . . واخترت ما تختاره فى زمنه كان هذا الاختيار موافقا لعلم الله فيما سبق .. فالعلم الإلهى كاشف سابق ، وموافق لاختيارك حتما (لأن العلم لا يتخلف) .

فإن كان خيراً فلك جزاؤه لأنك مستعد لاختياره ، وقد اخترته .

وإن كان شرا فعليك جزاؤه ، لأنك مستعد لاختياره وقد اخترته .

وتكون الخلاصة أن الله قسم الناس إلى ميول مختلفة وعلى حسب الاختلاف الطبيعى تتنوع الميول فإذا سألت بعد ذلك : لماذا لم يخلق الله جميع الناس على نمط واحد

فى الاستعداد حتى يكونوا جميعا أهل طاعة أو على غير طاعة ! .

فالجواب الذى لا يتغير - هو أنه خلقهم على حسب ما سبق فى علمه أنهم سيختارون لأنفسهم ولذلك تراه يقول عن الكفار فى تشبيه لهم بالبهائم « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم . ولو أسمعهم لتولوا، وهم معرضون » يعنى خلقهم طبقا لعلمه عنهم أزلا .

وبناء على ما يكون منهم . فإنه قدر عليهم أن يفعلوا . . وهذا تحقيق ما يقوله العلماء .

وعلى هذا يكون الحساب على الاختيار الحاصل .

ثم يبين الله أن الهداية لهم جميعا لم تتحقق، لأنها معلقة على مشيئته هو ، ولم تتعلق بها مشيئته فلن تحصل للجميع .

وبناء على ذلك يقول تعالى : « ولا يزالون مختلفين » ، أى فيما بينهم على حق ، وباطل فيما يعتقدونه من شأن الدين ، وعقائده ، وتعاليمه .

إلا من رحم ربك من عباده ، فهؤلاء وإن اختلفوا فى فروع الدين لا يختلفون فى أصوله التى تقوم عليها العقيدة كالإيمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والقضاء والقدر .

وأهل الحق من الامم ، ومن أمة محمد على هذه الأصول ، لأن الله رحمهم فعصمهم من التناقض فى هذا ، وأما الفروع من أمر العبادات ، والمعاملات وغيرهما مما يتعلق بمجال الاجتهاد فى الفهم بيننا وتطبيق النصوص المجملة فالخلاف فيها لا يعد تناقضاً ولا خروجا عن الأصول الأولى ولهذا الاختلاف بين الناس فى عقائدهم تكون عاقبة ذلك أن يرحم المحقين ، ويعذب المبطلين ، وهذا هو ثمرة الاختلاف ونتيجته بالنسبة لكل فريق منهم .

ومن أجل هذا الاختلاف نفسه ولأجل ثمرته فى الجزاء المتنوع الذى يناله كل منهم لم تتعلق مشيئة الله بجعل الناس جميعا أمة واحدة فهذه أقدار إلهية ، وحكم عالية ، سبقتها أسباب معلومة من ناحيتنا وفيها حكم مرموقة « ذلك تقدير العزيز العليم » .

هكذا سبق القضاء العلوى أن تمتلىء جهنم وتمتلىء الجنة من خلق الله : من الجن ، ومن الإنس . . وهؤلاء هم أتباع الغواية ، عشاق المآثم فإنهم جنود إبليس ، المتبعون لنزغاته ولن يكون منهم إلا غواة ، وأتباع ضلالات كما أكد الله ذلك فى قوله مؤكدا سخطه على إبليس وحزبه بقوله سبحانه « لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين » « لأملان جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين » .

وليس معنى أجمعين دخول جميع أفراد الثقلين ، بل دخول الداخلين من الصنفين ، لا جميع الصنفين فإن من عباد الله من سبقت لهم الكلمة الحسنى من الله فلا يقتربون من النار أبدا ؟

عبد اللطيف السبكى

ميلادُ أمّة

للدكتور على العمارى

لم يكن يوم الإثنين الثامن من ربيع الأول عام الفيل ، الذى وافق التاسع عشر من ابريل فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بعد ميلاد المسيح عليه السلام ـ لم يكن هذا اليوم إيذانا برسول عظيم فحسب ، وإنما كان — مع ذلك — إيذانا بميلاد أمة يجمعها هذا الرسول على الحق والخير ، وترسم لها هداية السماء طريقا محددة واضحة المعالم ، مأمونة العثرات لتسير فيها .

ولم يكن أحد فى مكة يدرى إلا أنه ولد طفل فى بنى هاشم ، وأنه أشاع السرور بين أفراد العشيرة ومن يتصلون بها من الجيرة والأصدقاء ، وأشاع كثيراً من الرضا فى أهل مكة لأنه سيكون ذكرى والده الذى احتضر فى ريعان الشباب بعيداً عن أهله وموطنه .

ولئن كانت الأحداث الغريبة التى لفتت الأنظار فى ذلك اليـــوم اعتبرت فيما بعد إرهاصات بقرب ظهور نبى جديد ، فقد كانت كذلك إشارة إلى أن أمة جديدة ستغير وجه التاريخ ، وستقدم للإنسانية زاداً من الحضارة والمعرفة والتقدم ، على وشك أن تأخذ مكانها فى الوجود الإنسانى .

وإذا كان الأفراد ينزعون فى أعراقهم إلى ما كان فى آبائهم وأجدادهم من سجايا وأخلاق ، فيأخذون منها ، وينشأون عليها ، فإن الأمم كذلك تسرى فيها الأخلاق التى كانت فى خلاياها الأولى التى تكونت منها .

وقد كان الشعب العربى اللبنة الأولى فى بناء الأمة الإسلامية ، ومهما قيل فى العرب الذين عاشوا فى الجاهلية من أنهم عبدوا الأصنام ، وخضعوا لعادات وتقاليد وأخلاق غير مرضية فإنهم — ولاشك — كانوا — مع ذلك — خيراً من شعوب كثيرة ، سبقتهم فى التاريخ ، أو عاصرتهم ، حتى خضوعهم للأصنام كان يهون من شأنه إيمانهم بقوة غيبية قادرة ، يدينون فى الحقيقة لها ، ويؤمنون بها ، كما تحدث عنهم القرآن الكريم ، فجاء فيه على ألسنتهم فى شأن الآلهة: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) .

ولا كذلك شعوب أخرى بالغت فى شأن الآلهة ، وعاشت عيشة كاملة فى الخرافات والأساطير التى تتصل بهذه الآلهة .

فإذا تجاوزنا هذا الأمر وجدنا للعرب أخلاقا سامية ، وصفات كريمة ، وصفات رفيعة قل أن توجد مجتمعة فى شعب آخر ، الشجاعة ، والكرم ، والوفاء ، وحماية الجار

ونصرة المظلوم وما إليها ، حتى الأخلاق الذميمة التى شاعت بينهم لم يكن مردها إلى ضعف فى نفوسهم ، أو دناءة فى طباعهم ، وإنما كانت إسرافا فى أخلاق كريمة ، فالعزة والأنفة ، والاعتداد بالشرف كل ذلك حملهم على أنواع من الأخلاق لم تحط من نفوسهم، وإن كانت غير مرضية فى سلوك الجماعات .

لذلك شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون خاتم أنبيائه ، وأكرم رسله عليه ، وأفضلهم عنده ، أن يكون هذا الرسول من العرب ، أرسل إليهم ليتلو عليهم آيات الله ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وليجعلهم طليعة الأمة الإسلامية ، والحاملين لهذه الرسالة يبلغونها ، ويكونون ـ بأنفسهم وبأخلاقهم الإسلامية ، وفضائلهم النفسية ـ هذه الأمة .

حقيقة . أن العرب ما كانوا يكونون شيئاً لو لم ينزل فيهم القرآن ، ويجيئهم هذا الرسول الأمين .

فقد كان من المتوقع أن يظلوا قبائل متفرقة متناحرة ، يسود بينهم الجهل والجهالة وتتخطفهم الأمم من حولهم ، وأن يظلوا أعداء متنافرين على شفا حفرة من النار كما تحدث بذلك القرآن ، ولكن من الحق أيضا أنهم حين دخلوا فى الإسلام ظهرت فضائلهم وتكشفت نفوسهم عن معادن كريمة ، واستجابوا راضين لحمل أمانة الدعوة ، وحمايتها وتبليغها ، ففتحوا الممالك وكانوا القدوة الحسنة فى سياسة الشعوب وإشاعة الحق والعدل فيها تلك الشعوب التى كان دخولها فى الإسلام إيمانا بفضائله من جهة ، وإعجابا بأخلاق مبلغيه من جهة أخرى .

والإسلام ـ ولا شك ـ هذب نفوس العرب وأزال عنها كثيراً من الشوائب ، ولكنه فى الوقت ذاته لم ينزع من هذه النفوس كثيراً من الأخلاق ، بل إنه أبقى على الفاضل منها ، وسار بها فى طريقها الصحيح . وقد كانت مهمة الإسلام تكون أكثر مشقة لو أنه جاء لقوم حرموا هذه الأخلاق الرفيعة ، لأنه كان عليه ـ حينئذ ـ أن يغرس فى نفوسهم من جديد كل هذه الأخلاق التى سادوا بها فى الجاهلية ، وفى ظل الإسلام .

ومن البديهى أن الذين استجابوا للإسلام فى عهد الرسول ، والذين حملوا عنه أمانة الدعوة كانوا صفوة الشعب العربى ، ولا أدل على ذلك من سيرهم التى تحدثنا عن صفاتهم النفسية ، كما تحدثنا عن أثر الإسلام فيهم .

ثم كان الذين استجابوا للدين الجديد من الشعوب الأخرى هم صفوة تلك الشعوب ، ومن هؤلاء وهؤلاء تكونت الأمة الإسلامية التى ولدت فى الحقيقة يوم ميلاد الرسول .

ولهذه الأمة من الأخلاق والتقاليد ،

وأنواع السلوك ما يستنفد أسفاراً كباراً ، ولكنا نؤثر أن نتحدث هنا عن شيء واحد هو بعض ما وصف به القرآن هذه الأمة من صفات كريمة رفيعة .

يقول الله تعالى فى سورة البقرة مخاطباً المسلمين : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

ويقول فى سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ويقول فى سورة آل عمران أيضا : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» ويقول سبحانه فى سورة (المنافقون) « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . ويقول عز وجل فى سورة (البينة) : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » .

فهذه صفات أربع وصفت بها الأمة الإسلامية فى القرآن الكريم ، أنها أمة وسط لا تفرط ولا تغالى ، وأنها خير أمة ، أو خير البرية ، وأن المؤمنين هم الأعلون ، وأن العزة لهم دون سائر الناس .

وهذه الأوصاف على وجازتها تبين مكانة الأمة الإسلامية من بقية الأمم ، ومظاهر هذه المكانة ، وأسرارها ، فهـذه الأمة (خير أمة) والمؤمنون الذين تتألف منهم هذه الأمة خير البرية ، ومظهر ذلك أن هؤلاء المؤمنين اختاروا مع رسولهم الفطرة ، وهيأها الله لهم ، وأعانهم على السير فى طريقها والتحلى بما توجبه من جميل الصفات والأخلاق والعادات ، والعقائد .

فهم وسط فى كل شيء ، لم يغالوا مغالاة بعض الأمم ، ولم يفرطوا تفريط بعضها الآخر . فمن الأفراد والجماعات فى الماضى ، والحاضر والمستقبل من يلتزمون طرفا واحدا من كل أمر له طرفان مذمومان ، قوم يعبدون المادة ويرون أن الحياة مال وجاه ومتعة ولذة ، ولهو ولعب ، وقوم يقدسون الروحانية ، ويرون أن المادة وما يتصل بها دنس ينبغى أن يتنزه الإنسان عنه ، كان كل من هـــذين الفريقين فى الشعب اليونانى ، فكان فيه أنصار مذهب اللذة ، وكان فيه أنصار التقشف والعزوف عن متع الحياة ، وكان ذلك فى المذاهب الشرقية التى ظهرت فى فارس وغيرها . وكان اليهود ولا يزالون يعبدون الذهب ، وكان كثير من المسيحيين فى القديم يترهبون ، ويعزفون عن متع الحياة . وهكذا ولكن المسلمين كانوا وسيظلون امة وسطا ما تمسكوا بتعاليم دينهم ، لا يرفضون الدنيا ، ولا يهملون الدين ، وهذا السلوك هو الذى يلائم الحياة الفاضلة ، الحياة التى تستطيع أن تخلد ، وأن تعطى أصحابها ، وتعطى الآخرين أسباب البقاء .

والناس حين ينصفون فى أحكامهم ، ويرجعون إلى ضمائرهم لا يجدون خيرا من التوسط فى الأمور ، سواء كانت هذه الأمور مبادىء للسلوك ، أو وسائل لتحصيل العيش أو شعائر للعبادة .

وقد شرع الإسلام لإتباعه كل ما ينير لهم طرق السلوك فى كل شئونهم ، مع خالقهم ، ومع الناس ومع نفوسهم ، وكان الاعتدال فى الشئون كلها هو أساس هذه الشرائع .

وحين وصف القرآن هذه الأمة بأنها خير أمة بين سر ذلك فى نفس الآية ، فهى أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

وهى بهذا السلوك الكريم الرفيع تحافظ على أن تبقى للدين الكلمة العليا ، وأن يظل أتباعه متمسكين به فيبقى لهم سر تفوقهم على الأمم . وبذلك يشعر كل فرد فى هذه الأمة أنه مسئول عما يفعله الآخرون حفاظا على الدين وتعاليمه ، وهذا يقتضى أن تكون عند الآمر الشجاعة والإيمان والإخلاص ، تلك التى تحمله على أن يرشد أخاه إلى الخير ، وينبهه إلى ما يقع فيه من شر ، وأن يكون عند المدعو السماحة والتواضع ، والرغبة فى التزام مناهج الدين ، تلك التى ترفع من نفسه الغضاضة حين يأمره أحد أو ينهاه .

قد حدثنا القرآن فى كثير من المواضع عن ضرورة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لبقاء بناء الأمة الإسلامية سليما وأن الناس كلهم فى خسار (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

وأزرى على اليهود وأخبر أن لعنهم جاء على ألسنة أنبيائهم لأنهم تغاضوا عن المسىء فلم يأخذوا على يده : (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

والإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح ، هما الأساسان القويان اللذان قامت عليهما هذه الأمة ، وكانت بهما خير الأمم ، فبالإيمان بالله كانت أمة عزيزة لا تذل لأحد لأنها لا ترى فى الوجود أحدا (أكبر) وإنما الأكبر هو إلهها لا أحد سواه ، وكان أفرادها هم الأعلون لأنه لا ينبغى أن يكون أحد أعلى ممن يعتصم بحبل الله .

تلك هى الأمة التى كان مولد محمد صلى الله عليه وسلم إيذانا بمولدها ، وكان محمد بصفاته العالية ، وأخلاقه الرفيعة القدوة لها ، والأسوة وقد نشأت أمة كاملة منحت العالم فى تاريخها الأول أفضل ما فى البشرية من أخلاق العدل والإخاء والمساواة ، وظلت كذلك حقبا طويلة من التاريخ ، وإذا كان شىء من الضعف

(بقية المنشور على الصفحة التالية)

ذكرى ميلاد الرسول
بين الواقع والواجب

للأستاذ محمد النادى البدرى

مما سجله التاريخ أن أوصاف الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم تميزت فى أذهان الأحبار وعقول الرهبان استقاء من التوراة والإنجيل ، فشغلوا أنفسهم به ارتقابا لظهوره وحرصا على الاستباق إليه والإستئثار به ، كل يطلبه لنفسه ويرجوه لغايته ، بينما هو لايزال فى ضمير الغيب قدرا ، بشر به الرسل ونوهت بذكره الكتب .

وغير الأحبار والرهبان أمم تموج بهم الحياة من المستضعفين والمستعبدين والمحرومين يرتقبون منقذاً يشرق به أمل ويتحقق رجاء .

وغير المستضعفين والمستعبدين والمحرومين قلة تعرف الهدى ولا تستطيع مواصلة الدعوة إليه ، وتجل الحق ولكنها تعجز عن نصرته ، وتعتنق المعروف غير أنها تخشى الأمر به ، فالعالم يضطرب بالباطل ، ويتخبط فى الضلال ويتردى فى هوة من المنكر ، فلا تقربهم إلا على صنم قد هام فى صنم . هؤلاء القلة يرتقبون أن تتنزل السماء بالرحمة ، وتجود بمن يبشر بالهدى ، ويهدى إلى الحق ، ويأمر بالعرف ، حتى تنكشف عن البشرية الغمة وتنجلى الظلمة ، وتشرق الأرض بنور ربها .

وعلى استحياء من جلال الميلاد المحمدى سجل التاريخ أن بيت آمنة بنت وهب شهد فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل ميلاد وليد تهلل له وجه الحياة

بقية المنشور على صفحة ١٨٤

والوهن قد تسرب إليها فإن ذلك عارض لابد أن يزول ، لأن بين يديها ما يعيد لها مجدها ، عندها تعاليم هذا الدين الذى ولدت يوم ولد وهى تعاليم لن تبلى ، ولن يخلق الزمن جدتها ولن يأتى الناس مهما سمت عبقرياتهم بتعاليم أفضل منها ، فلا بد أن يكون إليها المرجع فى نهاية المطاف ، وستكون هذه الأمة هى القائمة بأمر الله ، وهى الهادية لتلك القوافل الضالة من أبناء البشرية الذين مزقتهم الأهواء وتحكمت فيهم شهواتهم ، فأبعدتهم عن الطريق القاصد ، وحادت بهم عن الجادة ولن يجدوا المصباح الهادى إلا فى تعاليم الاسلام ، ولا الأستاذ الموجه إلى الخير فى غير الأمة الإسلامية ؟

علي العماري

ساعة استهل ساجدا لله ، كأنما يبشر ، بالتوحيد ، حتى إذا شاءت القدرة أن تذيع على العالم بشرى مولده هزت مهده فاهتزت عروش ، واضطربت تيجان ، وتحطمت أوثان ، وتهدمت أصنام ، واستشعر الكون كله رهبة سر عظيم يؤذن بحياة غير الحياة ويدخر فى صدر الغيب أحداثا يعنو لها وجه الزمان .

وتلقت العناية الحارسة والرعاية الحافظة وليدها فى أطوار نموه ومراحل تكوينه : وهو رضيع تتجافى المراضع عنه وتفتقد الخير والبر فى يتمه وفقره ... وهو غلام يرعى الأغنام لقومه ويسعى لأهله ... وهو شاب يتاجر فى مال خديجة بالأجر ليستغنى وليستعفف . وهو فى كل مرحلة وطور على مأدبة ربه ، وفى كلاءة عصمته وحفظه ، فنزهه من كل مباذل قومه ومساوىء أترابه وأفاض عليه من محاسن الأخلاق ، وحميد الصفات ما جعله سيدا فى قومه بغير ثراء ، شريفا بعراقة الأصل والخلق ، مطاعا بهيبة الحق والجد ، محكما فيهم بالأمانة ، مشهوراً بينهم بالصدق .

وعاش محمد من عمر الزمن حياة كانت قسمة بين طلب الرزق وطلب الحق ، يطلب الرزق بالسعى الدائب الذى لا يعرف الملل ، ويطلب الحق بالتفكر المستغرق فى التأمل ، كل ما تقع عليه عينه ، أو يلتقى عنده حسه ، أو يطوف حوله خاطره ، أو يهديه إليه عقله فهو شاغله وسبيله إلى ربه : فى الشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ... فى الإبل كيف خلقت ، والسماء كيف رفعت ، والجبال كيف نصبت ، والأرض كيف سطحت ، فى نواميس الكون وسنن الوجود ، اهتداء إلى المعبود الحق بالفطرة السليمة ، والروح العظيمة ، والنفس الصافية ، والقلب الذكى .

ولم تترك العناية للتاريخ وحده أن ينقل للبشرية ذلك النمط من الصفاء والاهتداء فسجله رب العزة فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقال : « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » .

وفى هذا الإطار القدسى صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعين ربه - دنياه من السعى والكد والمعاناة ، أجمل ما تكون الدنيا عملا وكدا ، وأرق ما تكون الحياة عفافا وغنى ، وتهيأ لدينه ورسالة ربه بطول التأمل والمناجاة ، أصدق ما يكون التهيؤ صفاء قلب وانشراح صدر ، وشفافية نفس وإرهاف حس . فاصطفاه الله على خلقه ، واجتباه لحقه واختصه برسالته ، حتى إذا

بدأ الوحى ، وأذن له ربه فى البلاغ استأنف مرحلة أخرى من مراحل الذكرى يتجلى فيها رسوخ العقيدة وقوة العزيمة والفناء فى المبدأ .. فلا ملاينة ولا مهادنة فتلك عقيدة ، ولا استكانة ولا مسالمة فإنه الدين ... ولا مواربة ولا مجاملة فهذا هو الحق . ولا ضعف ولا تراخى فى البلاغ رغبا أو رهبا ، فإنها الجنة أبداً ، أو النار أبدا .

وأعلن على المسلمين شعار الإصرار والصمود - وهم بعد قليل وجمع المشركين كثير - وقال : (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هـذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته) إلى تفلت الحقد وطبع الله على قلوب المتكبرين فائتمروا به ليقتلوه ، فهاجر إلى يثرب حيث اتسعت لدعوته ، وأوى إلى الأنصار وقد شرح الله صدورهم لدينه ، وعاهدوا الرسول على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، حتى أكمل الله دينه وأتم نعمته ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وسبح الرسول بحمد ربه ، وأشهد الأمة على أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا ضال .. ونزل قول الله : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

هذه هى الذكرى ؛ لم تكن ذكرى ميلاد حمل ووضع ، ولا جنين استهل ، ولكنها ذكرى ميلاد رسالة ورسول ، ومشرق عقيدة ودين ، وكمال شرعة ومنهاج ، ونظام حياة وسلوك ، وتوفيق بين دين ودنيا ، وملاءمة بين جسم وروح . ومن هنا كان جلال الذكرى ، وكانت الحفاوة بها أبعد أثراً مما اعتاد كثير من المسلمين ، وأعمق مفهوماً مما درجوا عليه . لقـد اعتادوا الاقتصار فى الذكرى على الشكل والمظهر والسرد والعرض ، ودرجوا على إبراز الصور الباهتة والأضواء الخافتة معرضين عن إيحاءات القدوة الطيبة والأسوة الحسنة ، مغفلين جوانب الممارسة والعمل ، ولهذا لم تخلف هذه الذكريات أثراً فى هذه النفوس على جلالها وكثرتها .

وذكرى مولد الرسول العظيم — وهى ذكرى الذكريات — قد جمعت بين سلامة الاعتقاد وصدق الايمان وإخلاص العمل ، وتلاقت فى رحابها الدنيا بالدين فى كيان متكامل يدور فى إطار من الوسطية والقصد ، فالحياة منفصلة عن الدين لا يستقيم لها حال ولا يقر لها قرار ، لحيث لا دين فالحكم للهوى ، والسلطان للشهوة . والدين بعيد عن الحياة فرارا من مجالات نشاطه ومواقع عمله ، فى سبيل الرقى بمفهوم الحياة عن

المستوى الهيمي كانت العقيدة ومن أجل نموها ورقيها كان الدين .

ومن عجب أن كثيراً من المجتمعات الاسلامية تصوغ حياتها على تصور أن العقيدة بالميلاد والوراثة والدين بالتعلم والتلقين ، والشريعة بالتأليف والتدوين ، والمجد بالفخر بالأجداد تصوروا ذلك التصور وأقنعوا أنفسهم به أو خادعوها ، ثم استسلموا لهذه الخدعة فلا حصلوا دنيا ولا حصلوا دينا ، وتلك علة ما هم عليه من تشتت وضعف جعلهم نهباً لكل قوى ، ومغنما لكل طامع ، وحمولة لكل متسلط ، مع كثرة العدد ، ووفرة الرزق ، وبسطة الثراء ، ولكنها الكثرة التي تنبأ بها صاحب الذكرى إذ يقول : يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله : قال : لا . بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : وحب الدنيا وكراهية الموت » .

ولا مفر من ذلك الواقع المر إلا بتصحيح هذا التصور ليستقيم المفهوم الصحيح للإسلام ففرق كبير بين العقيدة والاعتقاد ، والدين والتدين ، وتدوين الأحكام وتطبيق الاحتكام إليها ، ومعرفة الحق والخوف منه ، والاعجاب بالفضيلة وممارستها وتلك مسئولية الحكومات الاسلامية ، وتبعة القوامين عليها ، ويوم يصبح الدين حقيقة في واقع الحياة نظاما وتخلقا وسلوكا ، في الفرد والأسرة والمجتمع والدولة يصبح للاحتفال بالذكريات الاسلامية معنى ، وأثر وغاية ويتحقق به معنى التكريم .

محمد النادي البدري

« من ذكريات المولد النبوي »

قال المرحوم أحمد شوقي :

الاشتراكيون أنت إمامهم	لولا دعاوى القوم والغلواء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى	فالكل في حق الحياة سواء

عظمة رسول الله ﷺ

للأستاذ محمود محمد شبكة

نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه هو المثل الأعلى فى الكمال والإنسانية ، وسيرته حافلة بالجلائل والفضائل . وبالمواقف الخالدة التى تكشف عن العظمة الأصيلة ، والنبل الكامن والخلق الكريم ، فلقد كان عليه السلام عظيما فى صباه عظيما فى شبابه ، عظيما فى جميع أطوار حياته ، عظيما فى تصرفاته وأفعاله ، وكيف لا يكون كذلك وقد اصطفاه ربه لينهض بالرسالة وليؤدى الأمانة ، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فلقد أدبه ربه وعلمه واصطنعه لنفسه ، وعصمه من شرور البيئة ومفاسدها على كثرة ما كانت تزخر به مكة من مغريات وما كانت تفيض به وديانها وبطاحها من مفاتن يتردى فى حمأتها الشباب التماسا للذة الفانية ، وطلبا للمتعة الرخيصة ، بل كثيرا ما كان يترك مكة بما فيها ومن فيها إلى الوحدة والخلوة والمناجاة إلى غار حراء ، حيث تصفو الروح ويطمئن القلب ويكون الاتصال بالخالق .

ولقد أكبرت قريش محمدا الشاب ورأت فيه السمو والعفاف والطهر فما وسعهم إلا أن لقبوه بالصادق الأمين ، ولم يلق شاب من شباب قريش مثلما لقى محمد من التعظيم والتكريم حتى صار حكما فيما شجر بينهم من خصومات ومنازعات ، وهذه قصة الحجر الأسود وما دار حول وضعه من خلاف كادت السيوف أن تخرج له من أغمادها ثم كان هذا الحكم الذى استراحت له النفوس وحقنت به الدماء وقبلته الأطراف المتنازعة عن طيب خاطر ، والذى دل على بصيرة نافذة وعقل متفتح وقلب مشرق مضىء ، ثم جاءت الرسالة الكبرى ونزل عليه قول الله سبحانه : (يأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر) .

وهنا تظهر عظمة هذا النبى الكريم وتبدو واضحة جلية فى اضطلاعه بالعبء ونهوضه بالرسالة وتحمله الأعباء والمشاق وما أكثر ما لاقى من متاعب ومشاق ، وما أشد ما قاسى من صدود وإعراض وما أسرع ما وضع الكفار أمامه العقبات والعراقيل ولكنه ثبت ثبات الأبطال ووقف شامخا صامدا كالجبل الأشم ، والشدائد دائما هى المحك الأصيل والميزان الدقيق الذى توزن به

الرجال ، وهى البوتقة التى تصهر فيها معادنهم ليظهر الخبيث من الطيب والجيد من الردىء .
ولقد تفننت قريش فى إيذاء الرسول . أيما تفنن وألصقوا به ألوانا شتى من التهم ، وجربوا معه جميع أسلحة الشر من الإغراء ومن التهديد ومن التشهير كل ذلك والرسول ثابت لا يتحول ، قوى لا يتزعزع ، ماض فى دعوته لا يتوقف ، وكانت فاطمة رضى الله عنها تبكى حينما ترى آثار الأذى على أبيها ولكنه عليه السلام كان يطمئنها ويقول لها : (لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك) .

وقد رأت قريش حينما أعيتها الحيل وأعجزتها السبل أن تجرب مع الرسول وصحبه سياسة التجويع والمقاطعة فحاصرتهم فى شعب بنى هاشم ثلاث سنوات طوال ، أصابهم فيها ما أصابهم من الجهد والتعب حتى لقد أكلوا أوراق الشجر وخرجوا من حصارهم وهم أشد صلابة وأقوى إيمانا .

ولما يئس رسول الله من أهل مكة ، ذهب إلى الطائف لعله يجد آذانا صاغية وقلوبا واعية ونفوسا تستجيب للخير ولكنه وجد صدودا وإعراضا ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل انطلق وراءه السفهاء والصبية يرشقونه بالحجارة ويرمونه بالحصى ولكنه ما ضعف ولا استسلم وما فقد الأمل بل كان يقول : (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) ، ثم جعل الرسول الكريم يعرض نفسه على قبائل العرب فى موسم الحج داعيا إلى الإسلام متحملا ما توجهه إليه بعض هذه القبائل من رد قاس عنيف ثم ما بال عمه أبى لهب يتبعه أينما ذهب لينفر الناس منه ويحذرهم من دعوته والاستماع إليه ومع ذلك لم يكترث رسول الله بالمثبطين والمخذلين بل كان ماضيا فى دعوته جادا فى تبليغ رسالته وكلما أمعنوا فى الإيذاء ازداد إيمانا وثقة وعزما فلقد كان عليه السلام مضرب الأمثال فى الثبات والشجاعة والإقدام وهذا موقفه فيما بعد فى غزوة حنين حينما وقف وحده يقول : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .
وكان سيدنا على بن أبى طالب يقول : (كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه) .

كما تظهر عظمة رسول الله فى عفوه عمن ظلمه وصلته لمن قطعه وإحسانه لمن أساء إليه فصاحب القلب الكبير هو الذى يسمو على الحقد ويترفع عن الانتقام ولا يحمل فى قلبه إلا الخير ولا يصدر عنه إلا ما تمليه شفافيته ورقة قلبه ، وهكذا كان الرسول حتى فى أشد المواقف هتافا بالثأر وطلبا للانتقام ، وليس أدل على ذلك من موقفه من الأسرى فى غزوة بدر فقد كان عمر يتحمس للقتل ،

ويرى أنه الأليق بهم جزاء وفاقا لما قدموا، أما أبو بكر الصديق فكان يرى العفو وقبول الفدية، وقد جنح الرسول إلى رأى الصديق تمشيا مع طبيعته التى تؤثر العفو .

ولذلك كان هذا العتاب الشديد من الله سبحانه : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، وحينما رجع إلى مكة ظافراً منتصرا فى عشرة آلاف مقاتل ومكنه الله من رقاب أهل الشرك ورؤساء الكفر ، وقد آذوه وأخرجوه من مكة ظلماً وعدوانا ، وكان فى مقدوره أن ينكل بهم وينتقم منهم ، ولكنه عليه السلام أطلق سراحهم وعفا عنهم وقال لهم تلك الكلمة الخالدة : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ، وكذلك عفا عن وحشى قاتل حمزة وهو الذى قال حينما رأى عمه صريعاً ممثلا به : (ما وقفت موقفا أغيظ إلى من هذا) ، وعفا عن هبار بن الأسود وهو الذى طعن زينب كبرى بناته حينما كانت مهاجرة إلى المدينة أصابتها إصابة قاسية ، وعندما مات كبير المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول صلى عليه ومشى فى جنازته وقام على قبره سماحة وكرما حتى كان هذا النهى من الله سبحانه : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » ، وكان سهيل بن عمرو يهاجم الرسول فى بذاءة وفحش فلما وقع أسيراً فى يوم بدر وجىء به إلى الرسول أراد عمر أن ينزع ثنيتيه حتى لا يقوم خطيبا ضد الرسول ولكنه عليه السلام نهاه قائلا : (لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيا) .

ولما قتل النضر بن الحارث يوم بدر رثته أخته قتيلة بقصيدتها التى تعتب فيها على الرسول أن قتل أخاها والتى تقول فيها :

ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة
وأحقهم إن كان عتق يعتق

ولقد تأثر الرسول من هذا الكلام وقال : (لو جاءت قبل مقتله ما قتل) كما كان عليه السلام عظيما فى تواضعه هذا التواضع الذى يزيد العظيم رفعة ويكسبه مهابة ، فلم يكن رسول الله ملكا ولا جبارا وإنما كان نبياً رحيما لين الجانب رقيق القلب يكره أن يتميز على أصحابه ويستأثر بشىء دونهم تحقيقاً لقوله سبحانه : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وكان يقول حينما يقوم أصحابه له تعظيما وإجلالا : (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا إنما أنا عبد آكل

كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) ، وحينما ارتعد أحد الأعراب من هيبته قال له : (هون عليك فلست بجبار إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة) ، وكان عليه السلام لا يأنف أن يمشى مع المسكين والأرملة والعبد ويقضى لهم ما يحتاجون ويتلطف مع الصبيان ويداعبهم ، فلقد روى عن أنس رضى الله عنه أن الرسول كان يداعب أخاً له صغيراً اسمه عمير وكان له طائر صغير يقال له : النغير فكان يقول له : يا أبا عمير ما فعل النغير .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : دخلت السوق مع رسول الله ليشترى سراويل فوثب البائع إلى يد النبى ليقبلها فجذب يده ومنعه قائلا : (هذا ما تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك وإنما أنا رجل منكم) ، ثم أخذ السراويل فأردت أن أحملها فأبى وقال : (صاحب الشيء أحق بأن يحمله) ، وعندما سئلت عائشة رضى الله عنها عما كان يصنع الرسول فى بيته قالت : كان بشراً من البشر يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته ، فإذا حضرت الصلاة خرج .

أما حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيته فهى فى الواقع صورة صادقة للعظمة والقوة والانتصار على النفس فقد جرت عادة الملوك والرؤساء أن يحيوا حياة فيها الترف والنعيم وأن تحفل بيوتهم بالأثاث والرياش وما لذ وطاب من صنوف الشراب والطعام أما حياة محمد فى بيته فهى كما قالت عائشة : (ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتالين حتى قبض رسول الله) .

وعن ابن جبير قال . أصاب رسول الله جوع يوما فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : ألا رب نفس طاعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ، ألا رب مكرم نفسه وهو لها مهين ، ألا رب مهين نفسه وهو لها مكرم ، وتحدثت عائشة إلى ابن أختها عروة بن الزبير فقالت . والله يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى بيت من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، قال عروة فقلت لها : يا خالة فبم إذن عيشكم ؟ فقالت : يا بن أختى كان معظم عيشنا بالأسودين التمر والماء ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دخلت يوما على رسول الله وهو مضطجع على خشن فجلست فإذا الحصير قد أثر فى جنبه وإذا عليه إزار ليس عليه غيره ، وإذا أنا بقبضة من الشعير بمقدار صاع فى ناحية من الغرفة ، فابتدرت عيناى بالبكاء فقال عليه السلام : ما يبكيك يا بن الخطاب ؟ فقلت يا نبى الله ومالى لا أبكى ؟ وهذا الحصير قد أثر فى جنبك وهذا ملبسك عليك إزار وليس عليك غيره ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا هذه القبضة من الشعير وذلك كسرى

وذلك قيصر يعيشان فى الثمار والنعيم والثياب الفاخرة وأنت نبى الله وصفوته من خلقه ، فقال عليه السلام : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ، وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ ، منها ، وجاء رجل فسأله فقال :ما عندى شىء ولكن ابتع على فإذا جاءنا شىء قضيناه فقال عمر : يا رسول الله ما كلفك الله مالا تقدر عليه ، فكره رسول الله ذلك فقال رجل : أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالا فتبسم رسول الله وشاع السرور فى وجهه ، وعندما جاءت إليه فاطمة تشكو إليه ما تلق من خدمة البيت وتسأله خادما تساعدها فى بيتها أمرها أن تستعين بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لها : لا أعطيك وأهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وكذلك فعل مع نسائه حينما تطلعن إلى الخير الكثير الذى أثرت به المدينة وتمتع به أهلها ولما تحدثن بذلك إلى رسول الله أعرض عنهن واعتزلهن شهرا حتى نزل قول الله سبحانه : (يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ، ولما سمعن ذلك قلن بل نختار الله ورسوله ، ولم يكن الرسول الكريم يلزم نفسه بهذه العيشة الخشنة عجزاً عن المال أو قصوراً عن الغنى فقد كان لديه من موارد الرزق ما يجعله يعيش فى رخاء ونعيم فالله سبحانه وتعالى قد جعل له الحق فى خمس غنائم الحرب قال تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ، كما جعل الله سبحانه لرسوله نصيباً فيما حصل عليه المسلمون من أموال بدون قتال ولا حرب مثل فىء بنى النضير وما تركه بنو قريظة وفى شأن بنى النضير يقول الله سبحانه : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وفى بنى قريظة : (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديرا) ، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان يؤثر بذلك فقراء المسلمين وكان يقول : اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى مع المساكين

محمود محمد شبكة

مدرس بدار المعلمين بطنطا

يومٌ غيّرَ مجرى التّاريخ

للأستاذ أنور الجندى

ميلاد لا نستطيع معرفة الأثر الخطير الذى فرضه مولد (محمد بن عبد الله) إلا إذا ألقينا نظرة فاحصة على مجرى التاريخ فى هذه المرحلة وعرفنا كيف كانت البشرية تعيش يوم ميلاد محمد حاضرا مضطربا بلغ غاية الاضطراب والسوء ويتطلع إلى فجر جديد يتمثل فى دعوة جديدة يحمل لواءها واحد من الهداة وترد الناس إلى الحق والعدل والتوحيد .

وكان الصراع قد بلغ أشده بين الأديان وبين الحضارات وبين الأمم القائمة فى هذه المرحلة ، كانت اليهودية والمسيحية والوثنية الإغريقية الرومانية والمجوسية الفارسية فى صراع متصل ، وقد تعددت المذاهب ، وثار بينها الجدل العنيف والسجال العاصف ، والمناظرات الصاخبة حول فرعيات المسائل ، وكانت الروم والفرس دولتا العالم القديم الكبيرتان فى صراع وحروب مستمرة لا تتوقف، تديل الفرس من الروم وتنتصر عليها ثم لا تلبث الروم أن تنقض على الفرس فتكتسحها وقد بلغ الأمر بالشعوب حد الفزع والضيق والمسغبة وبلغ أمر الأكاسرة والقياصرة أعلى حظوظ البذخ والترف والاستعلاء والظلم .

وكانت الحضارة الرومانية الباذخة قد انهارت فى القرن الرابع حين أغار الوندال البرابرة على روما فأسقطوها واستقبلت أوربا فترة القرون الوسطى المظلمة ، بينما ظلت الدولة الرومانية الشرقية فى بيزنطة تقاوم وتصارع دولة الأكاسرة ، وتسيطر على الشام ومصر والمغرب كله ، وظلت مجوسية فارس تصارع مسيحية روما ، وانتصرت فارس على الروم وحكمت الشام ومصر ووقفت على أبواب بيزنطة ثم استرد الروم الشام ومصر كرة أخرى .

وبلغت اليهودية قمة الصراع مع المسيحية ، وبلغت المسيحية قمة الصراع مع المجوسية ، ثم أصابها جميعا الوهن حين ضعفت بيزنطة وفارس ، وحين أصيب المجتمع بالترف والانحلال، والبذخ حتى كان لكسرى ابرويز إثنا عشر ألف إمرأة وخمسون ألف جواد وكان بذخ الأباطرة الروم يزرى ببذخ الأكاسرة ويفوقه يقول : (جيبون) مؤرخ سقوط الدولة الرومانية : فى أواخر القرن السادس وصلت الدولة الرومانية فى ترديها وهبوطها آخر نقطة ، وكان مثلها كمثل دوحة عظيمة كانت أمم العالم ، فى حين من الأحيان تستظل بظلها الوارف فلم يبق منها إلا الجزع الذى لا يزداد كل يوم إلا ذبولا .

ويقول العلامة درابر : لما بلغت الدولة الرومية من القوة الحربية والنفوذ السياسى أوجها ، ووصلت فى الحضارة إلى أقصى الدرجات هبطت فى فساد الأخلاق وفى الانحطاط فى الدين والتهذيب إلى أسفل الدركات .

لقد بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا إستهتاراً . وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هى فرصة للتمتع ، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ، ومن لهو إلى لذة ولم يكن زهدهم وصومهم فى بعض الأحيان إلا ليبعث على شهوة الطعام ولم يكن إعتدالهم إلا ليطول عمر اللذة وكانت موائدهم تزهو بأوانى الذهب والفضة مرصعة بالجواهر تحف بهم خدام فى ملابس جميلة خلابة وغادات رومية حسناء ، ويزيد فى نعيمهم حمامات باذخة ، وميادين للهو واسعة مهم ومصارع يتصارع فيها الأبطال مع الأبطال أو مع السباع ، ولا يزالون يتصارعون حتى يخر الواحد منهم صريعا وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم أنه إن كان هناك شىء يستحق العبادة فهو القوة) .

وبالجملة فقد كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف فى ذلك بين المؤرخين حيث عمت الفوضى والانحلال وسوء النظام وعسف الحكام ، فقد كان الأكاسرة ملوك فارس يدعون أن دما إلهيا يجرى فى عروقهم ، وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة ، فوق القانون وفوق البشر ، (النار) معبودهم وقد تصارعت عندهم إله النور وإله الظلمة ودعوات مانى ومزدك متصلة بدعوة زرا دشت أو منفصلة عنها .

أما البوذية فقد أصيبت بالانحطاط وابتلعتها البرهمية فتحولت إلى وثنية تحمل معها الأصنام أينما سارت وتبنى الهياكل ، وتنصب تماثيل بوذا ، أما المسيحية الغربية فقد أقامت إطاراً مسيحيا حشدت فيه وثنية اليونان وقوانين الرومان وأما الجزيرة العربية فقد كانت معقل الوثنية حيث (هبل الأكبر من حول الكعبة) .

هذا هو العالم الذى واجه (محمد بن عبدالله) عند مولده ، عالم مضطرب غاية الاضطراب فى عقائده ومجتمعه وحضارته . بلغ الصراع فيه غايته بين القوتين الغالبتين ، اللتين أنهكتهما الحروب ، وبلغ الجدل فيه غايته بين أديانه ومذاهبه ، الوثنية فى أوجها ظلم الحكام والأباطرة والأكاسرة . انحطاط مركز المرأة ، تسلط الربا فى المعاملات ، شيوع الإباحة ، غلبة العصبية القبلية والدموية عند العرب ، الملكية المطلقة ، فساد المجتمع . إمتهان الإنسان الانحراف الجنسى ، الطمع ، شهوة المال ، القسوة إلى حد الوأد وقتل الأطفال ، الأحبار والرهبان أرباب من دون الله . الملوك طغاة مستبدون هذا هو عالم ما قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم !!!

فإذا قلنا إن ميلاد « محمد » يوم غير مجرى التاريخ لم نكن قد بعدنا عن الحقيقة ، فقد كان العالم كله يتطلع إلى ضياء جديد ، وكانت الكتب القديمة حافلة بالبشارات والنبوءات والرؤى كلها توحى بمطلع النور ، ولكن أين وكيف ؟

لقد تواترت رسالات الأنبياء هادية الناس إلى الحق ولم تتوقف ، وكانت كلها رسالات محلية لأمم مختلفة ، وكانت منطقة ما بين النهرين وبادية الشام أحفل هذه المناطق بالرسل والأنبياء . ظهر أبو الأنبياء إبراهيم بين النهرين ١٩٩٦ قبل الميلاد ، وظهر موسى فى القرن السادس عشر قبل ميلاد عيسى ، ومر على المسيحية ٥٧٠ عاما قبل ميلاد محمد. كانت رسالات الأنبياء جميعا مقدمة لرسالة كبرى خاتمة للإنسانية جميعا ، وكانت البشرية تتطلع إلى شىء جديد ، إلى ميلاد نبى ، ليس مرسلا إلى أمة واحدة ، أو شعب واحد ، بل مرسلا للإنسانية كلها ، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم متصل النسب والأواصر بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، ولقد كان « محمد » خاتم الأنبياء والمرسلين وكان « الإسلام » خاتم الأديان وكان كتابه « القرآن » خاتم كتب السماء .

* * *

كانت النبوءات والكتب القديمة تؤكد أن عصر نبى جديد ورسالة جديدة قد جاء ، وكانت أحداث التاريخ كله ووقائعه . وأحوال المجتمعين الكبيرين فى فارس والروم توحى بأن حضارة آسنة توشك أن تهوى فأين تستقبل البشرية وليدها الجديد .

لم تكن أرض فارس والروم صالحة وهى التى عصفت بها عواصف الوثنية والانحلال ، ولم تكن غير الجزيرة العربية بيئة صالحة لدعوة جديدة ومنشأ لأمة جديدة تحمل لواء الدين الجديد وتنشىء الحضارة الجديدة .

نعم كانت « الجزيرة العربية » وحدها هى الأرض المتميزة بين صراع الأديان والحضارات والحروب والتى استطاعت أن تتجنب إلى حد كبير ذلك المضطرب الخطير الذى عاشته الدولتان الرومانية والفارسية ، فقد أتاح لها وضعها الجغرافى أن تسلم من الغزوات ، وأن تحتفظ إلى قدر كبير بطابع بداوة وأصالة وعصبية لم تفقدها الأحداث صلابتها ، ولم يصبها من ترف الحضارة ، وحياة البذخ والانحلال ، ما أصاب دولتى

الحضارة وبقيت لها من بداوتها وتقاليدها حصانة ومنعة ، أهلتها لتقبل الدعوة الجديدة ، وجعلتها صالحة لحلها على نحو حقق من بعد معجزة باهرة حين استطاع « العرب » رفع رايات الإسلام من حدود الصين إلى حدود فرنسا فى أقل من قرن من الزمان فأقاموا دولة ضخمة لم يتحقق مثلها .

• • •

ولد محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة ، قلب الجزيرة العربية عام الفيل ، فى ظل حدث من أخطر الأحداث القليلة التى عرفها العرب وأرخوا بها حين زحف أبرهة حاكم اليمن لهدم بيت إبراهيم وإسماعيل ، ثم ارتد عنها منهزما ، وقد خلصت مكة ـ كما كانت من قبل ـ للوثنية ، وقد اضطرب أمرها بين اليهودية والمسيحية ، ولكنها ظلت معقل الوثنية بأصنامها الثلاثمائة من حول الكعبة ، وإن غلبت اليهودية حول « يثرب » والنصرانية على « نجران » وظل « هبل » الصنم الأكبر المصنوع من العقيق على صورة الإنسان فى مكانه يحج إليه عباده ، ولكل قبيلة صنم تعبده : اللات لثقيف ، ومناة للخزرج ، والعزى لكنانة ، وإساف ونائلة لأهل الصفا والمروة وسواع لبنى هذيل ويغوث لبنى مذحج ، ويعوق لهمدان ونسر لذى الكلام .

ومكة إلى ذلك كله مركز مرموق ، من ناحيتين ، من حيث هى مركز التجارة مع العالم كله ، شمالا إلى الشام وجنوباً إلى اليمن ، ومن حيث هى مقر الكعبة تحج إليها الوفود فى كل عام .

ومجتمع مكة قبل ميلاد النبى ليس أقل اضطرابا من مجتمع الحضارة فى فارس والروم ، فالربا والخمر ، والانحراف بكل صوره يسيطر على الحياة ، غير أن رأياً عاما مثقفاً كان قد تكون وبدأ ينمو ، يشجب « عبادة الأصنام » قوامه : ورقة بن نوفل ، أعلم العرب فى عصره ، وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش ، وزيد بن عمرو بن نفيل ولكن قريشا كانت حريصة على الوثنية ، حرصها على النفوذ والسلطان وامتيازات كامتيازات الكهنة .

• • •

فى هذا المجتمع ولد « محمد بن عبد الله » : إنسان ذو نسب عريق الأصل والمحتد ، يتيم بسيط فى وضعه الاقتصادى : عربى فصيح ، آسر الشخصية ، أعده الحق لرسالة كبرى ، حين اختاره من العرب ، ليعد أمة حررها موقعها من الاضطراب فى صراع الحضارات والأديان . وأهلها بطابعها البدوى لتكون قادرة فى ثلاث وعشرين عاما على تكوين مجتمع موحد ، خالص من العصبية ، وحين

اختار «اللغة العربية» لغة لقرآنه، وأداة لبيانه، ولم تلبث بعد الدعوة أن وصلت بطاقات النبي صلى الله عليه وسلم.

جميع الملوك والحكام تدعوهم إلى الله، وكان هذا للبشرية علامة على بزوغ فجر عصر جديد يحرر البشرية من إسارها.

واستطاع الإسلام أن يعطى الأمة العربية، بالتوحيد والعدل والحرية مفهوما جديداً لكل القيم العربية فحولها من سلبية الفردية والتعصب والقبلية إلى إيجابية الحق والخير والإخاء.

كانت العرب تعبد الأصنام فتحولت إلى عبادة إله واحد، وكانت العرب تتعصب للقبيلة فأصبحت تؤمن بفكرة، تقاتل من أجلها وتضحى فى سبيل نشرها، وتجاهد فى إعلاء قدرها.

وكانت العرب تؤمن بالمروءة والكرم وحماية الذمار وقرى الضيف ولكنها كانت تستعلى به لخراوتها، فتحول مفهومها ولم يتحول إيمانها، تحول إلى عمل خالص لوجه الله، لا يستعلن به، ولكنه يوجه إلى الله خالصا رجاء جزائه ومثوبته.

* * *

وهكذا حرر الإسلام مفاهيم العرب وقيمهم، وغير معناها وهدفها ومدلولها.

أصبحت العرب تؤمن بأن لها «رسالة»، وأن رسالتها نشر الإسلام فى الخافقين، فانطلقت قوية صادقة، فى حماسة وصلابة وعمق إيمان، توسع آفاق عالم الإسلام على نحو كان موضع العجب من جميع من درسوا تاريخ الإسلام، ومن هنا ظهرت حكمة الله العالية الحقة، حين ظهر الإسلام فى أمة العرب، أمة بدوية بعيدة عن صراع الحضارات والأديان احتفظت خلال الزمن بمقومات شخصيتها، ثم اختار من هذه الأمة «إنسانا» أعلى ما يكون قدراً من كمال الشخصية نسبا، وخلقا، وبلاغة، استطاع فى ثلاثة وعشرين عاما أن يبنى «أمة» ويوحدها على الحق والعدل والحرية، مؤمنة بالله الواحد، محطمة للأصنام، ساحقة للوثنية، تسقط فى يدها امبراطوريتين: الفارسية والرومانية خلال أعوام قليلة، ويتحرر فى ظل لواء الإسلام الذى رفعته أمم وشعوب رفع الإسلام عنها الظلم النفسى والاجتماعى ودعاها إلى التوحيد وإلى كلمة الله.

تلك هى الحقيقة الباهرة التى تتجلى حين يعود يوم ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم كل عام، كيوم من الأيام الخالدة، التى غيرت مجرى التاريخ الإنسانى؟

أنور الجندى

المجتمع الفاضل
فى رسالة نبى الهدى والرشاد

للأستاذ مصطفى الطير

فى ذكرى مولد رسول الخير والكرامة يحلو الحديث عن أسمى المبادىء التى لم يأت بمثلها نبى ولا مصلح قبله ، ولن يدنو منها مصلح بعده ، فإن من الوفاء لأبى الزهراء أن نرفع من رسالته على طريق الحياة مصابيح تضىء للبشرية الغياهب وتجلو للناس الخفايا ، وتحل لهم المشكلات ، وتنشىء المجتمع المثالى الفاضل ، ومن الوفاء أن ننثر على سمع الزمان ما أدته رسالته من النجدة للبشرية العاثرة ، والإنقاذ للإنسانية المعذبة ، بما جاءت به من العقائد السليمة ، ودساتير السلوك القويمة ، وتخليصها للعقول من محابسها ، وتحكيمها فيما عز وهان ، بالدليل والبرهان « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى وقت أظلمت فيه ليالى الفتن ، واشتدت ضروب المحن ، وعجز الناس عن وضع القوانين التى تحكمهم ، وعن إقامة الحكومات التى تستقيم بها موازين العدل بينهم ، وقد اشتبه الحلو بالمر ، والتبس النفع بالضر وفشل الناس فى معرفة سبيل الهدى ، فاحتكموا فى أمورهم إلى الهوى ، وبلغ من ظلمة الالتباس على الناس ، أنهم عبدوا الأوثان ظانين أنهم أحسنوا ، ووأدوا بناتهم صغيرات خوفا من العار معتقدين أنهم ما ظلموا ، واقتتلوا لأوهى الأسباب والعلل ، فكم من قبيلة أفنتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة ، شربوا الخمر فدعتهم إلى الأخذ بالثأر ، وانتهاك حرمة الجار ، وحب الاعتداء والافتخار ، فهى أم الكبائر ، وأساس فساد الضمائر ، تزين الإثم على أنه نجدة وشهامة ، وعزة وكرامة .

وكانت الروابط بين الناس مفككة ، فلا دين يجمعهم ، ولا حكمة تضم شملهم ، والحرب بين المسيحية واليهودية شديدة الأوار محتدمة الجدال وقد دخلهما التغيير والتبديل وفقدتا كل سند يربطهما بأصل التنزيل والعالم حينذاك يتنازعه الفرس والروم ، وقد كانتا تتنافسان على الملك والسلطان ، وتطحنان

برحى الحرب بينهما الأمم المغلوبة على أمرها .

أولا إن الله رحمن رحيم ، لا يغفل عن أحوال عباده ، ولا يتركهم حيارى يتخبطون فى ليل الأحداث وظلام الشبهات والأضاليل فلهذا كفل الوليد اليتيم محمداً ورباه ، وأدبه وزكاه ، حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة بعثه هاديا للناس ومرشدا ومنقذا ومنجدا ، فغير وجه الزمان ، واستبدل بعبادة الأوثان عبادة الواحد الديان ، وبشريعة الكهان شريعة الرحمن ، وبالشرائع المحرفة المبدلة شريعة ثابتة عادلة ، وبمنهاج الحرب والنار ، منهاج السلم والنور ، وبظلم الإنسان . العدل والأمان ، واستبدل بفرقة الناس وحدتهم ، وبسيرهم مع الهوى ، اتباعهم للهدى ،فسادت السكينة والإخاء ، وعم الأمن والرخاء ، وتوحدت القلوب بعد فرقة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأمما وشعوبا ، فعم الصفاء ، وساد الأمن والرخاء .

وكيف لا يصلون إلى كل ذلك ، وقد جاءهم بمناهج إلى تلك الأهداف منتهية ، ودساتير إلى تلك المعالى داعية .

لقد أرشدهم إلى وهن الأنصاب والأوثان ، وعجزها عن حماية أنفسها من الحدثان ، وبرهن لهم على وحدة الصانع ، وأهاب بالعقول أن تنظر فيما أبدعه من الروائع ؛ لتعلم أن الكون يفسد بتعدد الآلهة . وأعلمهم أنه تعالى منزه عن الأولاد والزوجات ، وأنه على أعمال العباد رقيب شهيد ، فاستيقظت العقول النائمة ، وعلم الناس أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ، وحاسبوا أنفسهم فى كل ما يأتون وما يذرون .

أمرهم بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق فاتحدوا ، وأصبحوا كزرع أخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، ونهضوا بالعبء وهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، فامتد بجهادهم سلطان الإسلام ، وعم نوره الأقطار فى أقصر زمان .

أمرهم بالعدل والإحسان ، ونهاهم عن الفحشاء والمنكر ، فارتفعت كلمة العدل والرحمة ، والمعروف والعفة ، وأصبح الضعيف فيهم قويا حتى يؤخذ له بحقه والقوى فيهم ضعيفا حتى يؤخذ منه الحق ، تقام فيهم الحدود على السيد والمسود ، وعلى الشريف والوضيع ، بحيث لا تقبل فى حدود الله شفاعة ، ولو كان الجانى من الأشراف ، ألم يقل النبى صلى الله عليه وسلم لمن شفعوا

فى شريفة سرقت (والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) .

أمرهم بطلب الرزق بالوسائل الشريفة فاتجروا براً وبحراً ، وأنشأوا البساتين والمزارع والمتاجر والمصانع ، وتعددت أسباب أرزاقهم، وتنوعت وسائل خيراتهم.

أمرهم أن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة ، فأنشأوا الجيش الإسلامى أقوى دعامة للحق ، وأمنع حصن ضد الأعداء المتربصين ، وأنشأوا السفن الحربية وسلحوها بالمدافع منذ أول العهود الإسلامية الزاهرة ، فنصروا بالرعب والقوة براً وبحراً ، وما ردت لهم راية . ما داموا بحبل الله معتصمين .

أمرهم بالصلاة والزكاة ، والصيام والعفاف، والإحسان إلى الصديق والعدو ، والقريب والبعيد .

أمرهم بالمودة وحفظ حقوق الجار ، والتعاون فى البأساء والضراء ومحاسبة النفس قبل محاسبة القضاء .

أمرهم بالصدق والأمانة ، ورعاية حقوق الآباء والأبناء ، والأزواج والزوجات ، والمؤمن والكافر ، والبر والفاجر .

أمرهم بإنصاف أهل الكتاب والإحسان إليهم ، والوفاء بالعهود والمعاهدات ، أمرهم بكل ذلك فامتثلوا ، وكانوا أئمة وقادة فى تواضع وحكمة ، وشهامة وهمة ، فرضى الله عنهم أجمعين ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

ألا وإن رسالة الإسلام كل يوم جديدة ، ينطق بها القرآن على سمع الزمان ، وينشرها الدعاة والمرشدون فى المعاهد والمساجد ، والمجتمعات والنوادى ، وبذلك بقيت تعاليمه غضة ناضرة ، زاهية زاهرة تنعش القلوب والأرواح ، وتسرى فى القلوب والأفئدة فتدب فيها الحياة ، وتسبح الله وتسعى فى هداه ، ولن يصلح أمركم أيها المسلمون فى الحياة ، إلا بالسير على هداه ، والعمل بكتاب الله ، ذلك السجل الإلهى الذى لا تفنى عجائبه ، ولا تنتهى غرائبه ، فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، والخبر اليقين عن عاقبتكم ، هو الفصل ، وما هو بالهزل من أخذ به سلم ومن عمل به هدى إلى صراط مستقيم ، وهو المعجزة العلمية التى نبهت العقول وصرفتها إلى النظر فى الآيات ، ليس فيها كهانة كاهن ، ولا شعوذة مشعوذ ، ولا مجال فيها لسحر ساحر ، أو مطعن طاعن ، هو الحجة الباقية على الزمان ، الرافعة لشعار العلم والعرفان ، المؤيدة بكل ما يكشف عنه العلم على مر الزمان ، ألم يتحدث عن الكونيات منذ عشرات القرون حديث الحق فأيد حديثه عنها

أخيراً الكاشفون ، وقد كانوا من قبل ذلك يجهلون ، وسوف يعلمون من خفاياه ما هم عنه غافلون ، فبأى حديث بعده يؤمنون .

وحسبك فى إعجازه غير هذا أنه جاء به نبى أمى زكت أخلاقه ، وكملت سجاياه ، ووثق من مستقبل أمته فتحدث عنه حديثاً أيده الزمان ، وقام من صدقه فيه على نبوته واضح البرهان .

التنبؤ بفتح بلاد كسرى :

روى عدى بن حاتم قال : (بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال يا عدى هل رأيت الحيرة ، قلت لم أرها وقد أنبئت عنها ، فقال إن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ، قلت فى نفسى فأين دعار [1] طىء الذين سعروا فى البلاد [2] ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت كسرى ابن هرمز ، قال كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه ذهباً أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فليقولن ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ، فيقول بلى ، فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك ، فيقول بلى ياوب ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وعن يساره فلا يرى إلا جهنم ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة ، قال عدى رضى الله عنه : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت . لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه سلم ، يخرج الرجل ملء كفه ذهبا أو فضة فلا يجد من يقبله) أخرجه البخارى .

تنبؤه بفتح مصر :

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما » أخرجه مسلم .

إلى غير ذلك من النبوءات التى تحققت والتى سوف تتحقق ، ومن أهمها بقاء رسالة الإسلام إلى قيام الساعة . فقد قال صلى الله عليه وسلم « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما

---

(١) جمع داعر وهو الخبيث الفاسق .

(٢) من سعر النار أججها وأشعلها .

حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر الله » . وتلك بشرى ببقاء دين المجتمع الفاضل ما بقيت الدنيا .

شهادة الغربيين المنصفين للإسلام ورسوله :

قال الكاتب الإنجليزى الأشهر توماس كارليل فى كتابه الأبطال . لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور ، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا إلى أن قال : ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج فما الناس إلا بله مجانين وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق .

ثم قال : إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وماشاكل ذلك ، فما ذلك الذى يبنيه بيت ، وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد نعم . وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الأنفس ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم .

وقال الكونت هنرى الفرنسى لسنا نحتاج فى إثبات صدق محمد إلى أكثر مما يأتى :

(١) كان محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب ، كما لم يسترشد فى دينه بمرشد سبقه . (٢) وكان ينفر من عبادة الأوثان وتعدد الآلهة (٣) ومع كونه أمياً جاء ومعه قرآن يعجز فكر بنى الإنسان عن الإتيان بمثله لفظا ومعنى ، وهو سر من الأسرار لا يدركه إلا من صدق بأنه من عند الله (٤) ولا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة حقا ، وما بقى فيه فكر خاص به (٥) وما كان يميل إلى الزخارف والاستكبار والبخل إنه كان يحلب شاته بنفسه ويجلس على التراب ويرتق ثيابه ونعله بيده ، وكان قنوعا ، خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم ، لم يرغب طول حياته فى المال ، وكل ما يأتيه كان يتصدق به وبلغ من السلطان غايته ولم يكن له من علامة الملك سوى قضيب إلى غير ذلك مما ذكره هذا المنصف الذى لم يعمه التقليد ولا الحقد.

وهذا هو المسيو دينيه الفرنسى الذى بلغ سبعين سنة من العمر قضى شطرا منها فى البحث العميق والمقارنة بين المسيحية والإسلام ، ثم هداه الله إلى الإسلام يقول « هذا الدين

الإسلامى هو الدين الوحيد الذى لم يتخذ فيه الإله شكلا بشريا أو ما إلى ذلك من الأشكال، أما فى المسيحية فإن لفظ الله تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن فى السن قد بانت عليه دلائل الكبر والشيخوخة والإنحلال ، فمن تجاعيد بالوجه غائرة إلى لحية بيضاء ومرسلة مهملة تثير فى النفس ذكرى الموت والفناء ، ونسمع القـــوم يصيحون يحيى الله ، فكيف لا يخشون على هذا الهرم الهلاك ويطلبون له الحياة ، أما الله فى دين الإسلام فلم يجرؤ أى مصور أن يصوره ، لأن الله لم يخلق الخلق على مثاله ، فإنه ليس له صورة ولا حدود محصورة ثم يقول : إن الشريعة الإسلامية ساوت بين الناس ولم تفرق بينهم إلا بعلو الهمة ومكارم الأخلاق ، فهذا بلال الحبشى أقامه الرسول مؤذناً للسلمين ، فإذا سمعوه سعوا إلى الصلاة مع ما عرف عليه العرب من التفاخر بالأحساب والأنساب .

ثم يقول إن الحركات والإشارات فى الصلاة الإسلامية ذات مهولة ونبالة لم يسبق لها مثيل فى صلاة غيرها ، كما أنها لا تدعو الوجوه إلى التظاهر والتكلف ، والعيون إلى الشخوص نحو السماء واستنزال الدموع الكاذبة مما يفعله غيرهم أمام صور القديسين .

ثم يقول : إن العقيدة الإسلامية لا تقف عقبة فى سبيل التفكير ، وكما أن الإسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس فهو صالح لجميع العقليات والمدنيات ، فكما يهيج نفس الرجل العملى فى أسواق لندن حيث الوقت هناك من ذهب . يأخذ بلب الفيلسوف الروحانى » اهـ .

أيها المسلمون . هذا دينكم فجددوه ، فإنه صفو الحياة ، وكلمة الله ، ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

مولد النور

للأستاذ حسن جاد

شاق الوجود صباحه المتألق
يوم بمولد نور طـه يشرق

سر حوته من السماء سريرة
نشوى بأنوار النبوة تخفق
تتساءل الدنيا : متى ميعاده ؟
ويمضها شوق إليه مؤرق
وتبيت تحسد يومه أيامها
وتود لو عجلت إليه فتلحق
والكون مشبوب الضرام مفزع
قد لفه ليل الضلال المطبق
والحقد يوغل فى النفوس ضراوة
والشر يغلى فى الصدور ويمرق

والناس فوضى لا ترى من بينهم
إلا عبيد حجارة لا تنطق
جهل وظلم عارم ، وسفاهة
وتنابز . وتحلل ، وتفرق
ضلوا عن الحق القويم ، وصدهم
داع إلى عصبية يتمشدق

وإذا أدلهم الليل واعتكر الدجى
لم يستبن نور السماء محدق

* * *

حتى أراد الله رحمة خلقه
والله يلطف بالعباد ويرفق
فى ليلة نشر االربيع لواءه
وسرى النسيم بها عبيرا ينشق
والأفق عطرى الفضاء كأنما
فى كل ناحية بخور يعبق
وازينت قبب السماء بموكب
فيه الملائكة الكرام تحلقوا
والأرض عرس ، والربى مجلوة
فاح العرار بها ، ورف الزنبق
والرمل نشوان المنى متهامس
والليل هيمان الرؤى متشوق
والشرك لهفان السؤال ، وقيصر
حيران مبهور ، وكسرى مطرق
دوت بأجواز الفضاء وجلجلت
بشرى تروع المشركين وتصعق

طارت بألباب الحداة فوقفوا ... وتلفتت طربا إليها الأينق

وهوت لروعتها الغرانيق العلا ... واندك إيوان ، وزلزل جوسق

والنور يهزم فى الشعاب ظلامها ... ويغير منه على البطائح فيلق

وأشاع فى الدنيا بهاء جلاله ... فجر عليه من النبوة رونق

ولد الهدى والنور فانجاب الدجى ... عنها ، وطالعها الصباح المشرق

* * *

يا من أعاد إلى الوجود شبابه ... فكأنما ولد الربيع المونق

وجرى على فمه البيان وهديه ... نبعاً تفجر أوحياً يتدفق

ألفت ما بين القلوب ، فلم يعد ... باغ يصاول ، أو مغيظ يحنق

وفتحت إسعاداً ، وكم من فاتح ... فى فتحه حل الشقاء المحدق

ما كان إلا للسعادة والهدى ... رمح يسد أو حسام يمشق

وبنيت ملكا باذخاً بشريعة ... تسع الحياة ، جديدها لا يخلق

لا جاه إلا الصالحات ، ولا غنى ... إلا أصاب الحق فيه المملق

إن الذين تنكبوا دستورها ... ضلوا الطريق إلى السلام وأخفقوا

وإذا استبدت بالسلام مطامع ... كان البشير به غراباً ينعق

يا ويح هذا الغرب فى غلوائه ... غاض الوفاء به ، وضاع الموثق

يذكى الصراع على مبادىء غاية ... خرقاء يصرخ فى دجاها أخرق

ذرية الأنياب ، ضارية الشرى ... يسبى بها الحمل الوديع ويسرق

مشبوبة الأحقاد كل فريسة ... عزلاء يشويها لظاها المحرق

هذى فلسطين ، وذلك جرحها ... لما يزل دمه المقدس يهرق

والنادبات من القوافى وحدها ... لا يشتفى جرح بها أو يرتق

الأمة العزلاء أين مكانها ... مما يصول به القوى الأحمق ؟

السيف أبلغ فى الحقيقة منطقاً
إن كان لا يجدى الحقيقة منطق
والحق إن أعياه صدق مدافع
فالمدفع الرنان منه أصدق
والخيل أفصح من خيال شاعر
يختال فى أفق المنى ويحلق
مجد العروبة وحدة وتسلح
فالسيف أحرى ، والتضامن أخلق

* * *

يا من يلاذ بجاهه وببابه
فيحل معقود ، ويفرج ضيق
ونؤم ساحته فينفحنا شذا
روض بأنفاس النبوة يعبق
وتهيج ذكراه المجلجلة الصدى
شوقاً يمور ودمعة تترقرق
من فيض جودك نفحة يجلى بها
كرب ألم بنا ، ويفتح مغلق
بك يا رسول الله عزت أمة
أنت المحررها ، وأنت المعتق
دانت لها الدنيا هدى وحضارة
وعنا لها تاج ، وطأطأ مفرق
جمعتها بعد الشتات بوحدة
جمع العروبة عهدها والموثق
اليوم باسمك للإله تضرعت
والليل داج ، والحوادث تطرق
كم هاتف بك فى خضم همومه
والريح تعصف ، والسفينة تغرق
نجاه تكريماً لقدرك ربه
ورسا على شط الأمان الزورق

* * *

يا رب إن عز الرجاء فلم يزل
يومى إليك مغرب ومشرق
فالطف بأمتنا لأجل محمد
واكشف بفضلك مايعانى المشرق
وانصر (جمالا) قائد العرب الذى
بكفاحه آمالنا تتحقق
من يعتصم بك يقو جانبه ؛ ومن
تهديه ينجح سعيه ويوفق

حسن جاد

من هدى السنة

أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

للدكتور محمد محمد أبو شهبه

روى الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحيهما بسندهما عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لى خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب) هذا اللفظ للبخارى فى باب المناقب — باب ما جاء فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواه البخارى أيضا فى كتاب التفسير — سورة الصف ولكن بلفظ « إن لى أسماء ... » .

الشرح والبيان

(جبير بن مطعم) هو الصحابى الجليل جبير بن المطعم بن عدى وكان أبوه من أشراف مكة ورؤسائها ، وقد قدم جبير على النبى صلى الله عليه وسلم بعد بدر ليكلمه فى أسارى بدر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (لو كان أبوك المطعم حيا وكلمنى فى هؤلاء النتنى[1] لتركتهم له) رواه البخارى فى صحيحه .

وكان المطعم بن عدى قد قدم إلى النبى جميلا فأراد النبى — كما هو خلقه — أن يرد الجميل بأجمل منه ، ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى الطائف داعيا إلى الله ، ورده أهلها رداً قبيحا ، عاد إلى مكة حزينا ، فأبت قريش عليه أن يدخل مكة ، فأرسل إلى المطعم ليدخل فى جواره ، وكان الرجل كريماً غاية الكرم فلبس هو وأبناؤه السلاح وخرجوا للقائه ودخل مكة وهم يحيطون به فطاف بالبيت وصلى ركعتين ، وأيضا فقد كان له ضلع كبير فى نقض الصحيفة الظالمة التى تمالأت فيها قريش على بنى هاشم والمطلب .

ولما قدم جبير بعد بدر كان على دين قومه فسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بسورة (الطور) فأثر أسلوبها البليغ ، ومعانيها المحكمة فى نفسه فكان ذلك أول ما وقر الإيمان فى قلبه ثم أسلم بعد وحسن إسلامه ، وحمل عن النبى بعض الأحاديث ، فرضى الله عنه .

« لى خمسة أسماء » .

---

(١) جمع نتن كزمن وزمنى أو نتين كجريح الجرحى ، ووصفهم النبى بالنتنى لخبث عقائدهم .

ورواه البخارى فى موضع آخر بلفظ « إن لى خمسة أسماء » وليس المراد أن أسماءه صلى الله عليه وسلم محصورة فى هذه الخمسة فحسب وإنما المراد أنها أشهر من غيرها والموجودة فى الكتب السابقة والأمم السالفة دون غيرها ، ثم إن هذه الخمسة مما خص به نبينا عليه الصلاة والسلام وأما غيرها فقد يشاركه فيها غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

ومما وقع من أسمائه صلى الله عليه وسلم فى القرآن بالاتفاق : الشاهد ، والمبشر ، والنذير ، والمبين ، والداعى إلى الله ، والسراج المنير ، فنى الكتاب الكريم قال الله تعالى مخاطبا له « يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ، ومبشرا ، ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه ، وسراجا منيرا (١) » وفيه أيضا ، المذكر ، والرحمة ، والنعمة ، والهادى ، والشهيد ، والأمين ، والمزمل ، والمدثر ، والرءوف ، والرحيم ، وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المروى فى الصحيح . « سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا جاف ولا سخاب بالأسواق ولا يقابل السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح » ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المشهورة . المختار ، والمصطفى ، والشفيع المشفع (٢) ، والصادق المصدوق (١) ، وكان بعض صحابة رسول الله إذا حدث عنه قال . « حدثنى الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم » إلى غير ذلك من الأسماء ،

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى تصنيف له مفرد فى الأسماء النبوية قال بعضهم أسماء النبي صلى الله عليه وسلم عدد أسماء الله الحسنى : تسعة وتسعون اسما ثم قال . ولو بحث عنها باحث لبلغت ثلاثمائة اسم ، وقد ذكر فى كتابه المذكور أماكنها من القرآن ، والأخبار ، وضبط ألفاظها وشرح معانيها واستطرد - كما هى عادته - إلى فوائد كثيرة .

وفى الحق - كما قال الحافظ الكبير ابن حجر - إن غالب الأسماء التى ذكرها وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد الكثير منها على سبيل التسمية وذلك مثل عده اللبنة للحديث الصحيح المشهور فى التمثيل للنبى ومن سبقه من الأنبياء بالقصر المشيد البالغ الحسن فى الهندسة والبناء والشكل إلا موضع لبنة منه فصار الناس يطوفون حول هذا القصر العظيم ويقولون

---

(١) الأحزاب الآية ٤٥ ، ٤٦

(٢) الذى تقبل شفاعته

(١) الذى يصدقه من يسمعه لتوافر الدلائل على صدقه وقد كان المشركون وغيرهم كما فى كتب الحديث والتفسير ، والسير ، يكذبونه فى الظاهر ولكنهم فيما بينهم وفى أنفسهم يعلمون صدقه .

هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال النبي في آخره : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » فالظاهر من سياق الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لا يريد التسمية بهذا .

وليس من شك في أن كثرة الأسماء ولاسيما إذا كانت تدل على خصائص شريفة ومعان كريمة فاضلة تدل على شرف المسمى، وعلو همته، وعظم أخلاقه .

«أنا محمد» اسم مفعول من التحميد للمبالغة يقال حمده إذا نسبه إلى كثرة المحامد والفضائل أو هو الذى حمد مرة بعد أخرى كالممدح قال الأعشى .

إليك - أبيت اللعن - كان وجيفها
إلى الماجد القرم الجواد المحمد

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة ، والأخلاق الفاضلة العظيمة ولا تنفك الألوف ، بل ألوف ألوف بل مئات ألوف الألوف تلهج بحمده والثناء عليه من لدن مبعثه إلى وقتنا هذا ، وإلى يوم يقوم الناس لرب العالمين وفى المحشر حينما يشفع فى الناس ، ويريحهم من هول الموقف يحمده الأولون والآخرون ، وقد نوه الله سبحانه وتعالى فى الكتاب الكريم بهذه الفضيلة والخصيصة الظاهرة فقال عز شأنه : «ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ،»(١) فمن ذا يحصى ألوف ألوف الألوف التى ستحمده فى هذا المقام ؟!!

وهذا الاسم الكريم هو أشهر الأسماء وأذكرها بين الناس .

«وأنا أحمد»

أحمد أفعل تفضيل أى أكثر الناس حمدا فهو علم منقول من صفة ، وقد ثبت فى الصحيح أنه يفتح عليه فى المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام حامدون ، وهو أحمدهم أى أكثرهم حمدا أو أعظمهم فى صفة الحمد ، وهو صاحب لواء الحمد يوم القيامة ، وهو صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية فى الاتصاف بالمحامد والفضائل، والغاية فى حمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، وشكره على نعمائه ولم يرد هذا الاسم فى القرآن إلا مرة واحدة على لسان سيدنا عيسى عليه السلام مبشرا به قال عز شأنه : «وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين »(٢) .

يقول بعض المبشرين والمستشرقين إن المبشر به أحمد ونبيكم محمد ، وكأنى برسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم حينما ألهمه الله

---

(١) الإسراء الآية ٧٩
(٢) سورة الصف الآية ٦

سبحانه أن يقول هذا الحديث فهو يأبى على شبهتهم من أسمائها فهو محمد ، وأحمد .

وعلى ما دخل التوراة والأناجيل من تحريف فقد بقيت البشارة فى بعضها ففى إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس عشر منه « قال يسوع : إن « البار قليط » روح الحق الذى يرسله أبى يعلمكم كل شىء » وقال أيضا : « من يحبنى يحفظ كلمتى ، وأبى يحبه ، وإليه يأتى ، وعنده يتخذ المنزلة ، كلمتكم بهذا لأنى لست عندكم بمقيم و « البار قليط » روح القدس الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شىء » وهى بشارة تكاد تكون نصا فى الإخبار بنبينا محمد وأحمد والذين ترجموا الأناجيل كتبوا بدل « البار قليط » المعزى لأن الأولى تدل على صفة الرجل كثير المحامد أو كثير الحمد وقد سأل المغفور له الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار صاحب كتاب « قصص الأنبياء » المستشرق « نلينوا » الإيطالى عن هذه الكلمة « البار قليط » فقال إن : القسس يقولون معناها : المعزى : فقال له : أنا أسأل الدكتور « نلينو » الإيطالى عن هذه الكلمة « البار قليط » فقال : إن القسس يقولون معناها : المعزى : فقال له : أنا أسأل الدكتور « نلينو » الحاصل على الدكتوراه فى الآداب اليونانية القديمة فقال : إن معناها الرجل الذى له حمد كثير . فقال له : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ فقال : نعم !!

أقول : وهذا هو الحق ، وليس بعد الحق إلا الضلال المبين ، وشهد شاهد من أهلها !!

(وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) .

قيل المراد الذى يمحو ويزيل الشرك والعقائد الوثنية من الجزيرة العربية والأظهر أن نترك الحديث على عمومه فقد كان الكفر عند مبعثه يكاد يكون عاما فى الدنيا . ولم يسلم من ذلك إلا القليلون كالحنيفيين وأهل الأديان الذين لم يبدلوا ويحرفوا ، ويكون المراد أن الله سبحانه محا به معظم أنواع الكفر ، وأصبح معظم الناس مؤمنين موحدين فإنه صلى الله عليه وسلم لم يجاور الرفيق الأعلى حتى صارت الجزيرة كلها مؤمنة موحدة ، وحمل أصحابه الرسالة من بعده فلم يمض قرن من الزمان أو أقل حتى صار معظم الدنيا المعروفة آنئذ من المحيط إلى المحيط يذكر على مآذنها توحيد الله فى اليوم خمس مرات .

(وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) .

أى على أثرى وهو يوافق قوله فى الرواية الأخرى (يحشر الناس على عقبى) أى أنه أول من يحشر يوم القيامة وفى الحديث الآخر (أنا أول من تنشق عنه الأرض) .

(وأنا العاقب) قد ورد تفسيرها فى الرواية الأخرى (وأنا العاقب الذى ما بعده نبى) فهو خاتم الأنبياء والمرسلين (وبعد) فأشهر

صور من المعارك البيانية

بين خصوم الإسلام وأنصاره

الشعر في المعركة

للأستاذ عبد الحميد المسلوت

حين انتقل الرسول الكريم ، صلوات الله عليه ، من مكة إلى يثرب فراراً بدينه ودفاعا عن عقيدته ، وصونا لدعوته .. وحين ألجأته ضرورات الكفاح إلى الحروب وإلى أن يقف موقفا صارما حاسما مع هؤلاء الذين لم تنفع معهم الحكمة ولم تؤثر فيهم الموعظة الحسنة ، دخل الشعر في المعركة هجوما ودفاعا .

وكان معنى هذا ودلالته القريبة ، أن الدعوة دخلت في طور من أطوار القوة ولون من ألوان الاستقرار لم يتهيأ لها من قبل ؛ فقد كثر أنصارها واشتد لذلك حقد أعدائها ، وكأنما لم تكفهم سيوفهم فحشدوا بيانهم وأغروا شعراءهم بحرب هذه الدعوة ، والتعويق من نموها ، وصد الناس عنها ، ولكن أنى لهم هذه الأماني الكذاب .

تجرد لهجاء المسلمين والنيل منهم ومحاولة الغض من أقدارهم كثير من شعراء المشركين مثل : عبد الله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب ، وأبي سفيان بن الحارث ، وأبي عزة الجمحي ، وعمرو بن العاص .

(بقية المنشور على صفحة ٢١١)

هذه الأسماء (محمد) ولم يكن هذا الاسم مشهوراً في الجاهلية ، وإنما تسمى به بعض العرب قرب ميلاده لما سمعوا من الأحبار والرهبان وأهل الكتاب أن نبياً سيبعث آخر الزمان يسمى (محمدا) فسموا أبناءهم بهذا رجاء ذلك ، قال عياض : وهم ستة لا سابع لهم ، وقال السهيلي في (الروض الأنف) لا يعرف من تسمى قبل النبي بهذا الإسم إلا ثلاثة ، والذي حققه الحافظ ابن حجر أنه تسمى بهذا الاسم خمسة عشر شخصاً ، فلما ولد النبي ألهم الله جده بهذا الاسم تحقيقاً لما سبق به علم الله وذكر ابن إسحاق في السيرة أن أمه كانت رأت في المنام من يقول لها : سميه محمدا ، فلعلها أخبرت جده بذلك فسماه ، والحمد لله الذي شرفنا بالإسلام ، والتصديق برسالة خاتم الأنبياء ؟

د. محمد محمد أبو شهبة

وقف لهؤلاء من شعراء المسلمين حسان ابن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب ابن مالك. ومن يتصفح شعر هؤلاء المسلمين الصادقين يجد فيه العقيدة الصلبة التي لا تضعف والإيمان الثابت الذي لا يتزعزع، ويحس من هذه الأشعار بنفحات القوة ودلائل التأييد الإلهي تسري فيه وتنبض من خلاله. وكان لهؤلاء الشعراء المسلمين طرائقهم المختلفة في صدع هؤلاء المشركين والرد عليهم، والتهوين من أمرهم، وفضح ضلالهم وكفرهم أو الإقذاع في سبهم وهجومهم كما يبدو واضحا من قول أبي الفرج الأصفهاني [١] : كان يهجو رسول الله ثلاثة رهط من قريش هم: عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وعمرو بن العاص [٢].

فقال قائل لعلي بن أبي طالب: اهج عنا القوم الذين قد هجونا، فقال علي رضي الله عنه إن أذن لي رسول الله فعلت، فقال النبي ليس هناك أو ليس عنده ذاك، ثم قال للأنصار: (ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم) فقال حسان أنا لها.

وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء. فقال له: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر. فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة.

والعجب أن هؤلاء الشعراء الذين وقفوا للنبي صلى الله عليه وسلم هاجين محاربين قد هداهم الله بعد الكفر إلى الإسلام فكانوا بعد من المسلمين الصادقين ما عدا أبا عزة الجمحي الذي قتل يوم أحد لكفره ونقضه العهود، كان أبو عزة هذا شاعرا مملقا ذا عيال وكان شديد الخصومة للنبي كثير الطعن عليه والهجاء له وفي غزوة بدر أسر كافرا فوقف بين يدي الرسول ذليلا ضارعا يقول: إني ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك ورق النبي لحاله وأخذه العطف على صغاره ومن عليه من غير فداء واشترط عليه ألا يعين عليه بشعره فعاهده وأطلقه، وهو في ذلك يقول:

---

(١) الأغاني جـ ٤ ص ١٢٧.

(٢) زاد في أسد الغابة رابعا هو ضرار ابن الخطاب.

ألا أبلغا عنى النبى محمدا
بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الرشد والتقى
عليك من الله الكريم شهيد
ولكن إذا ذكرت بدرا وأهلها
تأوب ما بى حسرة وتعود (١)

فلما كان يوم أحد دعاه صفوان بن أمية ابن خلف الجمحى، وهو سيدهم يومئذ إلى الخروج فقال له: إن محمدا قد من على وعاهدته ألا أعين عليه فلم يزل به وكان محتاجا فأطعمه ومناه فخرج فسار فى بنى كنانة فحرضهم وقال

يا بنى عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكم حام
لا تعدونى نصركم بعد العام
لا تسلمونى لا يحل إسلام

قيل: إنه أسر يوم أحد فقال: يا رسول الله من على. فقال النبى: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقال أبان بن عثمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين فقتله (٢).

وأما أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فهو ابن عم الرسول ورضيعه، وكان المأمول أن يكون رده الرسول وظهيره وعونا له على نائبات تنوب وأحداث تقع، ولكنه تسعر عداوة للرسول وحقدا عليه بعد أن أعلن دعوته وأخذ فى هجائه حتى اضطر حسان إلى أن يهجوه هجاء مقذعا ثم أسلم عام الفتح وشهد حنينا فأبلى فيها بلاء حسنا (١).

من شعر حسان فيه:

وإن سنام المجد من آل هاشم
بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منكم
كرام ولم يلحق عجائزك المجد
وإن امرءا كانت سمية أمه
وسمراء مغلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط فى آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ولهذا البيان الذى يوجع ويصدع ويأخذ عليهم منافذ القول فيخرسهم يقول النبى صلى الله عليه وسلم أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى (٢).

ومن شعر حسان فى الرد عليه:

ألا أبلغ أبا سفيان عنى
فأنت مجوف نخب هواء
بأن سيوفنا تركتك عبدا
وعبد الدار سادتها الإماء

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢١٢.
(٢) ص ١٢٣ المصدر نفسه.

(١) ص ٢٠٦ نفس المصدر.
(٢) ج ٤ ص ١٤٣ الأغانى.

هجوت محمداً فأجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركاً براً حنيفاً
أمين الله شيمته الوفاء
فإن أبى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء

فوقف حسان هنا موقف المدافع الذى يتقى الضربة ويحترس من أن تنال منه الطعنة، وهو يقى الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ووالده وجده (وعند الله فى ذاك الجزاء) وهو جزاء يوفى بغير حساب.

ويروى أبو الفرج الأصفهانى[1] (لما كان عام الأحزاب وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً قال النبى صلى الله عليه وسلم: من يحمى أعراض المسلمين؟ فقال كعب: أنا يا رسول الله، وقال عبد الله بن رواحة: أنا يا رسول الله. وقال حسان بن ثابت: أنا يا رسول الله. فقال: نعم. أهجهم أنت فإنه سيعينك عليهم روح القدس.

ولقد أسلم أبو سفيان عام الفتح، ومن شعره بعد إسلامه قوله:

لعمرك إنى يوم أحمل راية
لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله
فهذا أوان حين أهدى واهتدى
هدانى هاد غير نفسى وقادنى
إلى الله من طردته كل مطرد

وقد قال له الرسول صلى الله عليه وسلم حين سماعه هذا البيت أنت طردتنى كل مطرد؟ يردد ذلك كأنه ينكرها[1].

وكان لابن الزبعرى أشعار كثيرة فى هجاء المسلمين والتحريض عليهم والنيل منهم. ومن ذلك قوله فى يوم أحد:[2]

كل بؤس ونعيم زائل
وبنات الدهر يلعبن بكل
والعطيات خساس بيننا
وسواء رمس مثر ومقل
ليت أشياخى ببدر شهدوا
ضجر الخزرج من وقع الأسل
حين ألقت بقناة بركها
واستحر القتل فى عبد الأشل
فقبلنا النصف من ساداتهم
وعدلنا مثل بدر فاعتدل

وحسان بن ثابت يرد عليه هذا الفخر وينقضه ويذكره بيوم بدر. وقد قتلوا من

(١) ج ٤ ص ١٤٥ الأغانى.

(١) ص ٢٠٦ طبقات الشعراء.
(٢) نفس المصدر ص ١٩٩، ٢٠٠.

سادتهم سبعين وأسروا سبعين وشدوا عليهم شدة صادقة .

حتى ولوا على أعقابهم ضلالا وهربا فى الشعب أشباه الأبل . .

ذهبت يا ابن الزبعرى وقعة
كان منا الفضل فيها لو عدل

ولقد نلتم ونلنا منكم
وكذاك الحرب أحيانا دول

إذ شددنا شدة صادقة
فاجأناكم إلى سفح الجبل

إذ تولون على أعقابكم
هربا فى الشعب أشباه الرسل

نضع الخطى فى أكتافكم
حيث نهوى عللا بعد نهل

فسدحنا فى مقام واحد
منكم سبعين غير المنتخل

وأسرنا منكم أعدادهم
فانصرفتم مثل إفلات الحجل

وقد أسلم ابن الزبعرى بعد ذلك ومدح النبى صلى الله عليه وسلم فأحسن ومن قوله فيه (١) .

يا رسول المليك إن لسانى
راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجارى الشيطان فى سنن الغى
ومن مال ميله مبثور

آمن اللحم والعظام بما قلـ
ـت فنفسى الفدا وأنت النذير

وإن اعتذاره هذا لتبدو فيه الحسرة والأسى على ما فرط منه . وهو حين يعلن عن إسلامه يصرخ بأن كل ما فيه من قد اللحم والعظام كلها آمنت وهو الفداء للنذير الذى يقوم بأمر ربه .

ويقول أيضا ، حين بلغه لوم الرسول له فبات ليالى نابغية كأنه محموم :

منع الرقاد بلابل وهموم
والليل معتلج الرواق بهيم

مما أتانى أن أحمد لامنى
فيه فبت كأننى محموم

يا خير من حملت على أوصالها
عيرانة سرح اليدين رسوم

إنى لمعتذر إليك من الذى
أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم

أيام تأمرنى بأغوى خطة
سهم وتأمرنى بها مخزوم

فاغفر فدى لك والدى كلاهما
ذنبى فإنك راحم مرحوم

وعليك من أثر المليك علامة
نور أضاء وخاتم مختوم

مضت العداوة وانقضت أسبابها
ودعت أواصر بيننا وحلوم

* * *

وكان هبيرة بن أبى وهب المخزومى شاعرا من رجال قريش المعدودين . وكان شديد العداوة لله ولرسوله فأخمله الله ودحقه (١)

---

(١) نفس المصدر ص ٢٠٢

(١) أبعده وطرده حتى صار الناس لا يبالون به .

وله شعر كثير وحديث (١) وهو الذى يقول فى يوم أحد :

قدنا كنانة من أكناف ذى يمن
عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أنى تذهبون بنا
قلنا النخيل فأموها وما فيها

وقد ناقضه ورد عليه فى هذه القصيدة حسان بن ثابت بقوله :

سقتم كنانة جهلا من عداوتكم
إلى الرسول لجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية
فالنار موعدها والقتل لاقيها
أنتم أحابيش جمعتم بلا نسب
أئمة الكفر غرتكم طواغيها
هلا اعتبرتم بخيل الله إذ لقيت
أهل القليب ومن أردينه فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن
وجز ناصية كنا مواليها

ولله در حسان بن ثابت فقد كان اللسان الصوال والمدره القوال للدعوة ينافح عنها ويقف دونها وينصر الرسول بلسانه ، وكان يواجه به الفحول ويعارض الوفود .

يروى أبو الفرج الأصفهانى (٢) أنه قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلا ، وفيهم الأقرع ابن حابس والزبرقان بن بدر وعطارد ابن حاجب وقيس بن عاصم وعمر بن الأهتم وعيينة بن حصن ، فدخلوا المسجد ووقفوا عند الحجرات ونادوا بصوت عال جاف : اخرج إلينا يا محمد . فقد جئنا لنفاخرك وقد جئنا بخطيبنا وشاعرنا فخرج إليهم فجلس وقام الأقرع بن حابس فقال : والله إن مدحى لزين وإن ذمى لشين . فقال : ذلك الله . فقال : أنا أكرم العرب . فقال صلى الله عليه وسلم أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم . فقال : ائذن لشاعرنا وخطيبنا فأذن وقام شاعرهم الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا
منا الملوك وفينا يؤخذ الربع
تلك المكارم حزناها مقارعة
إذا الكرام على أمثالها اقترعوا
ونحن نطعم عند المحل ما طعموا
من العبيط إذا لم يظهر القزع

فافتخر بفضائل جاهلية أبطل بعضها الإسلام كأخذ ربع الغنيمة للرئيس دون أصحابه ويسمى ذلك المرباع ، كما افتخر بالغنى والكرم الذى يعتمد على التكبر والاستعلاء .

وأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان فناقضه وبذه بقصيدته الرائعة :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع

---

(١) ص ٢١٥ طبقات الشعراء .

(٢) الأغانى جـ ٤ ص ١٤٦ .

يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

فمدار الفخر عند حسان يدور على ما حبا الله به المهاجرين والأنصار من تبليغ الشريعة وبيان السنة التى يرضاها المتقون ويطمئن إلى شرعها المؤمنون. وقد كشف حسان عن واقع المسلمين ووصف حالهم التى عرفها العرب جميعا، وبين أنهم إذا حاربوا ضروا العدو وإذا أرادوا نفع الأشياع قدروا على النفع، وأن ما أعطبوه لا يستطاع إصلاحه وما أصلحوه لا يقدر واحد على إضعافه، فإذا نال بعض الناس هذه الصفات (فكل سبق لأدنى سبقهم تبع) ثم هم أعفاء قانعون لا يزرى بهم طمع ولا يضنون بفضلهم عن الجار وإذا حاربوا لا يفرحون لهزيمة العدو ولا يجزعون إن أصيبوا ثم يتوجه إلى خصمه فى قوة واعتداد.

فإن فى حربهم فاترك عداوتهم
سما يخاض عليه الصاب والسلع

أكرم بقوم رسول الله قائدهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع

وهو يكشف القوة التى أعانته على المدح فهو يحمل قلبا مؤمنا محبا وقد آتاه الله لسانا قوالا صارما.

أهدى لهم مدحى قلب يؤازره
فيما أراد لسان حائك صنع

فإنهم أفضل الأحياء كلهم
إن جد بالناس جد القول أو شمعوا

وقام عطارد بن حاجب فقال:

أتيناك حتى يعلم الناس فضلنا
إذا إجتمعوا وقت احتضار المواسم

بأنا فروع الناس فى كل موطن
وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

ورد عليه حسان بقوله:

منعنا رسول الله إذ حل بيننا
على كل باغ من معد وراغم

هل المجد إلا السؤدد العود والندى
وجاه الملوك واحتمال العظائم

فقال الأقرع بن حابس: والله إن هذا الرجل لمؤتى له [1]. والله لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا ثم أسلموا، وأقاموا عند النبى صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويتفقهون فى الدين.

فالبيان القوى المؤثر والمنطق الصائب الجذل وحسن التأتى للأمور بالقول البارع جعل هؤلاء الذين جاءوا مفاخرين ووفدوا مكاثرين يذعنون للحق ويدخلون فى دين الله راضين مطمئنين.

ولقد أوتى حسان رضى الله عنه كما أوتى غيره من شعراء الإسلام القدرة البارعة على حسن البيان ومقارعة الخصوم فانتصروا للحق حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا ؟

عبد الحميد محمود المسلوت

---

(١) أى مسهل له وميسر فى أمره.

خفايا فى زوايا اللغة والأدب

للأستاذ على السباعى

– ٣ –

١٦ — بدا فى المعاجم بدا يبدو بدواً : ظهر ، وتبدى أقام فى البادية ، وتبادى تشبه بأهل البادية ، ولم تذكر تبدى بمعنى ظهر ، لخطأ بعض المعاصرين شاعر مصر الكبير المرحوم حافظ بن إبراهيم حين وصف الشمس فقال :

لاح منها حاجب للناظرين
فنسوا بالليل وضاح الجبين
ومحت آيتها آيته
وتبدت فتنة للعالمين

ولكن جاء فى شعر عمرو بن معدى كرب فى الحماسية ٣٤ ص ٤٢ ج ١ :

وبدت لميس كأنها
بدر السماء إذا تبدى

وفى شعر سعد بن مطرف المجاشعى إلى ابنة عم له كان يهواها فى الأمالى ج ١ ص ٢١٥ :

حاش لله أن أكون خليا
من هواه وقد تقطعت وجدا
كيف لا كيف عن هواه سلوى
وهو شمس الضحا إذا ما تبدى

فتبدى بمعنى وضح وظهر ظهر عند الشاعرين وإن فات المعاجم تدوينه لاتساع اللغة وتفرق مظانها عند جمعها .

١٧ — بذح قال المصباح (بذحت الشىء بذحا من باب نفع شققته ، والصواب كما فى اللسان (بذح) بالذال المعجمة والحاء المهملة وانظره فى (بدح ، وبذح) فقد نقل عن التهذيب (بذح لسان الفصيل بذحا : فلقه وشقه لئلا يرتضع) ثم قال الأزهرى (وقد رأيت من العربان من يشق لسان الفصيل اللاهج بثناياه وهو الأحزاز عند العرب) ، فى عبارة اللسان المطبوعة تحريفان عن المخطوطة أو المصورة التى فيها الرعيان بدل العربان والأجرار بدل الأحزاز ، وإنا لنعرف منذ الدراسة أن العربان جمعاً للعرب لم يرد ، وقد استبدل أستاذنا الاسكندرى رحمه الله حين كنا نشرح خطبة طارق بن زياد (وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا) بعربان عزبانا جمع عزب ، ولكنا لم نجد فى المعاجم أيضا

عزبانا ، فرجعت إلى كتب الصرف فألفيتها تقول (يكثر فعلان فى اسم على فعل صحيح العين وليست هى ولامه من جنس واحد) وحفظت من المعاجم هذه الكلمات : أقط فى إحدى لغاته وأقطان ، وبلد وبلدان ، وحبش وحبشان ، وحدث : شاب فتى ، وحدثان ، حمل وحملان ، وخشب وخشبان وذكر وذكران (فى القرآن) ، وذهب وذهبان ، وسلق . قاع مطمئن ، وسلقان ، وعلم : ما يوضع من العلامات لسالكى الدروب فى الفلوات وعلمان ، وليس هذا الجمع معجميا وإنما أخذته من قول حميد الهلالى ص ٩٢ :

أقول وقد حال الأجارع دونها
وغيبها علامه وأباهره

وفرق : مكيال معروف فى المدينة يسع ستة عشر رطلا وفرقان ، وفلق : مطمئن من الأرض وفلقان ، ولحم لغة فى لحم ولحمان ، ونعم ونعمان ، ووزغ : سام أبرص ووزغان ، وخلق : ثوب بال وخلقان .

ألا يسع مجمعنا الموقر أن يضيف إلى هؤلاء عرب وعربان ، وعزب وعزبان مستنداً إلى قرار الصرفيين السابق وتسهيلا للمتعربين والمستعربين ؟

١٨ — برنيق : جاء فى المزهر للسيوطى ج ٢ ص ١٤٥ . برنيق : ضرب من الكمأة ونقل اللسان عن المحكم أنها صغار سود وجعل المزهر الكلمة من باب فعيل وما أراها كذلك وإنما هى فعنيل ولو كان لها فعل رباعى (برنق) لكان وزنها فعليل .

١٩ — البازى : قال فى المعجم الوسيط : البازى ضرب من العصفور وهذا بغير شك خطأ مطبعى صوابه : ضرب من الصقور ويترجم للبازى فى بابين (بزا) و (بوز) ومن أجل ذلك اختلفت لغاته ووزنه فهو باز وبأز وباز وبازى ويجمع على أبوزة وبيزان ، وبزاة وبوازى ووزنه من بزا فلع ومن بوز فعل .

٢٠ — بسل الفعل فى المعاجم بسل يبسل بسولا وبسالة : شجع فهو بسيل وباسل والجمع بسلاء وبسل ولم يجىء فى المعاجم بواسل : كفوارس وهوالك ونواكس ، فأنكرها المعاصرون : اليازجى فى لغة الجرائد والأستاذ بشر فارس فى المقطم ونقد الأخير شاعرنا العظيم الموهوب المرحوم أستاذى على الجارم فى قوله مؤبنا ملك العراق المرحوم غازى الأول :

طرحنا رداء اليأس عنا بواسلا
وإن هزنا يوم الفراق وإن أدا

ولكنى وجدت الجمع فى قول باعث بن صريم اليشكرى فى الحماسية ١٧١ ص ١٤٩ من الحماسة ج ١ .

وكتيبة سفع الوجوه بواسل
كالأسد حين تذب عن أشبالها

وفى قول الزفيان السعدى ص ٩٣ ج ٢ من مجموعة أشعار العرب لوليم بن الورد :

يحملن أسد الزأرة البواسلا
مدرّعين للوغى سرابلا

يعنى خيلا تحمل فرسانا بواسل شجعان كأسد الأجمة قد لبسوا للحرب لباسها ، وقد وقفت على جموع لفاعل وصف لمذكر عاقل تبطل قول النحويين بشذوذ الفارس مع ماثلة فى قول ابن مالك - : فواعل لفوعل وفاعل وفاعلاء مع نحو كاهل .

وحائض وصاهل وفاعلة
وشذ فى الفارس مع ما ماثله

فمن ذلك - :

١ — رافد وروافد فى قول ضمرة بن ضمرة فى المفضلية - ٩٣ -

وطارق ليل كنت حم مبيته
إذا قل فى الحى الجميع الروافد

ورافد : معط أو معين .

٢ ، ٣ — غائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، قال عتبه بن الحارث لجزء بن سعد فى الخزانة ج ١ ط السلفية ص ١٩١

أحامى عن ديار بنى أبيكم
ومثلى فى غوائبكم قليل

فقال جزء نعم وفى شواهدنا فجمع جزء شاهدا وجمع عتبه غائبا .

٤ ، ٥ — سابح وسوابح وضابح وضوابح وكلاهما من يرفع صوته بالقراءة وبهما جاء بيت أبى طالب :

فإنى والسوابح كل يوم
وما تتلو السناسرة الشهور

يروى والضوابح ، السناسرة : أصحاب الأسفار ، الشهور : العلماء ويروى بدلها الشهود .

٦ — ساقط : لئيم رذل وسواقط قال أوس بن حجر :-

زعم ابن سلمى مرارة أنه
مولى السواقط دون آل المنذر

٧ — فارط وفوارط : قال الزبرقان ابن بدر ص ٢٣ فى الأضداد لابن الانبارى

وردت بأفراس عتاق وفتية
فوارط فى أعجاز ليل معسعس

٨ — غامض : فاتر من الرجال عن الحمل وغوامض قال أبو محمد الفقعسى :

والغرب غرب بقرى فارض
لا يستطيع جره الغوامض

٩ — قابس : يقبس الخير ويعلمه الناس وقوابس قال المرقش الأكبر فى المفضلية ٤٧

تركت بها ليلا طويلا ومنزلا
وموقد نار لم ترمه القوابس

١٠، ١١ — حاز وحواز وكاهن وكواهن : فى تفسيرا ابن الانبارى - وهو حجة - قول أفنون التغلبى فى المفضلية ٦٥ :

ألا لست فى شىء فروحاً معاويا
ولا المشفقات إذ تبعن الحوازيا

قال ابن الأنبارى واحده حاز وواحد الكواهن : كاهن ولم تذكر المعاجم الجمعين .

١٢ — ناجع ونواجع : فى البيان والتبيين جـ ٣ ص ٨٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هرون قال الوزيرى :

وأعلم أننى سأصير ميتا
إذا سار النواجع لا أسير

ويروى فى الأساس (نجع) :

.... سأصير رمما إذا انتجع ....

١٣ — سابق وسوابق قال بشامة بن حزن النهشلى فى الحماسية ١٥ ص ٢٢ :

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة
تلق السوابق منا والمصلينا

١٤ — خالف وخوالف : قال تعالى فى آية ٨٧ من التوبة « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » وقال المفسرون والمعاجم : جمع خالفة أو خالف وأميل إلى الأخير لأن قبل آية الخوالف « فاقعدوا مع الخالفين » ، ٨٣ من السورة نفسها ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،

١٨ — ناكس ونواكس ، وفارس وفوارس ، وهالك وهوالك ، وخاطئ وخواطئ .

شاهد ناكس ونواكس قول الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضع الرقاب نواكس الأبصار

وشاهد فوارس قول المنخل اليشكرى :

وعلى الجياد المضمرا
ت فوارس مثل الصقور

وشاهد هوالك قول جذل الطعان :

فأيقنت أنى عند ذلك ثائر
غداة إذ أو هالك فى الهوالك

وشاهد خواطئ قولهم فى المثل : (مع الخواطئ سهم صائب) كما فى الأمثال للعسكرى ، أما رواية الميدانى فتحتمل أن تكون الخواطئ جمع خاطئة (من الخواطئ سهم صائب) .

ووقفت على جموع أخرى لم أعثر على شواهد لها من ذلك :

١ — صاحب وصواحب عن المصباح (فرس) نقلا عن ابن القطاع .

٢ — حاسر وحواسر نقلا عن المخصص جـ ٦ ص ٧٩

٣ — عاجز وعواجز عن القاموس (عجز) لغة هذيل .

٤ — حارث وحوارث عن اللسان (حرث) وفيه قال سيبويه ومن قال حارث قال فى جمعه حوارث حيث كان اسما خاصا كزيد فافهم يعنى أنه ليس من الباب لأنه علم لا صفة.

٥، ٦، ٧، ٨ فى الخزانة ط السلفية جـ ١ ص ١٩٢ نقلا عن شرح أدب الكاتب للجواليقى حارس وحوارس وحاجب وحواجب من الحجابة وقولهم (أنا وحواج الله ودواجه) جمع حاج وداج: معين أو مكار وفى شرح شواهد الشذور للفيومى عند شرح شاهد الفرزدق السابق.

٩ — خاشع وخواشع.

١٠ — وفى اللسان (قرا) قار: متتبع أو شهيد ومنه الحديث الناس قوارى الله فى أرضه أى شهداء.

١١ — ناكس: أحجم فهو محجم ونواكس.

وقد رأيت فى اللسان (بزل) والمخصص فى أسنان الأبل عن سيبويه وابن سيده أنهما أجريا بازل على بوازل لتقديرهما بازل ببازلة وما أظن أنا فى حاجة إلى هذا الإجراء لأن (صاهل وكاهل) مما هو لغير العاقل لا يحتاجان إليه فتقديرهما غير مستو ولا مستقيم.

وبعد، فإنا ننتظر رأى المجمع الموقر فى هذا الجمع بعد أن جاء السماع بثلاثين منه فصيحة واضحة.

«يتبع»

على السباعى

(اللغة العربية تتحدث عن نفسها)

قال المرحوم حافظ إبراهيم:

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى به وعظات

ثم يقول:

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

طريقة القرآن فى الدعوة والإقناع (*)

للأستاذ أحمد مصطفى

— ٤ —

(ج) ولم يغفل القرآن فى هذا المجال طريقة الملاحظة العلمية التى تؤدى إلى تعرف الأسباب الكامنة وراء الظواهر والآثار ، فلفت النظر إليها ، وطالب بفهمها فى آيات كثيرة نسوق منها قول الله تبارك وتعالى : (١)

« إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » البقرة : ١٦٤ .

« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » . الرعد : ٣ ، ٤

« أولم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون » . النحل : ٤٨

« ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله ، إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » . النحل : ٧٩

« ألم تر أن الله يزجى سحابا ، ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاما ، فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ، فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » .

« يقلب الله الليل والنهار ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار . النور : ٤٣ ، ٤٤

« ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » . الروم : ٢٢ ، ٢٣

---

* تحدثنا فى المقالين السابقين عن عنصرين من عناصر الفلاح فى طريقة الدعوة ، هما :

(أ) مراعاة الطبيعة البشرية وما جبلت عليه من ميول .

(ب) استخدام المنطق فى تفنيد الشبه وإقامة الأدلة .

(١) من غير الممكن استيعاب الآيات المتصلة بهذا الموضوع ، وقد حاولنا فى اختيار الآيات المذكورة هنا أن تكون شاملة لأنواع الظواهر التى لفت القرآن أنظارنا إليها .

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » . الروم : ٢٣

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور » .

فاطر : ٢٧ ، ٢٨

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ، فإذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » . يس : ٣٧ - ٤٠

(د) ومن الأساليب التى عنى القرآن بها فى توجيه الدعوة ومحاولة الاقناع ، الأسلوب التلقينى وسوق القضايا على أنها مسلمة لا تحتاج إلى دليل ، ولا تحتمل مناقشة . وهو أسلوب له أثره عندما تزاح الأغشية التى صنعها أصحاب المصالح ويخلى بين الناس وبين الحق السافر الواضح ، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تقرر الحقيقة وتذكر بالنعمة وتطالب بالشكر فى صورة الإيمان بالله وأتباع هديه نسوق منها قول الله تبارك وتعالى :

« يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » . البقرة : ٢١ - ٢٢

« إن الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فأنى تؤفكون . فالق الاصباح ، وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم » . الأنعام : ٩٥ - ٩٦

« الله الذى خلق السموات والارض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ماسألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ... » . إبرهيم : ٣٢ - ٣٤

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا فيها معايش ومن لستم له برازقين . وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لواقح ، فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين . وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون » .

الحجر : ١٩ ، ٢٣

« وهو الذى مرج البحرين ، هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما برزخا وحجراً محجورا . وهو الذى خلق

من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا » . الفرقان : ٥٣ ، ٥٤

« الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم القدير » . الروم : ٥٤

« يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز » . فاطر : ١٥ - ١٧

« إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون » . يس : ٨٢ - ٨٣

« لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، إنه عليم قدير » .
الشورى : ٤٩ ، ٥٠

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد .
سورة الاخلاص

(هـ) ومن الطرق التى استخدمها القرآن فى الدعوة والإقناع . ولفت إليها النظر فى أكثر من موضع ، الاحتكام إلى التاريخ ، إما لإثبات خطأ وقع فيه بعض المجادلين كقول الله سبحانه رداً على اليهود والنصارى عند ما ادعى كل فريق أن إبراهيم عليه السلام كان منهم :

« يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ، أفلا تعقلون » . آل عمران : ٦٥

وإما لإثبات صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن طريق ما أخبر به من قصص لم يحضر أحداثه ، ولم يكن فى زمانه ، ومن ذلك قصة مريم التى قال الله بعد الانتهاء منها :

« ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون » آل عمران : ٤٤

ومن ذلك أيضا قصة يوسف عليه السلام مع اخوته ، وقد جاء تعقيباً عليها :

« ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » يوسف : ١٠٢

ومنه قصة موسى عليه السلام ، وقد اتبعها قول الله تبارك وتعالى :

وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين .

ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ، ولكنا كنا مرسلين .

وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » القصص ٤٤ : ٤٦

(يتبع) أحمد ابراهيم مهنا

ما يقال عن الإسلام

الفقه الإسلامي

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

الفقه الإسلامي أكثر العلوم بعدا عن التأثر بالثقافات الأجنبية، وبخاصة الفلسفة اليونانية ولذلك يقال إن علم الكلام ، والتصوف ، والفلسفة قد تأثرت تأثراً شديداً بعلوم اليونان والفرس والهند والأفلاطونية المحدثة ، بل إن علم النحو العربي نفسه فيما يقال قد تأثر أيضا بالنحو اليوناني ، وكذلك علم العروض أما الفقه الإسلامي فقدظل زمانا طويلا حتى تكونت مذاهبه في القرن الثاني ، إسلاميا محضا ، وسر ذلك أنه يعتمد على القرآن وعلى السنة المبينة للكتاب ، طبقا للحديث المشهور حين أرسل النبي عليه السلام معاذ بن جبل إلى اليمن ،فقال له : بم تحكم يا معاذ ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال : اجتهد رأيي ، قال النبي : الحمد لله الذى وفق رسول رسوله إلى ما يرضاه .

كان ذلك في عصر النبي ، والاحكام تنزل قرآنا ، وتشريعا واجبا الأخذ به، فإن كانت الشرائع عامة فصلها النبي ، الذى لا ينطق عن الهوى ، بحديث أو بسنة ، أي بعمل النبي عليه السلام ، ومع ذلك فكانت ثمة طائفة من الأحكام ، لا تحتاج إلى وحي سماوي من كتاب ، ولا قدوة نبوية من عمل الرسول ، لأنها تتعلق بأمور الدنيا البحتة ، وهذه يرجع الأمر فيها إلى الخبرة والتجربة ، والإجتهاد بالرأي ، والمشورة بين المسلمين لإختيار الأصلح ، مثل تلقيح النخيل ، وحفر الخنادق في الحرب وغير ذلك مما هو مشهور .

من أجل ذلك رأى المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقد جمع بين الثقافتين ، وكان أستاذا في الجامعة المصرية ، وانتهى به الأمر إلى ان يكون شيخ الأزهر ، أن الفكر الإسلامي الأصيل ينبغي أن يلتمس في الفقه لا في علم الكلام أو التصوف أو الفلسفة ، وأعلن ذلك الرأي في كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » .

وهذا هو رأى الأستاذ جورج هنرى بوسكيه الذى كان استاذا في كلية الحقوق والاقتصاد بجامعة الجزائر ، أعلنه في كتابه

« الفقه الإسلامى Le Droit Musulman » الصادر سنة ١٩٦٣ وفى ذلك يقول فى استهلال الفصل الأول : إنه فى مقابل علم التوحيد فى الإسلام نجد علما تطور تطورا كبيرا هو علم الشريعة ، الذى يبين للمسلمين ما يجب العمل به لا ما ينبغى اعتقاده ، هـــذا العلم بالواجبات يسمى الفقــه ، الذى يتميز به بلا مدافع الإسلام أكثر مما يتميز به علم الكلام أو التصوف ، إنه زبدة الإسلام و « نخاعه » بحسب عبارة شاخت » .

والكتاب فريد فى نوعه ، فهو يذيعه فى أبنـاء قومه الناطقين باللسان الفرنسى وأغلبهم يجهلون الفقــه الإسلامى ، فكان لا بد له من أن يوازن بين ما يجرى عندهم من فرائض القانون ، ومبادىء الحقوق والواجبات ، وما يجري فى الإسلام من فقه . ويمكن أن يعد الكتاب من أجل ذلك بحثا فى الفقه المقارن .

ولكن للكتاب صفة أخرى هامة ، هو عنايته بالتحليل الإجتماعى والنظر فى أحوال الجماعات الإسلامية التى نشأ فيها الفقه وكان يطبق عليها .

هذا فضلا عن إخضاع كتب الفقه الإسلامية للمناهج الحديثة ، فى التقسيم ، والتبويب ، والترتيب .

وكان المؤلف يعيش فى بيئة شمال إفريقية التى تتبع مذهب مالك ، ولهذا السبب كانت معرفته به وثيقة ، وقد نقل إلى الفرنسية مختصر أبى شجاع فى فقه مالك ، وهو متن متأخر ، كما نقل فى كتاب خاص كثيرا من النصوص وسمى الكتاب « الفقه من النصوص » وليس معنى ذلك أنه يجهل المذاهب الأخرى ، ولكنه قل أن يشير إليها ، وجل اعتماده على المالكية .

و (الفقه) اصطلاح إسلامى يصعب نقله إلى اللغات الأجنبية ، ولذلك نجد كثيرا من المستشرقين يستعملونه كما هو « Fikh » والمصطلحات الآتية وهى بالفرنسية ، لها معنى مختلف ، فالقانون Loi ، والشريعة Loi Divine والحق Droit . ومن هنا سميت الكلية التى يدرس فيها القانون ، كليـــة الحقوق ، وهى تسمية فرنسية ، Faculté de Droit أما التسمية الإنجليزية فهى كلية القانون Faculty of Law .

* * *

من المفيد استعراض هذا التاريخ منذ نشأته فى عصر الرسول ، حتى استقر الفقه اصطلاحا . فالقرآن تشريع سماوى ، وما نزل فيه من أحكام يتعلق بعضه بكيفية العمل ، وبعضه الآخر بالعقائد . ولم يكن ثمة تمييز فى العصر الأول بين عقيدة وشريعة ، ولكن لم يكد القرن الأول يأتى على نهايته حتى انفصل علم الشرائع والأحكام ،

عن علم الكلام ، أو علم التوحيد والصفات . ولم يكن الصحابة والتابعون فى حاجة إلى تدوين هذين العلمين ، لقرب عهدهم من الرسول ، فكانوا يرجعون إليه ، أو يرجعون إلى صحابته بعد وفاته ، ولم تكن رقعة الإسلام قد اتسعت واشتدت الحاجة إلى أحكام جديدة تبعا للظروف الجديدة التى واجهها العرب .

وقد قرر عمر بن الخطاب كثيراً من الأحكام بعد الانتصار على الفرس والروم ، وكان عمر نافذ البصيرة ، متماصرح الإسلام على الأصول الشرعية ، فكان تشريعه وفتاواه أساساً صالحاً اقتدى المسلمون به بعد .

حتى إذا جاء عصر التدوين ، وكثرت الفتاوى ، ورجع الناس إلى العلماء فى المهمات ، واشتغل العلماء بالنظر والاستدلال والاستنباط ، وتمهيد القواعد والأصول ، وظهرت الاصطلاحات ، وكثرت المسائل والشبه والاختلافات ، سمى ما يفيد معرفة الأحكام العملية عن أدلتها التفصيلية بالفقه ، ومعرفة أحوال الأدلة إجمالا فى إفادتها الأحكام بأصول الفقه .

وقد تم هذا التدوين فى أوائل العصر العباسى ، وظهر الأئمة الأربعة الكبار : أبو حنيفة ولد بالكوفة سنة ٨٠ ، وتوفى ببغداد ١٥٠ ، ومالك بن أنس ولد بالمدينة وتوفى بها (٩٣ — ١٧٩) ، وهو صاحب الموطأ (عبارة عن أحاديث مرتبة على أبواب الفقه) ، وممن أذاع مذهبه أسد بن الفرات صاحب المدونة فى فقه مالك .

ثم محمد بن إدريس الشافعى توفى بمصر سنة ٢٠٤ ، حفظ الموطأ وعرف مذهب الرأى الحنفى ، ومذهب الحديث لمالك ، وهو صاحب كتاب الرسالة المشهور ، توسط فيه بين أبى حنيفة ومالك .

والرابع أحمد بن حنبل ولد ببغداد ١٦٤ هجرية وتوفى بها سنة ٢٤١ . وكان متمسكا بالكتاب والسنة ، ويرجع بعد ذلك إلى فتوى الصحابة ، ويقدم المصالح المرسلة على القياس الذى يعده أضعف الأدلة ، وقد أحيا مذهبه ابن تيمية فى القرن الثامن الهجرى وتلميذه ابن قيم الجوزية ، والمذهب منتشر اليوم فى الحجاز .

ولا يفوتنا أن نذكر المذهب الجعفرى فى فقه الشيعة ، لأنه أيضا من المذاهب المهمة ، ولكن هذا المذهب لا يعتمد إلا الأحاديث المروية عن على ، وهى فى جملتها لا تختلف عن الأحاديث التى يرويها أهل السنة .

كل ذلك تاريخ مضى زمانه ، فقد طرأ على الفقه الإسلامى تطور فى العصر الحاضر نجمله فى ثلاثة أمور أساسية :

الأول : عدم التقيد بمذهب معين ،

وقد بدأت مصر بذلك منذ زمن ، فأصدرت مصر كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة) ، وها نحن نرى أن المؤلفات الحديثة أصبحت تضم المذهب الجعفرى أيضاً ، ولو أن الأستاذ بوسكيه لم يفعل ذلك لسبب بسيط هو اقتصاره على مذهب مالك .

والثانى : فتح باب الاجتهاد ، بعد أن ظلت المذاهب الأربعة التقليدية متبعة أكثر من ألف عام .

والثالث : أخذ بعض الدول العربية والإسلامية بالتشريع الأوربى وهجر الفقه الإسلامى . ومن هذه الدول الجمهوريات الإسلامية فى روسيا ، وذلك بعد الثورة الروسية سنة ١٩١٧ ، وتركيا سنة ١٩٢٦ التى اصطنعت القانون السويسرى ، فيما عدا تحفظات بسيطة ، ثم ألبانيا . أما مصر فقد اصطنعت القانون المدنى والجنائى الفرنسى ، وأبقت على قانون الأحوال الشخصية بحسب الفقه الإسلامى ، وألغت المحاكم الشرعية أخيراً . ووحدت المحكمة .

ولما كان الأستاذ بوسكيه يبحث الفقه الإسلامى على أساس اجتماعى فلا عجب أن يتطرق إلى وصف نظام التقاضى ، وهيئة المحكمة ، وتعيين القضاة ، وسبل الإجراءات مما يجرى عادة فى المحاكم الحديثة المدنية ، وهذا الباب متفرق فى كتب الفقه وغيرها ويصعب جمعه ، وهذا مافعله الأستاذ بوسكيه مع المقارنة بما يجرى العمل به فى فرنسا . يقول ما فحواه : إن تشكيل المحكمة فى غاية البساطة ولذلك فهو شديد الاختلاف عن المعروف لدينا ، لأن الفقه لا يعرف سوى محكمة واحدة يرأسها قاض واحد ، فلا يوجد إذن هناك درجات مختلفة من المحاكم كما هو الحال عندنا (يريد فى فرنسا) . ولا توجد كذلك هيئة محكمة . بل يحكم القاضى منفرداً دائماً ، على نقيض المبدأ الفرنسى . ولا يوجد كذلك تمييز فى الأحكام ما دامت المحكمة واحدة . وليس هناك طبقات متميزة فى الإسلام . وأخيراً فلا يوجد سوى قاض واحد لكل ولاية ، اللهم إلا إذا اضطرت الضرورة لتعيين أكثر من قاض ، وللقاضى مطلق السلطة فى إصدار الأحكام مدنية كانت أم جنائية ، وبغير استئناف إن سلطاته القضائية كانت من أجل ذلك غير محدودة ، وله إلى جانب ذلك سلطات أخرى فوق سلطته القضائية فله حق الإشراف على ثروة اليتامى ، والمحجور عليهم ، والنظر فى الحبوس ، وتوزيع التركات ، وعقد النكاح وغير ذلك .

والقاعدة المشهورة فى الإثبات هى : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » .

وبعبارة أخرى إن صاحب القول الضعيف عليه بإقامة الدليل لإثباته ، وصاحب القول القوى يعززه باليمين ، والفرق بين هذا الفقه الإسلامى والقانون الفرنسى أن أوثق الأدلة فى القانون الفرنسى هو الاعتراف المكتوب والوثائق المادية ، وإن قبل الدليل بشهادة الشهود ، فلا عبرة باختلاف الجنس أو عدد الشهود ، وإنما العبرة بالقيمة الذاتية للشهادة ، أما فى الفقه فالاعتبار الأول لشهادة الشهود ، على حين أن دور الدليل المكتوب ثانوى .

• • •

واتباعا لطريقة الوضوح والمنهجية ، فإن المؤلف ، وبخاصة لأنه أجنبى ، يصنف المصادر التى يرجع الباحث إليها فى دراسته للفقه . ولو أنه لم يضع ثبتا كاملا بهـــذه المراجع ، باعتبار صغر حجم الكتاب وأنه مؤلف للجمهور لا للمتخصصين ، إلا أن هذا الثبت المرتب نافع ومفيد ، ويمكن استكماله على هذا الأساس ، وهذه المراجع بعد القرآن والسنة هى :

١ ـــ كتب الفقه فى عصوره الأولى وهى كتب ليست فى هيئة تعليمية ، وأهميتها ترجع إلى بيان تاريخ الفقه والتشريع ، مثل المدونة لابن القاسم فى فقه مالك ، وكتاب الأم للشافعى .

٢ ـــ الكتب التعليمية والتى يؤخذ بعضها عن بعض ، مثل الرسالة لابن أبى زيد القيروانى ومختصر خليل .

٣ ـــ كتب الاختلاف ، أى بين المذاهب فقد جرت العادة أن يعالج كل مذهب مسائله بطريقته ، وأمثلة كتب الاختلاف بداية المجتهد لابن رشد ، الذى يذكر فى مقدمته أسباب الخلاف .

٤ ـــ كتب الحيل وكتب الورع : الأولى تتحايل على الشرع مع الاحتفاظ بظاهر النص والثانية ـ تذهب على العكس ـ إلى الاحتفاظ بروح النص والتورع عن مخالفة باطن النص .

٥ ـــ كتب العمل : مثل تحفة ابن عاصم وهو كتاب مستخدم كثيراً فى المغرب .

٦ ـــ كتب النوازل والنوادر ، عبارة عن افتراضات شرعية ، مع حلها طبقا لأصول الفقه .

٧ ـــ كتب الفتوى ، عبارة عن رأى كبار الفقهاء فى مسائل بأعيانها .

٨ ـــ كتب خاصة فى القضاء .

٩ ـــ كتب فى السياسة الشرعية ، مثل الأحكام السلطانية للماوردى ، وبه فصل عن القضاء وعن الحسبة .

١٠ ـــ كتب إسلامية عامة تبحث فى الأدب ، بوجه عام ، ومن أهم الكتب الإحياء للغزالى .

على الرغم من أن المؤلف قد أحسن عرض أهم جوانب الفقه، من وجهة نظر الإسلاميين وبعد الرجوع إلى المتون والشروح إما بالعربية وإما المنقول إلى الفرنسية، وعلى الرغم من إحترام المؤلف الواضح للإسلام، على الأقل ظاهرا، إذ كتب التاريخ الهجرى بعد التاريخ الميلادى فى آخر المقدمة (إبريل ١٩٦٢ - ذو القعدة ١٣٨٢) واختتم الكتاب بهذه الآية القرآنية «إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون» سورة النحل بعض آية ٧٤. وقد ذكرها مترجمة Dieu sait et vous ne savez pas غير أنه يمجد المستشرقين، ويذكر أن إهتمامهم بالفقه لم يظهر إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على يد جولد زيهر المجرى، (١٨٥٠-١٩٢٠) وسنوك هرجرونج الهولندى (١٨٥٧ - ١٩٣٦) وقد ظهرت مؤخرا دراسات كثيرة بقلم المستشرقين منها كتاب شاخت (مدخل إلى الشريعة الإسلامية) وغير ذلك. ولعل عذره فى ذلك أنه يكتب لجمهور يقرأ اللغة الفرنسية. وكما ذكر، ليس فى الفرنسية كتاب فى الفقه يمكن الاعتماد عليه، لأنها إما شديدة الإيجاز، وإما مملوءة بالأخطاء.

غير أن النقد الرئيسى الذى نوجهه للمؤلف، هو أنه على الرغم من تأليف كتابه فى ضوء الفقه المقارن، أى بين العالم الإسلامى والغربى، فقد اهتم بالتاريخ، ومر مرورا سريعا بالعصر الحاضر، وبخاصة ما تميز به العالم الإسلامى فى القرن العشرين من فتح باب الاجتهاد. ثم إنه أغفل اغفالا تاما، من جهة أخرى، تأثر الغرب بالفقه الإسلامى. إذ من المعروف أن مذهب مالك الذى كان سائداً فى الأندلس، وفى شمال إفريقية، تسرب إلى أوربا، وبوجه خاص إلى فرنسا حتى إن نابليون عند ما أراد وضع القانون الفرنسى كان متأثرا إلى حد كبير بما جاء فى مذهب مالك، وبخاصة الأصل الخامس، وهو المصالح المرسلة، وما يتفق مع العرف ما دام مستحسنا. واذكر أن المستشار عبد السلام فهمى كتب طويلا فى هـذا الموضوع، الذى توجد فيه أبحاث شتى فى اللغة العربية.

وليس هذا بغريب، ما دام العالم كيانا واحدا، يتأثر بعض أجزائه ببعضها الآخر.

أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيي الدين الألوائي

– ١٦ –

إظهـــار الحـــق

للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي

إن للإسلام فى بلاد الهند تاريخا مجيداً منذ أن وصل صوته إليها، فلم يأل علماؤها المسلمون جهداً فى سبيل نشر الدعـــوة الإسلامية بين الهنود وغيرهم والذود عن مبادئها وتعاليمها الرشيدة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه . فإن طابع الدعوة كان سلبيا يعمد إلى إنقاذ الطبقات الفقيرة والمنبوذة من قسوة النظام الإجتماعى البالى ، فلا عجب إذا اصطدمت هذه الدعوة بأغراض المبشرين الاستعمارية ، ولما استمرت هذه الحالة لم يجد المبشرون الإنجليز بدا من التهجم على الدين الإسلامى الذى يقف عقبة كأداء فى سبيل إتمام غزوهم الثقافى والعقائدى ، وتطاولوا عليه زورا وبهتانا بأن فى الإسلام ضعفاً وتخلفاً ، ومن أهم المسائل التى خاض فيها المبشرون الانجليز فى الهند وتهجموا بها على الإسلام خمس مسائل رئيسية ، وهى :

١ ــ أن القرآن ليس بكلام الله المنزل وأنه كلام محمد بن عبد الله . (عليه الصلاة والسلام) وكذلك تشكيكهم فى طريقة جمعه وتواتره !

٢ ــ إن بعض آيات القرآن منسوخ وأن النسخ دليل على أن القرآن ليس من عند الله لأن أحكامه بهذا قابلة للتعديل والتبديل !

٣ ــ أن دعوى القرآن بأن فى التوراة والإنجيل تحريفاً وأن اليهود والنصارى حرفوا الكلم عن مواضعه ، دعوى باطلة !

٤ ــ إنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء !!

٥ ــ وأخيراً محاولاتهم للبرهنة على عقيدة

التثليث بأن الله ثلاثة - الأب والابن وروح القدس - لكي يضعفوا عقيدة التوحيد التي يؤمن بها المسلمون !

ولما صارت هذه المسائل مثار جدل كبير بين المبشرين وعلماء الإسلام ، واشتد الطعن الشفوي والتلبيس على العامة بأباطيلهم ، وكثرت كتبهم ورسائلهم التي يجرحون فيها الدين الإسلامي ونبيه ويرمونهما بنقائص عديدة ، وخاصة في اللغات الأوردية والفارسية والعربية ، وتكررت ندواتهم في المجتمعات والميادين العامة في أنحاء البلاد ، خشي المصلحون من مسلمي الهند الغيورين الفتنة ، فكان في مقدمة هؤلاء ، مؤلف هذا الكتاب الذي رد على مفتريات وأباطيل هؤلاء المبشرين ، فألف رسائل في اللغات الثلاث المذكورة .

ومن كتبه القيمة في اللغة العربية كتاب « إظهار الحق »[1] وهو يتناول المباحث في المسائل الخمس السابقة ، وجعل كل مبحث في باب مستقل ، وأضاف بابا في بيان وتناول العهدين القديم والجديد من الإنجيل . وذكر المؤلف في مقدمته الظروف والأسباب المحيطة بتأليفه ، حيث قال : إن الدولة الإنجليزية لما تسلطت على الهند تسلطا قويا وبسطت بساط الأمن والنظام في أول الأمر ، وما ظهرت الدعوة من علمائها إلى مذهبهم ، وبعد مدة أخذوا في نشر دعوتهم حتى ألفوا الكتب والرسائل في رد أهل الإسلام ووزعوها في أنحاء البلاد بين العوام ، وشرعوا في الوعظ في الأسواق والميادين العامة ، فلم يلتفت أحد من علماء الهند إلى رد تلك الرسائل ، لكن استفحل أمر المبشرين واشتد نشاطهم ، فعند ذلك توجه بعض علماء أهل الإسلام إلى ردهم ، وإني وإن كنت منزويا في زاوية الخمول ، ولم أكن أهلا لهذا الخطب العظيم . لكني لما اطلعت على رسائل زمرة من العلماء ووصلت إلى مؤلفاتهم ، استحسنت أن اجتهد أيضاً بقدر الوسع والإمكان ، فألفت أولا الكتب والرسائل ليظهر الحال على أولى الألباب .

واستدعيت مرة من القسيس (فندر — الذي كان يعد نفسه أبرع المبشرين في فن المناظرة وأقدرهم على التكلم بالعربية والفارسية) الذي كان عالماً من كبار القساوسة المشتغلين في الهند يومئذ بالطعن والجرح على الملة الاسلامية — كتابة وخطابة — للمناظرة معه في مجلس عام ، فتقررت أن تقع بيننا المناظرة في المسائل الخمسة التي هي أمهات المسائل المتنازع عليها

---

(١) الطبعة الجديدة لهذا الكتاب صدرت في المملكة المغربية عام ١٩٦٤ تحت إشراف وزارة الشئون الإسلامية بها مع إخراج وتحقيق الأستاذ عمر الدسوقي .

بين المسلمين والمسيحيين ، وهى : التحريف، والنسخ ، والتثليث ، وحقيقة القرآن ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم . فانعقدت المناظرة فى محفل مشهور فى بلدة أكبر آباد فى شهر رجب سنة ١٢٧٠ هـ .

وكان بعض الأحبة معينا لى فى هذا المجلس ويعاون القسيس بعض القسيسين ومنهم القس فرنج وابتدأت المناظرة فى مسألة النسخ والتحريف فظهرت الغلبة لنا بفضل الله فى هاتين المسألتين اللتين كانتا من أدق المسائل وأقدمها فى زعم القسيس، كما تدل عليه عبارته فى كتاب : « حل الإشكال » . فلما رأى ذلك سد هذا القسيس باب المناظـــرة فى المسائل الثلاثة الأخرى . (١) ثم سافرت إلى مكة واجتمعت بالعلامة السيد أحمد زينى دحلان ، فطلب إلى أن أترجم إلى اللسان العربى هذه المباحث فى هذه المسائل الخمسة ، ليكون نفعها عظيما وكانت الكتب التى ألفتها فى هذا الباب إما باللغة الفارسية أو باللغة الأوردية وكان سبب تأليفى فى هذين اللسانين ، أنهما منتشر أن بين مسلمى الهند ، وأن القساوسة الوعاظ المقيمين فيها متمكنون فيهما ، سيما القسيس الذى ناظرت معه ، فألفت هذا الكتاب (إظهار الحق) وجعلته مرتبا على مقدمة وستة أبواب فكل مبحث فى باب مستقل ، وباب خاص لتناول العهدين القديم والجديد

ويتضح من قراءته أن المؤلف (رحمة الله) رجل عميق الإيمان بدينه وواسع الإطلاع على ديانات غيره ومتمكن كل التمكن من موضوعه وأن له عارضة قوية فى الجدل وسوق الحجة ، وأنه كان يعرف مواطن الضعف عند معارضيه فيهجم عليها وأنه قرأ العهدين القديم والجديد ، كلمة كلمة ، وقرأ كل ما كتبه عنهما علماء اليهود والمسيحية ، وكان من أبلغ حججه تلك الاستشهادات التى أوردها من أقوال مؤرخيهم ومفسريهم على على تأييد قضيته (١) .

وقد قدم المحقق الجليل ، كتاب « إظهار الحق » بكلمة ختمها بالإشارة إلى الفوائد المترتبة على نشر مثل هذا الكتاب فى أنحاء العالم الإسلامى اليوم فقال : وإذا كانت وطأة الاستعمار قد خفت اليوم فى بلاد الهند وأخذ ظله يتقلص من كثير من البقاع ، فإن لغو المبشرين المسيحيين لا يزال يجرى على ألسنتهم فى إفريقيا وغيرها من البلاد ، ولذلك كان نشر مثل هذا الكتاب اليوم

البقية على صفحه ٢٣٨

---

(١) جاء فى تقديم المحقق : دون ما جرى فى هذه المناظرة من حجج كلا الجانبين وقام بالتدوين السيد عبد الله الهندى المترجم الثانى للدولة الأنجليزية بدار الحكومة فى أكبر آباد

(١) تقديم الأستاذ عمر الدسوقى

أنباء وآراء

الشيخ المدني :

كافح وهاجر ومضى شهيدا

إنا لله وإنا إليه راجعون فى علم من أعلام العلم . كان خفاقا فى مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية ، عم به النفع من زمن طويل ، وكان من بين الذين تولوا بعض التبعات والمسئوليات فى الجامعة الأزهرية الحديثة ، فكان له رأى سديد عرفه ولاة الأمور فى طريقة تطوير الأزهر وفى مناهجه وما ينبغى أن يكون عليه ، ثم عرضت للأمة الكويتية الناشئة ، حاجة للانتفاع به أستاذا شرعيا ، ورائدا موجها لكلياتها الجديدة (الحقوق) فاستعارته من الجامعة الأزهرية فأعارته إياها وهو أنضر ما يكون عودا ، وأقوى ما يكون صحة . وقد خرج من مصر وكله همة ونشاط .

لأنه سيكون مع البناة للجامعة الكويتية الحديثة ، كما سره أن يهاجر فى سبيل الله تلبية لنداء العلم . وإستجابة لصوت الشريعة هناك فلما أحس القوم بنجاحهم فى الظفر به ، وحسن حظهم فى الحصول عليه ، رغبوا فى مد الإعارة ، تأمينا لمشروعهم الحديث ، ولما يمض وقت على إستعارتهم له أكثر من ثلاثة أشهر ، وكان القدر وراء تفكيرهم وأملهم . يرى ما لا يرون ويعجل القطاف لتلك الثمرة الناضجة ، والزهرة الناضرة . فقد خرج المغفور له أستاذنا الجليل لأداء فريضة الحج ، فأداها وأتم الشعائر ، واستمتع برحاب الله ، أتته وعكة اضطر عقبها إلى العودة توا إلى مستشفى الكويت ولم يزل بها حتى وافاه أجله المحتوم فرجع إلى وطنه محمولا على الأعناق ، وعاد من السفر القصير إلى السفر الأبدى الطويل ... وكان أمر الله قدرا مقدورا .

إنا لله وإنا إليه راجعون ، فى فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى رئيس قسم الفقه للمذاهب الإسلامية بكلية الشريعة والقانون والزميل العزيز بمجلس إدارة الكلية ، يعين على حل كثير من مشكلاتها ، ويقوم ـ رحمة الله عليه ـ بتصفية الجو فى كثير من الأحيان فى أدب وحكمة وحزم وعقل .

ومن قبل ذلك عرفته طالبا بمعهد الاسكندرية الذى قاد النظام فى الأزهر ، ففيه ألقى المغفور له الشيخ محمد شاكر بنظامه الجديد ، وتعهده ورعاه حتى كان شيوخه وطلابه يتميزون عمن عداهم من شيوخ الأزهر وطلابه .

ولقد عرف الفقيد منذ حداثته فى طلب العلم بأنه ألمع إخوانه ، وأسوة فرقته ولم يزل كذلك إمامهم ، ورائدهم ، حتى أتم الدراسة فى القسم الأولى آنذاك . ثم بدا له الاستجابة لطموحه ، فقفز إلى الشهادة الثانوية ـ وكان النظام وقتئذ يسمح بذلك ـ وتبعه فى هذا التفكير بعض إخوانه ، فكتب الله لهم الفوز والنجاح ، ولا ينسى معهد الاسكندرية ما كان لهذه النتيجة من نشاط علمى وأدبى ، دفع من بعدهم إلى اقتفاء أثرهم والتأسى بهم ، وكانت تلك الطريقة وهذا النشاط يعرفان فى المعهد بطريقة « المدنى » ونشاطه .

فلما انتقل المغفور له إلى القاهرة بعد حصوله على الشهادة الثانوية ، انتسب إلى القسم العالى فترة قصيرة ، ثم بدا له الانقطاع عن الدراسة النظامية ليتقدم إلى امتحان الشهادة العالمية النظامية من الخارج فاستطاع أن يحقق أمله ، ويظفر بأمنيته فانفسح له المجال والتحق بقسم التخصص شعبة البلاغة والأدب ، فتخرج سنة ١٩٣٠ .

وهنا كانت الضائقة المالية تحيط بمصر ، فلم يجد عملا إلا فى سنة ١٩٣٢ ، وكان من الظروف المواتية أن عين بمعهد الاسكندرية مدرساً بالمكافأة . فجد واجتهد وقام بعمله خير قيام ، وهنا يجب أن نذكر ملمة ألمت بالأزهر وقتئذ فى عهد المغفور له الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ، فقد فصل جماعة من المدرسين لأسباب سياسية ، وكان من بينهم المغفور له الشيخ محمود شلتوت . وقد عمل هؤلاء كل ما فى وسعهم ليرجع شيخ الأزهر عن قراره .

وهنا يظهر موقف جديد لفضيلة المغفور له الشيخ محمد المدنى ، فقد تزعم وقاد حركة التذمر مع المدرسين المنتدبين بثلاثة جنيهات ، وهؤلاء قد استطاعوا إثارة الطلاب لانتشارهم فى جميع المعاهد ، وقوة اتصالهم بطلابهم فوقع الإضراب المشهور ، وعم الاضطراب ، وانتهى الأمر إلى فصل عدد من هؤلاء كان من بينهم الشيخ المدنى ، ولما لم يستقر الأمر عين المغفور له الشيخ المراغى سنة ١٩٣٥ ، فكان أول ما عمله إعادة المفصولين ، واختيار مجموعة منهم إلى القاهرة كان من بينهم الشيخ المدنى . وذلك لما كان يتوفر فيه من كفايات يحرص الرؤساء على الإفادة منها والاستفادة بها . . ومن هذا الوقت تأكد الاختلاط بين فضيلتى الشيخ شلتوت والشيخ المدنى .

فلما عين الشيخ شلتوت وكيلا لكلية الشريعة أخذ معه الشيخ المدنى مدرسا بها رغم اختلاف شعبة تخصصه . وقد قام فضيلة الراحل الكريم بتدريس هذه العلوم والتفوق فيها حتى عرفت كتاباته فى النواحى الشرعية ، وامتلأت المجلات والصحف ببحوثه المختلفة ، وكان قلمه من الأقلام الأولى فى معالجة المواضيع الجديدة سباقة إليها فى أى وقت من الأوقات ، ومجلة الأزهر الشريف عامرة ببحوثه المستفيضة ، وبنظراته الجديدة فى الفقه الإسلامى . ولا يفوتنا أن نذكر ما كان لفضيلته فى المضمار الشرعى فى الصحف السيارة وفى الإذاعة ، والتليفزيون ، فله فى هذه كلها سجل حافل ، وإنتاج ضخم . لو أردنا أن نقيس الرجال بإنتاج فضيلته لما وجدنا من يصل إليه ، ولا من يرجح عليه ، فقد أربت فتواه على أضعاف إنتاج المفتين ، وبحوثه الاجتهادية على الكثير من المعاصرين الباحثين .

وقد اسند إلى فضيلته رحمه الله ، من الوظائف الادارية ، شهد له بالكفاية النادرة والامتياز الفائق ، فولى التفتيش ، وسكرتارية الأزهر ، وعمادة كلية الشريعة :

و كان فى كل هذه المناصب مضرب المثل ، وموضع الإعجاب والتقدير .

واليوم وقد خبا ذلك الضوء الهادى ، وغاض ذلك النبع الصافى وأندك ذلك الطود الشامخ ، أنعى إلى المسلمين جميعا عالما من أجل علماء الإسلام ، قد مضى فى وقت نحن فيه أحوج ما نكون إليه .

فى ذمة الله أيها الصديق الوفى، والزميل النقى والعشير التقى وإنا لله وإنا إليه راجعون ؟

مصطفى مجاهد عبد الرحمن
رئيس قسم الفقه المقارن بجامعة الأزهر

(بقية المنشور صفحة ٢٣٥)

لا يعد إحياء لفتنة نائمة ، بل إن الفتنة يثيرها المبشرون فى كل مكان يحلون فيه . وفضلا عن أنه يثبت عقيدة المسلمين، وخاصة هؤلاء الذين يتعرضون للأسفار والاحتكاك بالمبشرين .

والحق أن هذا الكتاب من الكتب الفاصلة فى النزاع بين المسلمين والنصارى ووثيقة قيمة تثبت أن الإسلام دين الله وأن محمدا خاتم الأنبياء بالحجة التى يفهمها أعداء الإسلام .

وإلى العدد القادم — حيث نتناول موضوعات هذا الكتاب وأبوابه وفصوله .

(يتبع) محى الدين الالوائى

مؤتمر قادة الدعوة الإسلامية :

● رأس السيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الأوقاف ، مؤتمر علماء وقادة الدعوة الإسلامية . الذى عقد فى قاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر . صباح يوم الخميس ١١ صفر سنة ١٣٨٨ هـ وحضر الاجتماع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والدكتور عبد العزيز كامل نائب وزير الأوقاف وكبار رجال الأزهر والأوقاف والجامعات .

كما حضره فضيلة مفتى الجمهورية وفضيلة الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والسادة أعضاء مجلس مجمع البحوث وكبار رجال الفكر الإسلامى . وما يزيد عن خمسة آلاف من العلماء والوعاظ وأئمة المساجد ، وفى تمام الساعة الحادية عشرة بدء الحفل بتلاوة من آيات الذكر الحكيم ثم تقدم فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى وكيل الدعوة بوزارة الأوقاف فألقى كلمة أئمة المساجد : طالب فيها بإمدادهم بالمراجع الدينية وأن تتاح لهم فرص الاشتراك فى الوظائف القيادية وغيرها .

ثم تقدم فضيلة الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ بالأزهر فألقى كلمة الوعاظ مبينا سمو رسالة الواعظ وأنها امتداد لرسالة الأنبياء والمرسلين .

ثم تحدث الدكتور عبد العزيز كامل عن مرحلة التغيير فقال التغيير هو التجدد مع الأصالة ولقد حدثت تغييرات واضحة فى قواتنا المسلحة وفى أوضاعنا الاقتصادية ونظمنا السياسية . وإذا كان التغيير قد شمل كل حياتنا فينبغى علينا أن نقوم برحلة فى أنفسنا وفى مجتمعنا لنكون أكثر عونا على الصمود فوق النكسة وأولى برجال الدعوة الإسلامية أن يسلكوا سبيل التجديد وأن يتصلوا بالأحداث العالمية والمحلية وأن يتفاعلوا مع القرآن .

ثم تحدث السيد حسين الشافعى فقال : ـ فى هذا الاجتماع الذى يحضره أهل الفكر الإسلامى ـ وحينما نتكلم فى الأزهر وفى هذه القاعة قاعة الإمام محمد عبده التى تحمل إسما عظيما تجعلنا نستشعر الهيبة والمهم أن نكون صرحاء وواضحين فالصراحة والوضوح هما صفة القائد المؤمن . وعلى الإمام أن يخدم موضوعه بحثا وعلما وأن يتعرف على الناس ويزيد اتصالاته وأن يتعرف على مشاكلهم ليمثل قيادة روحية وفكرية صالحة وأن يتفاعل مع مشاكل المجتمع ، ثم قال سيادته . والرجل الذى يؤمن بالله هو الذى تعتمد عليه حقا . فعلينا بكتاب الله وسنة نبيه قولا وعملا ولنعلم أن الدعوة إلى الله هى طريق الحق وهى خط الدفاع الباقى الذى لا يغلب .

ولنعلم جميعا أنه لا بد للقوة من عقيدة تدفعها ولا بد للعقيدة من قوة تحميها .

وبعد انتهاء كلمة السيد حسين الشافعى ، أعلنت توصيات المؤتمر وهى :

١ — إعطاء الأولية فى الدعوة الإسلامية لتعبئة الجهود من أجل القضية المصيرية ، واسترداد الأرض السليبة ، والمقدسات المغتصبة .

٢ — عقد دورة لمجمع البحوث الإسلامية لدراسة قضايا الدعوة الإسلامية على المستويات الإقليمية والعالمية .

٣ — مراجعة برامج الدعوة الإسلامية فى الكليات والمعاهد المختصة بما يتفق مع متطلبات المجتمع .

٤ — عقد مؤتمرات نوعية لدراسة مناهج الدعوة بين قطاعات الشعب وقواه العاملة .

٥ — عقد مؤتمرات دورية لدراسة مشكلات الدعوة الإسلامية ودور المسجد والإمام والواعظ فيها .

٦ — اتخاذ الخطوات الإيجابية بناء على الدراسات السابقة لتكوين الداعية الواعى الذى يجمع بين شمول النظرة والتخصص الموضوعى تطبيقا لما دعانا إليه الإسلام ، وأجمعت عليه الأمة فى بيان ٣٠ مارس من العناية بالقيم الروحية والخلقية واتباع المنهج العلمى .

٧ — تأكيد الثقة بقائد نضالنا البطل المؤمن الرئيس جمال عبد الناصر مقدرين أعمق التقدير ما رعى به الدين ورجاله والأزهر الشريف .

مؤتمر تطوير المناهج الدينية بوزارة التربية والتعليم

● دعا السيد الدكتور محمد حلمى مراد وزير التربية والتعليم بعض كبار رجال الدين والفكر والتعليم لدراسة تطوير مناهج التربية الدينية وطرق تدريسها ، توصلا إلى تعميق المفاهيم الدينية فى نفوس الطلاب .

وقد عقد الاجتماع الأول بقاعة الاجتماعات بديوان الوزارة يوم الأحد ١٢ مايو ١٩٦٨ لمناقشة الموضوع فى معناه الواسع ووضع القواعد الكفيلة بجعل مادة الدين ترتبط بأسلوب الحياة الحرة الكريمة التى تنشدها البلاد للمواطنين .

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

regarding small children, and in the moral educiion for the grown-ups too. Threat, and even punishment, may be essential in some situations.

Islam takes good use of all possible means toward moral education. Some times the Quran resorts to the method of exhortation and conviction, and in some other times it uses the language of threat, which throws deep fear, and arises piety in the hearts of the believers.

The Holy Quran says what means :

"Has not the time yet come for the believers that their hearts should be humble for the remembrance of God and the truth that is revealed and that they should not be like those who were given the Book before, but time was prolonged for them, so their hearts hardened. And most of them are transgressors."

Some times the Holy Quran threatens the disobedient and the transgressors with more horrible words, and warns them against the anger of God, or with a war waged on the part of God and His Messenger, of with severe punishment in the Hereafter or in the present life. we may cite these verses as examples to all these :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » .

(البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩)

It means : "O you who believe, keep your duty to God and relinquisg what remains due for usury, if you are believers. But if you do it not, then be apprised of war from God and His Messenger."

« والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا » .

(الفرقان)

It means : "And they who call not upon another diety with God kill not the soul which God has forbidden, except in the cause of justice, nor commit adultry ; and he who does this shall meet a requital of sin. The chastisement will be doubled on him on the day of Resurrection, and he will abide therein in abasement".

« إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم »

(التوبة)

It means : "If do go not forth (to fight in the cause of God) He will chastise you with a painful chastisement, and bring in your place a people other than you, and you can do Him no harm."

(to be Continued)

the Quran is whole guidance and all-encompassing preaching, as the verse says :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . (سورة المائدة)

It means : "There has come to you from God a light and a clear Book, wherewith God guides all who seek His good pleasure to ways of peace and safety, and leads them out of darknesse, by His will, unto the light, and guides them to a path that is straight."

If sermon, imitaiion, and stories are among the good means of moral education, how is punishment consideres a legal means for such education ?

Where and when kind method of conviction toward moral behaviour fail, punishment then is the only solution to repel evil and replace it with goodness. There are some educational schools of thought call for the abolition of punishment ; but we have seen that, in some of the so-called free countries, there are generations of evil and immoral people. Punishment is not necessary for every person ; many people are changed into good citizens through good imitation and effective preaching and teaching. In Islam, punishment should be preceded by kind guidance as the Holy Quran says :

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . (فصلت ٣٣ - ٣٤)

It means : "And who is better in speech than one who calls to God and does good, and says : I am surely of those who submit ? And not alike are the good and the evil. Repel evil with what is best when he between whom and you is enmity would be as if he were a warm friend."

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

It means : "Call to the way of your Lord with wisdom and goodly exhortation. . ."

Even though, there are many psybhologically deviated persons who cannot be treated by mere sermons and goodly exhortatian. Soul here is like body ; was surrounded with too much ease and luxury, it becomes weak. Some of rough treatment, in particular cases that invites it, woul be nesessary

The Basis of the Ethical System in Islam - III

BY

ABDUL WADOOD SHALABI

We mentioned previously that preaching in Islam is one of the means of education in good morals. What are the practical results of this means ?

Human soul is responsive to the effects of the words. Since the effect of speach is temporary, repetition here is necessary for reminding and preaching. Effective sermon has a direct approach to the heart, but it has to be enforced with imitation and with good environment in order to give the sermon the desired results. For example, the parents may be honest, but the child may incline to steal he came into cantact with bad company. Preaching and guidance here is necessary to direct the child back to good behaviour. The grown-up people are like small children in this respect. They need continuous preaching, for they may lack good examples of moral excellence, or these examples may be not enough to excercise them in good ethics. The Holy Quran used the method of preaching in abundance. We read such effective verses :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » . (النساء ٥٨)

It means : "God does command you to render back your trusts to those to whom they are due; and when you judge between man and man, that you judge with justice."

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً » (النساء ٣٦)

It means : "Serve God, and join not any partners with Him; and do good to parents, kinsfolk, orphans, those in need, neighbours who are near, neighbours who are strangers, the wayfarers and what your right hands possess : for God loves not the arrogant, the vaingiorious."

These are just few examples of the Quranic preaching. In fact

the prophet, they are apt to define the Sunnah as the usage of the community.

b) The fact that the study of the Sunnah has in the course of time evolved into a special science (Hadith) and thus a kind of specialization has been increasingly demanded as a basic for its utilization as an authentic reference. As the religion of Islam grew up and developed, this seemed to offer an easy way to exert one's own ideas over the community of Islam, i. e., deliberate forgeries were instituted and false sayings were attributed to the prophet Muhammad by Islam's enemies.

There was, however, a counter balancing of different influences extended against these forgeries. One was the recorded compilations by early Muslims. Another was the works of the Muslim scholars who compiled and authenticated the Sunnah. Some of these works are Muatta of Malik Ibn Anas, Musnad Ibn Hanbal, Sahih Al-Bukhary, and Sahih Muslim.

The outcome of this work was the classification of every recorded item of the Sunnah according to its status and authenticity.

3) The next source of Islamic jurisprudence that is of primary importance is the Ijamaa (the concensus of opinion) i. e. the agreement of qualified legal scholars in a given generation.

The validity of this principle is formally expressed in a Tradition which says : « لا تجتمع أمتي على ضلالة »

It means : "My community will never agree upon an error."

4) The last of the major sources of Islamic jurisprudence is that of Quias i. e. judgement by juristic analogy. In other words, the seeking of a solution on the basis of a limited and clearly defined use of analogical deduction from the general principles or particular cases found in the Quran or the Sunnah to a new case encountered on which the Quran and the Sunnah were silent.

Thus it is through Qiyas the principles enunciated in the Quran or in the Sunnah can be related to the various problems which must be encountered in everyday life

Individual opinions did exist, but only in absence of an applicable text in the Quran and the Sunnah, and still within the spirit of the two cheif sources : Quran and the Sunnah.

Muslims are commanded to obey the prophet Muhammad because the Quran, as mentioned earlier, states quite clearly that Muhammad errs not, nor is he deceived. Whatever he utters, it is not of his own whim and fancy, It is naught, but a divine revelation from God.

The Sunnah

An arabic word which literally means method, has been applied by Muslims as a legal term comprising what the prophet Muhammad, peace and blessing be upon him, said, did, and agreed to.

The authority of the Sunnah derives from and is expressed and defined in the Quran as follows :

قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » . (سورة النحل)

It means : "And We have revealed to thee the reminder that thou mayest make clear to men that which has been revealed to them, and that haply they may reflect." (16:44)

This statement indicates the authority of the prophet Muhammad and the function of the Sunnah in the interpretation of the Holy Quran.

The prophet Muhammad did not ask his followers to write down what he said or did, however this did not affect the status of the Sunnah, it only rendered more difficult the later recording thereof.

There has been a confusion for most western scholars on the subject of the Sunnah when discussing Islamic law.

There has been a confusion between the literal meaning of Sunnah and Sunnah used as a legal term. For example, Gibb has defined the the Sunnah as self-developed tradition of the Muslim Community, including all its social and legal uses, and not to the usage of the prophet Muhammad.[1] However, this confussion may be due to :

a) Since the Sunnah has been defined as that which the prophet Muhammad said, did, or agreed to the tendency has been to emphasize that if anything of utility did not contradict a principle of Islam, it would be sanctioned and accepted by the prophet and hence the realization that a specific deed or institution thus legalized did exist before

---

(1) H. A. R. Gibb, Mahammadanism. New York : Oxford University Press, 1949, PP. 61—62.

2) Secondary Sources, which innlude :

a) Istihsan.

b) Istislah.

c) Urf.

The Quran

The Quran is the Word of God which was revealed to the prophet Muhammad by the Angel Gabriel. It was revealed in Arabic. And there are many verses which indicate that Quran was revealed in Arabic.

قال تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » . (سورة يوسف)

"It means : Lo ! We have revealed it, as an Arabic Quran, in order that ye may, learn Wisdom".
(12 : 2)

قال تعالى : « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون » .
(سورة الزمر)

It means : "We have put forth for men, in this Quran every kind of Parable, in order that they may receive edmonition. (It is) a Quran in Arabic without any crookedness (therein) ; that haply they may guard against evil". (39 : 28)

Quran is the first primary source of Islamic jurisprudence which treats the problems of man on earth and guides him to the right path for life after death.

Quran deals with the relationships of man to God and the relationships of man to man as well. And whenever Muslims come to disagreements on something or get confused in any matter concerning their life here or after death they are commanded to solve their problems according to the word of God and His apostle.

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (سورة النساء)

It means : O Ye who believe ! obey God, and obey the Apostle, and those charged With authority among you. If ye differ in anything among yourselved, refer it to God and His Apostle, if ye do believe in God And the Last Day ; That is best, and most suitable for final determination". (4 : 59)

During the lifetime of the prophet Muhammad, peace and blessing be upon him, only the Quran and the Sunnah were recognized as binding, with the Sunnah deriving its authority from clear injunctions of the Quran.

The Major Sources of Islamic Jurisprudence

By :

Dr. Ibrahim M. Shalaby

Islam, certainly more than any other religion, has the charater of a jural order which regulates the life and thought of the believer according to an ideal set of revelations communicated by Allah to the prophet Muhammad, peace and blessing' be upon him.

قال تعالى : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » (سورة النجم)

It means : "By the star, when it goes down, Your Companion is neither, astray nor being misled, nor does he say (aught), of (his own) desire. It is no less than inspiration sent down to him."

(53 : 1 — 4)

"Islam is different from Judaism ; Islam, being a universal submission to God, has no concept of a particular Covenant or a specially chosen people. It also differs from the Christian view of the Kingdom of God in heaven and the separate Kingdom of Caesar on earth. And it differs from other religions, such as Budhism and Hinduism. Islam is a faith, a law, a way of life, a nation, and a state with a system of Jurisprudence that is continually evolving for the administration of this world and the satisfaction of human needs under the sovereignty of our Creator." [1]

Most of the Islamic Jurists would agree upon a classification of the sources of Islamic Law into two main categories.

These are :

1) The primary sources, which consist of :

a) The Quran (the Holy Book of Islam).

b) The Sunnah (the authentic Traditions of the prophet Muhammad).

c) The Ijmaa' (the consensus of opinion).

d) The Qias, (the judgment by analogy).

---

(1) Abd - AL - Rahman Azzam, The Eternal Message of Muhammad, A mentor book, The New American Library New York and Tronto, The New English Library Limited, London, 1964 P. XIX.

THE QURAN A MIRACLE

It is a crowning proof that the Holy Prophet who revealed the Quran was illiterate, scarcely able to read or write' He revealed a Book which is a poem, a code of law, a Book of Common Prayer, and is reverenced as a Miracle of purity of style, of wisdom and of truth. It is a Heavenly Book that cannot be imitated. Any human being of powers of eloquence and poetry cannot compose even a single chapter or sûra like that of the Quran.

For its beauty ; force and sweetness of its language ; for the clearness, depth and profoundness of its significance, for the charm, vividness and magnificence of its similes, metaphors and figures, for the immediate, penetrating and lasting effect of its admonitions, for this all it has no rival in any language, ancient or modern. The Quran disarmed all critics and all rivals.

MUHAMMAD'S CHARACTER

The Spiritual Greatness of the Holy Prophet Muhammad was boundless. He was :

- The Most successful Spiritual Leader, Guide and Administrator of mankind.
- The best of all Muslims, but still a man and not an angel or supernatural being ; all his victories were won by natural means and by his own glorious personality.
- The Greatest Man who ever lived on this earth.

* * *

The Prophet's success was due to his personal virtues, of which are :

- His courage in upholding the Truth under all circumstances.
- His untiring energy in preaching Islam and looking after the welfare of his followers.
- Keeping his promises. He never broke a promise. Once he gave his word, he unflinchingly stuck to his resoltution. His Word could be depended upon, under all circumstances.
- He never uttered a Lie during all his life. He never misled anybody.
- He was merciful to everyone. As he was always kind to his friends, he was also generous towards his defeated enemies.
- He was the most patient and persevering man on earth. He was never upset by any reverse or obstacle in path.

righteousness rallied round him and the efforts of the Meccans and their confederates to destroy him and his commumity recoiled on their own heads.

Then gradually all the outlying parts of Arabia ranged themselves round his standard and the bloodless conquest of Mecca was the crown and prize of his patience and constant endeavour. Whole tribes gave their support to him collectively, and before his earthly ministry was finished, the soil was prepared for the conquest of the wide world for Islam.

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توابا » (سورة النصر)

It means : "When comes the help of God and victory, and thou seest the people entering God's religion in crowds, celeprate the praise of they Lord and pray for His forgiveness, surely He is ever returning (to mercy) ."

(Quran, Chapter 110)

This chapter was revealed during the last pilgrimage of the Holy Prophet before the passing away of the Prophet for eighty days only.

Masses from all parts of Arabia came to Medina, accepting Islam in companies. History does not present another example of the wonderful transformation wrought by the Holy Prophet within the short period of twenty years.

Then followed the revelation of this verse which contains the memorable declaration, which was promulgated in the 10th year after Hijrah during the Prophet's last Pilgrimage to Mecca which is known as "Farewell Pilgrimage."

قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا » (سورة المائدة)

It means : "This day have I perfected for you your religion, and completed My favour to you and chosen for you Islam as your religion." (Quran, Chapter 5, V. 3)

It is a clear testimony to the perfection of religion in Islam, no such claim being made by any other book or religion. Thus the Prophet Muhammad was the last of the prolhets, because religion being perfected, no prophet was needed after him.

The Holy Prophet was admittedly the last of the Prophets. He closed the long line of Apostles. God's teaching is — and will always be — continuous, but there has been and will be no Prophet after Muhammad. The later ages will need thinkers and reformers, but not Prophets.

to satisfy all the disputants. He ordered the stone to be placed on a piece of cloth, and ordered each tribe to share the honour of lifting it up, by taking hold of a part of the cloth. And thus his wise judgement settled the quarrel, and ended the threat of war.

MISSION

Muhammad was now approaching his 40th year and his mind was ever engaged in profound contemplation and reflection. Before him lay his country b'eeding and torn by terrible wars and intolerable dissensions, his people sunk in barbarism, addicted to the observation of rites and superstitions, were lawless and cruel. This case of immortality and scepticism filled his heart with feelings of pity and sorrow.

He was told not to seek seclusion but to arise and warn a people, sunk low in vice and immortality. He was told to make them perfect by warning them, of the bad consequences of their evil deeds. He was commanded to engage himself in devotion so that he hould attain to perfection ; here he was commanded to convey the message and to warn to make others perfect.

قال الله في كتابه العزيز : يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر . (سورة المدثر - آية ١ - ٧)

It means : "O thou wrapped up (In a Mantle), arise and warn, and thy lord do magnify, and thy garments do purify, and uncleanness do shun, nor expect, in giving, any increase (for thyself), and for the sake of thy Lord, be patient."

(Quran, Chapter 74)

He was ordered to lead his people from barbarism unto civilization, from ignorance unto knowledge, from hatred unto love, from darkness unto light, from death unto life.

The mission of the Holy Prophet Muhammad (May God's prayers and peace be upon him) was not confined to merely preaching Islam but to establishing peace and good-will among all Muslims and inviting all mankind to join him in worshipping the One God and casting away their hatreds and enmities.

EMIGRATION

As Quraish in Mecca had tried all sorts of inducement, attack, persecution, boycott, insult, threat and even bodily injuries to the Muslims, the Holy Prophet found it very hard for himself and his followers to stay in Mecca.

So he migrated to Medina, where all the forces of truth and

the chief town of Arabia. With his birth, the glorious sun of spiritual light had dawned on the universe.

He was born orphan, so that every orphan may be consoled by his example. His father Abdulla, who died about three months before his birth, belonged to the family of Hashim, the noblest family of the Quraish section. His mother Aminah, died when he was six years old. His grandfather Abdul-Muttalib, who was directly descended from Ismail, the son of Abraham, held the high office of custodian of the Ka'bah After his mother, his grandfather took the most tender care of the little orphan, but he died two years later. From that time the doubly orphaned child remained in charge of his uncle Abu Taleb, who was alive when the Holy Prophet received the Divine Message for the regeneration of mankind.

During his youth he did not worship idols and led an almost solitary life. He had no desire for enjoying life in the vulgar predominant sense. Meanwhile, he was known for his correctness of manners and purity of morals, as were rare among his fellowmen. For this, by common sonsent he was called "Al Amîn" means the faithful.

MARRIAGE

Mohamed's honesty as a marchant made him the polestar of the Meccan society. When he was twenty five years old, he went to Syria as an agent of a noble and rich widow called Khadîja. Having proved himself faithful in her commercial interests, he was soon rewarded with her heart in marriage. This marriage raised him in the eyes of his people, (for Khadîja refused several rich great men who wanted to marry her) as she gave him the loving heart of a woman, who was ever ready to console him during hours of despair.

REBUILDING OF THE KA'BAH

Of the public acts, related by historians, to show the influence of his wisdom to settle grave disputes among his countrymen is the following event :

In rebuilding the sacred temple of the Ka'bah in 605 after Christ, each of the four leading families of Quraish claimed for herself the honour of raising the sacred Black Stone, the most holy relic of that temple, into its proper place, and no agreement was possible and a war seemed imminent. An old chief advised the disputants to accept the judgement of the man who would be the first to enter from a certain gate. They all agreed upon that proposal and the first man was Muhammad, "Al Amîn". Muhammad gave them an advice, which served

The Birthday of the Prophet

BY : M. ABDEL MONEIM YOUNIS
Director of the Cultural Centre for Diplomats
Ministry of Culture, U. A. R.

INTRODUCTION

Great events that happen to every community have a tremendous influence on its course of life, especially regarding its future and trend of living. History records these events to show the successive generations the right path to follow, and the devil's way to avoid.

As a community, Muslims have to benefit from their great events and in the course of their history, have to remember them, to know the causes of their advancement. It will also give the Muslims the answers as to the causes of their decline in certain occasions, to keep far away from them.

The Birth of the Holy Prophet Muhammad (God's Blessings and Peace ever be with his soul) stands at the head of these most important events, which we must remember and recall at all times, and commemorate them.

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .
(سورة الذاريات ـ آية ٥٥)

It means : "And remind, for reminding benefits the believers".
(Quran, Chapter 51, Verse 55.)

The advent of the Holy Prophet Muhammad is considered as the rising of the sun. He revealed the religion of Islam, whose doctrines tend in general to promote the welfare and prosperity of mankind, as well as they cultivate charity and good-will to all people.

Europe acknowledged — in an honest wholehearted manner — the great everlasting debt, she owes to Islamic culture and civilization.

In the middle Ages, when Europe was sunk in feudalism and ignorance, Islamic civilization, under the Arabs, reached a high standard of social and scientific greatness, that kept the European society from utter decadence.

BIRTH AND EARLY YEARS

In the second half of the sixth century, in the year 570 after Christ, on the 12th day of the thrid Arabic Month "Rabie the first" the noble child Muhammad was born at Mecca,

and His scriptures and His messengers — We make no distinction between any of His messengrs—and thay say: We hear, and we obey, (Grant us) Thy forgiveness our Lord. Unto Thee is the journeying. Allah tasketh not a soul beyond its scope. For it (is only) that which it hath earned and against it (only) that which it hath deserved".

(2 : 284—286).

The mission of Prophet Muhammad was first acheeved in the midst of a nation sunk in a degrading and senguinary superstition, and steeped in barbarism to whom the Quran refers as follows :

هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين.
الجمعة ٢

It means : "He it is who hath sent among the unlettered ones a messenger of their own, to recite unto them His revelations and to make them grow, and to teach them the Scripture and Wisdom, though hereto fore they were indeed in error manifest", — 62 : 2.

He inspired them with the belief in one sole God of truth and love. He united them by the ties of brotherhood. Before that Arabian peninsula was wrapt in absolute moral darkness. Spiritual life was utterly unknown. Neither Judaism nor Christianity had made any lasting impression on the Arab mind. The people were sunk in cruelty and vice. The idea of future existence, and of retribution of good and evil, were, as motives of human action, practically unknown. Only a few years before Muhammad's mission, such was the Condition of Arabia. What a change had the few years of his mission witnessed ! A moral desert, where all laws, human and divine, were contemned and infringed without remorse, was now transformed into a garden. Idolatry, with its nameless abominations, was utterly destroyed. Islam furnishes the only solitary example of a great religion which though preached among a nation and reigning for the most part among a people not yet emerged from the dawn of an early civilization, has succeeded in effectually restraining its votaries from idolatry. This phenomenon has been justly acknowledged as the Pre-eminent glory of Islam and the most remarkable evidence of the genius of its Prophet. In the fulfilment of Muhammad's mission in his life time; lies his distinctive superiority over the Prophets and reformers of different times of history.

ethnic and general religions compatible with the reason and moral intuition of man. Thus Islam signifies a religion of right — thinking, right--speaking and right-doing, founded on Divine love, Universal charity and the human brotherhood.

The mission of Prophet Muhammad (Peace be on him) was indeed a miraculous revoulution that brought about an unprecedented change among the warring tribes of Arabia, at one time engaged in blood feuds. The Prophet infused the true light to see the face of truth from the mirror of conscience and to understand the merit of mutual respect and love of service to fellow-men, as the highest form of submission to the Severeignty of the Supreme. The life of the Prophet presents a picture of perfection for our guidance. He exemplified in himself every aspect of human behaviour to be a perfect model of man. The Prophet exhorted the people to cultivate the spirit of selfless service and sacrifice, through which alone salvation is assured, and to rise to the pinnacle of greatness in the standard of human achievement and to reach the summit of satisfaction.

Islam with its seeds of human brotherhood, equality and justice, taking root in the soil of Arabia, blew the wind of change far and wide and swept the world to adopt the precept of unity, fraternity and equality, as the soundest and safest structure of solidarity in human relationship. Islam tries to attain the object of perfection by grasping the principle that man will be judged by his work alone. The follo wing verses of the Qur'an expressed the power and sovereighty of God, and the universality of His religion:

« لله ما فى السموات وما فى الأرض . وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير . آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

(البقرة ٢٨٤ - ٢٨٦)

It means : "Unto Allah (beloneth) whatsoever is in the heavens and whatsoever in the earth; and wether ye make known what is in your minds or hide it, Allah will bring you to account for it. He will forgive whom He will and He will punish whom He will. Allah is able to do all things. The messenger believeth in that which hath been revealed unto him from his Lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His angels

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ـ المائدة ٣

It means : "This day have I perfected your religion (Deen) for you and completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion". 5—3.

Henceforward man would require no further prophets or Books for his guidance but would guide himself admirably well in the right path with the Holy Quran, and with the aid of his highly developed intuition and intellect.

The Holy Quran contains the principles of the religion of Islam. It is a concrete and complete system dealing with all walks of human life. It interprets the true nature of man and establishes peace and harmony between him and his nature; and regulates his course of life according to the nature framed of God. Prophet Muhammad (peace be on him) was the recipient of the Holy Quran and in him are found the precepts of Islam in their concrete and applied form. In his life and work, therefore, we get Islam in flesh and blood. His precepts and examples are most reliable guides to the theoretical as well as practical knowledge of Islam. The Holy Quran was revealed and revelation and prophethood were made final when humanity reached abdescence — when human intellect with the help of the Quran was in a position to interpret life correctly and to mould its destiny thereby.

The chief object of the perfect religion should be the elevation of humanity towards that perfection which is the ultimate purpose of creation of man. The perfect religion, therefore, ought to place, on a systemetic basis, the fundamental principles of morality, regulating social obligations and human duties, which brings man nearer and nearer to the aim of his existence in the earth. It is the distinctive characteristic of Islam; that it is not merely a system of positive moral rules, based on a true conception of human progress but it is also the establishment of certain principles, the enforcement of certain disposition, the cultivation of certain temper of mind which the conscience is to apply to the ever-varying exigencies of time and place. The wonderful adaptability of Islamic rules to all ages, places, nations and circumstances; their entire agreement with the light of reason, and the absence of all mysterious ideas, prove that Islam represents the latest developements of the religious faculties of human being. It combines within itself the prominent features in all

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Rabî'Awwal 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	June 1968

The Mission of Prophet Muhammad

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

In historical order the Holy Qurân is the latest and the final of all revealed Books and as such it interprets not the growing and incomplete man but the mature and complete man. The Holy Quran was revealed in an historical age and its purity has been well preserved. The Arabic word of 'Deen' is defined in the Holy Quran as the 'Fitrat' or nature in which God has created man. In this context the Holy Quran says :

فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . الروم ٣٠

It means : "So set thy purpose for religion (Deen) as a man by nature upright — the nature (Fitrat) of Allah in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not". 30—30.

'Deen', therefore, denotes the composite law of nature which holds and moulds the destiny of the universe. The universe is a composite whole and not a sum — total of isolated fragments. Every item of creation, every genus and specie bears a relation with the rest of the universe. Each depends upon the other and none is wholly independent. Nevertheless, each item of creation is dominantly governed by a particular set of laws and each of these is a science. The Holy Quran revealed when man and his nature were made complete, that is when humanity attained maturity as it is clear from the following verse:

الفهرس

English Section

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشاً فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء الرابع – السنة الأربعون – جمادى الآخرة سنة ١٣٨٨ هـ – أغسطس سبتمبر سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

البقاء لله

للأستاذ عبد الرحيم فوده

يعز على مجلة الأزهر أن تعزى قراءها فى وفاة رئيس تحريرها المغفور له الأستاذ أحمد حسن الزيات ، فإن مصابهم ومصابها فيه ، لا يخفف وقعه عليهم وعليها إلا استحضار الشعور بأن البقاء لله وحده ، وأن الموت والحياة كما يقول الله فيهما : « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

هذا إلى أن من مظاهر رحمة الله بالإنسان ، وفضله عليه ، وإحسانه إليه أن جعل حياته الدنيا سبيلا إلى حياة أعظم وأكرم ، إذا حسن إيمانه ، وصلح عمله ، واستثمر قواه ومواهبه وعمره فى فعل الخير ، وارتفع بقيمته وكرامته إلى المستوى اللائق بإنسانيته ، كما يشير إليه قوله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ، فإن ذلك يعظم قدره وأجره عند الله ، ويضمن له حياة أمجد وأسعد من هذه الحياة ، لأن متاع الدنيا إذا قيس بمتاع الآخرة كان كما يقول الله فيه : « وما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » ، وكما يقول سبحانه : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » .

وقد كان فقيدنا — رحمه الله وغفر له — ثروة ثرية من تراث العروبة وأدب الإسلام، وكان بصره بشئون الحياة، وإلمامه بثقافة العصر يندمج مع ما أوتى من حظ وافر فى البيان وعلم واسع باللغة، وإحساس مرهف بالجمال، ثم يمتزج بمشاعره الإسلامية لينشىء من هذا المزيج أسلوباً جديداً يميزه عن غيره ويضعه فى منزلة لا يزاحمه فيها غيره، وهذا الأسلوب الذى عرف به الزيات فى الكتابة يتسم بالصحة والجمال والقوة، ويتألق بأناقة الذوق ووثاقة التركيب وقوة الجرس. وجهارة الرنين، فكان القارىء الأديب يرى فى التئام كلمه. وانسجام نغمه، ما يرى فى عمل المهندس الدقيق، والمصور الأنيق، والموسيقى البارع فالألفاظ — على اختلاف أبنيتها متسقة، والمعانى — على يسرها وقرب تناولها — شريفة نقية، والخيال يوشى أفكاره ومعانيه بألوان زاهية وصور طلية، حتى ليخال القارىء أنه معه فى معرض ربيع.

وقد عاش الزيات عمره الطيب الخصيب يقرأ ويكتب ويطالع القراء بعصارة صدره وغزارة فكره. ونضارة أدبه، ويعمل فى مختلف ميادين العلم والأدب، فزاول التدريس فى « الفرير » بمصر، وفى المعلمين العليا بالعراق. وعمل فى لجنة التأليف والترجمة والنشر، وفى مجمع اللغة العربية، وفى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب. وأصدر مجلتى الرسالة والرواية، وترجم قصصا وروايات عن الفرنسية، وألف فى تاريخ الأدب العربى واشترك فى إخراج المعجم الوسيط، وجمع فى عدة أجزاء مقالاته الرائعة الممتعة التى كان يصدر بها مجلة الرسالة، فكانت براعة استهلال لما كان ينشر فيها من بحوث ودراسات، أما عمله فى مجلة الأزهر. فقد عرفه القراء.

لقد كان الزيات ثروة قومية يعتز بها تراثنا القومى، وحياة مخصبة تمد مجتمعنا العربى بما ينميه ويقويه ويزكيه.

رحمه الله. وأكرم مثواه ...

عبد الرحيم فوده

النقد للأدب تقويم وتقييم

لفقيد الأدب العربي

الأستاذ أحمد حسن الزيات

هذا المقال هو آخر ما كتبه المرحوم الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات لمجلة الأزهر ـ وقد كتبه قبل أن يلقى قضاء الله بأيام . و (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

نقد العمل الأدبي معناه تقويم عوجه بالأداة الصالحة ، وتقييم مادته بالوزن الصحيح وأداة الناقد بهذا المعنى ملكة فنية أصيلة ، وتربية أدبية طويلة ، وثقافة علمية شاملة .. والناقد بهذا الاعتبار يشارك المشرع في صدق التمييز ، والفيلسوف في دقة الملاحظة ، والقاضي في قوة الحكم . ومن هنا كان نوابغ النقد في العالم أندر من نوابغ الشعر والكتابة .

والنقد بمعناه الفني لم يصبح عند الفرنج فنا مستقلا له قواعده ومذاهبه إلا في القرن التاسع عشر بعد أن ارتقى علم النفس وازدهر وانتشر ، ثم تابع رقيه حتى أدرك تمامه وبلغ أوجه فأثر في فنون الأدب أبلغ التأثير وعدل في بعض أنواعه كل التعديل .

أما عند العرب فقد انحصر ـ لأسباب لغوية لا محل لذكرها في هذه الكلمة الموجزة ـ في جزء واحد من النقد بمعناه العام عند الفرنج فلم يعالج غير أبيات وفقرات من الكلام المنظوم والنثر المسجوع ، وأغفل القصيدة باعتبارها وحدة لا تتفرق . والكتاب باعتباره كلا لا يتجزأ ، ولم يحفل ما ألف بالنثر المرسل من الكتب والقصص ، وجر ذلك إلى أن الكتاب والشعراء أوغلوا في البديع وتفننوا في الزخرف ، وأهملوا فن القصص فتركوه لأدباء الشعب ولم يعنوا منه إلا بالمقامات ؛ لأنها مظهر الصنعة ومحك القدرة فحرموا الأدب العربي فنا كانوا هم بسليقتهم أقدر الناس على التوفر له والافتنان فيه !

إن من يطلع على ما أثر عن السلف في النقد والموازنة يجد الخطأ في الأقيسة والخلل في الموازين والشطط في الأحكام ، وذلك لتحكم الهوى الخاص وإرسال الناقد الحكم

على غير قاعدة مرسومة ولا مذهب معين . فهم يتكلمون فى اللفظ الجزل والركيك ، والأسلوب الرصين والمهلهل ، والمعنى المسروق والمطروق ، والمطلع الجيد والردئ والتخلص الحسن والقبيح ، ويجرون فى كل أولئك على أذواق تختلف باختلاف الطبقات والبيئات والأجناس . وربما اكتفوا فى تقديم شاعر أو تفضيل بيت بالعبارة العامة أو الإشارة المبهمة أو الهتاف الموجز ، كقولهم . « ولله دره إذ يقول ... » « وهذا مما لم يسبق إليه أحد » « وما أحسن هذا البيت ! » ولم يعنوا بالخطوط التى تميز كلاما من كلام ، ولا بالحدود التى تفرق بين شاعر وشاعر ، فلو نقلت ما قالوه من المدح فى شاعر إلى شاعر آخر لما تغير المعنى ولا اضطرب السياق .. والأمر كذلك فى كل ما ألفوه من الكتب على طراز اليتيمة للثعالبى ، ودمية القصر للباخرزى ، وفريدة القصر للأصبهانى ، وريحانة الألباء للخفاجى ، وسلافة العصر المحبى .

* * *

من ذلك يتضح أن فهم القدماء القاصر لحقيقة الفن الشعرى والكتابى حصر النقد البيانى - كما قلت - فى الصور والأشكال . وهذا الحصر نفسه قد وجه الأدباء إلى الاحتفال باللفظ دون المعنى ، وبالصورة قبل الفكرة ، ففات أكثرهم أن روعة الكلام لا تكون بالرونق والأناقة والصنعة وحدها وإنما تكون مع ذلك بقوة التعبير عما تكنه الضمائر وتحسه المشاعر ، وبدقة التصوير لمختلف الطبائع والعواطف والأخلاق والشهوات والصفات حتى ترى صور أصحابها الحقيقيين أو المتخيلين تحرك وتعمل وتقول على مقتضى الغرائز الثابتة والفطر الأصيلة ، وتكشف الغطاء عن طبيعة الشخص بكلمة تجرى على لسانه أو حركة تصدر عن يده ، ثم تكون روعة الكلام ببراعة الوصف لمناظر الطبيعة ومظاهر الكون حتى تحس فيها الحياة والحركة وتدرك ما بينها وبين النفس وانفعالاتها من اتصال وعلاقة . ثم تكون أخيرا بشدة التأثير فى الأفئدة حتى تستيقظ فيها روافد الأهواء والعواطف ، فتطرب النفس أو تغضب ، وتهدأ أو تثور ، وتفرح أو تحزن ، وتحب أو تبغض . ولو أن نوابغ الكتاب والشعراء فطنوا إلى ذلك لكان من هم الناقد أن ينظر فوق ما ينظر من الألفاظ والصور فى تنسيق المعانى وترتيب الأفكار فى جملة الكتاب أو القصيدة أو المقالة أو القصة أو الكلام على العموم ؛ لأن سلامة الجزء المنفصل ، أو بلاغة البيت المنفرد ، لا تدل حتما على سلامة الكل أو على بلاغة القصيدة .

كذلك كان من هم الناقد البيانى لو اتجه إلى المضمون أن يحلل ما ينشأ فى نفس القارىء لروائع الكتاب والشعراء من العواطف، وأن يبين كيف يستطيع الكاتب أو الشاعر أن ينشىء هذه العواطف أو يوحيها . ومن ثم كانت كتب النقد عند الفرنج عملا فنياً قائماً بذاته يبوىء أصحابه مقاعد النبوغ والخلود .

* * *

على هذه الحال من الشكلية والسطحية والتعسف مضى النقد العربى حتى بلغ جيلنا الماضى ، فكان الناقد منذ قريب يعمد إلى الكتاب القيم فى التاريخ أو الفلسفة أو القانون قد ألفه مؤلفه من دمه وعصبه وعقله وعمره وماله فيقف منه موقف الحاسد الأحمق ينقد فى بعض صفحاته فعلا عدى بغير حرفه ، أو اسما جمع على غير قياسه ، أو لفظا لم يجده فى معجمه ، ثم يحكم على الكتاب كله بأنه سخيف لا يقرأ وضعيف لا يعيش ، ومن هذا النوع أو قريب منه كان نقد طه حسين لنظرات المنفلوطى فى أوائل هذا القرن !

ثم أخذ النقد الفنى يتطور مع الوعى والتعليم والاطلاع على أدب الغرب فى الربع الثانى من القرن العشرين ، فغاص من السطح إلى القاع ، وانتقل من الشكل إلى المضمون وتذرع باللغة والعلم والمنطق فى نقود العقاد والمازنى وشكرى ومن لف لفهم ثم كاد ينحصر اليوم فى القصص والمسرحيات بما كان يكتب مندور ورشدى وحقى ومن جرى بجراهم .

ولعل النقص الذى يعتور النقد الفنى الحديث أنه فى جملته لا ينبثق من طبيعة الأدب العربى ولا من بيئته ، وإنما ينبثق من طبيعة الأدب الغربى وقواعده ومذاهبه فلو أن هؤلاء النقاد اتجهوا بعقليتهم المتحررة وثقافتهم المتجددة إلى دراسة أدبنا تحت الضوء الصادر عنها لأوجدوا فيه فنا مستقلا من النقد المبنى على العلم والخبرة والأصالة ، يتمم ما بدأ به عبد القاهر وأبو هلال وابن الأثير .

* * *

أما ما نقرأه فى الصحف العربية من حين إلى حين ما يسميه أصحابه نقدا فإنه لا يدخل فى هذا الباب إلا كما يدخل المجون فى نطاق الجد أو العبث فى سياق المنطق . كالرجل يقعد به العجز من اللحاق بالقادرين فيقف نفسه موقف القائد الحصيف ، يلمز هذا ويتنادر على ذاك ، ويزعم أنه هو وحده المسيطر على ثمرات الذهن فيحكم بذوقه

الخاص على هذه بالقبح وعلى تلك بالفجاجة، وأمره كله لا يخرج عن مألوف الطباع الساخرة الفكهة : تصور الحق بألوان الباطل لتضحك ، وتبرز الجميل فى مظهر القبيح لتسيء ! وعيب الناس طبيعة فى بعض الناس، لا يكلفهم إلا تحريك اللسان إذا لقوا سامعا، أو تحرير القلم إذا وجدوا صحيفة .

هذا الضرب من النقد إما أن ينبعث عن الحقد فيرمى إلى التجريح ، وإما أن ينبعث عن الغرور فيسعى إلى الهدم !

أحمد حسن الزيات

استدراك

وقعت بعض أخطاء مطبعية فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٨٨ فى مقال فضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج منها فى رقم ١٦٩ النهر الثانى السطر السادس قريب من الوجه المختار هو عينه وصحته وليس هو عينه ، وفى السطر العاشر وليس بخلاف رأى الزجاج وصحته حذف وليس وفى صحيفة ١٧٠ فى النهر الأول السطر الرابع ولا ضرورة تقضها وصحته ولا ضرورة تقتضيها ، وفى السطر الخامس والعشرين من النهر الأول فى صحيفة ١٧٠ أيضا والدهر يعاقب وصحته والدهر يعقب ، وهناك بعض أخطاء أخرى لا تخفى على القارىء .

نفحات القرآن

رسالة الملائكة
إلى ابراهيم ولوط
للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(ا) « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا : سلاما ، قال ، سلام ... » ٦٩ - هود

(ب) « ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ، وضاق بهم ذرعا ، وقال هذا يوم عصيب » ٧٧ - هود

١ - الملائكة : هم عباد الله المكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ؛ ويفعلون ما يؤمرون وهم سفراء الله إلى الناس فى الجانب الروحى ، وفى الجانب الدنيوى .

• • •

٢ - بعث الله تعالى بعض الملائكة إلى إبراهيم - عليه السلام - لتبليغه رسالة من ربه ، فجاءوا فى صورة رجال حسان الخلقة ، بهيجى المنظر ، ونزلوا عليه حيث يقيم فى أرض فلسطين ، وألقوا عليه تحية السلام فأجاب بمثلها من خير ما يحييهم ... ثم سارع إبراهيم فقدم إليهم طعامه ، لظنه أنهم ضيوف من الرجال ، وكان الطعام عجلا من البقر ، مشويا على النار ، أو على الحجارة الساخنة من غير نار ... والمشوى هو الحنيذ ولكن الملائكة لا تأكل طعاما كما نأكل ، فكان طبيعيا ألا يمدوا أيديهم إلى الطعام ، وهو لا يزال يظنهم أناسا ، فساوره الخوف من تحاشيهم لطعامه ، والمفروض أنهم جياع من أثر السفر ، فربما يكون امتناعهم نذيرا بشر يخافه منهم فبادرته الملائكة بالطمأنينة على نفسه ، وبالإفصاح عن رسالتهم . قالوا : « لا تخف ... إنا أرسلنا إلى قوم لوط » .

وكانت امرأته - سارة - قائمة إلى جانبه ، تتهيأ لخدمتهم على الطعام ، فلما سمعت مقالتهم واطمأنت على زوجها فرحت ، وضحكت ، فساقوا إليها البشرى بأن الله سيرزقها بولد يسمى بإسحاق ، وضاعفوا لها البشرى بأنها بعد إسحاق سيكون منه سبط لها يسمى يعقوب . كانت هذه البشرى خير ما تنتظر ، لأنها تقدمت فى السن ! إذ ناهزت التسعين ، وزوجها كذلك ناهز المائة ، فلا مطمع

فى الخلف حسب العادة ... ولهذا تملكها العجب الذى يمتزج بالفرح عندما يصادف المرء أملا كان يستبعده ... وقالت فى دهشة الفرح : « يا ويلتا أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا » .

يعنى يا عجبى ! هل يكون منى ولد بعد أن بلغت أنا وزوجى من الكبر ما بلغنا ؟ ؟ « إن هذا لشىء عجيب » .

لم يكن عجبها إنكارا للبشرى . لأنها عرفت أنهم ملائكة ، وأنهم قد علموا بشأنها من جانب الله - ولا جرم - وأنهم يبشرونها عن الله .

ويبدو أنها لم تكن سمعت من قبل بعجوز ولدت من رجل شيخ ، فاستعظمت هذا الحادث على نفسها ... فتهللت بالبشرى ، وبالعجب لما تستقبله من الأمل الذى أصبح مرجوا بعد أن كاد يزايلها .

ولكنها تعجب - كما قلنا - لأنها لم تسمع قبل ذلك أن عجوزا فى سنها ولدت من زوج فى سن ابراهيم ولم تفطن أن لله خصوصيات فى بعض عباده .

فهى بين البشرى ، والعجب : مأخوذة بنزعة التواضع : أنها لم تبلغ مبلغ الأحصاء من عباد الله وعندئذ تترفق بها الملائكة وتنبسط فى مناجاتها . فيؤكدون لها البشرى من جديد ويخففون عنها من دهشتها بقولهم لها : « أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » يعنى لا تعجبنى من أمر الله ، فإنه قادر على كل شىء ، ولا تستبعدى أن يخصكم يا أهل البيت ببعض مكارمه فالله يحييكم برحمته التى يغمركم بها فى قضائه . ويضفى عليكم بركاته فى الذرية وفى غيرها ، إنه تعالى يفعل الخير الذى نحمده على فعله . وهو المجيد الذى يتعاظم علينا بالمزيد من نعمه .

وسارة هـــذه لم تكن تجهل يومذاك أن ابراهيم أنجب ولده إسماعيل من زوجته الأخرى هاجر وكان إسماعيل فى فترة سابقة على هذه البشرى فلعلها كانت تظن أن الوقت بعد إسماعيل قد أبعد الأمل فى شيخوخة زوجها ... أو أنها كانت تظن أن المانع من جانبها أقوى ، لطول انتظارها .

ولذلك وجهت الملائكة بشراها إلى هاجر لشدة تعلقها . فحسبها ما ظفرت به من صادق الخبر على لسان الملائكة عليهم السلام جميعا .

ومن نفحات هذه القصة التى ورد ذكرها فى غير موضع أن فاتحة الكلام عند قدوم القادم على غيره أن تكون بتحية السلام ، كما صنعت الملائكة مع إبراهيم عليهم جميعا سلام الله .

وأن يسارع المزور بتقديم مكرمته إلى الضيف الوافد من سفر أو زيارة ، فى حدود طاقته ، وقد ظلت مكرمة الضيف مشروعة فى الإسلام منذ شريعة إبراهيم ، وهل هى ليوم واحد ، أو لثلاثة أيام قولان.

وعلى العموم ، فهى : سنة إسلامية والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

وكذلك من ملامح القصة المستحبة أن الضيف إذا قدم إليه طعامه أن يبادر بالإقدام عليه ، فإن المكرمة للضيف من رب المنزل أن يقدم إليه طعامه أو تحيته والمكرمة من الضيف لرب المنزل ألا يتريث عن التحية طويلا ، لئلا يكون هذا مظنة الإعراض عن تكريم رب البيت له .

ومن بعد ذلك تحققت بشرى الملائكة لإبراهيم ، وزوجة سارة ورزقهما الله بإسحاق ثم يعقوب والله تعالى يقول فى هذا ووهبنا له إسحاق و يعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين، ويظهر أن ابراهيم عليه السلام - كان يغبط نفسه كثيرا على إنجاب ولديه إسماعيل ، وإسحاق لأنهما كانا بعد يأس ومن ذلك قوله « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق . إن ربى لسميع الدعاء » .

وطبعا : كان وثيق الأمل فى يعقوب نافلة كما وعده ربه على لسان الملائكة .

ومن أجل هذا كان يستقبل أمله بالدعاء لنفسه ، ولذريته ، فيقول : « رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء » وفى هـــذا المجال متسع لكلام يطول عن الأسباط ، وهم يعقوب - إسرائيل ومن خلفه من بعده وليس هذا مما نحن بسبيله .

وإنما نعود إلى حديثنا عن الملائكة مع لوط عليه السلام .

(ب)

تحدثت الملائكة مع إبراهيم - عليه السلام - فطمأنوه من خوفه ، وبشروا زوجته بالبنين . ثم صارحوه بما هم قاصدون إليه بعد ذلك : « إنا أرسلنا إلى قوم لوط » آية ٧٠ من هود .

وإبراهيم رسول حليم ، أواه ، منيب ، كثير التأوه ، والضراعة ، راجع فى كل أموره إلى ربه : قلباً ، ولسانا ... وكان من شأنه بعد أن فرغ من الطمأنينة أو البشرى أن يراجع الملائكة فى إقدامهم على إهلاك قوم لوط خوفا على لوط ، وهو ابن عمه ، ورسول من ربه ، ويقول فى شفاعته لأهل القرية : « إن فيها لوطا !! » ، والملائكة يقولون له مرة نحن بمن أعلم فيها ... لننجينه ، وأهله : « إلا امرأته ، كانت من الغابرين » ، يعنى هى من الهالكين . ومرة يقولون له : ليصرفوه عن هذا الترفق والشفاعة لمن لا يستحقون شفاعته « يا إبراهيم أعرض عن هذا ، إنه قد جاء أمر ربك ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود » وبهذا انحسم الجدل ، وأيقن إبراهيم أن لوطا وأهله المؤمنين به ناجون من مهلكة القوم ، وأيقن أن هلاك القوم نفذ به القضاء فلا محالة من وقوعه .

ثم كان لقاء الملائكة للوط - عليهم السلام جميعا - فى المنطقة التى يقيم بها من الشام - وهى سدوم ، وما إليها - ولم يكن لوط على سابق عهد بحضور الملائكة إليه بعد أن اجتازوا موطن إبراهيم

لذلك ظنهم ضيوفه كما سبق « لإبراهيم » وظنهم قومه أيضاً رجالا ضيوفا ...

أما لوط فقد تحرج موقفه، وضاق صدره وتوقع شراً من قومه ، لعلمه أنهم أشرار ، أدنياء ، يعتدون على أعراض الرجال فى شخصياتهم ، ويخشى على كرامة ضيوفه - خاصة : أنهم حسان الوجوه .

وأما قومه فقد استفزهم الشيطان كعادتهم ، وجاءوا مسرعين ... للاعتداء الفاحش على هؤلاء الضيوف

وكثيراً مانهاهم لوط عن هذه الفعلة النكراء المزرية بأقدار الرجال ، والصبيان ، بل ومزرية بأعراض النساء ، فكان من قوله لأولئك الفساق : « أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم؟ بل أنتم قوم عادون» ، ويقول لهم: «أتأتون الفاحشة ، ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون» «أئنكم لتأتون الرجال ، وتقطعون السبيل ، وتأتون فى ناديكم المنكر ... » .

وهكذا من تحذيرات ، وتشنيعات ورد ذكرها على لسان لوط لقومه فى سور كثيرة كالأعراف ، وهود ، والأنبياء ، والشعراء والنمل ، والعنكبوت ... وكلها لا تجدى نفعا فى إصلاح هذه النفسيات المنحطة عن كرامة الإنسان، وهم لاينتهون عن خسيستهم فى إتيان الذكور دون الرغبة فى الزوجات .

حتى كانت الطامة عليهم بحضور الملائكة لأخذهم بعذاب الله ، بعد أن استحقوه بسوء ما يصنعون وحتى فى هذه الساعة التى سيحيق بهم الهلاك فيها : لم تكن تساورهم خشية ، ولا يكفهم توبيخ ، وهم فيما بينهم لايقتصدون فى إسفافهم .

والآن يرون ضيوف لوط، فيتهافتون عليهم فى هرع ، والهرع هو السرعة فى هرولة ، ورعدة . . ولوط يصرفهم فى جهد ، ويعزم عليهم أن يتزوجوا بناته. وكذلك يتزوجون بنات المؤمنين من قومه، وسيحقق رغباتهم فى الزواج ولن يرد واحداً منهم عن مخطوبته ، فإن من كانت ترفض خطبته عن واحدة ، فإنه لن يتزوجها أبداً فهو يقرب إليهم الأمل ، وهو يزكى البنات بطهارتهن من دنس الفحشاء ومن لوثة السمعة .

ويجأر بتوسله ورجائه إلى القوم أن يعززوه أمام ضيوفه ، ولا يحرجوه بما يخزيه من هذا الإسفاف ، وما فيه من تظاهر بالوحشية التى لم تنفع رسالته فى مقاومتها ، وكان

يزيده أسفا أن الجميع منهم على هذه الشاكلة من الغباء، والإجرام، والتشبث بالمنكر.

يقول لهم لوط «اتقوا الله، ولا تخزون فى ضيفى، أليس منكم رجل رشيد؟».

فلا تقوى عندهم لله، ولا مروءة تذودهم عن مهانة الضيوف، ولو تصنعا كما يحدث عادة ... ولا عقل عند واحد منهم، ولعل عاقلا واحدا يرشد كثيرين إلى الصواب، لو وجد فيهم ذلك العاقل.

بل مع هذا الزجر، والتنبيه يجابهونه فى صفاقة بقولهم «لقد علمت، ما لنا فى بناتك من حق، وإنك لتعلم ما نريد».

فإذا تمثلنا موقف لوط - عليه السلام - ساعة حواره مع القوم، وحين التماسه للحياء أو المروءة فلا يجد شيئاً من ذلك ... حين نتمثل هذا اللجاج بين من يترامون على الرذيلة فى أبشع أنواعها وبين من يدعوهم إلى العفة فى أكمل معانيها، يتبين لنا إلى أى حد هبط القوم عن مستوى الكرامة، وإلى أى درك من الهوان سقطت مروءتهم، ورضيت نفوسهم.

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

ثم يحيط القوم بباب الدار، ويدافعون الباب ليقتحموا، ولوط - عليه السلام - يتوجع من هول الموقف ... ويلهج بلسان الأسيف الضارع، ويتمنى أن لو كانت له طاقة بهم، لاستطاع دفعهم بالقوة، حيث لم ينجح معهم الإقناع «لو أن لى بكم قوة ... أو آوى إلى ركن شديد».

«ولكن لاقوة أستطيع بها، ولا ركن لى من العصبية التى أعتز بها فى مقاومتكم».

وعندئذ أصبح المغلوب على الحق أمام الغالب بالباطل.

ولكن الله تعالى ينصر رسله، ويفاجئهم بنصره وإن كانوا فى قلة، على من يغالبهم وإن كانوا فى كثرة، وقد وعد الله بنصر رسله والمؤمنين.

وعند ما تأزم الموقف أفصح له الضيوف عن حقيقتهم، وقالوا له: «يالوط: إنا رسل ربك، لن يصلوا إليك، وأذنوه أن يتنحى عن الباب أمامهم، فاقتحموه بكثرتهم وقوتهم فضربهم جبريل بجناحه فأعماهم جميعا، وهذا هو قول الله تعالى «ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم، فذوقوا عذابى ونذر». وكان هذا العمى مقدمة العذاب فيمن حضر، وهو إنذار للجميع؟ وللكلام بقية

عبد اللطيف السبكى

بين الطب والشريعة

العدوى والتشاؤم والتفاؤل

للأستاذ مصطفى محمد الطير

« لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » رواه البخارى ،
زاد مسلم « ولا غول » وزاد النسائى « ولا تولة »

من الأمور الثابتة تجربة وطبا أن بعض الأمراض ينتقل بالمخالطة من العليل إلى الصحيح عن طريق زفيره أو فضلاته المختلفة ، وأن لكل مرض خاصيته فى العدوى ، وقد أثبت التحليل المعملى والمجهر والتجارب المختلفة أن لكل مرض معد كائنا صغيراً يسمى علميا (الميكروب أو الفيروس) وأنه بعد انتقاله مع فضلات المريض إلى الصحيح يسبب له المرض عند ما تنقضى على انتقاله مدة معينة تسمى مدة الحضانة .

ومن أجل ذلك يوصى الأطباء من يخالطون المرضى أن لا يستعملوا الأدوات التى يستعملها هؤلاء المرضى إلا بعد إغلائها أو تطهيرها بالمحاليل القاتلة الميكروب ، كما يوصونهم بفتح بعض النوافذ فى حجرة المريض لتجديد الهواء بطريقة صحية . حماية لهم من العدوى .

وهناك بعض الأمراض لم يعرف له ميكروب يسببها ، وقد يكون له ذلك ، ولكنه لم يكشف بعد ولا يزال سره عند الله تعالى الذى يعلم الغيب .

ومما لا شك فيه أن الله قد جعل لكل داء دواء ، لأن ذلك هو اللائق بحكمة الله ، و بقوله صلى الله عليه وسلم « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » رواه البخارى ، ولكن بعض الأمراض لم يتوصل الأطباء بعد إلى دواء يستأصله ، وإن وصلوا إلى تخفيف حدته حتى تحين منية المصاب به ، ولا يزالون جاهدين فى البحث عن علاج له رحمة للمصابين به ، وعسى أن يهديهم الله تعالى إليه ، أما معظم الأمراض فإنهم وصلوا إلى علاجه بنجاح عظيم ، إلا مع من كتب الله عليه الموت ، فإن العلاج الذى عرف نجاحه مع غيره يصبح عديم الجدوى بالنسبة له قال تعالى : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

والشريعة الإسلامية تقر الطب على أن الأمراض قد تنتقل بالعدوى ، ولا يمنع من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق « لا عدوى » فقد كان العرب قبل أن يشرفهم الله بالإسلام ينسبون كل شىء

إلى أوثانهم ، فكانوا ينسبون إليها الأمطار والأرزاق والانتصار فى الحروب وشفاء المرضى وغير ذلك ، وكانوا يقدمون لها القرابين لتحقق لهم بزعمهم ما يريدون ، فلما زالت دولة الأوثان وشرفهم الله بالإسلام كان لا بد من تتبع أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم لإزالة ما علق بها من نسبة الأمور فيها إلى غير الله ، أو من السكوت فيها عن الله ، حتى لا يتسرب إليهم الشرك من أية نافذة وهم حديثو عهد بجاهلية .

ومن ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الأمراض تنتقل إلى الأصحاء من المرضى دون أن يمر بخواطرهم أن ذلك مبنى على مشيئة الله وقدره ، على قاعدتهم من نسيان الله فى أمرهم كله ، فأصبح محتوما أن يتعلموا أن مرد الأمور إلى الله ، وأن العدوى لا تكون بغير مشيئته فلهذا قال الرسول : «لا عدوى» قاصدا أنها لا تكون بغير مشيئة الله تعالى ، ويدل على أن ذلك هو مقصوده صلى الله عليه وسلم أن اعرابيا حين سمعه يقول « لا عدوى » سأله قائلا «يارسول الله فما بال إبلى تكون فى الرمل كأنها الظباء ، فيأتى البعير الأجرب فيجربها ، قال فمن أعدى الأول ؟ »

أراد الأعرابى من سؤاله أن العدوى أمر ذاتى يأتى بمجرد المخالطة ، وقد طرح جانبا من تفكيره مشيئة الله وإرادته ، وأنه هو وحده الذى جعل المرض ينتقل إلى الصحيح فلهذا رد النبى صلى الله عليه وسلم رداً مفحما صحح به عقيدة الاعرابى كما صحح به واقع الأمر إذ قال فمن أعدى البعير الأول الذى أصابه الجرب دون أن يخالط حيوانا مصابا بالجرب ؟ !

وسكوت الأعرابى بعد هذا الجواب دال على اقتناعه بأن البعير الأول حيث لم يمرض بالعدوى من حيوان مريض بل بفعل الله ومشيئته وقدره فإن البعير المخالط للمصاب بالجرب يكون جربه بفعل الله وقدره ، وبذلك حصل مقصود الرسول من إرشاد القوم إلى أن مرد الأمور إلى الله ، وتثبيت عقيدة التوحيد فى قوم كانوا فى جاهليتهم القريبة قد نسو الله ونسبوا الأمور إلى غير خالقها وفاعلها الحقيقى سبحانه وتعالى .

والرسول صلى الله عليه وسلم لاينفى أن المخالطة سبب عادى فى انتقال المرض ، بل لقد سبق الأطباء جميعا فى إقرار ذلك ، ووضع نظاما للوقاية العامة من العدوى بالأمراض الوبائية أصبح يسمى نظام الحجر الصحى ، ومن ذلك قوله « لا يوردن ممرض على مصح » وقوله « الطاعون رجز أرسل على طائفة من قبلكم ، أو على بنى إسرائيل ، فإذا كنتم بأرض وهو بها فلا تخرجوا منها ، أو كنتم خارجها فلا تدخلوا عليها » .

كما حذر من مخالطة المصابين ببعض الأمراض تحذيراً شديداً ، كقوله « فر من المجذوم فرارك من الأسد » إلى غير ذلك من النصائح الطبية الوقائية الدالة أوضح الدلالة على إقراره صلى الله عليه وسلم نظرية العدوى بالمخالطة ، على أن يعتقد أن هذه العدوى لا تكون إلا بمشيئة الله ، فكم من مخالط شديد المخالطة للمرضى ينجو من المرض لأن الله شاء له الوقاية ، وكم من بعيد عن جو المرض فتك به مرض أصابه عفواً بتقدير الله جل وعلا .

ومن الفوائد العظيمة لقول الرسول: « لا عدوى » على معنى إلا بمشيئة الله أن لا يترك الأصحاء مرضاهم وأن يهملوهم خوفا من فاعلية العدوى ، فمتى عرف المخالطون للمرضى أن العدوى لا تنتقل منهم إليهم بغير قدر الله امتلأت قلوبهم بالطمأنينة وقاموا على خدمتهم مع الاحتياط قدر الإمكان باتقاء إفرازاتهم المختلفة .

ولا شك أن إيمان المخالط بذلك يرفع من معنوياته ، ويجعله أكثر مناعة على المرض من ذلك الذى يرجف فؤاده من فاعلية العدوى وحتمية انتقالها. فالخوف من العدوى أقوى العوامل على ضعف أسباب المقاومة الذاتية فى صاحبه ، وذلك أمر مسلم به طبيا فما أشد فتك الوهم والخوف من المرض بصاحبه وإن لم يخالط المرضى ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « إن من القرف التلف » .

فعلى كل مسلم أن يعلم أن المرض لا يأتيه بغير مشيئة الله تعالى ، وأنه سبحانه قد سلح الإنسان بسلاح قوى يرد عنه عوادى المرض وهو كرات الدم البيضاء ، فهى الحارس الإلهى الذى يدفع عنه فيروسات الأمراض ويفتك بها . وعليه أن يحترز من إفرازات مريضه قدر إمكانه ويترك السلامة بعد ذلك لله تعالى . وليعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما كتب عليه فلا بد أن يصيبه ، فلا يغنى حذر من قدر ، فقد جفت الأقلام وطويت الصحف .

(التشاؤم) .

ومن العادات الموروثة فى بعض الناس أن يتشاءموا ببعض الأمور ، وأن يقعد بهم هذا التشاؤم عن المضى نحو الأعمال النافعة ، وهذا نقص فى الخلق عظيم ، فإن من شأنه أن يحول دون جلب الخير ودفع الضر ، فالله سبحانه لم يجعل ما يتشاءم به الناس سببا لجلب الشؤم عليهم إن هم انطلقوا إلى تحقيق ما يريدون من مصالحهم ، ولهذا كان لا بد لصاحب الشريعة من أن يقاوم هذا التشاؤم ويضع له حدا ، فأتبع قوله (لا عدوى) قوله : « ولا طيرة » أى ولا تطير . والتطير التشاؤم مأخوذ من الطير فإن العرب كانوا إذا أرادوا الشروع فى سفر أو عمل أنفروا أول طائر يلقونه ، أو أزعجوه من عشه فإذا طار جهة اليمين تفاءلوا ومضوا لتحقيق

ما يريدون ، وإذا طار إلى غير جهة اليمين تشاءموا وقعدوا عن تحقيقه . كما كانوا يتيامنون بالسوانح وهى الطيور تمر من اليسار إلى اليمين ، ويتشاءمون بالبوارح ، وهى الطيور تمر من اليمين إلى اليسار ، ثم عم التطير فى التشاؤم سواء كان سببه الطير أو سواه .

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقصد بقوله ولا طيرة نفى ذات التطير أى التشاؤم فإنه كان موجودا ولا يزال عند بعض الناس ولكنه يقصد النهى عنه ، ويريد أن يحول دون إزعاج الطير من أعشاشها ، وقد صرح بذلك فى قوله « أقروا الطير على وكناتها » أى اتركوها قارة فى أعشاشها ولا تخرجوها منها لتتشاءموا أو تتفاءلوا بها .

وكانت الفرس والعرب أكثر الناس تشاؤما ، ولا يزال كثير من الناس يتشاءمون ويحجمون عن الإقدام يائسين من الظفر بتحقيق رغائبهم ، متقلبين فى الشقاء والتعاسة وإلى جانبهم هؤلاء السعداء من المتفائلين الذين يقدمون على مطالبهم بعد أن يهيئوا لتحقيقها الأسباب ، ويثقوا بما عند الله من الخير ، فلا يصدهم خوف ، ولا يكفهم خور فى العزيمة ولا يثنيهم طير يمر ناحية اليسار أو غيره عن الإقدام ، فيعود دون الفوز بالمقاصد ، وينقلبون بتحقيق الرغائب ، فإن الغنم فى الإقدام ، والخيبة فى الإحجام .

فمن ابتلى بالتشاؤم فليصرف عن نفسه وساوس الشيطان ، وليعلم أن الرزق والخير تابعان للطلب لا للهرب ، وأن ليس للطير يمر ناحية اليمين أو اليسار أو نحو ذلك دخل فى تحقيق ما يريد أو عدم تحقيقه ، قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فمر طير يصيح ، فقال رجل من القوم خير ، فقال ابن عباس « لا خير ولا شر » ، ولنعم ما قاله الشاعر لبيد :

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم المضى فى المطلوب علاجا للتشاؤم فقال : « إن فى الإنسان ثلاثة : الطيرة والظن والحسد ، فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع ، ومخرجه من الظن أن لا يحقق ، ومخرجه من الحسد أن لا يبغى » .

ومن أسوأ أنواع التشاؤم ما حدث من الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقد فتح المصحف فخرج له قوله تعالى. « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » ، وكان فى وسعه ألا يتشاءم بشىء من القرآن ، فإنه جاء للعظة لا للتشاؤم ، لكنه أبى إلا أن يتشاءم بهذه الآية فمزق المصحف — قبحه الله — وأنشأ يقول :

أتوعد كل جبار عنيد
فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر
فقل يا رب مزقنى الوليد

فلم يلبث إلا أياما حتى قتل شر قتلة ، وعلق رأسه على قصره ، ثم على سور بلده ، وكان شؤمه عليه من جهة تمزيقه المصحف الشريف لا من جهة الآية الكريمة فقد تصادف البر كما قد تصادف الفاجر .

أما التفاؤل فهو مشروع ، لأنه باعث على الجد ، ومعوان على الظفر بالمطلوب إذ هو سبب لقوة العزم على المضى ، ولهذا كان الرسول يحب الفأل الحسن ، ويتفاءل فى غزواته وحروبه ، سمع كلمة فأعجبته فقال: (أخذنا فألك من فيك) . وروى الترمذى وصححه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج لحاجة يعجبه أن يسمع : (يانجيح يارشد) وروى البخارى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا طيرة وخيرها الفأل ، قالوا : وما الفأل يا رسول الله . قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » ، ولما وصل النبى بجيشه إلى حنين ليغزو هوازن قال له رجل : « إنى انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياههم اجتمعوا إلى حنين » فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم متفائلا بذكر أنعامهم وشياههم وقال : « تلك غنيمة للمسلمين غداً إن شاء الله تعالى » ، وقد تحقق فأله وغنم منهم غنائم كثيرة ، فالإسلام يقر الفأل لأنه يشد العزيمة ويدفع إلى الأمام بخلاف التطير فإنه مرض نفسانى يدعو إلى الاستخذاء والتقاعس عن الخير ، فلهذا نهى عنه الشرع ، وذلك دستور يقره الطب النفسانى ويباركه .

ومن عقائد الجاهلية أن روح القتيل الذى لا يؤخذ بثأره تصير هامة ، وتصيح قائلة : اسقونى من دم قاتلى ، فإذا أدركوا ثأره امتنع ظهورها ، واستقرت روحه فى قبرها . والهامة طائر يطير فى الليل ويسمونه الصدى ، قال الزبرقان بن زيد يعنى الهامة :

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حتى تقول الهامة أسقونى

ويقول إبراهيم بن هرمة :

وكيف وقد صاروا عظاما وأقبرا
يصيح صداها بالعشى وهامها

وهذا الاعتقاد فاسد لا صحة له ، وقد كلف أصحابه ضحايا لا عداد لها ، فإنه كان يؤدى إلى قيام القبائل أو الأسر بعضها على بعض للأخذ بثأر أحد أفرادها ، فيفنى منهم العدد الكثير من أجل فرد واحد ، فلذلك نفى النبى صلى الله عليه وسلم الهامة قائلا : « ولا هامة » ليرجع الأمر إلى القضاء ،

فيحكم بقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس» . الآية إن كان القتل عمداً ، أو يحكم بالدية إن لم يكن عمداً ، ما لم يعدل أولياء الدم إلى العفو عملا بقوله تعالى : « وأن تعفوا أقرب للتقوى» .

ومما يؤسف له أن هذا الاعتقاد لا يزال له بعض الظلال والآثار فى بعض الأقاليم والقبائل العربية ، فإن عادة الأخذ بالثأر فى مجتمعهم أكثر بروزا من الرجوع إلى القضاء، مع أن حكم الله أعدل ، والأخذ به ألزم ، والعدول عنه إلى ما هم فيه مخل بالأمن ، ومسبب لأشنع الكوارث .

ومن عقائدهم أن شهر صفر هو شهر النحوس والفتن ، فكانوا يتشاءمون به ، فلا يعقدون فيه زواجا ولا بيعا ، ولا يسافرون لتجارة ولا يباشرون مقصدا من المقاصد الجادة ، كما أنهم كانوا يعتقدون أن الألم الذى يشعر به الجائع سببه حية عظيمة فى البطن تنهش من أحشائه وضلوعه ، أطلقوا عليها اسم الصفر فنفى الرسول صحة هذين الاعتقادين بقوله فى الحديث «ولا صفر» فإن ذلك من الخرف الذى لا يليق بالعقلاء .

ومن عقائدهم أن الغيلان تتراءى للناس فى الفلوات على أشكال مختلفة ، فتضلهم عن سواء السبيل وتهلكهم وما يهلكهم سوى هذا الوهم الكاذب والخيال العاثر . فهو الذى يضل عقولهم ، فيضلون عن سواء السبيل الموصل إلى غايتهم .

كما اعتقدت نساؤهم أن حمل الفولة يحبب المرأة إلى زوجها ، والفولة خرز أو حجارة أو ودع أو نحو ذلك ، وكانت نساؤهم يفعلن ذلك ، فنهى الرسول عن اعتقاد إضلال الغول ونفع الفولة بقوله « ولا غول ولا فولة » وقال فى التميمة والودع « من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا أودع الله له» ودخل ابن مسعود على امرأته وفى عنقها شىء معقود . فجذبه فقطعه ثم قال: «لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا» .

جزى الله نبينا على هذه النصائح والإرشادات الجليلة ما هو أهله من الصلاة والتسليم والإجلال والتكريم ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

من هدى السنة

المساواة والمواساة في الإسلام

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك؟ فقال: إني ساببت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية! إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

رواه البخاري في كتاب الإيمان — باب المعاصي من أمر الجاهلية، والعتق — باب قول النبي: «العبيد إخوانكم» وفي كتاب الأدب — باب ما ينهى من السباب واللعن

الشرح والبيان

«من هو أبو ذر؟»

هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري واسمه جندب، وقيل بريد بن جناده (بضم الجيم والنون الخفيفة) ابن سفيان بن عبيد بن حرام (بالمهملتين) وغفار من بني كنانة وهو من السابقين الأولين للإسلام ولإسلامه قصة ذكرها البخاري في صحيحه: ذلك أنه لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله، ثم ائتني، فانطلق أخوه واسمه أنيس حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى أبي ذر، وقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاما ماهو بالشعر، فقال أبو ذر: ما شفيتني مما أردت، فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد الحرام فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه، وكره أن يسأل عنه لما يعرفه من كراهة قريش لمن يحاول أن

يتصل به ، فلما أدركه الليل رآه سيدنا على — كرم الله وجهه — فعرف أنه غريب فأضافه عنده ، ومكث ثلاثا وهو لا يسأله عن سبب قدومه على عادة العرب فى أدب الضيافة ، فلما كان اليوم الثالث قال له على : ألا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟ قال: إن أعطيتنى عهـداً وميثاقا لترشدننى أخبرتك فأعطاه ما أراد فأخبره ، فقال له : إنه حق وهو رسول الله ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فسمع من قوله ، وأسلم مكانه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ارجع إلى قومك فاخبرهم حتى يأتيك أمرى»

فقال والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته «أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله» فانهال عليه القوم وضربوه حتى أوجعوه ، فأتى العباس فأكب عليه وقال : ويلكم ألا تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليه وأنقذه منهم ، فلما كان الغد عاد لمثلها فعادوا هم لمثل مافعلوا حتى أنقذه العباس ، ثم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر ، وأحد ، والخندق ، ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فصحبه إلى أن توفى ، ثم خرج بعد وفاة الصديق إلى الشام فأقام بها حتى ولى عثمان رضى الله عنه ، ثم استقدمه بسبب شكوى معاوية منه لقوله بحرمة ما زاد من المال على قدر الحاجة ، وإنه كنز . فصار الصبيان والناس يجتمعون عليه لغرابة قوله فاستأذن عثمان فى الخروج إلى الربذة ، وقال : إن رسول الله أمرنى أن أخرج منها — المدينة — إذا بلغ البناء سلعا فأذن له ونزل الربذة ، وبنى بها مسجدا ، وأقطعه سيدنا عثمان أرضا وصرمة [1] من الإبل ، ومملوكين ، وقيل إن عثمان نفاه إليها والأول هو الأصح ، وكان يتعاهد المدينة ، ومكث بالربذة حتى توفى ، واتفق مرور عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وهو مقبل من الكوفة ، مع نفر من فضلاء الصحابة فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ، ودفنوه ، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين للهجرة .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، وكان من أوعية العلم المبرزين فى الزهد والورع والقول بالحق ، وقد أثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : «فى أمتى أبو ذر شبيه عيسى بن مريم فى زهده» وقال : «من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر

(١) ما بين العشر إلى الأربعين (المصباح المنير) .

إلى أبي ذر » وقال : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبي ذر » وروى عنه أنه كان يقول : كان قوتى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا من تمر فلست بزائد عليه حتى ألقى الله وقد وفى بما قال فرضى الله عنه وأرضاه(١).

* * *

(لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك) :

الربذة : على وزن قصبة موضع على ثلاثة أميال من المدينة ، الحلة : ثوبان من جنس واحد ، غلامه : عبده وقد بينت الروايات الأخرى أنه كان عليه برد ، وعلى غلامه برد آخر فقيل له لو أخذت البرد الذى على غلامك لصار لك من البردين حلة ، فقال : لا ، ثم سئل عن السبب فى إلباس مملوك مثل ما يلبس ؟

(فقال : سابيت رجلا فعيرته بأمه).

سابيت : شاتمت ، رجلا : هو بلال بن رباح مولى الصديق ومؤذن رسول الله ، وفى الأدب المفرد للبخارى ، كان بينى وبين رجل كلام ، فعيرته بأمه : أى نسبه إلى العار بسبب أمه ، وكانت أمه أعجمية فنلت منها وقلت : يا ابن السوداء فلما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم قال : أعيرته بأمه فقلت : من سب الرجال سبوا أباه وأمه ، وهذا يدل على أنه حصلت بينهما مسابة ، فعـيره أبو ذر بأمه .

(فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية) .

هذا من النبى صلى الله عليه وسلم تأكيد بما بلغه وكأن بلالا اشتكى إلى النبى فسأل النبى أبا ذر ليرى أصدق أم لا ؟ وهكذا ؛ القاضى لا يحكم بمجرد الاستماع من أحد الخصمين بل لابد من سؤال الآخر ، الجاهلية: تطلق ويراد بها ما قبل الإسلام لما غلب فيها من الشرك ، والجهل ، والسفه ، وفساد القيم الخلقية ، وتطلق ويراد بها ما بين مولد النبى إلى البعث وقد ورد هذا الاستعمال الثانى فى بعض الأحاديث . والمراد هنا الأول ، وفى رواية « كتاب الأدب » على ساعتى هذه من كبر السن ؟ قال : « نعم » وقد أثر هذا التأديب النبوى فى نفس أبى ذر حتى روى أنه وضع خده على الأرض ، وقال : لا أرفعه حتى يطأه بلال بقدمه !!

وفى الحق أن الإسلام قضى على العنجهية الجاهلية والتفاخر بالأحساب والأنساب ، وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ولمادخل

(١) صحيح البخارى - باب إسلام أبى ذر ، والإصابة فى تاريخ الصحابة ، والاستيعاب على هامش الإصابة ترجمة أبى ذر .

النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا كان مما قال في خطبته « يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »(١) وفي حجة الوداع أكد مبدأ المساواة فقال : « أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » .

وقد طبق مبدأ المساواة عمليا لا نظرياً كما هو شأن بعض الدول التي تدعي الحضارة اليوم ، فوصل بعض الموالي إلى المناصب الدينية والدنيوية الرفيعة ، ولو أخذت في بسط ذلك لاحتاج إلى مقال برأسه . ولكن بحسبنا في هذا أن بلالا كان المؤذن ، وكان الأذان يلي منصب الإمامة وأن سيدنا عمر بن الخطاب القرشي العدوي قال في الصديق : هو سيدنا وأعتق سيدنا يريد به بلالا !!

(إخوانكم خولكم) : الخول بفتح الخاء والواو بمعنى الخدم أي خدمكم إخوانكم ، مبتدأ وخبر ، سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور أن يتعهدونها ويصلحونها ، ومنه : الخولي لمن يقوم بإصلاح البستان ، ويقال الخولي : جمع خائل وهو الراعي ، ويأتي التخويل بمعنى التمليك وعبر النبي بالخدم ليشمل المملوك ، وغيره ، وأن الكل في البر والعطف سواء ، وقدم رسول الله « إخوانكم » للإشارة إلى أن الأخوة الإنسانية هي الأصل وأما الملكية أو الخدمة فأمر عارض ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « جعلهم الله تحت أيديكم » مجاز من التصرف أو الملك ، وفيه تعطيف لأسيادهم أو مخدوميهم عليهم ، وبيان أن الله هو الذي فعل ، ولو شاء لعكس الأمر فصار المملوك سيدا ، والخادم مخدوما ، فلله در الكلام النبوي .

(فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس) .

من في « مما » للتبعيض أي فليطعمه من جنس ما يأكل وليلبسه من جنس ما يلبس أو بعضه ، ويؤيد ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله منه لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه وحره » فدل هذا على أن المراد بحديث أبي ذر المواساة وأنه ليس بلازم المساواة ولا أن يجلسه معه فالأمر متروك لتقدير المالك أو السيد ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حكيما غاية

---

(١) الحجرات الآية ١٣

الحكمة فى تشريعه هذا فالناس ليسوا سواء فنهم من لا يأنف من إجلاس خادمه معه وهم ذووا الأخلاق العالية والنفوس المتواضعة ومنهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يأنف من ذلك ، وكذلك الخدم ليسوا سواء ؛ فنهم من يبطره أو يفسد طباعه أن يجلسه سيده معه ، ومنهم - وقليل ما هم - من يزيده ذلك أدبا مع سيده ، وتفانيا فى خدمته ، ألا ما أعظم تشاريع الإسلام وما أصلحها لكل النفوس ، ولكل زمان ، ومكان .

وقد اختار السيد الزاهد المتواضع أبو ذر المساواة بينه وبين غلمانه وآثرها على المواساة والظاهر أن أبا ذر كان يرى لزوم المساواة فقد روى الطبرانى عن أبى أمامة : أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى أبا ذر عبدا فقال أطعمه مما تأكل ، وألبسه مما تلبس ، وكان لأبى ذر ثوب فشقه نصفين فأعطى الغلام نصفه فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال قلت يا رسول الله أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون قال : « نعم » ، وقد وافقه النبى على ما فهم ، لأنه الأفضل والأليق بأمثال هؤلاء السادة الأخيار ، وأما من ليس على شاكلتهم فهو فى فسحة من هذا .

(ولا تكلفوهم من يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم) : التكليف تحميل النفس شيئاً فيه كلفة ، ما يغلبهم : أى عملا ما تصير قدرتهم فيه مغلوبة ويعجزون عنه لعظمه أو صعوبته فإن حدث وكلفتموهم ما يشق عليهم أداؤه وحدهم فأعينوهم ، وهذا من غرر الأخلاق والفضائل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم القدوة فى هذا .

وبعد : فهذه صورة مشرقة ترينا أن الإسلام - وإن أباح الرق فى أضيق صوره - إنما قصد به أن يكون تربية وتهذيبا وتعاونا ، لا أن يكون استغلالا أو استذلالا ، وأن الإسلام بلغ فى المساواة بين العرب والعجم ، والبيض والسود ما لم يبلغه كثير من أمم الحضارة اليوم ، وأن الخدم والأجراء لهم حق الأخوة الإنسانية على سادتهم ومخدوميهم ولعل فى هذا وازعا وواعظا للسادة والسيدات الذين واللاتى يسئن إلى الخدم بل ويسرفن فى الإساءة والذى نفسى بيده لو نفذ الإسلام عقيدة ، وعلما ، وعملا ، وسلوكا ، لكانت المجتمعات الإسلامية خير المجتمعات وأفضلها ولكنا السابقين فى ركب الحضارة والتقدم فمتى يكون هذا يا قومى المسلمين والعرب ؟ ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

العفاف خلق إسلامي أصيل

نماذج صادقة لذوي العفاف الرائع

للدكتور محمد رجب البيومي

تظل كتابة المستشرق الهولندي الأستاذ « رينهارت دوزى » جيدة مستقيمة ، حتى يلم بميزة بارزة للإسلام فينحرف !

لقد ذهب فى الجزء الثالث من كتابه عن تاريخ المسلمين فى أسبانيا إلى أن ابن حزم قد عرف الحب العذرى العفيف وتذوقه لأنه من أصل مسيحى فى زعمه ، ولأن عرق المسيحية العفيف قد نبض فيه برغم إسلامه فجعله ينحو منحى العفة شاذاً بذلك عن بقية المسلمين !! وجاء من المستشرقين من أيده وسانده ، ومنهم الأستاذ «ماسينيون» ، وهو من أعمق الدارسين للحب الإسلامى صوفياً وعذرياً ، فماذا تقول فى ذلك ؟ !

لو كانت مسألة العفة فى الإسلام من الأمور المتشابهة التى تلتبس فيها الآراء وتحتاج إلى مجهر دقيق يبرز ما استتر من النصوص والأحداث لعذرنا دوزى وماسينيون فيما ذهبا إليه من التفسير ! ولو كان هذان المستشرقان ممن لم يتعمقوا هذه النصوص العربية ولم يتبينوا الوقائع المشاهدة لقلنا عنهما : لقد فقدا الدليل وأعوزهما البرهان ، ولكن الحب العذرى فى الإسلام برجاله وأحداثه وأشعاره أوضح من أن يدل عليه وأشهر من أن يجهله مبتدىء ناشىء يتلقى الدراسة الأولى فى الثقافة الإسلامية ! بل إن كتاب طوق الحمامة الذى جعلهما يصدران هذا الحكم الجائر ليضم فصلين طويلين عن قبح المعصية وفضل العفة فى الإسلام ، وبهما من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يكفى لإيضاح رأى الإسلام فى التمسك بالفضيلة والشرف والعفاف ! فلو أن الأستاذ دوزى - على سبيل الجدل - لم يقرأ شيئاً عن تعاليم الإسلام وقرأ هذين الفصلين وحدهما لكان جديراً أن يبطل رأيه فيما ادعاه ! فما ظنك بماسينيون وأبحاثه عن التصوف الإسلامى والحب الإلهى ذائعة مستفيضة !! أنفترض بعد ذلك كله أنهما حكما على كتاب ابن حزم دون أن يقرآه ؟! وأن الأستاذ ماسينيون تكلم عن الحب الإلهى فى الإسلام دون أن يعرف عن أصحابه شيئاً ! ذلك أهون بكثير من أن نصمهما بسواه .

لئن كان الحب العذرى نبع فى الجاهلية لدى المرقش الأكبر وأضرابه ، ممن هدتهم الفطرة العربية إلى الطهارة النبيلة ، والشرف الأثير

فإن ماولى ذلك من دعوة الإسلام المتكررة إلى العفاف والصون ومحاسبة النفس ورقابة السماء، قد أكدت هذه المعانى وجعلت لها أناساً وقبائل وبيوتاً تنتسب إليها وتشتهر بها، وإذا كان الإسلام قد دعا إلى الجهاد بقوة، فإن الجهاد الأكبر جهاد النفس ومصارعة الأهواء، وبهذه التعاليم المثالية أصبح العفاف مبدأ إسلامياً قوى الدعائم وصارت الطهارة والمروءة والترفع من سمات هذا الدين العفيف، وقد تحدث التاريخ لدينا عن جماعة من العشاق تتأجج أشواقهم فى صدورهم، ثم لا يهمون بشىء رعاية للشرف وامتثالا لقواعد الإسلام؛ كان عبد الرحمن بن عمار المعروف بالقس عابداً متنسكا وقد أوقعه حظه فى سلامة المغنية فبادلته حباً بحب حتى اشتهرت به فقيل عنها: «سلامة القس»، فقالت له: أنا أحبك، فقال لها: وأنا والله كذلك! قالت: فما يمنعك فوالله إن الموضع لخال؟! فقال فى إشفاق: لقد تذكرت قول الله عز وجل: «الأخلاء يومئــــذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين»، وأنا أكره أن تنقلب خلتنا عداوة يوم الحساب!

وبرح الوجد بعروة بن حزام فقادته أشواقه إلى منزل صاحبته ونزل ضيفاً على زوجها بالشام، فأكرمه وأحسن وفادته ثم خرج وتركه مع عفراء يتحدثان فلما خلوا تشاكيا وطالت الشكوى وهو يبكى أحر بكاء ثم أتته بشراب وسألته أن يشرب فقال: والله مادخل جوفى حرام قط، ولا ارتكبته منذ كنت، ولو استحللت حراماً لكنت قد استحللته منك فأنت حظى من الدنيا! ولعل من البداهة أن نشير إلى حديث رسول الله: سبعة يظلهم الله، وفيهم: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إنى أخاف الله.

وقد كنا على أن نفيض فى أمثال عبد الرحمن القس، وعروة بن حزام، وقيس وعروة ابن أذينة، وتوبة بن الحمير، وجميل بن معمر وكثير عزة وسواهم من ذوى الحب العفيف ولكن كتب الأدب تزدحم بذلك مفرقا فى الأغانى ومتصلا فى كتاب ذم الهوى للإمام ابن الجوزى بحيث أصبح الحب العذرى فى الإسلام موضوعا كبيرا له أبطاله ووقائعه وأشعاره، ولن يجرؤ أحد على القول بتأثر العذريين فى دولة بنى أمية بالحب الأفلاطونى إذ لم تكن إذ ذاك صـــلة ما بين العرب واليونان!! فالحب العذرى لا محالة مرتكز على مبادىء الإسلام.

والحق أن اتجاه طوق الحمامة الفريد! إلى تحليل الحب والسمو به على نحو طريف لم يعهد قبله فى الأدب الأوربى قد دفع دوزى إلى رأيه، ليجعل ابن حزم متأثراً بالمسيحية

لا بالإسلام فيما يصدر عنه من قيم وآراء ، ولكن ذلك شيء والحق شيء آخر ، يقول الأستاذ الدكتور زكي مبارك في النثر الفنى جـ ٢ ص ١٦٦ ط ٢ .

« لقد طبع كتاب طوق الحمامة فى ليدن سنة ١٩١٤ بعناية المأسوف عليه الأستاذ بتروف ، وقد أحدث ذلك الكتاب رجة عنيفة فى أوربا ، وتناولته المجلات الأدبية بالنقد والتحليل ، وكان موجب تلك الضجة أنه لم يثبت أن كتابا ألف فى فن الحب قبل ذلك الكتاب لا فى اللغات القديمة ، ولا فى اللغات الحديثة لأن أوربا فى القرن العاشر فى الميلاد كانت معارفها قليلة جدا فى الشئون الوجدانية ، فكان من المستظرف حقا أن يكشف الباحثون أنه كان فى ذلك العصر كاتب عربى يتناول حديث الحب والعشق والهيام فى تفصيل شائق جذاب هو آية الآيات فى فهم أسرار الأهواء والشهوات والقلوب » .

لم تكن للمرأة الأوربية فى عصر ابن حزم إلى قرن بعده منزلة رفيعة تدعو إلى التسابق فى استرضائها ، فالمجتمع الأوربى إذ ذاك لا يراها إحدى عناصره المؤثرة ولا يجد فى محاسنها الخالبة ما يلهم أحاسيس كتابه ويذكى مشاعر شعرائه فيقدمون لها تراتيل الولاء والحب فى نغم ضارع لهيف !! نعم قد تحدث الأدب اليونانى قديما عن الحب وأشاد به أفلاطون وبرزت قصص الإغريق مضمخة بعبير المرأة أحيانا ...

ولكن صدى الإغريق قد انقطع عن أوربا فى العصور الوسطى حتى هبت نسمات العرب من الشرق تحمل أنباء الفروسية العربية ومن تقاليدها احترام المرأة وتمجيد الحب الطاهر والارتفاع بالغرائز إلى أوج الشرف والفضيلة والعفاف ، ثم انتقل التأثير الأندلسى من كتابة ابن حزم العاطفية فوجه العيون إلى طراز جديد من العواطف ، ودعا الكتاب إلى ممارسة فن جديد من الكتابة ، وكان « أندريه لوشابلان » فى منتصف القرن الثانى عشر للميلاد أول من كتب فى ذلك فأصدر كتابه « فن الحب العف » ، وقد تعرض له الناقد الدكتور محمد غنيمى هلال بالتحليل فقال عنه فى كتابه الأدب المقارن ص ٢٠٥ ط ٣ : « وفيه يذكر إدراكا للحب لم يكن للأدب الأوربى به عهد حتى ذلك القرن ، وفيه ترتفع المرأة إلى مكانة لم تحظ بها من قبل فى أوربا ويخضع الفارس لها كما يخضع للسيد صاحب الإقطاع ، فالفارس يضحى فى سبيل حبها ، ويبكى فى يسر حين يهدده الخطر فى حبه ويعدضعفه أمامها نبلا وسموا لا استكانة فيه ولا شر بسببه » . إلى أن يقول الدكتور ص ٢٠٨ .

والقرائن التاريخية تحمل على الاعتقاد أن هذا الإدراك للحب على نحو فريد فى الآداب الأوربية إنما ظهر فى تلك الفترة بتأثير حب الفروسية العربى بعد أن أشرب أهله روح الإسلام فعبروا فى شعرهم العربى عن عاطفتهم العفة الخالصة ، ومن القواعد التى يذكرها شايلان فى كتابه السابق أن المحب لا يهيم بسوى محبوبة واحدة . وأن المحب يظهر عليه بهت الخشوع أمام حبيبته ويضطرب قلبه بمحضرها ولا يقصر فى أى مطلب تريده منه حبيبته ولو تحمل فى ذلك المشاق وخيالها دائما نصب عينيه إن غابت عنه ، وعليه أن يكتم حبه لأن إذاعة الحب سبب من أسباب القضاء عليه ، ثم عليه أن يكون كريما غير بخيل إذ الكرم صفة جوهرية لعاطفة الحب الصادق ، وهذه كلها كما نعلم يفيض بها الشعر العربى وينص عليها كل من تعرضوا لدراسة هذه العاطفة من القدماء ومنهم محمد بن داود وابن حزم » .

وإذا كان لطوق الحمامة وما نحا نحوه من كتب للعرب ، هذا التأثير النفاذ فيما اتصل به من الآداب ، فإن ما سلف من الحديث عنه هنا محتوم ولو فى بضعة سطور .

لم يكن ابن حزم بدعا بين الفقهاء فى مقاساة الحب ، ولا بين الكتاب فى الحديث عنه ، والتأليف فيه ، فنحن نعلم عن كثير من الفقهاء والمحدثين ضروبا من الحب العذرى الصادق ، فإن التفقه فى الدين والتمسك فى العبادة يساعد على إعلاء الغرائز وسمو العواطف .

لا عجب إذن أن يكثر الحب العذرى فى تاريخ الفقهاء ، وهم قوم ذو تصون وعفاف ودين ، بل إن العجب ألا يكون مع ما يحملون من قلوب خفاقة وعواطف رقيقة ، ووجدان مشبوب . إننا نجد جماعة من الفقهاء فى الصدر الأول من الإسلام ، يشتهرون بالصبابة ويترنمون بالشعر حتى اشتهروا بالخفة والظرافة ، وضرب بهم المثل فى ذلك فقيل « أظرف من فقيه » هذا عروة بن أذينة الفقيه المحدث وشيخ مالك بن أنس يقول :

إن التى زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فأدقها وأجلها

منعت تحيتها فقلت لصاحبى
ما كان أكثرها . لنا وأقلها

فدنا وقال لعلها معذورة
فى بعض رقبتها فقلت لعلها

ويقول فى قصيد مؤثر :

إذا وجدت أوار الحب فى كبدى
عمدت نحو سقاء الماء أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره
فمن لنار على الأحشاء تتقد

قارون هذه الأمة

للأستاذ علي الجندي

قارون هـذه الأمة لقب أطلقه المؤرخون على أبي عبدالله الحسين بن عبدالله بن الحسين، المعروف « بابن الجصاص الجوهري » .

وإنما لقب بذلك لفرط يساره ، وكثرة أمواله ، وسعة نعمته تشبيها له « بقارون » المضروب به المثل في الغنى ، وهو الذي يقول فيه القرآن الكريم : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » .

وقد بلغ من شهرة « قارون الثاني » أو « ابن الجصاص » بالثراء الضخم ، أن أصبح من عجائب الدنيا !

يقول عبيد الله بن سليمان : سمعت سيدنا « المعتضد بالله » الخليفة العباسي يقول : « عجائب الدنيا ثلاث . ثنتان لا ترى ، وواحدة ترى ! فأما اللتان لا تريان : فعنقاء مغرب ، والكبريت الأحمر ! وأما التي ترى فابن الجصاص !

ولما تم الأمر للمقتدر العباسي ، وانحل أمر ابن المعتز ، اختفى الأخير عند ابن الجصاص ، فوشى به خادم صغير له ! فقبض المقتدر على ابن الجصاص ، وصادره على أموال جمة ، قدرها ابن خلكان بألفي ألف دينار « مليونين » ! وبقي له بعد ذلك سبعمائة ألف دينار !

ويقول الصولي : سمعت أبا الحسن بن عبد الحميد

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الذين انتهى إليهم العلم بالمدينة على عهد عمر بن عبدالعزيز وكان أمير المؤمنين يقول فيه : لمجلس ابن عبد الله أحب إلى من الدنيا وما فيها ! هذا عبيد الله يقول :

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم
ولامك أقوام ولومهم ظلم
زادك إغراء بها طول بخلها
عليك وأبلى لحم أعظمك الهم
ألا من لنفس لا تموت فينقضي
شقاها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت هجران الحبيب تأثما
ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
فذق هجرها قد كنت تزعم أنه
رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

وهذا عبدالرحمن القس ! وأبياته أشهر من أن تذكر وهـذا سواه وسواه في فجر الإسلام وهم كثير ؟

محمد رجب البيومي

كاتب السر يقول : الذى صح — مما قبضه المقتدر ، من مال ابن الجصاص — من العين والفضة والآنية والفرس والخيل والخدم - لا ضيعة فى ذلك ولا عقار - ما قيمته ستة ألف ألف دينار « ستة ملايين » !

ويقول ابن الجوزى . أخذوا منه مامقداره ستة عشر ألف ألف دينار « ستة عشر مليونا » وورقا وقماشا وخيلا ، وبقى له بعد المصادرة كثير : من دور وضياع وقماش وبضائع !

وبهذه المصادرة الضخمة ، خرج المقتدر من الضيقة التى كانت تهتك ستره ! ولم يتسع إلا بما أخذ من أموال ابن الجصاص — كما يقول الثعالبى — !

ومما حدث فى هذه المصادرة من العجائب : أنه كان من عادة ابن الجصاص ، إذا ضاق صدره وركبه الغم ، أن يخرج جواهر : من يواقيت حمر ، وصفر ، وزرق ، وحبا كبارا ، ودرا فاخرا . لا تقل قيمتها عن خمسين ألف دينار ! ويضع كل أولئك فى صينية يظل يلعب بها ، حتى ينسرى عنه الانقباض ، وتزول الوحشة ! وهذه خاصة معروفة فى الجواهر والذهب ! كما أن تلك المادة معروفة فى أغنياء الناس ، ممن لا يحسنون شيئا غير اكتناز الأموال والتسلى بجمعه !

وبينما هو يلعب - كعادته - بهذه الثروة فى بستانه ، إذ دخل عليه الناس بالصياح والزعيق والجلبة ! فما كاد يراهم حتى ألهمه حرصه - وإن شئت فقل : حظه - أن ينثر ما كان معه فى أرض البستان ، فلم يروه .

وأخذ هو وبقى فى المصادرة والحبس ! وتقلبت الفصول على البستان فجف ولم يفكر فيه أحد ! فلما أفرج عنه جاء إلى البستان ومعه غلام يثق به ، فأخذ يثير الأرض ، ويلتقط منها الجواهر واحدة بعد واحدة ، فلم يفقد منها شىء .

وكان ابن الجصاص بافعة فى معرفة الجواهر - على اختلاف أنواعها - لا يند عن خبرته شىء منها !

وقد سأله الخليفة المقتدر : بم تعرف فضل الياقوت ؟

قال : أعرفه - يا أمير المؤمنين - بحسنه وصفائه فى العين ، ورزانته فى اليد ، وبرودته فى الفم ، وصبره على النار ، ونبو المبرد عنه !

وفيما عدا صنعة الجواهر ، وجمع المال وتدبيره ، قد كان أجهل الناس ! بل كان أبله مغفلا ، غارقا فى الحماقة إلى قمة رأسه ! وصدق أبو تمام حيث يقول :

ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا
هلكن إذاً من جهلهن البهائم

فمن حماقاته : أنه قال يوما فى دعائه : اللهم اغفر لى من ذنوبى ما تعلم وما لا تعلم ! وكان الواجب أن يقول : ما أعلم وما لا أعلم !

وقال يوما لبعض أصدقائه : وحياتك الذى لا إله إلا هو !

وقال يوما : اللهم ، إنك تجد من تعذبه سواى ! وأنا أجد من يرحمنى سواك ، فاغفر لى !

وقال يوما : اللهم ، امسخنى حورية ، وزوجنى بعمر بن الخطاب !

فقالت له زوجته : كان الأولى سؤاله : أن يزوجك من الرسول - عليه الصلاة والسلام - إن كان لا بد أن تصير حورية !

فقال : لا أحب أن أكون ضرة لعائشة رضى الله عنها !

ونظر يوما فى المرآة . فقال لرجل بجانبه انظر ذقنى : هل كبرت أم صغرت ؟ فقال له : إن المرآة فى يدك . فقال : صدقت ، ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب !

وكان يوما يكسر لوزا ، فطفرت لوزة من يده ، فقال : لا إله إلا الله ! كل الحيوان يهرب من الموت حتى اللوز !

واجتمع الناس عند أبى إسحق الزجاج العالم اللغوى الأشهر يعزونه فى امرأته ! فأقبل ابن الجصاص وهو يضحك ويقول : يا أبا إسحق ، والله لقد سرنى هذا !

فدهش الناس والزجاج ، وقال له بعضهم: كيف سرك ما غمه وغمنا ؟

فقال : بلغنى : أنه هو الذى قد مات فحزنت ! فلما صح عندى أن الذى مات امرأته سرنى ذلك ! فأغرب الناس فى الضحك حتى الزجاج نفسه !

ونزل مرة مع الوزير الخاقانى فى المركب - وبيده بطيخة من كافور - فأراد أن يعطى الوزير البطيخة ويبصق فى نهر دجلة ، فبصق فى وجه الوزير ، وألقى البطيخة فى دجلة !

فارتاع الوزير وقال : ويحك ! ما هذا ؟

فأخذ يعتذر قائلا : أردت أن أبصق فى وجهك وألقى البطيخة فى الماء ، فغلطت !

فقال الوزير : هكذا فعلت يا جاهل !

فكان أن غلط فى الفعل ، وأخطأ فى الاعتذار !

ومع هذه الحماقة ، فقد كان بخيتا محظوظا عند الخلفاء والملوك !

ويرى المؤرخون الأثبات : أنه كان يتظاهر بالحماقة ليرى منه الوزراء ذلك فيأمنوه إذا خلا بالخلفاء ! والمتساهل من المؤرخين - كصاحب النجوم الزاهرة - يصفه بسلامة الباطن ! .

ولكن من أين حصل الرجل هذه الثروة الضخمة ؛ وهو من العامة والسوقة ؟

وقد أجاب ابنه عن ذلك حين سئل عن

مصدر ثروة أبيه ، بأنه كان وكيلا لملك مصر « خمارويه بن أحمد بن طولون » فى شراء الجواهر وغيرها مما يحتاج إليه هو ونساء القصر ! وكان دائما يقيم فى دهليز من دهاليز القصر لا يفارقه ؛ لحاجتهم إليه !

فجاءت إليه يوما قهرمانة معها عقد جوهر فيه مائة حبة ، لم ير قبله ولا بعده مثله حسنا ! كل حبة تساوى مائة ألف دينار ! وطلبت منه أن يخرط الجواهر حتى تصغر ! .

فكاد يطير من الفرح ! وخرج فى الحال وجمع التجار واشترى كل ماقدر عليه ، حتى جمع مائة حبة على حسب وصف القهرمانة . وأخذ فرق الثمن بين مائة حبة صغيرة من الجوهر ومائة حبة كبيرة ! وكان الفرق بينهما هائلا ! ألست ترى معى أنه كان « حويطا لا عبيطا » .

ولما تم عقد الخليفة المعتضد العباسى على قطر الندى ، الطولونية بنت خمارويه . حملها أبوها إلى بغداد ، ومعها عمها شيبان . وابن الجصاص ، وحمل معها من الجهاز ما لم ير مثله ولم يسمع به !

ولما دخل ابن الجصاص على خمارويه يودعه - وكان هو القائم بتجهيز العروس - قال له : هل بقى بينى وبينك حساب ؟ فقال ابن الجصاص : لا .

فقال : خمارويه : انظر حسنا . فقال ابن الجصاص : بقى كسر من الجهاز .

فقال خمارويه : أحضره .

فأخرج ابن الجصاص صحيفة فيها نفقة الجهاز ، وإذا هذا الكسر يساوى أربعمائة ألف دينار ! فوهبها له خمارويه !

وكان فى الصحيفة ألف « تكة » ثمنها عشرة آلاف دينار ! فما الظن بالحلى والحلل وغيرها ؟ !

قال القضاعى - راوى الخبر - : وإنما ذكرت ذلك ليستدل به على أشياء :

منها كرم خمارويه ! ومنها كثرة مال ابن الجصاص حتى إنه قال : بقى كسر فى الجهاز - وهو أربعمائة ألف دينار - لو لم يذكره به « خمارويه » ما ذكره ! ومنها عمارة مصر فى ذلك الوقت حتى عثر فيها على ألف « تكة » كل تكة بعشرة دنانير ، حصل عليها فى أيسر وقت بأهون سعى !

ثم يقول القضاعى : ولو طلب فى زماننا خمسون تكة لم يقدر عليها ؟

ويقول المقريزى - معقبا على ذلك - : ولا يعرف فى أسواق القاهرة اليوم تكة بعشرة دنانير توجد فى الحال ولا بعد شهر ، إلا أن يعتنى بعملها !

وسبحان من يرث الأرض ومن عليها ويغير ولا يتغير ؟

على الجندى

التراث الإسلامي
في الحضارة الغربية
للدكتور محمد مختار القاضي

في الطب

— ١ —

اهتم المسلمون منذ بداية العهد الإسلامي بأصول الحضارات الأجنبية وحاولوا جهدهم أن يفيدوا منها، ثم لم يلبثوا أن علوا فيها علوا كبيراً. وفي مجال العلوم الطبية استقدم العباسيون أول الأمر أطباءهم من جنديسابور وهي مركز من مراكز الثقافة الأجنبية ورعوهم في بلاط بغداد وربما كان الطب بعينه أول حلقة في سلسلة الاتصال بين المسلمين والثقافات الأجنبية. ولقد شهرت أسرة بختيشوع بالطب في جنديسابور وبغداد كما شهرت في الأندلس أسرة أبي زهر، فظهر منها أبو مروان عبد الملك محمد بن زهر صاحب كتاب التيسير وابنه أبو العلاء، ومروان ابن أبي العلاء صاحب كتاب «الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد»، وأبو بكر محمد ابن عبد الملك صاحب رسالة في طب العيون، وابنه أبو محمد عبد الله، وقد عاش هؤلاء بين القرنين الخامس والسادس الهجري. ويحكي ابن أبي أصيبعة أنه كان في بغداد وحدها سنة ٩٣١ م ٨٦٠ طبيباً (١) وأن جبريل بن بختيشوع جمع من وراء هارون الرشيد والمأمون والبرامكة ثروة قدرها ٨٨٠٠٠٠ر٨٨ درهم وهي تساوي في نظر المستشرق الأمريكي ول ديورانت ٠٠٠ر١٠٤ر٧ دولار. وأن عدد الأطباء النصارى الذين كانوا في خدمة الخليفة المتوكل ٥٦ طبيباً (٢) وأن الأطباء كانوا يخضعون لنظام الرخص والامتحان، وكان من بين المشرفين على امتحان الأطباء في بغداد زكريا بن الطيفوري الذي عهد إليه الأفشين بهذه المهمة (٣).

ولقد بلغ تقدم المستشفيات في البلاد الإسلامية في العصور الوسطى درجة لم تبلغها أوروبا نفسها في القرن العشرين ويكفي أن تعلم أن مستشفى المنصور التي أسسها السلطان قلاوون ـ وهي أضخم مستشفى في العالم في ذلك العهد كانت تضم أقساما منفصلة تختلف

(١) طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٢٢.
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٠.
(٣) أبو الفرج ص ٢٤٤.

باختلاف الأمراض ، وأقساما للناقهين ومعامل للتحليل وصيدلية وعيادات خارجية ومطابخ لتقديم الغذاء على الطريقة العلمية وحمامات ومكتبة ومسجدا وقاعة محاضرات، كما كانت به أماكن مخصصة لمرضى العقول زودت بمناظر تسر العيون .

أما العلاج فكان بالمجان لجميع الطبقات من موسرين وفقراء ، أحرارا وعبيدا وكان يعطى لكل ناقه عند خروجه من المستشفى مبلغ من المال حتى لا يجهد نفسه بعمل سريع أما أولئك المصابون بالأرق فكان يرفه عنهم بالموسيقى الهادئة أو برواة القصص المحترفين . ويزودون بكتب التاريخ فى بعض الأحيان [1] .

وفى القرن العاشر الميلادى أخطأ طبيب فى علاج مريض فمات ، فاستدعى ذلك أن يعاد النظر فى أمر الأطباء ، وتقرر عقد امتحان لهم سوى من كانت شهرته فوق مستوى الشبهات [2] . وكان ثابت بن قرة يقوم بامتحان الأطباء فى بغداد ومهذب الدين الدخوار فى مصر . وفعل مثل ذلك بالصيادلة ، فعله الأفشين فى بغداد حيث كلف زكريا بن الطيفورى بامتحانهم وإجازة من يستحقون [1] .

وكان المحتسب (يقوم بوظيفة رجال الضبطية القضائية فى أيامنا) يراقب الأطباء والصيادلة والعقارين والعطارين والحجامين، وكان للأطباء نقيب فى بغداد والأندلس وسوريا ومصر .

وقد حكى الأستاذ أحمد حسن الباقورى المدير الحالى لجامعة الأزهر أنه لما كان وزيرا للأوقاف اطلع على حجة وقف يقف فيها صاحبها مالا وفيرا لينفق منه على اثنين أو أكثر من الموظفين يكون مهمتهما المرور وراء أسرة المرضى فيسأل أحدهما الآخر دون أن يشعر المريض أن الأمر مصطنع : ما قال الطبيب فى علة هذا المريض ؟ فيجيبه الآخر : قال إنها ستبرأ فى أسبوع أو أسبوعين . وهذا الحديث قصد به إحياء الروح المعنوية عند المرضى والعلاج بالإيحاء النفسى وهو أمر لا تزال أوروبا وأمريكا تحبوان فيه كما يحبو الطفل بعد مرور بضعة قرون على سلوك العرب هذه الطريقة للعلاج ويذكر بعض كتاب الغرب أن تأسيس المستشفيات الحديثة فى أوروبا إبان القرن الثالث عشر الميلادى كان أثرا من آثار

(١) قصة الحضارة لول ديورانت مجلد ٤ ج ٢ ص ٣٦١ .

(٢) طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٢٢ .

(١) أبو الفرج ص ٢٢٤ .

الحروب الصليبية ، إذ كانت فى الظاهر تقليداً للمستشفيات الفخمة فى الشرق مثل المستشفى التى أقامها نور الدين بدمشق أو السلطان قلاوون بالقاهرة ، فقد أعجب الرحالة الأوربيون بنظام هذا المستشفى الأخير ، فأسس أنو سنت الثالث فى روما فى أوائل القرن الثالث عشر مستشفى سان سبيريتو (الروح القدس) ، وأسس لويس التاسع مستشفى وملجأ باسم « لى كانزافان » فى باريس على أثر عودته من حملته الصليبية [١] ، فقد عرف البابا أنو سنت الثالث حال التقدم الطبى فى الشرق من الصليبيين الذين كانوا يحاربون فى الشرق بأمر منه ، وعرف الملك القديس لويس التاسع مقدار تقدم الطب عند العرب عندما أسر هو وعشرة آلاف من جنوده فى المنصورة وعالجه من مرضه طبيب عربى [٢] .

لقد كان بناء المستشفيات أثراً من آثار الحروب الصليبية ، أما عن أثر المؤلفات ، فإنه لا يمكن تقديره إلا إذا أحصينا جميع ما ألف العرب وجميع ما ترجم عن العرب وهو أمر لا يخضع للعد والحصر ، وإنما نستطيع أن نضرب له الأمثال ، فلقد ألف

(١) مايرهوف ص ٣٤٩ و ٣٥٠ .

(٢) ول ديورانت مجلد ٤ ج ٤ ص ٥٨ .

على بن عيسى البغدادى فى القرن العاشر الميلادى بحثا فى أمراض العيون ترجم إلى اللاتينية ، وفعل مثله عمار الموصلى ، وظل كتاباهما مرجعا فى طب العيون إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر [١] ، وألف على بن العباس كتاب « الملكى » الذى ترجمه إتيان الأنطاكى إلى اللاتينية سنة ١١٢٧ ، ونشره فى ليون ميشيل كابلا سنة ١٥٢٣ [٢] .

وألف ابن الجزار (ق ١١م) زاد المسافر ويحوى شروحا فى الطب الباطنى ، ولكن مترجمه واسمه قسطنطين نسبه إلى نفسه [٣] .

وظهر فى القرن الحادى عشر الميلادى قسطنطين الأفريقى فأدخل طب العرب إلى إيطالية ، وإليه يعود الفضل فى شهرة مدرسة ساليرم ، وألف هو عدة كتب نذكر منها كتاب De marborum cognitione . وكتاب De remediorum الذى طبع غير مرة ، وكانت طبعته الأولى ببال سنة ١٥٣٦ م [٤] .

(١) سير مايرهوف ص ٣٣٢ .

(٢) سيديو ج ٢ ص ٧٧ ، وهذا الكتاب مؤلف من خمسين جزءا وسبق أن طبعت نسخته المترجمة إلى اللاتينية فى البندقية سنة ١٤٩٢ (لوبون) .

(٣) سير مايرهوف ص ١٢٦ .

(٤) لوبون ص ٦٣١ .

وكتب يوحنا بن ماسويه فى القرن التاسع الميلادى رسالة فى الجذام ، وكتبا فى الأدوية الطبية طبعت مرارا ، ونشرت أهم كتبه : Canones Universales فى البندقية سنة ١٤٧١ م .

ومن أشهر أطباء العرب أبو بكر الرازى (محمد بن زكريا) ظهر فى الرى فى القرن التاسع الميلادى وخدم صاحب الرى ودبر مارستانها الجديد ومارستان بغداد ، وله كتب تزيد على المائة والثلاثين (١) .

وأشهر كتبه المطولة فى الطب كتابه (المنصورى) الذى أهداه إلى منصور بن إسماعيل (٢) وإلى الرى ويعرف فى أوروبا باسم Liber Almansoris ، وهو فى عشرة أجزاء .

وكتاب (الحاوى) ، وهو من عشرين جزءا لم يبق منها الآن إلا عشرة أجزاء موزعة فى مكاتب العالم .

وكتاب (الملوكى) أو الملكى وهـــو المعروف فى العالم الأوروبى باسم Regius ،

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤١٦ و ٥٠٤ .

(٢) الفهرست ص ٤١٥

كتبه إلى على بن ويهوذان صاحب طبرستان (١) أو إلى عضد الدولة ابن بوية (٢) .

وأشهر رسالة له هى رسالته فى الجدرى والحصبة وفيها تكلم عن الأمراض المعدية وفرق بين المرضين وشرح أعراض كل مرض فى كافة مراحله وطريقة علاجه .

ولقد ترجمت للرازى عدة كتب طبية هى أشهر ما عرف فى العصور الوسطى ، وظل الرازى إلى القرن السابع عشر حجة فى الطب بلا مدافع . وكتابه الحاوى أكبر موسوعة فى اللغة العربية ، ويقال إنه انقطع خمس عشرة سنة لكتابته ، والظاهر أنه مات قبل أن يتمه وقد جمع الرازى فى هذا الكتاب مقتطفات أخذها عن الأغريق والعرب وختمه بنتائج محصلة من تجاربه . « وما زالت بين أيدينا مذكراته العلاجية التى يصف فيها بغاية العناية سير مرض أولئك الذين طببهم » (٣) .

وترجمت أكثر كتب الرازى إلى اللغة اللاتينية وطبعت عدة مرات ، ولا سيما

(١) مقال P.Craus, S.Pines فى دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) التمدن الإسلامى ج ٣ ص ٢٠٢

(٣) S. Pines, P. Craus فى دائرة المعارف الإسلامية .

فى البندقية سنة ١٥٠٩ م ، وفى باريس سنة ١٥٢٨م وسنة ١٧٤٨ م ، وأعيد طبع ترجمة كتابه فى الجدرى والحصبة سنة ١٧٤٥ م (١) ، وظلت كليات الطب فى أوربا تعتمد على كتبه زمنا طويلا ، وكانت كتبه مع كتب ابن سينا أساسا للتدريس فى جامعة لوفان فى القرن السابع عشر الميلادى ، كما ثبت ذلك من لائحة الجامعة الصادرة سنة ١٦١٧ م ، وقد ظهر من هذه

(١) غوستاف لوبون ص ٤٨٩ ، ويحدد فى موضع آخر أن كتاب الحادى طبع سنة ١٤٨٦ لأول مرة ورسالة الجدرى طبعت أيضا ١٧٦٦

اللائحة أن مؤلفات علماء اليونان الطبية لم تنل من الحظوة إلا قليلا ، وأنها اقتصرت على بعض جوامع الكلم لبقراط وبعض الخلاصات لجالينوس .

ويقول عنه خودا بخش (١) :

« كان أبو بكر الرازى طبيب الخليفة المقتدر وكان معروفا فى أوروبا إلى القرن السادس عشر ونشرت أبحاثه عن الجدرى والحصبة سنة ١٨٤٨ ، وقام بترجمتها والتعليق عليها الدكتور جرينهل (Greenhill) » ؟

د. محمد مختار القاضى

(١) الحضارة الإسلامية ص ١٦٨

القول فى دين الله عن جهل

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد » .

طريقة القرآن فى الدعوة والإقناع

للأستاذ أحمد مصطفى

— ٥ —

(و) واستخدم الكتاب الكريم فى الدعوة والإقناع طريقة التمثيل بالأمر المحسوس، تقريباً للمعانى، وتدعيما للقضايا التى يعرض لها، ومساعدة للطبيعة البشرية التى يصعب عليها فى كثير من الحالات أن تنفذ إلى باطن الأمر إذا طمست أمامها المعالم، وتشابكت أغصان الباطل بغية إخفاء الحق.

من هذا الضرب ما نجده فى الآيات التى تكشف الزيف عن المعبودات الباطلة لعجزها عن أتفه الأمور وأصغرها، مثل قول الله سبحانه:

« يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » الحج ٧٣.

وقوله جل شأنه:

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » العنكبوت ٤١.

ومن هذا الضرب كذلك ما نراه فى الآيات التى تتحدث عن هذه المعبودات الباطلة من أنها لا تملك شيئاً، بل هى نفسها مملوكة لغيرها، ومن أنها تعجز عن الإبانة والإفصاح فضلا عن القدرة على هداية معبوديها، وتقارن بينها وبين من هو مطلق اليد، ومن هو قادر على إنارة الطريق وتوضيح الهدف، مثل قول الله سبحانه.

« ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شىء، ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سراً وجهراً، هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون.

وضرب الله مثلا رجلين، أحدهما أبكم لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ». النحل ٧٥، ٧٦.

ويناقش القرآن قضية الوحدانية وما شابهها على يد المشركين الذين أشركوا مع الله غيره فى العبادة، وتصوروا أن لآلهتهم بعض التصرف فى هذا الكون مع أنهم ملك الله سبحانه، والعبد لا يشارك سيده فى ملكه ولا فى تصرفه فيقول:

« ضرب لكم مثلا من أنفسكم ، هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » الروم ٢٨ .

ثم يناقش القضية نفسها من زاوية أخرى فيقارن — عن طريق المثل كذلك — بين ما يكون عليه الأمر من اضطراب وقلق إذا توزعت الملكية بين شركاء متشاكسين ، وبين ما يكون عليه من استتباب واستقرار ودعة عندما تخلص الملكية لواحد مطلق التصرف لاينازعه غيره ، وذلك قوله تعالى :

« ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سلما لرجل ، هل يستويان مثلا ، الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون » الزمر ٢٩ .

ويتحدث الكتاب الكريم عن الصراع بين الحق والباطل ، وما يكون عليه الباطل من زيف يدعو إلى الظن بأنه الغالب لظهوره وخفاء الحق عند النظرة العجلى ، وفى أول أدوار الصراع ، فيقول فى أسلوبه الممتع وبيانه الحكيم الذى لا يحتاج إلى توضيح :

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » الرعد ١٧ .

(ز) ومن الأساليب التى استخدمها القرآن فى الدعوة والإقناع مطالبة الإنسان بالاحتكام إلى نفسه فى تصرفاته الاجتماعية التى تتصل بالغير ، وتوجيهه إلى التفكير فيما يكون عليه الأمر إذا كان هو نفسه أو من يهمه أمره من أقرب الناس إليه فى مكان الشخص الآخر الذى يتصرف معه ، ولا نعرف أسلوبا أحكم من هذا الذى يدعونا إليه كتاب الله ، فعن طريقه يكون احترام الإنسان لشعور الآخرين احتراما منبعه اليقين النفسى ، وخير ما يوضح ذلك قول الله سبحانه :

« يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد » البقرة ٢٦٧ .

وعن طريقه يحافظ الإنسان على حقوق الضعفاء الذين شاء القدر أن يكونوا فى رعايته وتحت وصايته ، وليس لهم من القوة مايدافعون به عن أنفسهم إذا أساء معاملتهم أو بغى على حقوقهم ، وما أجمل قول الله فى ذلك :

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم

ذرية ضعـــافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » النساء : ٩

وعن طـريقه كذلك لا يتسرع الإنسان فى الحكم على الناس ، وإنما يتأنى ويفكر قبل إصدار الحكم ، وخير ما نقرأ فى ذلك قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنـوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيرا » النساء : ٩٤

(ح) وإذا كان علماء الدعاية اليوم يؤكدون أن التكرار والجدة من عوامل الإقناع ، فلسنا فى حاجة إلى استنباطاتهم ، ففى كتاب الله الكريم نجد كلا الأمرين واضحا جليا ، ونظرة فاحصة إلى ما سقنا من آيات فى كل باب من أبواب الموضوع تؤكد للقارىء أن الكتاب الكريم استخدم التكرار المنتج الذى يحمل دائما طابع الجدة .

ومن المفيد أن نشير هنا إلى قصص القرآن وما حـــواه من تـكرار القصة الواحدة فى أساليب مختلفة ، موجزة تارة ، ومطولة تارة أخرى ، وفى كل موضع - رغم تكرار الهيكل العام للقصة - نجد جديدا يلفت النظر ويعين على الفهم العميق .

خاتمـة

والآن ، وبعد هذه الجـولة ، مع الآيات الكريمـة التى غلب على ظننـا أنها تتصل بموضوع الدعوة فى عناصرها المختلفة ، لنا كلمة نود أن نوجهها إلى هؤلاء الذين يستهويهم نتاج العلوم الحـديثة من نفسية واجتماعية إننا نحب أن نهمس فى آذانهم بأن ما وصل إليه علماء النفس وعلماء الاجتماع من مبادىء وأسس اتخذها علماء التربية ومن وكل إليهم توجيه الجماهير الإنسانية منارات يسيرون على ضوئها ، ليست جـديدة بالنسبة للمسلمين إذ أن كتابهم المقـدس سبق هذه الأبحاث بقرون وقرون ، وقـرر ما وصلوا إليه فى أسلوب أوضح وبيان أفصح ، وأرجو أن يكون قد وضح من الفصل الذى معنا مدى تطبيق هذه المبادىء فى مجال الدعوة .

وإذا كان علمـاء النفس وعلماء الاجتماع يقررون أن الناس يختلفون فى مستوياتهم العقلية والوجـدانية والعاطفية ، وأن ذلك يتطلب اختـلاف الوسيلة عند مخاطبتهم أو محاولة جـذبهم إلى مبدأ أو فكرة فإن القرآن الكريم قد سبقهم فى تقرير ذلك وفى تطبيقه ، فلقد رأينا أنه استخدم :

١ ـ الأسلوب التلقينى ، عندما يسوق القضايا على أنها مسلمـة لا تحتاج إلى دليل ، ولا تحتمل المناقشة ، وهو الأسلوب الذى

يصلح للجماهير التى لا نصيب لها من ثقافة تمكنها من أن تزن الأمور وتفهم الأدلة ، والتى تعودت على أن تسمع لأصحاب الكلمة وأرباب النفوذ فى مجتمعاتها ، ولا تفكر إلا فى الخضوع لما تسمع .

٢ — الأسلوب المنطقى : عندما يسوق المقدمات وينطق بالنتيجة أو يطالب السامع باستنتاجها ، أو عندما يزيل الشبهة التى أدت إلى اختلاط الأمر أمام المدعو ، وهو الأسلوب الذى يصلح لأرباب الثقافة ومن عندهم قدرة على الفهم والتمييز .

على أن لهذا الأسلوب المنطقى هدفا آخر أحسسنا به فى جولتنا مع الآيات الكريمة ؛ ذلك هو إضعاف موقف المجادل والمكابر الذى تبعه لفيف من الجمهور دون علم ، وبذلك تتفتح الأعين ، وتزول الغشاوة ، وينفض الجميع من حوله .

٣ — أسلوب الإرهاب والتخويف : وهو الذى ينفع مع هذا النوع المتغطرس المتكبر ، الذى يلوى عنقه ، ويولى دبره إلى الحق ، ويصر على عدم السماع وعلى المكابرة رغم بيان الحق وظهور الدليل .

٤ — أسلوب الترغيب : وهو مفيد فى كثير من الأحيان ، ومع العدد الكبير من أفراد الإنسانية الذين يريدون ثمنا لكل تصرف يحدث منهم .

ومن هنا يرى القارىء أن الكتاب الكريم قد عالج الإنسانية فى مستوياتها المختلفة ، واستخدم فى كل مقام ما يناسبه من مقال ، وبذلك يسر لكل إنسان طريق الفهم والاستفادة . وصدق الله حيث يقول : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر » .

تم البحث والحمد لله رب العالمين ؟

أحمد ابراهيم مهنا

هذا أوان الجد

للدكتور علي العماري

فى أخبار الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى الذى قيل فى بيان عظمته ومكانته بين ملوك المسلمين : لولاه أى شىء صلاح الدين ؟! يريدون صلاح الدين الأيوبى .

فى أخبار هذا الملك أن الفرنج لما حاصروا (دمياط) فى سنة ٥٦٥ هـ كان شديد الاهتمام بذلك حتى إن بعض طلبة الحديث قرأ عليه يوما جزءا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيه حديث مسلسل بالتبسم ، فطلب منه القارىء أن يبتسم حتى يتصل التسلسل ، فامتنع من ذلك ، وقال : إنى لأستحى من الله أن يرانى مبتسما والمسلمون تحاصرهم الفرنج بثغر دمياط !!

وقد كان كثير من فرسان العرب ورؤسائهم فى الجاهلية والإسلام يمتنعون عن الطيب والنساء حتى يأخذوا بثاراتهم ، أو تنتهى الحرب بينهم وبين أعدائهم .

وهذا هو السلوك الطبيعى الذى ينبغى أن يسلكه الأفراد والجماعات والأمم والشعوب على كل فرد أن يشعر شعورا كاملا بما يحيط بوطنه وقومه من مكاره وشرور فيتصرف فى سلوكه الخاص والعام على حسب ما تقضى به الظروف التى يعيش فيها .

وليس طبيعيا أن يكون العدو جاثما على صدر الوطن ، وأن يشرد أخوة لنا فى الدين واللغة والعروبة ، ويلقى خيرة شبابنا مصارعهم من أيدى أعدائنا ، ثم نتوقع فى كل لحظة أن يهاجم هذا العدو ديارنا أقول : ليس من الطبيعى فى هذه الظروف القاسية أن نعيش كما لو كان الأمر يعنى به سوانا !!

إن إخوتنا وأبناءنا الواقفين على خط النار ينتظرون اليوم الحاسم الذى يزيحون فيه هذا الكابوس عن صدورنا ويردون للأمة العربية كرامتها ، وإن قادتنا جادون فى الإعداد ليوم النصر .

فما بالنا نتلمس هذا الشعور الجاد فى بعض مظاهر حياتنا فلا نجد له أثر ؟!

فى الوقت الذى ينادى فيه قادتنا بالتمسك بقيم الدين ، وبتعميق هذه القيم فى نفوس الجنود وأفراد الشعب كافة ، وفى الوقت

الذى ندرك فيه حق الإدراك أن كسب المعارك ليس بالسلاح فحسب ، وإنما هو - مع ذلك - بالإيمان والخلق الفاضل .

فى هذا الوقت نرى بعض أجهزة التوجيهية تشغل نفسها ، وتشغل الناس بأمور لا تتفق مع طبيعة الظروف التى تمر بنا

فمثلا ، يثار جدل عقيم حول (أفلام الجنس) ، ومدى ضررها ، أو ضرورتها ، وكأن الموضوعات التى تصلح للعرض على الجماهير قد نفدت ، ولم يبق إلا أفلام الجنس فنختلف حول ضررها أو نفعها .

ماذا ينقصنا ، بل ماذا ينقص شبابنا لو لم يشاهدوا هذه الأفلام العارية الرخيصة ؟

إن ما تبنيه الخطب الجادة ، والكلمات الهادفة والتوجيهات الحازمة تهدمه هذه السفاهات التى تكون - عادة - أعمق أثرا فى النفوس ، وبخاصة نفوس الشباب .

ثم أرانا لم نطور الأغنية ، ولم نطور المسرحية إلى ما ينبغى أن تقوم عليه حياة شعب يعانى هزيمة من عدو حقير .

فلا زالت الرخاوة ، والليونة السمجة تسيطر على أغانينا ، كلمات وأداء . ولا زالت مناظر الحب الرخيص هى التى تشيع فى مسرحياتنا وأفلامنا .

ومن أعجب ما قرأت أن مخرجا سينمائيا يدافع عن هذه (الميوعة) بأنه يفكر أولا فى (الربح) ، وكأن الربح المادى هو كل ما يعنيه الآن ، وكأننا لسنا فى حرب قاسية ينبغى أن نجند لها كل إمكانياتنا .

يقال إن شبابنا يعانى ضيقا نفسيا مما هو فيه ، ويعانى تمزقا بسبب النكسة ، وهذا حق ، فنفوس الشباب بها جراح عميقة ، وقلوبهم يكاد الأسى يفطرها مما صارت إليه أحوال وطنهم العزيز ، فهل تعالج هذه الجراح بالأغانى المخنثة ، والرقصات الخليعة ، والمناظر المرذولة يشاهدونها فى السينما وفى المسرح وفى التليفزيون ؟ !

ليس هناك علاج لمثل هذه النفوس أنجح من التمسك بالقيم الدينية ، وبالأخلاق الجادة المحاربة التى تهزم أول ما تهزم نقائص النفوس ورزائلها .

وإذا أصيب شاب بجرح عميق فى نفسه لأن شرذمة من شذاذ الآفاق استطاعت بالغدر وبمعاونة قوى أخرى أن تستلب قطعة عزيزة من الوطن ، فهل نصبح هذا الشباب ونمسيه بمثل هذه الأغانى من فلانة ومن فلان الذى يشبه فلانة ؟ !

إننا - حينئذ - نبعده عن مسرح الأحداث فإذا خلا إلى نفسه ازداد جرحه عمقا لأننا لم نفعل أكثر من أن دللنا عواطفه، وميعنا انفعالاته، وسرنا به إلى طريق لا يجد فيها الجواب عن تساؤله الظامئ، وتلهفه الحائر، ولا يجد فيها إشباعا لرغبته التي اتجهت كلها إلى سماء المعركة.

وربما استقر في أذهان أناس منا أن استمرار إذاعة أناشيد الحرب يدعو إلى الملل ويأتي بنتيجة غير التي نهدف إليها. وهذه مغالطة لا يراد منها الخير، فإن هذا السلوك مع ما يدعو إليه أسلم عاقبة، وأجدى نفعا من هذا الذي نسير عليه الآن.

على أننا لا ندعو إلى هذا، وإنما ندعو إلى التنويع، وإلى التجديد، ولكن في إطار السلوك الذي تحتمه علينا ظروفنا.

ليؤلف محترفو التأليف للأغاني بأساليب جديدة، وبمعان جديدة، وفي موضوعات جديدة، وليكتب كتاب القصة بأساليب وأهداف أخرى غير تلك التي شاعت، ولا زالت تشيع في قصصنا.

إننا لم نحس بتغيير يذكر في أغانينا منذ النكسة إلى الآن، فما زال الحب هو الموضوع الأصيل، وما زال اللقاء والهجر، وإعمال الحيلة للوصول إلى الحبيب، ما زالت هذه هي السمات البارزة في أغانينا، وفي أفلامنا.

لتكن فضائل الدين، وأخلاق الرجولة هي السائدة في كل أعمالنا، وليشعر كل فرد في أمتنا شعورا حقيقيا بهذه المأساة التي يعيش فيها وطننا الكبير ولنأخذ القوة من أبطال أمتنا، ففي سلوكهم وأخلاقهم ما يملأ حياتنا قوة وفضيلة، وما يدفعنا إلى خوض المعارك غير عابئين بشيء غير مجد الوطن وكرامته.

قد شمرت عن ساقها فشدوا
وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر أو أشد
لا بد مما ليس منه بد

د. علي العماري

الفكر العربي القديم
مقابل الفكر الإغريقي

للأستاذ محمد مفيد الشوباشي

عقدنا في مقالنا السابق مقارنة بين الأدب العربي القديم والأدب الإغريقي وقلنا عن الأول أنه واقعي إنساني وعن الثاني أنه خرافي وثني . ودحضنا الفكرة التي تقول أن الأدب الأغريقي كان يتصور الكائنات الجامدة كائنات حية ، على خلاف الأدب العربي ، وقلنا أن العرب القدامى تعاطفوا مع الطبيعة أكثر مما تعاطف معها الأغريق ، فقد كانوا يناجون الليل والنجوم ومنازل الأحباب ، ويخيل إليهم ، لفرط حساسيتهم أنها تشعر بمتاعبهم وآلامهم وتشاركهم فيها .

ونحن نضرب هنا الأمثلة التي تؤيد ما نقول فمن هذه الأمثلة، قول زهير بن جناب الكلبي :

وذى دار سلمى قد عرفت رسومها
فعجت إليها والدموع ترقرق
وكادت تبين القول لما سألتها
وتخبرني لو كانت الدار تنطق

ومن ذلك أيضا قول ذى الرمة :

أدارا بحزوى هجت للعين عبرة
فدمع الهوى يرفض أو يترقرق
وقفنا وسلمنا وكادت بعرف
لعرفان صوتي دمنة الدار تنطق

وقول عنترة الذى سبقت الإشارة إليه ، وهو يقرىء دار عبلة التحية :

يادار عبلة بالجواء تكلمى
وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

ومن دلائل حب العرب لبعض الحيوانات وإعجابهم بجمالها تشبيههم لحبيباتهم بالجآذر والغزلان .

وكان العرب أشد عطفا على جيادهم ، وأكثر مشاركة لها في متاعبها وأوجاعها . ومن شعرائهم الذين اشتهروا بذلك عنترة بن شداد، فهو يعنى أشد العناية بإطعام مهره وشاهد ذلك بيته السالف الذكر :

لا تذكرى مهرى وقد أطعمته
فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

ومن دلائل عطفه على الخيل قوله :

والخيل تشهد لى أنى أكفكفها
والطعن مثل شرار النار يلتهب

ومن ذلك قوله عن مهره :

ما زلت أرميهم بثغرة نحره
ولبانه حتى تسربل بالدم

فازور من وقع القنا بلبانه
وشكا إلى بعبرة وتحمحم

فالمهر يشكو متاعبه وآلامه بعبراته وتحمحمه ، بل إنه يكاد ينفجر شاكيا لولا أنه عاجز عن الكلام .

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى
ولكان لو عرف الكلام مكلمى

والشاعر العربى يتصور أن الحيوان يشاركه فى عواطفه ويحب مثله . قال المنخل اليشكرى .

وأحبها وتحبنى
ويحب ناقتها بعيرى

وقد صمد هذا التقليد على الزمن ، وانتقل إلى العصر الإسلامى ، فالبيت التالى يدل على إحساس الشاعر بمحنة العصفور وهو تحت وابل المطر :

وإنى لتعرونى لذكراك رجفة
كما انتفض العصفور بلله القطر

ويدرك الشاعر العربى حتى حب الوحوش بعضها لبعض ، وهو يحسدها إذا رأى أليفين منها لا يروعهما الذعر .

وهو يتمنى لو يعيش عيشتها :

يا ليتنا فردا وحش نبيت معا
نرعى المتان ونخفى فى خوافيها

وليت كدر القطا حلقن بى وبها
فوق السماء فعشنا فى مراقيها

أكثرت من ليتنى لو كان ينفعنى
ومن منى النفس لو تجدى أمانيها

ويذكر أبو نواس الألفة بينه وبين الكلاب إذ قال عن مغادرة له .

إلى بيت حان لا تهر كلابه
على ولا ينكرن طول ثوائى

ويبالغ أحد الشعراء فيؤثر صحبة الذئب على صحبة الإنسان :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطير

وحصان المتنبى يحادثه وينصحه :

يقول بشعب بوان حصانى
أمن هذا يسار إلى الطعان ؟

أبوكم آدم سن المعاصى
وعلمكم مفارقة الجنان

ونحن لا نجد فى الأدب الإغريقى ما يعبر عن مثل هذه المشاعر . ولسنا نبالغ إذا قلنا أن تعاطف الإغريق مع الطبيعة لا يرقى إلى ما بلغه تعاطف العرب من رقة العاطفة والسمو الوجدانى ولا يعيب شعراء العرب ـ كما يزعم المتعنتون ـ أنهم لم يصوغوا ملاحم

تنتظم مختلف مشاعر هذا التعاطف واكتفوا بالتعبير عنها فى أبيات متناثرة هنا وهناك ، فبحسبهم أنهم عبروا عنها ببلاغة أنفذ إلى شغاف القلوب من بلاغة شعراء الإغريق ، وقد تكون الكلمة المعبرة أشمل دلالة ، فى أحيان كثيرة ، من الإسهاب والإطناب ، وفى رأينا أن تعبير العرب عن خواطرهم ومشاعرهم ـ وهو ما قيل عنه أنه تقريرى مباشر ـ أقرب إلى الذوق المعاصر السليم ، لأن المرحلة التى قطعها فى ميدان الأدب كانت أكثر تقدما من المرحلة التى قطعها التعبير الأدبى الإغريقى .

وفى الحق أن العرب لم يكن لهم مذاهب فلسفية متكاملة كالتى كانت للإغريق ، ولكن فى الحق أيضا أن الخواطر الفلسفية التى عبر عنها أدباؤهم فى شعرهم ونثرهم كشفت من حقائق الوجود ، وطبيعة النفس البشرية ما لم يكشفه الفكر الإغريقى ، ونعيد هنا ماقلنا من أن الأدب على أنواع ، ولكل نوع منها اتجاهاته وخصائصه وميزاته ، والذى يمتحن الأدب العربى القديم فى حيدة وأمانة يرى معنا أنه أكثر تقدمية مما سبقه من آداب لأنه خطا أول خطوة تقدمية فى طريق الواقعية التى يتصف بها الأدب المعاصر السليم .

والشعر العربى القديم يتميز — كما قلنا بالوصف الصادق الناطق ، ويستغنى به عن الرمز الغامض المتشعب التأويل . وفلسفة العرب تلقى على الحياة والنفس البشرية نظرات ثاقبة تكشف من أسرارها ما لا تكشفه المذاهب الفلسفية الوهمية مهما حسن تصميمها وقد يكون ضوء الفنار المتقطع أقدر على هداية السفن من الضوء الثابت .

وتدل أمثال العرب القدامى وحكمهم على أنهم لم يؤمنوا بالجبرية إيمان الإغريق بها ؛ فهم ليسوا أسرى القدر يخضعون له عاجزين وإنما هم يناضلون فى سبيل تحقيق أهدافهم إما باللين والحكمة ، وإما بالشر والقوة . وقلما يجد الإنسان لهم قولا يدل على استسلامهم للقدر ، أو على تحكم القدر فيهم ، ومن العبارات القليلة التى تدل على ذلك قول زهير بن جناب :

« إن للإنسان فى الدنيا غرض تعاوره الرماة ، فمقصر دونه ، ومجاوز لموضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد أن يصيبه » .

ولكنه يقول مع ذلك :

« إياكم والخور عند المصائب ، والتواكل عند الغوائب ... »

إن الشاعر الجاهلى يتحدى الدهر فيقول :

يا رب نهب صالح حويته
ورب غيل قادر لويته
لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحدا كفيته

ولا شيء يفت فى عضده ، ويقعده عن

النضال ، سوى المشيب ، فإذا حل هذا الضيف الثقيل آثر مضيفه الموت على بلية العجز :

إذا ما المرء صم فلم يناج
وأودى سمعه إلا ندايا
ولاعب بالعشى بنى بنيه
كفعل الهر يفترس العظايا
فذاك الهم ليس له دواء
سوى الموت المنطق بالمنايا

والعرب القدامى لا يخضعون إلا لشيء واحد من تصاريف الزمان ، وهو الموت فهو وحده الذى لا مهرب منه . قال قيس ابن الخطيم :

متى يأت هذا الموت لا تلف حاجة
لنفسى إلا قد قضيت قضاءها

وهو لا يهاب الموت ، بل يزيد لقاءه فى الحروب :

فإنى فى الحرب الضروس موكل
بإقدام نفسى ما أريد بقاءها

وقال ابن جناب :

أين أين الفرار من حذر المو
ت إذ يتقون بالأسلاب ؟

كان العرب القدامى يؤمنون بالقوة . ولكن إيمانهم بها لم يكن عقيدة فلسفية بل ضرورة قضت بها حياتهم القبلية الخشنة . وقد انصرف جانب كبير من شعرهم إلى التفاخر بها .

قال الفند الزمانى يصف قومه فى الحرب :

مشينا مشية الليث
غدا والليث غضبان

ويصف طعنهم فى الأعادى بقوله :

بضرب كفم الرق
غدا والزق ملآن

وقال أعرابى يوصى باستعمال القوة :

« أوصيكم بالناس شرا ، ضرباً إزاً ، وطعنا ووخزا ، كلموهم نزرا ، وانظروهم شزرا ... اقصروا الأعنة ، وطرروا الأسنة ... »

وأدرك العرب بذهنهم الصافى ، وسليقتهم السليمة ، أن اللين قد يكون فى بعض الأحيان أنجع من القوة ، فقدموه عليها .

صفحنا عن بنى ذهـ
ـل وقلنا القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجعـ
ـن قوما كالذى كانوا ...

فإذا أخفق السعى الحميد فلا مناص من استعمال القوة :

فلما صرح الشر
غدا والشر عريان
ولم يسبق سوى العدوا
ن دناهم كما دانوا
وبعض الحلم عند الجهـ
ـل للذلة إذعان

وفى الشر نجاة حيـ
ـن لا ينجيك إحسان

ولا يميل العربى الجاهلى إلى الحرب لذاتها، كما كان يميل إليها الإغـــريق ، بل يسؤوه خوض غمارها ، ولا يقدم على ذلك إلا خضوعا لحكم الضرورة :

ولكن حكم السيف فيكم مسلط
فنرض إذا ما السيف أصبح راضيا

وقدساءنى ما جرت الحرب بيننا
بنى عمنا لو كان أمرا مـــدانيا

ولكن حميته وسرعة اشتعال غضبه ، قد تدفعه إلى البدء بالحرب قبل المعاتبة والتفاهم ولذا ضرب المثل القائل :

« سبق السيف العذل »

وكثيرا ما يعبر الشعر الجاهلى عن النفور من الحرب ، قال المرقش الأكبر :

يا بؤس للحـــرب التى
وضعت أراهط فاستراحوا

وكثيرا ما تردد الدعوة إلى السلم فى أبياته وأشهر أصحاب تلك الدعوة زهير بن أبى سلمى قال :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر إذا ضريتموها فتضرم

ولكنه فرق بين السلم والاستسلام فقال :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ، ومن لم يظلم الناس يظلم

والمقصود بالظلم هنا الظلم فى الحرب .

وقال يمتدح مسعى الحارث بن عوف وهرم ابن سنان ، فى سبيل الصلح بين قبيلتى عبس وذبيان قال :

يمينا لنعم السيدان وجدتما
على كل حال ، من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ، ودقوا بينهم عطر منشم

وهو يدين الفردية والذاتية كما يدين الحرب فلا خير فى الفرد الذى لا يقوم على خدمة المجموع :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغنى عنه ويذمم

وأدرك عرب الجاهلية أن الخير ينمو غرسه ويزداد، قال شاعرهم جذيمة الوضاح :

مستعمل الخير لا تفنى زيادته
فى كل يوم ، وأهل الخير تزداد

وهم لا يسلمون بالأمر الواقع إذ يدركون أن كل شىء يتطور ، فالليل ينجلى عن الصباح

والغمة تنجلي عن الفرج ... وقد يحدث العكس ، فالدهر يصلح ، ثم يفسد ما أصلحه على التوالى . قال دويد بن زيد :

ألقى على الدهر رجلا ويدا
والدهر ما أصلح يوما أفسدا
يفسد ما أصلحه اليوم غداً

والعربي يحب الناس ، ويستوحش إذا ما أعرضوا عنه ، وضنوا عليه بالتحية ، قال لجيم بن صعب :

من كل ما نال الفتى
قد نلته ، إلا التحية ...

ولكن الجاهلي لا يغفل عن عيوب الناس برغم حبه لهم . قال الأفوه الأودى :

بلوت الناس قرناً بعد قرن
فلم أر غير ذى قيل وقال
ولم أر فى الخطوب أشد هولا
وأصعب من معاداة الرجال

ولم يغفل الحكيم العربي عن تعذر الجمع بين الأضداد ، فهو ينصر الحق ، ولا يرى إمكان الجمع بينه وبين الباطل : قال عامر ابن الظرب :

« من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له ، فالحق لم يزل ينفر من الباطل ، والباطل ينفر من الحق ... » .

والعربي لم يغفل عن تولد الأشياء بعضها من بعض ، وعن ردها إلى أصولها ، وقد شاع بينهم المثل الذى يقول : « العصا من العصية » .

والإفاضة فى ذكر الأمثال والحكم العربية القديمة أمر يطول ، ونحن إذا أنعمنا النظر فيها وجدنا أنها ، بالرغم من افتقارها إلى الشرح والتفصيل ، تعد بذوراً لكثير من المذاهب الفلسفية المعاصرة ، وقد كانت ، على أية حال ، خطوة تقدمية فى عصرها ، أو خطوة فى عالم التجديد .. وتكفى المقارنة بينها وبين شعر هيسيود التربوى للاقتناع بصحة ما ذهبنا إليه .

محمد مفيد الشوباشي

إعتناق الإسلام والردة

وأثرها على قوانين الأحوال الشخصية

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

---

١ – على الرغم من أن الشريعة الإسلامية هى الشريعة العامة التى تسرى على علاقات الأسرة فى مصر ، إلا أن المشرع المصرى – منذ زمن غير بعيد – يجعل لقوانين الطوائف غير الإسلامية سلطانا فى بعض مسائل الأحوال الشخصية بالنسبة لغير المسلمين ، وبشروط معينة منها شرط اتحاد الخصوم فى الطائفة والملة عند رفع النزاع إلى القضاء على أن إسلام أحد الزوجين يستتبع تطبيق الشريعة الإسلامية على النزاع دون الشرائع الدينية الأخرى ؛ بمعنى أنه إذا كان الزوج مسلما عند عقد الزواج وكانت الزوجة مسيحية أو يهودية فإن الشريعة الإسلامية تحكم منازعاتهما العائلية ، وكذلك الأمر فيما إذا كان الزوج غير مسلم عند عقد الزواج ثم اعتنق الإسلام ، وسواء كان إسلامه قبل رفع الدعوى أو أثناء السير فيها ، وإذا كانت الزوجة مسلمة فإنه لا يجوز زواجها بغير المسلم ، وإذا كانت غير مسلمة عند زواجها ثم اعتنقت الإسلام بعد ذلك عرض الإسلام على زوجها ، فإن أسلم استمرت فى علاقتها الزوجية معه ، وإن رفض اعتناق الإسلام فرق القاضى بينهما ... تلك هى الأحكام المعمول بها فى محاكمنا فى مصر .

٢ – وتتضمن الشريعة الإسلامية أحكاما كثيرة فيها يسر وتخفيف على الناس ورحمة ، الأمر الذى يجعل تطبيقها على غير المسلمين أملا يرغب فيه كثير منهم فيعتنق الإسلام ... واعتناق الإسلام – فى مثل هذه الأحوال – قد يتم عن إيمان صحيح به وعقيدة راسخة صادقة ، وقد يتم – على العكس – لمجرد الكيد للخصم الآخر أو للاستفادة من تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية على النزاع ... فمثلا لو أن نزاعا حدث بين زوجين قبطيين كاثوليكيين وأراد الزوج الافتراق عن زوجته والزواج بأخرى أو أرادت الزوجة الافتراق عن زوجها والزواج بآخر ، لم يكن ذلك جائزاً إلا عند وفاة أحدهما ، لأن شريعة الأقباط الكاثوليك – وهى التى تسرى أحكامها على هذا النزاع لاتحاد الزوجين طائفة وملة ، لا تجيز انحلال الرابطة الزوجية إلا بالموت فحسب ؛ وعندئذ قد يلجأ الزوج إلى اعتناق

الإسلام ، والإسلام يجيز الطلاق بعبارة الرجل ، وقد تلجأ الزوجة إلى اعتناق الإسلام والإسلام لا يجيز للزوج غير المسلم أن يبقى زوجا لزوجة قد أسلمت .. وقد يحدث - بعد ن يتم الحكم فى الدعوى على أساس إسلام أحد الزوجين أن يظل الزوج الذى أسلم مخلصا للإسلام مؤمنا به حتى آخر رمق فى حياته ، وقد يحدث أن يرتد الزوج الذى أسلم إلى دينه القديم أو إلى دين آخر ... ومعنى ذلك أن اعتناق الإسلام قد يتم عن عقيدة ، وقد يتم تلاعبا بالأديان ... وكذلك الردة عن الإسلام .

٣ - ولا شك أن التلاعب بالأديان أمر يدعو المفكرين إلى إيجاد الوسائل القانونية للقضاء عليه . وقد اتجه رأى بعض المفكرين إلى أن سد الباب على المتلاعبين بالأديان يقتضى عدم الاعتداد باعتناق الإسلام إن تم بعد عقد الزواج ! فمن كان غير مسلم ثم أسلم لا تطبق على منازعاته العائلية الشريعة الإسلامية وإنما تسرى عليها أحكام الشريعة الأخرى غير الإسلامية التى كانت تحكم النزاع فيما لو لم يعتنق الإسلام ، على أساس أن عقد الزواج أبرم فى ظل شريعة معينة فيبقى محكوما بقواعد تلك الشريعة حتى لا يكون هناك مساس بالحقوق التى اكتسبها الطرف الآخر من عقد الزواج وحتى لا تكون هناك فرصة للمتلاعبين بالأديان للاستفادة بها من أحكام الدين الجديد ..! وهذا الرأى غريب وغير صحيح لأن حرية العقيدة من النظام العام وهى تتيح لغير المسلم أن يعتنق الإسلام ، ومن غير المعقول ومن غير المقبول أن تطبق شريعة غير إسلامية فى بلد إسلامى على زوج اعتنق الإسلام بحجة أنه كان عند زواجه غير مسلم ، خصوصا وأن الشريعة الإسلامية هى الشريعة الأصلية فى هذا البلد وهى شريعة الأغلبية فيه ; وإذا كانت هناك فئة تتلاعب بالأديان فإن ذلك لا يقتضى حرمان من يعتنق الإسلام عن عقيدة من الاستفادة بأحكام الإسلام .

وقد ذهب رأى آخر إلى الاعتداد باعتناق الإسلام فى غير أحوال الغش نحو القانون ، بمعنى أنه إذا كان هذا الاعتناق مقصودا به التحايل على تطبيق قاعدة قانونية دون أخرى وثبتت نية الغش أمام القاضى أهدر آثار هذا الاعتناق ! وإثبات نية الغش ، عند أصحاب هذا الرأى يرجع فيه إلى معيار شخصى فى ذات من اعتنق الإسلام ، وهو أمر لا يبدو - عندهم - صعبا ، بل هو مما تعرض له المحاكم كل يوم فى مجال التصرفات المالية .

وقد اتجهت محكمة النقض المصرية إلى رفض هذا الرأى فى أكثر من حكم لها على أساس أن الإيمان صلة بين الشخص ومولاه لا يطلع عليها سواه وبالتالى يتعذر استقراء النوايا

فيها بخلاف بحث النية في التصرفات المالية فإنه أمر قد يتمكن القاضي من معرفته نظرا لأن جميع أطراف التصرفات المالية يمكن استدعاؤهم أمام القاضي ومناقشتهم بخلاف أطراف العقيدة الدينية حيث لا يجد القاضي أمامه سوى من اعتنق العقيدة فحسب ، ومن ثم كان الإيمان إقراراً بالجنان وتصديقا باللسان لا يعلم به سوى الديان ، وبالتالي يجب اعتبار الشخص مسلما تجرى عليه كافة الأحكام الدنيوية الخاصة بالمسلمين إذا أقر باعتناقه الإسلام دينا وكانت المظاهر الخارجية الرسمية لاعتناق الإسلام متوافرة ، ومن العبث تحليل بواعث اعتناق الدين الجديد والظروف التي أحاطت به والجرى وراء شبهات خادعة للطعن في عقيدة الشخص والانتقاص من إيمانه .

والحق أن الفقه الإسلامي ـ وبالذات المذهب الحنفي المعمول به بهذا الصدد ـ لا يتعارض مع ما استقرت عليه أحكام النقض ، إذ يعتبر الشخص مسلما طالما كانت المظاهر الخارجية لاعتناقه الإسلام متوافرة ، فيحكم بإسلام اليهودي أو النصراني إذا أتى بالشهادتين وتبرأ من دينه القديم ، وذلك حتى ينتفي كل احتمال في البقاء على دينه القديم ، وبصرف النظر عن نواياه ومقاصده من اعتناق الإسلام أما إذا كان هناك احتمال ظاهر في أنه لا يزال باقيا على دينه القديم فلا يحكم بإسلامه ، كما لو قال أنا مؤمن أو مسلم ولم ينطق بالشهادتين فقد يقصد بذلك أنه على الحق في دينه اليهودي أو النصراني ، أو قال لا إله إلا الله وتبرأ من دينه القديم فقد يعني ذلك أنه خرج من اليهودية أو النصرانية واعتنق عقيدة التوحيد فحسب دون أن يدل ذلك على أنه دخل في الإسلام وآمن بمحمد رسولا لله. (البدائع جـ ٧ ص ١٠٣) .

٣ ــ والواقع أننا إذا أردنا أن نعالج التلاعب بالأديان تعين علينا أن نعرف السبب الذي يسمح في التشريع المصري باتخاذ اعتناق الإسلام والردة عنه وسيلة للتلاعب بالأديان ثم نعالج هذا السبب أو نقضي عليه.

ويبدو لنا أن هناك سببين رئيسيين يسمحان في التشريع المصري لأهل الذمة باتخاذ اعتناق الإسلام والردة عنه وسيلة للتلاعب بالأديان هذان السببان هما :

السبب الأول: وجود الامتيازات الطائفية ذلك أن التشريع المصري ـ لأسباب تاريخية وسياسية ـ كان يكفل لبعض الطوائف غير الإسلامية امتيازا في القضاء مستقلا عن الدولة وامتيازا في التشريع لا تطبق به غير قانونها الملي . وقد ألغى الامتياز القضائي بالقانون رقم ٤٦١ لسنة ١٩٥٥ م الذي ألغى المجالس الملية ، غير أن الامتياز التشريعي لا زال باقيا إلى اليوم في معظم منازعات الزواج والطلاق وبمقتضاه تطبق حاليا ثمانية

قوانين غير إسلامية على الطوائف غير الإسلامية فى مصر إن اتحد الزوجان طائفة وملة .

ومع بقاء هذا الامتياز التشريعى لا بد أن تكون هناك مشاكل عند تغيير الملة أو عند تغيير الطائفة ، بخلاف ما إذا ألغى هذا الامتياز التشريعى وتوحدت القواعد القانونية المطبقة على المصريين مسلمين وغير مسلمين ، فنى هذه الحالة لن يكون لتغيير الملة أثر ولن يتخذ اعتناق الإسلام أو الردة عنه وسيلة للتلاعب بالأديان، لأن الحكم فى النزاع سيكون واحداً بصرف النظر عن ديانة الخصوم .

وقد اتجه الرأى أخيراً إلى إعداد مشروع قانون للأحوال الشخصية لغير المسلمين مستمد من أحكام شريعة الأقباط الأرثوذكس وهى شريعة أغلبية غير المسلمين فى مصر .

وصدور مثل هذا القانون من شأنه توحيد القواعد القانونية التى ستطبق على غير المسلمين والتقدم خطوة نحو إلغاء الامتيازات التشريعية لبعض الطوائف ، غير أن هذا التشريع لن يقضى على مشكلة تغيير الدين تلاعباً به طالما أن القواعد التى ستطبق على المسلمين وهى مستمدة من الشريعة الإسلامية تختلف عن تلك التى ستطبق على غير المسلمين مما يدعو بعض الأشخاص إلى اعتناق الإسلام رغبة فى الاستفادة من أحكامه وبصفة خاصة فى مسائل الطلاق والنفقات وتعدد الزوجات

والسبب الثانى الذى يسمح فى رأينا بالتلاعب بالأديان هو أن القانون المصرى لا يعاقب على الردة عن الإسلام ، ولا شك عندنا أن تطبيق حكم الإسلام الذى يقضى بعقاب المرتد بالإعدام إذا لم يرجع عن ردته بعد عرض التوبة عليه من شأنه أن يقدم حلا حاسما للتلاعب باعتناق الإسلام والردة عنه ... ولا ينبغى أن يقال إن إعدام المرتد يمس حرية العقيدة ، لأن حرية العقيدة - كغيرها من الحريات مقيدة بأن تمارس فى حدود القانون . والقانون تنظيم للعلاقات الاجتماعية يعكس المبادىء السائدة فى المجتمع ؛ والقانون - والدستور نوع منه - ينبغى على ذلك أن يكون معبراً عن شعور الرأى العام وحامياً لمقدسات الجماعة .

ولا شك أن الرأى العام يريد حماية حرية العقيدة ويريد فى نفس الوقت ألا يكون هناك تلاعب بالأديان ، والتوفيق بين هذين الاعتبارين ممكن وميسور إذا قلنا إن ممارسة حرية العقيدة ينبغى أن تتم فى حدود القانون . على أن يصدر قانون يعاقب على الردة عن الإسلام بالاعدام أو يتضمن قانون العقوبات نصا بهذا المعنى . إن من يدخل الإسلام طائعا مختاراً ينبغى أن يلتزم بكل أحكامه ، ومن هذه الأحكام أن « من بدل دينه فاقتلوه إلا أن يتوب » ؟

د . عبد الناصر توفيق العطار

استيطان اللغة العربية في مصر

للدكتور أحمد مختار عمر

- ٢ -

إذا نحن أردنا أن نحلل العوامل الرئيسية التى تتحكم فى الصراع بين اللغات(١)، ونرتب الأحداث المرتبطة بها ترتيبا تاريخيا ، وحاولنا - إلى جانب ذلك - أن نبرز نقط التحول فى تاريخ اللغة العربية فى مصر إبان تلك الفترة - فإننا نقترح مراحل ثلاثا مرت بها اللغة العربية ، وانتهت كل مرحلة بشىء من النصر ، وأعقبت آخر مرحلة النصر الكامل لها . هذه المراحل من الممكن أن تحدد على الوجه الآتى :

١ — مرحلة المناوشة . المبارزة .

٢ — مرحلة التقدم .

٣ — مرحلة النصر .

أما مرحلة المناوشة : فتحدد بفترة ما بين الفتح الإسلامى (سنة ٢٠ هـ) ونهاية القرن الأول الهجرى (٧١٨ م) ، وفيها وجد تبادل بين اللغتين العربية والقبطية وتأثير من كلا الجانبين على الآخر ، وعلى الرغم من تأييد اللغة العربية بالعرب الفاتحين ، فقد كان ميزان القوى متعادلا معظم الوقت ، ولم تتمكن لغة من اللغتين من إحراز نصر يذكر ، وكانت الأسباب التى أدت إلى هذه النتيجة ما يأتى :

١ — حسن معاملة العرب للمصريين :

فعلى عكس ما ذكره المؤرخون الأقباط تؤكد أوراق البردى - التى يرجع عهدها إلى الفتح الإسلامى ، والتى اكتشفت حديثا - حسن معاملة العرب للأقباط ومسلكهم المشرف حيال أهل الذمة ، ولدينا وثيقتان تنطقان بذلك اكتشفهما الأستاذ «جروهمان» يرجع تاريخهما إلى عام ٢٢ هـ (٦٤٢ م) ، وقد علق جروهمان عليهما بقوله « إن هذه المعاملة إزاء شعب مغلوب قلما نراها من شعب منتصر » . وقد كتب ميخائيل السورى بطريرك اليعقوبيين فى أنطاكية يقول : « إن رب الانتقام استقدم من المناطق الجنوبية أبناء إسماعيل لينقذنا من أيدى اليونانيين ، وقد أصابنا خير ليس بالقليل بتحررنا من قسوة الرومان وشرورهم ... ومن جهة أخرى سادت الطمأنينة بيننا » .

٢ — استمرار استعمال اللغة اليونانية

---

(١) راجع الجزء الأول من المقال فى عدد صفر سنة ١٣٨٨ هـ .

(أو القبطية) بوصفها لغة رسمية حتى عام ٨٧ هـ (٧٠٦ م) عندما أصدر والى مصر إذ ذاك وهو « عبد الله بن عبد الملك ابن مروان أوامره بإحلال العربية محلها . وليس من المتوقع أن يتم تغيير كهذا بين يوم وليلة ، ولذا فنحن نقترح السنوات العشر الأولى من القرن الثانى أو نحوها ، حينما أصبحت اللغة العربية لغة المصالح الحكومية ، إما بالكلية ، أو كلغة أولى فى الوثائق ذات اللغتين .

٣ — أما العامل الثالث من عوامل التعادل بين اللغتين العربية والقبطية خلال القرن الأول الهجرى فيرجع إلى وضع الأقباط الوظيفى فى الدولة ، فقد ظلوا فى وظائفهم العامة كما كانوا من قبل وذلك حتى العام الأخير من القرن الأول حين ظهر اتجاه بقصر الوظائف القيادية على المسلمين .

ويقال : إن هذه التعليمات كانت صادرة من عمر بن عبد العزيز . ولكن يبدو — على أى حال — أن هذه الحركة شاملة فى أى عصر من عصور التاريخ بدليل أننا نجد أسماء قبطية كثيرة تتردد فى وثائق البردى التى نشرها جروهمان .

٤ — كان عدد العرب قليلا طوال هذا القرن إذا قيس بعدد السكان الأصليين ، بالإضافة إلى القلة العددية كانت هناك أوامر شديدة على الجنود ألا يستكينوا إلى الراحة ، وأن يظلوا فى وضع استعداد دائم . كذلك أمروا ألا ينزلوا الريف إلا فى وقت الربيع ليسمنوا خيولهم ويطعموها .

٥ — ويجب أن نذكر اسم عمر بن عبد العزيز مرة أخرى فى هذه المرحلة لأنه كان أول من ألغى ضريبة الرءوس على الأقباط الذميين إذا اعتنقوا الإسلام ورفض أن يأخذ بمشورة من نصحوه باستمرار تحصيل الجزية نظرا لازدياد من يعتنقون الإسلام . وقد رد عليهم بقولته الشهيرة : « إن الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا » . وقد أغرت هذه السياسة بعض الأقباط بالدخول فى الإسلام ولكن مرة أخرى لم يظهر أثر هذا العامل خلال هذه المرحلة .

٦ — إن حركات الدخول فى الإسلام سارت بطيئة فى أنحاء البلاد خلال هذا القرن ، ولم تحدث موجات ذات بال ما عدا تلك التى سبقت الإشارة إليها ، وما عدا موجات الدخول فى الإسلام التى قام بها العرب الجاهليون المقيمون بمصر . وقد أشار المؤرخون بالنسبة للقسم الأخير إلى أن عددا كبيرا من هؤلاء العرب لم يترددوا فى تأييد إخوانهم الفاتحين ، وفى تعويض عمرو بن العاص عن خسائره خلال الفترة الأولى من الصراع .

وكانت النتيجة الحتمية لتلك العوامل

المتضاربة أن حققت اللغة العربية بعض النصر على حساب اللغة القبطية التي فقدت بدورها شيئا من قوتها في صراعها من أجل الحياة وأن بقاء اللغتين جنبا إلى جنب ، وفشل إحداهما في القضاء على الأخرى لا يعني أنهما كانتا في حالة ركود . فمن المتوقع أن يكون قد حدث بينهما نوع من التأثير المتبادل ، ومن غير المشكوك فيه أن تكون كل لغة قد تركت معالمها على الأخرى .

وأما مرحلة التقدم فمن الممكن أن تحدد نهايتها بعام ٢١٥ هـ (٨٣٠ م) . والعلامة المميزة لهذه المرحلة أنه بنهايتها كان ميزان القوى قد اختل لصالح اللغة العربية التي حققت نجاحا كبيرا . أما أهم الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة فهي كما يلي :

١ — إزدياد حركة التعريب في الدولة، ووجود الأماكن القيادية فيها .

٢ — تتابع هجرات القبائل العربية إلى مصر بعد أن سمعت بخصب تربتها وغنى أرضها . وقد حدث هذا بشكل مطرد خلال تلك الفترة ويمكن التمثيل له بقبيلة قيس ، التي رحلت إلى مصر في عام ١٠٩ هـ(٧٢٧م) بأعداد كبيرة ونزلت بالحوف الشرقي . وقد صرف لهم الوالي مرتبات من أموال الصدقة والعشور وأمرهم بالزرع وتربية الإبل والخيول . وتضاعف عددهم فيما بعد بشكل ملحوظ بعد أن تسامع باقي أفراد القبيلة بخصب الأرض وكثرة خيراتها وقد حقق تهجير هذه القبيلة أهدافا كثيرة أهمها المساعدة على انتشار الإسلام ؛ لأنها سكنت موقعا آهلا بالسكان الأقباط على عكس ما حدث من قبل لمعظم القبائل العربية التي لم تختلط بسكان الريف والقرى إلا قليلا . وقد أدى هذا بالتالي إلى سرعة إدماج العنصر العربي في العنصر المصري وأصبحنا نرى عربا تزوجوا من نساء قبطيات اعتنقن الإسلام ، كما أصبحنا نرى علاقات اجتماعية طيبة بين العرب وغيرهم .

٣ — ازدياد عدد الداخلين في الإسلام فرادى وجماعات نتيجة لقوة الحركة الدينية ، ونشاط الدراسة الإسلامية والعربية في مصر في ذلك الوقت ، وامتلاء مصر منذ أواخر القرن الأول بعلماء الدين والقراء والمفسرين والمحدثين بشكل ملفت للنظر .

ولسنا نزعم أنه بانتهاء هذه الفترة كان كل شخص يعرف اللغة العربية ، ولكننا نزعم على الأقل أنه بانتهائها كان كل شخص يعرف العربية يحس بمكانته في المجتمع ويشعر أنه ابن من أبنائه ، بخلاف من أصر على تمسكه بلغته الأصلية ، ومن لم يحاول تعلم اللغة العربية أحس بانفصال عن المجتمع ، وشعر بغربة لا يمكن أن يحس بها الشخص في وطنه .

وأما مرحلة النصر فقد شملت بقية القرن

الثالث ، ومعظم القرن الرابع أو جميعه . وتلتها مرحلة من الهدوء والاستقرار بدأت مع القرن الخامس ، ويرجع ذلك للعوامل الآتية :

١ — ازدياد الهجرات العربية خلال هذه المرحلة ، ومن أشهر القبائل المهاجرة فى تلك الفترة قبيلة « الكنز » التى انتشرت فى أنحاء متفرقة من مصر عام ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) ، ونزلت طائفة منهم فى أسوان وشمالى النوبة . كذلك من أشهرها قبيلتا هلال وسليم اللتان هاجرتا فى القرن العاشر ونزلتا الصعيد .

٢ — فى عام ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) صدرت أوامر الخليفة العباسى إلى واليه بمصر بتسريح الجيش العربى وشطب أفراده من ديوان الجند ، وقد أدى هذا إلى تقليل النفوذ الرسمى للعرب فى مصر ، ولكنه فى نفس الوقت قوى من مركزهم الاجتماعى وبالتالى من مركز اللغة العربية . فلقد كانت النتيجة الحتمية هى محاولة العرب الجدية البحث عن وظائف مدنية لهم ، أو الاشتغال بالأعمال الحرة كالزراعة والتجارة ، والعمل على الاندماج فى السكان الأصليين ، والسعى لاكتساب صداقتهم ، وإنشاء علاقات أسرية معهم .

٣ — كذلك سادت الدولة قدما فى إجراءات تعريب الوظائف وتقديم المسلم على الذمى فى شغل المناصب القيادية .

ونتيجة لكل هذه العوامل المختلفة صارت اللغة العربية مألوفة للأقباط وتعودوا سماعها . لقد أصبح من المستحيل على أى إنسان أن يقاوم هذا الاتجاه ، أو يقف فى وجه تيار العربية . وحتى لو حاول ذلك فستقرع العربية أذنه فى كل لحظة وستصبح لغته الأم بمرور الوقت .

وما أن انتهى القرن الثالث الهجرى حتى كانت اللغة العربية قد ثبتت أقدامها فى مصر وحلت محل القبطية كلغة أولى . ولم يكد يأتى القرن الرابع حتى أصبحت اللغة القبطية غريبة حتى على الأقباط أنفسهم . وصار من المحتم على رجل الدين المسيحى أن يخطب ويكتب باللغة العربية إذا أراد أن يفهمه جمهوره وقد ذكر سويرس بن المقفع فى مقدمة كتابه « سير الآباء البطاركة » الذى كتبه فى القرن الرابع الهجرى باللغة العربية السبب فى كتابته بالعربية دون القبطية ، ونص عبارته : « فاستعنت بمن أعلم استحقاقهم من الإخوة المسيحيين وسألتهم مساعدتى على نقل ما وجدناه منها (يعنى سير الآباء البطاركة) بالقلم القبطى واليونانى إلى القلم العربى الذى هو اليوم معروف عند أهل هذا الزمان بإقليم ديار مصر لعدم اللسان القبطى واليونانى من أكثرهم » .

ولا تعنى هزيمة اللغة القبطية اختفاءها

أدب ونقد :

شعراء عرفتهم

٢- حسن جاد

للدكتور عبد الرحمن عثمان

(١)

التقيت بالشاعر حسن جاد فى الفصل الدراسى فى كلية اللغة العربية عام ١٩٣٦ ، ولعله من الخير أن أتناول هذه الفترة من جانبها الأدبى الذى أثر فى ثقافة الشاعر ، وصاغ ذوقه صياغة تبدو واضحة النبرة فى فنه الذى سنعرض له .

ولست أريد أن أتوسع فى عرض التفاصيل التى أراها مؤثرة فى شعره ، لأنى أوثرهنا أن أكتفى بظاهرة أدبية أظنها كانت معواناً الشاعر على تجويد قصائده وانتخاب ألفاظها والاجتهاد فى تنسيقها حتى تلائم الروح السارى فى المجال الأدبى حينذاك ، وأعنى بالظاهرة الأدبية ذلك النشاط الجم الذى كنا نشهد ثمراته فى الصحف والمجلات والنوادى الأدبية مما انتظم الشباب فى المدارس والجامعات حتى استجابت له مواهب وملكات كأنما كانت معه على موعد ، ففتق براعمها وأمدها بفيض من الإحسان والإبداع .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

التام من مصر فى ذلك الوقت ؛ فمن الثابت أنها ظلت باقية كلغة حديث حتى القرن الخامس الهجرى على الأقل . وقد نبه المقدسى إلى ذلك صراحة حين أشار فى كتابه « أحسن التقاسيم » أنه لاحظ أثناء زيارته لمصر (فى النصف الثانى من القرن الرابع) أن الأقباط كانوا يتكلمون اللغة القبطية[١] . وأكثر من هذا فقد عاشت اللغة القبطية لفترة أطول فى صعيد مصر ، وبخاصة داخل الأديرة ، وفى الأماكن النائية .

كذلك لا تعنى تلك الهزيمة اندثار اللغة القبطية فى مصر ؛ فقد بقيت لها حياة جزئية فى شكل بقايا وآثار اختلطت باللغة العربية وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها .

أما إلى أى مدى بلغ هـذا التأثير فهو ما سنخصص له بحوثاً قادمة إن شاء الله ؟

دكتور أحمد مختار عمر

(١) لابد أنهم كانوا يتكلمونها كلغة ثانية .

وقد أتاحت لنا المصادفة السعيدة أن نتتلمذ على أستاذ يشارك مشاركة جادة فى تنشيط الوعى الثقافى وإيقاظ الميول الأدبية ورعايتها لأن له ذوقاً أدبيا رقيقاً إلى جانب دراسته الواعية للاتجاهات الفنية فى الشعر الحديث، فهو يعرف اتجاه البارودى ومدرسته كما يعرف اتجاه العقاد وزميليه، ولكنه مع معرفته هذه كان يؤثر أن يستجيب الشاعر لطبعه بحيث يقدم للجمهور فنه النابع من وجدانه ومشاعره غير معتمد على طريقة السابقين له أو المعاصرين؛ لأن الفن ابتكار وخلق، وهو قبل هذا وبعده حديث النفس عن أفراحها وآلامها بأسلوب يواكب ما تزخر به من أفراح وآلام.

وقد كان أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان يدرس لنا الأدب وفن الكتابة، وكان يختص الشاعر حسن جاد بالكثير من عنايته وتوجيهه، ويرى فيه النبتة الغضة التى ستنموا وتورق وتثمر، وطالما كان يسأله عما استحدث من الشعر، لأن أستاذنا الجليل كان شاعراً جيد الصياغة، وإن يكن وقار العلماء قد صرفه عن الإكثار والمضى فى قرض الشعر إلى النقد والتوجيه والرعاية، فقد طالما ذهبنا إليه فى منزله لنستمتع بحلو حديثه وصائب آرائه وحسن توجهاته، وقد اتخذ منا أبناء وأصدقاء فما كتم عنا شيئا يراه، وما صانع فى عقيدة يؤمن بها، وأشهد أنه كان المثال النبيل للعالم الذى يرتفع بنفسه فوق الشبهات، والإنسان الكريم الذى يؤمن بقيمة إنسانيته إيماناً قلما وجدناه عند من عرفناه من زملائه وإخوانه.

إن خلق العالم وخلق الأديب قد التقيا فى أستاذنا عبد الجواد، فهو حين نلخص فيه القول: حساسية مفرطة وترفع نبيل، وكنت أود أن أدرس فن شيخنا الذى تأثرنا به، إلا أن أخانا الدكتور على حسن العمارى سبقنا إلى دراسة فنه فى بحوث نشرتها مجلة الأزهر منذ سنوات؛ ومع ذلك فإنى أستأذن الدكتور العمارى فى عرض نموذج من شعر أستاذنا لأبرهن به أن مدرسته - التى تأثر بها شاعرنا حسن جاد الذى نتحدث عنه - كانت مدرسة تعتمد على الصقل والتجويد والتنسيق فى إطار الشكل والمضمون على السواء.

يرثى أستاذنا عبد الجواد صديقه الشيخ عبد ربه مفتاح فى مجلة « نور الإسلام » جمادى ١٣٥٧ - يونية ١٩٣٨، فيقول:

أغالب دمعى، وهو لى جد غالب
وأنكر وجدى، وهو ملء جوانبى

وكيف التسلى عن أخ إن بكيته
بكيت حياتى، أو بكيت مآربى

بغى الناعب الناعى الثرى فلقد نعى
إلى صفوة الإخوان أفضل صاحب

نعى الفرج المرجو عند وليه
نعى الظافر المنصور عند المناصب
نعى الطاهر الأوفى عدو ثرائه
مفيض الأيادى الغر مثل السحائب
صريع من الأبطال خلى رفاقه
ترى ناحباً منهم يلوذ بناحب
يخضخضهم هول المصاب كأنما
أصيبوا بحمى من لظى الوجد صالب
يبكون بساما إذا اعتكر الدجى
وأشرق ، جلى من سواد الغياهب
فتى كان فيما عاشه « عبد ربه »
وقد ملأ الدنيا عبيد الرغائب
بنفسى « صلاح » إذ أصيب بوقدة
مضى يتقيها بالدموع السواكب
يصيح :أبى ، والموت دون جوابه
ومن لصلاح بالحنو المجاوب
أعلله بالقول والوجد غالب
وما نفع قولى فى الكبود الذوائب
فيالك من طفل مضى بفؤاده
هوى فى القبور لا هوى فى الملاعب
وعاجله هم الحـــياة كأنه
من المهد لم يخلق لغير النوائب

وتلك مرثية دامعة صدرت عن وجد صادق وأسى عميق ، فكل بيت منها موصول بكوامن الحزن فى قلب صاحبها ، وموصول بمصادر أحزانه وهلعه على المصاب ، والصدق الفنى يرفعها إلى مقام التأثير على القارىء ومس مشاعره الدقيقة مسا غير رفيق ؛ فأما جمال نسجها ونصوع ديباجتها فهو أمر لا يحتاج إلى تعليق .

فى هذه المدرسة الذوقية المتأنقة جاشت الينابيع فى وجدان شاعرنا حسن جاد ، وفى ذلك الجو الثقافى الجاد تنوعت لديه الأفكار واحتشدت فى خاطره الصور ، وعلى هذين الأساسين قام فنه الأصيل ، واستوى عند الذوق والتأمل جميعا ؛ ولم ينخدع صاحبنا بالومضات الفنية التى كانت تعتاده وهو فى صدر حياته ، وإنما كان يعرضها على موازين الثقافة ويعمقها بمختلف أنواع المعرفة ؛ فقد صحب حسن جاد الشعراء الجاهليين والأمويين والأندلسيين والعباسيين وأصاخ إلى فنونهم طويلا ، وناقش الأصول التى قامت عليها تلك الفنون ، ثم وثق علاقته بمن استراح إليهم وجرى معهم فى ميدان ، وكان أحب شعر إلى نفسه هو شعر البحترى لجاء فنه سلسا عذبا لا جهامة فيه ولا التواء .

وتلك إشارة سريعة إلى خصائص شعره نكتفى بها الآن إجمالا على أن نحددها تحديداً أدق حينما نمضى فى التعرف إلى فنه الشعرى بعد قليل .

ولأنى خليط الشاعر وصديقه فى الدراسة والمسكن حينما كنا طالبين فى الكلية أستطيع

أن أتحدث عن شعره حديث العارف الذى أرجو ألا ترشوه الصداقة أو تشتط بقلمه اعتبارات الصحبة والزمالة ، وإذا لمس القارىء شيئا من المحاباة فإن إدراكه لمصادرها جدير أن يرده إلى ما ينبغى أن يصير إليه المنصفون أقول ذلك لعلمى أن المرء مهما بالغ فى الحيطة وأسرف فى الحذر حينما يتحدث عن صديق فإن هناك من المعانى التى ترتكز فى جوهرها على الصداقة أو الخلطة ما يسرى فى خفاء ووناء إلى ستر العيوب وإذاعة الحسنات ، وتلك سنة طبيعية لا يمكن للنفس البشرية أن ترتفع عنها أو تميزها فى يسر وحسم .

وبهذا الاحتراس الذى أجده ضروريا فى الكتابة عن الأصدقاء أشرع فى الحديث عن شعر الصديق الشاعر حسن جاد .

وفى هذه الدراسة العاجلة لفن الشاعر أجدنى مضطرا إلى الحديث عن الأدوار التى تأثر بها شعره من لدن أن عرفته حتى يومنا هذا ؛ وطبيعى أن الحديث عن تلك الأدوار سيكون فى إطار عام لا تفصيل فيه ولا تحديد ، ويكفى أن يشير إلى القارىء إشارات تعينه على فهم طبيعة كل مرحلة وأن يضعه على الطريق القويم حين يريد التفصيل والتحديد فى دراسة شاملة لشعر صاحبنا فى مختلف مراحل حياته .

وصاحبنا الشاعر يزحف الآن فى سأم نحو الخامسة والخمسين من عمره فقد تغير فيه كل شىء ؛ واستبد به القلق وهموم العيش ، حتى لكأنى أرى فيه شخصاً يختلف كثيرا عما كنت أعهد فيه من قبل ، فقد ضربت بيننا الأيام عشر سنوات لم نلتق فيها أبدا ، وتلك فترة طويلة تعيد « تشكيل » المرء و « صياغته » حتى يبدو مختلفاً فى تصرفاته ونظرته إلى القيم والمثل حتى كأنه شخص آخر ؛ ولكن شيئا واحداً فيه استطاع أن يثبت أمام تصاريف الأيام فلم تقو على نسخه أو تغييره أو لعلى أراه أنا باقياً كما كنت أعهد ، ذلك هو « الصفاء النفسى » الذى يليق به الأصدقاء .

وعندى أن فن حسن جاد يتسم بسمات ثلاثة تظهر فى نتاجه ظهوراً قويا ، وهى : الانطلاق المرح ، ثم الانقباض الموجع من أحداث الحياة ، ثم الاتجاه إلى الله والفزع إليه من ظلم الأصدقاء والرؤساء فى مجال العمل ؛ أو بتحديد آخر للمراحل التى مر به شعره : قبل تكوين الأسرة وبعدها ، ثم افتقاده للسعادة التى كان ينشدها . وفى هذه الأدوار الثلاثة سنتناول فنه بما يتاح لنا جهد فى مقالات تالية ؟

د . عبد الرحمن عثمان

مكتبات خالدة

١ - مكتبة بغداد العباسية

للأستاذ محمد جبر أبو سعده

يمثل عصر كل من الخليفتين العباسيين . . « هارون الرشيد » وابنه « المأمون » فترة زاهرة وخطيرة فى التاريخ الإسلامى الطويل ؛ فقد كان شغف هذين الرجلين بالعلوم والمعارف واحترامهما الشديد لكل المشتغلين بها دون تفرقة بين المسلم وغيره حيث رفع العلم من شأنهم جميعا ، كان لذلك أثره البين فى إنهاض الحركة العلمية وتشجيع سائر ألوان النشاط الثقافى من تأليف وترجمة إلى غير ذلك .

وقد أفاضت المصادر التاريخية - على اختلاف نهجها ونزعتها - فى إبراز مظاهر اهتمام الخليفتين بالشئون العلمية والثقافية ، وإن كان المأمون قد فاق أباه فى هذا المضمار نتيجة لاشتغاله هو شخصيا بمسائل العلم وتعلقه بالفلسفة وعلم الكلام . .

وما نحن بصدده الآن هو الحديث عن بيت الحكمة ببغداد كمظهر واضح يلقى ضوءاً كاشفاً على النهضة العلمية والوثبة الثقافية اللتين تميز بهما العصر العباسى إبان خلافتى الرشيد والمأمون . .

وقد ورد ذكر هذه المكتبة فى ثنايا كتب التاريخ والطبقات ، وأطلق عليها فى بعضها « بيت الحكمة » وفى بعض آخر « خزانة الحكمة » ، كما سميت فى بعضها الأخير « دار الحكمة [1] » ، ولا خلاف على المضمون فى تلك التسميات ؛ فكل من البيت والخزانة والدار - هنا - مقصود به المحل الذى تجمع فيه الكتب وترتب على نظام معين معلوم ليطالع فيها ويستفاد من علومها .

ومن المؤكد أن هذه المكتبة قد بدئ بتأسيسها فى عهد الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ ﻫ : ٧٨٦ - ٨٠٩م) ومن أصرح ما قيل فى ذلك ما رواه ابن النديم عند الكلام على أبى سهل الفضل بن نوبخت أنه « كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد [2] » ، وكذلك فى ترجمة علان الشعوبى أنه كان « منقطعا إلى البرامكة

---

(١) الفهرست ص ٨٠٧ وغيرها - طبع القاهرة سنة ١٣٤٨ ﻫ ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٦٩ ، ١٨٧ - طبع القاهرة سنة ١٣٢٦ ﻫ ، معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٧ طبع القاهرة سنة ١٣٥٥ ﻫ ، صبح الأعشى ج ١ ص ٤٦٦ طبع القاهرة سنة ١٣٤٠ ﻫ .

(٢) الفهرست ص ٣٨٢ .

وينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة (١) » ..

على أن ذكر هذه المكتبة ارتبط أكثر ما يكون بالمأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ : ٨١٣ - ٨٣٣ م) ، ولهذا الارتباط ما يبرره ولنقرأ معا ما كتبه صاعد الأندلسى عن هذا الخليفة العالم ، قال : « فأقبل (أى المأمون) على طلب العلم فى مواضعه ، واستخرجه من معادنه ، بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب (أفلاطون) و (أرسطاطاليس) و (أبقراط) و (جالينوس) و (أقليدس) و (بطليموس) وغيرهم من الفلاسفة ، فاستخار لها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم حض الناس على قراءتها ، ورغبهم فى تعليمها ، فنفقت سوق العلم فى زمانه ، وقامت دولة الحكمة فى عصره ، وتنافس أولوا النباهة فى العلوم لما كانوا يرون من إحظائه لمنتحليها ، واختصاصه لمتقلديها إلخ (٢) » .

وهذا الذى ذكره صاحب طبقات الأمم وكثير غيره مما فاضت به الكتب القديمة فى ترجمتها للمأمون يجعلنا لا نشك فى أن المأمون قد أحاط هذه المكتبة بأعظم اهتمام ، وشملها بأكبر عناية حتى بلغت فى عصره شأواً لم تصل إليه من قبل أو من بعد ، وهذا بالطبع لا ينفى أن هارون الرشيد - الذى أنشئت المكتبة على عهده - قد جمع إليها ما كان قد نقل إلى اللغة العربية من كتب الطب والعلم ، وما ألف من العلوم الإسلامية والعربية ، مع ما سعى يحيى بن خالد فى جمعه من كتب الهند وما وصلت إليه يد الرشيد من كتب الروم ، روى ابن أبى أصيبعة والقفطى فى ترجمة يوحنا بن ماسويه أنه « كان مسيحى المذهب سريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجده بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ، ووضعه أمينا على الترجمة (١) » .

فإذا انتقلنا إلى عصر المأمون وتحدثنا عن جهوده فى إثراء المكتبة وزيادة مقتنياتها من نواتج ثقافات الأمم وحضاراتها وجدنا أنه طلب المؤلفات والكتب المختلفة من البلاد الأخرى ، وبذل فى سبيل ذلك الكثير من الأموال ، كما أنه عمل على تشجيع العلماء على التأليف ، والمترجمين على الترجمة ، بل إنه

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٤ ، وانظر إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٦٩ .

(٢) طبقات الأمم ص ٧٥-٧٧ - ط القاهرة

(١) طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥ - طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

أمر بتفرغ هؤلاء جميعا لمهمتهم العلمية الخالصة وأجرى عليهم الأرزاق عن سعة وإغداق ، روى ابن النديم : « إن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن فى إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما - كذا - صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل ، وقد قيل إن يوحنا ابن ماسويه ممن نفذ إلى بلد الروم (١) » .

وذكر ابن نباتة فى ترجمته لسهل بن هارون : « إن المأمون جعله كاتبا على خزانة الحكمة وهى كتب الفلسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرص ، وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ، أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وكانت مجموعة فى بيت عندهم لا يظهر عليها أحد أبدا ، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوى الرأى واستشارهم فى حمل الخزانة إلى المأمون ، فكلهم أشاروا بعدم الموافقة إلا مطرانا واحداً فإنه قال : الرأى أن تعجل (٢) بإنفاذها إليه ، فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها ، فأرسلها إليه واغتبط بها المأمون ، وجعل سهل بن هارون خازنا لها (١) » .

وهذه الرواية التى ذكرها ابن نباتة تنطوى على دلالات كثيرة ، أجدرها بالتقدير تصميم المأمون على الوصول بمكتبته إلى درجة الكمال ، غير أن القفطى أورد أثناء الترجمة لارسطوطاليس قصا يختلف عما ذكره ابن نباتة ، قال : « إن المأمون راسل ملك الروم ، وكان قد استطال عليه وأذل دين الكفر ، وطلب منه كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس فطلبها ملك الروم فلم يجد لها ببلاده أثراً ، فاغتم لذلك وقال : يطلب منى ملك المسلمين علم سلفى من يونان فلا أجده ؟ أى عذر يكون لى ؟ أم أى قيمة تبقى لهذه الفرقة الرومية عند المسلمين ؟ وأخذ فى السؤال والبحث ، فحضر إليه أحد الرهبان المنقطعين فى بعض الأديرة النازحة عن القسطنطينية ، وقال له : عندى علم ما تريد ، فقال له : أدركنى . فقال: إن البيت الفلانى فى موضع كذا الذى يقفل عليه كل ملك قفلا إذا ملك ما فيه قال فيه على ما يقال مال الملوك المتقدمين وكل ملك يجىء يقفل عليه حتى لا يقال : قد احتاج

---

(١) الفهرست ص ٢٣٩ .
(٢) هكذا ولعلها تعجل .

(١) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ص ١٦٦ - ط القاهرة سنة ١٣٢١ هـ .

إلى ما فيه لسوء تدبيره ففتحه . فقال له الراهب : ليس الأمر كذلك ، وإنما فى ذلك الموضع هيكل كانت يونان تتعبد فيه قبل استقرار ملة المسيح ، فلما تقررت ملته بهذه الجهات فى أيام قسطنطين بن الانة ، جمعت كتب الحكمة من أيدى الناس وجعلت فى ذلك البيت وأغلق بابه وقفل عليه الملوك أقفالا كما سمعت . فجمع الملك مقدمى دولته وعرفهم الأمر واستشارهم فى فتح البيت فأشاروا بذلك ، فاستعار الراهب فى تسييرها إذا وجدت إلى بلد الإسلام ، وهل عليه فى ذلك خطر فى الدنيا أو إثم فى الآخرة ؟ فقال له الراهب : سيرها فإنك تثاب عليه ، فإنها ما دخلت فى ملة إلا وزلزلت قواعدها ، فسار إلى البيت وفتحه ووجد الأمر فيه كما ذكر الراهب ، ووجدوا فيه كتبا كثيرة ، فأخذوا من جانبها بغير علم ولا لحص خمسة أحمال ، وسيرت إلى المأمون فأحضر لها المأمون المترجمين ، فاستخرجوها من الرومية إلى العربية ، ثم تنبه الناس بعد ذلك على تطلبها بعهد المأمون ، وتحيلوا إلى أن حصلوا منها الجملة الكثيرة ، ولما سيرت الكتب إلى المأمون جاء بعضها تاما وبعضها ناقصا ، فالناقص منها ناقص إلى اليوم لم يجد أحد تمامه (١) . . .

وقد يجادل البعض فى تفصيلات رواية القفطى ، ولكن الذى لا جدال فيه أن المأمون طلب من ميخائيل الثالث ملك الروم كتب القدماء المخزونة عنده (١) . وأن جزءاً كبيرا من هذه الكتب وصل فعلا إلى بغداد على يد بعثة من ثقاة العلماء ، قامت أثناء ذلك بنسخ ما لا يتأتى لملك الروم إخراجه من الكتب ، كما تؤكد لنا هذه الروايات على تعددها أن من أظهر مقاصد المأمون وأقصى رغائبه جلب الكتب واستيرادها من أى مكان وجدت فيه وإيداعها خزانة الحكمة فى بغداد . .

على أن لما قام به المأمون فى هذا الصدد جانبا آخر مضيئا ، فقد أقبل المترجمون فى ذلك العصر على هذه الكنوز المستورة فنهلوا من ينبوعها ونقلوا منها إلى لغة الضاد فنونا شتى فى الفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات والآداب وغير ذلك مما يمثل أرق ما وصل إليه الفكر اليونانى فى أزهى عصوره ، فأثروا بمترجماتهم الرائعة الخزانة المأمونية أيما إثراء ، ووسعوا محتويات بيت الحكمة توسيعا منقطع النظير ، فصار فيها من الكتب ما تفردت به على ما سواها .

لقد حوت هذه المكتبة إلى جانب الأسفار اليونانية التى تحدثنا عنها قبل ، كتبا مؤلفة

---

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٩ ، ٣٠

(١) محاضرة للمرحوم الأستاذ محمد كرد على ، نشرت بمجلة المجمع العلمى بدمشق مجلد سنة ١٩٢٧ م .

بلغات أخرى، فكان فيها كتب فارسية وهندية وسريانية وقبطية فضلا عن المؤلفات العربية ونادرا ما اجتمع هذا الحشد العظيم من الثقافات العالمية فى خزانة أخرى عتيقة ( ) ..

بل إن هذه المكتبة التى تجمع فيها هذا التراث العالمى الخالد ، لم تعدم أن تضم فيما تضمه التحف الخطية النادرة التى تمتز بها وتفخر . روى ابن النديم : « إن حمير كانت تكتب بالخط المسند على خلاف أشكال ألف وباء وتاء ، ورأيت أن جزءا من خزانة المأمون ترجمته ما أمر بنسخه أمير المؤمنين عبد الله المأمون أكرمه الله من التراجم ، وكان فى جملته القلم الحميرى فأثبت مثاله على ما كان فى النسخة (٢) » . وفى مكان آخر من الفهرست(٣) ، نقل ابن النديم مثالا للخط الحبشى وجده فى خزانة المأمون ، كما ينقل ابن النديم أيضا أنه كان فى خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم فى جلد أدم فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميرى من أهل وزل صنعا عليه ألف درهم فضة ، كيلا بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه . شهد الله والملكان(٤) » .

ولنتقل الآن إلى نقطة أخرى فى البحث لنتحدث عن رجال هذه المكتبة وأعمالهم المتنوعة فيها ، أو المتعلقة بها . وقد شارك بالعمل فيهـــا نخبة من كبار رجال الترجمة والتأليف فى ذلك الوقت ، وقد سبق أن قلنا إن الذى تولى إدارتها فى عهد الرشيد أبو سهل الفضل بن نوبخت ، كما نلاحظ ما يشبه الإجماع على أن سهل بن هارون هو أشهر من تقلد إدارتها فى عصر المأمون ، واشترك معه فى تلك المهمة سلم ، بل إن المرحوم الأستاذ محمد كرد على يقول : « إن سهل بن هارون كان له منصبان هما الإشراف على خزانة المأمون أى خزانة كتبه الخاصة ، والنظر على دار الكتب التى سميت دار الحكمة أو بيت الحكمة (١) » ، كما ساعد فى إدارتها سعيد بن هارون ، قال ابن النديم فى ترجمته إنه « كان شريك سهل بن هارون فى بيت الحكمة (٢) » . وليس هناك ما يدعو إلى القول بأن الثلاثة تعاقبوا على إدارتها لأنه يمكن الجمع بينهم مع انفراد كل منهم باختصاص معين فيها ، كذلك كانت هناك وظيفة النسخ وقد تولاها - كما أشرنا سابقا - علان الشعوبى ، ولا بد أنه كان هناك غيره من النساخ حتى يواجهوا ذلك النشاط المتزايد للمؤلفين والمترجمين ..

ومما يدل على أن المكتبة قد استكملت وجوه الاستعداد الفنى أنه كان بها موظف خاص بتجليد الكتب ، وقد اضطلع بهذا العمل « ابن أبى الحريش » أورد صاحب

(١) خزائن كتب العراق العامة - كوركيس عواد - مجلة سومر سنة ١٩٤٦ م .
(٢) الفهرست صـ ٨ . (٣) صـ ٢٩ .
(٤) الفهرست صـ ٧ ، ٨ .

(١) من محاضرة منشورة بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق مجلد سنة ١٩٢٧ م .
(٢) الفهرست صـ ١٧٤ .

الفهرست فى ترجمته « وكان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون [١] » .

فأما عن رجال التأليف ، فلدينا مثال لواحد منهم ذكره ابن الانبارى فى طبقاته [٢] ، قال : « إن المأمون أمر الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ، ووكل بها جوارى وخدما للقيام بما يحتاج إليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشوف نفسه إلى شىء . وصير له الوارقين ، وألزمه الأمناء والمنفقين ، فكان الوارقون يكتبون حتى صنف الحدود ، وأمر المأمون بكتبه فى الخزائن فبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس » .

وذكر القفطى فى ترجمة الخوارزمى : « وكان منقطعا إلى خزانة كتب الحكمة للمأمون ، وهو من أصحاب علم الهيئة [٣] ، ولعل انقطاعه كان لاشتغاله بالتأليف .

وأما المترجمون فكانوا مجموعة مختلفة تمثل ثقافات متنوعة ضمت العربى والفارسى والسريانى والرومى وغيرهم ، وكل منهم كان يتقن أكثر من لغة ، ولقد قامت على أيديهم حركة النقل الناهضة فى ذلك العصر الزاهر ، وأثرت اللغة العربية بفضل نشاطهم الوافر ، وحفظ التاريخ أسماء وتراجم لكثير من هؤلاء ، وقد مر ذكر بعضهم فى السطور السابقة ، ونذكر غيرهم الآن كبنى موسى بن شاكر المنجم الثلاثة محمد وأحمد والحسن ، ويحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم المأمونى ، وحنين بن إسحاق العبادى ، وابنه إسحاق ، وابن أخته حبيش ابن الحسن الأعسم ، وغيرهم ، وكل أولئك العلماء الذين كانوا على اتصال مستمر بخزانة الحكمة قد استوفيت تراجمهم وأخبارهم وأشير إلى كتبهم المنقولة والمؤلفة فى عدد من المراجع القديمة كالفهرست لابن النديم ، وطبقات الأمم ، لصاعد الأندلسى ، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ، وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وغيرها ، وليس هنا مجال الإفاضة فى الحديث عنهم أو عن أعمالهم ، فليراجع ذلك فى مظانه المشار إليها [١] » .

وهناك مسألة جديرة بالإشارة إليها فى هذا الموضع من البحث ، وتلك هى : هل كان دور هذه المؤسسة العلمية مزدوجا ، بمعنى أنه ألحقت بها مدرسة تلقى فيها دروس العلم على طلبة متخصصين أو غير متخصصين ؟ الواقع أنه لم يرد فى مطاوى النصوص المتعلقة بالمكتبة ما يدل على ذلك أو حتى مايوحى به ، ويقول المرحوم الأستاذ أحمد أمين : « وقد بالغ

(١) الفهرست ص ١٤ .
(٢) نزهة الألبا فى طبقات الأدبا ص ١٢٧ ، ١٢٨ - ط القاهرة سنة ١٢٩٤ هـ .
(٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٧ .

(١) فى كتاب عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعى المجلد الأول - ط القاهرة سنة ١٩٢٨ م بحث قيم للكتب المترجمة فى ذلك العصر عن مختلف اللغات وأسماء مؤلفيها .

بعضهم فزعم أن بيت الحكمة كان جامعة كبيرة يتصل بها مكتبة ومرصد، وليس بين أيدينا من النصوص ما يؤيد ذلك. وكل ما تدل عليه أنها كانت مكتبة، والغالب أنها ملحقة بقصر الخليفة لا في مكان خارجي، إذ لم ينقل إلينا في تخطيط بغداد خبر عن بناء خاص للمكتبة، وقد اعتاد الخلفاء أن يفعلوا هذا في قصورهم، فكان في قصر قرطبة مكتبة، وفي قصر الخليفة الفاطمي العزيز بالله مكتبة»(١).

بقيت المسألة الأخيرة في البحث وهي تاريخ هذه المكتبة، ولقد عرضنا أنها أنشئت في عصر هارون الرشيد، فمتى كانت نهاية المطاف بها؟.

يبدو أن انتقال مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى سامراء بعد العهد المأموني كان له أثر في انصراف العلماء والباحثين -إلى حد ما- عن التردد على مكتبة بغداد، ولا غرابة في هذا إذا علمنا أن هؤلاء العلماء والباحثين كانوا وثيقي الصلة بالخلفاء، ومنذ ذلك الوقت لم تستعد المكتبة عصرها الذهبي إبان حكم المأمون، وهكذا أخذ النسيان يطوي ذكرها حتى الغزو المغولي لبغداد سنة ٦٥٦ هـ : سنة ١٢٥٨م، وارتكابه كثيرا من الفظائع والأعمال الهمجية ضد الإنسانية كان منها - للأسف - تخريب هذه المكتبة الخالدة وانطفاء جذوتها تماما، على ما هو المشهور تاريخيا، ويعززه نص كهذا أنقله عن القلقشندي، قال عن مكتبة بغداد: «كان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المعتصم آخر خلفائهم -أي العباسيين- ببغداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها(١)».

لكن خالف في ذلك بعض الكتاب، يقول صاحب فوات الوفيات في ترجمة نصير الدين الطوسي: «وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو، وكان يطيعه فيما يشير به عليه، والأموال في تصريفه، وابتنى بمراغة قبة ورصدا عظيما واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد(٢)».

وسواء نقلت الكتب من مكتبة بغداد على يد هولاكو لتعمير خزانة مراغة، أو أتلفت بواسطة طيش الغازين المغول فإن مكتبة بغداد قد خبا إشراقها واختنق إشعاعها منذ ذلك التاريخ..

محمد جبر أبو سعده

---

(١) ضحى الإسلام - ج ٢ ص ٦٤ - طبع القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ.

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ٤٦٦ طبع القاهرة سنة ١٣٤٠ هـ.

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٤٩ طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ.

مايقال عن الإسلام

الإسلام

قوة في إنتظار كلمة

للدكتور عفيفي عبد الفتاح

بهذا العنوان نشرت جريدة التايمز الإنجليزية مقالا عن الإسلام فى عددها الخاص بالعالم العربى الصادر فى ٨ / ٣ / ١٩٦٨ بقلم السيد مونتجمرى وات أستاذ اللغـــة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره .

والكتابة عن الإسلام وعن العالم العربى ظاهرة بارزة فى صحافة الدول المعنية بالتقصى عن موازين القوى السياسية والاقتصادية ، لشعوب الشرق الأوسط وشعوب الدول النامية بوجه عام .

ثم هى ، قبل ذلك ، ضرورة خلقها شعور الدول الاستعمارية بتقلص نفوذها بعد الحرب الكبرى الأخيرة وحاجتها الملحة للصراع فى الميدان الاقتصادى للاحتفاظ بمستواها المادى والأدبى الذى عاشته من قبل .

ويتحدث السيد (مونتجمرى) - فى غير نظام - عن جوانب شتى من تاريخ الإسلام والعروبة ؛ مستمدا شواهد من التاريخ البعيد والقريب فى غير نظام أيضا - وبأسلوب من لايثير الانتباه لانتهاز الفرص أو أخذ الحذر والحيطة ، كما يشعر بذلك فحوى عنوان المقـــال .

وليس فى ذلك من عجب ؛ إنما العجب من لمحات فى عرض مقال الكاتب تدل على أنه بعيد كل البعد عن الجو الذى يتحدث عنه فهو ينظر إلى الإسلام فى العالم العربى ، وفى القرن العشرين ، فلا يكاد يلمح إلا مظهره « الاستاتيكى » فى المساجد والمآذن وبيوت العبادة ، ولايكاد يعرف عن كيانه الإجتماعى إلا ما يمثله شيخ الصحراء « الرومانتيكى » وحريمه بين قرى البادية

على أنه لا يقف هناك طويلا فهو يعود ويرى - وفقا لآخـــر - إحصاء مايربى على ١٠٠ مليون مسلم يتحدثون العربية ويتساءل عما عسى أن يحمل ذلك من معنى، وعما عسى أن يكون تقدير أهمية المسيحية فى هذا العالم (العربى) الحديث .

ثم يعود مرة أخرى ليرى أن الأفضل لطالب العلوم السياسية والأقرب للنجاح أن ينصرف إلى الإسلام ليدرس مكانته فى العالم .

وهنا يرى أن الإسلام كقوة تحظى بتراث أدبى وفكرى عميق يواجه نفس المشاكل التى تواجهها المسيحية وجميـــع الديانات الكبرى فى العالم.

ولكنه يأخذ على الإسلام ـ وحده ـ أن أساليب فكرة لم تعد ملائمة للعصر، وأن تعاليمه تحتاج إلى إعادة صياغتها حتى تلائم ذوى التربية العلمية الحديثة.

وأشهد أنى لا أفهم تماما ما يعنى بأساليب الفكر، ولا من يقصد بذوى التربية العلمية الحديثة، ولا على أى مثال من تعاليم الأديان الأخرى يمكن أن تقوم صياغة تعاليم الإسلام، ولقد كان حريا به ككاتب جامعى أن يتجنب الهوة التى تنزلق إليها أقلام الكتاب المغرضين، فيخلطون بين الإسلام فى منطقه وتعاليمه وبين حال المسلمين والأوضاع التى هم عليها اليوم. وليسمح لى أن أسأله: هل الحضارة الأوروبية التى يرمز كثيرا إليها وليدة فكر مسيحى؟ (أقصد متأثرا بتعاليم المسيح)؟.

وهل هناك دين من الأديان له حضارة نابعة منه سوى الإسلام؟ وهل ينكر أثر الإسلام فى حضارة أوروبا؟ إن أساليب الفكر الإسلامى عرفت المنهج الحديث للبحث العلمى قبل عصور النهضة الحديثة، وهى التى جعلت من الإسلام قوة تنبض فى قلوب ربع سكان العالم أو قوة تنتظر الكلمة كما يقول: إن الإسلام لم يقف سلبيا فى فترات تاريخه، ولم يلاق مفكروه أمام حرية الفكر عنتا أو إرهاقا. وإذا كانت أوضاعنا اليوم دون مستوى الدفع الذى يفرضه الإسلام، فالسيد الكاتب أول من يعرف السر والسبب، ويعلم أن الغرب كان دائما، ولا يزال، حربا على الإسلام وعلى الشرق من أجل الإسلام، وأنه يخشى أن يرى فى الإسلام قوة تنتظر الكلمة حسب تعبير الكاتب!

ولقد استمد الشرق من الغرب ـ راضيا أم كارها ـ بعض نظم التعليم، وإذا كان الكاتب يشيد بما فى ذلك من فضل، فإن عليه أن يذكر ما جر على الشرق والمسلمين من ويلات نعانيها بألم ومرارة، ونشكو من أخطارها.

ويرى الكاتب أن الإسلام يواجه تحديا المشاكل العملية الناشئة من توحيد العالم عن طريق وسائل المواصلات وتطور الصناعة القائمة على الإنتاج بالجملة.

والكاتب غافل، على ما يبدو، عن الجهود الموصولة التى تمثل انتفاضة عاتية من شعوب الإسلام التى تحررت حديثا، فى مجالى العمران والتصنيع. وغافل كذلك عن الحقد المسعور فى صدور قومه من جراء تلك الانتفاضة. وليسمح لى أن أقول له: ابث قليلا يلحق الهيجا حمل.(١).

---

(١) بلفظ الأمر.

ومن هذه الغفلة يقول الكاتب : إن فى هذين المجالين بدأ الجمود يعرف طريقه إلى العالم الإسلامى . ولعله بذلك يقصد منطقة خاصة فى البلاد العربية يرى فيها - كما يقول : الموقف الرجعى المتطرف الذى ورثه المسلمون من جاهلية الجزيرة العربية . ومع هذا التقدير فالكاتب متعسف ومبالغ ، شأنه فى الحديث عن جمود مسلمى الهند والباكستان.

ولا ينسى الكاتب أن يتحسس عناصر القوة التى تنتظر الكلمة : أهى فى القومية الإسلامية ! أم فى القومية العربية ؟

أما الأولى فقد عقدت بشأنها عدة مؤتمرات عقب إلغاء الخلافة بغية إنشاء نظام جديد ولكن هذه المؤتمرات انتهت أوزارها على غير جدوى ، وفى يومنا هذا تشعر كل دولة إسلامية بأن استقلالها محبب إليها ولا يمكن التفريط فيه . كذا يقول .

وأما القومية العربية فليس لها جذور بعيدة فى العالم العربى فالقومية فى واقعها - عند الكاتب - نمط من أنماط التعليم اقتصرت أساسا على الأقلية ذات الثقافة الأوربية . وإذن لا قيمة لقوميات أخرى . كذا يقول :

والكاتب مضطرب فى تفكيره مشوش فى منطقه - فإذا كانت الوحدة الإسلامية لا جدوى منها ، فمن أين ينتظر الإسلام الكلمة ؟ وإذا كانت القومية العربية لا جدوى منها فكيف يسوغ له أن يقول عن اللغة العربية إنها تعبير عن المجتمع الإسلامى وكواجهة للوحدة الكبرى بين المسلمين ؟ (علما بأنها لغة ربع المسلمين فى العالم) .

وعلى الرغم من حديثه عن القومية كظاهرة غير ذات خطر ، فإنه يبدى مخاوفه منها ، فيقول : إن وراء المناقشات تكمن المتاعب لبضعة ملايين من العرب المسيحيين فى مصر ولبنان ، ولا نفهم لماذا المتاعب ، أليس الأولى له أن ينظر إليهم فى وحدتهم المتماسكة ضد العناصر الدخيلة عليهم والمؤازرة بقوى الاستعمار وأسلحته .

إن سكان البلاد العربية - كما عرفهم التاريخ كتلة متراصة تجتمع على المحن وتظهر على الأحداث وتتعاطف على الشدائد ، تتحدث جميعا اللغة العربية . وتحترم فيما بينها حرية العقائد .

وذلك نفسه طابع المسلمين أيضا فيما بينهم ويجد الكاتب شواهد ذلك فى مشاكل سياسية اليوم وتضامن شعوب الإسلام حولها .

ونعود إلى حدس الكاتب وتخمينه وشوارد أفكاره إذ يتحدث عن بعث الإسلام ويتيح لخياله أن يتصور انطلاقة هذا العملاق الممتد من الخليج إلى المحيط ، أين تبدأ يا ترى نقطة الانطلاق الرئيسية للإسلام ؟

يقول : يعتقد بعض المراقبين مجازفة أنها

حتى نهاية هذا القرن ، ربما تكون فى شرق أفريقيا أو غربها .

وعلى كلا الفرضين لن يستفيد من ذلك العرب الذين يعتقدون أنهم - كعرب - المسلمون الأصليون .

ويحاول الكاتب بذلك أن يضع فاصلا بين العرب والمسلمين ، ويرى أن الأخيرين أمثل فى عملية التكيف بالعالم المعاصر ، فقد كان من الصعب على العرب - فيما يرى - أن يخلقوا زعيما من بينهم قادراً على التغلغل فى أعماق نفوسهم ، فلينتظر إذن هذه الزعامة من المسلمين . لكن ليس من الذين تعلموا تعليما حديثا وعلى النهج الأوروبى فكان من الصعب عليهم التعبير بطريقة تحرك إرادة العمل فى أعماق الجماهير ، ولم يسبق لزعيم منهم حتى الآن أن يربط بين سياسته وبين روح التضامن الإسلامى .

فالحاجة إذن ماسة إلى زعيم مسلم ، متسلح بتعاليم الإسلام الخالصة فإذا قدر له أن يظهر فسيصبح الإسلام إحدى القوى السياسية الكبرى فى العالم . وعلى أساس من هذا الفرض يمكن أن يتنبأ الكاتب مع السير هاملتون جيب ، باحتمال ظهور الإسلام وإعادة بنائه كقوة عالمية .

ويهمنى - قبل أن أنتهى من تعقيبى هذا - أن أنوه بفكرتين تستبدان بعقلية الكاتب فتدفعانه إلى متاهة عن الواقع :

١ - يعتقد الكاتب أن ما يسميه بالثقافة الغربية أو المنهج الأوروبى حد يفصل تماما بين الغربيين وغيرهم من سكان العالم .

وذلك خطأ فادح ينبىء عن قصر نظر وسوء إدراك للأمور ، فإن سكان مجاهل العالم لم يعودوا بعيدين عن ثقافة الغرب ، فضلا عن العرب والمسلمين ، ولقد كشفت أحداث السياسة فى العالم النامى قوى تتفجر بالأفكار الخصبة والثقافة الحية ، وإن السير فى طريق التقارب الثقافى بين الشعوب لم يعد صعبا ولا مشكلا ، ولم تعد بالتالى فجوة بين الشعوب تسمح بالتفرقة التى يفهمها الكاتب ويبالغ فيها .

٢ - والفكرة الثانية تقوم على ما يفهم الكاتب من أن الإسلام لا يزال ملتزما بطبيعته الأولى قابعاً فى أحيائه القديمة ، فهو لا ينفعل بالأحداث ولا يمتزج بالحضارات حتى ليمكن تصوره انعزاليا وبعيدا عن الحياة وذلك تصور فج بعيد كل البعد عن حقيقة الإسلام ومظهره التاريخى وواقعه الحى .

إن الإسلام - حقيقة - قوة . وهذه حقيقة تنتظر الكلمة ، ولكنه عند ذلك دين الحياة الكريمة ودين القوة والمنعة ودين الإخاء

والحرية ودين النهوض والسمو ، وإنه عند ذلك دين الحضارة المثالية التى تنشدها الإنسانية .

ويبدو من عرض الحديث أن السيد الكاتب مدفوع للمساس ببعض الجوانب فى الإسلام والعروبة ، فهو يتناولها فى غير نظام ويدرسها فى غير منطق وينتهى منها فى غير نتيجة .

ومع ذلك أشكره :

أشكره لأن لمساته الناقدة للإسلام (وحده) ليس لها فى أعماق نفسه من مبرر إلا أن الإسلام (وحده) هو الدين المتصل بشرايين الحياة والمتجاوب مع طبيعتها فى أطوارها الناهضة ، ولأنه (وحده) الدين الذى ينتظر أن يسهم فى علاج مشاكل الدول والمجتمعات ، ويفرض لها الحلول .

وأشكر الكاتب مخلصا لهذه العبارة : (ومن أبرز إنجازات الدين الإسلامى أنه خلق روح الجماعة والأخوة بين جماهير الناس على اختلاف أجناسهم) . فهى شهادة أعتز بها فى محاجة بنى جلدته .

وأخيرا أطمئنه على القوة التى تنتظر الكلمة فلقد صمدت هذه القوة القرون الطويلة فى مواجهة الشر والبغى والأذى والعدوان ، وخرجت منها خالصة المعدن صافية الجوهر وستأخذ طريقها نحو الأمام ونحو السمو . إن شاء الله ؟

د . عفيفى عبد الفتاح

« دستور عمر لنفسه »

قبل أن يضع عمر الخليفة الثانى دستوراً للولاة وضع دستوراً لنفسه : قوامه أن الحكم محنة للمحكومين ، وأنه لا يصلح إلا بشدة لا جبرية فيها ، ولين لا وهن فيه ، وأن الخليفة مسئول عن ولاته واحداً واحداً فى كل كبيرة وصغيرة ، ولا يعفيه من اللوم أنه أحسن الاختيار .

الكتب

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيي الدين الألوائي

— ١٧ —

إظهار الحق

للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي

« تتمة المقال السابق »

عرفنا من المقال السابق أن كتاب : « إظهار الحق » هو أخطر كتاب صدر إلى الآن في باب الرد على مفتريات المبشرين الغلاة على الدين الإسلامي، وكشف مؤامرات الاستعمار الثقافي ضد العقيدة الإسلامية السليمة التي تقف عقبة كأداء في طريق غزوه الثقافي والعقائدي وعرفنا أيضا الظروف والأسباب المحيطة بتأليفه والفوائد المترتبة على نشر مثل هذا الكتاب اليوم . وفيما يلي نماذج من المسائل الرئيسية التي تناولها المؤلف في كتابه لتكون أمام القارىء العربي صورة واضحة لما قام به هذا المصلح الهندي الكبير من جهود في هذا الشأن ثم قدم ثمارها باللغة العربية ، تعميما للفائدة وخدمة للإسلام والمكتبة العربية .

ويشتمل كتاب « إظهار الحق » على أربعة أبواب :

فالباب الأول في بيان كتب العهد العتيق والجديد . والثاني في إثبات التحريف ، والثالث في مبحث النسخ ، والرابع في إبطال التثليث . ويعتبر الباب الثاني منه من أهم أبوابه حيث يلقي ضوءا على تحريف اليهود للتوراة ، أحيانا بالزيادة وأحيانا بالنقصان وأحيانا بالتبديل اللفظي ، وعلى تجنيهم على كتب الله ورسله ضلالا وبهتانا . وقد أورد المؤلف خمسة وثلاثين شاهدا لإثبات التحريف اللفظي بالتبديل في التوراة بأيدي اليهود ، كما أورد خمسة وعشرين شاهدا لإثبات تحريفهم فيها بالزيادة ، وعشرين شاهدا لإثبات التحريف بالنقصان ، وقال إن النسخ المشهورة

للعهد العتيق عند أهل الكتاب ثلاث نسخ ، الأولى العبرانية وهى المعتبرة عند اليهود وجمهور علماء البروتستنت ، والثانية النسخة اليونانية ، وهى التى كانت معتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر ، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية ، وهى إلى هذا الزمان أيضا معتبرة عند الكنيسة الشرقية وهاتان النسختان تشتملان على جميع الكتب من العهد العتيق ، وهى الكتب الخمسة المشهورة الآن ، بالتوراة ، منسوبة إلى موسى عليه السلام ، وكذلك ستة كتب أخرى تنسب إليه ، عند البعض ، بهذا التفصيل : كتاب المشاهدات ، كتاب الخليقة الصغير ، كتاب المعراج ، كتاب الأسرار ، كتاب الشهادة ، كتاب الإقرار .

والثالثة النسخة السامرية ، وهى المعتبرة عند السامريين ، وتشتمل على سبعة كتب من العهد العتيق ، أى الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وكتاب يوشع ، وكتاب القضاة ، لأن السامريين لا يعترفون بالكتب الأخرى من العهد العتيق . وأن هذه النسخة تزيد على النسخة العبرانية فى الألفاظ والفقرات الكثيرة التى لا توجد فيها الآن . وصرح كثير من محققى علماء البروتستنت من أمثال : كيكات ، وهيلز ، وهيوبى كينت ، بأن اليهود حرفوا النسخة العبرانية بحذف هـذه الألفاظ وتلك الفقرات (١) :

وفى عهد السلطان المرحوم « بايزيد خان » أسلم بعض أحبار اليهود ، ومنهم العلامة عبد السلام الذى وضع رسالة هامة فى الرد على اليهود وسماها بالرسالة الهادية ، وهى مشتملة على ثلاثة أقسام ، فالقسم الثالث منها فى بيان تحريف اليهود كلمات التوراة بالتغيير اللفظى ، ويقول فيه . إعلم أنا قد وجدنا فى أشهر تفاسير التوراة المسمى عندهم بالتلمود ، أن فى زمان « تلماى » الملك ، وهو بعد « بختنصر » ، أن تلماى الملك قد طلب من أحبار اليهود التوراة فهم خافوا على إظهارها لأنه كان منكراً لبعض أوامرها ، فاجتمع سبعون رجلا من أحبار اليهود فغيروا ما شاء من الكلمات التى كان ينكرها ذلك الملك خوفا منه . فإذا أقروا على تغييرهم ، فكيف يؤتمن ويعتمد على آية واحدة (٢) .

وقال المؤلف الفاضل فى الرد على مغالطات اليهود لاستبعاد وقوع التحريف فى كتبهم بحجة أن نسخ الكتب المقدسة كانت منتشرة شرقا وغربا فلا يمكن التحريف فيها : كان موسى عليه السلام قد كتب نسخة التوراة وسلمها إلى الأحبار وسائر كبار بنى إسرائيل

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٢١٨

(٢) انتهى كلامه بلفظه (إظهار الحق) .

وأوصاهم بالمحافظة عليها ووضعها فى صندوق الشهادة وإخراجها إلى الناس بعد كل سبعة أعوام فى يوم العيد لأجل سماع بنى إسرائيل . فكانت هذه النسخة موضوعة فى الصندوق ، فلما انقرض جيل موسى تغيرت حال بنى إسرائيل فكانوا يرتدون عن وصية موسى أحيانا ويعملون بها أخرى . ولما فتح سليمان عليه السلام الصندوق فى عهده ما وجد فيه غير اللوحين اللذين كانت الأحكام العشرة فقط مكتوبة فيهما ، كما هو مصرح فى الآية التاسعة من الباب الثامن من سفر الملوك الأول وهى كالآتى : « ولم يكن فى التابوت إلا اللوحان الحجريان اللذان وضعهما موسى بحوريت ، حيث عهد الرب بنى إسرائيل وأخرجهم من أرض مصر »(1) .

وبعد موت سليمان عليه السلام وقع انقلاب عظيم فى صفوف بنى إسرائيل حيث تفرقت الأسباط إلى سلطنتين ، فصار « يوربعام » سلطانا على عشرة أسباط من بنى إسرائيل وسميت تلك السلطنة بالسلطنة الإسرائيلية ، وصار « رحبعام » بن سليمان سلطاناً على السبطين وسميت تلك السلطنة بسلطنة « يهودا » وشاع الكفر والارتداد بين السلطنتين ، لأن « يوربعام » بعد ما جلس على كرسى الحكم ارتد وارتدت الأسباط العشرة معه ،

وعبدوا الأصنام ، ومن بقى منهم على ملة التوراة من الكهنة هاجر إلى مملكة يهودا . وعاشت هذه الأسباط من هذا العهد إلى مائتين وخمسين سنة ، على الكفر وعبادة الأصنام ، ثم أبادهم الله ، بأن سلط الآشوريين عليهم فأسروهم وفرقوهم . فمن عهد يوربعام إلى آخر عهد السلطنة الإسرائيلية ما كان لهذه الأسباط غرض بالتوراة . وأما حال سلطنة يهودا فقد جلس على عرشها ، بعد موت سليمان عليه السلام إلى ثلثمائة واثنتين وسبعين سنة ، عشرون سلطانا ، وكان معظمهم من المرتدين عن ملة التوراة ، وقد شاعت عبادة الأصنام فى عهد رحبعام ووضعت الأصنام تحت كل شجرة وعبدت وفى عهد « آخذ » بنيت المذابح للبعل فى كل جانب من بلدة « أورشليم » وسدت أبواب بيت المقدس . وكان البيت عرضة للنهب والتلف عدة مرات فى تلك العهود . وفى عهد « منسا بن حزقيا » الذى تولى عرش مملكة يهوداً من سنة ٦٩٩ إلى سنة ٦٤٤ قبل الميلاد ، وضع الوثن الذى كان يعبده فى بيت المقدس .

وهكذا كان حال الكفر والشرك فى مملكة الأسباط . ولما تولى « يوشيا » بن آمون الحكم وأراد إحياء الموسوية لم ير نسخة التوراة ، واستمر البحث عنها لمدة سبع عشرة سنة ، ثم ادعى « حلقيا » الكاهن فى العام

(1) سفر الملوك .

الثامن عشر من حكم يوشيا أنه وجد نسخة التوراة فى بيت المقدس ، كما هو مصرح فى الباب الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى ، والباب الرابع والثلاثين من أخبار الأيام ، ولكن لا يعتمد على هذه النسخة المزعومة ، ولا على قول حلقيا لأن البيت نهب مرات قبل عهده وصار بيت الأصنام وسدنتها ، وما سمع أحد إلى سبعة عشر عاما من حكم يوشيا اسم التوراة ، وما رآه مع أن الملك وأتباعه يبحثون عنها فى كل مكان ، فليست نسخة حلقيا الكاهن إلا من جمعه من الروايات التى وصلت إليه من أفواه الناس ، بعد أن فهم عزم يوشيا لإحياء الملة الموسوية (١) .

ويقول المؤلف فى إثبات النسخ وتعريفه وأقسامه : النسخ فى اللغة الإزالة وفى اصطلاح أهل الإسلام بيان انتهاء مدة الحكم العملى الجامع للشروط ، لأن النسخ لا يطرأ عندنا على القصص ولا على الأمور القطعية العقلية مثل أن صانع العالم موجود ، ولا على الأمور الحسية مثل ضوء النهار وظلمة الليل ، ولا على الأدعية ولا على الأحكام التى تكون واجبة نظرا إلى ذاتها مثل آمنوا ولا تشركوا ، ولا على الأحكام المؤبدة مثل ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا . ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين مثل فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ، بل يطرأ على الأحكام التى تكون عملية محتملة للوجود والعدم ، وغير مؤبدة وغير مؤقتة ، وتسمى الأحكام المطلقة ويشترط فيها ألا يكون الوقت والمكلف والوجه متحد ، بل لا بد من الاختلاف فى الكل أو البعض من هذه الثلاثة . وأضاف المؤلف المحقق قائلا : وليس معنى النسخ المصطلح أن الله أمر أو نهى أولا ، وما كان يعلم عاقبته ثم بدا له رأى فنسخ الحكم الأول ، أو أمر أو نهى ثم نسخ مع الاتحاد فى الأمور المذكورة ، بل معناه أن الله كان يعلم أن هذا الحكم باقيا على المكلفين إلى الوقت الفلانى ثم ينسخ . فلما جاء الوقت أرسل حكما آخر ظهر منه الزيادة أو النقصان أو الرفع مطلقا ففى الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الأول لكن لما لم يكن الوقت مذكورا فى الحكم الأول ، فعند ورود الثانى يتخيل لقصور علمنا فى الظاهر أنه تغير ثم ضرب المؤلف أمثلة على ذلك من واقع الحياة والفترة والمصالح الإنسانية .

وفى الحق إن هذا الكتاب من الكتب الفاصلة فى النزاع القائم بين المسلمين وأهل الكتاب ، حول مسائل التحريف والنسخ والتثليث ، وختم النبوة بمحمد عليه الصلاة السلام ؟

محى الدين الألوائى

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٣٢٥ .

أنباء وآراء

● صدر القرار الجمهورى رقم ١١٠٠ لسنة ١٩٦٨م فى ٢٩ من ربيع الآخر ١٣٨٨هـ يقضى بمد خدمة فضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية لمدة سنة اعتباراً من ١٦ / ١٠ / ١٩٦٨

● حصلت رسالة « المعانى الإنسانية فى القرآن » على درجة « الدكتوراه » من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

قدم الرسالة الدكتور أحمد إبراهيم مهنا رئيس قسم البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية .

● صدر للمستشرقة « توبماكاخاروفا » كتاب عن حياة وعمل المفكر الأديب المصرى رفاعة الطهطارى .

ورفاعة الطهطاوى أحد أبناء الأزهر النابهين الذين كانوا على رأس البعثات المصرية الأولى إلى أوربا . وترجم كثيرا عن الأدب الفرنسى .

● شكلت لجنة برئاسة مدير جامعة الأزهر فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى لعون الطلاب الفلسطينيين ورعايتهم . هؤلاء الطلاب الذين يدرسون فى جامعات العالم والمعاهد المختلفة الذين انقطعت مواردهم بسبب العدوان، وقد بدأت المقررات الشهرية تصل إليهم .

وستستمر اللجنة فى عملها لرعاية هؤلاء الطلبة حتى إزالة آثار النكسة .

● حمل البرق إلى مجلة الأزهر التماسا بإنشاء كليات نظرية لجامعة الأزهر بأسوان خدمة لأبناء الصعيد وجمهورية السودان ودول شرق إفريقيا ووسطها تكون هذه الكليات نواة لجامعة أسوان الأزهرية .

● تقرر إقامة مسجد ضخم بجامعة القاهرة تبلغ تكاليفه ٤٠ ألف جنيه تشترك فيها الجامعة مع وزارة الأوقاف ستكون مئذنة المسجد أكثر ارتفاعا من برج الجامعة وسيصل ارتفاعها إلى ٦٠ مترا سيقام المسجد عند مدخل كلية الآداب من ناحية المدينة الجامعية وسيضم إليه مبنى مكتبة إسلامية تكون مرجعا للأساتذة والطلاب وستعلوها قبة يبلغ ارتفاعها ٣٥ مترا ، وتبدأ عمليات بناء المسجد خلال ٣ أشهر وستستغرق عاما كاملا .

يراعى فى التصميم والتنفيذ أن يكون المسجد أحد فروع الجامعة مهمة أصلية

وضرورية وتنحصر فى توفير كل الوسائل العلمية أمام أعضاء هيئة التدريس والطلاب لتعميق القيم الروحية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية وعلوم الفقه . .

كتب إلينا السيد عثمان محمد عثمان المعيد بكلية الشريعة والقانون تعليقا على ماورد بصحيفة الأخبار الصادرة فى ٢٤ / ٥ / ٦٨ فى باب يوميات الأخبار لمحمد زكى عبد القادر

قال صاحب اليوميات : « ... وأسأل عن الخير والشر ، والسر والعلن ، والفضيلة والرذيلة ، والجنة والنار والعقاب والثواب ، فلا أعرف لها حدودا ولا كيانا أو تضطرب الحدود ويضطرب الكيان وأحس أنى ذرة ضائعة فى ملكوت أوسع من كل ما بلغته العقول » .

ثم أبان عن أن الموت والحياة خالدان وفق التجربة .

وهـذا القول الأخير لا يزيد عن قول القائل : إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .

وسأضرب صفحا عن الخوض فى الجدل حول هذه القضايا .

ثم ألقى الأستاذ سؤالا : أترانا حينما نولد يكون الميلاد بداية حياتنا أم يكون استمرارا لوجود قديم أترانا حينما نموت يكون الموت نهاية حياتنا أم يكون تهيئة لميلاد جديد ؟ وأجاب عنه بأنه سؤال لانعرف جوابه على التحقيق !!! .

أقول للأستاذ كيف لا نعرف جوابه وهو من البدهيات التى علمت من الدين بالضرورة من حيث كانت نصوص الشرع الصريحة متواترة فيه متضافرة على تأسيسه وتعميقه لأنه جزء الحقيقة الكبرى التى خلقنا من أجلها ... حقيقة توحيد الخالق تعالى وهاكم البيان مع التركيز والإيجاز .

تقرر نصوص القرآن أن هناك حياة أخرى هى أهم من حياتنا هذه وأن الحياة الدنيا ليست النهاية وأن مستقبلنا الموطد ومستقرنا المؤكد ليس على ظهر هذه الأرض وفى القرآن الكريم آيات ذلك فوق الحصر .

(ب) من الوجهة العقلية المحضة يتحتم أن تكون ثمة حياة ثانية إذ العقل الراشد والفطرة المعتدلة تقضى بأنه لابد من مجازاة المحسن وفاء إحسانه وعقاب من أساء حتى تتحقق العدالة ويستقيم لها ميزانها . وحيث إن المشاهدة قاطعة بأن كثيرا من المحسنين والمسيئين قد يتخطفهم الموت قبلما يتم هذا الجزاء عقابا وثوابا فلزم العقاب والثواب فيما بعد « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

إنه منتهى العدالة والإنصاف يحاسب على على الذرة والخردل .

(ج) على أن الإنسانية لا يمكن أن تكون قد خدمت نفسها هذه الأزمان المتعاقبة إذ آمنت بإله واعتقدت في الآخرة . وانطلاقا من ذلك فإن قضية الميلاد الجديد — أى البعث — لا مرية فيها لأنها أساس الدين وعماد الإيمان ولا يسوغ مجال التشكيك فيها أيا ما كانت الدواعى .

ولو كان ما ساقه الأستاذ على اجتهاد لهان الخطب وخف المصاب أما وقد مس العقيدة فإن الأمر جلل والخطب جد خطير .

ولذلك فعلى من يتصدى لأمور كهذه أن يفكر مرات قبل إصدار مايصدر كما لا يسوغ حصر أنفسنا وأفكارنا فى دائرة التجارب والحس فقط إزاء المغيبات .

كان لوفاة الأستاذ أحمد حسن الزيات وقعاً أليماً فى نفوس عارفى فضله . وقد وصل إلى المجلة عدة قصائد تسجل هذا الحدث الجليل ووقعه فى نفوس أصحابها .

نقتطف من هذه القصائد أبياتا للأستاذ عبد البارى أبو العينين المفتش بالتربية والتعليم ؛ يقول :

دموع العروبة والإسلام

على فقيد العروبة والإسلام « أحمد حسن الزيات »

أحقا توارى الكاتب الفذ يا قبر ؟ !
وحقا ثوى فى جوفك الثائر الحر ؟ !

مضى « أحمد الزيات » يا قبر إذ مضى
تشيعه الدنيا وينتحب الدهر

وكيف وسعت البحر يا قبر إننى
لأعجب من بحر يغيبه قبر ؟ !

قضى الكاتب العملاق يامصر وانزوى
وأنت كأم شب فى قلبك الجمر

• • •

تبدلت الأفراح فيك مآتما
وغاض المعين العذب والمنتدى قفر

فعز لغاتنا يا قريض وقل لها
ثكلت محيطا لا يحد له بر

وقل لرجال الضاد غاب أميركم
« وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر »

• • •

وإن كنت يا أم اللغات فقدته
ففيك أريج الزهر إن ذهب الزهر

وحسبك نفح الزهر حيا وميتا
ولو غاب عنك الزهر لم يغب العطر

سأسكب « يا زيات » دمعى تفجعاً
ومن عجب أبكى فيبكى معى الشعر

ولولا التقى مزقت قلبي ومهجتي
ولكن أمر الله ما رده أمر

فنم يا فقيد الشرق فى القبر آمنا
ونم مطمئن القلب وليبتسم الثغر

سلام على البحر الدفين فطالما
تندت لنا منه اللآلىء والدر

سلام على قبر يضم رفاته
ومن قبل ضمته النزاهة والطهر

عليك سلام ما سكبت مدامعي
وإن راعنى هجر فموعدنا الحشر

عبد البارى أبو العينين
المفتش بالتربية والتعليم

وجاء فى « قلمه » على لسان الأستاذ نجاتى عبد الرحمن :

قلم هو الحرب العوان إذا انبرى
وهو السلام إذا جرى لسلام

تصغى فتسمع عند وقع صريره
طحن السنان وأطرب الأنغام

عذب إذا أصفيته محض الوفا
مر إذا بادلته بخصام

فى كف أروع ما تقلد غيره
من عدة أو صارم صمصام

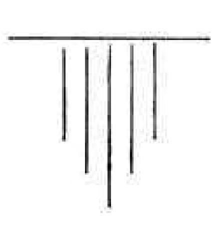
يدعو إلى جمع الشتات ولا ينى
فى الحق أو يخشى شديد ملام

فى ذمة التاريخ طول جهادكم
ونضالكم فى ذمة الأعوام

خطب الكنانة فيك خطب فادح
فجعت به فى أرفع الأعلام

نجاتى عبد الرحمن

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى



punishment, or is it entirely refuted so that man had better reiterate it ? The answer to this is also present, and furthermore, too clear to cause a bit of confusion. It is incumbent on a man who has neglected a subsidiary side of worship to redress the shortcoming of his faith. Enormities are atoned for by repentance, while lesser sins are expiated by prayers, fasting, almsgiving, enjoinment of justice and forbiddance of evil. Unless he makes amends for his sins, a man's faith in all will be defective.

Then we come to the " flight " in the Hadith. Some commentators take it in the exact sense of the word and interpret the Hadith in the light of the circumstances in which the Prophet, blessed be he, delivered it. They apply it to the Prophet's early followers who fled with him to Medina. True believers they were, undisputedly, and theirs would be the due requite of true believers. But the man among them who availed himself of the opportunity of the flight to run in pursuit of a private passion, that is, a woman whom he desired to marry, this man the Prophet exposed for he acted a lie on his Lord, on the Prophet, blessed he be, and on his distressed fellow-fugitives.

However, the elite of commentators take this flight in a figurative sense that symbolises man's incessant strife to release his life and faith from sinning and infidelity, particularly in times of adversity and self - contention. Hence they look at this Hadith as one of three which represent the pivot on which Islam turns.

In the Arabic tongue, by 'intent' can be meant both the intimate purpose and the intended thing. Some commentators, however, distinguish intent from purpose by restricting the former to private intimity and demonstrating the latter as an outer object or scheme that may even involve work of other men. From their point of view, the priority of intent is essential for the validity of a legal or religious devotion, to the extent that intant will suffice a Muslim and mediate for him in case of his obliviousness or inability to carry out what he has intended to do.

Other commentators are of opinion that this Hadith is applicable to all works. They believe it to allude frankly to two sorts of intents : one that conforms to the outward behaviour of its fosterer, and another that conceals itself behind a feigned contradictory appearance. They tend to understand "intent" as the sort of man inharent on the inside of the flesh and blood, as conscience or as the emotional side of faith. Hence they do not agree with those who understand "intent" as the casual or temporary intimate background of an action done by man.

Again, some commentators say that a Muslim should utter his intent, particulary when the matter concerns devotion or worship, with a view both to cultivating faith deeper in the feeling and to securing the compliance of the outward with the inward. But other commentators deny the necessity of such utterance.

Savants agree, then, that intent is pertinent to the heart. In Surah 8 (The Spoils, Al-Anfal), Verse 2, it says that which may translaste:
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
(The true believers are those whose hearts are filled with awe at the mention of Allah)" Again, the prophet blessed be he said :
لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له
(He is short of faith who is short of honesty; and he is untrue to Allah who is untrue to his covenants)" Here a question may arise whether such definition and such disavowal of faith are absolute or they are genuinely figurative demonstration of the perfectness or imperfectness of men's faith. This, however, has a slight bearing on the argument; for perfectness of faith is both obligatory and preferable. Another question may arise concerning requital when man is more or less observant of religious duties. Is such observance acceptable and requitable the good by its reward and the evil by its

From the Tradition of the Prophet :

Intent, The Muslim's Inward[1]

BY : SOLIMAN BARAKAT

The Prophet, blessed be he said: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

(It is intent rather than labours that account; and indeed man is judged by that he intends. Therfefor, wheoever is flying the land and going where Allah and His Apostle have bidden him is really a fugitive on Allah and His Apostle; and whoever is in fact flying after a fortune to gain or a woman to marry is but a fugitive on his own).

This Hadith is one of three looked at by commentators as the pivot on which Islam turns. The other two Hadiths are : الحلال بين والحرام بين (Both the lawful and the unlawful are equally manifest) and من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد (He is to be refuted who does a thing discordant from our ways). Islamic behaviour shows itself, then in three aspects : self-subjection to the obligatory and the preferable Divine and Prophetic enjoinments and interdicts; embracement of sincerity to Allah, the Prophet and men; and guardedness against falling into heterodoxy.

It says in the Glorious Qur'an, Surah 67 (Soverignty, Al-Mulk), Verse 2, that which may translate: «الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» (He created life and death that He might put you to the proof and find out which of you acquitted himself best). In order to acquit himself well, commentators say, a Muslim should behave himself with sincerity on the inward and correctitude on the outward. And they warn him that misconduct on his part will by necessity imply his disregard of Allah's commandments and prohibitions, his disdain of the value of a work in itself, and his slight of Allah's promises and threats.

---

(١) المراجع : (ا) صحيح البخارى .
(ب) شرح حديث : إنما الأعمال بالنيات لابن تيمية .

breaks it, and if he hates a person, he bec. mes sever in his enmity".

So we see that Islam considers moral excellence the highest degree of faith.

(Concluded)

(Continued from page 4)

part of the globe is ransacked by the agents of the Caliphs for the hoarded wealth of antiquity; these are brought to the capital and laid before an admiring and appreciating public. Schools and academies spring up in every direction; public libraries are established in every city free to every comer; the great philosophers of the ancient world are studied. The rulers themselves participated in literary meetings and philosophical discussions. Every city sought to outrival the other in the cultivation of arts and science. From every part of the globe students, and scholars flocked to 'Bagdad', to 'Cairo' and to 'Cordova' in search of Knowledge, and to listen to the words of the Arab Sages!

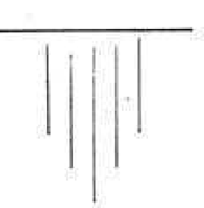
(Continued from page 8)

a democratic character, and the ability to effectively participate in a democratic society.(1)

Within the modern society the school, as the major secondary institutional agent of education, strives not only to acquaint its students a personality style which will enable the individual more effectively to participate in and contribute to his society.

---

(1) Ephraim Vern Sayers and Ward Madden, Education and the Democratic Faith, Appleton-Century Crofts, Inc., New York, 1959.



God, the Almight, says : O you who believe, then He commands to them what he requires from them, such as to say afterwards :

" . . . Keep your duty to God, if you are truthful." The Prophet stated clearly that strong faith invites strong and sound ethics. and wise versa. He said, for example : "Modesty and faith are closely related to each other ; if one is out, the other is out too." He also said : "I swear by God that he is not a believer, I swear by God that he is not a believer." The peoole said : whom do you mean, O Messenger of God ? He said : He whose neighbour is not secure against his harm."

Therefore, the Prophet threats those who practice the obligation kinds of worship and still do not act contrary to good morals. It is reported that a man said : O Messenger of God : There is a woman who is known by her dedication to prayer, fasting, and charity, but still used to touch her neighbours with bitter insults. The Prophet said : "She is in hell." The man said : And there another woman who does no prayer or fast or give chairty as much, but she treats her neighbours kindly. The Prophet said : "She is in Paradise."

The close relationship between ethics and religion is best expressed by the Tradition of the Prophet when he asked his companions : "Do you know who is the bankrupt ? They said : The bankrupt among us is he who owns no money or property. The Prophet said (The bankrupt is the one who comes in the Day of Judgment with prayer, charity, and fasting, but at the same time, his record of actions is full of harm, insults, murder, and acquiring of illigal money. The rewards of his good deeds, will be turned over to the people by him, until his rewards are all taken out from him. Then if there is no reward left for him, the punishment for the sins of his wronged persons will be diverted to him, until he will be cast in hell."

Certainly bad deeds if they persist and reach the dangerous limit, they, will abrogate faith, and the deed of them cannot be called a Muslim. Therefore, the prophet said: "These descriptions give one the position of hypocrite, even if he performed the obligations at prayer, fasting, and pilgrimage and claring to be a good Muslim : if he speaks, he talks lies, and if he gives a promise, he breaks it, and if he is charged with a trust, he betrays. "In another tradition, the prophet said : "Four things make one acomplete hypocrite: if he is charged with a trust, he betrays, if he speaks, he lies, if he gives a promise he

family slaughtared a lamb for him, when he said to them; did you give some of the meat to our Jewish neighbour? For I heared the prophet saying: Gabriel recommneded me with good treatment to the neighbour so much that I thought that he was about to leave for him a share in inheritance.

Islam also orders us to keep our relations to one kin even if there were non-Muslims. The Qur'an says regarding the disbelieving parents:

« وصاحبهما في الدنيا معروفا » .

It means: "And Keep good company to them both ...."

Islam established the fact that the glory of nations depends upon their morals. The Prophet told his people that their kingdom and authority cannot last because of their family position, but because of the moral excellence only. It is reported that Anas ibn Malik said: We were sitting in the house of some immigrants and helpers when the Prophet came, and we hastened to him, every one wishes to sit down beside the Prophet. But the Prophet kept standing holding the door and said: "The leaders are from Qurayish. I have to you a great right and the leaders of Quraysh have the same right: If they ask for mercy, they will be given what they asked for; if they rule, they shall rule with justice, and if they gave a promise, they shall fulfil it. Whoever acts otherwise let the curse of God, His angels, and all people be upon him." This saying of the prophet means that the real position of the ruler depends upon his good deeds. If ruler claims that he is a Muslim, while he rules unjustly, has no mercy upon his subjects, or does not fulfil his promises, he, then, cannot be called a good Muslim, and, thus, he deserved be cursed.

Al-Hasan reported that the Prophet said: "If God intends goodness for a people, he will entrust for them a wise ruler, and makes the generous people among them the keepers of their wealth; and if He intends harm to a people, He will make the foolish the rulers among them, and entrust their misers with their wealth." Ibn Taymiya, the famous scholar said: "God establishes with firemenss the just nation even if it was a disbelieving nation, and destroys the unjust nations even if it was Muslim nation."

What is the relationship between morality and the obligatory kinds of worship?

Faith is safety against evil. Whenever God askes His servants for a good deed or turns them away from an evil deed, He calls upon the faith in their hearts. Quite after,

the companiosn went to the man to ask him about his good deeds for which he deserved sucq high privilege. The man said : "I used to stay night and day with no malice or hatred in my heart toward any Muslims".

Forgiveness, politness, respect for the elderes, mercy for the young, generosity, patience, cleanliness, bortherhood, unity, seeking knowledge, taking benefit at time, continous work for earning livlihood, enjoining what is good and forbidding what is bad, sincerity in worship, helping the needy and the unfortunate all these are recommended virtues by Islam, among other moral excellences which Islam asks all people to behave according to them.

Are these virtues meant to be observed toward Muslims or toward all people irrespective of their religions ?

Islam obligates Muslims with special kinds of worship which are exclusive to them. Ethical teachings, however, must be practised regarding Muslims and non - Muslims alike. Truth, for examle, is obligatory in speech and transaction whether toward a Muslim or otherwise. Likewise is faithfulness, generosity, cooperation. Discrimination in treatment, though it is practised in some religions, is not known in Islam, which is established for all humankind, and which asks its followers to treat all people on the footing of complete equality. It is reported that a Jew came to the prophet to claim his debt against him, and said : O, people of Abdul-Muttalib, for ara so used to defer the payment of your debts. Omar Ibn Al-Khattab was so exasperated that he was about to pull his sword against the impolite Jew. The prophet calmed down Omar and said : "I and him ought to be treated be you, O Omar in another way: You must advise me with due payment, and ask him to be polite his claim".

The Prophet ordered Muslims to be just even toward the disbelievers and the evil people. He said : "the appeal of the wronged person is liable to be answered by God even if he was an evil person, for his punishment returns back to his own self". And : "The appeal of the wronged is answered by God even if he was a disblIever".

By such texts, the Muslims are ordered to treat the followers of other religions with kindness and justice.

One of the wonderful examples in this respect is what is related about Ibn Omar ibn Al-Khattab. His

The Basis of the Ethical System in Islam - IV

BY

ABDUL WADOOD SHALABI

Does Islam obligate its followers to follow a specific course of morality?

No doubt that Islam asks Muslims to act according to every moral excellence without specification. The prophet explained the objective of his message by saying:

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

" I have been sent to complete the moral excellences". Whatever people consider it to be a virtue is recommended by Islam. However, the prophet called Muslims to special virtues in special circumstances. Truth is one of the virtues Islam cared for so much. The prophat was asked whether a Muslim may be a liar, he answered : "No, the Muslim cannot be a liar".

Keeping and observing the trusts is also a great virtue in Islam. It was reported that the prophet said: "No faith for whom who has no faithfulness when charged with trusts; and no religion for whom who does not fulfill his promises".

Faithfulness in Islam is wide enough to include faithfulness regarding the rights of God, good treatment to people, and observing the senses of the body to function in the right way of behaviour.

Sincerity is very important virtue in the eyes of Islam. Acceptance of the actions of people depends on the grade of their sincerity. The person who does his good actions just for show and reputation, his actions will not be accpeted by God, and he becomes liable to God's punishment. The Prophet said : "Actions are judged by intentions; and to every person the reward or punishment of what he intends". and :"On the Day of Judgment, the world will reviewed : what ever in action was done for God, it will be accepted, and whatever what was done for other than God, it will be cost in full". The prophet also told his comdanions one day that a man who will enter paradise, will come to them through the door. The companions looked over and saw a poor and humble person entering through the door. The same thing happened for two other successive days. Then

"the Manus or the Arapesh of the Iatmul adults taught their children all that they knew themselves."(1) However, in modern societies which are pervaded by the advancement of science, technology, and the explosion of knowledge, parents no longer have the time or the competency to assume the responsibility of the total education of their children. The complexity of modern society necessitates the establishment of the school as an institution to help society preserve, extend and renew its existence by inducting its children into the way of life cherished by it. In this sense, "Education is chiefly the function of the societally sponsored school system from nursery school to the post graduate college."(2)

Generally speaking, the school's function is to transmit culture from one generation to another, in order to guarantee the continuity of the society in which the school is operated. Once this general societal function of the school is fulfilled, there remain considerable choice & notable variation as to the scope, the form, the content, the control, and the aims of education. For example, the function of the school can be geared to educate the intellectually elite or the masses; learning may take place through imitation or through formal teaching; the curriculum my be organized to discipline the mind, or to train the individual for a vocation. Again, the school may be controlled by the family, a religious group, a central government or by the local community. The aims of education may be social responsibility and character training where the ideal of the gentleman is emphasized,(3) or the aims of education may be achievement of collectivism, loyalty to the state obedience, and industry.(4) The aims of education can be also the cultivation in the individual of

(Continued on page 13)

(1) Margaret Mead, "Our Educational Emphasis in primitive Perspective, "Education and Culture, (ed.). George Spindler, Holt, Rinehart and Winston, New York, Chicago, 1963, p. 311.

(2) John F. Cuber, Sociology A Synopsis of Principles, Appleton-Century-Crofts Inc., New York 1955 p. 521.

(3) George Z. F. Bereday, Comparative Method in Education, Holt Rinehart and Winston, Inc., New York, Chicago, 1964, p. 119.

(4) George S. Counts and Lucie Lodge, The Country of the Blind, Boston Houghton Miffline Co., 1949 p. 244-280; and George Z.F. Bereday and Jaan Pennar Praager, The Politics of Soviet Education, (ed.), Praeger, New York, 1960, pp. 48-88

a sheep sheared, a young girl taught to handle her body modestly when she bathes, which foods my be served together, and to whom - up through the elaboration of art, literature, music, and philosophy of which each people have been so proud."(1)

Further, Harsh and Schrickel assert :

"Culture determines in some degree not only what the individual learns but also the relative significance he attaches to the various forms of behavior he learns."(2)

Thus, "that which is most central or innermost in the individual is often common to the majority of those sharing the same culture,(3)" since, "the enduring moral, religious, and philosophical beliefs of a person constitute his innermost or 'true' self."[4] It is this manner that culture influences the individual's identity and shapes the individual's personality along the lines prescribed by the society in which he lives. Since the school is a sigment of the society, it contributes in part to the personality development of individuals.

The School's Function

All societies, whether primitive or advanced, perpetuate themselves through some process of education, Spindler points out that education is the process of transmitting culture "including skills, knowledge, attitudes, and values as well as specific behavioral patterns."(5)

The school is usually the agency of formal learning. In addition to the school some learning is directed by the family, peer groups, the mosque, mass media and other agencies. For example, the Manus tribe in the Admiralty Islands do not have schools, books, or teachers, yet their children learn the tribe's language, beliefs, customs and traditions through their parents, peer groups, and tribe community. Margaret Mead points out that

---

(1) Margaret Mead, Cross Cultural Approach to the Study of Personality, "Psychology of Personality, J. L. Mc Cary, (ed.), Logos Press, New York, 1956, p. 205.

(2) Charles M. Harsh and H. G. Schrickel, Personality Development and Assessment, The Ronald Press Co., New York, 1950, p. 345.

(3) Ibid., p. 344.

(4) Ibid., p. 7.

(5) George D. Spindler, "Anthropology and Education : An Overview, "Education and Cultur, (ed. , Holt, Rinehart and Winston, N. Y., Chicago, San Francisco, Toronto, London, 1963, p. 58.

the sum total of what is learned by individuals in a particular society, consciously or unconsciosly, by operation or by imibtation, as members of society. Tylor's definition of culture, though it is old, is still cited frequently by most sociologists and anthropologists. "Culture is," as Tylor defines it, "that complex whole which includes knowledge, belief, art, morals, law, custom, and any other capabilities and habits acquired by man as a member of society."[1]

Culture, on the one hand, must provide the individual with knowledge and skills necessary to help them solve their problems and guarantee their physical survival. On the other hand, the associated forms of human life provide a satisfactory social atmosphere to meet the individual's psychological needs and to pave the way for devalopoing healthy personalities. As to the individual, Ralph Linton points out that "The individual is a living organism capable of independent thought, feeling, and action, but with his independence limited and all his responses profoundly modified by contact with the society and culture in which he develops."[2]

In addition, Gottlieb and Brookover maintain that "Since nearly all human conduct is either in relation to other persons or is affected by relation with others, personality is essentially a social phenomenon. As people live in groups and share common experiences, they develop common and mutually expected behavior patterns. These common aspects of the behavior of persons living in a specific society are known as culture."[3]

Thus individual identity is strongly influenced by cultural factors. Margaret Mead states that.

"The child, from its earliest days of life, and very probably prenatally also, begins to learn this culture pattern which is exemplified by every act of those with whom it comes in contact. Technically, the word 'culture', as used by anthropologists, is an abstraction which apleies to the entire body of learned behaviors from the humblest and most private act-the way in which an ox is fed,

---

(1) Edward B. Tylor, The Oirgins of Culture. Harper and Brothers Publishers. New York, 1958. p. 1.

(2) Ralph Linton, Op. cit. p. 29

(3) Wilbur B. Brookover and David Gottlieb, A Sociology of Education, American Book Company New York, 1964, p. 19.

The School's Function in Society

BY :

DR. IBRAHIM M. SHALABY

قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم »

It means : Read : In the name of thy Lord who createth, Createth man from a clot.

Read : And thy Lord is the Most Boundteous, Who teacheth by the pen, Teacheth man that which he knew not.

Culture, personality and Society

In the fields of anthropology, sociology, and psychology, the terms culture and personality have been given numerous and frequently varying definitions. Whatever the definition, most students of human behavior agree that there are profound and complex relationships between culture, society, and personality.

"It is now becoming apparent that the integration between the individual, society, and culture is so close and their interaction so continuous that the investigator who tries to work with any one of them without reference to the other two soon comes to a dead end"(1)

In spite of the complex relationships between culture, personality, and society, social scientists are inclined to differentiate between them analytically for the sake of study. For example. Ely Chinoy notes that "human society cannot exist without culture, and culture exists only within society."(2)

Ralph Linton in his book, The Tree of Culture,(3) differentiates between society, culture and the individual. He refers to society as an organized group of people, and to culture as integrated learned behavior.

This learned behavior refers to

---

(1) Ralph Linton, The Culture Background of Personality, Appleton-Century-Crofts, Inc., New York, 1945, p. 5.

(2) Ely Chinoy, Society, Random House, New York, 1961, p. 20.

(3) Ralph Linton, The Tree of Culture, Alfred A. Knopf Publishers, New York, 1959, pp. 29 35.

energies of the Arabs Poetry, Oratory and judicial astrology formed the favourite objects of pursuit among the pre-Islamic Arab world. The prophet cultivated among them a holy spirit of knowledge and learning. He would often say the ink of the scholar was more holy than the blood of the martyr. And he repeatedly impressed on his disciples the necessity of seeking for knowledge, and he taught them that he who leaves his home in search of knowledge, walks in the path of God, and he who travels in search of knowledge to him God shows the way to paradise. Even within his life time was formed the nucleus of an eductional institution with all branches of knowledge. This nucleus in after years grew into great universities and educational centres at Bagdad, Cairo and Cordova. In Spite of the upheaval during the periods of early Caliphs, science and literature were by no means neglected in the metropolises of Muslim world. It is reported that Imam Ali, and his cousin Ibn Abass gave public lectures on mathamatics, history, poetry and grammar; whilst other companions of the Prophet taught the arts of recitation and elocution etc. Some of them gave lessons even in caligraphy, which was an invaluable branch of knowledge in those times.

Naturally such sentiments on the part of the Prophet and the disciples gave rise to a desire for learning. The practice of religion, the conservation of a devotional spirit, and the special cultivation of those branches of learning which were of practical value in the battle of every day life, were the primary objects of the Muslim's attention. With the precepts of the prophet to light their path, they kept in view the development of humanity and devoted themselves to the cultivation of sceince and learning in all its branches. From 'Medina' a stream of unusual intellectual activity flowed to distant places.

It was towards the close of the Omeyyade Rule that several Muslim thinkers came into prominence whose lectures on many subjects then upper most in the minds of people attracted great attention. Their ideas and conceptions moulded the thoughts of succeeding generations. It was in the second century, however, that the literary and scientific activity of the Muslims commenced in earnest, and the chief impulse to this was given by the settlement of the Arabs in towns. The Arabs had carried with them into distant regions unexampled intellectual activities.

Under the Abbaside period we find the Muslims the repositaries of the knowledge of the world. Every

(Continued on page 13)

The Role of Islam in Spread of Knowledge

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The first of the Qur'an to be revealed - verses 1—5 of the Sûrah 'Al-Alaq'-itself bore testimony to the supreme value of knowledge and learning. Commenting on the meanings of these verses, Imam Zamakhshari explains : 'God taught human beings that which they did not know, and this testifies to the greatness of His beneficence, for He has given to His servants knowledge of that which they did not know. He has brought them out of the darkness of ignorance to light of knowledge, and made them aware of the inestimable blessings of the knowledge of writing for great benefits accrue therefrom which God alone compassionated ; and without the knowledge of writing no other knowledge (علوم) could be comprehended nor the sciences placed within bounds, nor the history of the ancients be acquired and their sayings be recorded, nor the revealed books be written ; and if that knowledge did not exist, the affairs of the life could not be regulated'.

Prophet Muhammad (peace be on him) preached of the value of knowledge. His devotion to knowledge and science distinguishes him from all other prophets and reformers of the world. He preached : Acquire knowledge, because he who acquires it in the way of the Lord, performs an act of piety ; who speaks of it, praises the Lord ; who seeks it, adores God; who dispenses instruction in it, bestows alms; and who imparts it to its fitting objects, performs an art of devotion to God. knowledge enables its possesor to distinguish what is forbidden from what is not ; it lights the way to heaven ; it is our friend in the desert, our society in solitude, our companion when bereft of friend ; it guides us to happiness; it sustains us in misery ; it is ornament in the company of friends ; it serves as an armour against our enemies. With Knowledge, the servant of God rises to the heights of goodness and to a noble position, associates with sovereigns in this world and attains to the perfection of happiness in the next world[1].

The teachings of Islam gave a new impulse to the awakened

(1) Quoted from Muaz Ibn Jabal in the Kashf uz zunûn, and in the Mustatrif.

Correction and Apology

In my article published in the June 1968 issue, of Al-Azhar Magazine, under the title "The Birthday of the Prophet" there occured some obvious mistakes. The readers may please note the following corrections :

Page 9 paragraph 1 line 2 read :

" The Holy Prophet to whom the Quran was revealed ".

for " the Holy Prophet who revealed ".

Line 3 read :

" Was illiterate, he could neither read nor write "

for " Was illiterate, scarcely able to read or write ".

Line 4 read :

" He received " for " He revealed ".

Line 5 read :

" Which is not a poem ".

for " Which is a poem ".

The above mentioned paragraph should be corrected as follows :

"It is a crowning proof that the Holy Prophet, to whom the Quran was revealed, was illiterate, he could neither read nor write. He received a Book which is not a poem, a code of law, a Book of Common Prayer, and is reverenced as a Miracle of purity of style, of wisdom and of truth. It is a Heavenly Book that cannot be imitated. Any human being of powers of eloquence and poetry cannot compose even a single chapter or sûra like that of the Quran."

M. Abdel Moneim Younis
Dircetor of the Cultural Centre for Diplomats,
Ministry of Culture, U. A. R.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

Jumâdal-Akhira 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	September 1968

HOMAGE TO OUR LATE CHIEF EDITOR

AHMED HASSAN AL-ZAYAT

With profound feelings of sorrow, we inform our readers, the sad demise of our Chief Editor and well-known Arabic writer, Ahmed Hassan Al-Zayat, who passed away on June 12, 1968. He was born at "Domyra" village in the "Diqahlia" Province of Egypt, at the last quarter of the 19th Century. After compliting his primary education at the famous city of 'Tanta' he came to Cairo and joined Al-Azhar. The Late Ahmed Hassan Al-Zayat graduated as 'Licentiate at law' from France. He worked several years as a lecturer in the Teacher's Higher Institute in Bagdad.

In 1933 he started his popular journal 'Al-Resala' which had a dedicated role in the service of Islamic knowledge and Arabic literature. He continued to work as the founder Editor of it, in modesty, for 20 years. After a pause of a few years the Ministry of Culture, U.A.R., resumed the publication of 'Al-Resala' under the Editorship of Zayat. He was also appointed as the Chief Editor of Al-Azhar Magazine.

His mission was to uplift the Arabic language and its literature. His well-prepared and well-styled articles had inspiring impact on readers. Besides all these noted works he was the author of many books in Arabic, some of which are prescribed as text books at many universtíes. He was the working member of Academy of Arabic Language, and the Supreme Council for Arts. He received, in 1963, the state award of Gold Medal for literature.

الفهرس

English Section

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء الخامس ـ السنة الأربعون ـ رجب سنة ١٣٨٨ هـ ـ اكتوبر سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المسجد الأقصى .. أيها المسلمون !!

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ ـ كان « الإسراء » بمحمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في القدس ، وكان في هذا الحادث إشارة ـ أو بشارة ـ بأن نور الإسلام الذى اختنق بين شعاب مكة وهضابها سينبثق في جوانب الدنيا ، ويشرق فوق هذا المسجد وما حوله من ربوع العالم ، وكأنما أراد الله بذلك أن يشعر النبي صلى الله عليه وسلم بما يسليه ويعزيه عما كان يعانيه ويقاسيه ، فقد احتمل من أذى قومه ومن أذى القوى التي كانت تتربص به وتتألب عليه من غير قومه ماتنوء بحمله الجبال ، ثم عظم الخطب والكرب بموت زوجه وموت عمه في هذا العام القاسي الحزين ، فكان « الإسراء به » من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، تسرية لهمه . وتفريجا لغمه ، وتجلية لما ينتظره وينتظر دعوته من مستقبل مشرق ومصير وضيء .

وقد عاد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذه الرحلة في تلك الليلة . وقلبه ممتلىء إيمانا بما رأى من آيات ربه ، واطمئنانا إلى مصير دينه ، وثقة بأن النور الذى بعثه الله به ليخرج الناس من الظلمات إليه سيزحف في كل اتجاه ، ويشرق من كل أفق ، ويتألق فوق كل أرض ، ومن ثم لم يستجب لرجاء « أم هانىء » وهى

تتعلق به وتمسك بثوبه وتتضرع إليه أن يكتم هذه الرحلة عن قومه، وتقول له: إنهم يكذبونك وينكرون مقالتك. وأخاف أن يسطوا بك، بل مضى — عليه الصلاة والسلام — إلى المسجد، غيرعابىء بما سيلقاه، ولا آبه لما سيقال عنه .. وكان هناك ما كان من استهزاء المشركين به، وارتداد بعض المسلمين عنه، فلم يساوره أى شعور بالضعف أو الخوف، لأنه كان موقنا بما رأى، مؤمنا بأنه كما يقول الله فيه: « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ».

٢ — ثم أذن الله لدينه ولرسوله وللمؤمنين أن ينتقلوا إلى أرض أخصب. وجو أطيب. وأفق أرحب، فكانت الهجرة إلى يثرب، ثم كان موقف النبى صلى الله عليه وسلم وهو يشترك مع أصحابه فى حفر الخنـــدق، فقد عرضت لهم صخرة صلبة لاتأخذ فيها معاولهم، فشكوا ذلك إليه، فأخذ عليه الصلاة والسلام المعول من سلمان، ثم قال: بسم الله وضرب الصخرة فقطع منها ثلثها ولمع من خلالها برق رأى فى ضوئه بلاد الشام فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام. والله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة. ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر، ولمع من خلالها برق رأى فى ضوئه بلاد فارس فقال: الله أكبر. أعطيت مفاتيح فارس والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الصخرة ولمع من خلالها برق فقال: الله أكبر. أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة.

٣ — وتحقق فى عهده ومن بعده ما رآه صلى الله عليه وسلم ببصره أو بصيرته، فخفقت راية الإسلام فوق ربوع فارس واليمن والشام، ودخل المسلمون بيت المقدس ليحرروا أرضه من احتلال الروم ويطهروا جوه من دنس اليهود. فقد كان هؤلاء على قلتهم مكروهين من الشعب، ولهذا نص فى وثيقة الصلح التى فتحت بها المدينة على ألا يسكن بها أحد منهم وكان ذلك استجابة لرغبة السكان الذين ضاقوا بهم، وبالحياة معهم.

ويذكر التاريخ أن عمر رضى الله عنه بعد أن أتم عقد الصلح شخص إلى بيت المقدس، وسار حتى دخل كنيسة القيامة، ولما حان وقت الصلاة قال للبطرق: أريد الصلاة. فقال: صل موضعك، فأبى عمر رضى الله عنه أن يصلى داخل الكنيسة، وخرج فصلى على درجة من درجات سلم بابها، ولما انتهى من الصلاة التفت إلى البطرق وقال: لو صليت داخلها أخذها المسلمون من بعدى وقالوا: هنا صلى عمر: ثم كتب بألا تؤدى الصلاة جماعة على الدرجة التى صلى فوقها، وألا يؤذن

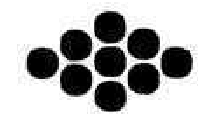
عليها. وقال بعد ذلك للبطرق: أرنى موضعا أبنى فيه مسجداً. فأشار إلى الصخرة فى ساحة المسجد، وكانت غارقة فى الأتربة والأقذار وكان المسجد خرابا يبابا. فأزال عمر التراب عن الصخرة واشترك معه المسلمون فى إزالتها، ثم بنى مسجده الذى عرف باسمه، وبنى بعد ذلك مسجد الصخرة وعدة مساجد وزوايا فى رحاب هذا الحرم الذى أسرى إليه النبى صلى الله عليه وسلم وبارك الله فيما حوله.

٤ — وبقى المسجد الأقصى وبقيت كنيسة القيامة وبقيت كل المساجد والمعابد فى هذه الأرض المقدسة تؤدى وظائفها فى رعاية الإسلام حتى امتحن المسلمون بالحرب الصليبية. ووقع المسجد الأقصى فى قبضة الصليبيين، فغرق فى لجج من دماء المدافعين عنه، وعامت حوله اشلاء الضحايا من العرب والمسلمين، وامتزجت بتراب الأرض المقدسة مهجهم وأكبادهم. فكانت هذه الضحايا وهذه الدماء ناراً مقدسة تثير فى نفوس العرب والمسلمين الشعور بالواجب الإسلامى والقومى لتحرير أرضهم وعرضهم حتى تم لهم ذلك مع صلاح الدين الايوبى.

٥ — واليوم. وقد وقع المسجد الأقصى فى قبضة اليهود، ولعبت الصهيونية دورها القذر فى الفتك بالأرواح وانتهاك الحرمات وامتهان المقدسات يجد العرب والمسلمون أنفسهم أمام أخطر مؤامرة تدبر للفتك بهم والقضاء عليهم فيجب أن يرتفعوا بإيمانهم إلى مستوى المسئولية، وأن يندفعوا بكل ما يملكون من طاقة وجهد لتلبية نداء الواجب الدينى والقومى نحو هذه الأرض فإن دماء آبائهم وأرواح شهدائهم تهيب بكل مسلم أن ينهض لحماية الإسلام وبكل عربى أن يثأر لشرف العروبة.

المسجد الأقصى أيها المسلمون... معدن الأنبياء. ومعقد الإسراء. وأولى القبلتين وثالث المساجد التى تشد إليها الرحال..

عبد الرحيم فودة



تحقيقات فى الإسراء والمعراج

للأستاذ مصطفى الطير

مقدمة :

شرف الله محمدا صلى الله عليه وسلم تشريفا لم ينله أحد من المرسلين ، ورفعه درجات لم يعطها أحدا من العالمين ، فقد أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به إلى ما فوق السموات ، حيث كلمه سبحانه وناجاه دون سفير بينهما ، وغمره بأنواره الإلهية ، وأراه من آياته الكبرى ، ثم أعاده بعد هذا التكريم والإجلال إلى مكة فى الليلة التى حدثت فيها تلك العظائم .

وقد كان صلى الله عليه وسلم أثناء الإسراء والمعراج مصحوبا ببعثة ملكية مؤلفة من جبريل وميكائيل تشريفا لمقامه ، وحفظا له من المؤثرات الكونية .

وقد بدأت هذه الرحلة المباركة بعد أن شق الملكان صدره الشريف ، وأعداه لها إعداداً يعطيه المناعة ضد ما ينافى طبيعة الإنسان أثناءها .

ولا ريب فى أن تكريم الله لرسولنا العظيم بهذه الرحلة المشرفة فيه تكريم لأمته ، فمن أجل ذلك اتخذ المسلمون ميقاتها عيداً لهم ، يشكرون فيه ربهم على تكريمه تعالى لمحمد وأمته ويمجدون فيه ذكراها ، ويذكرون فيه محامد الرسول الشريفة ، فأنعم به من عيد كريم .

كيف كان الإسراء والمعراج :

معظم العلماء على أنهما فى اليقظة .. فلو كانا مناما كما جنح إليه بعض العلماء لما عجبت قريش ولما كذبوه ، إذ لا غرابة فى أن يرى النائم أنه اخترق الآفاق وارتفع إلى السبع الطباق ، ولقد أجمعت الأمة على أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء والمعراج ، وذلك يدل أبلغ الدلالة على أنهما كانا فى اليقظة لأن التكاليف لا تكون مناما .

ومعظم العلماء على أنهما بالروح والجسد ، فإن قوله تعالى : « أسرى بعبده » يدل على ذلك . إذ العبد لا يقال إلا على الروح والجسد وكذلك قوله « صاحبكم » فى قوله تعالى : « ماضل صاحبكم وما غوى » فإن الصاحب لا يطلق إلا على من يصحب بالروح والجسد وقد عاد الضمير عليه فى موضوع المعراج فى قوله تعالى بعد ذلك : « ولقد رآه نزلة

أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى» أى ولقد رأى صاحبكم شديد القوى عند سدرة المنتهى الخ .

فإن قيل إن للكون ضوابط وقوانين لا تسمح برحلة بشر عبر السموات ، فكيف يتيسر للنبي صلى الله عليه وسلم الإسراء والمعراج بجسده وروحه ، مع أن الإنسان يتعرض فى رحلة كهذه للصواعق والأشعة الكونية وانعدام الضغط الجوى وغيرها من أسباب الموت المحقق .

والجواب مأخوذ من واقع قصة الإسراء والمعراج التى رواها الثقات . فقبل أن يركب النبي صلى الله عليه وسلم البراق ويبدأ الرحلة جبريل شق صدره وقلبه، وغسل قلبه ومنحه من أسباب الحماية الإلهية ما يجعله مستطيعا أن يتحمل هذه الرحلة الكونية وأن يتغلب على كل العوامل الضارة ، وأن يصعد ويهبط بسرعة فائقة بدون ضرر كما تصنع الملائكة ، إذ لا معنى لهذه العملية التى أجراها جبريل بمساعدة ميكائيل إلا ما قلناه ، ولهذا بدأت الرحلة عقب انتهائها ، كما أن وجود جبريل وميكائيل معه صلى الله عليه وسلم يساعد على تمام الحفظ والصيانة ونجاح الرحلة دون ضرر .

وإذا كان الإنسان فى عصرنا الذى نعيش فيه استطاع أن يصنع جهازاً يدور حول الأرض فى منطقة انعدام الوزن ، ويجر خلفه رجلا داخل غلاف يقيه العوامل الضارة . أفلا يستطيع ربه الذى ألهمه هذا الاختراع أن يصنع لنبيه خيرا منه وأعظم نفعا وأبلغ وقاية .

على أن الخوارق الثابتة للأنبياء والصلحاء كثيرة ، فآدم خلق بغير أبوين ، وعيسى خلق بغير أب ، والنار التى من شأنها الإحراق جعلت على إبراهيم بردا وسلاما ، وعرش بلقيس نقله الذى عنده علم الكتاب من اليمن إلى الشام فى أقل من رجع البصر ، ومريم العذراء كانت تأتيها الفاكهة فى غير أوانها ، وكلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال يا مريم أنى لك هذا . قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، وكانت تهز النخلة التى لا تمر عليها فتساقط عليها رطبا جنيا ، وموسى ضرب البحر بعصاه فشق فيه اثنى عشر طريقا عبرفيها بنو إسرائيل من مصر إلى سيناء ، ثم ضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا فى سيناء وتسمى الآن عيون موسى ، ولا يزال بعضها موجودا ، وقد انشق القمر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ففى الصحيحين من حديث أنس « أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر شقين

حتى رأوا حراء بينهما ، إلى غير ذلك من خوارق العادات .

(آراء أخرى)

يرى بعض العلماء أن الإسراء والمعراج كانا يقظة بالروح دون الجسد ، وشاركهم فى ذلك الصوفية والحكماء . غير أنهم يقولون إن ذلك كان بانسلاخ الروح عن الجسد مع اتصالها به بقدر يصحح الحياة ، ولا مانع من إطلاق العبد على الروح ، فإن الجسد لا قيمة له بدون الروح ، وهذا مع كونه أمراً خارقا للعادة ومحلا للتعجب غير أنه لم يذهب إليه أحد من السلف .

(لماذا لم يحدثا أمام قريش)

قد يقال إن الإسراء والمعراج آية عظيمة فلو ظهرت أمام قريش لبعثتهم على التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما أنهم طلبوا منه هذه الآية بقولهم « أو ترقى فى فى السماء » والجواب أن الإسراء والمعراج حصلا بعد ما ظهر على يد النبى صلى الله عليه وسلم من المعجزات ما فيه الكفاية لمن يريد الإيمان ، وأقواها القرآن الكريم الذى أعجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله فى حين أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب ، فالمزيد من طلب الآيات لا يقصد به سوى الإعنات لا الإيمان عند حصول المطلوب ، فقد طلبوا منه أن يريهم القمر منشقا نصفين ففعل ولكنهم لم يؤمنوا ، روى أبو داود وغيره عن ابن مسعود قال : « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كفار قريش : هذا سحر ابن أبى كبشة . قال : فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، قال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك » ومع هذا فقد استمروا كفارا بعد ظهور هـــذه الآية العظيمة ، ولم يؤمنوا إلا عام الفتح .

ومع أن المقصد الأساسى للإسراء والمعراج هو أن يرى محمد آيات ربه الكبرى ليستعد روحيا بذلك للمرحلة الثانية من الدعوة وهى مرحلة الهجرة ، فقد صاحبتها آيات ظهر أمرها لقريش من شأنها أن تبعثهم على الإيمان به لو أرادوا الحق ، لكن عنادهم صرفهم عن الحق وأسكر بصائرهم فهم يعمهون .

ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم بناديهم فحدثهم أن الله أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وكتم عنهم رحلة المعراج ، فاضطرب المجلس وأعظموا الأمر وأنكروه منه ، ثم رأوا أن يسألوه عن أوصافه زيادة فى إحراجه ، لأنه لم تسبق له رؤيته قبل هذه الليلة ، ولم تعطه غرابة الرحلة وعجائبها الفرصة ليتعرف تفاصيل بيت المقدس ، فشرع ينعته حتى التبس عليه باقى

النعت فكرب لذلك كربا شديدا ، فجلاه الله له ، فجعل ينظر إليه ويصفه ، فقال القوم واللات والعزى لقد أصاب فى نعته ، وكان العقل السليم يوجب الإيمان بعد ظهور هذه الآية ، ولكنهم لم يؤمنوا بل قالوا أخبرنا عن عيرنا التى بالشام فأخبرهم بخبرها ، وذكر لهم أنها سوف تصل عند شروق الشمس يوم الأربعاء المقبل يقدمها جمـــل أورق عليه غرارتان سوداوان ، فاشتدوا فى ذلك اليوم لقائها ، فقال قائل : هذه الشمس قد أشرقت ، وقال آخر : وهذه العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق عليه غرارتان سوداوان ، ولا شك أن هذه الآية ناطقة بصدقه . مقتضية للإيمان ممن استقام ذوقه وصحا ضميره ، لكنهم ظلوا سائرين فى الجهالة ، موغلين فى التكذيب .

(هل رأى النبى ربه)

أثبتت أحاديث الإسراء والمعراج مكالمة الله تعالى لنبيه بلا وسيط ، وفى جملة هذا الكلام الشريف أنه سبحانه فرض علينا خمس صلوات لها ثواب خمسين صلاة ، وليس فى هذه الروايات نص على أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه كما أن قوله تعالى « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » ليس نصا قاطعا فى هذه الرؤية لاحتمال عود الضمير المنصوب فى رآه إلى شديد القوى وهو جبريل عليه السلام ، وهو ما رآه كثير من المفسرين ، ولهذا كان موضوع رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء والمعراج موضعا للخلاف بين المفسرين وعلماء التوحيد ، فنهم من أثبتها مستدلا بحديث البخارى من رواية شريك بن عبد الله (ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده فيما أوحى خمسين صلاة) الحديث فإنه ظاهر فى إثبات هذه الرؤية ، وممن يقول بذلك عبدالله بن عباس ومنهم من نفاها ومن هؤلاء السيدة عائشة ، فقد قالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) ولما قال لها مسروق : يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى . ألم يقل الله « ولقد رآه بالأفق المبين » « ولقد رآه نزلة أخرى » ، قالت ما معناه إنها أول من سأل الرسول عن ذلك وإنه أجابها بأن هذه الرؤية لجبريل على صورته التى خلق عليها .

ويستدل من نفوها بما رواه مسلم عن أبى ذر قال : (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك . قال : نور أنى أراه ، ومن طريق هشام وهمام كلاهما عن قتادة عن عبدالله قال : « قلت لأبى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته ، فقال عن أى شىء وكنت تسأله قال : كنت أسأله هل رأيت

ربك فقال : أبو ذر قد سألته فقال : رأيت نورا » .

ومن أثبتوا الرؤية اختلفوا فنهم من قال رآه بعينه وهو مروى عن ابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وغيرهم ، ومنهم من قال رآه بقلبه استنادا إلى حديث أبي ذر برواية النسائي عنه قال «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه ولم يره ببصره » إلى غير ذلك من الأحاديث وبما أن الرؤية القلبية صريحة في أحاديثها فلذا تكون ثابتة بالنص ، فلهذا تعتبر أمرا متفقا عليه حتى ممن نفوا رؤية الله تعالى لأنها لا تتعارض مع نص أو دليل عقلي أما رؤيته بالعين فليس فيها نص صريح إلا في رؤية نوره تعالى دون ذاته ، ومن أجل ذلك تكون رؤية الرسول لذات الله تعالى هي التي ينبغي أن يجرى فيها الخلاف ، وهي مسألة لا خطورة في الخلاف فيها من ناحية العقيدة .

(فضل الصلاة)

فرض الله جميع التكاليف وحيا ينزل به الروح الأمين على الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ما عدا الصلاة ، فقد فرضها سبحانه مكالمة مع حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم دون وسيط حين شرفه بالعروج إلى الملأ الأعلى وأعظم قدره بالمناجاة ، وذلك دليل على عظيم فضل هذه العبادة وجليل منزلتها عند الله تعالى ، وقد تفضل سبحانه فجعلها خمس صلوات في اليوم والليلة ليكون أداؤها أيسر على عباده ، وحتى لا يتعارض أداؤها مع القيام بشئون المعاش إذا كانت أكثر من ذلك ، وقد تفضل فأعطى فاعلها أجر خمسين صلاة إذا أخلص في أدائها ، وكيف لا تحظى بهذه المنزلة الرفيعة ومن شأنها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ومن بركات ليلة المعراج أن الله منحنا فيها صك الكرم والرحمة والغفران حين أخبر رسوله بأن من هم بحسنة فلم يعملها ، كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة .

(النيل والفرات في المعراج)

جاء في بعض روايات البخاري لحديث الإسراء والمعراج ما يأتي من رواية مالك ابن صعصعة « وإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقلت ما هذا ياجبريل ، قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران : فالنيل والفرات » وقد ذكر الشراح أن هذه الأنهار تخرج من أصل سدرة المنتهى وذلك يوهم أن نهر النيل الذي يروى مصر ونهر الفرات الذي يروى العراق وسوريا ينبعان من سدرة المنتهى ، مع أن منابعهما في الأرض حيث تهطل الأمطار ، في تلك المنابع فتتبخر وتجرى مياهها في مجرى

النيل الأفريقى ومجرى الفرات الآسيوى ، وبما أن هذه الرواية جاءت فى صحيح البخارى فلهذا يجب أن يحمل النيل والفرات فيها على أنهما نهران آخران يسميان بهذا الاسم ويجريان هناك صادرين عن سدرة المنتهى ولا علاقة لهما بالنيل والفرات الأرضيين ، أو أن الله مثل له هذين النهرين تذكيرا بنعمة الله فيهما كما مثل له أمورا مختلفة للتذكير والعبرة ، فقد ورد فى حديث المعراج أن الرسول مر على قوم كلما حصدوا زرعهم عاد كما كان ، وأن جبريل قال له : هذا مثل المجاهــدين فى سبيل الله تضاعف حسناتهم إلى سبعمائة ضعف - إلى غيرذلك من الأمثال المختلفة التى رآها الرسول وسجلت فى أحاديث الإسراء .

(ليلة الإسراء وليلة القدر)

يرى المحققون أن ليلة الإسراء فى حقه صلى الله عليه وسلم أفضل الليالى ، لما ناله فيها من الشرف والفضل والتكريم ، أما من جهة الثواب على العبادة للرسول ولأمته فإن ليلة القدر أفضل : فإنها خير من ألف شهر ومن قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا جاء العشر الأخير من رمضان شد مئزره وقام ليله وأيقظ أهله لرجاء ليلة القدر فيها ، ولم يؤثر أنه فعل ذلك ليلة الإسراء والمعراج والله أعلم ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

قال تعالى :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

عام الحزن في حياة الرسول

للدكتور علي العماري

تسع سنوات صعاب قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة منذ بعث كانت كلها مثقلة بالآلام والمتاعب، وقد لقى فيها من عناد قومه وإصرارهم على محاربة الدين الذى جاء به، ومن صلفهم وكبريائهم، وإيذائهم له ولأصحابه ما تعيا بحمله الجبال الرواسى.

كان الرسول شديد الحرص على أن يؤمن هؤلاء السادة من العرب، وعلى أن يتقبل الدعوة الجديدة أقرب الناس إليه من عمومته وبنى أعمامه، وقد أهمه ذلك الأمر هما شديداً وصفه القرآن الكريم أبلغ وصف حيث يقول: «لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين».

وهاجر أصحابه من مكة أحب بلاد الله إليهم طلباً للأمان فى بلاد بعيدة فشق ذلك عليه، ولكنه ظل ينتظر وعد الله له بالنصرة والظفر.

وأجمعت قريش كلمتها على أن يقاطعوا بنى هاشم وبنى المطلب، لحصروهم فى شعب ثلاث سنين لا يكلمونهم، ولا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم شيئا، فصبر النبي وصابر، واليقين يملأ قلبه بأن الله سيجعل له ولعشيرته من هذا الأمر مخرجا، وسيجعل بعد عسر يسرا، وقد جاءهم اليسر، ونقض بعض سادة قريش صحيفة المقاطعة.

كل ذلك احتمله الرسول صلى الله عليه وسلم وإن ضاقت نفسه بكثير منه.

فلما كانت السنة العاشرة من مبعثه فاجأته حادثتان ضاق بهما أشد الضيق، وحزن من أجلهما أوجع الحزن وأبلغه.

فى شوال من السنة العاشرة مات كافله وراعيه، والذائد عنه عمه أبو طالب، وبعده بقليل ماتت سيدة النساء زوجه خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ فأقل الخروج من بيته، وسمى هذا العام (عام الحزن).

كان أبو طالب النصير الأكبر للنبي بعد موت جده عبد المطلب، وقد كانت كفالة أبى طالب له صلى الله عليه وسلم من أجل النعم التى امتن بها الله عليه، جاء ذلك فى قوله تعالى: «ألم يجدك يتيما فآوى» وإيواؤه أنه حين مات أبوه وهو صغير، ولم يترك مالا ولا مأوى هيأ الله له قلباً رحيما هو قلب جده عبد المطلب، فلما مات هذا ضمه الله إلى عمه أبى طالب فكفله، وأحسن تربيته، وكفاه المؤونة.

وكان أبو طالب - مع تمسكه بدين عبد المطلب - حفياً بالرسول ، وبدعوته ، يدفع عنه أذى قريش ، ويغمره بالعطف والحب ، ويخصه دون أبنائه - أحياناً - بالمودة والبر ، وكانت قريش تعرف لأبى طالب مكانته ، وتوقره وتجله ، وتهاب أن تنال من النبي خشية من غضبه لابن أخيه .

ولم يقف أبو طالب عند حد المدافعة عن محمد صلى الله عليه وسلم ، بل كان يدفع أيضاً عمن أسلم من ضعفاء قومه ، ولما أوسلت قريش إلى (النجاشى) تطلب إليه أن يرفع حمايته عمن هاجر إلى الحبشة من المسلمين ، ولم يستجب النجاشى إلى طلب قريش كتب إليه أبو طالب يشكره ، ويمدحه ، ويحضه على العدل والإحسان إلى من نزل عنده من قومه .

بل وصل بر أبى طالب بمحمد ودعوته إلى أن دعا بنى عبد المطلب ، وحثهم على التمسك بتعاليم الرسول ، وقال لهم : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد ، وما اتبعتم أمره ، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا .

فلما مات أبو طالب اجترأت قريش على الرسول ، ونالت منه ما لم تكن تناله ، أو تقدر عليه ، وقد روى أن سفيها من سفهاء قريش ألقى على الرسول التراب بعد موت أبى طالب ، فرجع الرسول إلى بيته فأتت إحدى بناته ومسحت عن وجهه التراب ، فجعل الرسول يقول لها : (أى بنية لا تبكين فإن الله مانع أباك) ويقول فيما بين ذلك : (ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ، ثم شرعوا) .

أما خديجة فقد كانت بمالها وجاهها الردء المكين للرسول منذ تزوجها قبل أن يبعث بخمسة عشر عاما ، فلما جاءه الوحى وجد منها العضد القوى ، والنصير المخلص الأمين ، والمواسى فى أحلك المواقف .

روى الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء . قالت : فغرت يوما فقلت : ما أكثر ما تذكرها ، حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها . فقال : (ما أبدلنى الله خيراً منها ، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) .

قال العلماء : والقدر المشترك بين الثلاث النسوة أن كلا منهن كفلت نبياً مرسلا ، وأحسنت صحبته فى كفالتها ، وصدقته .

فآسية ربت موسى، وأحسنت إليه وصدقته حين بعث، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل، وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، وبذلت فى ذلك أموالها، وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل [1].

لا غرو أن يحزن الرسول أشد الحزن على ناصريه المدافعين عنه، ويلزم بيته، ويقل الخروج منه، ويسمى العام الذى توفيا فيه عام الحزن.

والحزن على وفاة عزيز، بل والبكاء على فراقه لا يتعارض مع الإيمان، بل والإيمان الراسخ الوثيق.

والرسول بشر قبل كل شئ، فلابد أن يطوف بنفسه ما يطوف بنفوس البشر مما لا يتعارض مع الإيمان، وربما كان حزنه صلى الله عليه وسلم من قبيل الوفاء، وهو خليق بأن يفى أكمل الوفاء وأجمله لمن أحسنوا صحبته، وأيدوا دعوته.

وربما كان مظهراً لرقة قلبه، ونبيل عواطفه وقد كان صلى الله عليه وسلم أرق الناس قلباً روى أنه لما مر (بالأبواء) فى عمرة الحديبية وكانت أمه مدفونة هناك، قال: (إن الله أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه) فأتاه فأصلحه، وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكائه، فقيل له فى ذلك. فقال: (أدركتنى رحمتها فبكيت).

ولم يشك رسول الله لحظة واحدة فى أن الله ناصره ومانعه، ودافع عنه. ولكنه - صلى الله عليه وسلم كان يدرك تمام الإدراك أن الأمور مرهونة بأسبابها، وأنه فقد بوفاة أبى طالب وخديجة ركنين من أقوى الأركان التى يستند إليها وهو يمضى فى تبليغ دعوته.

وقد التمس الرسول بعد فقد هذين النصيرين النصرة. ولكنه لم يجد بعدهما من البشر نصيرا. لما بلغ أبا لهب ما يعانيه الرسول جاءه، وقال له: يا محمد. امض لما أردت، وما كنت صانعا إذ كان أبو طالب حيا فاصنعه، لا، واللات لا يوصل إليك حتى أموت، وأثنت قريش فى أول الأمر على صنيع أبى لهب، وهاجوه، ولكن جماعة من شياطينهم احتالوا على أبى لهب، حتى أوغروا صدره على الرسول، فمنع عنه حمايته، وقال له: والله لا برحت لك عدوا أبدا، واشتد عليه هو وسائر قريش.

وكان طبيعيا بعد ذلك - وقد ضاقت به مكة - أن يلتمس النصرة فى غيرها، فكانت رحلته صلى الله عليه وسلم إلى (الطائف) آملا أن يجد فى أهله من يعينه على المضى فى دعوته، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، ولكن

---

(١) ابن كثير. البداية والنهاية جـ٣ صـ١٢٩ طبعة السعادة.

الله لم يشرح قلب أحد منهم للإسلام ، وخافوا على أبنائهم أن يستجيبوا للرسول فطلبوا إليه أن يخرج من بلدهم ، وأغروا به ، سفاءهم ، فلقى منهم الرسول أذى شديدا ، فرجع إلى مكة وهو محزون .

وهو فى مقامه بالطائف ، وبعد أن يئس من استجابة القوم له دعا بدعائه المشهور : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين: أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو تحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وأشد ما يطالعنا بهذا الدعاء هو الحالة النفسية التى كان يعانى منها الرسول فى تلك اللحظات ، فليس أقسى على النفس الكريمة من أن تشعر (بهوانها على الناس) وأنها من (المستضعفين

ولكن الثقة فى الله غالبة ، فليس ما يحزنها أشد الحزن هو انها ولا استضعافها ، وإنما هو الخوف أن يكون بالله غضب عليها ، وهو صلى الله عليه وسلم ـ على يقين ـ أن الله غير غاضب عليه ، فهو لا يبالى بما يلقاه من الناس مهما اشتدت قسوتهم ، وبلغ عتوهم وجبروتهم .

وكان ما لقيه رسول الله من ثقيف أشد مما لقيه فيما بعد يوم أحد ، فلا غرو أن يغتم الرسول لذلك ، وقد ضاقت به الطائف كما ضاقت به مكة .

أيام وشهور بالغة السوء والقسوة عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم منذ توفى عمه أبو طالب وزوجته خديجة ، ولكن رحمة الله وعافيته أوسع له ـ كما قال فى دعائه ـ وكأنما أرادت السماء أن تختم هذه الحوازب بتدبير تعود به الدعوة إلى جدتها ، وكأنما أرادت أن تجدد البرهان على صدق هذه الدعوة وأن تشرح صدر الرسول ، وتؤكد له أنها ما تخلت عنه فكانت معجزة الإسراء والمعراج؟

د . على العمارى



موقع الإسراء والمعراج

من رسالة النبي ودعوة الإسلام

للأستاذ انور الجندى

يقع حادث الإسراء والمعراج بين أحداث الدعوة الإسلامية فى موقع فريد ، ويأتى فى طريق الأحداث المتوالية على نحو واضح الدلالة فى إرادة الله باختيار توقيته . فهو طاقة نور وتبشير لنفس النبي الكريم بعد أحداث قاسية مرهقة ، وهو امتحان واختبار للكشف عن معادن المؤمنين ومقدمة لموقف حاسم فى طريق الدعوة هو حادث « الهجرة » . وهو تكريم لفريضة من أجل فرائض الإسلام وهى « الصلاة » فقد شرعت كل الفرائض بالوحى ينزل إلى النبي أما الصلاة فقد استقدم النبي ليتلقى الأمر بها فى موكب له خطر ما للصلاة من مكانة فى دعوة الإسلام .

• • •

كانت السنوات الثلاث السابقة لحادث الإسراء والمعراج من أشق السنوات على المسلمين ، تلك هى سنوات حصار المسلمين فى شعاب مكة ، بعد عقد صحيفة المقاطعة التى فرضت فيها قريش أن لا تبيع ولا تباع ولا تتعامل مع المسلمين فأجبر النبي مع حفنة من المسلمين إلى مقاطعة كاملة من أقسى ما فرض على جماعة قليلة من ذوى النفوذ ، وما كادت تلك السنوات أن تمضى ، ويخف هذا الضغط بنقض الصحيفة ، حتى وقع فى عام واحد حادثان فاجعان كانا بعيدى الأثر فى مجرى الدعوة الإسلامية : هما موت أبى طالب وموت خديجة . ففقد النبي والمسلمون نصيرين من أكبر النصراء .

فقدوا النصير الذى وقف فى وقف سادة قريش بطغيانهم وعدوانهم ، وفقد السيدة التى ناصرت الدعوة وأيدت الرسول وملأت قلبه بالأمن وكانت بلسما لجراحه ، وشفاء لما كان يلم به من حين إلى حين من متاعب الجهاد .

ولقد كان للأمر أثره فى محيط الدعوة ، فقد أغرى سفهاء قريش بالنبي والمسلمين حتى جرؤ أحدهم فألقى التراب على رأس النبي ، فلما دخل النبي إلى بيته ورأته ابنته أخذت تزيله وتبكى فلم يلبث النبي أن قال فى إيمان الواثق : « لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك والله ما نالت منى قريشاً شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

فلما ضاق الرسول بأمر قريش ، خرج إلى الطائف وحده ، يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجد منهم قبولا ، بل وجد نكراً ، فقد أساءوا إليه وأدموا قدميه من أثر الحجارة التى قذفوه بها ، فلجأ إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فجلس إليه .

هنالك اتجه النبى إلى ربه بقلب المؤمن الواثق فى نصر الله ، وقد تجمعت الأحداث وتعقدت الأمور يقول كلماته تلك الرائعة :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ، أو إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وفى نشوة هذا الدعاء ، وفى ظلال الأحداث عاد النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة . قال له رفيقه زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم مكة وقد أخرجوك ، قال يا زيد : إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه .

ومضى رسول الله فى دعوته ، وازدادت قريش إيذاء للنبى والمسلمين ، وأغراها صبره صلى الله عليه وسلم وصموده ، وثباته على المحنة بالاسترسال فى إعناتها وغيها ، واتجه النبى إلى قبائل العرب فى منازلها فأتى كندة ، وأتى كلباً ، وأتى بنى حنيفة وبنى عامر ابن صعصعة ، فلم يستمعوا إليه ، ولم يردوه رداً جميلا ، وطمع بنو عامر فى الأمر فأخذوا يفاوضونه فيما يكون مكانهم إذا هو انتصر ، فلما قال لهم : إن الأمر لله يضعه حيث يشاء ، انصرفوا عنه .

فهذه القبائل كلها ، تقف هذا الموقف وهذه قريش تمعن فى الأذى وتزداد والأمر كله غاية فى الدقة ، ورسول الله يترقب النصرة وتجىء من أى مكان إذن فلا بد من حدث ضخم يملأ نفس النبى بالرضى ويدعم الإيمان ويكشف عن عظمة هذا النبى ومكانته فكان حادث الإسراء والمعراج .

• • •

قالت أم هانى : إن رسول الله نام عندى تلك الليلة فى بيتى فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : يا أم هانى لقد صليت معكم العشاء الآخرة ، كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه . ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين .

فقلت له : يا نبي الله لا تحدث به الناس فيكذبوك ويؤذوك .

قال : والله لأحدثنهموه .

وطار خبر الإسراء والمعراج إلى كل ناد، وتحدث به الناس دهشين ، بين مصدق ومكذب قالوا : إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة ، أيذهب محمد فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ، .

وذهب الناس إلى أبى بكر يسألونه رأيه فى هذا الأمر .

قال أبو بكر : والله لئن كان قال لقد صدق ، إنه ليخبرنى الخبر يأتيه من الله من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه .

وجاء أبو بكر إلى النبي واستمع إليه يصف بيت المقدس ، وكان أبو بكر قد جاءه فلما أتم النبي صفة المسجد قال أبو بكر :

صدقت يا رسول الله :

• • •

كان حادث الإسراء والمعراج مصدراً ومقدمة لأمور كثيرة ، ودلالة على نقطة تحول فى تاريخ الدعوة ، فقد أهدى إلى النبي تكريما بالغ الأهمية فى أمرين لم يسبق إليهما نبى مرسل :

• الصلاة إماما بالأنبياء والرسل فى بيت المقدس .

• العروج إلى السموات العلا ، وتجاوز سدرة المنتهى ، حيث تلق كلمات من ربه ومن بينها فرضية الصلاة .

وقد كانت هزة الحادث بالغة الأثر فى نفوس المسلمين على السواء ، ثبتت الصادقين وبثت عناصر القوة فى نفوسهم وأعدتها لموقف حاسم هو موقف الهجرة وبدء المرحلة الجديدة فى بناء الدعوة الإسلامية ، وهى بناء المجتمع الإسلامى فى يثرب ذلك أنه لم تكد تمضى على حادث الإسراء شهور قليلة حتى بدأ تباشير الاستجابة من مجتمع يثرب .

يقول : ابن شهاب الزهرى أن حادث الإسراء وقع قبل المبعث بخمسة عشر شهرا ، وقال ابن إسحق أنه كان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا . وقيل قبل الهجرة بعام واحد ، يقول المقريزى : وعورض من قال أنه كان قبل الهجرة بسنة بأن خديجة صلت معه بلا خلاف وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، والصلاة إنما فرضت ليلة الإسراء وأجيب بأن صلاة خديجة كانت غير المكتوبة .

• • •

واصل رسول الله بعد حادث الإسراء دعوته وجاء موسم الحج ، فبدأ يلتقى بالقبائل يحدثهم فى أمر الإسلام ، وعمه أبو لهب وراءه يقول للناس : لا تسمعوا إليه ، إنه كذاب إنه ساحر ، إنه كاهن ، إنه شاعر ، فكان

الأنبياء إذا استمعوا إليه صدقوه وشهدوا بأنه على الحق لا يحول بينهم قول أبى لهب حتى استمع إليه من يثرب سويد بن الصامت وإياس بن معاذ ، وهما من أول من لقى النبي فى موسم الحج ، فلما عادوا أخبروا قومهم ، فأقبل فى العام التالى نفر من الخزرج ، فلما استمعوا إلى النبي قالوا : هذا والله هو النبى الذى تواعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه فلما انصرفوا إلى قومهم، وافوا الموسم عام قابل وهم اثنا عشر فبايعهم رسول الله بيعة العقبة الأولى ، وبعث معهم أول سفير فى الإسلام مصعب بن عمير .

• • •

ولقد أثار حادث « الإسراء والمعراج » جدلا كثيراً حول إسراء النبي ومعراجه ، وهل كان بالروح أم بالجسد ، ولا شك أن هذا الأمر ، لم يكن يحدث ما أحدث فى عصر النبي من إنكار المشركين ، لو أنه كان أمر رؤيا منامية ، ولكن أهميته وخطورته وجلاله ، تؤكد أنه كان بالروح والجسد معا وأنه كان من أجل تلقى أخطر فريضة فى فرائض الإسلام وهى « الصلاة » .

وإن تكريم الله سبحانه وتعالى لنبيه فى رحلتين (الأولى) من مكة إلى بيت المقدس هى « الإسراء » و (الثانية) من بيت المقدس إلى السماء هى « المعراج » لتحمل أكثر من دلالة وعبرة ، ولتكشف مع تطور العلم الحديث عن حقائق جديدة ، فما كان عسيراً على الفهم عن طريق العقل فى أمر معراج النبى ، يصبح اليوم مع تقدم العلم مقبولا ويسيرا على الفهم والاعتقاد .

هذا كله بالإضافة إلى الدلالات التى تستخلص من عبرة الإسراء والمعراج ، يفرض أن يكون هذا الحادث قد تم للنبي صلى الله عليه وسلم بالروح والجسد معا ؟

أنور الجندى

معجزة الإسراء

للأستاذ عبد الحميد المسلوت

الأنبياء هم رسل الله إلى عباده بعثهم بالحق والخير . وأرسلهم بالطهر والنور والهداية فى هذه الدنيا المائجة بالشرور الغاصة بالآثام والمفاسد والضلال والزور .

هم النور السماوى الذى يشرق على الأرض فيبدد ظلماتها . ويذهب أحقادها وحماقاتها . ويملؤها برا وعدلا ، وسماحة وأمنـــا ، وإخاء ومحبة .

هم الرحمة السامية المقدسة التى تعصم الإنسانية من الدمار : وتحفظها من التصدع والانهيار . وتقيها من التردى فى السيئات والأوزار ، وصدق الله جل شأنه إذ يقول لرسوله الكريم (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

عباد مكرمون . وجند طائعون طاهرون أرسلهم الله إلى الخلق لإنقاذهم من الضلالة ، وتخليصهم من الجهالة ، وتوجيههم إلى عبادة الواحد القهار : رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان الله عزيزاً حكيما حملوا رسالة السماء وكابدوا فى سبيلها أقسى ضروب الإيذاء والابتلاء ولقوا من الطغاة العتاة أشد ألوان القهر والكيد والعناء . فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين .

ما أظلم هذا الإنسان وما أشد جحوده وعناده وأكثر عتوه وفساده . ما قام نبي يدعو إلى الله على بصيرة ، ولا نهض مصلح يبغى أن يغير الأوضاع ويهذب الطباع ويبدل الناس بالكفر إيمانا وبالسوء إحسانا وبالجور عدلاً وبالفجور طاعة إلا قام دونه دعاة السوء وأرباب الفساد ممن طمس الله على قلوبهم وأعمى بصائرهم وأظلم أبصارهم يناهضون دعوته ، ويحاربون رسالته ، ويتناولون بالإبطال والتفنيد شريعته . ومازال المعركة قائمة منصوبة ، ونار الحرب ملتهبة مشبوبة تبذل فيها أقصى طاقات البشر وأعتى قوى الإنسان حتى تهبط عناية الله ، وتتجلى على عباده ألطافه ورحمته . فإذا الحق ثابت راسخ والباطل زاهق زائل (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) .

والله تعالى يصور لنا ضيق العصاة بالرسل

وكيدهم لهم وإيغالهم فى حربهم والتمرد عليهم بقوله جل شأنه « ولقــد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا . كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون . وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ، ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون) وقوله جل شأنه : « أفكلما جاءكم رسـول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم . ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

تلك حال البشرية مع الأنبياء والمرسلين . وهى حالها مع القادة والمصلحين فى كل زمان ومكان ، لا تزال الطباع الإنسانية تنزع إلى الشر وتجنح إلى العناء . وما يزال فى الدنيا أخيار شرفاء يؤثرون الحق ويعملون له . والنصر دائما فى النهاية للحق وللخير . (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عـــزيز) .

لقد تجلت قدرة الله تعالى فى نصر حبيبه ومصطفاه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، حين كذبه قومه وناصله أهله وعشيرته . وتماروا بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفى ضلال وسعر .

فقد دعاهم إلى ما يحييهم وأرشدهم إلى ما يرفع من أقدارهم ويذكى من إنسانيتهم فوقفوا فى وجهه وآذوه وأتمروا به وأغروا به سفهاءهم وشذاذهم . وفى خلال هذا الصراع الدامى والعواصف الهوجاء من إنكار وحرب . ومدى إمعان فى العتو وإيغال فى الجموح وقعت معجزة الإسراء . وهو انتقال النبى صلوات الله عليه ليلا بقدرة ربه وسلطان خالقه من مكة إلى بيت المقدس ازداد روحه صفاء ونفسه نقاء برؤية الآيات الكبرى من خلق الله ومظاهر قدرته ... وهى مسافة لا يقطعها الراكب فى أقل من أربعين ليلة . وفى ذلك يقول رب العزة (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هـو السميع البصير) .

فكان هذا التكريم من رب العزة فى هذه الفترة الحرجة من فترات الدعوة تأييدا لنبيه وتثبيتا لحبيبه ومصطفاه ولكن المنحرفين مع هذا كذبوا وجحدوا وكابروا وعاندوا (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هـذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) .

هذا رسولنا العظيم يسرى به ربه من مكة إلى بيت المقدس فى رحلة سامية مقدسة يرى فيها من عجائب الخلق وبدائع الصنع ما يرى وأولئك الضالون المعاندون الذين تمردوا

على الحق وتأبوا على الهداية حين يفاجئون بما يلجم أفواههم ويملك ألبابهم يسألون عن عيرهم وإبلهم وما تم فيها وأين هى ومتى تقدم.. «ألا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون».

حين علم هؤلاء الناس بأمر الإسراء وما وقع للرسول صلوات الله عليه ليلا دب فيهم الشك واستحكم لديهم الإنكار فأخذوا يسألون أسئلة فيها عنت ومعاندة بما يدل على سوء النية وخبث المقصد. سألوا عن تجاراتهم التى كانت قادمة من الشام. عن العير وعدتها وأحمالها. وعن صفات بيت المقدس ومحتوياته كل ذلك ليجدوا مطعنا يشهرون به ومظهرا لعجز الرسول عن إجابتهم إلى بعض ما سألوا فيتخذوا من ذلك ذريعة لتكذيبه فيما أخبر به. لكن عناية الله أدركت رسوله وردت عنه كيد الكائدين وعنت المتعنتين. يقول (ص) لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أنظر إليه وأحدثهم عن آياته.

أنكر الضالون الجاحدون الإسراء فى القديم وأنكروه فى الحديث. وسخروا من ذلك وتهكموا واستهزأوا وتجهموا. ومثل هؤلاء المعاندين قد لا تجدى لديهم حيلة ولا ينفع معهم إقناع لأن العناد قد طمس على قلوبهم وحجبهم عن نور اليقين ... وقال بعض المحجوبين ممن لم يتذوق أسرار المعجزة ولم يفهم طبيعة الإعجاز إنه قد حدث إسراء ولكنه بالروح لا بالجسد. وقال آخرون إنه رؤيا فى المنام. كأنما يلذع نفوسهم ويعشى عيونهم أن يسلموا بخوارق العادات ويعترفوا بالمعجزات والكرامات للأنبياء والمرسلين. وفيم كان الاعتراض على الرسول والتكذيب والتفنيد وتشنيع قريش واستهزاء المنافقين؟ أمن أجل رؤيا فى المنام؟ أم من أجل أن الروح قد سبحت إلى مشاهد ومعالم بعيدة عن مقر الجسم والموطن الذى يعيش فيه الإنسان؟

أهذا يدعو إلى العجب والغرابة وإلى أن يقولوا إن محمدا يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد من ليلته. والمسافة لا يقطعها الراكب فى أقل من أربعين ليلة؟

إنه لا مناص من التسليم بأن الإسراء كان فى حال اليقظة وأنه حدث بالروح والجسم معا.

قال بعض المؤمنين ممن لم يتعمقوا فى الفهم إنه لا غرابة فى هذا الإسراء بعد تقدم العلم وارتقاء الطيران واستعمال البخار حتى لقد أصبحت هذه المسافة تقطع فى ساعات قليلة.

هذا أيضا ضلال فى الفهم وخطأ فى الحكم وانحراف فى الرأى من غير قصد وربما ولا إدراك. فهناك فرق بين اختراع يتوصل إليه الإنسان بتفكيره واستنباطه. ويتمكن

منه بأسباب مادية تخضع لقوانين علمية ومعارف إنسانية ، وأمر يريده الله للإنسان لا دخل لعقله فيه ولا لإرادته وتفكيره .

وهذه المعجزات ليس لها وسائل ولا مقدمات ولا أسباب وأدوات مما يدخل في مقدور العباد ونطاق حيلتهم . أما المخترعات الإنسانية فلا بد أن تبنى على قواعد وقوانين علمية توصل إلى ما يراد تكوينه من مخترعات وصناعات .

تلك لمحة من حديث الإسراء . فأين الآن أرضه التى جرت عليها أحداثه وتمثلت فيها مشاهده ؟ أين البقاع المقدسة والثرى الطيب الطاهر . ؟

أطبقت عليها عصابات فاجرة غادرة وساندتها حراب الاستعمار لتكون قاعدته وركيزته .

فأين المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أين فورة الدم وحماسة العقيدة ؟

أين العزائم التى ترد الأرض المغصوبة والبقاع المنهوبة . وتحمى حمى الأوطان السليبة وتنشر البهجة على الديار الحزينة الكئيبة . ؟

إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ؟

عبد الحميد محمود السلوت

قال تعـــالى :

« والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى »

نفحات القرآن

الملائكة مع لوط على قومه

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(كان مجيء الملائكة إلى لوط تأييداً له وشؤما على قومه الفاسقين) .

« ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ، وضاق بهم ذرعاً ، وقال هذا يوم عصيب » ٧٧ - هود .

من سنة الله تعالى مع أنبيائه أن يبلوهم بالمشاق من الجهود ، وأن يعرضهم للعنت والكافرين ، وهذا البلاء من تمام الدعوة ، ومن أمارات الصدق فى الرسالة فإن صاحب الحق يستميت فى سبيله ولا ينصرف عنه فى هوادة ، بل هو مستهين بكل ما يصادفه ، مهما تكلف لأجله من تضحيات ، وتلك خصيصة المجاهدين المحقين .

والله تعالى لم يكن يختار للرسالة إلا من كان على هذه الشاكلة ، أو من هو فى الذروة من البطولة والإقدام .

وحينما يشتد البلاء على الرسول ، ويتحمل ما يقتضيه الكفاح من بلاء ، ويكون أوفى بما عهد الله إليه من صبر واحتمال ، واستنفد طاقته التى أمده الله بها ، حينئذ يكون العون له من الله بشيء ربانى فوق طاقة البشر ، ويكون النصر من عند الله على القوم الظالمين .

وهذا وعده سبحانه فى قوله : « حتى استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا بضم الكاف ، جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء - بفتح الفاء ، وضم النون - ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » يرد بأسنا بضم الياء والسين -

وكذلك كان الشأن بالنسبة لرسول الله لوط عليه السلام .

فقد أسرف قومه فى عصيانهم ، واعتادوا الفعلة الخبيثة التى لم يسبقهم إليها أحد من قبل وهى المتعة الجنسية بالرجال والصبيان ، وإعراضهم عن النساء ، واستنفد لوط فى وعظهم كل ما يستطيعه من أساليب التفاهم وعظاً ، وملاينة وتخويفاً ، وتوبيخاً .

وأخيراً بعث الله ملائكته لتنفيذ ما سبق به القضاء عليهم « إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين » ، « وإنهم آتيهم عذاب غير مردود » .

وحينما وصل الملائكة إلى لوط في قريته - سدوم - ظنهم ضيوفا وافدين عليه . ووجدهم رجالا حسان الأشكال ، في بهجة غير معهودة في الناس .

وهنا أصبح لوط في ثورة ذهنية عارمة .

فهو حريص على إكرام ضيوفه ، وهو في اضطراب الخواطر لما يخشاه على الضيوف من ضلال قومه . . ولذلك لم يكن في بهجة بضيوفه ، بل حسب ما يحسبه من هموم تلاحقه ، ومقاومة لا يرتضيها عن طيب خاطر إلا بمقدار ما يؤديه من حق الرسالة عليه . . وردد في مفاجأته لنفسه - هذا يوم عصيب - !! .

وما كان ضيوفه يستقرون في بيته حتى توافد عليه الأشرار من كل حدب ، وما تخلف من هؤلاء السفلة إلا من كان في غيبة عن الديار .

ثم أخذوا يناوئونه في اقتحام داره ، وهو يصرفهم بحيله ومحاولاته ، ويرغبهم في الزواج بالبنات من ذريته ومن ذرية أتباعه المؤمنين .

ويقول لهم : « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ، فتزوجوا منهن بشريعة الله » .

فإذا لم يجد للترغيب أثراً عندهم أخذ يذكرهم بتقوى الله ، وبالمروءة ، فيقول لهم : « اتقوا الله ، ولا تخزون في ضيفي » .

ولما لم يجد للترغيب ، ولا للترهيب أثراً كذلك . أخذ يعنفهم ، ويندد بعقولهم فيقول « أليس منكم رجل رشيد » فهذا تأسف من جانبه ، وتوبيخ لهم ، لأنهم على كثرتهم لا يوجد فيهم واحد يتعقل . ويرشدهم إلى ما ينبغي عمله .

بل هم يقابلون جدله بقولهم في صرامة المعاندة « لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، ولا رغبة » وإنك لتعلم ما نريد » أي ما لا نحيد عنه مع ضيوفكم الحاضرين .

وهكذا تجد المفتون بباطله ، لا يلوى على نصيحة ولا يكترث بناصح ، وكلما زدته إرشاداً ، يجابهك بعناده ، ويتخيل أنك أنت السفيه . وأنه هو الحليم الرشيد .

وأخيراً أخذ لوط يواسي نفسه بلوعة المتحسر لعجزه عن المقاومة ، ويود لو كانت له وسيلة تجديه في هذا الموقف البغيض فيقول « لو أن لي بكم قوة . . أو ، آوي إلى ركن شديد » ليت لي قوة بدنية أدفعكم بها ، أو قوة عددية تناصرني عليكم . . أو ليت لي مكاناً حصيناً أوى إليه ، واستكن فيه مع ضيوفي .

وحينئذ كان الفرج المقدور عند الله .

حيث سمع لوط مناجاة الملائكة له ، إذ

أفصحوا له عن حقيقتهم، وبشروه بانتصارهم له الآن.

«قالوا: يا لوط.. إنا رسل ربك.. لن يصلوا إليك».

فانظر مقدار ما يكون من حسن التفاؤل عند لوط بعد أن غشيه من الكرب ما غشيه جاءه النصر بعد أن استيأس، وبدأت تنفرج أزمته بعد أن استحكمت حلقاتها.

وذلك هو وعد الله تعالى لرسله، وللمؤمنين المجاهدين.

وعندئذ كان القوم فى هجماتهم على الباب، وهى آخر محاولة منهم لاقتحامه على الضيوف.

فأمره الملائكة أن يتنحى هو، ويخلى بينهم وبين الدار، وظن القوم أنهم تمكنوا، فكانت الطامة الأولى أن جبريل - عليه السلام - ارتفع وضربهم بأجنحته على وجوههم فعميت أبصار الحاضرين منهم جميعاً.

وهذه المعجزة التى شهدوها فى أنفسهم تأييداً من الله لرسوله لوط، وهى قول الله:

«ولقد راودوه عن ضيفه، فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى، ونذر».

وكان من مفاجأة الملائكة للوط عليهم جميعاً السلام، أن يخرج من القرية ليلا مع المؤمنين به «فأسر بأهله بقطع من الليل، ولا يلتفت منكم أحد، إلا امرأتك، إنه مصيبها ما أصابهم، إن موعدهم الصبح».

خرج لوط فى ليلته، ولم تخرج امرأته معهم، لأنها كانت كافرة به. أو هى خرجت معهم، ولكنها تلفتت إلى الوراء، حين سمعت ما سمعت من أهوال السماء فأصابها ما أصاب القوم من بلاء الهلاك.

كان ذلك العذاب فى صباح الليلة.. وإنما يختار الله للإهلاك وقت الصباح، لأنه خير وقت للاستقرار، وأطيب ساعات النوم.

ويقال: إن لوطاً لما سمع من الملائكة أن الله سيهلك الكفار صباحاً كان يود أسرع من ذلك فيقول له الملائكة «أليس الصبح بقريب» ثم كيف كان العذاب؟ جواب ذلك فى قوله سبحانه - «فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل، منضود، مسومة عند ربك».

أمر الله ملائكته أن يرفعوا مبانى سدوم وما يليها من القرى الظالمة حيث كانت على أفق رفيع ثم أسقطوها على عكس وضعها فكانت أرضها أعلاها، ومشارفها أسفلها، وذهب القوم جميعاً فى تلك الصعقة كأنهم الهباء، أو دون الهباء، وهذه طامة أشنع أتت على القوم فى صباح كانوا يأمنونه. بل كانوا متواعدين على الحضور فيه مع من كانوا بالأمس فى غيبة عن الديار، ليتعاونوا على الإثم والعدوان وليثأروا لأنفسهم فى العمى الذى أصابهم بالأمس.

وقد يؤتى الإنسان الحذر من مأمنه ، فيصيبه الشر ، ويحدق به البلاء . فى ساعة كان يظنها خيرا ونجاحا له ، أو من مكان كان يتوسم فيه الأمان ، أو من أعوان كان يتخذهم دروعا يتوقى بهم البلاء فيكونون هم سبب البلاء .

ثم كان بعد التدمير لهذه القرى مطر شديد لم تعهده الدنيا من قبل ، إذ لم يكن ماء من سحاب بل كان حجارة ليست من تراب الأرض ، وهى حجارة مطبوخة كأنها مسواة على النار ثم هى معلمة بعلامات تميز بين أنواعها وتميز بين فلان وفلان فلكل امرىء منهم ما يخصه باسمه ... وهى منضودة يعنى متتابعة لا تخف ولا تنقطع كما يحدث فى قطرات المطر من الماء وكل ذلك لمزيد التنكيل بهؤلاء المجرمين ، ولا يعتبر هذا كثيرا عليهم ، فإنها جريمتهم القذرة ، التى استباحوها طويلا . . . فاستحقوها جزاء وفاقا ، وكانت شؤما يحدق بهم فى أحسن أوقاتهم « ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ، البغيان فذوقوا عذابى ونذر » .

ولعل حكمة الله فى نزول المطر عليهم بتلك البقاع .

أولا : أن يستأصل من كان بعيداً عن البغيان فى فلاته ، أو مزرعته .

ثانيا : أن يحقق فيهم الرجم الذى كانوا يهددون به لوطا إذا نصحهم . فأخرجهم الله من دنياهم بالمهانة التى تكون للعاهر المسخوط إذا حاقت به جريمته بين الناس .

أما لوط عليه السلام ، فقد نجاه الله مع المؤمنين به « فأنجيناه وأهله إلا امرأته ، كانت من الغابرين ـ الهالكين ـ ، وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ونجيناه ـ لوطا ـ من القرية التى كانت تعمل الخبائث ، إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ، وأدخلناه فى رحمتنا إنه كان من الصالحين » .

وهكذا كان القصص عن بنات لوط مثار العبرة فى أولئك المعرضين عن الزواج بالطاهرات من بنات جنسهم ، والمتهافتين على الشهوات الجنسية فى غير ما أحل الله . وإن الزهادة التى كانت عند قوم لوط وكانت السبب الأكبر فى تدمير بلادهم على رؤوسهم لهى الزهادة الفاشية فى بعض البيئات من المعاصرين .

وهذا هو التزهد يعتبر خللا فى حياة المجتمع وإيذانا بانتكاس النظام الذى تستقيم عليه الحياة المستقرة .

وإذا كان التزاوج رابطة بين الجنسين ، وجمعا بين كل اثنين ، وقد جعل الله له سبيلا ميسورة فماذا يبعدنا عن هذا الاندماج : إلى التحلل منه بغير ما هو ملائم للفطرة الإنسانية .

ذلك الرجم ـ لا شك ـ من عمل الشيطان ،

عنصر الصدق فى المعاهدة النبوية الأولى

للدكتور محمد رجب البيومى

من يدرس سيرة محمد صلى الله عليه وسلم يرى أن كل موقف من مواقفه عليه السلام ، يصلح وحده أن يكون دليلا صادقا على نبوته ، إذ كانت جميع أعماله الرائعة تحمل صدقها الصريح ، وتنادى ببراءتها من الزيف والافتعال ، ومهما كتب الكاتبون فى القديم والحديث من مؤلفات تحليلية للسيرة النبوية المطهرة ، فإنها لا تزال محتاجة إلى كتب أخرى تضىء بعض الجوانب الخافية - وما أكثرها - فى حياة محمد ، لذلك كان من المستحب أن يخص الكتاب مواقف السيرة بتحليل جديد يضيف الطريف إلى التليد ، ولسنا ندعو إلى الافتعال فى التعليل والتمحل فى التحليل فهذا ما يجب أن تبرأ منه سيرة نبى طاهر كان التكلف أبغض الأشياء إليه ، إنما ندعو إلى أن نعمق النظر فى جميع الظواهر التاريخية التى نمر بها فى سيرة الرسول ، وهنا يكون مجال التحليل الصادق الذى يكشف عن الغائب ويشير إلى المستور .

ولنضرب المثل على ذلك بما سنخوض فيه من حديث المعاهدة النبوية الأولى وهى التى عرفت فى التاريخ النبوى ببيعة العقبة الثانية ، وبمقتضاها تمت الهجرة الإسلامية من مكة إلى المدينة ، لدى الذين تبوءوا الدار والإيمان من الأنصار إذ يحبون من هاجر إليهم ،

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

والشيطان لا يوحى بخير ، ولا يتخلف عن جلبة الشر ، لأنه للإنسان عدو مبين .

ولقد أصبح الجرم الذى هدم على قوم لوط ديارهم جرما مستساغا فى بلاد أوربية متحضرة حتى بلغ من الشذوذ عندهم أن جعلوه مشروعا كشروعية الزوجية بالأنثى وكأن الزمن قد استدار بنا إلى الوراء ، فقوم لوط بالأمس يتمثلون اليوم فى حياة المتحضرين بالقرن العشرين .

« وإنا لا ندرى ، أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » .

اللهم أغثنا بغوثك من هذه النكسة ، وأعنا بحولك على العابثين بالأخلاق وأهدنا ، وانصر العرب على أولئك المفسدين أجمعين ؟

عبد اللطيف السبكى

ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة !

كانت ليالى حوالك ، تلك التى أخذ فيها محمد صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل داعيا إلى دين الله ، وقد فقد عمه أباطالب وزوجته خديجة ، وتجرأ المشركون على تسفيهه ، حتى ترصده بعض الرعاع ، فدفع بالتراب على رأسه الشريف ، ودخل رسول الله محزونا إلى بيته ، فبكت فاطمة لمرآه ، فأخذ يصبر بنته الباكية ، متمرضاً لأزمات الآباء التى تصطرع فى نفوسهم لدى بكاء الأبناء ، وبخاصة إذا كان البكاء لضعف الأب وقلة حيلته ! وقد خرج إلى الطائف وحيداً لا صديق معه ! وكأنه أراد أن يكتم الأمر ما استطاع كيلا يشمت به المشركين إذا رجع دون إجابة ، خرج إلى الطـائف يدعو ثقيفاً إلى دين الله ملتمسا المنعـــة والاحتماء ، ولكنهم كانوا كمشركى مكة صم القلوب عمى العيون لم يسمعوا نداء الحق ولم يروا نور الإيمان لجهوه وسفهوه ، وأغروا به وعاعهم يتعقبونه هازئين ساخرين. ففر إلى بستان بعيد يحتمى بجداره وقد رفع يده إلى السماء ليقول: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

هذا الابتهال الحار الدامع ، يصور أعنف ما يعتلج فى نفسه الكريمة من شجون ! وقد لجأ إلى ربه إذ لا يجد أقرب إليه من ذى الجلال والإكرام ، وكأنى به صلى الله عليه وسلم وقد شعر ببرد الراحة حين نفض همومه المتراكمة فى كلمات موجزة رفعها إلى السماء فرفهت عنه ما استطاعت أن ترفه، وأخذ الأمل يتجدد فى خاطره دانيا قريبا إذ أسلم قلبه إلى الله وهو مؤمن ! ولم يكن يأسه من ثقيف بمانعه أن يتابع الدعوة فى القبائل المختلفة فأخذ يعرض دينه فى المواسم الحاشدة بمكة ، بل إنه جاوزها إلى كندة وكلب فى خيامهم النازحة فما وجد من سميع فواصل الدعوة فى بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة ، فلم يتقدم خطوة واحدة إلى الأمل ، والمسلمون على حالهم بمكة قلة مضطهدون يعذب الأرقاء ويموت بعضهم تحت العذاب ، ويحارب الأحرار فى وسائل الرزق من تجارة وصيد حتى تفاقم الأمر ! وطافت الحوالك الغاشية بمطارح العيون حتى ما تجد قبساً من الضياء

إلا ما يبرق من نور الإيمان ! ثم أذن الله بأن يشرق شعاع من يثرب يكون طليعة فجر صادق للدعوة المحمدية !

فكانت بيعتا العقبة الأولى والثانية مبزغ هذا الفجر الباسم ، أتيح بها نصر الله لنبيه تصديقاً لقوله : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء » .

وسننظر الآن فى المعاهدة النبوية الأولى التى تمت فى بيعة العقبة الثانية ، بعد خطوب حالكة ألمعنا إلى بعضها بإيجاز مقتضب لنرى ما تكشف عنه من يقين صاحب الدعوة وبراءته من التحايل ، وكسب القلوب بالوعود المغرية ، ، إذ أن هذه المعانى النفسية وحدها من أدلة الصدق الحقيقى الذى يعتنقه محمد صلى الله عليه وسلم عن ثقة وإيمان ! إننا لنتأمل فى واقع أمره عند إبرام هذه المعاهدة فنجده مضطهدا محاربا بمكة وقد رد فيما حولها من القبائل قريبة أو بعيدة أعنف رد ، ثم ينظر فيجد الكثرة الكاثرة ممن حوله يستهزئون به ويقعدون له كل مرصد ، والقلة القليلة ممن معه يتساقطون جوعا وضعفا ، وقد بعدت عليهم شقة النصر .

هذه الظروف الخانقة إذا اعترضت زعيما غير صادق ، فإنه لا محالة سيضطر إلى تأليف القلوب بالوعود الخادعة والأمانى الخالبة ، وسيفسح لمن يريد أن ينتصر بهم على أعدائه فى أحلام الملك والرئاسة حين تتم له الكلمة ليجد من ذلك وسيلة نفسية إلى الإذعان المصمم ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم يجتمع بمن استجابوا إليه ليلة العقبة الثانية وهم أمله الأوحد بعد أن تألبت عليه شتى القبائل ، يجتمع بهم فى هذه الليلة الحاسمة ليبرم معهم معاهدة التناصر والاحتماء ، يجتمع إليهم فلا يقول لهم ستكونون أصحاب الأمر والنهى فى القبائل إذا تم النصر ! ولا يقول لهم ستكونوا وزرائى وأرباب القوة التنفيذية فى المعسكر الإسلامى ، بل يصدقهم القول فيعلن أنه رسول الله ، وأن جزاءهم أخروى لا دنيوى .

والقوم بعد حديثو عهد بالكلام عن الآخرة ، لم يعلموا عنها فى عصر الشرك ما يجعلها مناط رغبة ، وموضع ارتقاب ! ولكنهم يستمعون لمحمد إذ يتحدث عن جنتها ونارها فيصدقون ! ثم يعقدون المعاهدة الخطيرة بريئة من الاحتيال ، ساطعة واضحة تنطق نصوصها السافرة بأمانة رسول الله ، ولعل من الأنسب أن نلم هنا ببعض حديثها التاريخى معتبرين .

فى الليلة الثانية عشر من ذى الحجة جعل فريق من أهل المدينة يتسللون تحت ستار الليل فى حذر شديد إلى العقبة ، لم يجيئوا

جماعات جماعات ، ولكن فرادى فرادى كيلا يعلموا أحدا بما سيدبرونه من أمر ، حتى إذا اكتملوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين جلسوا يرمقون الطريق بأبصار قلقة تنتظر قادماً ذا خطر ، ولم تمض لحظات حتى كشف الليل عن طائفين يشقان ستار الظلام فى طريقهما إلى العقبة ! هما : محمد رسول الله وعمه العباس .

تلاقت الوجوه وتصافحت الأكف ، وتعارف المجتمعون ثم نهض عم رسول الله ليقول « يا معشر الأوس والخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ، وهو الآن فى عز من قومه ومنعة فى بلده وقد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه عن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ، فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده » .

هذا ما قال العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على الشرك ، لم ينضم إلى قافلة الإسلام كأخيه حمزة ! وقد يعجب بعض المتسرعين حين يرى عما مشركا يأخذ العهد لابن أخيه ، وكان فى حمزة العم المسلم كفاء وغناء ، وقد نسى أن بعد نظر الرسول قد هداه إلى اختيار العباس وحده ! ليعلم اليثربيون أن بنى هاشم مسلمهم ومشركهم على رأى واحد فى وجوب نصرته عليه السلام ، وأن وفاة أبى طالب لم تفرق الكلمة الهاشمية ! .

فلئن شذ أبو لهب فما هو غير فرد واحد تغلبت عليه امرأته فأبردت حمية الدم فى عروقه أما بنو هاشم فرئيسهم العباس بن عبد المطلب ينطق بلسانهم ، ويعلن رأيهم الصريح إذ يؤكد أن محمدا صلى الله عليه وسلم فى منعته من بلده وعزة من قومه ، وليكرر ذلك مرتين ليعلم السامعون أن القول فصل وما هو بالهزل ، هذا ما رآه فى اختيار العبـــاس بالذات ، وقد ألقى كلمته الموجزة الحاسمة ، وترك المجال لرسول الله ليتلو القرآن ويقرر مبادىء الإسلام ، ويقول فى صراحة : أبايعكم على على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأموالكم ! .

فنهض البراء بن معرور وكان سيد قومه ، أسلم بعد العقبة الأولى ورجع إلى يثرب مبشرا بدين الإسلام ، حتى إذا استدار العام قدم مع القوم ليأخذ مكانه فى البيعة الثانية رئيسا ينهض بالعبء عن دراية ، ويهتف بالحق عن إخلاص نهض البراء بن معرور ليقول فى لهجة قاطعة « والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أنفسنا ، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب ، وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر »

وفى مثل هذه المواقف الحاسمة لا بد أن تكون الصراحة المطلقة ديدن المجتمعين وأداة التفاهم السافر، البرىء من الشك والالتباس وبهذه الصراحة الكاشفة اعترض أبو الهيثم ابن التيهان وقال فى جلاء : يارسول الله إن بيننا وبين اليهود حبالا وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله ، أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله وقال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ! .

ثم نهض القوم للبايعة فاعترضهم العباس ابن عبادة الأنصارى قائلا : .

« يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا نعم ؟ قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا انهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله خزى الدنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال ، وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة ثم سكت العباس ابن عبادة الأنصارى متطلعا فى الوجوه فاستمع إلى من يقولون فى صوت واحد نبايعه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف.

وانطلع صوت آخر يسأل : فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ، فتكون الإجابة النبوية فى لفظة واحدة هى « الجنة » فيصيح الجميع أبسط يدك نبايعك ! ومدوا إليه أيديهم فبايعوه ، ولما فرغوا من ذلك قال لهم رسول الله : اخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم ، فاختار القوم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فقال النبي لهؤلاء النقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى .

فقالوا جميعا : بايعنا على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم ! ، ثم تفرق القوم كما جاءوا فرادى قبل أن تبزغ أضواء الفجر .

هذه قصة المعاهدة النبوية الأولى كما رددتها كتب التاريخ ! ونحن نلم بها الآن ، لنتخذ منها وحدها الدليل على صدق محمد وإخلاصه ، ولنقارن بينه وبين من يضعون المعاهدات السياسية ، مرتكنة إلى حقوق ذاتية تكون أجرا ماديا مكافئا للتعاون والتناصر ! فتفسح مجال الإغراء بما تبسط من وعود ، وتزلف من أحلام ، وإن كلا الفريقين ليترقب الخير العاجل لنفسه سائرا إليه على بساط من التمويه والتضليل ! أما محمد فلا يعد بشىء دنيوى ولا يتحمل حقوقا خاصة لفريق

الإسلام فى مصاولة الحرب النفسية

للواء الركن ، محمود شيت خطاب

(١)

الحرب هى القتال الناشب بين دولتين أو أكثر للحصول على مقاصد سياسية بقوة السلاح .

وبتعبير آخر ، هى كل كفاح ينشب بين القوات المسلحة لدولتين أو أكثر ، إذا توفرت لدى إحداها أو لديهما جميعاً إرادة إنهاء ما يقوم بينهما من علاقات سلبية .

والهدف الأصلى من الحرب ، هو تحطيم الجيش المعادى تحطيما كاملا ، بحيث لا يقوى على المقاومة ويضطر إلى قبول شروط المنتصر .

وتحطيم الجيش ، يشمل تحطيم قوته المادية التى هى الوسيلة لادامة القتال ، وتحطيم قوته المعنوية التى هى الحافز لارادة القتال .

وإرادة القتال ، هى الرغبة الأكيدة فى خوض الحرب من أجل مثل عليا وأهداف سامية ، وتحمل أعباء الحرب بذلا للأموال وتضحية بالأنفس واستهانة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

خاص ! وهنا يشع جوهره الصادق كاشفا عن منبع اليقين فى ذات نفسه ، ولو كان - حاشاه - إنسانا وصوليا ، لا نتهز الفرصة السانحة مع أهل المدينة بعد أن جاءه القريب والبعيد ولامتد ببساط الآمال مع حلفائه إلى حد يجعلهم وحدهم أصحاب حق أكيد فى السيطرة والرياسة تلتزمه المعاهدة وتقوم عليه المبايعة ! ولكنه قبل كل شىء رسول الإنسانية الصادق ، وصاحب الخلق العظيم ، وقد نهض برسالة تقوم على المساواة العادلة ! ومن مبادئها الرفيعة ألا يخص بالجاه النافذ فريقا دون فريق ، لأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين؟

د . محمد رجب البيومى

بالاضرار والعقبات وصبراً على البأساء والضراء ، حتى يتم تحقيق تلك الأهداف السامية والمثل العليا ، مهما طال الأمد وبعد الشوط وكثر العناء وازدادت المصائب وسالت الدماء .

والحرب النفسية ، هى الجهود السلبية والايجابية التى يبذلها العدو فى أيام الحرب والسلام لتحطيم المعنويات .

والمعنويات ، هى القوى الكامنة فى صلب الإنسان ، التى تكسبه القابلية على الاستمرار فى العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة ، مهما اختلفت الظروف المحيطة به .

وهذا التعريف يشمل الشعب كله لا الجيش وحـــده .

وإذا أردنا إيضاح هذا التعريف وتبسيطه فيمكن القول ، بأن الفرد فى الشعب ، يجب أن يكون شجاعاً لا يجبن ، قوياً لا يضعف عزيزاً لا يهون ، صامداً لا يتراجع ، صابراً لا ينهار ، متفائلا لا يقنط ، مستعداً للتضحية بماله وروحه من أجل مثله العليا .

وما يقال عن الفرد فى الشعب ، يقال عن الشعب كله ...

— ٢ —

تلك هى تعاريف موجزة لمصطلحات عسكرية شائعة ، أصبح تفهمها ضرورياً لكل فرد من أفراد المسلمين عامة ولكل عربى خاصة فى هـــذه الظروف التى يجتازها المسلمون والعرب بعد الذى حدث فى حرب حزيران ١٩٦٧ .

ولكن لا بد أن نركز على الحرب النفسية لمعرفة معناها وأهدافها ووسائلها .

الحرب النفسية مصطلح عسكرى حديث يرادف تعابير : حرب الدعاية ، وحرب الآراء ، وحرب الأعصاب ، وحرب الإعلام ، والحرب الباردة ، والحرب العقائدية ، والحرب السياسية .

ويراد بالحرب النفسية ، تغيير عقول أفراد الشعب وإرادتهم ، لترضخ إلى عقول العدو وإرادته .

ويتم هذا التغيير باستخدام علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية .

والحرب النفسية تهدف إلى :

(ا) التشكيك بالأفكار والمعتقدات :

(ب) زعزعة الإيمان بالنصر وإشاعة الانهزامية .

(ج) تأجيج الأحقاد باستثارة الطائفية والتفرقة القومية والعقائدية .

(د) إثارة الكراهية بين الشعب وحكومته .

(هـ) محاولة كسب العناصر المحايدة والمترددة .

(و) التخويف من الموت والفقر والمجهول .

(ز) بث الذعر وإطلاق الاشاعات .

(ح) المبالغة فى قوة العدو وإظهار قوته بمظهر القوة التى لا تقهر .

— ٣ —

فما هى وسائل الحرب النفسية التى تحقق بها أهدافها ؟

يستعين العدو فى الحرب بنشرات الاستسلام التى يوزعها بالطائرات على القوات المقاتلة فى الميدان وفى الصفوف الخلفية وعلى القواعد المتقدمة والأمامية والرئيسية .

ويستعين العدو فى الحرب بمكبرات الصوت ، وبالإذاعة أيضاً ، للحث على الاستسلام .

والقيادة الحصيفة المسيطرة ، هى التى تمنع العسكريين من التقاط منشورات العـــدو والإصغاء إلى مكبرات صوته وإذاعته .

ولكن منع القيادة العسكرية هذا وحده قد لا يكفى ، فلا بد من أن يقتنع العسكريون بأخطار التقاط منشورات العدو والإصغاء إلى أقواله ، خاصة حين تكون الحرب مشتعلة الأوار .

إن تعاون القيادة والعسكريين فى إحباط محاولات العدو الدعائية فى الميدان هو الكفيل الوحيد للوقاية من شرورها الوبيلة .

وقد استعان الحلفاء والمحور فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) بأساليب الحرب النفسية فى الميدان ، فنجح الحلفاء فى التأثير على معنويات الإيطاليين مما أدى إلى استسلامهم بأعداد ضخمة للحلفاء ، ولم ينجحوا فى التأثير على معنويات الألمان واليابانيين .

أنشأ — مثلا — الروس محطة إذاعة يعمل فيها قسم من الأسرى الألمان ، وكانت هذه الإذاعة توجه أحاديثها إلى القوات المسلحة الألمانية ، تشككهم فى الحكم النازى وتدعوهم إلى الثورة بهتلر وحكمه .

وكان المشير الفون رونشتد قائداً عاماً فى الجبهة الغربية ، وكان يعتد بالعسكرية البروسية ويؤمن بتقاليدها ، وكان ولاؤه الكامل لمهنته العسكرية بعيداً عن التيارات السياسية التى كان لا يستمتع بها أبداً .

وفى يوم من الأيام سمع الإذاعة الألمانية الصادرة عن روسيا ، فقال قولته المشهورة على مسمع من هيئة أركان حربه : « يستثمر العدو الخيانة ، ولكنه لا يشرف الخونة » .

ولكن الإيطاليين ، كانوا يقبلون على سماع

الإذاعات المعادية ، ويذيعون فيما بينهم أخبارها ، ويصدقونها فى كثير من الأحيان !

وفى أيام السلام ، يستعين العدو لتحقيق أهداف الحرب النفسية بنشرات الاستسلام والمنشورات الصحفية ومكبرات الصوت والأفلام السينمائية والمعارض والملصقات والصور وبالإذاعات وبث الإشاعات وبالمخربين والجواسيس وبالوعيد والوعد وإشاعة الذعر والخوف وبالتشكيك .

— ٤ —

فكيف يصاول الإسلام الحرب النفسية ؟

لعل أهم أهداف الحرب النفسية هى : التخويف من الموت والفقر ومن القوة الضاربة للمنتصر ، ومحاولة جعل النصر حاسما والدعوة إلى الاستسلام ، وبث الإشاعات والأراجيف . والتشكيك بالمعتقدات ، وإشاعة اليأس والقنوط :

المؤمن حقا لا يخشى الموت : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »[1] . وقال تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله »[2]، وقال تعالى : « أينما تكونوا يدرككم الموت ، ولو كنتم فى بروج مشيدة »[1] ، وقال تعالى : « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم »[2] » .

إن المؤمن حقاً ، يعتقد اعتقاداً راسخاً ، أن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ، وما أصدق قولة خالد بن الوليد رضى الله عنه حين حضرته الوفاة : « شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، ثم ها أنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء »[3] .

والمؤمن حقاً لا يخاف الفقر ، لأنه يعتقد اعتقاداً جازماً ، بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى: « والله يرزق من يشاء بغير حساب »[4] ، وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب »[5] » ،

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأعراف (٧ : ٣٤) ومن سورة النحل (١٦ : ٦١) .

(٢) الآية الكريمة من سوره آل عمران (٣ : ١٤٥) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٧٨) :

(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٤) :

(٣) أنظر أسد الغابة (٢ / ٩٥)-طهران-١٣٧٧هـ وانظر الاستيعاب (٢/ ٤٣٠) القاهرة.

(٤) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢١٢) .

(٥) الآية الكريمة من سورة الطلاق (٦٥ : ٢ ، ٣) .

وقال تعالى: «فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون (١)» ، وقال تعالى: «وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت» (٢).

والمؤمن حقا لا يخشى قوات العدو الضاربة فما انتصر المسلمون فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفى أيام الفتح الإسلامى العظيم ، بعدد أو عدد ؛ بل كان انتصارهم انتصار عقيدة لا مراء . قال تعالى: «قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين (٣)» ، وقال تعالى: «يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٤)» .

والمؤمن حقاً لا يقر بانتصار أحد عليه ما دام فى حماية عقيدته ، لذلك فهو يعرف أن الانتصار فى معركة قد يدوم ساعة ، ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة : «إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس» (١) .

والمؤمن حقا لا يستسلم بعد هزيمته ، لأنه يعلم بأن بعد العسر يسرا ، وأن بعد الهزيمة نصرا : «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون(٢)» ، وقال تعالى : «ولا يحزنك قولهم : إن العزة لله جميعاً ، هو السميع العليم(٣)» ، وقال تعالى : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ، ألا إن نصر الله قريب(٤)» .

والمؤمن حقا ، لا يصدق الإشاعات والأراجيف : «يا أيها الذين آمنوا ، إن

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٢٦).
(٢) الآية الكريمة من سورة المنافقون (٦٣ : ١٠).
(٣) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٤٩).
(٤) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٦٥).

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠).
(٢) الآية الكريمة من سورة المنافقون (٦٣ : ٨).
(٣) الآية الكريمة من سورة يونس (١٠) : (٦٥).
(٤) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢١٤).

جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا[١] » ، وقال تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا[٢] » وقال تعالى « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم[٣] » .

والمؤمن حقاً يقاوم الاستعمار الفكرى ويصاول الغزو الحضارى الذى يناقض دينه وعقيدته ومقومات حضارته ، لأن له من تعاليم دينه وتراث حضارته ، ما يصونه من تيارات المبادىء الوافدة التى تذيب شخصيته وتمحو آثاره من الوجود : « إن الدين عند الله الإسلام[٤] » ، وقال تعالى : « لكم دينكم ولى

(١) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦٠) .

(٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٦٠) .

(٣) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٣) .

(٤) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٩) .

دين[١] » ، وقال تعالى : « أفغير دين الله يبغون ! ؟[٢] » ، وقال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون[٣] ! » .

والمؤمن حقاً ، لا يقنط أبداً ، ولا ييأس من نصر الله ورحمته : « لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً[٤] » ، وقال تعالى : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون[٥] » ، وقال تعالى : « وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون[٦] »

(١) الآية الكريمة من سورة الكافرون (١٠٩ : ٦) .

(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ٨٣) .

(٣) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٣٣) .

(٤) الآية الكريمة من سورة الزمر (٣٩ : ٥٣) .

(٥) الآية الكريمة من سورة الحجر (١٥ : ٥٦) .

(٦) الآيه الكريمة من سورة الروم (٣٠ : ٣٦) .

وقال تعالى : « وإن مسه الشر فيئوس قنوط[1] » .

إن المؤمن الحق ، هو الذى يحرص على الموت ، فى كل الظروف والأحوال ، دفاعاً عن عقيدته ومبادئه وتراثه ، وشرف أمته حرص غيره على الحياة ؛ « الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم[2] » .

(١) الآية الكريمة من سورة فصلت (٤١ : ٤٩) .

(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٧٣ ، ١٧٤) .

وأشهد أنى لم أقرأ ، حتى فى كتب التعبية[1] وكتب السوق[2] الجيش الفنية الصادرة فى النصف الثانى من القرن العشرين . أوضح تعبيراً وأدق تعريفاً وأكثر شمولا وأوجز عبارة ، مما جاء فى القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة ، تعريفاً لهدف الإسلام فى مصاولة الحرب النفسية ، ولإرادة القتال وللمعنويات العالية أيضاً .

تلك هى عظمة الإسلام ، حتى فى مجالات مصاولة الحرب النفسية . ولكن يا ليت قومى يعلمون !!!

محمود شيت خطاب

(١) التعبية : التكتيك (Tactics) .

(٢) السوق : الاستراتيجية (Strategy)

قال تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

انتشار الإسلام في جيلان

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٣ —

أدت بنا الدراسة إلى تساؤل طرح نفسه فى نهاية المقالة السابقة ، هذا التساؤل يدور حول حقيقة السر فى أن الجهود التى بذلت لنشر الإسلام فى المنطقة لم تقابل بالاستجابة المرجوة ؛ فهل يوجد هذا السر فى طبيعة الدين الإسلامى أم أنه متصل بطبيعة أولئك الذين وجهت إليهم الدعوة الإسلامية ؟ وهذه محاولة ، تعتمد على الاجتهاد مع الاستعانة بالإشارات التاريخية للإجابة عن هذا التساؤل.

إن السر بعيد كل البعد عن طبيعة الدين الإسلامى ، إذ أن الواقع التاريخى ينطق بأن طبيعة هذا الدين البسيطة السمحة كثيراً ما حملت أقواما — رغم اختلاف مشاربهم وابتعاد منابتهم — على اعتناقه دون جهد دعاتى أو معاناة فى الاقناع ، فالدين الإسلامى بطبيعته تقبل عليه العقول وتتقبله ، وذلك يعود فى المرتبة الأولى إلى اتفاق تعاليمه ومبادئه مع الطبائع البشرية السوية ، ولذا فما يوصف به الدين الاسلامى بحق أنه دين الفطرة .

وحيث إن هـــذا الاحتمال قد سقط ؛ فلنحاول إذن النظر فى الافتراض الآخر وهو الخاص بطبيعة أولئك الذين وجهت إليهم الدعوة الإسلامية فى إقليم جيلان .

بخصوص هذا الافتراض فإنا نقول : إنه لا توجد طبيعة بشرية سوية لا تقتنع بالدين الاسلامى وتتقبله عن صدق وإيمان . إن الاسلام هو دين الفطرة والعقل ، وهاتان الخاصتان تجعلانه مقبولا لدى كافة الطبائع البشرية السوية على اختلاف المستويات ، وليست لدينا أدنى إشارة توحى بأن مواطنى جيلان كانوا مجموعة من الشواذ ، حتى نجد مندوحة للقول بأن شذوذهم هذا قد حال بينهم وبين الاستجابة لجهود الدعاة الإسلاميين .

كما أنه من المستحسن عند هذه النقطة أن أن نقول : إن عدم الاستجابة لدعوة الاسلام لا يعنى بالضرورة أن أولئك الذين وجهت إليهم الدعوة لم يقتنعوا بصوابها ، وليس أدل على هذه الحقيقة من أن الكثيرين من الذين قادوا حركات المقاومة ضد الدعوة الإسلامية كانوا مقتنعين فى قرارة أنفسهم بالإسلام كعقيدة سليمة ودين قويم ، ولكن منعهم من الانقياد لما يعتقدونه عوامل

أخرى بعيدة كل البعد عن الطبائع البشرية السليمة .

لنا بعد تفنيد هذين الافتراضين أن نتلمس الحقيقة من خلال مظنة أخرى ، ولنحاول فى هذه المرة أن نتلمسها فى طبيعة التركيب الاجتماعى الذى كان سائداً آنذاك فى المنطقة

إن دراسة هذا التركيب إبان تلك الفترة تكشف لنا عن الجانب الأكبر فى هذه الحقيقة ، فقد كان المجتمع الديلمى ، وكذلك الجيلى ، محكوما بأوضاع طبقية جائرة ، كانت هذه الأوضاع تعطى الجاه والثروة لعدد من الشيوخ (الكذا خداهية) وتضع كل العبء على الجماهير . هذا الوضع الاجتماعى الجائر كان يعكس بدوره صورة أخرى من صور العلاقات الاجتماعية فى المنطقة ، ونعنى بها انقسام مواطنى جيلان إلى طبقتين : قلة تحكم وتتحكم ، وعلى رأس هذه القلة الأسرة الجستانية المالكة التى وجدت فى استمرار هذه الطبقية خير ضمان لاستمرار امتيازاتها وبجانب هذه القلة كانت توجد الأغلبية وهى الجماهير التى لم يكن لها أن تملك من أمر نفسها إلا القليل .

يضاف إلى هذا الانقسام الاجتماعى ماسبق أن عرفناه من توزع مواطنى المنطقة بين عدد من العقائد ، وتكاد تكتمل أمام أنظارنا ملامح الصورة الاجتماعية إذا ماعرفنا أن النظام القبلى ، بما تسوده من عصبيات ، كان هو الاطار العام الذى يحدد أبعاد العلاقات فى المنطقة .

هذا هو الجانب الخارجى أو الظاهرى للعلاقات الاجتماعية ، ولنا أن نتخيل فى ضوء ما سبق مدى ما كانت تحكم به هذه العلاقات من تمزق وانقسام ، ولا يفوتنا فى التحليل الاجتماعى لمواطنى المنطقة أن نشير إلى العلاقات الداخلية لهذه الطوائف والجماعات ، وهذه العلاقات بدورها كانت على قدر كبير من التمزق والانقسام وانهيار الأخلاق ، ولن نجد فى هذه المناسبة أفضل من الاستعانة بما قاله أحد زعماء الجيل موجها حديثه للعلويين : « أيها الأشراف ، إنكم وردتم بلادنا هذه ونحن جهال نتسافك دمانا ، ونقطع أرحامنا ، ونتصارع ونتعادى ، ولا نعف عن محرم . ولانتورع من مأثم » .

هذا التحليل للعناصر المكونة للمجتمع فى المنطقة يصل بنا إلى القول بأنه لم يكن موجوداً أمام الدعاة قالب اجتماعى متقارب وقد نشأ عن هذا الاختلاف صعوبة المهمة التى أخذ الدعاة أنفسهم بالعمل من أجلها ؛ فإلى أى الفئات يوجهون جهودهم ، وما هى الجوانب التى تستأهل الأولوية فى التركيز ، وكيف يبشرون بالمبادىء الاجتماعية التى نادى بها الاسلام ؟ ؟ .. الخ .

ولا يعترض على هذا الاستنتاج بأن الدعوة الإسلامية قد واجهت فى كل المناطق التى اتجهت إليها صورا متعددة من التناقضات الطبقية ، كما أنها جابهت فى انتشارها الكثير من الأمراض الاجتماعية ، ولكن هذه الأمراض وتلك التناقضات لم تقف حجر عثرة أمام نجاح الدعوة الإسلامية ، بل لا نكون مبالغين إذا قلنا : إن نجاح الدعوة الاسلامية يقاس بمقدار تغلبها على مثل هذه التناقضات ، وبالمدى الذى تحققه فى استئصالها لما فى المجتمعات من أدواء .

هذه حقيقة لا غبار عليها ، ولكن علينا أن نضع فى الاعتبار ظرفا موضوعيا آخر يتصل بالدعاة الذين مارسوا نشاطهم فى المنطقة موضوع الدراسة ، وقد هيأ هذا الظرف للتناقضات والأمراض الاجتماعية دورها الفعال فى تعويق الدعوة الإسلامية والوقوف بها دون النجاح المأمول ، هذا الظرف هو ما نعرفه من أن الدعاة - باستثناء عمر بن العلاء - كانوا علويين ، وهذه الصفة جعلتهم فى نظر الدولة العباسية خارجين عليها ، وقد دفع هذا الوضع الدعاة إلى اختيار الجانب الأقوى الذى يستطيع توفير الحماية لهم والوقوف بجانبهم ضد المخططات العباسية .

دعا يحيى بن عبد الله جستان الديلمى إلى اعتناق الإسلام ، وكذلك فعل كل من الحسن ابن زيد مع وهسوذان بن جستان ، ومحمد ابن زيد مع جستان بن وهسوذان ، ولما لم يجد كل منهم لدى معاصره التحمس لما دعا إليه اكتفى منه بموقف التأييد والمعاضدة وليس لنا أن نتوقع من هؤلاء العلويين أن يحتموا على زعماء الديلم ضرورة اعتناق الإسلام ، إذ أنهم لو أصروا على مثل هذا الموقف لكانت مغامرة مقدرا لها الفشل والإخفاق .

كان يحيى مطاردا من العباسيين ، وكان أول شىء يتطلبه هو أن يجد فى المنطقة حماية وأمنا وكان جستان هو أقدر من يوفر للزعيم العلوى ما يريد . وقد حدث بالفعل أن استجاب جستان لما طلبه الزعيم العلوى فمنحه حق اللجوء السياسى ، وليس لنا أن نتوقع من يحيى وهو فى مثل هذا الظرف الحرج أن يثير الجماهير ضد جستان . وذلك بالتركيز على العلاقة بين الحاكم والمحكوم من وجهة النظر الإسلامية أو برفع شعار الإصلاح الاجتماعى الذى رسم حدوده الإسلام ، وهذا يعنى أن يحيى اكتفى بدور الداعية إلى الإسلام ، ولم يعمل على ، أو لم تهيء له الظروف ، أن ينحوا منحى المصلحين الاجتماعيين ، أى أنه لم ينجح فى ربط جماهير الديلم بنفسه وجدانيا ، وخاصة أن الفترة التى مكثها بينهم لم تستوعب لقصرها من نشاطه الكثير ، ومن ثم فإنه

يبدو للدارس أن دعوة يحيى لم تقابل بما كان يرجى لها من تأثير وإقناع .

واجه كل من الحسن بن زيد وأخيه محمد ظروفا قريبة من تلك التى واجهها من قبل سلفهما يحيى بن عبد الله ، وذلك أن كلا منهما كان فى حاجة ماسة إلى قوة حربية يستطيع بها مواجهة تحدى العباسيين وأنصارهم ، وكان الديالمة ، وعلى رأسهم رجال الأسرة الجستانية المالكة يشكلون العنصر الرئيسى فى هذه القوة الأمر الذى حتم على الزعيمين العلويين أن يغضا الطرف عما كان يغص به المجتمع الديلمى من تناقضات وأدواء ، أى أن دعوتهما افتقدت عنصر الإثارة الذى كان ضرورياً لجذب اهتمام الجماهير إلى هذا الدين الجديد ، ومن ثم كانت الاستجابة لجهودهما محدودة الآماد .

هذه المواقف المتشابهة التى التزم بها كل من الزعماء العلويين فى دعوته مواطنى المنطقة لاعتناق الدين الإسلامى تضع أيدينا على العامل الثانى الذى عرقل نجاح الدعوة الإسلامية هناك ، ونعنى به أسلوب الدعاة . فإنه نظراً للظروف الخاصة التى واجهت هؤلاء الدعاة كان على كل منهم أن يختار فى دعوته بين جماعة وأخرى ، وأضحت مهمة الاختيار صعبة ، إذ ربما أدت إلى إغضاب هذه الجماعة أو تلك الأمر الذى يحمل فى طياته إمكانية إلحاق الضرر بالدعاة أنفسهم ، وقد نتج عن هذا الاتجاه تجرد الدعوة الإسلامية أمام الديالمة من المضمون الاجتماعى الذى كان من الواجب أن يحتل المكانة الأولى نظرا للظروف التى كانت ترزح تحت وطأتها الجماهير .

هذا المسلك فى الأسلوب هو الذى جمد الكثير من فاعلية الدعوة والدعاة ، حيث إنه لم يقدم العقيدة الإسلامية فى صورتها الاجتماعية التى يستحوذ بها على اهتمام الجماهير ، وليس الدارس فى ظروف كهذه أن يتوقع للدعوة الإسلامية نجاحا أكثر من الذى تحقق لها فعلا إذ أن العقيدة المتوارثة تقف على رأس المقدسات لدى الإنسان ، ولهذا لا يغير المرء ديانته لمجرد التغيير ، بل لا بد لذلك من اعتقاد سابق بأن التغيير خير لحاضره وتأمين لمستقبله ، فإذا لم ينجح الداعى فى إبراز هذا الجانب بالقدر الكافى فليس له أن يتوقع لجهوده الكثير من النجاح .

وهكذا يستطيع الدارس أن يستشف أهم العوامل التى قللت من فاعليات النشاط الدعائى الذى بذل من أجل نشر الدين الإسلامى فى المنطقة على امتداد أكثر من قرن من الزمان ، وهذه العوامل تدور حول الظروف الاجتماعية المعقدة التى كانت سائدة فى المنطقة

وما ترتب عليها من أسلوب خاص التزم به الدعاة فى نشاطهم ، وستبدو لنا هذه الحقيقة أكثر وضوحا حينما نتناول الجهود التى قام بها الناصر الكبير فى نشر الدين الإسلامى بين الديالمة ، هذه الجهود التى قدر لها أن تحقق أهدافها كاملة ، محدثة فى المنطقة أخطر تحول شاهدته على امتداد تاريخها القديم والحديث .

الناصر الكبير ، وهـــو الحسن بن على ابن الحسن من حفـدة الحسين بن على ، من أبرز الرجال العلويين الذين وفدوا إلى طبرستان مع تأسيس الدولة العلوية بها فى سنة ٢٥٠ هـ ، ومنذ ذلك التاريخ جعل الناصر إقليم طبرستان مركزه الرئيسى ، ومنه قام بعدة رحلات إلى الأقاليم المجاورة حيث مارس نشاطه فى سبيل القضية العلوية ، كان الناصر مع محمد بن زيد فى المعركة التى هزم فيها الأخير والتى آذنت بسقوط الدولة العلوية فى المنطقة ، وذلك فى شوال سنة ٢٨٧ هـ تركزت جهود العباسيين وأنصارهم بعد سقوط الدولة العلوية على تعقب الناصر ومطاردته ، بيد أنه نجح فى الإفلات من هذه المخططات المعادية له ووضع الناصر نصب عينيه العمل على إعادة الدولة العلوية ، فذهب إلى بلاد الديلم ، ومنها قاد عدة حملات عسكرية تهدف إلى استعادة طبرستان ، ولكنه فشل ، ومن ثم اتجه إلى العمل بأسلوب جديد .

كانت نقطة التحول فى تفكير الناصر هو إحساسه بأن الفشل الذى منى به يعود أساسا إلى أنه قد قاد جنودا لا يدين أغلبهم بالعقيدة الإسلامية ، فلو أنه نجح فى أن يحولهم إلى الدين الإسلامى لاستطاع فى هذه الحالة أن يحقق هدفه بنجاح ، إذن فليبدأ بتوجيه كل طاقته إلى نشر الإسلام فى المنطقة وقد قضى الناصر فى مهمته هذه أكثر من عشر سنوات تعتبر أروع سنوات عمره وأغناها بالنتائج الإيجابية .

تصور المصادر التاريخية الناصر فى صورة الرائد الأول الذى نشر الإسلام بين الديالمة هذا مع أن الدراسة التى بين أيدينا قد أسفرت عن إبراز الكثير من الجهود التى سبقته فى هذا المضمار ، ووضحت مقدار ما حققته هذه الجهود من نجاح ، ولنا أن نقف وقفة قصيرة لدى أقوال بعض المؤرخين عن هذه القضية .

يقول المسعودى عن الناصر (مروج الذهب حـ ٢ ٥١١) : « وقد كان أقام فى الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ، ومنهم جاهلية ، وكذلك الجيل ، فدعاهم إلى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا ... وبنى فى الديلم مساجد » .

ويقول ابن أبى الحديد عنه : « وهو الذى أسلمت الديلم على يده » ويقول عنه صاحب الحدائق الوردية (حـ ٢ ٢٩) : « فاستقر الإسلام ببركته فى تلك الديار ، وطمست

رسوم الكفر والضلال ، وينقل صاحب الحدائق عن الناصر نفسه أنه قال : « إنى دخلت بلاد الديلم وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر ، ولا يعرفـــون خالقا ولا يدينون دينا ، فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلطف فى العطف بهم حتى دخلوا فيه إرسالا وأقبلوا إلى إقبالا » .

إذا أخذنا هذه النصوص بمنطوقها الحرفى فلنا أن نقول إنها تجزم بأن المنطقة التى كان يقطن بها الديالمة لم تكن تعرف الإسلام قبل الناصر ، وأنه لذلك قد زاول نشاطه الدعائى فى حقل بكر تماما ، هذا الذى يمكن فهمه صراحة من النصوص السابقة يتنافى مع النتائج التى أسفرت عنها الدراسة السابقة التى اعتمدت بدورها على مصادر أصيلة وموثقة ، والتى عرفنا منها أن مسجدا قد بنى فى المنطقة حوالى سنة ١٧٥ هـ ، أى قبل مجىء الناصر إلى المنطقة بأكثر من مائة عام .

مهما يكن الأمر ، فمن المستطاع التوفيق بين منطوق هذه النصوص والنتائج التى أسلمتنا إليها الدراسة على أساس أنه نظرا للأعداد الهائلة التى اعتنقت الإسلام بفضل جهود الناصر ، والتى ظهرت بجانبها نتائج الجهود السابقة ضئيلة للغاية ، فقد اهتم هـــؤلاء المؤرخون بالناصر واعتبروه الناشر للإسلام بين الديالمة ، وهذا لا ينفى بالضرورة النتائج التى تمخضت عنها جهود السابقين .

ولكن كيف حقق الناصر مثل هذا النجاح الكبير ، وكيف تغلب على العقبات التى واجهت إسلامه ؟ موعدنا مع هذه النقاط وغيرها فى المقالة التالية التى نواصل بها مانحن بصدده من انتشار الإسلام فى جيلان .

د. عامر غنيم أبو سعيد

يقول تعالى :

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً »

(الفتح الآية : ٢٨)

التراث الإسلامى
فى الحضارة الغربية
للدكتور محمد مختار القاضى

فى الطب
— ٢ —

فى مقال مضى ذكرت طرفا مما قدمه العرب لعالم العصور الوسطى وعصر النهضة من أسس بنيت عليها مكتشفات الطب الحديث ومخترعاته ، ووقفت عند بعض أطباء المسلمين والآن أستأنف الحديث نفسه بادئا بابن سينا الطبيب الفيلسوف المعروف بالرئيس ابن سينا . ولست أتعرض لتاريخ الرجل فى هذا المقام وإنما أتعرض لمؤلفاته العلمية وأثرها فى العالم الأوروبى فى العصر الذى يسمونه هناك عصر النهضة .

ألف ابن سينا كتاب « القانون فى الطب » وكان دستور الطب الغربى إلى القرن السابع عشر [١] ، وظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى البندقية سنة ١٤٨٤ ، ولم ينقطع العلماء عن شرح مؤلفاته حتى القرن الثامن عشر . وأن جامعة « مونبلييه » لم تنقطع عن شرح كتبه إلا فى أوائل القرن التاسع عشر [٢] .

أما منهجه فى الطب فكان يقوم على التجربة ، ثم هو بعد ذلك يحاول درس الحالات المختلفة التى يجد فيها أثراً للعلاج الناجح . وعنى ابن سينا فى كتاب القانون بطرق الوقاية من الأمراض والوسائل الصحية العامة والخاصة وطرق العلاج بالحقن الشرجية ، وبالحجامة والكى والاستحمام والتدليك ، وبالتنفس العميق والصياح من حين إلى حين لتقوية الرئتين والصدر واللهاة . وفى الكتاب الثانى ملخص لما عرفه اليونان والعرب من النباتات الطبية . ويبحث الكتاب الثالث فى بعض الأمراض وطبائعها كالتهاب البلورة والدبلة (أى الأميبيا وهو تجمع الصديد فى جوف البلورة) والنزلات المعوية والأمراض التناسلية وفساد الشهوة والأمراض العصبية بما فيها الحب . ويبحث الكتاب الرابع فى الحميات والجراحة وأدهان التجميل والعناية بالشعر والجلد . وقد تكلم فى الكتاب الخامس عن العقاقير الطبية مفصلا طريقة طبخ سبعمائة وستين نوعا من العقاقير .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية العربية .

(٢) لوبون ص ٤٩٠ .

وعلى الجملة فالكتاب قاموس فى الطب ، جمع فيه صاحبه خلاصة ما وصل إليه اليونان والكلدان والهنود والفرس والعرب ، ونقد طرق الطب والعلاج عند هؤلاء وأضاف إليها من تجاربه الكثير .

وفى لائحة جامعة لوفان الصادرة فى سنة ١٦١٧م ما يقنعنا بأن هذه الجامعة قد اتخذت من كتب الرازى وابن سينا أساساً للدراسات الطبية .

أما اليونان فلم يذكر عنهم فى هذه اللائحة إلا حكم أبقراط المأثورة وأوليات الطب لجالينوس (١) .

وإنك لتجد فى كلية الطب بجامعة باريس صورة الرازى إلى جانب صورة ابن سينا الطبيب الفيلسوف ، واستفاد الإفرنج أيضاً من كتاب التيسير فى المداواة والتدبير لعبدالملك بن زهر . ألفه لابن رشد الفيلسوف فى أواسط القرن السادس للهجرة وكان ابن زهر مجربا مصلحاً موطئاً لعلم المداواة . قال إن فى البدن قوة كامنة ناظمة للأعضاء كافية وحدها للشفاء من الأمراض على العموم وجمع ابن زهر دراسة الجراحة والطب والصيدلة معاً .

وتشتمل مباحثه فى الجراحة على بيان صحيح فى الكى والانخلاع (١) . وتظهر براعته فى وصف الأمراض ، ويعرف بتحليلاته فى الورم الحزمى والالتهاب النامورى والشلل المعوى والشلل البلعومى (٢) .

وقام الدكتور بارافاكى Paravaci بمساعدة طبيب يهودى يدعى يعقوب بترجمة الكتاب إلى اللاتينية سنة ١٢٨١ م نقلا عن ترجمة عبرية ، وذلك ليستفيد من الكتاب دندولو Dandolo دوق البندقية (٣) وطبع بها سنة ١٤٩٠ ثم أعيد طبعه مراراً بعد ذلك .

ومن الكتب الطبية الإسلامية التى استفاد منها الأفرنج فى نهضتهم الأخيرة كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » لأبى القاسم الزهراوى ويمتاز عن سواه بالقسم الجراحى الذى ترجم إلى اللاتينية سنة ١٤٥٣ ، كما ترجم إليها مرات غيرها ، وطبعت ترجمته الأولى فى سنة ١٤٩٧ م ، وأحسن ترجمة له طبعت فى بال سنة ١٥٤١ .

وقد نشر القسم الجراحى من كتاب الزهراوى Channing فى اكسفورد فى القرن الثامن عشر ونشرت صور الآلات الجراحية كما رسمها الزهراوى .

---

(١) لوبون ص ٥٢٧ .
(٢) لوبون ص ٤٩٢ .

---

(١) لوبون ص ٤٩٢ .
(٢) ول دورانت فى قصة الحضارة ص ٣٣٠
(٣) خودا بخش ص ١٨٢ .

وأحدث طبعة للكتاب كانت سنة ١٨٦١م
وأبو القاسم الزهراوي المتوفى سنة ١١٠٧م هو أشهر جراحي العرب، وتخيل أبو القاسم كثيراً من آلات الجراحة ورسمها في كتبه، ووصف أبو القاسم عملية سحق الحصاة في المثانة على الخصوص فعدت من اختراعات العصر الحاضر على غير حق.

ولم يعرف أبو القاسم في أوربه إلا في القرن الخامس عشر، وذاع صيته فيها، قال العالم الفزيولوجي الكبير هالر: «كانت كتب أبي القاسم المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر (١)».

وأشهر مؤلفاته «التصريف لمن عجز عن التأليف»، وهو ينقسم إلى ثلاثة أبواب: الباب الأول في مسائل الكي والباب الثاني في العمليات التي تحتاج إلى المبضع وفي جراحة الأسنان والعيون والفتق والولادة وسحق الحصاة في المثانة، والباب الثالث في الكسر والانخلاع، وعلى ما في هذا الكتاب من ضعف في التقسيم نرى ما فيه من المعارف العلمية دقيقاً جداً.

ويعتبر كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» موسوعة طبية جامعة ارتفع بها الزهراوي إلى مرتبة أبقراط وجالينوس.

وقد ترجمه إلى اللاتينية جيراردو الكريموني (كريمونا في إيطاليا) تحت عنوان Alsaharavius أو Açaravius ونقله إلى العبرية «شم طب»، ونشرت الترجمة اللاتينية على مراحل ففي سنة ١٤٧١ طبع منها كتاب الخادمين Liber Servitoris وموضوعه تحضير الأدوية المفردة. وفي سنة ١٥١٩ طبع «كتاب النظر والعمل Liber Theorical et Practical» ثم طبع الجزء الثلاثون باسم «الجراحة» Chirurgia وهو أهم جزء في الكتاب وطبع ككتاب جراحي في الطب فهو يحوي رسوم الآلات الجراحية، وقد جعل من الجراحة علماً قائماً بذاته مستقلا عن فروعه الأخرى، وأقامها على أساس تشريحي. وبذلك يكون قد وضع أسس الجراحة في العصر الحديث.

وقد ألحق الجراح الفرنسي جي دي شولياك (١٣٠٠ — ١٣٦٨ م) النسخة اللاتينية بأحد مؤلفاته (١).

واكتشف ابن النفيس الذي عاش في دمشق في منتصف القرن الثامن الهجري الدورة

---

(١) جوستاف لوبون في حضارة الإسلام ص ٤٩٠.

(١) Meyerh of Legacy of Islam P. 331.

الدموية، وإن كان بعض الغربيين (١) ينسبها إلى وليم هارفى (١).

وقد أثبت العلماء الغربيون أنفسهم أن أطباء الإسلام هم أول من استعمل الكاويات فى الجراحة وأول من وجه النظر إلى شكل الأظافر فى المصدورين، وكشفوا علاج اليرقان والهواء الأصفر، وعالجوا الجنون بمقادير كبيرة من الأفيون، وقطعوا النزيف بصب الماء البارد، وأعادوا الكتف المخلوع بالطريقة المعروفة فى الجراحة الآن برد المقاومة المفاجئ، ووصفوا إبرة الماء الأزرق وهو قدح العين (٢)، وأشاروا إلى عملية تفتيت الحصاة (٣).

وأطباء الإسلام هم أول من استعمل المرقد (البنج) فى الطب(٤). يقال إنهم استخدموا له الزوان أو الشيلم، وأول من استخدموا الخلال المعروف عند الأطباء.

وتنطوى وصايا مدرسة ساليرم على نصائح فى علم الصحة، ولا أحد يجهل أن هذه المدرسة التى عدت أول مدرسة فى أوروبا زمنا طويلا، مدينة للعرب بشهرتها، ذلك أن النورمان لما استولوا على صقلية وعلى جزء من إيطاليا فى أواسط القرن الحادى من الميلاد، أحاطوا مدرسة الطب التى أنشأها العرب بما أحاطوا به المعاهد الإسلامية من الاعتناء الكبير، وأن قسطنطين الإفريقى، الذى كان من عرب قرطاجة، عين رئيسا لها، وأنه ترجم أهم كتب العرب الطبية إلى اللغة اللاتينية، فاقتطفت من هذه الكتب وصايا مدرسة ساليرم التى ظلت سبب شهرتها الفائقة زمنا غير قصير (١).

هذه هى حال العرب فى الطب فى العصور الوسطى أحب أن أختتمه بحال أوروبا فى العهد نفسه من الناحية الطبية، قاصا على القارىء نصا من كتاب الاعتبار لإسامة بن منقذ. قال معرفا بالصليبين (٢) (ومن عجيب طبهم أن صاحب المنيطرة كتب إلى عمى يطلب منه إنفاذ طبيب يداوى مرضى

---

(١) لمحة عن تاريخ الطب ليلاكسلاندستيز ص ٣٨ و ٣٩ - ترجمة الدكتور أحمد زكى الحكيم ضمن مجموعة الألف كتاب.

(٢) عملية استخراج الكترا كت من العين بالإبرة وقد برع فيها أبو القاسم الزهراوى.

(٣) Wuestenfeld Coschichte der Arabischen Aerzte und Natur - Farschur. Gotlingen. 1840.
Lucien Leclerc, Histoire de la Médicine Arabe.

(٤) ابن خلكان ج ١ ص ٣١٢.

(١) لوبون ص ٤٩٣.

(٢) ص ٩٩.

حضارة اليمن في عهد دولة سبأ

للأستاذ محمد علي حيدر

ذكر القرآن الكريم دولة سبأ حينما تعرض لتصدع سد مأرب فقال تعالى :

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ... » .

فما هذه الدولة؟ وكيف نشأت وتطورت وما أهم ملامحها الحضارية ؟؟

لقد كان قيام هذه الدولة يعود إلى تلك الهجرات القبلية التى انثالت على بلاد اليمن وتمركزت بجوار دولة كانت آيلة للسقوط وهى « الدولة المعينية » وبعد أن أحست هذه القبائل بالقوة وأنها قادرة على إحداث نوع من التغيير فى السلطات الحاكمة أغارت على هذه الدولة وأسقطتها إلى الأبد وأقامت « دولة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

من أصحابه ، فأرسل إليه طبيبا نصرانيا يقال له ثابت فما غاب عشرة أيام حتى عاد فقلنا له : ما أسرع ما داويت المرضى ! قال: أحضروا عندى فارسا قد طلعت فى رجله دملة وامرأة قد لحقها نشاف فعملت للفارس لبيخة فتفتحت الدملة وصلحت وحميت المرأة ورطبت مزاجها فجاءهم طبيب أفرنجى فقال لهم: هذا ما يعرف شيئا يداويهم .

وقال للفارس : أيهما أحب إليك : تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين؟ قال : أعيش برجل واحدة ، قال أحضروا لى فأسا قويا وفأسا قاطعا فحضر الفارس والفأس وأنا حاضر فحط ساقه على قدمة خشب وقال للفارس: اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعها فضربه وأنا أراه ضربة واحدة ما انقطعت فضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق ومات من ساعته وأبصر المرأة فقال هذه امرأة فى رأسها شيطان قد عشقها : احلقوا شعرها فحلقوه وعادت تأكل من مأكلهم الثوم والخردل فزاد بها النشاف فقال : الشيطان قد دخل فى رأسها فأخذ الموسى وشق رأسها صليبا وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح فماتت فى وقتها فقلت لهم : بقى لكم إلى حاجة ؟ قالوا : لا . فجئت وقد تعلمت من ابهم ما لم أكن أعرفه ؟

د . مختار القاضى

سبأ ، التى كانت من أطول الدول التى تعاقبت على اليمن إذ استمر حكمها حوالى تسعة قرون (١٠٠٠ — ١١٥ ق٠م) ٠

وقد تمتعت بلاد اليمن بالوحدة الإقليمية فى ظل هذه الدولة فلم تكن هناك حدود فاصلة بين شمال اليمن وجنوبه مثل تلك الحدود المصطنعة التى نسج خيوطها الاستعمار فى العصر الحديث وامتدت حدود اليمن على طول تلك الجبهة الممتدة على طول المحيط الهندى جنوباً ، كما كان يحدها الحجاز من ناحية الشمال والبحر الأحمر من جهة الغرب . وكانت أم الأقاليم : حضرموت ، وعمان ، ونجران .. ومن أشهر المدن: صنعاء التى تعد من أقدم المدن فى العالم وسرواح إلى الشرق من صنعاء ومأرب التى اقترن اسمها بالسد المشهور فى التاريخ .

ولم يكن الشعب فى تلك الفترة يحيا حياة بدائية لم يتعرف فيها على آثار التقدم الاقتصادى والاجتماعى ولكنه أسهم بنصيب غير قليل فى هذا المضمار إذ اشتغل السكان بالزراعة والتجارة حتى أطلق المؤرخون على بلاد اليمن فى تلك الحقبة لقب (اليمن السعيدة أو اليمن الخضراء) وهذا التعبير إن دل على شىء فإنما يشهد إلى الماضى الحضارى الذى عاشته هذه البلاد .

فقد اعتمد الاقتصاد اليمنى على الزراعة التى كانت تمثل مورداً هاما من موارد الدولة فمع أن هذه البلاد لم تكن بها أنهار إلا أن الجبال المنتشرة فى كثير من أرجائها كانت تصد الرياح الموسمية مما نجم عنه نزول الأمطار التى جعلت الأرض تجود بالمحاصيل الزراعية التى من أهمها : البن والفاكهة والقمح والتوابل .

واحتكرت اليمن التجارة بين الشرق والغرب فكانت المنتجات الهندية تنقل إلى ساحل عمان ، ومنها كانت تنقل عن طريق البر إلى البحر الأحمر حيث يقوم اليمنيون بنقلها فى المراكب إلى مصر فيشتريها المصريون بأثمان مرتفعة . وكانت صعوبة الملاحة فى البحر الأحمر تجعل طريق البر مفضلا فى نقل التجارة صوب الشمال فكانت القوافل التجارية تبدأ سيرها من حضرموت وتتجه إلى مأرب ـ عاصمة سبأ ـ ومنها إلى مكة فالبتراء ثم إلى ساحل غزة على البحر الأبيض المتوسط .

وظلت التجارة تمثل عصب الحياة الاقتصادية لليمن إلى أن تحولت التجارة الهندية من الطريق البرى إلى الطريق البحرى على أيدى المصريين فى عهد البطالسة فقد قام البطالسة بمشروعات تجارية تهدف إلى الأخذ بنصيب كبير من التجارة الشرقية ومن أهم المشروعات التى قاموا بها فى هذا الصدد تعبيدهم الطريق

بين قنا والقصير وإعادة شق القناة التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر فصارت السفن تأتي من الشرق رأسا إلى مصر دون ما حاجة إلى وساطة اليمن وترتب على ذلك أن انتقل ما كان بأيدي اليمنيين إلى المصريين الذين أسهموا في ضرب الاحتكار التجاري لليمن وتدميره .

ونجم عن ذلك أن قلت إيرادات دولة سبأ ولم تعد تحتفظ بمنشآتها الهامة ومنها سد مأرب الذي أهمل وانتهى به الأمر إلى التصدع والانهيار ، وكان تصدع هذا السد الذي أقيم لأغراض اقتصادية (١١٥ ق . م) مؤذنا بانهيار اقتصاد دولة سبأ ، فهاجر كثير من السكان إلى الشمال بعد أن تغيرت بهم الأحوال وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتي « أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل » .

وكانت العلاقات السياسية بين دولة سبأ والدول المعاصرة تقوم على الصداقة والاحترام وأقدم إشارة تاريخية إلى هذا ترجع إلى تلك النقوش التي عثر عليها والتي تشير إلى أحداث وقعت فيما بين (٧٤٥ - ٦٨٠ ق م) ومن مراجعة هذه النصوص تبدو روابط الصداقة والود بين حكام دولة سبأ ، وأباطرة آشور .

ومن أشهر ملوك سبأ بصفة عامة ملكة سبأ التي ورد ذكرها في التوراة والقرآن الكريم فقد ورد في الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول في الآيات (من ١ - ٤) أن ملكة سبأ سمعت بخبر سليمان فأتت أورشليم (القدس) في موكب عظيم واختبرت سليمان ببعض الأمور فأخبرها بكل كلامها ولما رأت حكمته والبيت الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده ... آمنت بإله سليمان ، وعادت إلى بلادها بعد أن أبصرت أضعاف ما سمعت .

أما القرآن الكريم فيحكي تفاصيل زيارة هذه الملكة إلى سليمان ويتحدث عن أسبابها ونتائجها في الآيات (من ١٩ - ٤٤) من سورة النمل وخلاصتها : أن سليمان عليه السلام تفقد الطير فلم يعثر على الهدهد الذي كان من الغائبين ، ولم يمض زمن طويل حتى حضر الهدهد وذكر له أنه جاءه من سبأ بنبأ يقين ، وقال لسليمان : « إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم » ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » .

ولما علم سليمان بأخبار هذه الدولة التي تسيطر عليها امرأة قال : « سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين » ثم بعث بكتاب إلى هذه الملكة يدعوها للإسلام والطاعة ، فجمعت أولي الأمر في الدولة واستشارتهم قائلة : « أفتوني في أمري ما كنت قاطعة

أمراً حتى تشهدون » . فأجابوها بأنهم قوم أولوا بأس شديد وأن الأمر كله لها تصنع ما تشاء إزاء طلب سليمان .

واستشعرت الملكة القوة فى بادىء الأمر فقررت المقاومة وعدم الاستسلام أو الإذعان لسليمان لأن الملوك « إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » . وهنا لجأت إلى المهادنة فبعثت إلى سليمان بهدية على سبيل الإغراء فرفضها بإباء لأنه لم يرد عرض الحياة الدنيا وإنما يعنيه أن تنتشر مبادىء الإسلام ومن ثم قال لمن حملها إليه : « أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون » .

وحدث تطور خطير فى موقف سليمان وتبدل من اللين إلى القوة ومن الدبلوماسية إلى الاستعداد لإخضاع هذه الملكة التى لاح منها التمرد وعدم الاستجابة لمطالبه التى حددها بألا تعلو عليه وأن تأتيه مسلمة طائعة

وقد عبر القرآن عن أسلوب القوة الذى اختطه سليمان لنفسه فقال على لسانه :

« فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » ولم تجد الملكة طريقا إلا الاستجابة فحضرت صاغرة أزاء هذا التهديد وعندما أبصرت الصرح الذى شيده سليمان حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ثم انقادت وأسلمت لله رب العالمين .

ومن تدبرنا الآيات التى حكت زيارة ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام نستخلص الدروس والعبر الآتية :

(ا) كانت بلاد اليمن فى عهد دولة سبأ على جانب كبير من الغنى والثراء فقد وصف القرآن الكريم عرش الملكة بأنه « عرش عظيم » ولكن هذه الدولة لم تستطع الصمود أمام قوة سليمان وملكه .

(ب) ولم يعلم سليمان شيئا عن أحوال هذه الدولة التى كانت تعبد الشمس من دون الله إلى أن جاءه الهدهد فأخبره بها بدليل أنه قال له : « سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين » وهنا صمم على أن يدعوها للإسلام

(ج) أما الحكم فى هذه الدولة فكان يقوم على أساس الشورى فكان نظاما دستوريا أقرب إلى الديمقراطية منه إلى الدكتاتورية إذا لم تخضع الدولة لفرد واحد إرادته قانون ومشيئته نظام يحكم مايشاء ويفعل مايريد وإنما كان هناك نوع من تبادل وجهات النظر بين الحاكم والمحكوم وقد تجلت هذه الحقيقة من قولها لقومها : « أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون » فالملكة وهى رئيسة الدولة لم تبرم أمرا ولم تتخذ قرارا يمس كيان الدولة ومعتقداتها إلا بعد أن جمعت قومها واستشارتهم

عود إلى قضية السجع والقرآن والباقلاني

للدكتور عبد الرءوف مخلوف

نشرت لي المجلة الغراء - مجلة الأزهر - في أعداد شوال سنة ١٣٨٦ هـ، وجمادي الأولى ورجب من سنة ١٣٨٧ هـ. مقالات تحت عنوان «السجع والقرآن والباقلاني» خلاصتها أن السجع ظاهرة فنية في مجال اللغة العربية، إن لم يكن في مجال كثير من اللغات، وأنه يضفي على الأسلوب حين يحكم نسجه، ويتوفق فيه، صفته الفنية والبلاغة والجمال، حتى ليرقى به الأسلوب إلى درجة الإعجاز كما في القرآن الكريم.

وخلاصتها أيضاً أن الباقلاني - في كتابه «إعجاز القرآن»، لم يحالفه الصواب حين نفى أن يكون في القرآن سجع. وحين وضع له تعريفاً لا يتابعه عليه أحد، لأنه يرى أن السجع لا يكون إلا والمعنى يتبع اللفظ الذي يحقق التسجيع.

وفي عددي ذي القعدة وذي الحجة من سنة ١٣٨٧ هـ كتب السيد الدكتور محمد احمد الغمراوي تحت عنوان «قضية السجع ونظم القرآن» وقرر أن السجع في القرآن الكريم جزء من قضية النظم فيه، وقضية النظم هي قضية الإعجاز، وأنه ينبغي أن ينظر فيها في ضوء إعجاز الأسلوب في القرآن المجمع على إعجازه من قدامى المفسرين وعلماء البيان وعلماء الكلام.

ثم عرض سيادته للإمام أبي بكر الباقلاني وأنه جمع بين البصر بالكلام والبيان جميعاً، واستشهد على أنه من كبار علمـــاء البيان

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وحصلت على موافقتهم، وقد عبر القرآن عن هذا أدق تعبير حين اختار كلمته تملكهم ولم يقل تحكمهم لأن اللفظ الذي آثره القرآن يفيد الملك فقط دون التحكم والتسلط فهي إذن كانت تملك ولا تحكم.

وبعد فهذه ومضات سريعة وخاطفة من تاريخ اليمن وحضارته في الماضي البعيد تظهر بجلاء إلى أي حد أسهمت هذه البلاد في بناء الحضارة والرقي في ظل وحدتها الإقليمية وسيادتها على جميع أراضيها . .

محمد علي حيدر

« بأسلوبه وما ضمنه من قضايا بيانية » إلى مقدمة طويلة لا اختلاف عليها ، ولكنه خلص من ذلك كله إلى إنكارى على الباقلانى ما ذهب إليه فى قضية السجع .

وقرر الدكتور الغمراوى أنى فى إنكارى على الباقلانى رأيه فى السجع لم أحاكمه إلى تعريف السجع عند أهل عصره ، وإنما حاكمته إلى تعريف محدث يتسع ليجعل من كثير من القرآن سجعاً ، وقرر سيادته أنى بذلك خالفت ما اصطلح علماء البيان عليه فى السجع وأن ذلك يذهب بالضابط الذى كان معتبراً إلى اليوم فى تمييز السجع من غيره ..

ثم قرر أن الفن كالعلم يكون أرقى كلما كانت وسائل التمييز فيه أكثر وأدق ... وقرر أن إثبات السجع فى القرآن يخطر على بال المسلم الناشئ أو غير الناشئ مظنة التكلف فى القرآن ... وأن هذا قد يكون ثغرة يدخل منها الشيطان على المسلم فيشككه فى قرآنه أن يكون سلم من التحريف إن لم يكن وسيلة لتشكيكه فيه أنه من عند الله . . والشيطان من وراء الإنسان يحرك فيه الغرور والاعتزاز بنفسه الأدبية ..

ثم قص سيادته علينا قصة الشيخ الذى عرفه وموقفه من قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبيا » ... وكيف التبس عليه اتباع كلمة « رسولا » بكلمة « نبيا » .

ثم انتهى إلى أنى « كدت أنسب تكلف السجع للقرآن إن لم أكن نسبته فعلا» معتمداً على أنى قلت « إن القرآن يلجأ إلى الأسجاع ويعمد إليها ويقصدها » .

وقرر أنى « غفلت عن أن المتكلم فى القرآن هو الحق سبحانه ، فكل ما فى القرآن مراد بالبداهة لله عز وجل ، وليس هناك قصد ولا عمد إلى قول دون قول أو أمر دون أمر » . .

ثم ناقش الآيات التى استأنست بها فى إثبات السجع فى القرآن الكريم لينفى أن فيه أسجاعا فناقش آيات « موسى وهرون » وآية « فى جنات ونهر » وآية « ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى » الخ ... ما جاء فى المقالين مما لا تؤيده الدراسات الفنية المتصلة باللغة عامة وبالقرآن خاصة .

وبنا أن نناقش السيد الدكتور فيما أورد من مسائل وديا أقرر أنى أكن للإمام أبى بكر الباقلانى كل تقدير وإجلال لكثرة ما نافح عن الملة ، ودافع عن الإسلام ، غير أن ذلك الإجلال للعلماء لا يمنع أن يناقشوا فيما يذهبون إليه من قضايا حين تقوم الحجة على مخالفتهم ، ولا ينال ذلك من مقامهم ، أو ينتقص من مكانتهم .

وأول ما نقول للدكتور فى أمر تعريف السجع هو أن الباقلانى انفرد بذلك التعريف

وليس أحد من القدامى، ولا المحدثين يشترط في السجع أن يكون متكلفاً يتبع فيه المعنى اللفظ وفرق بين تعريف الظاهرة الفنية في ذاتها، وبين أن يسيء الناس استخدامها، ولا يتوفقون لتحقيقها على النحو السليم الذى يضفى على الأسلوب جمالا وفنية: إن العيب فى ذلك لا يكون عيب الظاهرة فى حد ذاتها، وإنما عيب الذين ينحرفون بها عما يجب أن تكون عليه، وعلى هذا فانحراف الكهان أو غير الكهان باستخدام ظاهرة السجع لا يثبت به أن السجع ظاهرة فنية سيئة أو مرذولة أو لا تكون إلا كذلك، وقد أدرك أبو هلال العسكرى - وهو معاصر للباقلانى ذلك فقال بعد حديث عن الازدواج: « وكذلك جميع ما فى القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج، مخالف فى تمكن المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق، ألا ترى أن قوله عز اسمه: « والعاديات ضبحا فالموريات قدحا، فالمغيرات صبحا، فأثرن به نقعا، فوسطن به جمعا » - قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى من مثل قول الكاهن: « والسماء والأرض، والقرض والفرض، والغمر والبرض » ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف » - يقول أبو هلال - وإذا سلم السجع من التكلف، وبرئ من التعسف لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه، وقد جرى عليه كثير من كلام النبى صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك قوله لما قدم المدينة: أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام. وكان صلى الله عليه وسلم ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ. واتباع الكلمة أخواتها كقوله: أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة؛ وإنما أراد ملمة ... قصداً للتوازن وصحة التسجيع. يقول أبو هلال: (فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف) ولابن الأثير مثل ذلك، وهو لاحق للباقلانى، وللجاحظ قريب من هذا وهو سابق على الباقلانى. فهؤلاء ثلاثة نفر، سابق ومعاصر ولاحق للإمام أبى بكر، كلهم لا ينكر السجع، ولا يعرفه تعريف الإمام، وإذن فحين استشهدت بتعريف الأستاذ الناقد الشاعر البليغ الذى يعتبر حجة فى فنون النقد لم أكن بذلك خالفت الكثير الغالب من القدامى والمحدثين، بل الإمام هو الذى تفرد بتعريف السجع على النحو الذى أنكرته عليه.

وعلى هذا لا يكون صحيحاً ما قال الدكتور الغمراوى من أنى أحللت تعريفا مستحدثاً محل تعريف الباقلانى - وإنما الذى أحللته هو تعريف يكاد يكون متفقاً عليه من رجال

البيان ، ولا نقول إن الباقلانى من رجال الكلام وإن كتب فى إعجاز القرآن .

أما قول سيادته : « لو استطاع الدكتور - يريدنى - أن يثبت أن السجع عند أدباء القرن الرابع لم يكن كما عرفه الباقلانى أو أنه خلا من التكلف فى ذلك فلم يكن للباقلانى أن يتخوف أو يخشى الشبهة من ناحيته على القرآن ، لكان قد ذهب بالمبرر الذى من أجله رأى الباقلانى أن يجل مقام القرآن عن أسلوب يكثر من أصحابه التكلف فيه ...

فإنى أقول : فى هذه العبارة أمران :

أولهما : الخلط بين تعريف السجع كظاهرة لغوية ، وبين استخدامات الكتاب للظاهرة ، ولا يحتج على الظاهرة بأن يسىء الناس استخدامها .

ثانيهما : أن الذى عليه أن يثبت إنما هو سيادته ، فعليه أن يدلنا على أحد - قديما أو حديثاً - وضع التكلف شرطاً فى تعريف الأسجاع ، وكيف أثبت أنا شيئاً هو فى ذاته منفى لا وجود له . وها قد قدمت من تعاريف معاصرى الرجل (ما لم نجد فيه اشتراط التكلف أو اشتراط تبعية المعنى للفظ .

وليس عجز من عجز عن المجىء بسجع برىء من التكلف مما يقوم حجة على رد السجع كأحد مظاهر الجمال ، والفنية فى الأسلوب حتى ليرقى به إلى حد الإعجاز كما فى القرآن الكريم ، وليس مجىء هؤلاء بكلام مسجوع متكلف مما يحمل على أن نضع التكلف قيداً فى قيود التعريف للكلام المسجوع - اللهم إلا أن يكون ذلك فى منطق الأستاذ الدكتور اتباعا للباقلانى الذى وضع نفسه فى موضع الشاذ بن النقاد بما قال فى الأسجاع .

وأما ما تعلق به الدكتور حين رآنى أقول : إن القرآن يلجأ إلى الأسجاع ويعمد لها ويقصدها ، وما بنى عليه من أنى غفلت عن أن المتكلم فى القرآن هو الحق سبحانه ، فسألة لا تستحق الوقوف عندها ، فما أشك أبداً أن المتكلم فى القرآن هو الله جل جلاله ولكنى جريت على ما يجرى عليه العرف اللغوى من صحة أن يقال : يقرر القرآن ، وينص القرآن ، ويحكى القرآن - إلى آخر أمثال هذه التعابير التى لا تخرج عن استخدام طريقة المجاز التى يستخدمها القرآن نفسه - ولا أقول يستخدمها الله - فى مثل قوله تعالى « واسأل القرية » وأظن السيد الدكتور يفضل أن نقول : يستعير القرآن كلمة كذا لكذا على أن نقول يستعير الله كلمة كذا لكذا ... وإن كان الفضل كله لله .

ومسألة أنى خالفت ما اصطلح عليه القدماء وأحللت محله تعريفاً مستحدثاً ، وإن فى ذلك ما يذهب بالضابط فسألة فيها نظر . فلو كان حتما الإبقاء على كل قديم مهما يكن نصيبه من الصحة لبقيت الأرض مسطحة لأن القدماء رأوها كذلك ، ولظلت الذرة لا تتجزأ لأن القدماء رأوها كذلك ، بل على مذهب

(البقية على ص ٣٨١)

ابن برى المصرى

من أعلام النحو واللغة فى مصر

للدكتور عبد العال سالم مكرم

كان ابن برى يعيش فى مصر فى ظل دولة بنى أيوب . وقد ورث بنو أيوب من الفاطميين الذين سبقوهم حبهم للمعرفة ، وتنافسهم فى طلب العلم . والحياة فى مجال البحث والدراسة .

وكان النحو فى مقدمة العلوم التى اهتم بها ملوك بنى أيوب ، لما له من فضل كبير فى تقويم الألسنة ، وفهم القرآن ، ومعرفة أسرار السنة ، فضلا عن أنهم أكراد ، واللحن فى ألسنتهم سليقة وطبيعة ، فرأوا أنهم أحوج إلى تعلم النحو واللغة ممن سبقهم من الفاطميين ليكونوا قريبين من الشعب العربى الذى يخضع لحكمهم .

وقد بلغ بالملك العزيز أن ينتقل لطلب العلم بين الإسكندرية والقاهرة ، ولا يجد حرجا فى أن يجلس مجلس التلميذ أمام معلميه . وكما أخذ هذا الملك الحديث فى الاسكندرية من الحافظ السلفى والفقه من أبى طاهر ابن عوف الزهرى أخذ النحو بمصر عن العلامة ابن برى النحوى [1] أما الملك الكامل . فإنه اشتهر بعلم النحو . وله فيه آراء وبحوث مما جعل العلامة ابن برى يمنحه إجازة فى هذا الفن [1] .

يقول صاحب النجوم الزاهرة « وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها فمن أجابه حظى عنده » [2] .

على أن هذه المنزلة التى وصل إليها الكامل فى علم النحو لم تصل إلى الدرجة الكبيرة التى وصل إليها أخوه الملك المعظم عيسى ملك الشام فى هذا المضمار ، فقد قرأ المعظم عيسى كتاب سيبويه على التاج الكندى ، وألم بشرحه الكبير للسيرافى ، وكتاب سيبويه مدرسة قائمة بذاتها ، فكل من فهم هذا الكتاب ، وركب هذا البحر ، ووقف على أسراره وغاص إلى درره كان حريا به أن يتصدر فى النحو ، وأن يكون علما من أعلامه ولم يقف أمر المعظم عند هذا الحد ، بل إنه نبغ فى القراءات ، والقراءات والنحو متلازمان فقرأ كتاب الحجة لأبى على الفارسى

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٦ صـ ١٢٧

(١) المرجع نفسه صـ ٢٢٧

(٢) المرجع نفسه ص ٢٢٧

على شيخه تاج الدين الكندى . وقرأ أيضا عليه كتاب « الإيضاح » لأبى على الفارسى حفظا (١) .

فى هذه الحياة الفكرية المتوثبة ، وفى هذه البيئة العلمية الناهضة فى مصر والشام عاش ابن برى يتأثر بما يحيط به من شتى ألوان المعرفة ، ويؤثر فى بيئته بما وصل إليه من نبوغ فى الدراسات النحوية واللغوية .

وابن برى شخصية لم تظفر بعد بالدراسة والبحث ، فحتى هذه اللحظة - على الرغم من تعدد البحوث فى اللغة والنحو والتراجم - لم أجد باحثا تناول هذه الشخصية الفذة بالبحث والدراسة .

ولعلى فى هذه الخطوط العريضة التى أرسمها لشخصية هذا الرجل ما ينير الطريق إلى علمه ، ويهدى الباحث إلى فضله .

١ — نسبه :

هو عبد الله بن برى بن عبد الجبار ، أبو محمد المصرى النحوى ، اللغوى ، وأصل أجداده من « القدس » (٢) واتفق المؤرخون على تاريخ ولادته فى سنة ٤٩٩ هـ (٣) .

(١) المرجع نفسه ص ٢٦٧

(٢) أنباه الرواه حـ ٢ ص ١١٠ القفطى

(٣) حسن المحاضرة (السيوطى) حـ ١ ص ٢٢٨ .

واتفقوا أيضا على تاريخ وفاته فذكروا أنه توفى فى شوال ٥٨٢ هـ .

٢ — ثناء العلماء عليه :

قال عنه أبو المحاسن فى « نجومه » : « كان بارعاً فى علم النحو والعربية ، وكان حجة ثقة (١) وقد تحدث عنه القاضى الأكرم فى « أخبار النحاة » فقال عنه : « لقد شاع ذكره واشتهر أمره ، ولم يكن فى الديار المصرية مثله (٢) .

٣ — مصادر دراسته : -

قرأ ابن برى العربية على مشايخ عصره من المصريين أو القادمين على مصر ، فنبغ نبوغاً كبيراً واستطاع أن ينفرد بالنحو واللغة فى عهده (٣) .

ولعل نبوغ ابن برى فى النحو يرجع إلى أنه قرأ كتاب سيبويه ، وفهم علله ، فضلا عن دراسة الكتب النحوية التى شاعت فى عصره دراسة مستفيضة مكنته من أن يكون أمام هذا الفن ، مما جعل الخلفاء يستعينون به فى ديوان الإنشاء ، فكان إليه التصفح فى هذا الديوان ، فلا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملك من ملوك النواحى

(١) النجوم الزاهرة حـ ٦ ص ١٠٣

(٢) معجم الأدباء حـ ١٢ ص ٥٦

(٣) أنباه الرواه حـ ٢ ص ١١٠

إلا بعد أن يتصفحه ، ويصلح ما فيه من خلل خفى [١].

٤ — شيوخه : ـ

من شيوخه الذين كان لهم أثر كبير فى تكوينه النحوى أبو طالب عبد الجبار ابن محمد المعافرى المغربى ، كان إماماً مجتهداً فى اللغة والأدب واستقل عليه ببغداد خلق كثير ، وانتفعوا به ، ولما عرف أن فى مصر دولة تشجع العلم وتكافىء عليه وتقدر النحو وتهب الجوائز للنابغين فيه أقبل إليها ودخلها فى سنة ٥٥١ هـ وقد تتلمذ عليه فيها أبو محمد عبد الله بن برى [٢] .

ولابن برى شيخ آخر ، تلقى عليه علم العربية . وهو محمد بن عبد الملك الشنترينى أحد أئمة العربية ، والمبرزين فيها ، وقد قرأ عليه ابن برى ، وله من المؤلفات النحوية كتاب « تلقيح الأعـــراب فى عوامل الإعراب » [٣] .

٥ — تلاميذه : ـ

ولهذه المكانة التى وصل إليها ابن برى قصده الطلبة من كل مكان ليأخذوا عنه علوم النحو واللغة .

وقد انتفع بعلمه عدد كثير من هؤلاء التلاميذ الذين أصبحوا فيما بعد أعلاماً فى هذا الفن ونجوما فى سمائه .

قال صاحب الإنباه : إنه ربّى جماعة من تلاميذه متصدرين متميزين [١] .

وقد كان ابن برى يعرف لجامع عمرو قدره وأنه المدرسة الأولى التى أضاءت لمن حولها منذ الفتح الإسلامى ، فاختاره ليكون مقر دراسته لهذا الفن ، فكان التلاميذ يردون إليه ويشربون من رحيق علمه (لأنه كان متصدراً بهذا المسجد [٢] .

وقد انضم إلى حلقة ابن برى فى مسجد عمرو ملوك مصر وأمراؤها ، وقد قدمت سابقاً أن الملك الكامل كان تلميذا لابن برى ، وأنه تلقى عليه علم النحو واللغة ، ونبغ فيهما وأجازه ابن برى لنبوغه [٣] .

وقد سمع الملك العزيز بمصر النحو من العلامة أبى محمد بن برى النحوى [٤] .

ومن أشهر تلاميذ ابن برى الذين كان لهم أثر مشكور فى علم النحو ، وجهد مذكور فى علم اللغة والقراءات ، أبو موسى الجزولى .

وكان أبو موسى إماما فى النحو ، ملما بدقائقه

---

(١) الإنباه ج ٢ ص ١١٠

(٢) وفيات الأعيان (ابن خلكان) ج ٢ ص ٣٨٤

(٣) بغية الوعاة (السيوطى) ص ٦٨

(١) الإنباه ج ٢ ص ١١٠ .

(٢) معجم الأدباء ج ١٢ ص ٥٦ .

(٣) النجوم ج ٦ ص ٢٢٨ .

(٤) النجوم ج ٦ ص ١٢٧ .

دخل الديار المصرية ، وقرأ على الشيخ أبى محمد ابن برى ، ويظهر كما يحدثنا الرواة أنه قرأ عليه كتاب (الجمل للزجاجى)[١] وكتاب (الجمل) فى نظر علماء مصر لا يقل أهمية عن كتاب سيبويه ، فطالما اشتغل علماؤهم به شرحا ودرساً ، وتعليقاً ، وقد قالوا عنه : إنه من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا انتفع به ويقال : إنه ألف بمكة المكرمة . وكان إذا فرغ مؤلفه من باب طاف أسبوعاً ودعا الله سبحانه أن يغفر له ، وأن ينفع به قارئه[٢]

وشهرة الجزولى فى النحو ترجع إلى كتابه (المقدمة) الذى سماه (القانون) واشتهر فيما بعد (بالجزولية) .

وقد أتى فى هذه المقدمة بالعجائب ، وهى فى غاية الإيجاز مع الاشتمال على كثير من النحو ، ولم يسبق إلى مثلها ، وقد بلغ بالنحاة الذين لم يكونوا قد أخذوها عن موقف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده فيها فإنها كلها رموز واشارات[٣] ويظهر أن هذه المقدمة إجابات نحوية لابن برى عن كثير من المشكلات النحوية التى كان التلاميذ يوجهونها إلى أستاذهم ، وهو يقرأ لهم الكتاب لسيبويه (وقد نتجت فوائد من هذه جهة

(١) وفيات الأعيان ج٢ ص١٢٠ طبع بولاق

(٢) كشف الظنون ج ١ نهر ٦٠٣ .

(٣) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٠ .

المناقشات والمسائل النحوية فنقلها الجزولى مفردة فجاءت كالمقدمة فيها كلام غامض وعقود لطيفة ، واشارات إلى أصول صناعة النحو غريبة ، فنقلها الناس عنه ، واستفادوها منه)[١] .

ولشهرة هذه المقدمة ، وتسابق العلماء على شرحها ، وفهم أسرارها وحل غامضها ، واشتهر بها الجزولى فسميت بالجزولية .

ومع هذه الشهرة فإن الجزولى كان متديناً ورعا ، فكان إذا سئل عنها : هل هى من صنعك ، ومن تأليفك ، قال : لا ، لأنه كان يعلم أنها من : « خواطر الجماعة عند البحث ومن كلام شيخه ابن برى »[٢] ، فلم يشأ أن ينسبها إلى نفسه ، وإن كان له فيها فضل الترتيب والتنسيق .

على أية حال كانت ، فإن أثر ابن برى فى تلميذه الجزولى أثر كبير ، دعاه إلى أن يسجل عنه كل ماله من آراء . ولما عاد إلى المغرب اشتهرت مقدمته هناك ، وتسابق الطلاب على درسها وفهمها ، وأخذ النحو عنها ، وأقام بمدينة « بجاية » زمنا طويلا ، والناس يشتغلون عليه ، لأنه كان متصدراً فى الجامع للإقراء ، ولدراسة النحو ويبدو أنه يدرس مقدمته ، ويشرحها لتلاميذه ،

(١) المصدر السابق .

(٢) وفيات الأعيان . ج ٢ ص ١٢٠

فقد ذكر ابن خلكان أنه تصدر فى الجامع للإقراء ، وأنه شرح مقدمته فى مجلد كبير أتى فيه بغرائب وفوائد [1] وإن كان الجزولى أشهر تلاميذ ابن برى ، فإن لابن برى تلميذاً آخر غطت شهرته على الجزولى لبراعته فى النحو ، ولكثرة تأليفه فيه ، صاحب الألفية المشهورة التى سجلها ابن مالك فى مقدمة ألفيته حيث قال :

وهو بسبق حائز تفضيلا
مستوجب ثنائى الجميلا
والله يقضى بهبات وافرة
لى وله فى درجات الآخرة

ذلك هو العلامة (يحيى بن معطى) وإن لم يتتلمذ على ابن برى إلا أنه أخذ عن تلميذه الجزولى ، وكانت روح ابن برى العلمية فى الجزولى ظاهرة واضحة ، بل إن المقدمة التى اشتهر بها هى من وحى أستاذه ابن برى .

وإذا كان يحيى بن معطى قد درس هذه هذه المقدمة على أستاذه الجزولى فمن غير شك أقرر أنه أخذ عن ابن برى من طريق غير مباشر .

٦ — كتبه ومؤلفاته :

أما كتب ابن برى ومؤلفاته ، فقد تحدث عنها صاحب الإنباه فقال : « وكانت كتبه

(١) المصدر السابق .

فى غاية من الصحة والجودة ، وإذا حشاها أتى بكل فائدة » [1] .

ويمكن لنا أن نفسر جودة كتبه ودقتها ، بأن حبه للتخصص ، وولعه بالعمق فى بحوثه جعلت كتبه فى غاية من الدقة ، كاملة فى الجودة ولهذا السبب لم تكثر تصانيفه لأن كثرة التصانيف قد تبعد عن الجودة .

لهذا فإن صاحب الإنباه يقرر : « أنه كان قليل التصنيف لم يشتهر له سوى مقدمة سماها « اللباب » ، وجواب المسائل العشر ، وحاشيته على كتاب الصحاح » [2] .

٧ — أخلاقه :

ينسب إليه بعض المؤرخين أنه كان مع علمه وغزارة عقله ذا غفلة [3] .

وقال عنه ابن العماد : « كما يلبس الثياب الفاخرة . ويأخذ فى كمه العنب والبيض فيسقط على رجله ماء العنب ، فيرفع رأسه ويقول : العجب إنما تمطر مع الصحو » [4] .

وفى نظرى ، أن هذه فرية نسبت إلى الرجل من غير وجه حق ، لأن ذكاءه ، وغزارة عقله ويقظة فكره التى شهد له بها

(١) الإنباه ج ٢ ص ١١١ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) معجم الأدباء ج ١٢ ص ٥٦ .
(٤) شذرات الذهب لابن العماد ج ٢ ص ٢٧٣ .

المؤرخون تحول بينه وبين الوقوع فى هذا السخف وكيف يجوز فى المنطق ، ويثبت فى العقل أن رجلا يثق فيه خلفاء الدولتين فيتولى ديوان الإنشاء للمراقبة النحوية فى عهد الفاطميين .

ويجلس ملوك بنى أيوب فى حلقته كما يجلس التلاميذ ، ثم تصدر منه هذه الأعمال الصبيانية التى إن دلت على شىء ، فإنما تدل على تفاهة العقل ، وبلادة الحس والإدراك .

وقد تنبه إلى هذه الفرية صاحب « الإنباه » فنفاها عنه وأنصف الرجل وأعطاه حقه من الإجلال ، حينما قال : « ويحكى عنه حكايات فى التغفل أجله عنها وعن ذكر شىء منها » .

ولا أدل على مكانة الرجل بين قومه أنه لما حضرته الوفاة ، وعرضت كتبه للبيع حضرها الجم الغفير من الإجلاء بمصر فى ذى القعدة سنة ٥٨٢ هـ .

ومن غير شك أن تهافت هذا الجم الغفير على كتبه دليل ملموس على قيمة هذه الكتب التى تضمها مكتبته ، ومنزلة هذا الرجل فى نفوس مواطنيه ، لأن حفظ آثاره ، والتنافس على اقتنائها دليل الحب والتقدير ؟

د . عبد العال سالم على مكرم

(بقية المنشور على صفحة ٣٧٥)

الدكتور يحب أن يتوقف البحث ، ويجمد كل شىء على ما هو عليه ، وكأن الكلمة الأخيرة قد قيلت فى كل شىء ، وكأنما صدقت كلمة من قال : لم يترك الأول للآخر شيئاً !!

وظنى بالسيد الدكتور لا يرى ذلك بل هو بتتبعه لى لا يرى ذلك . وإذاً لا أكون أتيت أمراً إدا حين أعدت النظر فيما قال الباقلانى ، وحين نقضت عليه تعريفه للسجع .

وأما أن الأمر أمر القرآن وإعجازه فإن إثبات السجع فيه - وهو ثابت - إنما يؤكد قضية الإعجاز حين ترى عجز كثير من أهل الفصاحة والبيان عن أن يأتوا فى إنتاجهم إلا بسجع متكلف ، بينما يأتى القرآن منه بما يفوت قدر البشر ، ويتجاوز طاقاتهم ، الأمر الذى يثبت معه أنه تنزيل من حكيم حميد . .

وإذاً فلا خوف على القرآن ، وإعجازه حين نقرر أن فيه من ظواهر اللغة الفنية ظاهرة السجع ، وأنه تهدى فيها إلى ما لم يتهد له إنسان . وتلك هى السبيل إلى إثبات الإعجاز بمعنى عجز البشر عن أن يأتوا بمثله . وما أمر السجع إلا كأمر الاستعارات ، والتشبيهات ، وجميع مظاهر الفنية اللغوية ، كلها موجود فى كلام البشر ، وموجود فى القرآن الكريم ، ولكنها فى القرآن على نحو ، وعلى منهج ، وعلى نمط لا يتطلع إليه إنسان . فما بال الباقلانى يفرد السجع بالرد دون غيره من الفنون والظواهر الأخرى على بعد ما بينها من حيث الفنية والتهدى إلى حسن الصنعة فى القرآن وفى كلام الناس !! (الحديث موصول)

د . عبد الرءوف مخلوف

أدب ونقد :

شعراء عرفتهم
٢- حسن جاد

للدكتور عبد الرحمن عثمان

فى المقال السابق أشرنا إلى أن فن الشاعر حسن جاد قد تحدد فى ثلاث مراحل ؛ وفى كل مرحلة كان يتميز شعره بمزايا فنية تكاد تطبعه بطابع جديد ، حتى لكأنه لون مختلف كل الاختلاف عن اللونين اللذين نراهما فى المرحلتين الأخريين ؛ وذلك أمر طبيعى حين يخضع الشاعر لهواتف نفسه ، ويستجيب لدواعى انفعاله ، وحين يصيخ للظروف المحيطة به ويتحرك فى إطارها . واختلاف الفن الشعرى فى المراحل التى يجتازها الشاعر لا يمتد أثره إلى الأصالة الفنية التى هى صفة ملازمة لا تفارق صاحبها مهما عرض له من تأثر بفعل البيئة أو تعاقب الأحداث ، لأن الأصالة الفنية تستمد بقاءها من الملكات الثابتة التى هى وليدة « الميل المثقف » أو الموهبة البصيرة .

ويجب أن يكون واضحاً فى هذا المقام أننا نقصد بالتغيير الذى يطرأ على فن الشاعر ذلك التغيير الذى نراه فى الاتجاه بإيثار نغمة على أخرى تحت تأثير ظرف عارض أو حادث ملح ، ولا يمكن أن نقصد به تغييراً يطرأ على الجوهر أو يتناول الأصول الفنية الثابتة .

فالمرحلة الأولى التى عبرها شاعرنا تتمثل فى أيام دراستنا فى الكلية وفى الدراسات العليا وهى فترة تزيد قليلا على عشرة أعوام متصلة أحسب أنها كانت من أنضر أيام الشاعر وأغناها بالابتسام والمرح على ما كان يتخللها من جهامة فى العيش وشح فى الموارد ، ونضوب فى أوجه الرزق ، وكنا نغالب هذا الضيق الذى كثيراً ما تضيق حلقاته بمرح غير مصنوع واستعلاء غير مفتعل ، ورضاً لا نجد بعضاً منه الآن ونحن فى يسر من الرزق !! ، وذلك هو سر الشباب الذى كان يمسح على فاقتنا بابتسامته العذبة ومرحه القوى .

لقد كنا نتسامع بالمال ولا نجده ، وكنا نقرأ عن الثراء ونفتقده ، وكان الشاعر المرحوم عبد الحميد الديب معنا فى هذه الفترة يغنينا كل ليلة وهو يبكى بمحنته فنضحك سعداء بحظنا فى العيش ، ونحمد الله على أننا نتجه إلى هدفنا العلمى بخطى ثابتة وعزم لا يفتر

فلقد كنا نتعزى عن الظفر بالمال بما أصاب الذيب من الإملاق ..!! أو عسانا كنا نتعلل بالأماني حين نفرغ من دراستنا الأخيرة لنستقبل الحياة بعدها أساتذة فى الكلية كما كانت تبشرنا به قوانين دراساتنا العليا حينذاك .

وفى هذه الحياة الساذجة المرحة ، ومن هذا اللون الجميل الحالم ، فاضت الينابيع الثرة فى صديقنا الشاعر حسن جاد ، وجرى فنه وغناه يهمس بأفراح الحياة ، ويتجاوب بالفرح والبهجة ، وكانت بصاحبنا مقدرة على صنع المواقف الضاحكة حين تعز المواقف أو تبطئ فهو يختار نماذجه من زملائه فى الفصل الدراسى ويجعل منهم موضوعا لشعره الضاحك الفكه .

فهذا زميلنا المرحوم إبراهيم محمد جاد يزعم لنا أنه أشعر شعراء الكلية ، ومازال نكيل له المدح ونطرى شعره حتى يستجيب إلى رغباتنا ويستهجن شعر حسن جاد فى عبارات تتصايح حولها بالإعجاب والثناء ، وفى الوقت نفسه نتعمد إنشادها أمام حسن لنثيره على إبراهيم ، وبهذا يجد شاعرنا موضوعاً طريفاً يقول فيه شعراً هو أحلى ما نقرأ من دعابات الشعر الحديث .

فإذا ما قرب وقت الانتخابات النيابية أشار شاعرنا على غريمه الذى يمتاز بسلامة الصدر وسرعة التصديق لكل ما يقال أن ترشحه الكلية فى دائرة « حديقة الحيوان » أو « سوق الخضار » فى العتبة ، ويؤكد له أن نجاحه فى المعركة « مضمون » بفضل مؤازرة إخوانه فى الإشادة بخصاله حين يخطبون جمهور الناخبين ... !! ؛ وفى هذا الموقف اللطيف يقول شاعرنا :

ترشح « إبراهيم جاد » ولو شطا
ونفديه حتى لو غدا بيننا قطا
ضمنا له فوزاً على كل نائب
متى اشترطوا فيه القراءة والخطا
سيكسب أصوات الدجاج بأسرها
فإن هى لم تسعفه لم يعدم « البطا »
إذا ما أشاروا بالبنان لنائب
أشرنا لإبراهيم بالأصبع الوسطى

• • •

والجمال الرائع يكمن فى البيتين الثانى والرابع فإن فيهما من بديع الصنعة وحلو الفكاهة وخفة الروح ما يشير إلى صفاء الحس واستقامة الطبع والابتسام للحياة ، فقد كان شاعرنا فى ذلك العهد خفيف الظهر قليل الهموم متفائلا لم تؤرقه أحداث الحياة بعد .

إن بواكير شاعريته تبدو ناضجة فى هذه المرحلة نضجا قوياً . ونضجها يرجع إلى تمكن الشاعر فى أصول صناعة البيان ، والتمرس بنماذجها العالية ، ويرجع كذلك إلى ما اختص به صاحبنا من دقة الحس

ولطف الشعور، وبهذه الموهبة وذلك التمكن جاءت بواكير فنه شهية المذاق ساحرة المنظر سريعة التأثير فى نفوس القراء والسامعين على السواء.

ونحن إذا تتبعنا فى دراسة نقدية نماذجه الشعرية المبكرة نجد فيها استقصاء الخاطرة على نحو يذكرنا بطريقة الشاعر ابن الرومى، ونحس معها بما نحسه حين نقرأ للبحترى روائعه الفاتنة الآسرة، ونشعر تجاهها بذلك الشعور الذى يستولى علينا ونحن نسمع قصائد مهيار الديلمى صاحب الطريقة السهلة فى ترسل وانسياب، ولكننا مع توفر هذه المزايا فى شعر حسن جاد لا نستطيع أن نرجعها إلى رذيلة التقليد، إذ من الظلم أن نغفل مزاياه الذاتية التى يجهر بها شعره فنرميه بتقليد ابن الرومى والبحترى ومهيار، لأن التقليد سبيل العاجز، وصاحبنا ـ على تأثره بفن هؤلاء الشعراء الكبار ـ صاحب طريقة لا تشتبه بطرائق الآخرين وإن التقت ببعضها فى إطارها العام، وقصيدته التى عنوانها: «أكول» تصلح شاهدا على ما نذهب إليه فى كل ما عرضناه:

«أكول»

استجرنا بالله منه أكولا
عمرك الله، هل رأيت الغولا؟

تفزع الأرض والخلائق منه
مثلما يفزعون من «عزريلا»

أتراه من قوم يأجوج وافى
بعد ما هد سدهم وأميلا؟

هو إن قام كان هيكل رضوى
وإذا سار خلته أسطولا

لا يرى غير آكل فى صباح
أو مساء، أو حامل مأكولا

لم ينم عمره حفاظا على الأكل
وخوفاً من نومه أن يطولا

وإذا ما عراه إغماء سقم
شمموه «كوارعا» أو بقولا

قد علا بطنه فصار كحبلى
ذات تسع تجن فى البطن فيلا

وبدا فى شمالها رأس دب
يتردى ما يشبه «الزمبيلا»

شق فيه فم «كخزان أسوان»
وإن عز أن يكون مثيلا

يسع الضرع فى نواحيه والزرع
وتبدو فى ماضغيه قليلا

وله لحية «ككنسة» الشارع
تحوى قمامة وفضولا

شيبت فرعها هموم طعام
ما نراه بغيره مشغولا

يرحم الله بلدة وسعته
سوف يفنى بأرضها المحصولا

فالشاعر فى هذا النموذج قد تعمق الفكرة وأحاط بجوانب الأكول إحاطة مستقصية ، فقد جعله آكلا فى طرفى النهار ، وحاملا « مأكولا » فيما بينهما ، وليست هناك صورة أكمل من هذه الصورة يظهر لنا حرص ذلك الأكول على الطعام ، فإذا نام خشى أن يطول نومه فيحول بينه وبين رغبته المتجددة فى الأكل ، على أن هموم الطعام وشغفه به يشيب ناصيته إذا شابت نواصى الآخرين من المعارك التى يغشونها لبلوغ آمالهم فى الحياة العزيزة الماجدة .

وإذا كان أعذب الشعر أكذبه كما يقال ، فإن أعذب كذب نراه لحسن جاد فى وصفه لوليمة بخيل استضافه هو وأصدقاؤه ، فقد عمد إلى التجنى على المضيف ونعته بالسرقة والكزازة حتى تبرز الصورة على أتم ما يكون الوضوح ، يقول الشاعر :

وذى شح يداريه
ويستحيي من الشح
ويستجدى الثناء كسائل
مضنى من البرح
أقام اليوم مأدبة
لينعت بالفتى السمح
وقضى الليل يحسبها
تكاليفاً إلى الصبح
فمن طرح إلى جمع
ومن جمع إلى طرح

رويدك نحن نخشى أن
تحاسبنا على الملح
فلم تغرم لنا شيئا
سوى ماء بلا رشح
بيوت القرية انفرحت
مآقيها من النوح
على ما ضاع من « وز »
وما قد طار من « بج »
وست الدار قد سرقت
دجاجتها من السطح
وأم الخير قد شقت
ملابسها من « الردح »
إذا أقسمت لى حقا
بلا من ولا شرح
بأن الأكل من حل
فقد أعفيك من قدحى

* * *

وما أظن فى هذه القصيدة إلا أن صاحبنا الشاعر كان وهو ينظمها يحاول فى أصالة وصدق أن يجرى مع ابن الرومى فى افتراءاته وتزيده على الناس ، والحق أنه استطاع بهذا التجنى أن يجاذب أبا الحسن طرف الثوب ، وأن يمضى معه فى كذب عذب وخيال جموح ؟

الدكتور

عبد الرحمن عثمان

ما يقال عن الإسلام

أول ترجمة لاتينية للقرآن

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لم يظفر كتاب بمثل ما ظفر به القرآن من احتياط ، يحفظ نصه ، ويمنع تبديله .

فهو كتاب منزل على نبيه ورسوله محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، مصدقا لما أنزل من قبل من كتب سماوية . حرفت مع الأسف ونبه القرآن على تحريفها ، وذكر اختلاف اليهود والنصارى فى التوراة والأنجيل وحين كثر قتل المسلمين الذين يحفظون القرآن فى صدورهم . جمع القرآن فى صحف عند حفصة زوجة النبى ، احتفظت به فى خلافة أبى بكر ثم طلبه عثمان بن عفان وأمر بنسخ أربعة مصاحف وزعت على الأمصار ، ولا يزال القرآن حتى اليوم محفوظا فى الصدور مرتلا بالأفواه ، ومسموعا فى كل مكان ، ومسطرا على الأوراق .

وانتشر الإسلام بسرعة مذهلة ، شرقا وغربا ، من حدود الصين إلى شواطىء المحيط الأطلسى ، وبلغ الأندلس ، وشمال إفريقية فضلا عن الشام ، وآسيا الصغرى . وفارس والهند ، وأفغانستان . ومعنى انتشار الإسلام انتشار القرآن فى الوقت نفسه ، لضرورة حفظه وتلاوة ما تيسر منه فى الصلاة المفروضة وقد سمى القرآن بالنور ، وسمى بالهدى ، ومن أقوال الرسول عليه السلام أنه ترك للمسلمين أمرين لن يضلوا ما استمسكوا بهما كتاب الله ، والسنة .

ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى ، وانتشر وتمت الفتوحات فى القرن الثامن ، وازدهرت الحضارة الإسلامية فى القرنين التاسع والعاشر ، ثم بدأت أوربا تستيقظ من سبات الضعف والجهالة ، ومواجهة الخطر الداهم الوافد من الشرق . وهداها التفكير إلى أن السر فى عظمة الإسلام ، يتمثل فى الكتاب الذى يؤمن به المسلمون ، وهو القرآن سبب هدايتهم . وعلة تماسكهم . وعندئذ بدأت أولى المحاولات لترجمته ، ومعرفة مضمونه ومن هنا جاءت أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم .

ولم يكن من الميسور أن ينهض شخص واحد بإجراء هذه الترجمة . فقد بدأت فى أول الأمر عملا جماعيا يشترك فيه بضعة أشخاص ومن الملاحظ كذلك أن ترجمة القرآن

كانت جزءا من الحركة العامة لترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية فقد تحققت هذه الترجمة بالفعل فى أسبانيا حيث كانت مركز حركة النقل .

كان الحافز لترجمة القرآن ماحث عليه الأب راهب ديركايني ، المسمى بطـــرس الفاضل Pierre le venerable (ولدسنة ١٠٩٢ وتوفى سنة ١١٥٦م) . وكليني (Cluny) من قرية باللوار فى فرنسا ، ولا تزال موجودة ، وهى بقايا أبرشية كليني ، دير للبند كتهن أسسه وليم الأول سنة ٩١٠ ميلادية . وسافر بطرس راهب دير كليني من فرنسا إلى أسبانيا فيما بين السنوات ١١٤١ - ١١٤٣ ورأس هيئة للقيام بترجمة القرآن . وأكبر الظن أن المطران ريموند الطايطلى رئيس أساقفتها هو الذى عاونه فى ذلك . أما هيئة الترجمة فكان على رأسها روبرتوس وتنسيس الانجليزى (Robertus Retensis) ، والذى كان يشغل فى ذلك الوقت منصب رئيس شمامسة بامبلين (Pampelune) ، وكان يساعده شخص يدعى هرمان الدلماسى .

كان هذان الكاتبان عالمين باللغتين اللاتينية والعربية ، ويبدو أن مهمتهما إلى جانب الكتابة إبداء الرأى فى تفسير بعض الآيات الصعبة الفهم . ولكن المترجم الحقيقى هو بطرس الطليطلى ، الذى كان فى أكبر الظن عربياً مسلماً ارتد عن الإسلام ، ولذلك لم يكن يتقن اللاتينية إتقانه اللغة العربية ، مما دفع بطرس الفاضل أن يضم إليه معاوناً آخر ، يسمى أيضاً ، بطرس ، من دير كايني ، كانت مهمته أن يصقل أسلوب الترجمة بعبارة أخرى إن الهيئة كانت مكونة من خمسة أشخاص لكل منهم دوره ، على النحو التالى :

(١) بطرس الفاضل ، رئيس هيئة الترجمة .
(٢) روبرتوس الإنجليزى ، شماس كاتب يعرف اللاتينية والعربية .
(٣) هرمان الدلماسى ، شماس كاتب ، يعرف اللاتينية والعربية .
(٤) بطرس الطليطلى ، عربى مرتد عن الإسلام ، وهو المترجم الأصلى .
(٥) بطرس الكليني ، يهذب العبـــارة اللاتينية .

• • •

كانت الغاية من هذه الترجمة أن تكون بين أيدى الصليبيين لتوجيهها ضد المسلمين ، لم تكن الترجمة مقصوداً بها الدقة والأمانة ونقل نص من لغة إلى لغة أخرى لمعرفة روحه ومعانيه ، بمقدار ما كان الغرض منها تلمس مطاعن ضد الإسلام ، وإثارة دعاية معادية له . ولذلك وجهت الترجمة إلى القديس برنارد ، قبل القيام بالحملة الصليبية الثانية .

كان القديس برنارد (Saint Bernard)

(١٠٩١ — ١١٥٣) راهباً فرنسياً ولد بفونتين على مقربة من ديجون ، وأصبح رئيس دير كليرفو (Clairvaux) وفيما بين سنتى ١١٣٠ و ١١٤٥ أنشئ زهاء تسعين ديراً على نسق دير كليرفو ، حتى أصبح أثر برنارد عالميا . ومن المشهور أنه أنشأ فرسان المعبد ، وكان للقديس برنارد نفوذ فى انتخاب البابا أنوسنت الثانى ، الذى أصدر أمراً بقيام الحملة الصليبية الثانية ، والتى التحق بها لويس السابع ، ولكن فشل الحملة كان سبباً فى التعجيل بوفاته .

وحيث كان الهدف من ترجمة القرآن ما ذكرناه آنفاً ، فلم يكن من الغريب أن تسوقها النوايا العدائية ، كما زخرت بكثير من الأخطاء وسوء الفهم ، وقد صدرت من تلك الترجمة عدة نسخ لتكون بين يدى المبشرين المسيحيين ورجال الدين .

وللمرء أن يتساءل أكانت أولى تلك الترجمات ترجمة بمعنى الكلمة للقرآن ؟ .

للجواب عن ذلك لا يتردد الباحث فى الحكم عليها بأنها لم تكن ترجمة بمعنى الكلمة لسببين ، الأول أن النص اللاتينى بعيد الشبه عن النص العربى ، والثانى أن كثيراً من الأجزاء لم تكن أكثر من تلخيص .

وعلى الرغم مما فى تلك الترجمة من قصور وانحراف وأخطاء ، فإن العالم المسيحى ظل يعتمد عليها زهاء خمسة قرون من الزمان ، فهى التى قدر لها أن تصبح معروفة فى أوربا فى العصر الوسيط ، وأن تستخدم ويرجع إليها إما مباشرة ، وإما بطريق غير مباشر ، فى المجادلات الموجهة من المسيحيين ضد المسلمين ، والتى لم يقدر لها أى نجاح . بل إنها سادت كذلك فى عصر النهضة .

ذلك أن تلك الترجمـــة هى التى نشرها بليباندر (Bibliander) فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٥٤٣ ، فى كتاب له عنوان طويل ، ويشتمل على هذه الترجمة مع نصوص أخرى ، منها ما هو ضد الإسلام ومنها ما هو معه ويبدأ العنوان بقوله مبادئ محمد العربى Machumetis Saracenorum Principis وهو عنوان طويل نجتزئ منه بالألفاظ الثلاثة الأولى . وقد نشرت من هذا الكتاب طبعة أخرى فى سنة ١٥٥٠ .

ويعتقد المستشرقون الذين بحثوا تاريخ ترجمة القرآن أن الترجمة الإيطالية التى قام بها أندريا أرفابينى (Andrea Arrivabene) بعنوان « قرآن محمد » (L'Alcorano di Macometto) والتى ظهرت سنة ١٥٤٧ ، إن هى إلا نقل إلى الإيطالية من النص اللاتينى لروبرتوس رتنسيس .

أما الذين يذهبون إلى أن أرفابينى لم ينقل عن روبرتوس ، فيعتمدون على العنوان

الفرعى لكتابه ، والذى يقول فيه إنه ترجمة جديدة من العربيـــة إلى الإيطالية (Tradotto nuavamente dall'Arabo in Italiana) وينبغى أن نضيف أيضاً أن كتاب أرفابينى كان يشتمل إلى جانب ترجمة القرآن على سيرة محمد ، وعلى بدء التاريخ الإسلامى ، وبعض النظرات إلى بؤس الرقيق المسيحيين على أيدى الأتراك ، وأخيراً تحليل للقرآن . وقد نقل كتاب أرفابينى إلى الألمانية بعنوان «قرآن الأتراك» (Der Türken Alcoran) باعتبار أن المسلمين المتصدرين زعامة الإسلام فى نظر الغرب كانوا الترك . وطبع بنيرنبرج سنة ١٦١٦ ، وفى طبعة ثانية سنة ١٦٢٣ .

تغيرت الظروف التاريخية ، فبعد أن كان العرب هم أول من دعا إلى الإسلام ونشره فى ربوع العالم المعروف ، إذا بالأتراك العثمانيين يحملون راية الإسلام فى مواجهة أوربا ابتداء من القرن الخامس عشر . والإشارة السابقة إلى قرآن الأتراك ، يفسرها هذا التحول التاريخى . الواقع أنه جرت اتصالات فى أوائل القرن الخامس عشر بين أوربا المسيحية والشرق الإسلامى ، وبخاصة نحو مدينة القسطنطينية التى أصبحت أشبه بجزيرة مسيحية تعيش فى بحر إسلامى يعمر مياهه وأمواجه الأتراك العثمانيون . وبإزاء خطر وقوع القسطنطينية فى أيدى المسلمين فكر المسيحيون فى التقارب بين الكنيستين الشرقية فى القسطنطينية والغربية فى روما ، مما دفع بشخص يسمى نقولاس دى كوزا إلى الذهاب فى بعثة إلى القسطنطينية سنة ١٤٣٧ والذى يهمنا فى أمر نقولاس هو ترجمته للقرآن ، ولكن لا بد لنا لكشف الغطاء عن حقيقة هذه الترجمة من أن نعرف بنقولاس أولا ، وبالظروف التاريخية والسياسية التى أحاطت به ثانياً .

ولد نقولاس (N icolaus) بمدينة كوزا على مقربة من تريف سنة ١٤٠١ ، وتوفى سنة ١٤٦٤ ، درس الحقوق بهيدلبرج ، وتعلم الرياضيات واللغة العربيـة ، ونال إجازة الدكتوراة فى بادوا سنة ١٤٢٤ . ثم دخل السلك الكهنوتى . واشترك فى المجمع المسكونى الذى عقد فى بال (بسويسرا) سنة ١٤٣١ . ثم أرسل إلى القسطنطينية فى بعثة بابوية لمحاولة إقناع أمبراطورها وبطريقها بالحضور إلى روما . ورسم سنة ١٤٤٨ كاردينالا وعاش يحلم بالتوفيق بين المسيحيين والأتراك المسلمين ولكنه فشل فى مهمته نظراً للخلاف التاريخى بين هـذه الشعوب . ومن آرائه الفلسفية أن "طبيعة الإنسانية إلهية ، وأن الإنسان مركز الكون ، وأن الإنسانية سائرة فى طريق التقدم العلمى . وله مؤلفات غزيرة يهمنا منها كتابه « القرآن فى الميزان » .

« القرآن في الميزان » (Cribratio Alchorani) ، كتبه صاحبه في أثناء سفارته إلى القسطنطينية للتقريب بين الكنيستين. وكان الغرض الذي يبغيه نقولاس من قوله « القرآن في الميزان » بحكم العنوان اللاتيني ، الذي يعني الفحص النقدي ، أو التصفية ، ليس طعناً في القرآن كغيره من كتاب العصر الوسيط ، بل محاولة دقيقة للتمييز في القرآن بين العناصر المسيحية وغير المسيحية. وبدلا من رفض القرآن جملة وتفصيلا أراد نقولاس أن يميز بين كلام محمد الذي يتلقى الوحي من الله ، وكلامه هو ، أي بين الوحي وغير الوحي.

وهذه الفكرة ، أو هذا الطعن ، ليس جديداً. فهو مذكور في القرآن ، حين اتهم العرب النبي أن القرآن ليس وحياً من عند الله وإنما هو نظم شاعر. وقد رد الله تعالى على هذه المفتريات بما لا حاجة للإطالة فيه أما القول بأن بعض ما فيه متفق مع ما جاء في التوراة والإنجيل ، فهذا شيء لم ينكره الإسلام ، لأنه جاء مصدقاً لكلام الرسل من قبل.

ويترتب على ذلك فرية ثالثة قالها العرب في أثناء نزول القرآن ، ورددها المسيحيون في جدلهم الديني ضد الإسلام ، ونعني بها أن محمداً استقى معلوماته الدينية من يهود أو نصارى ، وأن تعاليم الإسلام الواردة في القرآن محرفة عن التوراة والإنجيل ، فيكون الإسلام فرقة دينية نشأت عن النصرانية واختلفت عنها في بعض تعاليمها. وهذا الاتهام مذكور في القرآن ، ومردود عليه بأن لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين. وقد ذهب يوحنا الدمشقي في القرن الثامن الميلادي إلى أن الإسلام « بدعة » مسيحية. وإلى مثل ذلك يذهب نقولاس دي كوزا فيقول إن محمدا بدأ من موقف مسيحي ، على يد معلمين من النساطرة ، وتأثر إلى جانب ذلك بتأثيرات يهودية ، ثم تطور ليستخدم قوته النامية فإذا كان الإســـــلام في نظر نقولاس نسخة محرفة من المسيحية فإن عودة الإسلام إلى المسيحية يصبح أمراً مفهوما. وهذا يفسر لنا كيف أرسل البابا بيوس الثاني خطابا إلى السلطان محمد الثاني يدعوه إلى اعتناق النصرانية ، وأن يرأس الكنيسة الشرقية في القسطنطينية ولكن السلطان لم يهتم حتى بالرد على هذا الخطاب.

ويعنينا الآن أن نذكر رأي نقولاس في القرآن ، نلخصه فيما يلي ، ونذكر المصادر التي اعتمد عليها في معرفته بالقرآن وترجمته له وأخيراً نرد على هذه المسائل رداً موضوعيا فنقول عن النقطة الأولى.

يذهب نقولاس إلى أن دوافع محمد كانت حسنة ، وكانت عينه متجهة صوب الطريق إلى الله ، وهو الطريق الذى تجلى لموسى وعيسى ولقد سعى محمد أن يهدى الوثنيين إلى هذا الطريق . وكان القرآن الذى بشر به كتابا له قيمة دينية أصيلة ، يشتمل على الحق : لأنه متأثر بالتوراة والإنجيل ، وإذا كان فيه أمور خارجة عما جاء فى العهد القديم والجديد فليس لهذه الأمور قيمة كثيرة .

وقد انحرف محمد عن الإنجيل فى رأى نقولاس لأسباب ثلاثة : الاول تضليل مقصود من القساطرة واليهود ، والثانى مدبر بغية تعليم العرب الأميين ما يلائم تفكيرهم ، والثالث تضليل لخدمة أغراضه الخاصة أو مصالحه السياسية . وخلاصة ما يراه أن القرآن مزيج من الحق والباطل ، ولذلك وجب استخلاص عناصر الحق من القرآن .

أما عن النقطة الثانية ، وهى مصادره التى رجع إليها ، فهى أولا ترجمة القرآن التى قام بها بطرس الفاضل ، كما يذكر فى مقدمة كتابه وكانت تلك الترجمة زاخرة بالأخطاء بحيث شوهت الأصل وحرفته .

وهناك مصدر ثان إلى جانب تلك الترجمة وهو كتاب ريكولدوس (Ricoldus) المسمى الدفاع عن الإيمان ، والذى ألفه هذا الراهب الدومنيكى ، ونشره سنة ١٣١٠ ، وطبع بفنيسيا سنة ١٦٠٩ . رحل ريكولدوس ، وأصله من فلورنسا إلى الشرق عدة مرات ، وعاش زمنا فى بغداد ، وكان يعرف العربية وينقل بعض آيات من القرآن بدقة ، وكان يعرف الإسلام معرفة جيدة أكثر من معرفة أى كاتب آخر فى العصر الوسيط . ومن هذا المصدر استقى نقولاس معلوماته .

ولما كان نقولاس لا يعرف العربية ، فلم يتسنى له الاطلاع على القرآن إلا فى مترجمات جافة شوهته وأفقدته الروح . ولا غرو فإن معجزة القرآن فى لغته وبيانه وبلاغته ، ولذلك فإن رأيى الذى أعلنته مراراً ولا أزال أتقيد به وأدافع عنه أن القرآن لا يترجم .

هذا فضلا عن أن التراجم التى رجع إليها نقولاس دى كوزا لأنها لم تكن دقيقة فقد غيرت المعنى .

والخلاصة أن القرآن الكريم الذى نزل بلسان عربى مبين لا يمكن أن يترجم ، وقد كانت أول ترجمة لاتينية له مشوهة محرفة ضللت كثيراً من الكتاب والمفكرين طيلة ستة قرون من الزمان على الأقل .

أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١)

للشيخ أحمد بن مصطفى الشهير « بطاش كبرى زاده »
المتوفى سنة ٩٦٨ هـ — سنة ١٥٦١ م

للأستاذ محيي الدين الألوائي

إن الأمة العربية والإسلامية ، تعيش اليوم حاضراً حافلا بالتطورات والتقلبات العصرية وتستشرف آفاق التقدم والنهضة فى جميع المجالات ، وتتطلع إلى مستقبل مشرق ، ينفق وحضارتها العريقة القائمة على الرسالات السماوية التى أنارت للبشر طريقهم السوى إلى سعادتى الدنيا والآخرة . وكل أمة فى محاولتها الدائبة للتقدم ، وفى سعيها المتواصل للرقى لابد لها أن تلقى بأنظارها ، حيناً فآخر ، إلى ماضيها المجيد ، تستفيد منه العبر المؤثرة لتكون لها نبراسا ينير الطريق فى الظلام الحالك إلى المستقبل الذى ترنو إليه . واليوم يهتم العالم بالحياة العقلية لدى العرب والمسلمين ، وبالتراث العربى والإسلامى ، لمقارنة هذا التراث بما عند الأمم الأخرى من حضارة وتراث . .

وإن كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » هو موسوعة فى « موضوعات العلوم » بمعنى أنه يشتمل على تفاصيل كثيرة عن كل علم من العلوم ، كما أنه موسوعة فى تاريخ العلوم العربية وفى تراجم عدد كبير من الأشخاص والمؤلفين ، وقد ألف هذا الكتاب فيما بعد غزو المغول للعالم الإسلامى وتدميرهم لبغداد ، وفى خاتمة عصر النضج فى الحياة العقلية عند المسلمين . وفى ضوء هذه الاعتبارات يعتبر هذا الكتاب أهم مصدر للحياة علمية لعلماء

---

(١) طبع بحيدر آباد (جـ ١ — ٢) فى سنة ١٣٢٩ هـ . ثم أعيد طبعه بالقاهرة سنة ١٩٦٨ م فى أربع مجلدات (طبع دار الكتب الحديثة) مع مراجعة وتحقيق الأستاذين : كامل كامل بكرى ، وعبدالوهاب أبو النور .

المسلمين ، كما أنه يرسم ملامح الحياة العقلية عند المسلمين ويحفظ معالمها فى أبهى صورها .

إن المهتمين بالتراث العربى وحضارة الأمة العربية الإسلامية يجدون أنفسهم أمام حقيقة واضحة تسبب لهم الكثير من بواعث التأمل العميق . فإن الإسلام قد ظهر وما هى إلا فترة قصيرة حتى شمل شبه الجزيرة العربية جميعاً ، فلم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وأعلام الإسلام ترفرف على أنحاء شبه الجزيرة ، ثم خلفه خلفاؤه الذين حفظوا الدين والدنيا ، فإن هى إلا فترة وجيزة أخرى حتى رأينا الإسلام يخضع أعظم الامبراطوريات التى عرفها العالم القديم ، فبينما كان جنود الفتوحات يفتحون البلاد للدعوة الإسلامية ،كان جنود العلم يدونون العلوم المختلفة ويضعون القواعد ويرسونها لأقوى نهضة فكرية علمية عرفها تاريخ البشرية حتى عصرهم .

ولما قارب القرن الثانى الهجرى على الانتهاء كانت العلوم العربية - جلها أو كلها - قد وضعت أصولها ومبادؤها وبنيت دعائمها على أسس متينة ، فتوسع نطاق نشاط العرب فى العلوم اللغوية والدينية ، وفى علوم الفلسفة بمختلف شعبها وفى علوم الطب والرياضيات والكيمياء والهندسة وغيرها . وأن حضارة فكرية تبلغ هذه الدرجة فى تلك الفترة القليلة لهى حضارة جديرة بالبقاء ، وقائمة على مقومات خاصة جعلتها تسبق حواجز الزمن لكى تصل إلى مدارج الكمال . وكيف وصلت النهضة الفكرية العربية إلى هذه الدرجة بهذه السرعة ؟ فالشئ الذى يلفت النظر فى هذا المضمار ، هو أن الإسلام دين علم وحضارة ، وأنه قد أمد أتباعه بطاقة روحية جعلت منه ثورة حقيقية فى جميع مناحى الحياة ، وهو إلى جانب ذلك دين إيمان وعمل يجمع بين الحماس الروحى والإخلاص السلوكى ، كما أنه دين يخاطب العقل ويقبل الاجتهاد ويدعو إليه ويعطى العقل حرية التفكير والعمل ، ويمنح المجتمع الحرية الفكرية التى هى دعامة الرقى العلمى .

ولقد حث الإسلام على طلب المعرفة وعلى العلم والتعلم ، وأن « المدينة المنورة » كانت منشأ الحركة العلمية الأولى فى تاريخ الإسلام . وكان الدافع إليها الحماس الدينى للمحافظة على كتاب الله وسنة رسوله . فنشأ علمان رئيسيان من العلوم العربية هما علم التفسير وعلم الحديث ، فهما أيضاً كانا سبباً فى نشأة علوم العربية والإسلامية الأخرى . ولما تفرق الصحابة فى شتى أنحاء البلاد بعد فتحها أمام الدعوة الإسلامية ، كانوا نواة للمدارس العلمية التى تأسست فيها مع أن المساجد كانت هى مراكز الحياة التعليمية فى جميع البقاع وفى القرن الثانى الهجرى دونت

أصول جميع العلوم العربية الإسلامية ، كما بدأت فيه أيضا حركة ترجمة العلوم الأجنبية من فلسفة وطب ورياضيات وكيمياء وفلك وهندسة ، ثم أثمرت هذه الحركة ثمرتها اليانعة حين بدأ علماء العرب يؤصلون المبادئ ويضعون القواعد ، ويؤلفون ويعلمون لهذه العلوم حتى نشأ فيهم الفلاسفة والأطبـاء والكيميائيون وغيرهم ، وأضافوا إلى الحضارة الإنسانية والنهضة الفكرية تراثا ضخما فى هذه العلوم ، وكان إسهامهم فيها طوراً طبيعيا أسلم إلى حضارة النهضة الأوربية الحديثة وسببا لها .
وجدير بالذكر أن المنهج العلمى التجريبى والتراث العلمى ، اللذين ابتكرهما العرب ، هما اللذان مهدا للحضارة الغربية الحديثة ، باعتراف كل المنصفين من المستشرقين وغيرهم . .

وفى القرنين الثالث والرابع وصلت العلوم العربية إلى عصر النضج وكثرت المؤلفات والمترجمات كثرة جعلت ابن النديم يؤلف كتابه المشهور (الفهرست) ليكون بمثابة موسوعة تسجل المؤلفات فى كل علم من العلوم .
ومن الناحية الزمنية فتفصل ستة قرون بين « ابن النديم » وبين « طاش كبرى زاده » فإذا سجل لنا كتاب « ابن النديم » الحياة العقلية للمسلمين حتى وقته تسجيلا حاضراً بحيث أمدنا بمعلومات قيمة عن الكتب العربية والمترجمة فى جميع العلوم فإن « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » لطاش كبرى زاده ، يقدم لنا موسوعة فى تاريخ العلوم العربية ، مرتبة وفقا لنظام تصنيف للمعرفة البشرية ، ومبينة أهم المؤلفات فى كل علم من العلوم المعروفة فى عصره .

ومن أراد أن يطلع على عظمة الحضارة العربية والتراث الإسلامى ، وعلى مدى التقدم الذى وصلا إليه ، فعليه أن يقرأ هذا الكتاب فسوف يعرف عن الأمة العربية وحضارتها فى ظل الإسلام الشىء الكثير . ونستطيع أن نتبين مقصد المؤلف من تأليف هذا الكتاب من عبارته الآتية : إن العلوم مع تكثر فنونها وتعدد شجونها منحصرة فى أربعة أنواع ، وذلك أن للأشياء وجوداً فى أربع مراتب : فى الأعيـان ، وفى الأذهان ، وفى العبارة ، وفى الكتابة . فالعلوم المتعلقة بالأول من حيث حالها فى نفس الأمر هى العلوم الحقيقية التى لا تتبدل باختلاف الأزمان ، وتجدد الملل والأديان ، وهذه تسمى علوما حكمية ، إن جرى الباحث عن أحوالها فيها على مقتضى عقله ، وعلوما شرعية ، إن بحث عنها فيها على قانون الإسلام والعلوم المتعلقة بالثانية هى العلوم الآلية المعنوية : كالمنطق ونحوه والعلوم المتعلقة بالأخيرين ، هى العلوم الآلية : اللفظية والخطية . وهذه هى العلوم المعتبرة فى ديننا ، هذا لورود شريعتنا هذه على لسان العرب

وعلى كتابته . ثم إن الثلاثة الأخيرة من هذه الأنواع لا سبيل إلى تحصيلها إلا الكسب بالنظر . وأما النوع الأول منه . فقد يتحصل بالنظر ، وقد يتحصل بالتصفية [١] » .

وبعد هذه المقدمة يقول المؤلف : « واعلم أن تحصيل العلوم لما لم يكن إلا بتصورها إسما ورسما وموضوعا ونفعا ، أحببنا أن نبين فى هذه الرسالة الأمور المذكورة فى كل علم أصلا وفرعا ، ونبين أسماء الكتب المؤلفة فيها وأسماء مؤلفيها ، ليكون عونا فى تحصيل العلوم وترغيبا فى طلبها وإرشاداً إلى طرق تحصيلها » . ثم يوضح الغرض من ذكر المؤلفين : « فلمعرفة مناقبهم وأحوالهم ليستفاد بذلك فى تأديب النفس بآدابهم ، ولمعرفة مراتبهم وعصورهم لإنزالهم منازلهم وإعطائهم حقوقهم ، وذكرهم أيضا نوع من الوفاء بحقوقهم لأنهم السلف والأئمة ، كما يستفاد بمعرفتهم فى الأخذ برأى أورعهم إذا تعارضت الأقوال [٢] » .

وبعد بيان مقصده من تأليف الكتاب يشرع المؤلف فى حصر العلوم على الإجمال ثم يفصلها . وأن الكتاب بصفة عامة ذو هدف تربوى . ويتضح هذا الهدف من مقدماته الأربع القيمة فهى : ١ - فى بيان فضيلة العلم والتعلم والتعليم - ٢ - فى شرائط المعلم ووظائفه ٣ - فى وظائف المعلم - ٤ - فى بيان النسبة بين طريق النظر وطريق التصفية . وأن المقدمات الثلاث الأولى بمثابة المنهج التربوى عند العلماء المسلمين ، كما أنها تتضمن مبادئ علمية وأسس المنهج العلمى الحديث . ثم يقسم المؤلف كتابه إلى طرفين ، فالأول فى الإرشاد إلى كيفية تحصيل طريق النظر ، والطرف الثانى فى العلوم المتعلقة بالتصفية . ويشتمل الطرف الأول - حسب تقسيم المؤلف - على ست دوحات : - ١ - فى بيان العلوم الخطية - ٢ - فى علوم تتعلق بالألفاظ ٣ - فى علوم باحثة عما فى الأذهان من المعقولات ٤ - فى العلم المتعلق بالأعيان - ٥ - فى الحكمة العملية - ٦ - فى العلوم الشرعية . وأما الطرف الثانى فيتضمن الدوحة (٧) وهى فى العلوم المتعلقة بالتصفية التى هى ثمرة العلم بالعمل .

وطريقة المؤلف فى ذكر المؤلفات ، أن يبدأ بالمؤلفات الأصلية ثم المختصرات والشروح ، وحينما يذكر الكتاب ، يتحدث عن مؤلفه ويبين أهمية هذا الكتاب ومكانته بين الكتب الأخرى فى الموضوع الذى يتناوله . وقد فصل المؤلف تفصيلا واسعاً فى العلوم العربية والإسلامية . ففى الدوحة الثانية ، تناول علوم اللغة العربيـــة ، وفى السادسة العلوم الشرعية ، وهكذا . ولقد

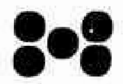
(١) جـ ١ - ص ٦٨ .

(٢) جـ ١ - ص ٧٣ .

نتج فى النهاية ما يزيد على ثلاثمائة علم . وإن نظرة عامة على تصنيف « طاش كبرى زاده » تلقى ضوءا على تراث العرب والمسلمين الفكرى فى زمنه لكى نقارن هذا التراث الفكرى بالتراث الفكرى الأوربى فى ذلك العصر ، بل وبعده بقرون . وبعبارة أدق أن هذا الكتاب مرآة تعكس فيها المعرفة البشرية جميعا حتى عصره . وإذا سرح المرء ببصره ليرى ماذا فعل العرب والمسلمون بتراثهم الضخم الثمين الحى ، وماذا فعل الأوربيون بتراثهم المتناثر الواهى ، فيشعر بالألم فيحس بالدهشة .

وأن التمسك بأمجاد هذا التراث والعودة إلى قواعده كفيل لأن يعطى العالم العربى والإسلامى دفعة إلى الأمام ، فإن رائده فى هذه الدفعة دين الله الذى أنزله لسعادة البشرية فى دنياها وأخراها . . فطرة الله التى فطر الناس عليها . . لا تبديل لخلق الله ... ولن تجد لسنة الله تبديلا .

محيى الدين الألوائى



يقول الله تعالى :

« وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور »

(فاطر : الآية ١٩ – ٢٢)

أنباء وآراء

المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية :

● ينعقد في القاهرة في الفترة من ٥ رجب سنة ١٣٨٨ إلى ٢ شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٨ إلى ٢٤ من أكتوبر سنة ١٩٦٨ م .

المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وقد تلقت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية موافقة أكثر من اثنتين وثلاثين دولة إسلامية أسيوية وأفريقية وأوربية . تشترك في المؤتمر بوفود من علماء المسلمين ومفكريهم ، وسيعقد المؤتمر على فترتين الأولى وتستمر عشرة أيام ويشترك فيها الأعضاء الوافدون مع السادة أعضاء مجلس المجمع من داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها ، وتكون اجتماعاتها بقاعة الاجتماعات بمبنى محافظة القاهرة بميدان الجمهورية ، وتعقبها مباشرة الفترة الثانية وتستمر أسبوعين وتقتصر عضويتها على السادة أعضاء مجلس المجمع ويتولى رئاسة المؤتمر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر بالتناوب مع فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر ، ويتولى أمانة المؤتمر فضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

برنامج المؤتمر :

● الجمعة ٥ رجب سنة ١٣٨٨ هـ يلتقي علماء المسلمين الأجلاء في رحاب الجامع الأزهر الشريف لأداء فريضة صلاة الجمعة السبت : حفل الافتتاح بقاعة مجلس محافظة القاهرة بميدان الجمهورية بالقاهرة حيث تعقد الفترة الأولى للمؤتمر وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد تبدأ مناقشة البحوث المقدمة للمؤتمر وسيعقد المؤتمر جلستين يوميا الأولى صباحية في تمام الساعة العاشرة صباحا والثانية مسائية في تمام الساعة السادسة مساء

وفيما يلي أبحاث الفترة الأولى حسب ترتيبها في البرنامج .

١ — مكانة القدس في الاسلام لفضيلة الشيخ عبد الحميد السائح

٢ — مكانة بيت المقدس في الاسلام للأستاذ عبد الحميد حسن

٣ — مكانة بيت المقدس فى الاسلام
للدكتور اسحاق الحسينى

٤ — دور اليهود فى العدوان على قاعدة الاسلام فى المدينة
للدكتور عبد العزيز كامل

٥ — موقف اليهود من الإسلام والمسلمين فى العصر الأول
لفضيلة الشيخ عبد الله المشد

٦ — موقف اليهود من الإسلام والمسلمين ونبى الاسلام فى زمن النبوة الشريفة
للأستاذ محمد عزه دروزه

٧ — المسلمون ومشكلة فلسطين
للأستاذ عبد الله كنون

٨ — موقف اليهود من الإسلام والمسلمين فى العصر الأول
للأستاذ محمد طه يحى

٩ — اليهود من كتابهم المقدس « أعداء الإنسانية »
للشيخ كمال أحمد عون

١٠ — إرادة القتال فى الجهاد والإسلام
للواء محمود شيت خطاب

١١ — الجهـــاد
الشيخ محمد أبو زهرة

١٢ — الجهـــاد
للدكتور عبد الحليم محمود

١٣ — الجهاد فى الاسلام
للشيخ عبد الله غوشه

١٤ — الجهاد فى سبيل الله
للشيخ حسن خالد

١٥ — الاسرائيليات فى التفسير والحديث
للدكتور محمود يونس

١٦ — الإسرائيليات فى التفسير والحديث
الشيخ محمد حسين الذهبى

هذا وبعد انتهاء المناقشات للبحوث الختامية للفترة الأولى يوم الأحد ١٤ من رجب سنة ١٣٨٨ الموافق ٦ من أكتوبر سنة ١٩٦٨م لاعلان التوصيات والقرارات .

وتبدأ الفترة الثانية للمؤتمر يوم الأربعاء ١٧ رجب سنة ١٣٨٨ هـ بقاعة مجلس المجمع بإدارة الأزهر وتناقش فيها الأبحاث الآتية حسب ترتيبها فى البرنامج :

(١) جمع القرآن وتدوينه
للشيخ على الخفيف

(٢) ذكرى نزول القرآن وتحقيق فى تاريخه
للأستاذ عبد الله كنون

(٣) القرآن وجمعه
للدكتور إبراهيم اللبان

(٤) نشأة الفقه الاجتهادى وأطواره
للشيخ محمد على السايس

(٥) نظرة إلى العقوبة فى الإسلام
للشيخ محمد أبو زهرة

(٦) التربية الخلقية والاجتماعية فى السنة النبـــوية
للأستاذ عبد الحميد حسن

(٧) شخصية المسلم
للدكتور عبد الحليم محمود

وتنتهى الفترة الثانية يوم الخميس ٢ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٤ من أكتوبر سنة ١٩٦٨ حيث تعلن قرارات المؤتمر وتوصياته :

● سددت الجمهورية العربية المتحدة نصف القرض السوفيتى الأول الخاص بأعمال السد العالى والذى تبلغ قيمته ٣٤ مليون جنيه .

● افتتح فى مقر الجامعة العربية بالقاهرة معرض للصور الفوتوغرافية يصور العدوان الإسرائيلى على مدينة السلط الأردنية .

● يعقد فى القاهرة فى نوفمبر القادم المؤتمر العالمى الثانى لنصرة الشعوب العربية وسيحضر المؤتمر ممثلون لجميع لجان تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية فى العالم ولجان مجلس السلام العالمى .

● أذاع راديو بغداد فتوى لفضيلة مفتى العراق تعتبر تأييد منظمة فتح واجبا دينيـــا .

● أعلن السيد ونيس القدافى رئيس وزراء ليبيا ، أن الحكومة الليبية تعتزم العمل على انهاء وجود القواعد الأجنبية فى ليبيا وتحويلها إلى قواعد وطنية ، كما أكد دعم الحكومة الليبية للقضية الفلسطينية ودعم الجبهة الأردنية لتمكينها من مواصلة الصمود تجاه الاعتداءات الإسرائيلية .

● علق عضــو بالجمعيـة الفرنسية على العدوان الإسرائيلى على مدن القناة بقوله : إن الدعاية الإسرائيلية خدعتنا خلال ربع قرن عن خرافة الأمة المضطهدة وأن كل عـدوان جديد لها يزيد من اقتناع الرأى العام العالمى بأن إسرائيل تهزأ بالرأى العام الذى حامولدها وأن إسرائيل ستجد نفسها من الآن فصاعداً تقف وحدها بعيـدا عن تعاطف الرأى العام العالمى .

● يدرس الاتحاد العام لطلاب الجمهورية العربية المتحدة اقتراحا بدعوة وفد من منظمة الطلبة العرب فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا لزيارة القاهرة، لتبادل وجهات النظر ووضع خطة عمل خلال هذه الفترة الحاسمة فى مواجهة الصهيونية العالمية .

● بلغ نصيب وزارة الأوقاف من حصيلة صناديق النذور فى المساجد الكبرى هذا العام ١٢٠ الف جنيه سيخصص لفرش المساجد بالسجاد ، وقد تم التعاقد بين الوزارة ومصانع المحلة الكبرى على تصنيع عشرة آلاف متر من السجاد كدفعة أولى لهذا الغرض ؟

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

تصويب الخطأ

لمقال العدوى بين الطب والشريعة بالعدد السابق

الخطأ	الصواب	الصحيفة	العمود	السطر
على معنى إلا بمشيئة الله	على معنى لا عدوى إلا بمشيئة الله	٢٥٤	الأول	١٣
وأن يهملوهم	وأن لا يهملوهم	٢٥٤	الأول	١٤
فيعودون الفوز	فيعودون بالفوز	٢٥٥	الأول	٢٤
(يا نجيح يا رشد)	(يا نجيح يا راشد	٢٥٦	الأول	١٧
إنى انطقت	إنى انطلقت	٢٥٦	الأول	٢٣
أن حمل الغولة	أن حمل التولة	٢٥٧	الثانى	٧
والغوله خرز	والتولة خرز	٢٥٧	الثانى	٨
ونفع الغوله	ونفع التولة	٢٥٧	الثانى	١١
« ولا غول ولا قولة	ولا غول ولا تولة	٢٥٧	الثانى	١١

7 - الأساس the Foundation, which is almost an equivalent of the "Substance" of the Book ;

8 - الرقية the Spell ; as demonstrated by the Prophet, the Surah should be recited over the sick ;

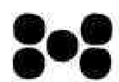
9 - الشفاء the Cure ; as demonstrated by the Prophet, the Surah should be recited over the sick ;

10 - الصلاة أو الدعاء Prayer : thus the Surah is in a way referred to by Allah ;

11 - السؤال Request, man's request for true guidance coming next in the Surah to praise of Allah and acknowledgement of allegiance to His partnerless Lordship over the Creation ; and,

12 - الشكر Thanksgiving, which is almost an equivalent of praise.*

(to be continued)



مراجع البحث*

(١) صحيح البخاري .

(٢) تفسير سورة الفاتحة ، للفخر الرازي ـ تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

(٣) تفسير القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ؛ طبعة كتاب الشعب .

(٤) جواهر القرآن ـ للغزالي .

(٥) فاتحة الكتاب ـ الشيخ محمد عبده ؛ طبعة كتاب التحرير .

c) worship that livens up Monotheism in the believer's heart and establishes it deep in his soul;

d) manifestation of the road to blessedness in the here-below and felicity in the here-after; and,

e) consideration of the cases and fates of the faithful, who took themselves to obedience of their Lord, and the infidels, who turned their backs upon the call to their Maker.

All these Qur'anic sign-posts which leave nothing of man's worldly and heavenly affairs, the Exordium of the Book is also inclusive, of though without going literally into detail. No wonder, then, that such is the unrivalled rank of this Surah, and that it is known by the following names :

1 - فاتحة الكتاب The Opening of the Book, for with it begins the Qur'an, whether the print or the teaching of it;

2 - أم الكتاب the Substance of the Book, for all that is in the Qur'an is implicit in it;

3 - سورة الحمد the Surah of Praise, opened as it is by "Praise be to Allah";

4 - السبع المثاني the Seven "Mathani", composed as it is of seven Verses, and the Arabic term "Mathani" being equally translatable as follows :

a) laudatory, the Surah being essentially a eulogy in praise of Allah;

b) twice-revealed, the Surah being actually revealed twice to the prophet;

c) oft-repeated, the Surah being recited no less than 17 times a day during the compulsory prayers alone;

d) binary, the Surah embracing both praise of Allah and His willingness to answer His servants; the Surah being coupled together with any other Surah in prayers; the Surah confronting with its seven Verses the seven doors of Hell; and or the one Verse of the Surah securing for the reciter the reward of a reciter of one seventh of the Qur'an;

e) exceptional, the Surah being conferred on the Qur'an alone of all the Holy Books and on Muslims alone from among the people of heavenly faiths;

5 - الكافية the Impartible, the Surah being indivisible whether in recital or in prayers;

6 - الوافية the Adequate, no other Surah in the Qur'an being so competent as to replace it;

From the Tradition of the Prophet :

AL - FATIHAH

The opening chapter of the Qur'an

BY : SOLIMAN BARAKAT

The Prophet blessed be he said :

ألا أعلمك أفضل سورة فى القرآن ؟

« الحمد لله رب العالمين » ، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته .

"Would I tell you of the Surah that of all the Qur'an deserves most reverence ? It is 'praise be to Allah Lord of the Creation', the Oft-repeated Seven Verses. Why, it is the essence of the Qur'an revealed to me".

Whether in pith and marrow, or in it's ultimate aim, the Qur'an is but calling men to Allah, Lord of both the here-below and the here-after and Creator of both the lofty heavens and the low earths. The Surahs and the Verses of this light - giving Book, therefore, run in the following trends :

1 - demonstration of Allah, exalted be He ;

2 - illustration of the straight Path that man should follow to meet Him ;

3 - exposition of man when ultimately he finds both himself and all that he has done brought before Allah ;

4 - relating stories of precedent peoples, both those who had answered the call of Truth and those who had turned a deaf ear to it ;

5 - argument demonstrative of the cause of Faith against the infidels' perversity, bigotry and short-sightedness ; and,

6 - introducing the lawful and the unlawful and the bounds set by Allah for man to keep within and not transgress.

By the nature of things, intrinsic in these trends are :

a) Monotheism ;

b) promising the faithful good reward and warning the refusers of the deadly issues of their obstinacy and ill - disposition. This applies to both individuals and nations ;

إلاما قد سلف ، إن الله كان غفوراً رحيما » .
(الآية ٢٣ من سورة النساء)

It means : "Prohibited to you (for marriage) are : your mothers... and two sisters in wedlock at one and the same time, except for what is past; for God is Oft-forgiving, Most Merciful."

(Verse 23, Ch. 4)

7 — Slavery was practiced and was legal as we konw. Many women who were forced into slavery for one reason or another were further humiliated by masters who coerced them to live in prostitution so they could make money for their masters. This inhuman action was allowed and was legal in Arabia and other parts of the world. Islam saved such unhappy women and brought an end to their involuntary servitude :

وذلك قوله سبحانه : ... « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ، ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم » .
(الآية ٣٣ من سورة النور)

It means : "... But force not your maids to prostitution when they desire Chastity, in order that ye may make a gain in the goods of this life. But if anyone comepls them, yet, after such compulsion, is God Oft-forgiving, Most Merciful (to them) ".

(Verse 33, Ch. 24)

8 — Women treated as slaves and property could have no opinions for themselves or for other people. This was the case before the coming of Islam. But in the Islamic era the situation was completely reversed. Woman was given freedom to express her opinion, even if the opinions differed from those of the man with whom she argued. More than that, she could argue with the prophet himself. We are proud to see an example of such an argument in our Holy Book. It should be read and remembered forever. And further, we are very proud that the pleading of the woman who argued with the prophet was recognized and her request was granted :

يقول الله عز وجل : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما ، إن الله سميع بصير » .
(الآية الأولى من سورة المجادلة)

It means : "God has indeed heard (and accepted) the statement of the woman who pleads with thee concerning her husband and carries her complaint (in prayer) to God : and God (always) hears the arguments between both sides among you : for God hears and sees (all things).

(Verse 1 Ch. 58)

(to be continued)

مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر ، نصيبا مفروضا » .
(الآية ٧ من سورة النساء)

It means : "From what is left by parents and those neasrest related there is a share for men and a share for women, whether the property be small or large, . . . a determinate share."
(Verse 7 Ch. 4)

4 — Wors than her lack of inheritance rights, woman in some cases was herself inherited by somebody as a piece of property. When a man died, his eldest son or other male relatives had the right to possess his widow or widows (but not his mother in case of the son). He could marry her if he pleased without any obligation to her, give her in marriage to others without her consent, or prohibit her from marriage altogether. Islam made this illegal and saved woman from this unjust action :

وذلك قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ... » .
(الآية ١٩ من سورة النساء)

It means : "O ye who believe. Ye are forbidden to inherit women against their will."
(Verse 19 Ch. 4)

5 — And lest some people misunderstand the last Qur'anic words qouted above (i. e., "against their will"), and think that if the widow willed to marry her step-son Islam would allow such a marriage, the Holy Qur'an makes it clear that it is unconditionally prohibited :

يقول الله سبحانه : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » .
(الآية ٢٢ من سورة النساء)

It means : "And marry not women whom your fathers married, except what is past; It was shameful and odious, an abominable custom indeed." (Verse 22, Ch. 4)

6 — It was legal and common for a man to marry two sisters at the same time regardless of the ill-feeling each of the sisters might have toward each other. This practice overlooked the destructive power of jealousy, for two sisters would no doubt compete with one another for the attention of one husband. It also disregarded the effect of this tense situation on such a family and on the family from which both sisters came. Islam has made this practice absolutely forbidden in order to keep the family healthy and a source of happiness :

يقول الحق تبارك وتعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم .. ... وأن تجمعوا بين الأختين

WOMAN'S POSITION IN ISLAM – I

BY : DR. AHMED I. MOHANNA

Woman Before Islam :

History tells us that in pre-Islamic times, woman was humiliated and degenerated. Anyone familiar with that period who reads the Holy Qur'an would know that Islam raised the position of woman from the very low to the very high. Islam instituted the following reforms :

1 — Before Islam the female child was very undesirable. The Holy Qur'an tells us plainly the kind of attitude the Arab had when he received the news that a duaghter was born to him, and describes the action he often took to relieve himself from the state of disgrace he faced. Then the Qur'an follows this with a very strong expression of disapproval :

«وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء مابشر به؛ أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب؟ ألا ساء ما يحكمون» (سورة النحل ٥٨، ٥٩)

It means : "When news is brought to one of them, of (the birth of) a female (child), his face darkens, and he is filled with inward grief !" "With shame does he hide himself from his people, because of the bad news he has had ! Shall he retain it on (sufferance and) contempt, or bury it in the dust ? Ah ! what an evil (choice) they decide on?"

(Verse 58 - 59 Ch. 16)

2 — It was common practice among many of the Arabs to rid themselves of their daughters by burying them alive. Islam considers such action a sinful, unforgivable crime :

«وإذا الموءودة سئلت، بأى ذنب قتلت»

(الآيتان ٨ ، ٩ من سورة التكوير)

It means : "When the female (infant) buried alive, is questioned. For what crime she was killed."

(Verses 8 - 9 Ch. 81)

3 — Before Islam, woman had no right to inherit anything from her parents, children, husband, or relatives. All property left by deceased relative went to male heirs only. Islam recognizes woman's rights and gives her a share in such property :

نجد ذلك فى قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب

"Almost without exception the Negro is cast in menial and servile roles in motion picture and television dramas, in advertisments, and in literature. It is the common belief among many white people that all Negroes are sexually immoral, carry concealed weapons; can sing and dance; prefer a diet of pork chops and watermelon; are lazy; love big words, flashy cars, and colorful clothes; are childish; dependent, and superstitious.(1)

It is to break away from such a stereotype and to create a new identity that the Nation of Islam has in part established its educational system. Most of the people who join the Nation ot Islam, as reported by Charles Eric Lincoln and E. U. Essien-Udom, are by and large the poor, the dis-advantaged, and culturally deprived who are trying for a new identity. Most Chicago Muslims were born in the South. The majortiy of the migrants probably did not complete elementary school, and very few completed high school. Some were illiterate and most had no skills for industrial occupations in the Northen cities.(2)

Both Lincoln and Udom came to the conclusion that the movement recruits its members mostly from Negroes with criminal records and those frustrated with life. But once these frustrated Negroes become members in the Nation of Islam they have a feeling of belonging and pursue their way out from the Negro image in the white American culture as they continue to develop the Muslim identity. It is the thesis of this study that the Muslims' effort to develop a new self-image seems to be aided by the educational system of the Nation of Islam. This system represents a deliberate attempt at cultural renewal by incorporating new cultural elements into the Muslims' life such as the teaching of a new religion, a new language (Arabic), and with the intent of changing the Negro's self image in the United States.

(To be Continued)

---

(1) Ward Goodenough, "Education and Identity," Anthropology and Education, (ed.), Frederick C. Gruber, Philadelphia, University of Pennsylvania Prees, 1961, pp. 84 - 102.

(2) E. U. Essien - Udom, Black Nationalism, A Search for an Identity in America, Doctoral Dissertation, the University of Chicago 1961, p. 254. (University Microfilm, Inc., Ann Arbor, Michigan).

University of Islam in Detroit, the University of Islam in Chicago, and the University of Islam in Atlanta. The Muslim schools in Los Angeles, Philadelphia, New York, and Boston hold only one-day-a-week classes (Saturday). Vontress states briefly that the goal of Muslim education is "to perpetuate and reinforce the philosophy which Muslims preach and teach in their mosques."(1) Vontress also indicates that education decison-making was done primarily by Elijah Muhammad, "and he alone is the decision and policy maker. There is no board of directors, no superintendent of schools, and no treasurer."(2)

Vontress points out that although Elijah Mohammad depreciates the worth of Negroes who have been educated in the public schools, many of the Muslim teachers possess degrees from American public universities. Vontress also has reservations about the quality of Muslim teachers. "Although the teachers interviewed at the University of Islam are college-trained, there is some doubt that they are qualified to teach every course which they must teach."(3) Vontress bases his doubt on the fact that some teachers interviewed do not hold area certificates in the subject they teach.(4)

Although the Muslim parents pay tuition fees for their children, most of the schools, expenses are paid by the Muslim organization. "The existing physical facilities are inadequate for the swelling enrollment."

As for the academic success : "The students are no better or worse than Negro students found in most Northern inner-cities. Their Beta and Gamma Otis scores are in the main below average. Even so, the students are finishing high school."(5)

The Role of the Muslim School in Cultural Renewal and Identity Development

The role of the school in the Nation of Islam and its conscious attempt to help students to refute the traditional white stereotype of the Negro presented in the literature and the mass media can provide an example of the processes of cultural renewal and identity transformation. The extent of this traditional stereotype has been emphasized by Kyle Haselden. In his book, The Racial Problem in Christian Perspective, he writes :

(1) Ibid., p. 86.

(2) Ibid, p. 86.

(3) Ibid., p. 87.

(4) Ibid., p. 87 - 88,

(5) Ibid., p. 89.

Though the schools are called Universities of Islam, they operate only elementary and high schools. The enrollment in the University of Islam in Chicago had increased from fifty students in 1945 to three hundred and fifty students by 1960.[1] Udom gives no enrollment figures for the University of Islam in Detroit. Udom states that :

"Boys and girls receive instruction in the same building but in separate classrooms. Segregated instruction has been part of the tradition of the schools since its founding. However, in the kindergraten and the first grade, the sexes are integrated "because they are innocent" at that age".[2]

Udom maintains that the core of the curriculm is essentially the same as that of the public schools, except that Arabic is taught from the fourth grade up. The students receive not only academic grades for attendance, conduct, cooperation, effort, and reliablity.[3]

When Udom questioned the Muslim students about their ambitions he received little cooperation from them. Of those who did answer, the boys seemed much more interested in a college career than the girls. However, most of the students expressed desires to obtain careers which could be found within the Nation of Islam, for example, the jobs of doctor, lawyer, or teacher in a University of Islam.

In speaking of the performance of the muslim schools, Udom states that "within the limitations shown above, the performance of the school appears to be reasonable."[4]

In his research on Muslim schools, Clemmont E. Vontress indicates that the Muslims operate eight schools in the United States. He states : "At this writing, there are eight such schools in this country. They are located in Atlanta, Los Angeles, Detroit, Philadepphia, New York, Boston, Washington, D. C., and Chicago.[5]

However, Vontress does not indicate whether these eight schools hold regular sessions or one-day-a-week-classes. At the time of the present research the schools which hold regular sessions were the

---

(1) Ibid., p. 257.

(2) Ibid., p. 257.

(3) Ibid., p' 264.

(4) Ibid., p. 2‹3.

(5) Clemmont E. Vontress, "Threat, Blessing, or Both, The Black Muslim Schools." Phi Delta Kappan, Vol. XLVII, No. 2, October, 1965, p. 86.

The Educational System of the "Nation of Islam" in America

By :
Dr. Ibrahim M. Shalaby

— 1 —

This study focused on the educational system within the Nation of Islam as an example of the processes of cultural renewal and identity development. The Muslim movement under the leadership of Mr. Elijah Muhammad has as its ideal the establishment of one school in connection with every temple. Charles Lincoln states that the aim of Muslim schools is to prepare students to reclaim their roles as black men, and also states that the ultimate goal of the schools is to produce future leaders for the movement who are steeped in the Muslim tradition.(1)

Udom quotes Elijah Muhammad's remarks on the goals of the Muslim schools. Muhammad sayes that :

"We should acquire an education.. that will make our people put to better use the knowledge they acquire... an education that will make our people willing and able to go and do for self.(2)

The further objective of Muslim education is :

To re-educate the so-called Negro, who has been the victim of centuries of mis-education... to attain his rightful place in the sun as a Black Man... A cardinal fact of its teachings is to give the students a feeling of dignity and appreciation of their own kind.(3)

The first Muslim school, The University of Islam, was established in Detroit in 1932. The second was established in Chicago in 1934.

"Both schools have been in continous operation ever since."(4)

(1) Charles Eric Lincoln, The Black Muslims in the United States, a doctoral dissertation, University Microfilms, Inc., Ann Arbor, Mich., 1960, pp. 222 - 225.

(2) E. U. Essien-Udom, Black Nationalism, Dell Publishing Co., Inc., New York, 1964, p. 254.

(3) Ibid., p. 355.

(4) Ibid., p. 253.

grateful servant. And We decreed for the Children of Israel in the Scripture : Ye verily will work corruption in the earth twice, and ye will become great tyrants. So when the time for the first of the two came, We roused again t you servants of Ours of great might who ravaged the country, and it was a promise performed. Then we gave you once again your turn against them, and we aided you with wealth and children and made you more in soldiery. (Saying) : If ye do good, ye do good for your own souls, and if ye do evil, it is for them (in like manner). So, when the time for the second came (We roused against you others of our servants) to ravage you, and to enter the Mosque even as they entered it the first time, and to lay waste all that they conquered with an utter wasting." XVII : 2—7.

For these reasons, it is the urgent duty of the Muslims and the peace loving people all over the world to take necessary steps for restoring the right of the pe ple of Palestine, who have been wrongfully driven out. The following verse of the Holy Quran may be taken as referring to their present position there :

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية
الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا
واجعل لنا من لدنك نصيرا » (النساء ٧٥)

It means : "How should ye not fight for the cause of Allah and of the feeble among men and of the women and the children who are crying : Our Lord ! Bring us forth from out this town of which the people are oppressors ! Oh, give us from Thy presence some protecting friend ! Oh, give us from Thy presence some defender." S : IV,V : 75.

ancestral home land are, also, supported both by International law and justice. Under International law Palestine was recognized as a stete, with territory, with fixed boundaires and with a population. The British mandatory organized a Civil Administration which it called the Government of Palestine. The Government of Palestine took part in many important International conferences and became a member of several International Agencies.

The population of Palestine in 1919 was 95% Muslims and christian Arabs and 5% of native Jews. It is a historic fact that Zionist terrorist ganges, with the aid of British troops, expelled more than one million Arabs of Palestine from their homeland occupying their homes and properties, robbing them of all their personal possessions. Jews owned less than 1% of Palestine yet they Plundered and occupied all private and public property in 80% of Palestine. These facts are proof that Palestine had all the qualifications of a state under International law. The minority of Jews, with the aid of world Zionism and imperialism, by force and violence, violated the territorial integrity of Palestine and the political independence of Arab majority of Palestine. The principles of International Law and Justice establish beyond any shadow of doubt that the occupation of 95% of Palestine by a minority of Jews, by cunning and treachery, was illegal.

The Sûrah, Al-Isrâ (XVII) of the Qur'an begins with the verse relates to the story of the Prophet's Journey by night from Mecca to Jerusalem, whence he was ascended to the heavens. This was followed by verses, relate to the story of Israelites:

« وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا . ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبداً شكوراً ، وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا .

سورة الإسراء ٢-٧ .

It means : "We gave unto Moses the Scripture, and we appointed it a guidance for the children of Israel, saying : Choose no guardian beside Me (They were) the seed of those whom We carried (in the ship) along with Noah. Lo ! he was a

place toward which the Muslims turn their face in prayer) of Prophet Muhammad (peace be on him) and his followers.

2 — Here is the place of Sacred Rock (Al-Sakhra). It is on this Rock that Prophet Muhammad (peace be on him) placed his foot when he ascended to heaven in the Night of Ascent.

3 — The Prophet classed the Mosques of Mecca, Jerusalem and Medina as of equal value to Muslims.

4 — Jerusalem is the second most holy city of Islam. It is considered next in importance to Mecca.

5 — Traditions stated that the Prophet ascended to heaven on his horse "Al - Buraq" from the Rock. His foot-print (Qadam Muhammad) may be seen still.

6 — There is a round hole in the middle of the Rock where the Prophets' body, it is said, pierced its way upward and nearby is shown the saddle of Al - Buraq in the shape of several marble fragments.

Palestine is one of the holiest spots on the earth and dear to the hearts of all Muslims. The passing years only retained original place of Al-Quds (Jerusalem) in the faith of Islam, and increased the respect and reverance in which it is held by all Muslims. After the first World war and disintegration of Ottoman Empire, Jerusalem became capital of Palestine. This state changed with the usurpation of Zionist Israelites to Palestine by the help of imperialistic powers in 1948. The Zionist Israelites have dispersed its peacful inhabitants, desecrated its sanctity, wiped out its mosques and cemeteries, ablitrated its land-marks in order to establish a racially fanatic and despotic state. They also threatening Arab and Muslim countries, and their holy lands by the sinister plans of world Zionists to lay their hands on countries stretching from the Nile to the Euphrates or even from the Atlantic ocean to the Gulf.

Today Jerusalem appeals to the Muslims all over the world to perform their obligatory duty towards this holy city. It is now occupied and ruled by an enemy determind to irrevocably change its Physical appearence and drive out its sons ruthlessly. These objectives are being persued in many ways with the utmost speed. Now Jerusalem struggles to survive. Only the immeadiate and concreted action by every one concerned the world over will save Jerusalem from demographic and spiritual obliteration by the hands of Zionist Israelites.

The right and the obligation of Palestine Arabs to liberate their

الـكتاب أنا آتيـك به قبـل أن يرتد إليك طرفك فلمـا رآه مستقرا عنده قال هـذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ».

(سورة النمل ٣٨ - ٤٠)

It means : "He (Solomon) said : O chiefs ! which of you will bring me her throne before they come unto me, surrendering ? A stalwart of the Jinn Said : I will bring it thee for you before thou rise from thy place Lo ! I verily am strong and trusty for such work. One with whom was knowledge of the Scripture said : I will bring it thee before thy gaze returneth unto thee. And when he saw it in his presence (Solomon) said : This is of the bounty of my Lord, that He may try me whether I give thanks or am ungrateful".

(XXVII : 38 - 40)

This story should remove such doubt abou· the Ascent of Prophet Muhammad (Peace be on him). If a stalwart of the Jinn was able to bring the throne of the Queen of Sheba unto Solomon from Yemen before he could rise from his place, and one, with whom was knowledge of the Scripture, has done such work before Solomon's gaze returned unto him, then how it will be difficult to believe that the Lord of the worlds carried His Choicest servant and His messenger by night from Mecca to Jerusalem ?

The Quran describes both the sacred Mosque of Jeurusalem and the Holy Mosque of Mecca as 'blessed one'. The holy Mosque of Mecca is mentioned in the Quran as the first house built for mankind for worship. The Quran Says :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » .

It means : "Lo ! The first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca (Mecca) a blessed place, a guidance to the people". About the sacred Mosque of Jerusalem, the Qur'an says :

« ... المسجد الأقصى الذى باركنا حوله .. »

(. . . Farther Mosque (Jerusalem) the precincts of which we have blessed . . .)

The event of Ascent also connected Jeursalem with Mecca. It was, therefore, necessary that the talk on the Ascent should call upon the Islamic World to work for restoring the right of the people of Palesttne and to save the holy city of Jerusalem from the sinister plans of the Zionists. The celebration of the 'Night of Ascent' should remind the Muslims all over the world the following facts : 1 — Jerusalem had been the first 'Qibla' (the

when the Prophet and his followers were facing cruel persecutions and threats from their opponents. The opposition to his preaching had grown rigid, the Prophet had little success among Meccans.

After a year of the event of the Ascent, the Prophet and his followers migrated to Medîna. It should be remembered that the 'Hijrah' does not mean flight or even migration. It was a clear division of the Prophet's mission, and a greeting to the new future of true faith. The Muslims were promised by God to enter Mecca in peace an safety : –

« لتدخلن المسجد الحرام ، إن شاء الله آمنين » .

(You shall indeed enter the Sacred Mosque, if Allah will, in full security). This entry was materialised soon and the Prophet entered his native city as conqueror without bloodshed and he proclaimed a general amnesty. Thus, the miraculous Ascent of the Prophet and his migration, were so arranged by Allah, the Almighty, for very good reasons.

Some people are making doubts and suspicions about the nature of the Ascent, whether the Prophet was carried by night to Jerusalem whence he was caught up through the heavens, by bodily and spiritually or it was a spiritual Ascent? In fact there could not be such doubt about the ability and the command of the Lord of the Universe. The Holy Qur'an says :

« إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » . (يس ٨٢-٨٣)

It means : "But His command, when He intendeth a thing is only that He saith unto it : Be ! and it is. Therefore Glory be to Him in Whose hand is the dominion over all things ! Unto Him ye will be brought back." (S:XXXVI, V:82-83).

The beginning of the verse by the word "Subhân" (سبحان) is indicating that the Cherisher of the Universe is Exalted over disability. Moreover, the Qur'an and the other Scriptures narrate the miraculous story of Prophet Solomon (Peace be on him) with birds, Jinn and the throne of the Queen of Sheba etc. The Qur'an mentioned in the story of Solomon with the Queen of Sheba :

« قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

RAJAB 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	OCTOBER 1968

THE 'ASCENT' OF THE PROPHET

Connected the Islamic world with Jerusalem

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

At this moment of time, the Muslims all over the world celebrating the 'Night of Ascent' of the Prophet, it is necessary that the celebration should remind them their connection withe the 'Palestine', and their obligation to this country. It also should appeal to them to hurry in defence of 'Jerusalem' and the Arab lands against the Zionist-Imperialist conspiracy. What important event happened at this Night ? This was the night of 27th Rajab in the year 11 of the Prophet's Mission. In the 'Night of Ascent' the Prophet was carried from the Sacred Mosque of Mecca to the Sacred Mosque of Jerusalem. The Holy Qur'an says :

سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير (الإسراء ١)

It means : "Glorified be He who carried His servant by night from the Inviolable Mosque (Mecca) to the Farther Mosque (Jerusalem) the precincts of which We have blessed, that We might show him some of Our signs. Lo ! He, only He, is the Hearer, the Seer." (S : XVII, V : 1)

The story of the Ascent of the Prophet was a great miracle of his Prophethood as well as a good news fortelling a victory of Muslims over their enimies. It is recalled that this historical event took place

الفهرس

English Section

الثمن أربعون مليما



مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء السادس ـ السنة الأربعون ـ شعبان سنة ١٣٨٨ هـ ـ نوفمبر سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

على هامش المؤتمر

للأستاذ عبد الرحيم فوده

يطالع القراء فى هذا العدد من هذه المجلة صورة مجملة لما ألقى فى المؤتمر الرابع من بحوث ، وما دار فيه من أحاديث ، ويشعرون من خلال ذلك بما يجب عليهم . وعلى كل عربى ومسلم لمواجهة الخطر الأكبر الذى يتربص بهم ، ويتأهب للوثوب عليهم والقضاء على عروبتهم ودينهم .

ولا شك أن الشعور بالواجب هو الأساس اللازم لأداء الواجب ، وقد ظهر من بحوث المؤتمر ومناقشات أعضائه ، كما ظهر من جرائم الاستعمار والصهيونية فى الأرض العربية الإسلامية أن الجهاد واجب عام يمليه الإسلام على كل مسلم ، ويمليه حق الوطن العربى على كل مواطن يعيش فيه ، وتمليه الإنسانية على كل إنسان يشعر بقيمة الإنسانية . وحرمة الكرامة الآدمية ، فإن ما فعله ويفعله اليهود فى فلسطين وفى الأرض التى وثبوا عليها كالذئاب الضارية بمصر وشرق الأردن وسوريا يؤكد ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ أنهم أخطر شر تتعرض له العروبة والإسلام وأكبر خطر على السلام العام ، فقد استأسد هؤلاء الجبناء فى الأرض المقدسة وفعلوا بها وبأهلها ما يثير الشعور بالتقزز والاشمئزاز والاستياء العام ، ولم يعبأوا بمجلس

الأمن، ولا بقرارات هيئة الأمم، حتى أصبحوا - بعون من ورائهم - بلاء يجب أن يدفع. ووباء يجب أن يباد.

ولو كان الأمر أمرهم دون غيرهم لهان خطبهم. ولكنهم الطليعة الوضيعة لمطامع الاستعمار، والأداة الفاجرة لتنفيذ خططه، والقناع الكاذب لإخفاء وجهه، ومن ثم أصبح واجبا على المسلمين والعرب، وعلى الشعوب التي تشترك مع المسلمين والعرب في العمل على خدمة الحرية وإقرار السلام أن ينهضوا جميعا لمواجهة هذا الخطر المتربص بهم جميعا، فإن هؤلاء الذين وثبوا إلى هذه الأرض - في ظلال الصهيونية والاستعمار - هم كما ينطق الواقع روح الشر في العالم، وكما يقول الله: «والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض»، «كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين»، «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون».

ولا شك أن شعب مصر تحمل في سبيل العروبة والإسلام الكثير من التضحيات، وأنه يبذل - عن طيب خاطر - ما ينوء به كاهله - لولا إيمانه بدينه وشرف مهمته ورسالته، ثم هو - بحكم موقعه وموضعه بين شعوب العالم - يمثل السد المنيع أمام الصهيونية. والقلعة الباسلة أمام الاستعمار.

فواجب الشعوب العربية والإسلامية أن تعرف له دوره وقدره، وأن تذكر له ماقاساه وعاناه في صراعه مع التتار، ومع الصليبيين طلائع الاستعمار، ومع الاستعمار سند الصهيونية، ومع الصهيونية سليلة اليهودية، فقد استطاع بمواقفه الصلبة وكفاحه الشاق وحفاظه على عروبته ودينه أن يصون قوميته ومقدسات دينه وأن يخرج من كل الأزمات التي ألمت به واصطلحت عليه نقي الجوهر. قوى الروح سليم القامة. رفيع الهامة وإذا كانت الهزيمة العسكرية الأليمة أمام إسرائيل قد جرحت قلبه العظيم، فإنها لم تجرح كبرياءه ولم تنل من عزيمته وإصراره على المقاومة والصمود والنصر، ولكن شعوره بالألم من هذه الهزيمة الأليمة يجب أن يكون له رد فعل عميق يتجاوب به ضمير كل عربي وشعور كل مسلم، وأن ينعكس أثر ذلك في حشد القوى والعزائم للوقوف معه والقتال بجانبه والاستبسال في سبيل الغاية الكريمة العظيمة التي يعمل لها ويكافح في سبيلها، ذلك لأن المحنة التي يقاسيها الآن ليست كالمحن التي قاساها وعاناها في صراعه القديم، والعبء الذي

يتحمله الآن ليس كالأعباء التى تحملها فى تاريخ كفاحه الماضى ، والجهد الذى يبذله لا يقاس بما تتلقاه إسرائيل من معونات صهيونية وأسلحة أمريكية .

إنه يقف أمام أنذل وأسفل من عرفتهم الأرض ، ومن وراء هؤلاء الأنذال تقف قوة الاستعمار الغربى وتقف قوة أمريكا لتمدهم بالأسلحة والأموال ، وتغريهم بالعدوان على هذه الأرض التى تألقت بضياء النبوة ، وأشرقت بنور الإسلام ، فواجب العرب والمسلمين فى كل بلد يعيش فيه عرب ومسلمون ، أن يكونوا كما قال الله : (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وكما يقول النبى صلى الله عليه وسلم : (كالبنيان يشد بعضه بعضا) إن معركتنا مع الاستعمار والصهيونية معركة حياة أو موت ، فيجب أن تجند لها كل القوى ، وأن تحشد فيها كل الموارد . وأن تبذل فى سبيلها المهج والأرواح ، فإن ذلك هو السبيل إلى النصر وسيكون الله معنا لأننا نكافح عن حق . ونذود عن شرف . وندافع عن كرامة . ونجاهد أعداءه وأعداء دينه ، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » ، « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ولا يزال وعده قائما « إن الله لا يخلف الميعاد » .

عبد الرحيم فوده

يقول الله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر :

من بلاد العالم
إلى المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ محمد النادى البدرى

كل دورة من دورات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية تتميز بطابع وتنفرد بخاصية .

وفى كل دورة من هذه الدورات توضع تقاليد، وتتأصل أهداف، ويتسع نطاق العمل وتتبلور رسالة المجمع وتتأكد ضرورته فى نفوس المسلمين .

والدورة الرابعة التى انعقدت تميزت بطابع فى مجال التحضير لها وإدارة أعمالها ، وانفردت بخاصية فى نوعية البحوث التى قدمت، والمشكلات التى عرضت، والمناقشات التى دارت ، والحلول التى اقترحت ، والقرارات والتوصيات التى اتخذت . وكان مرجع هذا التميز البارز والتفرد الواضح أن هذه الدورة انعقدت فى جو غائم مشحون بعوامل القلق والاضطراب، محوط بدوافع التربص والاستعداد ، بعد جولة غادرة مكنت للصهيونية من قبلة المسلمين الأولى ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه ، وأوقعت فى قبضة الاستعمار الصهيونى العنصرى أجزاء من الأرض العربية فى مصر وسوريا والأردن ، وتجمعت للعدو جيوش على مشارف الحدود ، وتعالى التصايح بنذر الحرب .

ومن هنا طرحت مشكلة الأرض المقدسة نفسها على المؤتمر ، فكانت محوره وقطب رحاه ، فخصصت الفترة الأولى جميعها لهذه المشكلة لأنها تعنى كل مسلم فى كل موطن من مواطن الإسلام .

وفرضت وجودها على بحوث المؤتمر ودراساته ، فتقدم العلماء من أجلها بخمسة وعشرين بحثا تناولت كل جوانب القضية الفلسطينية دينيا وتاريخيا وسياسيا عن « مكانة بيت المقدس فى الإسلام » لفضيلة الشيخ عبد الحميد السائح ، والدكتور إسحاق موسى الحسينى ، والأستاذ عبد الحميد حسن . وعن « موقف اليهود من الإسلام والمسلمين »

فى العصر الأول والأوسط والعصر الحاضر للدكتور عبد العزيز كامل والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور والأستاذ محمد عزه دروزه والشيخ عبد الله المشد والأستاذ محمد طه يحيى والشيخ أسعد مدنى ، كما كان منها بحث عن « المسلمون ومشكلة فلسطين » الأستاذ عبد الله كنون ، وبحث عن « اليهود من كتابهم المقدس » للشيخ كمال أحمد عون .

وفى الجهاد قدمت بحوث من اللواء الركن محمود شيت خطاب والشيخ محمد أبو زهرة والدكتور عبد الحليم محمود وسماحة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية اللبنانية والشيخ عبد الله غوشة والشيخ عبد اللطيف السبكى والإمام على كاشف الغطاء .

وعن الإسرائيليات فى التفسير والحديث قدم بحثان من الدكتور محمود يونس والشيخ محمد حسين الذهبى .

إلى جانب بحوث أخرى عن الصهيونية العالمية للأستاذ وفيق القصار ، والصهيونية وفلسطين للدكتور سيد نوفل ، والنشاط الصهيونى فى شرق أفريقيا للأستاذ إبراهيم حاجى محمود ، واليهود فى القرآن للشيخ عبد الستار السيد .

ولهذه الأهمية كان تخصيص الفترة الأولى من المؤتمر الرابع لقضية فلسطين وكان فتح باب البحث والمناقشة أمام العلماء والباحثين من خارج مجلس المجمع إلى جانب أعضاء المجمع أنفسهم ، وهى المرة الأولى التى تعرض فيها بحوث ويشارك باحثون من غير الأعضاء .

ولهذه الأهمية كذلك كانت هذه هى المرة الأولى التى تفرد فيها الفترة الأولى من المؤتمر لمشكلة واحدة وقضية واحدة .

وقد لا يكون من باب المصادفة أن تنفرد أجهزة مجمع البحوث الإسلامية وحدها بعبء الإعداد لهذا المؤتمر والتجهيز له ، وأن تتحمل وحدها مسئولية العمل وتبعاته بكفاءة وجدارة فى نطـــاق الإمكانيات المتـاحة .

فى رحاب الجامع الأزهر :

ولقد جرت سنة العمل فى مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية أن يكون اللقاء الأول بين الأعضاء فى صلاة الجمعة بالجامع الأزهر ، إشعارا بالهدف الأصيل من إنشاء هذه المؤسسة الإسلامية ، وهو العمل من أجل الجماعة الإسلامية ، وتقديرا للأزهر العتيق ذلك الرمز الخالد للمحافظة على تراث الإسلام وخدمة الثقافة الإسلامية على مدى العصور ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ففى يوم الجمعة الرابع من رجب سنة ١٣٨٨ التقت وفود العلماء فى ساحة الأزهر الأغر تحوطهم عواطف المسلمين الذين تقاطروا من كل مكان لأداء فريضة الجمعة بالجامع الأزهر ، وللحفاوة بعلماء المسلمين الذين يجتمعون حول كتاب الله ، ويتعاونون على الدعوة لدينه ، وكان فى استقبالهم السيد حسين الشافعى نائب الرئيس وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر والدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر والدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وأصحاب الفضيلة أعضاء المجمع وعلماء الأزهر ، وبعد الاستماع إلى آيات الكتاب الكريم ألقى فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى خطبة الجمعة وأم المصلين ، وبعد الانتهاء من الصلاة غادرت وفود المؤتمر ساحة الجامع الأزهر وسط جموع زاخرة تلتف حولهم وتحتفى بهم .

تكريم الوفود :

وفى المساء أقام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر حفل شاى بفندق كليوباترا تكريما لأعضاء الوفود ، وقد حضر الحفل جمع كبير من المسئولين وشيوخ الأزهر وعلمائه ، والمشتغلين بالشئون الإسلامية والعربية ، ورجال الصحافة والإذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء .

حفل الافتتاح :

وفى صباح يوم السبت الخامس من رجب ١٣٨٨ / الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٨ شهدت قاعة الاجتماعات بمحافظة القاهرة وفود علماء المسلمين من آسيا وأفريقيا وأوربا .

فمن آسيا حضر السادة : عبد الحميد السائح وعبد الله غوشة ، ومحمد عادل الشريف عن الأردن ، والدكتور محمود يونس ، وأحمد شيخو ، ومحمد طه يحيى عن أندونيسيا ، ولطفى دوغان ، وإسماعيل أزهرلى عن تركيا وعبد الستار السيد عن سوريا ، وعبد الله الشيخلى ، ومحمود شيت خطاب ، ومحمد المهدى الخالصى ، والإمام على كاشف الغطاء ، وكاظم محسن الكفائى ، وهادى السيد سليمان ، وقاسم حسن هاشم ، وعبد الصمد نجم الشريف ، وصاحب هادى السلطانى عن العراق من أهل السنة والشيعة ، وأحمد ألنتو عن الفلبين ، وراشد الفرحان ، ومصطفى الزرقا ، وأحمد عبد القادر عن الكويت ، وسماحة الشيخ حسن خالد ، ومصطفى كمال حماده ، ونديم الجسر ، ووفيق القصار ، ومحمد على الجوزو عن لبنان ، وو ان عبد القادر إسماعيل عن ماليزيا ، وعبد الكريم سايتو

وعلاء الدين عادمين عن اليابان ، وقاسم غالب عن اليمن ، والدكتور إسحاق موسى الحسيني ، وعيد يعقوب عن فلسطين ، ويوسف الصديق القاضي وعلى الهاشمي عن البحرين ، وأبو بكر صالح عبد الله ، ونور محمد إسماعيل عن الصين ، وإسماعيل الحاج عبد الحليم محمد ، ووان أحمد بن وان داود عن الملايو ، ومحمدى جانج هي عن كوريا ويحيى بن عبد الله ، وحميد أمين سليمان ، وعبد الوارث الصوفي عن عمان .

وحضر المؤتمر من أفريقيا السادة : قاسم عنسا عن توجو ، ومالك بن نبي ، ونعيم النعيمي عن الجزائر ، وسوري إبراهيم كانو وعبدالقادر ساكو عن سيراليون ، ومصطفى سيس عن السنغال ، والدكتور كامل الباقر وإبراهيم سوار الذهب وحسن مدثر عن السودان ، وإبراهيم حاجي محمود عن الصومال والمعلم جمعه بن أحمد عن كينيا ، وإدريس الكتاني عن المغرب ، والحاج باسل أوغستو وم . ا . أوسيني عن نيجيريا ، وأحمد كعبو صمبو عن أوغندا ، وطه محمدنور عن أريتريا وأبو صالح بوسودين عن موريشيوس .

وحضر من أوربا وروسيا : السادة : حسين سليمان جوزو عن يوغسلافيا وضياء الدين باباخانوف عن روسيا .

السيد / حسين الشافعي ينوب عن الرئيس

الرئيس جمال عبد الناصر

وقد أناب السيد الرئيس جمال عبد الناصر السيد حسين الشافعي نائب الرئيس ووزير الأوقاف وشئون الأزهر في حضور حفل الافتتاح وكان في استقباله فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر ، والدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر والدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وحضر حفل الافتتاح السيد أمين هويدى وزير الدولة والأستاذ السيد يوسف نقيب المعلمين ، وسعد زايد محافظ القاهرة ورجال السلك السياسي والدبلوماسي الإسلامي والعربي ومديرو وعمداء وأساتذة جامعة الأزهر والجامعات المصرية ، وجمع كبير من العلماء والشيوخ وكبار رجال الأزهر وممثلو الصحافة والإذاعــة والتلفزيون ووكالات الأنباء العربية والأجنبية.

وفي الساعة العاشرة والثلث بدىء الحفل بتلاوة من آيات الله من الشيخ محمود خليل الحصري ثم افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الحفل بكلمة موجزة رحب فيها بالسادة العلماء أعضاء المؤتمر وضيوفه ، داعيا لهم بالتوفيق والسداد في توحيد كلمة المسلمين ونصرة قضاياهم .

ثم أناب فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر فى إلقاء كلمة الأزهر، ثم أعقبه سماحة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية اللبنانية فألقى كلمة الوفود، داعيا فيها إلى الوحدة الجامعة لشمل المسلمين ليعودوا إلى مكان الريادة والقيادة ومركز القوة والمنعة الذى كان عليه الأسلاف والأجداد، وذلك بالرجوع إلى دين الله والاعتصام بحبله والاهتداء بكتابه وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم ألقى الدكتور محمود حب الله كلمة الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية التى تناول فيها رسالة مجمع البحوث الإسلامية، ومؤتمراته الثلاثة السابقة، وما قام به من بحوث ودراسات وما نهضت به أجهزته من أعمال فى نطاق إمكانياته وقدراته، مشيرا إلى ضرورة العمل المشترك من بلاد العالم الإسلامى كله لدعم المجمع وتقويته ماديا وبشريا.

وفى ختام الكلمات ألقى السيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الاوقاف وشئون الازهر كلمته مرحبا بأعضاء المؤتمر وضيوف الجمهورية العربية المتحدة، مشيدا بالجهود التى بذلت فى المؤتمرات السابقة، والعناية بجوانب الحياة الإسلامية فى الشريعة والاجتماع والاقتصاد، مؤكدا على الأبعاد الأساسية للتعبئة.

ثم اختتم الشيخ محمود خليل الحصرى حفل الافتتاح بآيات من الذكر الحكيم.

وفيما يلى نص الكلمات التى ألقيت :

كلمة الإمام الأكبر
فضيلة الشيخ حسن مأمون
شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم :

افتتح المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ، حامدا الله سبحانه وتعالى على شرف اللقاء بأئمة العلم الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله .

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذى بين للناس ما نزل إليهم من معجز وحى ، ومحكم هدى ، وحسبكم شرفا أيها العلماء أن تحملوا بعده أمانة رسالته حفاظا عليها ، واجتهادا فيها ، واستنباطا ، منها ، وبلاغا لها ، وبهذا كنتم ، كما كان صلى الله عليه وسلم - مرد كل أمر من الأمن أو الخوف ، وصدق فيكم قول الله سبحانه : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

وبعد - فان اجتماع هذه الدورة جاء على ظمأ لريها وشوق لرؤياها ، فقد احتشد لها حنين دورتين ووجد عامين ، فالقلوب لها متعطشة ، والعقول عليها متلهفة ، والنفوس المؤمنة تستقبلها بوجفة لأنها تعرف خطورة ما تواجهه هذه الدورة ولأنها تعلم هول ما أخرها عن ميعادها ، وأبطأ بها عن أوانها ، وما كان للمجمع أن يعقد فى العام الماضى دورته والمجتمع الإسلامى فى دوار نكسة ، وذهول مفاجأة وبغتة هزيمة ، فصدمة القلوب بما كان شغلت العقول عن ترتيب ما يكون .

ولست فى حاجة إلى تشخيص ما ألم بالعرب والمسلمين من ألم ، فكل نفس ذاقت وقعه ولمست لذعه ، ولا تزال العقول فى دهشة العجب من شذوذ هذا الغلب وزاد من مرارة الجرعة أن كان ذلك أمام صهيونية أفاقة ، قطعها الله فى الأرض ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، وكنا نحب أن تأتى هذه الدورة وقد أخذنا بالثأر واستردنا النصر ، ولكن شاء الله أن يطيل أمد المحنة ، حتى ننضج وعيا ونستكمل إفاقة ، ونفيد تجربة وشاء الله أن يبرز دوركم أيها العلماء فى مواجهة هذه الأحداث ، تشخيص داء ، وتمحيص دواء وحكمة مناولة ، حتى

تجلوا للناس حكمة الله فى هذا الابتلاء، وتقرءوا عليهم قوله سبحانه: «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب».

ولهذا كان لقاؤكم - علماء المسلمين - فى هذه الدورة أخطر ما واجهتم من لقاءات، لأنه جاء على ترقب الدنيا كلها لما تواجهون به الموقف من تحليل وحلول وتوعية وتعبئة وتخطيط وإهاجة.

وعلى قدر نجاحكم فى مهمتكم تزداد ثقة المؤمنين بربهم إيمانا، وبكتابه دستورا، وبرسوله هاديا ومخلصا، وبكم مجتهدين راسخين.

أيها الأخوة العلماء، إن نكبة النكسة التى واجهت أمة العرب وشعوب الإسلام لم تكن محنة سياسية بقدر ما كانت محنة دين فمن الجائز على سياسة البشر أن تخطىء تخطيطا أو تخور مواجهة، ولكن ليس من الجائز أن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، فحين صدم المسلمون بما كان عجبوا أن يتخلى عنهم ربهم ويسلمهم إلههم. ولو أنهم أنصفوا لعرفوا موقعهم من دين الله ولأدركوا أن ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وليس الإسلام شكلية أسماء ولكنه موضوعية اقتداء، ولا هو جغرافية مواطن ولكنه نفاسة معادن.

ولا أشك وحضراتكم معى أننا لو انتصرنا ونحن على ما كان فى مجتمعنا من خلل وانحراف لازددنا جرأة على محارم الله، ولجعلنا النصر شهادة على صدق التحلل وسلامة الانحراف وصواب الانفلات من حضرة الله ومبادىء الإسـلام.

ولهذا كانت الهزيمة غيرة علينا من الله، لأن فينا وجـدان الدين وإن لم يكن لنا سلوك المتقين، فحاسبنا ربنا لنرجع إليه، وابتلانا لنقبل عليه، وذلك قانون الأحباء يحتم مرارة الجرعة تقريبا لحلاوة الشفاء.

فعلينا معشر العلماء أن نبين للناس: أن الله لا يتغير من أجلنا ولكن يجب أن نتغير نحن من أجل الله. «فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

وعلينا أن نفهم المسلمين أننا لسنا أصدق إيمانا ولا أحسن إسلاما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم حينما خالفوا عن أمر الله غرورا يوم حنين، ومخالفة لأمر الرسول يوم أحد هزموا ردا عن الغرور وردعا عن المخالفة، ولكن انتصر الإسلام مقدس المبادىء مطاع التوجيه: «فليحذر

الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

وعلينا ، معشر العلماء ، بعد هذا أن نبين للمسلمين كيف يستقبلون سجال الحرب من يوم لنا ويوم علينا ، فالذى لنا لا يغرنا بل يقوينا والذى علينا لا يهدنا بل يهدينا .

وما على المسلمين حين يبتلون بهزيمة إلا أن يدخلوا مع نفوسهم فى حساب على ضوء من قوله سبحانه : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » ، وذلكم هو دور الثبات وانتصار الإرادة ، وأما دور حساب النفس والإقرار بمواطن الضعف فيحكيه قول الله سبحانه « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

وحين كان لهم هذان الدوران استحقوا أن يقول الله فيهم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين .

« وقد احسنوا ثبات قلوب واعترافا بذنوب فاستحقوا الحب بالصبر ، واستحقوا بالإحسان النصر .

وعلينا، معشر العلماء، أن نبين للناس لبس ما بين الأسباب والأخذ بها وبين التوكل على الله والاعتماد عليه ، فالأسباب مخلوقة لله ولكن مدده الغيبى لا يكون إلا لمن استكمل الأسباب لمواجهة عدوه إعدادا ماديا يأمر به الله فى قوله سبحانه «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» ، وإعداداً غائبيا يمثله قوله سبحانه « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون » ، وإعدادا استمداديا يشرحه قول الله سبحانه : « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » .

وبهذا البيان يفقه المسلمون المجاهدون أنهم هم الذين يحددون مدد الله لهم على قدر ما أعدوا من أسباب وبمقدار ما فى قلوبهم من إيمان ومافى عزائمهم من جلد وصبر وما فى سلوكهم من تقوى وورع .

وعلينا ، معشر العلماء ، أن نبصر أمة العرب وشعوب الإسلام أن صليبية الأمس التى دحرت أمام بطولاتنا قد جعلت من

صهيونية اليوم رأس حربة يقذفها من وراء ستار أعداء البشر ومدمنو الاستعمار .

ولا خلاص لنا حاكمين ومحكومين إلا بما رسم الله سبحانه فى قوله : « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

وإن المعركة التى لا بد منها كما تتطلب ساسة يخططون وقادة يرسمون ، وقوادا يقدمون ، وجنودا يستبسلون ، تتطلب قبل ذلك جهادا بالرأى يشير وينهى ، وجهادا بالكلمة تهيج وتثير ، وجهادا يبذل ذى الوسع وإيثار ذى الخصاصة .

وميدان المعركة لا يقتصر على ميادين الحرب فكل مرفق من مرافق الدولة ميدان ، يتطلب استبسال إخلاص وأمانة أجهزة ، وفدائية تفانى ، وكل بيت من بيوتنا ميدان يتطلب تضحية بالترف قربانا للشرف ، وكل نفس حرة فى وجدانها ميدان يتأهب للزحف ويستشرف للفداء .

وإن الحق سبحانه لم يجعل لأحد عذرا عن الجهاد ، حتى الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ، فإن رفع الحرج عن هؤلاء مشروط بدور أن ينصحو لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل ، والذين يأتون ولى الأمر ليحملهم فلا يجد ما يحملهم عليه لا يرفع عنهم الحرج حتى تفيض أعينهم من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون .

وعلينا ، معشر العلماء ، أن نهيب بالأغنياء وأهل اليسار حتى يعينوا بما آتاهم الله من فضله فمار عليهم أن تكون لهم أموال وبيت المقدس فى أسر الاحتلال وحذروا هؤلاء من أن يصدق فيهم قول الله : « إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون » .

أيها الأخوة العلماء ـ ليحمل كل منا بلاغ هذا المؤتمر للناس ولنجمع أمرنا على خطة حزم وخطوة عزم ، لها من الدين سد وبالله مدد واهتفوا فى آذان الحاكمين جميعا : أن كفى ما كان من اتساع هوات ، واعتساف خلافات وواجهوا الأمر بصفو قلوب ، وتنسيق جهود ، وتكامل إمكانيات والتحام طاقات ، حتى نستحق أن نكون المعنيين بعباد الله الذين أنذر الله بهم اليهود فى قوله سبحانه : « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

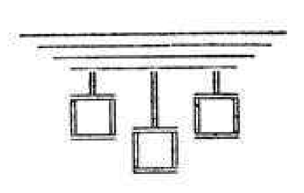
وختاما ـ حيا الله عنا جميعا سيادة الرئيس جمال عبد الناصر الذى جعل المؤتمر تحت رعايته وشرف مهمته بإنابة السيد حسين

الشافعى نائب الرئيس ووزير الأوقاف والأزهر عن سيادته فى حضور حفلة الافتتاح سائلا المولى جلت قدرته أن يكتب لسيادته السداد والتوفيق حتى نستعيد طهر القدس من أدران الرجس فى ظلال من حق الإسلام ومجد العرب .

وحيا الله مقدمكم وبارك مؤتمركم وألهمكم رشاد البلاغ وسداد التوجيه وحيا الله عنى وعنكم كل حام للإسلام ومبشر به ، ومجتهد فيه ، وحسبنا وعدا على صدق الجهاد قول الله . « إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

حسن مأمون



كلمة الوفود

لسماحة الشيخ حسن خالد
مفتي الجمهورية اللبنانية

« بسم الله الرحمن الرحيم »

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وإمام الأبرار المجاهدين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد ، فأحييكم جميعاً باسم الأخوة الإسلامية التي جمع الله بها قلوبنا على الحق والخير . وأسأل الله سبحانه أن يبارك اجتماعكم وأن يجعل فيه خيراً لأمتنا التي هي خير أمة أخرجت للناس .

وأشكر الأزهر الشريف جامعة الإسلام الكبرى على جهاده المبرور المشكور في خدمة دين الله ونشر مبادئه وتركيز دعائمه وهداية الناس إلى ما فيه من عناصر الفلاح والنجاح والقوة . .

ثم أشكر السادة الفضلاء القائمين على أمر المؤتمر لاختياري متحدثاً في هذا المقام الكريم باسم إخواني وأصدقائي وأحبابي وزملائي أعضاء المؤتمر ، ذلك تكريم لشخصي أسجل به الشكر وأقدم به عظيم التقدير .

والحديث باسم الوفود إلى مؤتمر المسلمين الكبير لا يعني إلا تأكيد ما قرره الإسلام بأصالته - كما هو معروف - من محو أي اعتبار لفوارق الجنس واللسان واللون ، واعتبار المسلمين إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ، بهذا الروح الإسلامي البناء وقف سلمان وصهيب وبلال بجانب محمد وأبي بكر وعمر وغيرهم صفا ملتئم الشمل ، متراص البناء في وجه أعداء الله وخصوم كلمته . يمتزج منهم الدم بالدم والفكر بالفكر والعاطفة بالعاطفة ، فكانوا إعصاراً على البغي دكوا بناءه ونكسوا لواءه وقتلوا أولياءه ، ومعهم يد الله التي تبارك المؤتلفين على كلمته المتجمعين على شريعته المستمعين إلى قوله : « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

وهنا أيها السادة سر الإصلاح وسر الصلاح

وسر الفلاح ، وحدة بريئة من الخلف بعيدة عن الأنانية ناجية من العصبية ، غيورة على الحق مجاهدة فى سبيله ، وهى الوحدة التى لو بقيت شعارنا ودثارنا ومنـــارنا لبقينا طلائع الإنسانية قوة وريادة وقيـادة . ولظللنا فى المكان الطليعى الذى تركه لنـا أجدادنا الكبار ، هداة الناس إلى الفضيلة .

ولكن نفوسنا بمرور الزمان ومؤثرات الحياة غفلت عن هذا الروح فعجزت أيدينا عن أن تظل قابضة على مقود المجد وكان أن مرت بنا مآس سجلها التاريخ دما ثم سارت بنـا الأحداث إلى قضية فلسطين .

هذه المأساة الإنسانية التى تمثل بغى الإنسان وكفره بالقيم واستهتاره بمبادئ العـدالة وإخلاده إلى صوت السلاح ، عاديا لا يؤمن بالله ، قاسيا لا يحس بالرحمة ، ولو بقينا معتمدين فى طلب حقوقنا المسلوبة على منطق العـدالة والحق فى ردهات المؤسسات الدولية فإننـا سنبقى متطلبين فى المـاء جذوة نار !

لقد ثبت أن ما أخـذ بالقوة لا ترده إلا القوة ، وأن الأعناق الملتوية كبراً وغروراً لا يقوم صعرها إلا ضربات الحق منا ـ نحن العرب والمسلمين ـ إننـا قادرون على تحقيق النصر بإذن الله وعونه ثم بإمكاناتنا مالا ورجالا وبلاداً شاسعة فياضة بالثراء وتاريخا مشرقا بالأمجاد وحوافز النضال ، ودينا سمحاً وصارما وعزيزاً فيـه كل مبادئ الكمال إننا بهـذا كله قادرون على النصر إذا فهمنا وضعنا وآمنا بمستقبلنا ، واتصلنا بقضيتنا اتصالا تشترك فيه القلوب والعواطف والضمائر والمشاعر منا جميعا قادة وشعوبا ووضعنا كل إمكاناتنا فى معركتها وخرجنا إلى ساحتها بقلوب مغسولة من كل رواسب الخـلاف وشوائب الحقد .

إن انعقاد مؤتمركم الكريم الموقر ضرورة عربية وإسلامية ووطنية فى هـذه الظروف التى يواجه العرب والمسلمون فيهـا أخطر الصعاب ، والمسلمون كلهم ينتظرون منكم بيان حكم الله إزاء قضية فلسطين ونشر هذا الحكم على الرأى العام العربى والإسلامى فى مثل فلق الصبح ولا تخال هـذا الحكم يترخص أى ترخص فى الدعوة العامة لكل مسلم ولكل عربى إلى الجهاد المقدس الذى أصبح اليوم فريضة على العرب والمسلمين لتحرير الأرض وصيانة العرض والثأر للكرامة واسترداد المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وتطهير مدارج النبوة ومنازل الوحى ومجتمع الأنبيـــاء ومنطلق الإسراء ومشاهد الروح القدسية تطهير هذه البقاع جميعها من أيدى الصهيونية عدوة الإنسان وعدوة الحق وعدوة العدل وعدوة الله .

والرأى المتزن الصريح المؤمن هو أول خطوة فى طريق النصر. والرأى المرجو هو رأى علماء الإسلام هو رأيكم يا من تستمدون كلمتكم من كتاب الله وسنة رسوله فليرع الله جمعكم واجتماعكم وليكتب لكم التوفيق فيما أنتم بسبيله وليرتفع بكلمتكم الفاصلة إلى مستوى الأحداث. ولينفذ بقبسها إلى دنيا العرب والمسلمين، وليجعلها حداء لملايين المسلمين والعرب تسير بهم إلى ميدان الجهاد المقدس الذى يصل بنا إلى مكان كان لنا.

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ».

سدد الله خطانا وجمع على الحق كلمتنا وكتب النصر وتحقيق آمال العروبة والإسلام على يد الزعيم البطل الحر الرئيس (جمال عبد الناصر) وأيدى إخوانه المخلصين من ملوك ورؤساء العرب والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

حسن خالد

مفتى الجمهورية اللبنانية

قال الله تعالى:

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ».

(التوبة: الآية ١١١)

كلمة فضيلة الدكتور محمود حب الله

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

فى حفل افتتاح الدورة الرابعة لمؤتمر المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد المبعوث هدى ورحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه واتبع سنته.

أيها السادة :

أحييكم باسم الإسلام الذى جمعكم على الحق والخير فى هذا المؤتمر الإسلامى الجامع .

أحييكم باسم الأزهر الشريف ، كعبة العلم، وحصن الدين ، وحامل لواء الدعوة إلى الله، ومبلغ رسالة نبيه إلى الناس — أزهركم وأزهر الإسلام والمسلمين ، الذى تجتمعون اليوم فى رحابه ، وعلى أرض الكنانة التى تستقبلكم أهلا ، وتسعد بكم علماء عاملين ، وتقوى بكم أخوة فى الله .

وأحيى فيكم وبكم مطالع يمن وبشائر خير تتجدد كلما استأنف مجمع البحوث الإسلامية دورة جديدة من دورات مؤتمره السنوى ، لأنه يؤكد إرتباط المسلمين بدينهم ويبرز ضرورة هذا الارتباط ، ويقوى الشعور المشترك بوجوب الرجوع إلى أصول الإسلام وقواعده وآداب سلوكه ، ليصبح المسلمون — كما كانوا — أعزة أماجد ، لا تتهددهم قوة ، ولا ينال منهم عدو .

ولأنه يهيء الفرصة لترجمة ذلك الشعور إلى عمل إيجابى من أجل بناء المجتمع الإسلامى بناء ربانيا يحكمه الدين والعلم ، وتسوده الفضيلة والعدل والرحمة .

ولا تحكم الحياة بالدين إلا إذا تجلت للعقل حقائقه ، وأشرقت فى القلوب تعاليمه فى طهرها الأصيل ونقائها الخالص ، والطريق إلى ذلك هو البحث العلمى الجاد والدراسة الممحصة ، وهذا دور مجمع البحوث بعلمائه وباحثيه .

ولا تتطور الحياة تطوراً سليما فى ظل الدين حتى تدرس تطوراتها ، وما يستحدث فيها ويعرض على أصول الإسلام وقواعده الكلية ؛ فإن كان لذلك ما يبرره أخذ به ، وإن دعت الضرورة إليه عدل وغير ليدخل فى إطار التشريع الإسلامى ، أو أخذ منه بقدر الضرورة ، والاجتهاد فى فقه الإسلام هو الوسيلة إلى ذلك وتلك رسالة مجمع البحوث الإسلامية بعلمائه وأهل الرأى فيه.

وليس من مهام مجمع البحوث الإسلامية تبرير الواقع أو تطويره فحسب ، ولكن من مهام المفكرين وذوى النظر فيه أن يسبقوا الحوادث ، وأن يتصوروا المستقبل ، وأن يحاولوا التدرج بالحياة فى مدارج الكمال ليكون اليوم خيراً من الأمس ، وليكون الغد خيراً من اليوم ، وذلك يدعوهم إلى التخطيط لهذا التصور ، والتعاون على جعله واقعاً تنهض به الحياة ويرقى به المجتمع

تلك — أيها السادة — بعض غايات المجمع وأهدافه ، وهى غايات وأهداف لا تزال بعيدة كل البعد عن الواقع العلمى ، ولا يزال المجمع بعيداً كل البعد عن تحقيقها ، لأن تحقيقها يحتاج إلى قدرات وإمكانيات لم يتوفر لمجمع البحوث الإسلامية شىء منها بعد.

فمجال مجمع البحوث الإسلامية واسع وفسيح ، لأن مجاله هو العالم الإسلامى كله بمشاكله وعلاقاته داخل الإطار الإسلامى العام ، وهذا يتطلب أن تكون لأجهزته العاملة قوة بشرية تكون على مستوى المسئولية العالمية الملقاة على عاتقه بحكم تكوينه ، لتصبح ركائزه وقواعده ورصيده فى كل مكان وفى كل بيئة إسلامية مهما قل حجمها أو صغر وزنها السياسى والاجتماعى ، لتشارك فى أعمال المجمع مشاركة إيجابية فى حدود ما تستطيع ، وبقدر ما يقدم لها مجمع البحوث من إمكانيات وخبرات ، ولتقدم له رصيداً فى مجالات البحث من واقع ما تعيش فيه من ضيق أو سعة من نعيم أو بؤس ، من جهل أو علم .

هذه القوى المحلية يمكن أن تتلاقى أفكارها وآراؤها ، وتتبادل مصالحها ومنافعها وتتذاكر قضاياها ومشاكلها فى شكل مؤتمرات تضيق إلى حدود القرية وتتسع إلى حدود الدولة فحدود القارة ، ثم تتجمع على الصعيد العالمى ، وبذلك يتحقق الربط بين المجمع والبيئات الإسلامية ، ويصبح العالم الإسلامى بحق هو المجال الميدانى لبحوث المجمع ودراساته وأفكاره . ولابد لذلك من أجهزة إدارية وفنية على مستوى هذه المسئولية .

كذلك يحتاج المجمع إلى رصيد عالى ضخم لتمويل حلقات البحث وأروقته أولا ، ثم تمويل مشروعات البحث العلمى والكتاب ، والمدرسة والمعهد والملجأ والمستشفى ، ومقاومة الثقافات الدخيلة التى خلفها الماضى ، ووقف تيار المد الجارف الذى يفد من كل جانب ليغير معالم الثقافة الإسلامية بصورة مخيفة تدعو إلى القلق وتنذر بالخطر .

هذه كلها مشروعات تفرضها رسالة المجمع ويحتم تنفيذها وجوده ، وهى مشروعات لابد لها من ميزانية مالية ضخمة تتطلب تضافر

الجهود وتعاون المسلمين جميعاً حتى يتيسر لمجمع البحوث الإسلامية الوفاء بما عليه من التزامات فى هذه المجالات جميعاً ، للتعريف بالإسلام مبرأ من كل دخيل نقياً من كل شائبة ، وليحافظ على التراث الإسلامى وينفى عنه خبث الانتحال والزيف . وليبلغ كلمة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليعنى بطبعات القرآن الكريم والسنة المطهرة . . وليؤدى ما عليه من واجب تفرضه أخوة الإسلام نحو الأقليات المسلمة لتعريفهم بالإسلام وحضارته وثقافته ، وتمكينهم من بناء المعاهد والمساجد وما إليها من خدمات دينية واجتماعية هم الآن أشد ما يكونون حاجة إليها .

وذلك مطلب سبق للمجمع أن اتخذ فيه قرارات فى مؤتمراته السابقة ، وأعلن عن الرغبة فى إنشاء « صندوق الدعوة » .

كل ذلك طالب به مجمع البحوث ودعا إليه ، ولكنه حتى اليوم لا يكاد يملك من ضروريات البقاء ومستلزمات العمل شيئاً .

أيها السادة :

وليس معنى قصور الإمكانيات البشرية والمالية أن يتوقف مجمع البحوث الإسلامية عن نشاطه أو يتخلى عن واجبه ، لأن الإيمان بالله والرغبة فى العمل والأمل فى المستقبل منحت وتمنح السادة الأعضاء والقائمين على شئون مجمع البحوث الإسلامية والعاملين فيه قوة على العمل ومغالبة للصعاب فكافحوا بما يملكون من طاقات محدودة ، فقام العاملون فى أجهزته ويقومون بالإشراف على طبعات القرآن الكريم ، وتيسير الحصول عليه للأفراد والجماعات فى مختلف بلاد العالم الإسلامى ، ويراقبون ما يصدر من الكتب والقصص ذات الصلة بالتراث الإسلامى ، وما إليها من موضوعات تدخل فى الطباعة والنشر ، هذا إلى جانب استقبال وفود الراغبين فى طلب العلم من أبناء العالم الإسلامى وتهيئة الدراسة العلمية لهم فى معاهد الأزهر وكلياته ، وتوفير أسباب الرعاية الثقافية والاجتماعية لهم طوال إقامتهم لطلب العلم .

وإيفاد العلماء إلى أقطار المسلمين ، والإشراف على المعاهد العلمية الإسلامية فى الخارج ، وإمدادها بالمدرس والكتاب والخبرة الفنية ، وإنشاء المكتبات الإسلامية وتيسير ثقافة الإسلام لطلابها والراغبين بها .

وقدم الأعضاء لمجمع البحوث إنتاجا علمياً جليل القدر ، عظيم النفع ، يرتبط أوثق الارتباط بالحياة العلمية والعملية للمسلمين ، ووصل المجمع فيها إلى قرارات تعتبر من مفاخر العصر ، لما اشتملت عليه من تخريجات فقهية ودراسات جديدة واجتهادات لا تقل فى كونها وحجمها عن الجهد الذى بذله السادة الأوائل من علماء المسلمين ، الذين

نقر لهم بالسبق والفضل ، ويشهد لهم علماء العصور الحديثة بأنهم كانوا القادة والرادة لرجال التشريع فى تاريخ القضاء بوجه عام .

ولقد أخذ بعض هذا الإنتاج طريقه إلى الحياة العملية والتبلغ والتوزيع ولا يزال كثير منه ينتظر دوره ، ونرجو أن يكون قريباً .

أيها السادة :

إن من خلال عرض موجز للبحوث العظيمة التى صدرت من مجمع البحوث الإسلامية والقرارات التى اتخذها المجمع فى مؤتمراته الثلاثة تتبينون مدى الجهود التى بذلت لخدمة الحياة العلمية للمسلمين : فى المال والاقتصاد ، وفى التنظيم والتشريع ، وفى الثقافة والحضارة والاجتماع ، وفى الآداب والسلوك والعلاقات الدولية ، وما إلى ذلك مما يدخل فى صميم الحياة ومتطلباتها .

ففى المال والاقتصاد : كانت بحوث الملكية الخاصة فى الإسلام وحقوقها وحدودها ، والتملك وشرعيته وأبعاده ، والمشروع وغير المشروع من الموارد المالية للفرد وللدولة ، وحق الدولة فى الملكية الفردية وعليها ومدى إمكان توجيهها والإفادة منها ، وملكية العين والمنافع .

وكانت بحوث فى الزكاة والصدقات ، وحق الفقراء فى أموال الأغنياء والقروض والفوائد والودائع والتأمين والمعاشات الحكومية . ونظام المصارف وأعمال البنوك ، وصناديق البر والجمعيات التعاونية .

كل ذلك وغيره من موضوعات كان لمجمع البحوث الإسلامية فيها مجال ومجال وكان له فيها قرارات حكيمة أخذت كلها طريقها إلى كافة المسلمين بكل وسائل البيان والإعلام .

وكانت بحوث فى الشريعة الإسلامية وأبعادها وارتباطها الوثيق بحياة الإنسان ، والفقه الإسلامى وتطوره وتضخم حجمه على مر الزمن ، بسبب ما يجد من أحداث ، وما يجد لها من أحكام ، وكان الاجتهاد لاستنباط هذه الأحكام وكفالته لكل من استكمل شروطه ، وكان اجتهاده فى محل الاجتهاد ، وبقاء الاجتهاد ما بقى القادرون عليه ، لأنه السبيل الوحيد لمراعاة المصالح ومواجهة الأحداث المتجددة . وذلك باختيار المناسب من أحكام المذاهب الفقهية ، فإذا لم يوجد فالاجتهاد الجماعى المذهبى ، فإن لم يوجد فالاجتهاد الجماعى المطلق وكان ذلك كله مجال بحث مستفيض .

ولم ينشأ أكثر هذه البحوث عن رغبة فى البحث لذات البحث ، وإن كان ذلك حسنا ومطلوبا لذاته ، ولم ينشأ من أجل المران الذهنى للباحثين كذلك ، ولكنها كانت فى جملتها استجابة لواقع بلبل أفكار المسلمين ،

وأوقع كثيرا منهم فى شك وارتياب، فجاءت هذه الأحكام الفقهية بيانا للمسلمين وضياء ليهتدوا بها إلى مواقع المذاهب الإقتصادية الحديثة من دين الله وليكونوا على هدى وبصيرة .

وعن الكتاب والسنة كانت بحوث حول القرآن الكريم ومكانته بين المسلمين وأنه الأصل الأول بينهم فى التشريع والتوجيه ، ولزوم الأخذ بالرسم العثمانى والحرص عليه ، وأن القرآن بآياته وكلماته وسوره وموقع كل منها من القرآن أمر توقيفى تلقاه الرسول الكريم من رب العالمين وبلغه كما تلقاه وكما هو عليه الآن ، وأن تفسير الكتاب المبين بالرأى المجرد لا يجوز ، وأن السنة النبوية هى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد كتاب الله .

كل ذلك كان مدار بحث مستفيض ودراسة أصيلة للباحثين ووصل فيها مجمع البحوث الإسلامية إلى قرارات مسببة مدعومة بالأدلة والأسانيد .

وهذا الجانب من البحث كذلك كان نتيجة لمواقف تلقفها بعض الكاتبين من أفواه دخلاء على الثقافة الإسلامية ، أساءوا فهمها فأساءوا الحكم فيها وعليها . واعتنق هذا الزور بعض ضعفاء المسلمين ، وكان لابد لمجمع البحوث الإسلامية أن يصحح هذا الفهم وأن يبين للمسلمين طريق الرشاد .

وفى المجال الدولى قدمت بحوث قيمة عن عن العلاقات الدولية فى زمن الحرب والسلم، وعن الجهاد وأسبابه ونتائجه وقواعد السلوك فيه وآدابه وانتهى فيها مجمع البحوث إلى قرارات تبرز يسر الإسلام وسماحته ، وتؤكد عمومه وعالميته ، وأنه دين يعالج وجدان الإنسان وعقله ، ويدرك قصوره وضعفه ، فيعذره قبل أن يعذله ، ولا يلجأ إلى عذله ،حتى تعجز الحيلة معه ويستعصى على الإصلاح أمره .

وكانت بحوث عن المجتمع الإسلامى وخصائصه وما ينبغى أن يكون عليه ، وما يجب أن يكون بين أفراده من تعاطف وتراحم وتعاون ، وما يجب أن يحكم سلوك الأفراد والجماعات من قيم أخلاقية فاضلة وعدل مطلق فى القضاء ، وعدالة اجتماعية فى الحياة - كل هذا بحثه مجمع البحوث الإسلامية واتخذ فيه قرارات حكيمة تعتبر نماذج حية للمجتمع الإنسانى الكريم .

ولم يغفل المجمع فى دوراته الثلاث الضرورة الملحة لقيام المسلمين بواجبهم نحو التعريف بالإسلام وتبليغ دعوته ، وضرورة إنشاء صندوق لتمويل هذه الدعوة وإعانة الأقليات الإسلامية بصفة خاصة على إقامة المساجد والمعاهد ، وإنشاء المستشفيات والملاجىء ، وتوفير وسائل الرد على العدوان السافر الذى

يقوم به بعض الكتاب للنيل من الإسلام والمسلمين .

وأخيرا تلك الحربة المسمومة التى وضعها الاستعمار وأعداء الإسلام فى ظهر العرب والمسلمين باستيطان الصهيونية فلسطين واحتلال أراضيها والاستيلاء على البيت المقدس ، كانت تلك القضية ولا تزال موضع بحوث ودراسات وقرارات من أول دورة عقدها مجمع البحوث الاسلامية إلى الدورة السابقة .

أيها السادة :

هذه حصيلة علمية موجزة للجهود المخلصة لقلة من العلماء لا يملكون من إمكانيات العمل سوى ما منحهم رب العزة من إيمان به وتوفيق إلى رضاته ، ورغبة صادقة فى العمل من أجل الإسلام والمسلمين .

وهى حصيلة علمية أبلغها مجمع البحوث كافة المسلمين بكل ما يستطاع من وسائل الإعلام والإبلاغ ، ونفذ منها ـ والحمد لله ـ ما تسمح بتنفيذه الإمكانيات المادية المتاحة ، كما كان لبعضها نتائج يمكن أن تأخذ طريقها إلى واقع الحياة العملية إذا وجدت من القوى ما يقيم هذا اللون من الحياة .

أيها السادة :

هذه صحائف الأمس ، تلقى الضوء على ماض مجيد يبشر بخير كثير عند ما تتوفر وسائله ومقوماته ، أما حاضر اليوم فإنه يحمل صحائف جديدة وأحداثا عظاما تستحث الهمم وتستوجب التعاون وتضافر الجهود إذا ما أريد أن تكون مجابهة الواقع ذات فعالية وأثر .

وسيسير منهج العمل فى هذه الدورة على غرار الدورات السابقة فتناقش بحوث المؤتمر على فترتين .

تبدأ الفترة الأولى من اليوم وتنتهى بنهاية اليوم السادس من أكتوبر ويشترك فيها السادة المدعوون مع أعضاء المجمع ، لمناقشة البحوث الخاصة ببيت المقدس وقضية فلسطين ومشكلة اللاجئين العرب ، وموقف اليهود من الإسلام والمسلمين فى العصر الأول ، وموقف الصهيونية من الإسلام والمسلمين فى العصر الحاضر ، وغير ذلك من موضوعات تجدونها مدونة فى جدول الأعمال .

وتبدأ الفترة الثانية بعد ذلك وتنتهى بنهاية الأسبوع الرابع من يوم الافتتاح وينفرد بالعمل فيها السادة أعضاء مجمع البحوث لمناقشة الموضوعات الباقية .

أيها السادة :

أربع سنوات مضت مهدت الطريق إلى إجماع من المسلمين يوحي بوجوب تقوية مجمع البحوث ودعمه ، وكفالة الإمكانيات له حتى ينهض برسالته ويحقق غايته .

وأبانت عن إرادة جادة وعزم صادق على العمل والكفاح من جانب أعضاء المجمع والمشتركين في دورات مؤتمره والقائمين على شئونه والمشرفين على نشاطه .

ثم عن رغبة إجماعية مخلصة من علماء المسلمين في شتى أقطار الأرض تسترخص التضحية في سبيل إنجاحه وإبلاغه أهدافه ...

فمتى تتحول هذه الإرادات والرغبات إلى واقع عملي يجني المسلمون طيب ثمراته ؟ نرجو أن يكون ذلك قريبا .

أيها السادة :

إن الحياة تجد في السير ، وتسرع الخطا ، وعجلة الزمن لا تنتظر أحدا ، ولابد لنا من السير الحثيث في العمل ، والقرار الحكيم في الرأي ... وعلى العالم الإسلامي دولا وحكومات النصيب الأكبر من هذا العبء ، ويوم تتكتل الجهود من خلف هذه الحركة المباركة يومئذ يعلمون أن وجود مجمع البحوث الإسلامية كان ضرورة تفرضها إرادة الحياة وأن قيامه كان خيرا وبركة على الإسلام والمسلمين .

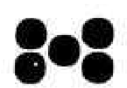
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

« وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

والله ولي التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الدكتور محمود حب الله



كلمة السيد حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين ، بعثه الله بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً ، فهدى به بعد الضلالة ، وتركنا على طريق الحق والهدى .

السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وضيوف الجمهورية العربية المتحدة :

يسعدنى أن أرحب بكم باسم السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن أحمل إليكم تقديره لما تبذلون من جهد كريم ، ندعو الله جميعا أن يجعله دائما نورا يضىء روائع تراثنا ، ويفتح الطريق أمام تعاون أوثق بين المسلمين جميعا ، ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال : إننى من المسلمين .

أيها الأخوة :

لقد عنيت مؤتمراتكم السابقة بجوانب من الحياة الإسلامية : تشريعية واجتماعية واقتصادية ... ولكن مؤتمركم هذا يعقد فى ظروف غير مسبوقة ، يمثلها امتداد العدوان الصهيونى على أرض العروبة والإسلام وانتزاع المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله من أيد مؤمنة أمينة ... المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبى عليه الصلاة والسلام ، من أجل ذلك خصصتم مؤتمركم هذا للقضية المصيرية الكبرى ، وأنتم فى هذا تستجيبون استجابة مؤمنة للمرحلة التى تمر فيها أمتنا دفاعا عن مقدساتنا وأرضنا السليبة .

ولقد فجرت حرب يونيو ١٩٦٧ ، ينابيع جديدة من الوعى على الصعيد الإسلامى ، فتعددت الدعوات والمؤتمرات من أجل الحق السليب ، وتنادى علماء الإسلام وجامعاته بالتعاون ، وتحركت الوفود الإسلامية تدفع دم الحياة فى جسد الإسلام وتتنقل بين عواصمه وتلاقى شعوبه وتجدد العهد على العمل الواعى الدائب ، وجاء هذا تحركا تلقائيا وعميقا ، وتعبيرا صادقا عن إيمان وصفه الله تعالى بقوله : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم » .

وتحدث هذه اليقظة فى الوقت الذى تدعم فيه الجامعات الإسلامية الروابط فيما بينها ، وتظهر فى أفق الإسلام جامعات جديدة تتلقاها الجامعات العريقة بالترحيب ، تعاونا فى هيئات التدريس والبرامج ، ويتابع الأزهر رسالته التاريخية تطويرا يستهدف ربط التراث التليد بآفاق العلم الحديثة لتخريج جيل من العلماء الذين يجمعون بين أصالة الماضى ومتطلبات الحاضر ، سيرا إلى المستقبل وتمهيدا لبذور الإسلام فى الأرض الطيبة .

كل هذه - أيها الأخوة - مؤثرات جديدة فى حقل الفكر تمتد على صعيد العالم الإسلامى كله .

وتتواكب هذه المؤثرات من الجهد العلمى مع تعبئة تأخذ ثلاثة أبعاد أساسية :

١ - البعد الروحى : مصداقا لقول الله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .
وتمثل هذا إنابة إلى الله إنه هو البر الرحيم .

٢ - البعد الاقتصادى : وبدونه لا تستطيع أمتنا الإسلامية أن تأخذ مكانها فى ركب الحياة المتطور ... وهذا البعد يقتضى منا جهدا علميا وبحوثا وتكوينا لأجيال من المتخصصين .

٣ - البعد العسكرى : الذى يتمثل فى قول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » .

كل ذلك استعدادا لمعركتنا الكبرى المقدسة ضد أعدائنا وأعداء الله وآخرين من دونهم .. فليس هناك فى حياتنا الآن صوت أعلى من صوت المعركة ولا نداء أقدس من ندائها .

إنها الهدف الذى يذكره الزارع فى حقله والعامل فى مصنعه والعالم فى مخبره والواعظ فى عظته ... إنها الأمل الذى تتطلع إليه أعين الشباب تطلعا واعيا يجمع بين عمق الإيمان ووضوح الرؤية وسلامة الاستعداد والتنظيم هدف تمثل فى شدة إقبال الشباب على الكليات العسكرية ومعسكرات التدريب وتدريبات الدفاع المدنى ...

وهذه المعركة ينبغى للعالم كله أن يعى فى وضوح أننا لا نخوضها فقط دفاعا عن مقدساتنا وهى وحدها تكفى هدفا نبيلا لأقدس معركة ، ولكن العدوان امتد أيضا إلى المقدسات المسيحية فى الأرض المباركة ، هذه المقدسات التى صانها آباؤنا عبر القرون يلتقى فيها العابدون فيجدون الأمن والسلام .

لقد صانها أبناؤها من عدوان التتار والصليبيين الذين جاءوا متسترين وراء صليب المسيح عليه السلام النبي الداعي إلى المحبة ، وباسمه - وهو بريء - خاضت خيولهم في دمائنا وتعاقبت بعد هـــذا موجات الغدر الاستعماري والصهيوني التي بلغت ذروتها في عدوان يونيو ١٩٦٧ .

ولقد تعودنا من علمائنا عبر التاريخ أن يعملوا من أجل حق الإسلام ، يدفعون عنه عدوان المعتدين ، ويدفعون شعوب الإسلام إلى ميادين الشرف والتضحيـة ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم .

لقد كان القاضي « بهاء الدين بن شداد » يصحب « صلاح الدين الأيوبي » في حروبه ضد الصليبيين ورأينا « العز بن عبد السلام » ، وأبا الحسن الشاذلي ، والإمام « ابن تيمية الحراني » ، ورأينا هؤلاء وغيرهم كثير في حروبنا ضد التتار ... رجال يزحفون إلى المشرق والمغرب ، منهم من قوى بعد جهاده في قلب إفريقية أو في الأرض المقدسـة أو في ميادين المعارك في مشارق أرضنا ومغربها فكل أرض الإسلام له وطن ...

رحمهم الله .. أمضوا حياتهم علماء وطلبوا ميتة الشهداء وضربوا أروع الأمثلة للربط بين العلم والعمل ، والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله .

أيها الأخوة العلماء المؤمنون :

لقد قرأت بحوثـكم التي تم طبعها قبـل المؤتمر ، ولمست فيها هذه الأقباس المضيئة التي ذكرتني بأبوتنا الماجـدة ، وأحسست حرارة الإيمان الذي أرجو أن يؤتي ثمـاره تفاعلا وتحملا مشتركا لمسئوليـة ضخمة ، ونحن والحمد لله نقدر جميعا هـذه المسئولية الخطيرة .. وهـذه مسئولية نرجو الله أن يرضانا أهـلا لحلها حتى نستعيد مقدساتنا وأرضنا السليبة من أعدائنا انتزاعا يعود به إخواننا إلى أرضهم التي أخرجوا منها بغير حق ، وحقولهم التي اختلط عرقهم بترابها ، وثوى فيها رفات أجدادهم وارتفعت فوقها مآذنهم . .

أيها الأخوة :

أدعو الله جلت قدرته أن يجعـل عملنا خيرا من قولنا ، وأن يجعل غدنا خيرا من يومنا ، وندعوه - جل وعلا - بمـا علمنا أن ندعوه به : « ربنا آتنا من لدنك رحمـة وهيء لنا من أمرنا رشـدا » . سائلين الله نصرا عزيزا « وما النصر إلا من عند الله » .

وفقـكم الله ورعاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٥ من رجب ١٣٨٨ هـ

٢٨ من سبتمبر ١٩٦٨ م

من كلمات البحوث :

مكانة بيت المقدس في الإسلام

للأستاذ عبد الحميد حسن
عضو مجمع البحوث الإسلامية

بيت المقدس اسم سجله الإسلام فى صفحة مشرقة من صفحات التاريخ . وقد وضع المسلمون الدعائم الراسخة لهذه البقعة المباركة منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

ومدينة بيت المقدس هى عاصمة فلسطين . وتاريخ هذه المدينة ينطوى على حقبة طويلة من أمجاد الإسلام .

وتقع هذه المدينة فى وسط فلسطين فوق تل صخرى على بعد نحو خمسة كيلو مترات من مدينة « يافا » وهى قسمان :

المدينة الجديدة وهى حافلة بالمبانى والطرق الحديثة . والمدينة القديمة وهى زاخرة بآثارها الدينية . وتضم معظم الأماكن المقدسة وأهم ما للمسلمين « المسجد الأقصى » وهو الحرم المقدس لهم وللمسيحيين كنيسة القيامة ولليهود كما يقولون حائط المبكى الذى يزعمون أنه ملك لهم .

وكان اسم المدينة « أورشليم » وهو الإسم الكنعانى وكانت مركزا لسيادة الكنعانيين الذين سكنوا البلاد قبل إسرائيل . فالمدينة كنعانية قديمة وجدت قبل داود عليه السلام بنحو تسعمائة سنة .

وقد حارب بنو إسرائيل الكنعانيين وضربوا أورشليم وأشعلوا فيها النار . وفى سنة ٦٦ م قام اليهود بفتنة ضد الحكم الرومانى فأخمدها الرومان وفى سنة ٧٠م فى عهد الرومان هدمها « تيطوس » ثم هدمها مرة ثانية « هدريانوس » الرومانى « ٧٦ — ١٣٨ م » وبنى مكانها سنة ١٣٥ م مدينة أسماها باسمه الأول « إيلياء هدريانوس » ليمحو كل أثر يهودى وظل اسم « إيلياء » سائدا نحو مائتى سنة إلى أن جاء الامبراطور « قسطنطين » الرومانى فى القرن الرابع الميلادى وهو أول من اعتنق النصرانية من أباطرة الرومان فألغى اسم « إيلياء » وأعاد اسم « أورشليم » ولكن اسم « إيلياء » ظل مستعملا إلى الفتح الإسلامى كما جاء فى العهد الذى كتبه عمر ابن الخطاب لأهل بيت المقدس .

وأورشليم قد دثرت وحلت محلها القدس ثم بيت المقدس وهو الإسم الذى أطلق عليها منذ الفتح الإسلامى « سنة ٦٣٨ م » إلى الآن .

وللبيت المقدس مكانة فى الإسلام ، فقد جاء التنويه بها فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية وتجلت كذلك فى مشاعر المسلمين وعواطفهم الدينية وفى تعلقهم القلبى والروحى بهذا الأثر الدينى العظيم . وظهرت هذه المكانة أيضا فى حرص المسلمين فى فتوحهم على أن ينقذوا بيت المقدس ويصونوا معالمه فى خلافة عمر بن الخطاب . ثم فى أيام صلاح الدين الأيوبى ثم فى عنايتهم به وبتجديد نواحيه وبصيانته على مر الأيام .

وقد جاء فى القرآن الكريم ذكر بيت المقدس فى قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » (١) وهذه الآية الكريمة تشير إلى المسجد الأقصى وهو أهم المقدسات الإسلامية فى مدينة القدس . والمسجد الأقصى وثيق الصلة بحادثين من الحوادث ذات الشأن فى التاريخ الإسلامى وهما الإسراء والمعراج .

فالإسراء رحلة أرضية والمعراج رحلة سماوية والمسجد الأقصى كان مركزا فى كلتا الرحلتين فهو فى الأولى نهاية الإسراء وفى الثانية بدء المعراج . والرحلتان ترتبطان ارتباطا وثيقا برسالات الله إلى عباده وبانبثاق نور الهداية الدينية .

والسنة النبوية حافلة بما للمسجد الأقصى من مكانة وبفضل الصلاة فيه . من بينها ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » .

وعن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت : يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس « أى هل شرع السفر إليه » فقال : إيتوه فصلوا فيه ، فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله » .

وإلى جانب ما فى الكتاب والسنة بشأن مكانة المسجد الأقصى نجد أنه قد اتصل اتصالا روحيا بالقلوب .

ونجد بعد ذلك تجاه بيت المقدس مرحلة أخرى تنتقل من العواطف والمشاعر إلى الواقع العملى وإلى الدفاع عن العقيدة الإسلامية وحماية المقدسات التى يعتز بها المسلمون .

ففى ضوء المبادىء الإسلامية النبيلة وهدى الدين القيم وأهدافه السامية وعلى أساس من إقامة ميزان العدل وإشاعة الحرية والمساواة ورفع مشعل الهداية القلبية جاء الفتح الإسلامى لبيت المقدس : مرة فى أيام عمر بن الخطاب

(البقية فى صفحة ٤٣٣)

(١) الإسراء - ١

القدس في عهد الاحتلال اليهودي

لفضيلة الأستاذ عبد الحميد السائح

تناول سماحته فى فصول بحثه : « مكانة القدس فى الإسلام » الأربعة الأولى تاريخ المدينة وصلة العرب بها قبل إسرائيل وبعدها.

ثم أعقب ذلك بفصول أربعة أخرى تضمنت تحقيقات فى الإسراء والمعراج وتحويل القبلة وفضل الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى.

وكانت الفصول الستة التى ينتهى بها البحث تتضمن أحداثا سياسية هامة أبرزت الحق العربى فى البلاد وبخاصة فى الأماكن المقدسة وضمنها قرار « الساتيكو ».

ونقدم من هذا البحث الفصل الذى تحدث فيه فضيلته عن :

القدس فى عهد الاحتلال اليهودى

وتهويد المدينة

مفروض فى اليهود ، وهم من أهل الكتاب أن يحترموا مدينة القدس ، وما فيها من مساجد ومعابد ، ليذكر فيها اسم الله ، لكنهم فقدوا كل شعور إنسانى فضربوا المدينة من الجو وقصفوها بالمدفعية ، فأحرقوا كثيراً من المخازن التجارية ، بما فيها من بضائع وسلع ، ونهبوا ما وصلت إليه أيديهم ، وضربوا المسجد الأقصى المبارك ، فأصابوا بابه الأوسط بمدفعيتهم حتى حطموه إربا إربا ، وأصابوا إحدى مآذنه إصابة مباشرة وهى مئذنة باب الأسباط ، وأصابوا قبة الأقصى نفسه ، وقبة مسجد الأقصى المكرمة إصابات مختلفة ، كما أصابوا عدداً من الكنائس المسيحية مثل كنيسة يوحنا ، وهى المعروفة بالصلاحية ، وهدموا بعض الأديرة والكنائس كما هدموا المسجدين الموجودين فى ساحة المبكى ، وأحدهما مسجد البراق الشريف ، فضلا عن هدمهم لجميع الأبنية فى المكان المعروف فى حارة المغاربة من أوقاف أبى مدين الغوص والمحسنين من المغاربة ، وهدمهم لعدد آخر من الدور والمساكن ، وكانوا يمهلون السكان نصف ساعة ليخرجوهم وأفراد أسرهم ، وحمل أمتعتهم . هذا عدا عن نسف البيوت والممتلكات لأوهى الأسباب.

وقد انتهكوا حرمة جميع المقدسات بالدخول إليها فى حالات منافية لأبسط قواعد الآداب مما أثار السكان من مسلمين ومسيحيين ودفعهم لتقديم مذكرات الاستنكار

والاحتجاج ، وإعطاء صور عنها لقناصل الدول الموجودين بالقدس العربية .

وقد قرروا أيضاً ضم القدس العربية بما فيها من مقدسات إلى القسم الآخر المحتل سابقاً من القدس وبذلك خالفوا قواعد القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة التى تمنع المحتل من أن يضم إليه أية أرض احتلها ، ولو فعل ذلك فلا يترتب على عمله أى أثر قانونى .

وأخيراً لجأوا إلى إعلان استملاكهم مساحة من الأرض العربية تبلغ ٣٣٤٥ دونما [١] ، وهذه الأرض هى الوحيدة التى بقيت للعرب فى القدس وتصلح لإقامة أبنية عليها ، وقد استملكوها لإسكان آلاف المهاجرين اليهود فيما ينشئون عليها من عمارات مما يدل دلالة واضحة على استخفافهم بجميع مقررات الأمم المتحدة واتفاقيات جنيف التى تقضى بالمحافظة على السكان وممتلكاتهم ، ومما يشهد بنواياهم التوسعية عدم رغبتهم فى أى معنى من معانى السلام بينهم وبين العرب - حسب زعمهم - .

وقد لجأوا أيضاً إلى إخراج عدد من السكان الذين يرون فى وجودهم فى المنطقة المحتلة إزعاجا لهم وخطراً يهدد سلامتهم وأمنهم ، لعدم انصياعهم لإرادتهم ولاستمرارهم فى الدعوة للمقاومة بشتى أساليبها ، مع أن مقاومة المحتل حق مشروع أقرته الدول المتمدينة واعترفت به الأوساط الدولية . خصوصا أن فى المقاومة معاونة على تطبيق ميثاق هيئة الامم وقراراتها المتعددة التى تمنع من ضم القدس العربية ، والسير فى تغيير معالمها والاعتداء على السكان وحقوقهم المختلفة .

ولا تزال سلطات الاحتلال ممعنة فى خططها الجهنمية التى تقضى على مظاهر الإسلام والعروبة فى المدينة وإظهارها المدينة اليهودية ، ولا يزالون يفكرون فى هدم مسجد الصخرة المشرفة لإقامة بناء الهيكل مقامه ، ولذلك فإنهم بواسطة سلطات الجيش الإسرائيلى أخذوا مفتاح أحد أبواب المسجد الأقصى وهو الباب المسمى بباب المغاربة [١] ووضعوا أيديهم عليه ، فصاروا يسمحون لمن يشاءون بالدخول إلى ساحات المسجد وإلى المسجد نفسه فى كل وقت دون إذن أو مراقبة من قبل دائرة الأوقاف الاسلامية ، وهذا وحده

---

(١) الدونم : ١٠٠٠ متر مربع .

(١) وكان الناس قديما يسمونه باب النبى ، وباب البراق ، ولعله الباب الذى دخل منه الرسول عليه الصلاة والسلام وأما سيدنا عمر فقد دخل من باب شرف الأنبياء الذى يسمى الآن باب فيصل كما أشار إلى ذلك مجير الدين ابن الحنبلى ، تاريخ قبة الصخرة صفحة : ٢١٦ ، ٢١٨ .

يكون منطلق خطر على المسجد الأقصى، وعلى مسجد الصخرة، وهم المعروفون بجميع أساليب الخداع والكذب والافتراء.

لذلك كله فإن الواجب الاسلامى يقضى على جميع المسلمين فى المشارق والمغارب أن يهبوا للعمل يداً واحدة وفى أسرع وقت ممكن لانقاذ القدس والمسجد الأقصى وسائر المقدسات، وإلا فإن الساكت على هذه الحالة والمتجاهل للقيام بواجبه يكون قد أسهم فى بقاء حالة لا تقرها شريعة الله ولا يقبلها الاسلام من أتباعه ومؤيديه.

إن حكام إسرائيل الذين ملأوا الدنيا ضجيجا كاذبا فى رغبتهم فى السلام وفى عدم المزيد من التوسع وفى أن دولة إسرائيل واحة الحرية والديمقراطية كشفوا ويكشفون الآن عن حقيقة نواياهم فى المزيد من التوسع ليس فقط بإصرارهم على رفض الانسحاب من المناطق العربية المحتلة حديثاً وإنما فيما يطبقون بالنسبة لمدينة القدس العربية من سياسة بالغة الخطورة والإجرام.

فبرغم قرارى الدورة الطارئة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة الصادرين فى شهر آب سنة ١٩٦٨ القاضيين بعدم شرعية ضم مدينة القدس العربية لإسرائيل، وبرغم قرار مجلس الأمن الإجماعى القاضى بالانسحاب، وبرغم ميثاق الأمم المتحدة بمنع الضم والإلحاق،

برغم كل ذلك فإن الحكام الصهاينة ينفذون الآن مخططهم فى تهويد مدينة القدس العربية باستملاك الأراضى والمبانى العربية لإسكان عشرات الآلاف من اليهود فيها، وإنهم ماضون فى حل وإلغاء كافة المؤسسات العربية والإسلامية فى القدس والعبث بها، فبعد أن ألغوا جميع المشاريع المدنية التى كانت قائمة قبل الحرب، واستبدلها بالمشاريع الإسرائيلية السارية المفعول من قبل الحرب فى إسرائيل خلافا للأعراف والإرادة الدولية.

ألغوا بلدية القدس العربية وجميع الدوائر العربية الرسمية واستبدلوها ببلدية ودوائر يهودية.

هدموا أحياء بكاملها وعشرات المبانى خارج وداخل سور مدينة القدس القديمة فشردوا مئات العائلات المقدسية التى يعود تاريخ وجودها فى القدس إلى أقدم العصور التاريخية.

استباحوا حرمة الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية وفى مقدمتها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة.

هدموا المساجد والكنائس ومنها: مسجد البراق والمغاربة وكنيسة السريان الكاثوليك.

إن سياسة التهويد والاعتداءات الإسرائيلية لا تقف عند حد:

فالحكام الصهاينة يعدون العدة للاستيلاء على الحرم القدسى بحجة أنه (جبل البيت) بعدأن سبق لهم ورفعوا العلم الإسرائيلى فوق قبة الصخرة المشرفة .

كذلك هم يعدون العدة للاعتداء على المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية بالقـــدس ووضعها تحت إشراف وسيطرة وزارة الأديان الإسرائيلية ، وهم ماضـون فى فرض أقسى الظروف الاقتصادية المرهقة لإفلاس المؤسسات الاقتصادية العربية فى القـدس ، وبخاصـة السياحية بعـد أن عزلوا القدس عن سائر أنحاء الضفة الغربية المحتـــلة بالحواجز والرسوم الجمركية .

فإلى الضمير العالمى الذى طالما هزته آلام البشرية ومآسيها والذى انتفض ضد النازية والفاشية والذى يرفض الاحتلال واقتلاع الشعوب من أوطانها وتقتيل وتشريد الأطفال والنساء والشيوخ وتعذيب النفس البشرية .

إلى الإنسان العربى المعتز بقوميته وبكرامة أمته وتاريخها الحضارى المجيـد ، الطامح إلى إعادة بناء المجتمع العربى الموحـد المتقـدم المزدهر وإلى تأهيل الأمة العربية للمساهمة مع كل شعوب الدنيا فى خير البشرية ورخائها .

إلى الإنسان المسلم فى العالم الإسلامى الكبير المؤمن بقوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الذى باركنا حوله » والمؤمن بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ، ومسجدى هـذا والمسجـد الأقصى) ، والذى يحزنه أن يرى القـدس بلد الإسراء والمسجد الأقصى ، أولى القبلتين فى أيدى الصهاينة الأشرار .

إلى العـالم المسيحى المؤمن برسالة السلام والمحبة المتجـه بعقيدته نحو عهـد المسيـح رسول السلام .

إلى كل الدول المناهضـة للظلم والطغيان ، إلى الهيئات والمؤسسات الوطنية والتقدمية فى [illegible] إلى الأحرار والشرفاء والمناضلين أينما وجـدوا الذين طالما انتصروا لقضايا الحق والحرية ، إلى كل مكافح من أجل كرامة [illegible]سان ومن أجـــل منع حمامات الدماء و[illegible]ذابح الجماعية فى أى بقعة من بقاع الأرض كما فعلت وتفعل الصهيونية المعتدية على أرض فلسطين العربية المقـدسة بحماية الإمبريالية العالميـــة .

إلى كل مناضل ضد قيام نازية جديدة متمثلة فى الحركة الصهيونية ، ووليدة الاستعمار العالمى إسرائيل إلى جميع المناوئين للحرب العاملين لاستتباب السلام العادل القائم على حق الشعوب فى العيش بكرامة فى أوطانها ، إلى كل مؤمن مناضل مجاهد يتطلع إلى ساعة

التحرير والاستشهاد ، ويفدى البلاد المقدسة بدمه وروحه .

إليكم جميعاً نتوجه بهذا النداء للاستيقاظ على حقيقة الصهيونيـــة وعلى حقيقة دولة الصهاينة ، وخلفاء النازية والفاشية منفذى سياسة الإمبريالية ضد الشعب العربى ، ويناشدكم الانتصار للشعب العربى الفلسطينى الأسير الشريد الطريد المهدد بالفناء وبالغياب عن مسرح التاريخ ، كما يناشدكم الوقوف بجانب الأمة العربية ومؤازرتها لرد العدوان الإسرائيلى الأمبريالى على حريتها وكرامتها ووطنها ويهيب بكم العمل بسرعة وبجد لإرغام حكام إسرائيل على توقيف تنفيذ مخطط تهويد مدينة القدس العربية .

عبد الحميد السايح

(بقية المنشور على صفحة ٤٢٨)

وأخرى فى أيام صلاح الدين الأيوبى وستجىء الثالثة إن شاء الله فى عصرنا الحاضر لإنقاذ هذا القطر الحبيب من أيدى الغاصبين المعتدين وإعادته إلى العروبة وإلى المسلمين حتى ينعم بالحياة الراضية التى وضع الإسلام أصولها وأقام دعائمها .

وإن أجدى الوسائل للتغلب على المعتدين على البقاع المقدسة هى أن نعتصم بحبل الله ونوحد صفوفنا وأهدافنا ونسير نحـو الغاية التى ننشدها . فالخطة واضحة . وبذلك نعيد للأماكن المقدسة مكانها وجلالها .

هذه هى مدينة القدس التى حظيت بأمجاد الإسلام . وتعاورت عليها الأحداث وخبرت العدل والظلم والغضب والحـــلم . وشهدت الشدائد والرحمات . والهزائم والانتصارات . وصمدت وستصمد على تقلبات الزمن لترى قريبا إن شاء الله ما قدره الله لهـا من حرية وقدسية وذكر خالد مقترن بنصر الحق وعلو المنزلة وبالعزة والكرامة .

وقد استمرت إسلامية عربية منذ فتحها عمر بن الخطاب . ولم تدخلها إسرائيل إلا بعد وعد بلفور المشئوم . وستظل إن شاء الله إسلامية عربية . فالقلوب ترعاها وعناية الله تحدوها « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

عبد الحميد حسن

عضو المجمع

[٣]

الصهيونية وأهدافها

للأستاذ الدكتور سيد نوفل
الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية

قدم الدكتور سيد نوفل بحثا بعنوان الصهيونيه وفلسطين تناول فيه النقاط التاليه

تعريف بالصهيونية وأهدافها - المؤتمرات الصهيونية الأولى - مساعي الصهيونية لدى الدول الكبرى - محاولة استغلال الجميع - التركيز على بريطانيا - أمريكا وتصريح بلفور - اليهود يضعون مشروع التصريح - تحليل وتفنيد التصريح - لماذا أصر الصهيونيون على إتخاذ فلسطين وطنا قوميا - معارضة يهودية للسياسة الاستعمارية الصهيونية - الموقف فى نهاية الحرب العالمية الثانية - أولا : فى المجال الدولى - ثانيا : فى المجال اليهودى - ثالثا : فى المجال العربى - النضال العربى بعد الحرب العالمية الثانية - العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ - عدوان الخامس من يونيه «حزيران» لعام ١٩٦٧ - خداع الصهيونية وتضليلها - الأمم المتحدة والعدوان - سياسة إسرائيل التوسعية - الصهيونية واللاجئون الفلسطينيون - العدوان الصهيونى على حقوق الإنسان - الأساس العنصرى للصهيونية - خاتمة : واجب الدعوة الإسلامية ضد الأباطيل الإسرائيلية الصهيونية - واجب الجهاد المقدس لانتصار الإسلام وتحرير المسجد الأقصى .

وفيما يلى تعريف بالصهيونيه وأهدافها :

الصهيونية نسبة إلى صهيون ، وهو الجبل أو التل الشرقى من جبلين أو تلين تقوم عليهما القدس القديمة . وقيل إنه كان حصنا احتله داود وامتدت من حوله عاصمة مملكته التى سميت باسم « صهيون » . وهذا الإسم ، كما تقول دائرة المعارف البريطانية ، موجود قبل وجود الإسرائيليين ، بل قبل وجود الكنعانيين ، وأطلق على الجبل الذى أقيمت عليه القدس ، وأسبغ اليهود عليه قداسة ، وزعموا أن إلههم « يهوه » يسكنه ، ويمارس سلطانه من فوقه . وفى العصر الحديث انتسبت إلى « صهيون » حركة غلاة اليهود لاستعمار فلسطين استنادا إلى جمعهم حول قومية منتحلة هى ، القومية اليهودية ودين وصلوه بها ، وأحياء اللغة العبرية التى ماتت منذ القدم ، والمباعدة بين اليهود وبين البلاد التى ينتسبون إليها قوميا ووطنيا ، وتهجيرهم إلى فلسطين تمهيدا للسيطرة عليها ، ومنطلقا إلى المطامع الإستعمارية الإستغلالية فى العالم العربى وسائر العالم الآسيوى الأفريقى ...

٢ — وإذا رجعنا البصر نحو الماضى ، تبينا أنه لم يكن لليهود وجود مذكور

فى فلسطين إلى القرن التاسع عشر طوال ثمانية عشر قرنا ، فضلا عن انتهاء الحكم اليهودى فيها منذ القرن السابع قبل الميلاد . وقد كان هذا الحكم فى واقعه حلقة من سلسلة الغزوات الأجنبية لفلسطين وسائر البلاد العربية ، ولم يبق سوى فترات متقطعة قصيرة لا يتجاوز مجموعها سبعين عاما . فلقد وجد « شيشنق » أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين المصرية فلسطين مع مصر ، وحرر فلسطين من دولة اليهود الأولى . ومن بعد ذلك انقسم اليهود إلى قسمين متناحرين حتى قضى سرجون الثانى ملك آشور ، فى عام ٧٢١ قبل الميلاد ، على مملكة إسرائيل فى الشمال ، ثم قضى الملك الكلدانى نبوخذ نصر ، فى عام ٦٠٤ قبل الميلاد ، على مملكة يهوذا فى الجنوب . وكانت المملكة فى القسمين لونا من التجمع القبلى أو المذهبى . ومنذئذ لم تقم لليهود دولة فى فلسطين . بل إن الوجود اليهودى ذاته فى فلسطين صفى عدة مرات أشهرها التصفية التى تمت أثناء العهد الرومانى فى القرن الأول الميلادى . ومنذ فجر الإسلام استكملت فلسطين عروبتها وإسلامها شأن سائر البلاد العربية الإسلامية ، وانتهى بالإسلام الحكم الرومانى فى فلسطين بعد الحكم السلوقى والحكم اليونانى أو المقدونى والحكم الكلدانى والحكم الآشورى والحكم اليهودى . .

وقد ذكر السائح اليهودى بتاحيا أنه لم يكن فى القدس حين زارها لأواخر القرن الثانى عشر الميلادى سوى يهودى واحد .

وقال موسى بن نحمان جيروندى اليهودى أنه لم يجد فى القدس عندما نزل فيها لأواخر القرن الثالث عشر سوى عائلتين يهوديتين .

وتدل سجلات المحكمة الشرعية فى القدس على أن عدد اليهود فى فلسطين كان ١١٥ فى عام ١٥٧٢ م ، و ١٥٠ فى عام ١٦٨٨ . ولم يتجاوز عددهم ذلك بكثير طوال القرن الثامن عشر . وظهرت الزيادة فى القرن التاسع عشر إبان المد الاستعمارى الأوروبى وظهور طلائع الحركة الصهيونية الاستعمارية . وقد بلغ عددهم فى عام ١٨٤٢ ألفين . وحاولوا فى عام ١٨٢٧م شراء الأراضى ، ولكن الأهالى عارضوا ذلك . وأيد مجلس القدس الشريف معارضتهم . وأقر حاكم مصر فى ٢٤ محرم سنة ١٢٥٣ وجهة النظر هذه التى رفعها إليه مصطفى السعيد متسلم القدس الشريف . وقد جاء فيها بالنسبة لالتماس اليهود مانصه :

« فالتماسهم بذلك لا يوافق حكم الشريعة ماعدا تعاطى البيع والشراء بالتجارة .(1) »

٣ — وكان أول من نادى بالقومية

---

(1) سجل المحكمة الشرعية بالقدس ، الإذن الشرعى ص ٢٣ لسنة ١٢٥٣ هـ .

اليهودية ، والدولة اليهودية ، « موسى هيس MOSES HESS » (١٨١٢ — ١٨٧٥) ، الملقب بالأب الحقيقي لفكرة «اليهودية قومية سياسية» . وهو يهودي ألماني استهوته أفكار السيطرة والاستعمار ، وكان له دور فعال في الثورة الألمانية عام ١٨٤٨ ، وعندما ساءت أمورها هرب إلى فرنسا .

وفي فرنسا كتب عام ١٨٦٢ كتاباً بعنوان «روما والقدس ROME & JERUSALEM» دعا فيه إلى أن تكون القدس لليهود بمثابة روما للمسيحيين ، وقال إن الدين اليهودي قومية يهودية قبل كل شيء .. وأن على كل يهودي مسئولية إعادة بناء إسرائيل . وقال «إن كان صحيحاً أن التحرر اليهودي في المنفى يتعارض مع القومية اليهودية ، فواجب اليهود أن يضحوا بالأول في سبيل الثانية» . كما طالب فرنسا أن تبسط نوعا من الانتداب أو الحماية على فلسطين لمصلحة اليهود حتى تصبح دولة يهودية ، ودعا إلى مثل هذه الدعوة غيره من اليهود المعاصرين له .

٤ — وفي عام ١٨٨٤ ، ولأول مرة في التاريخ ، اجتمع في «كاتوفيتز KATOVITZ» بألمانيا بالقرب من الحدود الروسية ، طائفة من غلاة اليهود في بلاد مختلفة ، وقرروا «استعمار فلسطين بفلاحين يهود» . ونظم الذين اختاروا فلسطين أنفسهم في جمعيات «محبو صهيون» "Hoveveh Zion" "Lovers of Zion" لتشجيع الاستيطان في فلسطين وإحياء اللغة العبرية . وبذلك وضعوا بذور الصهيونية السياسية . وجندوا أنفسهم لخدمة هذه الجمعيات بالتجوال في أوربا وجمع الأموال لها لشراء أراض في فلسطين لإنشاء مستعمرات صهيونية . ووجدوا في البارون ادموند دي روتشيلد "Baron Edmond de Rotschid" والبارون ادموند دي هيرش "Baron Edmond de Hirsch" جميع أسباب العون لهم . وانشأ البارون ادموند دي هيرش ، جمعية الاستعمار اليهودي "Jewish Colonization Association" مفصحا بهذه التسمية عن الأهداف الاستعمارية الأولى للصهيونية ، وقد ساعدت هذه الجمعية ، مع ما بذله البارون روتشيلد ، على هجرة طائفة من اليهود إلى فلسطين .

٥ — ويعتبر البارون «تيودور هيرتسل Dr. Theodor Hertzl» أبا الصهيونية السياسية الاستعمارية بمعناها العدواني . وقد فكر هيرتسل الاستعانة بشعار براق ، ألا وهو الاشتراكية Socialism وقال في ذلك: «سأجعل من جميع اليهود اشتراكيين . وبذلك تنشأ حركة مضادة تحارب الحركات المتخلفة بما فيها اللاسامية» ، ثم نصب نفسه في عام ١٨٩٥ داعية للدولة اليهودية ، متخذا سبيلا لذلك مبدأ «الغاية تبرر الواسطة» ، وبدافع من هذا كتب هيرتسل ، في منتصف يناير

(كانون الثانى) لعام ١٨٩٦ . كتيبا بالألمانية وجهه إلى البارون «ادموند دى روتشيلد» ، عنوانه «الدولة اليهودية» "The Jewish State" "Der judenstaat" واقترح عقد مؤتمر صهيونى لهذه الغاية .

٦ — وكان الأثر الذى تركته دعوة هيرتسل للدولة اليهودية متباينا ، فكثير من اليهود ، وخاصة فى أوروبا الغربية ، سخروا من قوله إن اليهود أمة وارتاب بعضهم فى قواه العقلية ، لكن غيرهم قابلوا دعوته بحماس ، وبخاصة دعوته لعقد مؤتمر صهيونى. وقد بعث إلى اليهود فى البلاد المختلفة ، كى يوفدوا ممثلين لهم فى المؤتمر بمدينة (بال Basel) بسويسرا يوم الأحد ٢٩ من أغسطس (آب) لعام ١٨٩٧ .

٧ — وهكذا انعقد المؤتمر الصهيونى الأول ، وحضره ١٩٧ مندوبا ، وحددت مهمته فى خطاب هيرتسل الافتتاحى حين قال : (نحن هنا لنضع حجر الأساس للبيت الذى سيأوى إليه الشعب اليهودى) . وحدد المؤتمر (حجر الأساس للصهيونية بأنها تسعى إلى تأمين وطن للشعب اليهودى معترف به شرعيا فى فلسطين) .

ولتنفيذ ذلك وضع المؤتمر الخطة التالية :

(ا) تنظيم اليهود فى جماعات وتوحيدهم حسب القوانين المرعية فى البلاد التى يقيمون بها ، وتقوية شعورهم بما سمى شخصيتهم وعاطفتهم القومية المرتبطة بالعقيدة اليهودية .

(ب) التشجيع المنظم لهجرة الصهيونيين من المقاتلين والزراعيين والعمال وذوى المهن إلى فلسطين واستقرارهم فيها .

(ج) الإعداد لحملة للحصول على تأييد الدول الكبرى لأهداف الصهيونية .

وبهذا وضع المؤتمر الصهيونى الأول ، المخطط العام للصهيونية فى حاضرها ومستقبلها متفرعا إلى ثلاث شعب : التنظيم ... والاعتراف .. والاستعمار .

وبالرغم من أن هيرتسل كان يريد جعل فلسطين دولة يهودية ، إلا أنه لم يمانع فى قبول نوع من الوطن المؤقت لليهود ، سواء كان فى سورية أو شبه جزيرة سيناء أو العريش أو طرابلس أو فى قبرص أو البرتغال أو موزمبيق ، أو فى الكونغو البلجيكى أو أوغندا ، لكن هذه الفكرة استبعدت من بعد وأجمع الصهيونيون على التدبير لاستعمار فلسطين ، وقد بذل هيرتسل الجهود لدى كل من رجا فيه المساعدة ، وتجول لهذه الغاية فى عواصم الدول الاوربية ، مستغلا عمله مراسلا لصحيفة (نويه فراى بريسى : Neue Freie Presse) النمساوية .

وكان هيرتسل ملحدا ، ومع ذلك فقد دعا إلى التجمع الصهيوني حول الدين اليهودي خدمة المطامع السياسية العدوانية .

ومن أقواله الدالة على أسلوبه في الاعتماد على الدعاية والسلاح والواردة في يومياته :

يوم ١٢ مايو ١٨٩٨ قوله :

(الضجة هي كل شيء . والحق أن الضجيج يؤدي إلى الأعمال الكبيرة . تاريخ العالم لا شيء سوى ضجيج : ضجيج السلاح والأفكار التقدمية . يجب أن يفيد الناس من الضجيج) .

ومع هيرتسل ومن بعده ، سار زعماء الصهيونية على دربه (١) ؟

د . سمير نوفل

---

(١) راجع في ذلك :

- مذكرات تيودور هرتسل - مارفن لوفينثال

Marvin Lowenthal : The Diaries of Theodor Hertzel.

- يوليوس هوبر : أوديسا صهيوني أمريكي :

Julius Hober : The Odyssey of en American zionist.

- موسى منوحين : اضمحلال اليهودية في زماننا :

Moshe Menuhir : The Decadence of Judaism in Our time.

- الان تيلون : مقدمة لإسرائيل :

Alan Taylor : Prelude to Israel.

قال الله تعالى :

« لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

(المائدة . الآية : ٧٨ ، ٧٩)

جوهر القضيّة الفلسطينيّة

للأستاذ الدكتور الباقر
مدير جامعة أم درمان الإسلامية

تناول هذا البحث حقيقة قضية فلسطين. تلك الحقيقة التى موهت تماما من الساسة العرب وغيرهم إبان إنشاء تلك الدولة، وكشف عن دور «الوضعيات» التى أكدت السياسة مفهومها فى أذهان العرب وغيرهم لإبعاد قضية فلسطين عن جوهرها الحقيقى الذى هو جوهر دينى محض.

وسواء صدقت بريطانيا فى نواياها التى أذاعتها على العالم أجمع بأن وعد «بلفور» لا يعنى إنشاء وطن لليهود وإنما يراد به السماح «لتوطن يهودى» فى فلسطين، أم لم تصدق؛ فإن الميزان السياسى سرعان ما انقلب بعد الحرب العالمية الثانية وسلمت بريطانيا بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين. واستطاعت الصهيونية العالمية أن تعطى لبريطانيا ثمناً فى مقابل «الوطن القومى» بأن حفزت الولايات المتحدة الأمريكية للدخول معها فى الحرب العالمية الأولى، ثم كان أن أبت الولايات المتحدة إلا السيطرة على المنطقة بدلا من بريطانيا. واستسلمت بريطانيا لذلك.

وباحتضان أمريكا لإسرائيل ظهرت القضية الفلسطينية فى ميدان الصراع الدولى بين الكتلتين الغربية والشرقية.. «وهكذا بدأت القضية الفلسطينية بوضعيات قوامها الصراع العربى الإسرائيلى على أرض فلسطين لكى تنتهى إلى الارتباط بالصراع القائم بين الكتلتين الغربية والشرقية».

«وتلك هى وضعيتها كما أريد لها أن تكون لقد أريد لها أن تكون قضية سياسية بجذورها ومظاهرها، فهل هى كذلك..؟ هذا ما ينفيه الدكتور ويقول:

جوهر القضية:

لماذا نتجاهل نحن جوهر القضية لنغرقها فى خضم من الوضعيات السياسية بينما تعلن إسرائيل عن إيمانها بهذا الجوهر وتبدأ منه، لقد جاء فى إعلان قيام دولة إسرائيل: «... نحن أعضاء مجلس الشعب ... نعلن قيام الدولة اليهودية».

كما جاء فى نفس الإعلان أن: «دولة إسرائيل تناشد الأمم المتحدة معاونة الشعب اليهودى على بناء دولته».

وهكذا تعلن دولة إسرائيل الغاصبة أنها

دولة دينية ، قوامها التأكيد للشعب اليهودى فى مواجهة ما عداه من شعوب المنطقة .

وتلك هى حقيقة ، فليس يخاف على نابه أن وصف الصهيونية بأنها حركة سياسية ، إنما جاء ارتباطا بوسائلها التى تتخذها إلى تحقيق الغاية ، إن وسائل الصهيونية سياسية حقا لذلك وصفت بأنها حركة سياسية ، بيد أن غايتها هى نفس غاية اليهودية ، فاليهودية كالصهيونية تماما تنادى بالعودة إلى أرض الميعاد (صهيون) مع اختلاف فى الوسيلة فاليهودية تربط العودة بطابع دينى بحت ، فهى تربطها بظهور المسيح المرتقب ، وعندئذ يسترد اليهود سلطانهم بينما تلجأ الصهيونية تحقيقاً لهذه الغاية إلى العمل السياسى .

واختلاف الوسائل لا يغير حقيقة الجوهر ، إن اليهودية (دين) يجتمع المؤمنون به حول عقيدة معينة ، والصهيونية هى (ذات اليهودية) غير أنها تسعى إلى بلوغ غاية اليهودية بالعمل السياسى .

ووثيقة إعلان قيام دولة إسرائيل ، تؤكد ذلك ، فهى لا تخفى أن (دولة إسرائيل) ليست إلا مجرد تسمية لدولة يهودية .

إن الصهيونيـة إذن وسيلة الدين اليهودى إلى تحقيق ذاتى ووسيلة اليهود إلى إرساء وحدتهم فى مواجهة ما عداهم فى المنطقة .

فمن يكون إذن الطرف الثانى فى الصراع ؟؟؟

إن الاحتكام إلى قانون الأغلبية باعتباره أقرب معايير العدل إلى الإنصاف الطبيعى يؤكد ، وما فى ذلك شك ، أن إقامة دولة يهودية فى فلسطين إنما يعنى التصدى للإسلام والمسلمين ، فمنذ ذلك بان التفوق السكانى (والحضارى) فى الأرض المغتصبة إنما هو للإسلام والمسلمين ، فمنذ قيام الدولة الإسلامية فى المنطقة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وسكان المنطقة يتحضرون ويحكمون إسلاميا ، أى على إمتداد تاريخى يبلغ زهاء ١٣٠٠ عام ، اللهم إلا فترة الغزو الصليبى التى لا تتجاوز المائتى عام ، بينما لم تتجاوز فترة الحكم اليهودى ٤١٤ عاما حتى لو سلمنا بوجهة النظر اليهودية . ومن هذا فإنه لا مناص من التسليم بأن قيام دولة اليهود الدينية إنما جاء تحديا للمسلمين فى أرض فلسطين (منبريا) للإسلام وحضارته قاطبة ، وما مناصرة الغرب اليهودية عن طريق تأييد دولتهم على أرض إسلامية إلا استمرار (باطنى) للعمل الصليبى القديم مهما تقنعت هذه الباطنية بوضعيات سياسية ، ألم تتردد على ألسنة القادة الغربيين عند ما تحقق لهم النصر على الدولة العثمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى عبارة (الآن قد انتهت الحروب الصليبية) لقد كانوا يقصدون بذلك أن العمل الصليبى يتعين على

الغرب طالما تظل على الأرض دولة إسلامية ، ولقد كانوا يرون فى الخلافة العثمانية استمرارا لدولة الإسلام ثم لم تعمل اليهودية من ثنايا (الماسونية) على تصفية الدولة الإسلامية فى تركيا - فى تلك الحقبة .

ذلك إذن هو جوهر القضية الفلسطينية دولة يهودية دينية بغاياتها فى ضمائر منشئيها من الصهاينة ، وإن بدت فى ثوب من الوضعيات السياسية ، وصليبية فى ضمائر خلفاء الصليبيين وأن قنعوها بأساليب العصر .

أما نحن المسلمين فلا نزال نتجاهل هذه الحقيقة ، غارقين فى خضم من الأساليب التى تستجيب إلى وضعيات القضية ، صحيح أن هذه الوضعيات ، وهى أمر واقع ، تقتضى مايليق بها من أساليب (دبلوماسية) واقتصادية كالدعوة لحق عرب فلسطين عن طريق المؤتمرات والمنظمات الدولية وكمحاصرة إسرائيل الغاصبة اقتصاديا . غير أن النصر النهائى (مرهون) باستجابة أسبابه إلى جوهر القضية ومن ثم إلى ربطها بالإسلام والمسلمين ، وعلى الجامعات الإسلامية فى مشارق العالم الإسلامى ومغاربه ، وعلى المؤسسات التربوية أن تعمل فى صدر أهدافها التبصير بجوهر هذه القضية ، والدعوة إلى أسباب النصر الإسلامية بدءاً من هذا الجوهر . وعلى المنظمات الإسلامية المختلفة وفى مقدمتها هذا المجمع العلمى العظيم أن توجه النداء إلى العالم الإسلامى كله وتدق له ناقوس الخطر . ليهب الجميع دفاعا عن تراث الإسلام والمسلمين . عن حاضرهم ومستقبلهم .

ونحن فى جامعة أم درمان الإسلامية — والإيمان يملأ جوانبها - نمضى قدما فى التبصير بالقضية العربية الإسلامية بدءاً من حقيقتها هذه والله الموفق ؟

دكتور كامل الباقر

المسلمون ومشكلة فلسطين

للأستاذ عبد الله كنون
عضو مجمع البحوث الإسلامية

تناول هذا البحث :

الواقع التاريخي للمسلمين حين يتعرضون للعدوان ـ فلسطين ليست مشكلة عربية وإنما هي مشكلة إسلامية ـ التحدى السافر الذى تقابل به الدول الغربية قضية فلسطين .

وفيما يلى قضية فلسطين بالنسبة للعالم الإسلامى :

إن قضية فلسطين بكل احتمالاتها هى قضية إسلامية لا عربيـــة فقط ، والصهيونية ما هى إلا ربيبة الاستعمار ، والاستعمار ما هو إلا صورة مغلفة من الحروب الصليبية التى شنها الغرب المسيحى على الشرق الإسلامى فى القرون الوسطى قصد إخضاعه لسيطرته وإذلاله فلما انهار كيانه وتقوضت أركانه فى النصف الأول من هـذا القرن ، بفضل المقاومة المسلحة والمد الإسلامى الجديد الذى ظهر أقوى ما يكون فى التضامن مع الحركات التحررية الإسلامية ابتداء من ثورة مصطفى كمال إلى حرب الجزائر ، لم يجد الاستعمار الملعون بعد أن فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، إلا أن يغرس هذا الإسفين الصهيونى الصدىء فى قلب البلاد العربية ، ليمنع اتصالها ، ويشغلها عن بناء استقلالها ، ويذلها بتسليط أحط الأجناس وأرذل الشعوب فى نظره عليها ، ويتمكن فى الوقت نفسه من شفاء غليل الفلول الصليبية الذى لا يشفى إلا بمواصلة حرب الإسلام ومهاجمة المسلمين فى عقر ديارهم ولذلك نرى هـذه التبرعات الطائلة تترى على دويلة إسرائيل من جميع أنحاء أوربا وأمريكا ، إنها قربات مسيحية يقدمها المتعصبون ضد الإسلام لمن يحاربه ولو كان جنس يهود الذين صلبوا المسيح عليه السلام فى اعتقادهم ، ولذلك نرى هذه الشحنات الهائلة من الأسلحة الفتاكة تتوارد على إسرائيل ، بعضها بصفة مساعدة ، وبعضها صفقات زهيدة الثمن ، ليتمكن هذا البديل الاستعمارى من مراغمة الإسلام والمسلمين وتنكيس رايتهم فى بقعة من أعز البقاع عليهم وأقدسها وأطهرها ،

ولهذا نرى كذلك المتطوعين من سائر بلاد أوربا وأمريكا يهرعون إلى القتال فى صفوف الجيش الإسرائيلى، ويخلفون الموظفين فى إدارة دواليب الحكومة، إذ يتوجه هؤلاء لساحات القتال، ولهذا أيضا نرى الدول الاستعمارية الكبرى تتعهد بحماية إسرائيل وضمان وجودها برغم عدوانها الآثم على البلاد العربية ومطاردتها لمليون ونصف من أهل فلسطين الذين أصبحوا يكونون معسكرات تزيد عاما بعد عام من اللاجئين البائسين.

فهل هذا كله إنما يقع حبا بإسرائيل وإنصافا لها من العرب الذين لم يسيئوا قط إلى اليهود ولم يلقوا منهم إلا المعاملة الحسنة. والذين آووهم لما طردهم الغربيون وحموهم من أعدائهم فى غير ما موقف من تاريخهم الطويل؟

كلا، بل هو الاستعمار بطغيانه وجبروته، خرج من الباب فأراد أن يعود من النافذة وإذا قلنا الاستعمار فيجب أن نذكر الصليبية التى هى أهم أعمدته وأرسخ قواعده، والمصالح الاقتصادية والمواقع الاستراتيجية وغيرها إلا تبع لها وغنائم وأسلاب تستعمل فى خدمتها وقد وجد هذا الاستعمار فى الصهيونية بغيته وطلبته، فسخرها لتحقيق أغراضه وبلوغ أهدافه، وجعل من قضيتها قميص عثمان يدلس به على الرأى العام الدولى ويغرر بالشعوب وبسطاء العقول، فإذا انكشفت حيلته وظهر تمالؤه لجأ إلى الاحتجاج بالقوة تارة وبحفظ التوازن فى المنطقة تارة أخرى، وأكبر حججه هو حق إسرائيل فى الوجود، ولكن لماذا يفرضها على بلاد الاسلام بالذات؟ إنه نفس المنطق الذى كان يبرر به وجوده وفرض سيطرته على البلاد الشرقية، أعنى منطق الذئب مع الحمل، فإلى متى يستمر تمثيل هذه المأساة؟

لكن العجب كل العجب ليس من وقاحة هذا الموقف الذى يتخذه الثالوث الملعون الاستعمار والصليبية والصهيونية، وإنما هو من تدهور موقفنا نحن المسلمين حتى حق فينا قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه، «عجبت من تناصرهم على الباطل وتخاذلكم فى الحق».

إن الغرب المتعلم المتحضر لا يخجل أن يتظاهر بمسيحيته ويفسر الصهيونية تفسيرا دينيا فيقف بجانبها وفاء منه لنصوص التوراة والإنجيل، ولكن الشرق الجاهل المتخلف يخجل أن ينادى بثأر الإسلام ويكتل جهود المسلمين ليقف فى وجه العدوان الصهيونى المتعصب الذى طرد العرب من بلدهم فلسطين ووضع يده على مدينة القدس الشريف مسرى النبى صلى الله عليه وسلم وأولى القبلتين وثالث الحرمين!

إن الغرب المسيحى القوى المسلح بأعتدة

السحق والمحق والذى يملك من القنابل الذرية والهدروجينية ما يستطيع أن يمسح به فى دقائق معدودة بلدانا وأوطانا بكاملها يتحد ويتساوى لكبح جماح بلد صغير كالأردن وسلب أرضه وإعطائها للصهاينة المجرمين ولكن الشرق الإسلامى الضعيف الأذل يقف مكتوف الأيدى أمام هذا العدوان الصارخ وكأن الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد، متعللا بأن فلسطين بلد عربى وأن على العرب وحدهم أن يكافحوا من أجل استردادها من يد المغتصبين الصهاينة، غاضا طرفه عمن وراء هؤلاء الصهاينة من دول كبرى وشعوب.

ونحن نعلم أن الغربيين ليسوا كلهم ممن يؤيد الصهيونية ويمالئها فى عدوانها الأثيم على فلسطين الشهيدة، ولكن صدقونى أيها السادة، إذا قلت لكم أن أحسنهم حالا هو من يقول فيما يصيب إخواننا العرب من قتل وتشريد، مثل ما قاله مشركو قريش فى مصيبة المسلمين بأحد لم آمر بها ولم تسؤنى، بدليل هذه الدعاية التى ملؤوا بها الدنيا لصالح إسرائيل، وهذه الشماتة التى أظهروها غداة النكسة بكل ما هو عربى وإسلامى.

وإذن فلماذا لا تقف الدول الإسلامية موقفاً عمليا من قضية فلسطين ووضعها الصحيح هو هذا الذى يضعها فيه الغربيون أنفسهم، مجددين به الحملات الصليبية الأولى التى أدت إلى احتلالها واقتطاعها من خريطة العالم الإسلامى زهاء قرنين من الزمن؟

إذا كان ما يمنع رجالها من ذلك هو خرافة الدولة المدنية، ومجاملة المسيحيين الشرقيين والخوف من تهمة إعلان الحرب المقدسة، فليدعونا نحن علماء الإسلام، ولا أقول رجال الدين فإن المسلمين كلهم رجال دين، ومن نفى ذلك فقد انخلع من ربقة الإسلام، ليدعونا نحن علماء الإسلام ومعنا كل الشعوب الإسلامية نعلنها جهاراً على رؤوس الملأ، أن القوم يحاربوننا حرباً صليبية وأن حقدهم على الإسلام والمسلمين هو الذى يدفعهم للانتقام منا بهذه الضراوة، وتسليط حثالات أممهم وشعوبهم من الصهاينة القساة على إخواننا عرب فلسطين وإننا لانقبل بحال، استيلاء أى كان على هذا الجزء الذى لايتجزأ من بلاد الإسلام وعلى القدس الشريف الذى نفديه بأنفسنا وأبنائنا وأعز ما عندنا ليبقى بلدا إسلاميا وبقعة طاهرة مقدسة لنا وللمؤمنين المسالمين من أتباع الأديان الأخرى التى نؤمن بأنبيائها وكتبها ولا نحمل لها إلا شعور العطف والاحترام.

إننا لانريد الحرب، والإسلام دين السلام ولكننا إذا غزينا فى أرضنا وحوربنا فى مقدساتنا فلن تستطيع أية قوة فى الدنيا أن تثنينا عن القتال فى سبيل حفظ كرامتنا وحماية بيضتنا إن، إيماننا أقوى من النابالم

والذرة ، ولو قاتلنا به لما هزمنا هذه الهزيمة الشنعاء .

إننا كنا دائما فى تاريخنا الطويل نقتنى السلاح من الغرب ، ولا نصنع منه حتى كفايتنا ، وما نزال كذلك ؛ وهذا من أقوى الأدلة على روحنا السلبية ، ومع ذلك كنا ننتصر بإيماننا وصبرنا وثباتنا ويقيننا فى الله .

لن نعرف بعد اليوم ادبولوجية غير ادبولوجية الإسلام ، ولن نخاطب المسلم فى جبال الأطلس أو جبال القوقاز بغير لغة القرآن ، ولن نقول له قاتل عن يمين أو يسار ولا عن قومية فرقت أكثر مما جمعت وأحدثت أكثر مما آمنت ، ولكننا نقول له : قاتل لتكون كلمة الله هى العليا .

إن الحاكم إذا لم تكن عقيدته هى عقيدة شعبه فلن ينجح أبدا ، وعقيدة المسلم أرسخ من أن تقتلعها ديمقراطية أو اشتراكية أو شيوعية ، والذين يجهدون فى تحويل الشرق الإسلامى عن عقيدته الراسخة إلى عقيدة أخرى إنما يضربون فى حديد بارد ، فليجربوا نظام الإسلام ، وليدعوا الشعب بدعوته ، إذا كانوا من الشعب وإليه ، وسوف يرون كيف تكون العاقبة لهم .

نحن مؤمنون أشد الإيمان بأن النصر لنا ، وأن هذه المهزلة الاستعمارية لها نهاية محتومة ولكننا نريد أن يكون جيلنا بالذات هو الذى يكسب المعركة ، وأن يكون شرفها من نصيب حكامنا الذين نتعاطف وإياهم ، ولا نكن لهم إلا الحب والتقدير ، فهل هم مستجيبون لنا ؟

عبد الله كنون

موقف اليهود من الإسلام والمسلمين في العصر الأول

الأستاذ محمد طه يحيى

محاربة اليهود للإسلام والمسلمين :

سجلت كتب التاريخ أن اليهود لم يتوقفوا لحظة عن محاربة الإسلام والمسلمين منذ العصر الاول إلى يومنا هذا ، بل وفى محاربة جميع أعدائهم من أصحاب الديانات الأخرى كالمسيحية وغيرها ، فإذا ما بدا منهم فى بعض الأحيان والأزمان نوع من الملاينة وحسن المجاملة ، فإنما ذا لأسباب خاصة طارئة تزول بزوالها .

وأما محاربتهم للإسلام والمسلمين ، فتتمثل بوضوح فى عدة خيانات كثيرة متكررة نذكر منها ما يأتى :

١ — حنق بنو قينقاع على النبي لما انتصر فى غزوة بدر ، وأخذوا يبيتون له الشر ولم يستطيعوا أن يكتموا ما بأنفسهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم (يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس) .

ثم أخذوا يتحرشون بالنبي ، فحاربوا بعض حلفائه فيما بين غزوة بدر وأحد ، واعتدى صائغ منهم على امرأة مسلمة فى سوقهم عدوانا قبيحا ، فقتله مسلم .

فوثب اليهود على المسلم فقتلوه ، واحتدم الشر بين المسلمين واليهود . فكان جزاؤهم أن أجلاهم النبي عن المدينة (١) .

٢ — دبر بنو النضير حيلة دنيئة لقتل النبي بانتهاز فرصة جلوسه عندهم مطمئناً على عهدهم . وقد عصم الله رسوله وأنزل عليه الوحى بتدبيرهم فانصرف عنهم ونجا من شرهم (٢) .

وكانوا قد عاهدوا النبي على أن يشتركوا فى الدفاع عن المدينة إذا أغير عليها ، لكنهم شغلوا عن الوفاء بعهدهم فى غزوة أحد إذ هجمت قريش وحلفاؤها على المدينة ، وكان الواجب على اليهود أن يناصروا المسلمين فى صد المغيرين عن المدينة موطن المسلمين واليهود جميعاً تنفيذاً للعهد (٣) .

فماذا كان جزاء الخونة الذين لا أمان لهم ولا عهد ؟

---

(١) نفس المرجع ١٤٨ .

(١) سيرة ابن هشام ٢/٤٢٦ .

(٢) نفس المرجع ٣/١٩١ بتصرف .

(٣) سماحة الإسلام للدكتور الحوفى ١٥١ .

إن بقاءهم فى المدينة خطر لا يمكن دفعه، لهذا حاصرهم الرسول، فطلبوا منه أن يجليهم على أن يحملوا معهم أموالهم إلا السلاح، فأباح لهم أن يحملوها فحملوا ما استطاعوا حمله حتى الأبواب نزعوها ونقلوها معهم وقد أشار الله فى ذلك بقوله: « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف فى قلوبهم الرعب، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » (الحشر ٢).

٣ — نكث بنو قريظة معاهدتهم مع النبى فى أشد الحالات حرجا وضيقاً إذ انضموا إلى الأحزاب فى غزوة الخندق وتعاهدوا معهم على أن يغيروا على المدينة ليلا [(١)].

فكيف يعامل النبى هؤلاء الخونة؟

لقد عامل النبى صلى الله عليه وسلم بنى قينقاع بالرحمة فأجلاهم عن المدينة ثم عامل بالسماحة بنى النضير.

وكان فى هذا ردع لبنى قريظة وحض على الوفاء بالعهد. أما وهم لم يرتدعوا فى الوقت الذى يقيمون فيه بالمدينة يتربصون بالمسلمين كل شر ويكيد إخوانهم للإسلام من بنى قينقاع وبنى النضير فالحكمة أن يعاملهم النبى معاملة أخرى لأن غدرهم متكرر وشرهم مستطير ولأنهم لو عوقبوا بالإجلاء إلى خيبر كما عوقب سابقوهم لعادوا جميعاً قوة خطرة على المدينة وعلى نبى الإسلام والمسلمين.

وقد رضوا أن يحكم فيهم سعد بن معاذ، فحكم بقتل رجالهم وتقسيم أموالهم وسبى نسائهم وأولادهم. قال الله سبحانه وتعالى: « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم، وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقاً، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديراً » (الأحزاب ٢٥ - ٢٧).

٤ — ثم بدأ يهود خيبر يعتدون على المسلمين، إذ خرج نفر من زعمائهم يتقدمهم بنو النضير إلى قريش، فدعوهم إلى حرب الرسول، ووعدوهم أن يكونوا معهم فى القضاء على الرسول.

وبلغ بهم الحسد والحنق على النبى وعلى الاسلام أن فضلوا الوثنية على التوحيد حين سألتهم قريش (أديننا خير أم دينه؟ فقالوا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٣٦.

بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه (١).

ثم خرجوا إلى غطفان ليحرضوهم على قتال النبي ويعدوهم أن يناصروهم عليه، ويخبروهم أن قريشا جمعت قوتها لحربه وهم الذين قص الله حالتهم فى قوله: «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا». (النساء ٥١ - ٥٢).

وبنو النضير هؤلاء هم الذين زينوا لبنى قريظة اليهود الباقين بالمدينة أن ينقضوا عهدهم مع النبي وأن ينضموا إلى الأحزاب التى تحاصر المدينة (٢). وقد نجحت مؤامراتهم فكانت غزوة الأحزاب.

عرف الرسول هذا كله وعرف أنهم لن يهدأ بالهم إلا بالقضاء على الإسلام والمسلمين فهاجمهم فى خيبر وانتصر عليهم ثم صالحهم، وحتى بعد الصلح وقبل أن يجف مداد المعاهدة أبى غدرهم إلا أن يعاودهم. فإن امرأة منهم قدمت للنبي طعاما مسموما فلما ذاقه عافه، وعرفه أنه مسموم، فسأل المرأة فلم تستطع أن تنكر وادعت أنها كانت تختبر نبوته فعفا عنها وهو يعلم أنها كاذبة (١).

محمد طه يحيى

عميد كلية أصول الدين

بجاكرتا «اندونيسيا»

---

(١) سماحة الاسلام للدكتور الحوفى ١٥٣

(٢) سيرة بن هشام ٣ / ٢٢٦

١) سماحة الإسلام للدكتور الحوفى ٥٣ - ١٥٤

مقاصد الجهاد في الإسلام

للدكتور عبد الحليم محمود
عضو مجمع البحوث الإسلامية

القتال فى الإسلام كان من أجل :

١ ـ أن يكون الدين كله لله .

٢ ـ وألا تكون فتنة .

٣ ـ ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة ، الذين ينالون من عنف الطغاة وبغيهم الشر الكثير ، فيضرعون إلى الله سبحانه أن ينقذهم من الظلم .

٤ ـ ثم من أجل هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

الجهاد فى السلم والحرب :

الجهاد فى حالة السلم استعداد لا يفتر ، استعداد معنوى يقوى الإيمان ويثبت الاعتماد على الله ، واستعداد مادى لا يقتصر على زاوية واحدة من الزوايا المطلوبة للقوة .

قال تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قـــوة » (الأنفال ٦٠) سواء كانت هذه القوة مادية أو معنوية والاستطاعة فى واقع الأمر لا حدود لها ، وهذا الإعداد إذن لا ينتهى ولا يفتر فى أى يوم من الأيام .

على أن الله سبحانه قد ربط الإيمان بالجهاد فى صورة محكمة متماسكة لا انفصام لها ، لقد ربط الله سبحانه الجهاد بالإيمان ربطا بحيث يزول الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه .

إن عقد الإيمان الذى بيننا وبين الله سبحانه وتعالى من أهم شروطه أن نبيع بمقتضى هذا العقد أنفسنا وأموالنا مجاهدين بذلك فى سبيل الله وثمن ذلك إنما هو الجنة ، يصور الله تعالى ذلك فى هذه الآية الصريحة :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (التوبة : ١١١) .

وحينما نزلت هـــذه الآية قال الصحابة رضوان الله عليهم : ربح البيع . لا نقيل ولا نستقيل . فالمؤمن إذن مجاهد في سبيل الله . في كل أوقاته إنه مجاهد بماله ومجاهد بنفسه ومجاهد بوقته ومجاهد بعمله ومجاهد بلسانه ، إن الكيان الإنساني كله يجب أن يكون جهادا في كل فترات الحياة ، ومن أجل ذلك كان المسلمون الأولون يتسابقون إلى الجهاد ، ولقد فرض الله سبحانه وتعالى الجهاد على المسلمين في أسلوب لا لبس فيه ولا غموض فقال تعالى :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ـ البقرة : ٢١٧ ـ

ومن المعروف أن هذه الفرضية إنما هي فرضية كفاية إذا لم يكن العدو في داخل بلاد الإسلام . أما إذا كان العدو في داخل بلاد الإسلام فإن الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم أينما كان .

وليس معنى ذلك أن كل شخص مهما كان عمله يجب عليه أن يترك عمله ويذهب إلى الميدان .

وإنما معنى ذلك أن الدولة كلها يجب أن تعبأ تعبئة كاملة للحرب . وأن ينسق العمل بحيث يصبح الجهاد هدفا تسخر كل القوى من أجله . وبذلك يكون مثل العامل والصانع مجاهـــدا وإن كان في معمله أو في مصنعه .

القادر على الجهاد المتخلف عنه غير مؤمن :

إذا تخلف شخص عن أداء واجبه بالنسبة للجهاد فقد خرج على المبدأ الإسلامي الإلهي ، فقد أمر الله بالجهاد وحذر من التخلف . وذكر أن الذين يتأخرون عن القتال لا إيمان لهم بالله ولا باليوم الآخر وذلك حيث يقول سبحانه :

« لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون » ـ التوبة : ٤٤ ، ٤٥ ـ

وهذا الذي يتخلف إنما يتخلف معتقدا أنه بذلك يبتعد عن مجال القتل ، ولكن الجبن لا يطيل الأجل . والشجاعة لا تقصر الآجال . والله يجزي الشجعان عن الإنسانية وعن الدين كل خير .

القرآن يرسم طريق النصر :

الإيمان هو أول خطوة أساسية في طريق النصر بل هو خطوة بدونها لا يكون هناك قط أساس مستقيم تعتمد عليه الأمم ويعتمد

عليه القادة فى سبيل اتخاذ مكان كريم بين الدول .

هذا الإيمان إنما هو إيمان إيجابى: يستمد ويهيء الأمر عدته ولا يدع صغيرة ولا كبيرة من أمر التعبئة للجهاد إلا ويحكمها ومن هنا كانت الخطوة الثانية فى طريق النصر ممثلة فى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . والخطوة الثالثة هى وضوح الهدف . والتعبئة الروحية كفيلة بأن تجعل الأمة فى جهادها كالبنيان المرصوص . وإن الأمة التى تنصر الله باتباعها للدين الخالص قد ضمن الله لها النصر ووعدها به ووعد الله لا يتخلف

مكانة الشهيد عند الله :

إن مكانة الشهيد عند الله تصورها الأحاديث والآيات القرآنية الكثيرة :

فمن بينها ما رواه الإمام مسلم والإمام البخارى عن أنس رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شىء إلا الشهيد . يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) .

وقول الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

دكتور عبد الحليم محمود

قال الله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما » .

صدق الله العظيم



الجهاد

للأستاذ محمد أبو زهرة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

تناول هذا البحث النقاط الرئيسية الآتية معتمدة على أسانيدها الوافرة :

١ — بيان معنى الجهاد :

٢ — دوافع الجهاد ومواطن التسامح ، وكراهية القتل فى الإسلام :

٣ — حكم الجهاد بالنسبة لآحاد المسلمين وجماعتهم ومراتب الجهاد :

٤ — الجهاد بالقتال وضروبه وأسلوب الجهاد لتأمين الدعوة :

٥ — ما يحل فى الجهاد وما لا يحل وقانون الفضيلة فى الجهاد :

٦ — المجاهدون وما يجب أن يكونوا عليه من صفات :

وهذه مقتطفات مما ورد فى البحث :

١ — تفسير الجهاد كما ذكره الراغب فى مفرداته تقتضى ثلاثة أمور :

أولها : أن الجهاد يبتدىء بجهاد النفس بتخليصها من الأهواء واتجاهها إلى الحق فى ذاته وإلى الواجب فى ذاته لا حبا فى شهرة ولا رغبة فى متعة ولا رجاء فى شأن من شئون الدنيا فلا يعتبر مجاهدا من حارب شجاعة وشهرة وطلب مال . إنما يعتبر مجاهدا من يجاهد لإرضاء الله وطلب ما عنده ولرفعة الحق وجعل كلمة الله هى العليا وكلمة أعداء الله هى السفلى ، وذلك بلا ريب لا يكون إلا إذا جاهد نفسه وأخضع أهواءه وشهواته لأحكام الله تعالى ، وجعل هواه تبعا لما جاء به النبى وأمر به الله تعالى كما ورد بذلك الأثر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ثانيها : أن الأهواء والشيطان من ورائها عدو مبين تجب السيطرة عليه والتغلب عليها وجعلها أمة ذلولا لاسيدا مطاعا هو السبيل للغلب فى الميدان ودفع الأعداء ومنعهم من الفساد .

ثالثها : أن الإيمان بالحق الذى يجاهد الإنسان فى سبيله ركن ركين من أركان الجهاد فلا يدخل المجاهد مضطرب الإيمان مزعزع العقيدة فإن ذلك الإيمان قوة فى الجهاد ولا تقل عن قوة السلاح بل تزيد على الكثرة لأن كثرة العدد من غير إيمان وقمع للشهوات تكون غثاء كغثاء السيل وسببا للوهن كما قال عليه الصلاة والسلام وقد سئل عن معنى الوهن فقال : « حب الدنيا وكراهية الموت »

٢ — ليست الفضيلة فى الإسلام الركون

إلى الدعة ولو كان فيها الرضا بالهوان وطلب المعيشة الذليلة المستكينة ، إنما الفضيلة فى الإسلام ، هى رد الاعتداء ومنع الخضوع للأقوياء . ولذلك شرع القتال لمنع الفساد فى الأرض . إذ أنه لو ترك الأشرار يعيشون فسادا من غير رادع يردعهم ولا مانع يمنعهم لعم الفساد فى البر والبحر ، والرحمة بالأشرار قسوة بالأخيار . والذين يذهب فرط حبهم التسامح مع الأشرار وهم لا يلوون على شىء إلا جعلوه خرابا إنما يحرضون على الشر ، ورب تسامح يحوى فى ذاته أكبر الجرائم فتكا بالجماعة الإنسانية .

لقد أذن الله بالقتال دفاعا عن الفضيلة ، قال الله تعالى فى ذلك : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره . إن الله لقوى عزيز » .

وإذا كان الإذن بالقتال لقمع الأشرار فلا مجال للتسامح فى هذا الموضع . إنما التسامح يستحسن فى موضعين ؟

أولها : بين الآحاد فى الأمة إذا كان يرجى الخير من يتسامح معه وبين الجماعات وهى تدعو إلى التأنى وعدم المبادأة بالقتال .

ثانيهما : فى حال هزيمة الأعداء وفل شوكتهم وإثخانهم بالجراح فعند ذلك ، يكون للتسامح مكان ، لأن الإسلام يدعو إلى العفو . فلا يقول كما يقول ساسة اليوم (ويل المغلوب) بل يقول (عفا الله عما سلف) .

والإسلام دين سمح كريم لا يسمح لأصحابه أن يقتلوا ظالمين أو معتدين . وما كان القتال إلا لضرورة الدفاع عن النفس والدين والحوزة ولو أن الناس تركوا المسلمين فى دعة واطمئنان ولم يحاجزوا بينهم وبين دعوتهم بالحق ما تعرض المؤمنون بالقتال لأحد لأنه يكون إعتداء والله لا يحب المعتدين .

وإذا كان القتال أمرا غير مستحسن فى ذاته فإن الضرورة تلزمه وتحث عليه لكيلا يتغلب الشر ويستشرى الفساد .

٣ — فرض الجهاد فى الإسلام لهذه الضرورة ولكى يعلو الحق . ولمنع الاستسلام والدنية فى الدين . وهذه الفرضية فى أصلها على الكفاية ولكن قد يعلو الجهاد من أن يكون فرض كفاية بل يكون فرض عين . وذلك إذا دخل العدو أرض الإسلام . ولا يثبطن المؤمنين عن هذا الفرض العينى بعد الديار عن الإقليم الذى نزل فيه العدو فإن الواجب على القاصى والدانى أن يحمل السيف ما دام يقدر على حمله ، لا يتخلف تاجر ولا زارع لأن دخول العدو يؤدى إلى الخراب العاجل . ولا يصح لمؤمن

أن يترك الديار الإسلامية تحترق وهو مشغول بزراعة وتجارة لافرق بين قريب دان وبعيد ناء فإن أى جزء من أرض الإسلام لكل مسلم حق شائع فيه فإن دخل إقليما فقد دخل الأرض المشتركة اشتراكا شائعا بين المسلمين.

ومن عوقه الجهاد بنفسه فإنه لا يعوقه البعد عن أن يرسل المال أو أن يدعو بلسانه لدفع الاعتداء .

وليشعر المعتدين بأننا أمة واحدة ويتحقق فينا قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

والجهاد باب من أبواب الدعوة والقتال بالسيف لإزالة المحاجزات وهو آخر درجاتها وأعلى مستوياتها لأن فيه تقديم النفس وهى أغلى ما فى الإنسان وبتقديمها تكون أعلى درجات الإيمان .

وإذا كان باب الدعوة مفتوحا وهى غايته المقصودة ، فأول درجاتها الدعوة إلى الحق بالتى هى أحسن والمجادلة بالحسنى كما قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

٤ — والمرابطة أول ضروب الجهاد . وهى أن يخصص جزء من الجنود للوقوف على الحدود لا يغادرونها حتى يحل غيرهم محلهم . فلا تخلو ثغور المسلمين من حامية قوية تحميها ترد هجوم المعتدين ، فهى لمنع الاعتداء . ومناجزتهم قبل أن يوغلوا فى داخل الأرض وقد أمر الإسلام بهذه المرابطة وهى نوع من أخذ الحذر حتى لا تغزى البلاد على غرة .

فالرباط يتضمن معانى ثلاثة :

الحراسة الشديدة — إرهاب العدو إذ يعلم أن وراء المرابطة جيشاً يحمى الديار — الاستعداد الدائم للقتال القائم على المران والتدبير والتدريب .

ومن ضروب الجهاد القتال لرد الاعتداء الواقع والاعتداء يتصـــور ويتحقق فى الأحوال الآتية :

أولها : أن يبتدىء العدو بقتال المسلمين بأن يتقدم لغزو الأرض الإسلامية ويحاول إخراج المرابطين من أماكنهم والاعتداء فى هذه الحالة كأن بالفعل وإن لم يدخل الديار لأنه لا يكون منه بعد ذلك إلا أن يدخلها والمرابطون يقفون له بالمرصاد يردون كيده فى نحره حتى يجىء إليهم من وراءهم من المقاتلين فيكون القتل والقتال .

ثانيها : أن يضطهد العدو المؤمنين فى أرضه ويحاول أن يفتنهم عن دينهم الذى ارتضوه

كما فعل كفار قريش مع المؤمنين الذين عجزوا عن الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فكان لا بد أن يقاتل المؤمنون لكف ذلك الاعتداء الدائم والفتنة المستمرة. وقد صرح سبحانه بالقتال والقتل حتى تزول الفتنة.

ثالثها: النكث في العهد. فإن نكثوا في أيمانهم حق قتالهم دفعاً للاعتداء الواقع أو المتوقع. ولقد قال سبحانه وتعالى: «وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون».

٥ — كان الجهاد في الإسلام لرد الاعتداء ولفتح الطريق أمام الدعوة. ولذلك كان الدفاع عن الحوزة باعثه والدعوة إلى الاسلام داعيه. ولذلك كانت الحرب رفيقة ورحيمة وإن الرفق يصاحب حرب الإسلام وعلى ضوء وصايا الرسول الكريم وخليفته الصديق نستطيع أن نعرف ما يحل وما لا يحل في الجهاد.

فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم والصديق من بعده عن قتال النساء والذرية والشيوخ الذين لا يشتركون في القتال. والعسفاء وهم العمال والأجراء.

وليست حرب الإسلام للإفناء، وإنما هي لتأمين الدعوة ومنع الاعتداء.

والشيوخ لا يحرم قتلهم إذا كانوا مشتركين في القتال برأيهم وتدبيرهم ووضع الخطط وإن لم يحملوا السيف لأنهم مقاتلون برأيهم وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل دريد ابن الصمة في غزوة حنين وقد بلغ من الكبر عتيا، ولكن كان له رأى وفيه وعى وأشار على ثقيف بما يقويهم في قتالهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكان له بذلك مشاركة في القتال.

وقد جاء النهي عن التخريب وقطع الشجر والنخيل صريحا في وصية خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما كان لأبي بكر أن ينهى عن ذلك بغير هدى من النبي ولكن مع ذلك اختلف الفقهاء:

قال الأوزاعي فقيه الشام الذي كان معاصرا لأبي حنيفة والكرخي من الحنفية إنه لا يجوز التخريب ولا قطع الأشجار أخذا بأمر الصديق لجنوده ولأن التخريب إفساد والله تعالى لا يحب المفسدين ولأنه لا ضرورة حربية تسوغ ذلك فإذا كانت ثمة ضرورة حربية كأن يستتر العدو في الآجام والغابات والحصون جاز. ومع الأوزاعي عدد من فقهاء الأمصار.

وقال كثيرون من الفقهاء يجوز قطع الأشجار وتخريب بناء العدو وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين بأن

يخربوا بيوت بنى النضير فكانوا يخربونها بأيديهم وأيدى المؤمنين ولأنه عليه الصلاة والسلام أمر بتحريق قصر مالك بن عوف وكان أمير الجيوش بالطائف . ولأنه عليه السلام أمر برمى حصن ثقيف بالمنجنيق وامر عليه السلام بقطع كروم بنى ثقيف .

ولكن هذه الأدلة فيها نظر :

أما تخريب ديار بنى النضير فلأنهم اتخذوها حصنا وأخذوا يقذفون منها المسلمين . وذلك التخريب جائز لأن الضرورة الحربية تسوغه إذ كان لا بد لزوال أذاهم من تخريب تلك الحصون ، واليهود عندما رأوا ذلك ورأوا حصونهم ذاهبة إلى أيدى المسلمين أتوا عليها هدما وتخريبا .

وأما رمى حصون بنى ثقيف بالمنجنيق فلأنهم اعتصموا بها ولا بد من إزالهم منها وقد كانوا قوما غلاظا أشداء وفيهم قسوة وليس تخريب الحصون لذات التخريب إنما هو لإضعاف قوة العدو وأما التهديد بقطع كروم بنى ثقيف فلأنهم كانوا يتخذون منها الخمر . وقد يسلمون بالتهديد فتحقن الدماء بدل الاستمرار على القتل والقتال وقد وقع التسليم بعد هذا التهديد وذلك من شمائل النبوة . وهدم بناء قد اعتصم به القائد لا يعد تخريبا فى أرض العدو إنما هو مقاتلة لشخص القائد وليس تخريبا فى ذاته .

وإذا كان الجهاد فضيلة إنسانية عالية لا يصح أن تنتهك حرمة الفضيلة فى أثنائها . والفضيلة الإسلامية واجبة الرعاية فى الحرب والسلم على سواء ورعايتها فى الحرب يعلى من قدر من يتمسك بها إذ هو يتمسك حيث اشتجرت السيوف ووقعت الحتوف .

وقد يعجب الناس من مراعاة الفضيلة وقد أبيحت النفوس !!

ونقول فى الإجابة عن ذلك إنها حرب فاضلة تحمل المحاربين على العدل والفضيلة وهى حرب مقيدة بقانون السماء ولا يمكن أن يبيح قانون الله انتهاك الحرمات ، فهو مقيد المسلمين فى كل الأحوال فى الرخاء وفى الشدائد على سواء ، ولذلك كانت الحرب من جانب المسلمين مقيدة بالفضيلة لا تعدوها ولا يجارون غير المسلمين فى انطلاقهم من قيودها ، فإذا كان جيش العدو يقتل الصبيان والنساء والشيوخ والعمال الذين لا يقاتلون ، وينتهكون حرمات النساء فإنا لا نجاريهم فى هذه الرذائل لأننا مقيدون بالخلق الكريم ، وإذا كان الأعداء يمثلون بجثث القتلى من المسلمين ويشوهونها فإنا لا نمثل بالقتلى ، ولقد قتل المشركون فى غزوة أحد سيد الشهداء حمزة ومثلوا بجثته فحز ذلك فى نفس النبى عليه الصلاة والسلام ومع ذلك لم يمثل بأحد من قتلاهم فيما تلا ذلك من حروب .

وإذا كان الأعداء يجيعون الأسرى ويقتلونهم بالعطش ، فإن جيش الفضيلة لا يجاريهم فى ذلك . وإن الكرامة الإنسانية يلاحظها جيش الفضيلة ، وهو جيش الإسلام لأن الكرامة الإنسانية قد منحها الله تعالى للإنسان بمقتضى أنه إنسان .

والجهاد لا ينتهى لأنه ماض إلى يوم القيامة ولكن تنتهى الحرب بالنسبة لجماعة من الجماعات وذلك بانتهاء الغرض منها وتحقق الهدف المقصود وذلك بانتهاء الاعتداء وتسليم الجند المعتدى أو بطلب الأمان فرادى أو جماعات أو بعقد عهد أو ذمة ، وإما بصلح دائم أو موادعة .

٦ — وقد بين الله سبحانه وتعالى : للمجاهدين ما يجب أن يكون عليه المجاهدون من صفات وما يتحلون به من أخلاق ترفع جهادهم وتجعل النصر حليفهم ويكونون من رجال الله الذين يتحقق فيهم قوله تعالى « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

والإيمان بالله واليوم الآخر جذوة لا تنطفىء فى قلب المجاهد ، والناس يقاتلون حمية قد تقوم مقام الإيمان أحيانا ولكنها عرضة للانطفاء ويقاتلون وطنية وعصبية لأقوامهم ولكن ذلك قد يدخله الظلم ، وقد تتحرك النفس ثائرة على الوطنية الظالمة فتضعف عن القتال وهكذا ، ولا يبقى ثابتا ثبوت الراسخات سوى الإيمان بالله وباليوم الآخر وبالحق فى ذاته الذى يقوى كلما قوى الحق وضوحا

وهذا الإيمان يوجب على الجندى المؤمن أن يدرب نفسه على الصبر فى الشدائد ، وأنه داخل على بلاء وليس داخلا على متعة . فهو يذهب إلى الميدان لا يلهو ولا يلعب ، وإنما يذهب ليلاق شدائد وأهوالا ولا درع لهذا إلا الصبر من غير أنين ، بل بقوة احتمال فالصبر هو المجن الذى يتقى به المحارب أهوال الحرب ويحتملها من غير أن يطير قلبه شعاعا ويكون جند الإسلام كجند الأنصار فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع .

وإن الذى يتقدم مستعدا لأن يجود بنفسه يجب أن يتحمل كل المشاق وهذا داخل فى باب الصبر . والجند يجب ألا يجنحوا إلى الترف والنعيم . فإن الجندية والتنعم نقيضان لا يجتمعان .

وكثيرا ما يضطر الجندى إلى أداء أشق الأعمال وأعنفها فيجب أن يخشوشن ليكون على استعداد للمتاعب إذا نزلت . وقد رأينا فى بعض الحروب من يقضى الأيام والليالى فى الفيافى والقفار لا يجد ما ينتعله فيجب أن يكون قادرا على المشى حافيا كما يمشى متنعـــلا .

وإن كثرة الترف تورث الضعف وتمنع الصبر ويكون الجندى إذاً أشرا ويائساً كما قال تعالى:

« ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » .

ومن المقررات أن الإسلام يوجب على المسلمين أن يستعدوا بكل قوة كما قال تعالى: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وإذا كانت أداة الحرب قد تغيرت وصارت لا تعتمد على قوة البدن بمقدار ما تعتمد على قوة التفكير والدربة على استعمال الآلات ؛ فإنه يجب أن يكون القائد على حظ كبير من العلم وقوة الإدراك والتدريب المستمر الذى لا ونى معه حتى يكون دائما على أهبة العمل .

وإن العلم بذلك واجب على كل آحاد الجند على حسب رتبهم . ويجب أن يتدرب عليه الجميع فيجب أن يتدرب الجميع على استعمال الآلات الجديدة كل فى تخصصه ولا يختص بالتدريب القادة والكبراء بل يجب أن يعم كل الجند صغيرا وكبيرا . وإن الثقافة الحربية يجب أن تكون فى متناول الجميع . فليس الجنود آلات تتحرك ولكنهم أحيـــاء يعملون ، وأناس يدركون ، وقلوب تدفع ، وإرادات تعمل .

ويجب أن يتقدم الجميع إلى الميدان غير وانين ولا مترددين لا نفكر فى النكوص على أعقابنا ولا فى التولى يوم الزحف ولا فى أن نولى أدبارنا . وقد قرر النبى صلى الله عليه وسلم أن التولى يوم الزحف من أكبر الكبائر وأنه لا كفارة فى ذلك ، لأن الفرار والتولى يوم الزحف يعرض الأرواح للتلف والجند للهزيمة والأمة للضياع فلا كفارة له قط لأن الكفارة لا تعوض ذلك وهو مقتول لا محالة ولكنه يقتل من ظهره لا من صدره .

ولكن مع ذلك يحدث ما يوجب التراجع . ولكن التراجع لا يكون بفرار الآحاد من الجند بل يكون بالجماعة المجاهدة نفسها ، وذلك بأن ينظم الأمير الجند تنظيما لا يمكن العدو من جند الإسلام فيبيده ولا يبقى عليه ولا يذر أو يجعله أشتاتا متفرقة أو يجعله نهبا للجوع والفقد بل ينظم التراجع .

والمثل الواضح للتراجع الماهر المنظم ما صنعه خالد بن الوليد فى غزوة « مؤتة » فإن المسلمين التقوا بالرومان وكان مع الرومان جند كثيف لم يكن للمسلمين قبل به . فقتل حاملوا الراية الإسلامية واحدا بعد واحد .

قتل زيد بن حارثة وقتل عبد الله بن رواحة وقتل جعفر بن أبي طالب فلما حمل الراية خالد بن الوليد أخذ يتراجع وهو يظهر الهجوم بإظهار أن المدد قد جاءه حتى نجا بجيش الإسلام وأقره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمى جيشه جيش الكرارين .

فالتراجع لا بد أن يكون له نظام ، وإن كان من غير نظام فهو الهزيمة النكراء التي يعود إثمها على الأمير المقاتل ومن معه .وكل على قدر ما عنده من سلطان.

إن التراجع ذاته جهاد يجب أن يتم إذا كان لا بد ، بحيث لا يعرض الجيش كله للضياع والأمة للهوان ، لأن إعداد القوة ليس أمرا سهلا ، بل إنه يحتاج إلى وقت قد يكون بعيدا تبتئس فيه النفوس إذ تصاب بذل الانكسار

وأنه يجب على ولى الأمر أن يحتاط عند إرسال الجيش فلا يرسل من لا يؤمن ومن يخذل ومن يشيع الدعوة إلى التردد والهزيمة

وقد قال في ذلك ابن قدامة الحنبلي في كتابه المغني ما نصه :

ولا يستصحب الأمير ، أي أمير الجند ، معه مخذلا وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويزهدهم في الخروج إليه والقتال ، ولا من يعين على المسلمين بالتجسس للكفار وإطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتبتهم بأخبارهم أو دلالتهم على عوراتهم أو إيواء جواسيسهم ولا من يوقع العداوة بين المسلمين ، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، هذه نظرات في مقام الجهاد في الإسلام وضروبه وبيان فرضيته ، وإنه بتطبيق الفرضية ونوعها نجد العدو الآن قد دخل ديارنا وأخذ أرضا مقدسة من أرضنا .

وبذلك يكون القتال فرض عين ولا يكون فرض كفاية ، فيجب على كل مسلم في أي أرض إسلامية أن يتقدم للقتال ويأخذ الأهبة لذلك لأن أي جزء من أرض الإسلام لكل مسلم جزء شائع فيه .

فعلى المسلمين جميعا أن يهبوا لإنقاذ الأرض المقدسة التي دنسها أعداء الإنسانية ويستنقذوا من لا يستطيعون حيلة من الذرية والنساء من أن يقتلوا ويذبحوا وتهتك أعراضهم كما تهتك حرمة المسجد الأقصى ؟

محمد أبو زهرة
عضو المجمع

مبدأ الجهاد بين عقائد الإسلام

للأستاذ محمد عبد اللطيف السبكى

الجهاد بوجه عام يعتبر مبدأ من مبادئ الإسلام التى أخذت مكانتها بين عقائده وفروعه واستقرت دعوة القرآن إلى الجهاد ـ على عمومه ـ متعلقة بذمة المسلمين جماعة وأفرادا وتقتضيهم أن يؤمنوا بتشريع الجهاد ـ عامة ـ كإيمانهم بأى معتقد صحيح سواه وأن يقوموا بتنفيذه كما يجب أن ينفذوا غيره مما فرض الله .

الجهاد فى نسق القرآن :

ورد لفظ الجهاد فى القرآن ثلاثين مرة . وورد كثيراً بلفظ القتال المرادف له وكلاهما يرد ـ أحيانا ـ مقرونا بسبيل الله . نحو : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله » ـ آية ٧٦ النساء ـ ونحو « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله » ـ آية ٧٢ الأنفال ـ .

وكذلك ورد كل من اللفظين غير مقيد بلفظ سبيل الله . نحو « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » ـ آية ٢١٦ البقرة ـ ونحو « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » آية ٩٥ النساء ـ .

أما لفظ ـ سبيل الله ـ بالذات فقد ورد ذكره فى الآيات أربعا وخمسين مرة على ما وصل إليه بحثى . فما معنى : سبيل الله ؟ .

اشتهر عند العلماء قديما أن لفظ سبيل الله هو خصوص الجهاد الكفار فكلما ورد لفظ سبيل الله فمعناه : الجهاد للكفار ومقاتلتهم لإعلاء كلمة الله .

ولكن الفاحص المتأنى يجد هذه الكلمة ـ سبيل الله ـ فى بعض مواقعها من القرآن ظاهرة فى التعميم ولا تختص بقتال الكفار وربما كان السياق ناطقا بهذا التعميم والسياق له حكمه المطاع فى توجيه العبارات القرآنية وغيرها . .

وعلى هذا يكون لفظ سبيل الله غير مقصور على قتال العدو لإعلاء كلمة الله وإن كان هذا المعنى فى مقدمة المعانى التى تراد من هذه اللفظة . .

وألوان الجهاد كثيرة أبرزها الجهاد بالنفس والجهاد بالمال وكل ما تتطلبه موجبات العقيدة والوطن فى السلم والحرب .

هل الجهاد فى الإسلام لإكراه الناس على الدخول فيه ؟

لا يزال أعداء الإسلام يتجاهلون أن جهاد

الكفار كان مشروعا فى الأزمان الأولى . وأنه كان باللسان والحجة أحيانا وكان بالقتال أحيانا بين الأنبياء وأتباعهم وبين الكافرين المناوئين لهم « وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين» - آية ١٤٦ آل عمران - .

أقول : لا يزال أعداء الإسلام ينسبون إليه أنه جاهد الناس ليكرههم على الدخول فيه مع أن جهاد الإسلام كما ذكرنا لم يكن بدعا جديداً ولا شذوذاً عن سنن التناحر بين أهل الحق وأهل الباطل .

على أنه من المسلمات أن الإسلام سلك بدعوته سبيل التفاهم وتذرع بالصبر والحلم طويلا ثم كان لابد من المقاومة المشروعة لدفع الطغيان والصلف الباغى .

ولو كان الإسلام عنيفاً فى دعوته ما قبل الجزية ممن أراد البقاء على دينه من اليهود والنصارى ولا أجاز الحلف مع أعدائه المشركين ومعـــاهدتهم على ترك الحرب والدخول فى سلم معهم ولكن الإسلام شرع ذلك . ومكن لهؤلاء وهؤلاء أن يضعوا عن أنفسهم أعباء الحروب ويطرحوا من أذهانهم أسباب الخصومة باتفاقهم مع المسلمين على ما يتفقون عليه من معاهدات تكون رحيمة بالجانبين « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » - آية ٦١ الأنفال ...

هذه وجهة الإسلام حتى مع خصومه :

« لا إكراه فى الدين » - آية ٢٥٦ البقرة - .

هذه آية كريمة وصريحة تقرر نزاهة الإسلام عن الإكراه . بل تقرر نزاهة الديانات السماوية كلها عن شائبة الإكراه للناس على الدخول فى دين الله .

وقد تأكد نفى الإكراه فى آية أخرى .

إذ كان النبى صلى الله عليه وسلم يرغب كثيراً فى هداية الناس جميعاً . وكان يحزن على تخلفهم عن دعوته حتى يظن قصار العقول منهم أن هذا الحرص منه إلحاح فى الدعوة أو إكراه على الاقتناع . فالله تعالى يصرف رسوله عن هذا الحزن وينفى عنه شبهة الإكراه بقوله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » - آية ٩٩ يونس - .

والمعنى لا تحزن عليهم فإن إيمانهم منوط بمشيئة الله لا بمجرد إقناعك وإنك تواصل دعوتك الرحيمة بهم . وأنت لا تستطيع إكراه الناس على الإيمان . فالاستفهام إنكارى فى قوله تعالى « أفأنت تكره النـــاس » والإنكار نفى . يعنى : أنت لا تكره الناس كما يزعم الزاعمون ...

والذى ننتهى إليه فى غير مراوغة من الحق أن الإسلام بالذات برىء من تهمة الإكراه.

وإن وجهة الإسلام لواضحة لكثير من علماء أهل الكتاب ومنهم من يقبلون عليه تباعا مطمئنين إلى حقيقته. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

ولا يزال الإسلام هاتفا بالناس جميعاً أن يتريثوا فى عداوته وأن يستجيبوا لدعوته وهو يفتح باب التفاهم والمسالمة على احترام عقيدته وشريعته وصيانة كرامته وطرح المظالم التى تحيف بأهله أو تجحف بأوطانه.

وفى سبيل هذه الغايات الإنسانية الاجتماعية كانت معاهداته مع أعدائه الذين حاربوه وكانت سياسته الرحيمة العادلة جاذبة إليه كثيراً من الشعوب والقبائل بعد أن تفهموه.

وليس فى صفحات التاريخ الأمين شائبة تغض من شأن الإسلام كدستور للمجتمع أو كمنهج للتدين أو نموذج يهتدى به المرء فى خلوته وفى اجتماعه وفى كل حركة تصدر عنه أو كل فكرة تخالج سريرته أو كلمة تجرى على لسانه.

وإن جهاد المسلمين فى عصورنا لفى حاجة قصوى إلى التأسى بما رسم الله لنا فى تشريعه وفى حاجة قصوى إلى حسن التطبيق. وذلك من طريق الإيمان به وحسن التفكير فيه والتوسع فى الابتكار، والمحاولات حتى لا نكتفى بما نقلد فيه غيرنا.

وحينذاك يجد المسلمون أنفسهم عباقرة فى أفانين الحرب كما كان أسلافنا الذين وقفوا إلى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم والذين حملوا الراية من بعده فتركوا لنا أمثلة من البطولة التى تشيد بها الدنيا على لسان التاريخ..

محمد عبد اللطيف السبكى

قال الله تعالى:

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ».

صدق الله العظيم

الجهاد طريق النصر

للأستاذ عبد الله غوشه

يتناول هذا البحث : التعريف بالجهاد مع جميع وجهاته — الشهداء وما أعد لهم — القواعد التي شرعها الإسلام للحرب — أسباب النصر التي بينها الإسلام :

وهذه مقتطفات مما جاء في البحث :

أوجب الإسلام على المسلمين الجهاد في سبيله ، وإعلاء كلمته ، والدفاع عن العقيدة والوطن والأمة .

وإن الأمة الإسلامية والعربية تجتاز اليوم مرحلة خطيرة من أشد مراحل حياتها ، مرحلة دقيقة ، مرحلة حياة أو موت ، فلقد اعتدى الأعداء على بلادها وأراضيها، ودنسوا مقدساتها ، وانتهكوا حرماتها ، وعاثوا في أرجائها فساداً ، فأصبح الجهاد بالإجماع فرضاً عينياً على كل قادر بالنفس والمال ، وعلى كل فرد أن يعد نفسه ليكون جندياً يجاهد بروحه ودينه في سبيل إنقاذ بلاده ، وتحريرها من أيدي الطغاة المعتدين .

كما يفرض على كل موسر فرضاً عينياً أن يبذل من ماله أقصى ما يستطيع . مساهمة منه في تزويد الجيوش بالأسلحة الحديثة ، التي يتمكنون بها من الصمود أمام أعدائهم ، وإزالة عدوانهم .

لقد استولى اليهود على الأراضي العربية الواسعة في الجنوب والشرق والشمال نتيجة الغدر والخيانة، نتيجة التآمر والخداع ونتيجة تفرق كلمتنا ، وتهاوننا في إعداد العدة الكافية ، وتقاعسنا عن الدفاع عن أوطاننا وبلادنا بأنفسنا وبأموالنا ، ونتيجة ابتعادنا عن الله وعن العمل بسنته وأحكامه وتعاليمه .

لقد استولى العدو نتيجة لذلك كله على أرض الإسراء والمعراج ، وعلى المسجد الأقصى المبارك ، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال . (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى) .

فعلى المسلمين في جميع أقطارهم ، والمسجد الأقصى المبارك جزء من عقيدتهم أن يهبوا هبة رجل واحد ، وأن ينفروا خفافاً وثقالاً ، ويجاهدوا بأموالهم ، وأنفسهم لتحرير أوطانهم ، وإنقاذ المسجد الأقصى المبارك وبقية المقدسات من أيدي اليهود الفجرة الطغاة . ليذكروا في رحابها اسم الله ، ويقيموا فيها شعائره .

وإن كل تقصير في هذا السبيل سيؤدي

فى النهاية إلى القضاء عليهم جميعا قطرا بعد قطر، وإقليما بعد إقليم، فمطامع العدو لا تقف عند هذا الحد الذى استولى عليه من أرض العرب والمسلمين، بل هو يطمع فى مملكة من النيل إلى الفرات، بل يطمع فى أوسع من ذلك يطمع فى المدينة وما حولها. وفى أقطار أخرى عربية وإسلامية وإنه لمما يؤلم النفس ويدمى القلب أن يبقى عدو المسلمين والعرب يصول ويجول فى بلادهم. يتكبر ويتجبر ويعلو ويتيه دون أن يجد أمامه قوة تردعه وتوقفه عند حـــده، وفى كل يوم يظهر علينا بشىء جديد، اعتداءات هنا وهناك، وإجراءات تعسفية للبطش بالآمنين من السكان؛ وقوانين ظالمة تصادر فيها أموال العرب والمسلمين، وتخرج أصحاب الحق من بلادهم، بالإضافة إلى ما يقوم به من عبث بالمقدسات، وهدم الآثار الإسلامية؛ واستيلاء على الأموال؛ تمهيدا لتهويد مدينة القدس الخالدة؛ وإزالة الصبغة الإسلامية والعربية عنها، غير عابىء بالعرب والمسلمين، ولا حاسب لهيئة الأمم حسابا، ولا محترم لمجلس الأمن وقراراته ولا مهتم بالعالم أجمع.

التى رسمها الله تعالى لهم، فلديهم من القوة العددية الشىء الكثير، فهم يعدون بمئات الملايين فى المشارق والمغارب، كما أن لديهم من الإمكانيات المادية والمالية ما يتمكنون بها من تزويد جيوش جرارة قوية فى أسلحتها البرية والبحرية والجوية.

إن لديهم من الأموال ما يمكنهم من أن يكونوا أقوى الأمم وأشدها بأسا لو استخدموا أموالهم وتصرفوا فيها تصرفا يعود على مجموع الأمة بالخير والنفع والفائدة.

إن المال ليس كل شىء فى هذه الحياة وماذا يفيد المال إذا كانت الأمة التى تملكه ذليلة الجانب، مهدورة الكرامة، لا قيمة لها ولا وزن، تتحكم الأمم القوية فى مقدراتها، دون أن يكون لها رأى نافذ، أو كلمة مسموعة، ودون أن يكون لها حول.

إن المال لم يوجد فى الحياة ليكون مكدسا فى الخزائن وفى الصناديق، أو مكنوزا فى البيوت والقصور، أو مودعا فى البنوك، وإنما وجد ليكون وسيلة فعالة من الوسائل التى تؤدى إلى خير الأمة وتقويتها، ودفع الاعتداء عنها، وتمكينها من الحياة الحرة الكريمة على أرضها وتحت سمائها.

مع أن المسلمين قادرون على إيقافه عند حده وإزالة آثار عـــدوانه، إذا اتفقت كلمتهم وصحت عزائمهم، وساروا فى الطريق المستقيم

وعلى المسلمين أن يعلموا أن هذه هى الأيام الخطيرة فى تاريخهم، بل هذه هى الأوقات الرهيبة التى تمتحن فيها قوة إيمانهم، وسلامة

إرادة القتال في الجهاد الإسلامي

للواء الركن : محمود شيت خطاب

إرادة القتال هي الرغبة الأكيدة في الصمود والثبات في ميدان القتال من أجل مثل عليا وأهداف سامية . وإيمان لا يتزعزع بهذه المثل والأهداف وثقة بأنها أحب وأعز وأغلى من كل شيء في الحياة . وتحمل أعباء الحرب بذلا للأموال والأنفس واستهانة بالأضرار والشدائد وصبرا في البأساء والضراء وحين البأس حتى يتم تحقيق تلك المثل العليا والأهداف السامية مهما طال الأمد وبعد الشوط وكثر العناء وازدادت المصاعب وتضاعفت التضحيات .

ذلك هو مفهوم « إرادة القتال في الجهاد الإسلامي » وهو مفهوم لا تطمع في إدراك شأوه مفاهيم : إرادة القتال في العقيدتين العسكريتين الشرقية أو الغربية على حد سـواء .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

يقينهم ، وصدق عزيمتهم ، وثباتهم على الحق ، والدفاع عنه ، حتى يشرق الحق بنوره ، ويزهق الباطل أمامه .

(إن الباطل كان زهوقا)

أسأل الله عز وجل أن يوفق المسلمين والعرب إلى خير الطرق ، وأرشد السبل التي تمكنهم من استرداد أوطانهم ومقدساتهم وإعادة قواتهم وكرامتهم ، وحريتهم وسيادتهم .

وأن يشملهم بنفحة من نفحاته الربانية ، تجمع شتاتهم ، وتلم شعثهم ، وتوحد كلمتهم ، وتؤلف بين قلوبهم ، (وتعيد إليهم مكانتهم) وتعدهم لتلقي النور الإلهي ، وتحملهم على الرجوع إلى الهدى النبوي ، وما ذاك بعزيز على رب الأرباب مؤلف القلوب ، ومفرج الكروب ، سبحانه لا إله إلا هو ، وحده لا شريك له ، له الحكم وإليه ترجعون .

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

صدق الله العظيم

عبد الله غوشة

مفهوم : إرادة القتال فى الجهاد الإسلامى مادة وروح ، فيه الدعوة إلى الخير والسلام وفيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفيه الإعراض عن الاستغلال والاستعباد .

ومفهوم إرادة القتال فى الشرق والغرب مادة فقط . فيه الدعوة إلى التسلط والاستعمار وفيه إشاعة المنكر والفساد وفيه حب الحرب وكراهية السلام .

كيف غرس الإسلام مفاهيم إرادة القتال فى نفوس المسلمين وعقولهم معا ؟

حث الإسلام على الطاعة . والطاعة هى الضبط والنظام فاستجاب المسلمون « وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » الآية ٢٨٥ - البقرة .

وأشاع الإسلام معانى الخلق الكريم ومنه الصبر الجميل . وغرس روح الشجاعة والإقدام : وأمر بالثبات فى ميدان القتال . وحرم التولى يوم الزحف وجعله من الكبائر . ودعا إلى الجهاد بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله . وبين أن المثل العليا لابد أن تكون لها الأسبقية على كل شىء فى الدنيا . وجعل مقام الشهداء من أعظم المقامات .

فإذا تذكرنا أن الجهاد فى الإسلام يهدف إلى حماية حرية نشر الدعوة الإسلامية وإلى إشاعة السلام وإلى الدفاع عن دار الإسلام .

وإذا تذكرنا أن تعاليم القتال فى الإسلام تنص على الوفاء بالعهود واحترام المواثيق والترفع عن الظلم والعدوان وإقرار السلام .

إذا تذكرنا أهداف القتال فى الإسلام وتعاليمه علمنا بأن : إرادة القتال التى تتغلغل فى أعماق المسلم الحق مبنية على أسس سليمة رصينة . لأن هذا المسلم يؤمن إيمانا عميقا بأنه يخوض « حربا عادلة » وهذه الحرب هى « حافز » جديد تجعل من المؤمن مقاتلا رهيبا كما عبر بذلك العسكريون المحدثون .

ولكن « إرادة القتال فى الجهاد الإسلامى » تسيطر على المسلم فى ميدان القتال أيام الحرب كما تسيطر عليه فى أيام السلام .

وإن الهدف الحيوى من الحرب هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للعدو فإذا انتصر عليه فى ميدان الحرب واستطاع ان يحطم طاقاته المادية فلا بد من جهود أخرى لتحطيم طاقاته المعنوية ليكون النصر كاملا يؤدى إلى الاستسلام .

وهنا تبدأ الحرب النفسية التى تستهدف الطاقات المعنوية فى الدرجة الأولى .

وفى تاريخ الحروب أمثلة لاتعد ولا تحصى من انتصارات استطاعت القضاء على الطاقات المادية ولكنها لم تستطع القضاء على المعنوية

فكانت انتصارات ناقصة استمرت فترة من الزمن ثم أصبح المهزوم منتصرا وأصبح المنتصر مهزوما .

كيف يحافظ الإسلام على إرادة القتال فى أيام السلام ؟

ضمان المحافظة على إرادة القتال فى أعماق المسلم أيام السلام ماثل فى يقينه الراسخ بالحقائق الآتية : فإن الآجال كلها بيد الله .

● عدم خشية الموت : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » « ٧٨ النساء » .

● عدم مخافة الفقر لأن المسلم يعتقد اعتقادا راسخا بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » « الطلاق ٢ : ٣ » .

● عدم رهبة القوات الضاربة للعدو . فما انتصر المسلمون فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفى أيام الفتح والمكافحة لمدد أو عدد بل كان انتصار عقيدة لامراء « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » « البقرة : ٢٤٩ » .

فالمسلم لا يخاف الموت ولا يخشى الفقر ولا يهاب قوة فى الأرض ، يسالم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الأراجيف والإشاعات لا يستكين للاستعمار الفكرى ، ولا يستورد مبادئه ولا يقنط أبدا ولا ييأس من رحمة الله .

هذا المسلم الحق يقظ أشد ما تكون اليقظة حذر أعظم ما يكون الحذر ، يتأهب لعدوه ويعد العدة لقتاله ولا يستهين به فى السلم أو الحرب .

فلا عجب أن يكون هذا المسلم الحق متحليا بمزية : إرادة القتال ، بل العجب كل العجب ألا يكون .

والسؤال الذى يتردد اليوم هو : ألسنا مسلمين؟ وإذا كنا مسلمين فلماذا لا ينصرنا الله على أعدائنا ؟

والجواب على هذا السؤال يورده القرآن الكريم بصراحة ووضوح .

قال تعالى « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » « الروم : ٤٧ » وقال « يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « محمد : ٧ » .

فهل نحن مؤمنون حقا ؟ وهل نصرنا الله حقا حتى ينصرنا ويثبت أقدامنا ؟؟

إن مقياس الإيمان واستحقاق النصر واضح فى قول الله تعالى :

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

فهل أقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ؟

(بقية المنشور على صفحة ٤٧٥)

دور اليهود في العدوان على قاعدة الإسلام في المدينة

للدكتور عبد العزيز كامل

تناول هذا البحث الملامح الجغرافية — طبيعية وبشرية لقاعدة الإسلام فى المدينة ثم المجال الأول للصراع بين اليهود والإسلام فى مرحلتين وفيما يلى مقتطفات مما جاء فيه :

التكوين الاجتماعى :

يرتبط التكوين الاجتماعى للمدينة بأحداث تتسع دائرتها إلى ما وراء الجزيرة العربية نفسها فمن قديم سكنتها قبائل عربية من العماليق ، ثم لما أفسد اليهود فى فلسطين بطش بهم حكامها وبخاصة من الروم ؛ فخرج نفر من اليهود لاجئين إلى القرى العربية على المحور الممتد من الشام إلى اليمن .

وتمر السنون ويستطيعون الاستئثار أو السيطرة على أكثر من واحة : المدينة ، وخيبر ، وفدك ووادى القرى ، وتيماء ، وكلها فى النصف الشمالى من المحور ، وإن وصلت جاليات منهم إلى ما وراء ذلك جنوبا .

وإذا كان الحكم الرومانى قد أدى إلى هذه الإزاحات السكانية نحو الجنوب ، فقد كان له تأثير آخر على الجنوب العربى .

فقد حاول اليونان والرومان السيطرة على تجارة البحر الأحمر ، والمحيط الهندى ، وهى التجارة التى كان يقوم سكان الجنوب العربى بنصيب كبير فيها ، واستطاعوا بها وبالزراعة أن يقيموا حضارات شامخة فى أرضهم . وفى هذا الصراع فقد سكان اليمن - والجنوب العربى - السيطرة على البحار وحرمهم اليونان والرومان من مورد كبير كانت له مساهمته الفعالة فى بنائهم الحضارى ، وانعكس هذا الضغط الاقتصادى على مشروعاتهم الزراعية الكبرى وبخاصة السدود الكثيرة التى كانوا ينشئونها لحجز المياه ، وعندما قلت صيانتها أخذت تتصدع ، وأدى هذا بدوره إلى قلة الإنتاج الزراعى ومع التدهور البحرى والزراعى أخذت حضارات اليمن تدخل فى ليل ثقيل حتى جاء فجر الإسلام .

ومع تدهور الحضارات الجنوبية - وإن أرجعه بعض المؤرخين إلى عوامل مناخية وليس هناك علميا ما يمنع من تأثير هذه العوامل جميعاً - حدثت هجرات واسعة من الجنوب إلى خارج الجزيرة العربية وإلى أجزائها الوسطى

والشمالية . والذى يهمنا منها وفود الأوس والخزرج إلى المدينة وسكناهم فيها .

يأتى الأوس والخزرج - من عرب الجنوب - إلى يثرب ، فيفسى اليهود أن هذه الأرض قد وسعتهم من قبل عندما فروا من بطش وقع بهم بعد إفساد فى الأرض - كما ينص القرآن الكريم - وظنوا أنفسهم أصحاب الأرض ، وحاولوا أن يستبدوا بالأوس والخزرج استبداداً وصل - كما يقول ياقوت - إلى الأرزاق والأعراض .

وتحـــدث فى تلك الدورة من دورات الصراع ظاهرة كثيراً ما نقلناها فى تاريخنا العربى الطويل . يتلفت عرب الأوس والخزرج حولهم ، ويجمعون صفوفهم ويستعينون بإخوانهم الغساسنة - على أطراف الشام - وهم مثلهم من عرب الجنوب المهاجرين - وكانت لهم فرص أوسع فى الاستقرار والازدهار الحضارى ، ويعينهم الغساسنة بجيش يستطيع أن ينتقم من سوء اليهود ويقضى على زعمائهم ورءوس الشر فيهم ، وصار الأوس والخزرج من يومئذ أعز أهل المدينة ، واتخذوا القصور والأموال والآطام وقدم الرسول المدينة وهم كذلك (١) .

فالصراع بين العرب واليهود فى المدينة سابق للإسلام ، ولم يكن الإسلام سبباً له ، ولم يستطع عرب المدينة وحدهم أن يلقوا هذا الشر ، وكان من العون العربى ما أعانهم على استعادة حق عربى أصيل .

فمشكلة اليهود إذن كانت نابعة منهم ، يحملون بذورها حيث يقيمون : حاربهم عرب المدينة فى جاهليتهم كما حاربوهم بعد إسلامهم ، وإذا كانت قاعدة الإسلام فى المدينة قد ورثت هذا الصراع فقد كان ذلك من أجل استعادة حق . والقضاء على أوكار الفتنة فى الجزيرة العربية . أما الدين من حيث هو دين ، فالذى يحكم المسلمين فيه قول الله تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »

ومع تعرض الأوس والخزرج لخطر اليهود المشترك فقد كانت بينهم حـــروب وثارات فى الجاهلية ، واتخذ كل منهم لنفسه حلفاء من اليهود ، واستطاع اليهود بذلك أن يحفظوا جانباً من قوتهم فى المدينة ، واطمأن كل فريق منهم إلى محالفته حياً من عرب المدينة : الخـــزرج يحالفون بنى قينقاع وبنى النضير والأوس يحالفون بنى قريظة ، وأصبح كل فريق من الأوس والخزرج - قبل الإسلام ، حريصاً على حلفائه من اليهود واليهود - من ناحيتهم - يحرصون على ألا يجتمع الأوس والخزرج عليهم ، وكان لهم جهدهم قبل الإسلام وبعده فى تفكيك وحدتهم .

هذه هى الملامح الرئيسية المدينة عندما

---

(١) معجم البلدان ٥ : ٨٥ .

اتخذها الرسول قاعدة للإسلام وهناك المدينة كان المجال الأول للصراع .

وكان حصاد المرحلة الأولى تطهير قاعدة الإسلام فى المدينة من الخطر اليهودى الذى كان مسيطرا على جزء من منطقة القلب ، ويخالط المسلمين ويعلم أخبارهم وينقلها إلى أعدائهم ويدلهم على عوراتها . كما كان يسيطر على نقط حاكمة فى الجنوب الشرقى لها ركائزها القوية من الأرض الخصبة وموارد المياه معتمدا على حصون قوية وسلاح .

وقد كان اليهود كل مرة بادئين بالعدوان ناكثين بالعهد ، متآمرين مع العدو ، يدفعونه ويتقدمون إلى المعركة متى ظنوا النصر أو وجدوا الفرصة . وإن المعارك الثلاث الكبرى معهم كانت مرتبطة زمنيا وموضوعيا بمعارك ثلاث كبرى مع قريش : بنو قينقاع بعد بدر ، وبنو النضير بعد أحد بفارق زمنى ، وبنو قريظة - مع الأحزاب وبعدها ، وأن التصادم بدأ أولا فى قلب المدينة ثم انتقل إلى أطرافها الجنوبية الشرقية .

واستطاع الرسول فى المرحلة الثانية القضاء على اليهود عسكريا فى الجزيرة العربية بعد معارك خيبر الفاصلة .

ومع أن الرسول منحهم فرصة الحياة فى الواحات الشمالية - إلا أن المؤمرات استمرت بعد موته ، ولم يجد الخليفة العادل عمر بن الخطاب إلا إتمام إجلائهم من الجزيرة العربية إلى أطـــراف الشام ، ولكن هل تمت القصة ؟ .

أبدا . لقد ظلت تتجدد بصورة أو بأخرى وتتبنى الحركة الصهيونية الحديثة هذا الشر ، وينشىء الاستعمار فوق أرض فلسطين دولة مؤامرات تمزق الوطن العربى وأرض الإسلام إلى قطاعين آسيوى وأفريقى ويتخذها رأس جسر لعدوانه . ونحن نمر الآن بتجربتها تآمرا واستعداء وعدوانا ، وثغرة خطرة تنفذ منها قوات الاستعمار الجديد إلى أرضنا وليس هناك من سبيل أمامنا إلا العمل والعمل الدائب حتى نطهر أرضنا ومقدساتنا بعودتها إلى أبنائها كما استقرت قاعدة الإسلام فى المدينة بالقضاء على الشر الدخيل .

وصفوة القول أن العرب والمسلمين لم يكونوا على طول تاريخهم — عادين وإنما كانوا كما رأينا من هذه الدراسة - يبدأون دائما بالخير ويتحرون السلام فلا يلقون من أعدائهم إلا التآمر والخيانة ، فلم يعد أمامهم إلا أن يدفعوا عن أنفسهم شرا وأن يستعيدوا حقا .

دكتور عبد العزيز كامل

بشائر عن معركة المصير بين المسلمين وإسرائيل

لفضيلة الأستاذ نديم الجسر
عضو المجمع

هذا البحث يشتمل على النقاط الآتية :

غثاء السيل — خميرة البقاء — وسطية الاسلام — العناصر الأساسية للتي يقوم عليها بقاء الامم — أخوة المسلمين — ما وجدت لتبقى — ناموس التدافع الإلهى — نعمة التحدى — ثم — بشارة من وراء الغيب .

(بشارة من وراء الغيب)

فى الصحيحين حديث عن مقتلة تقع ، فى المستقبل البعيد بين اليهود والمسلمين ، وتكون النصرة فيها للمسلمين ، جاء فى صحيح مسلم (عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى تعالى فاقتله) وفى رواية عن ابن عمر أيضا (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله) وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله) .

وجاء فى صحيح البخارى (عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تقاتلن اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله .

وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودى يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله .

وفى اسبوع النكبة جاءنى شاب مؤمن من أرقى المثقفين وسألنى عن هذا الحديث . قلت هو من أعظم المبشرات ، فعلى كل مسلم أن يعرفه ، ويجعله نصب عينيه ليستضىء بنوره فى هذه الأيام السود الحوالك .

قال : سألنا عنه أحد كبار العلماء فقال : إنه حديث ورد فى الصحاح ولكنه أحادى وليست له قوة الحديث المتواتر . قلت : كأنه يشك فيه ؟ قال لا ولكنه يرى أنه لا ينبغى الاعتماد عليه ولا يقصد بذلك الا وقاية الناس من الشك بكلام رسول الله .

قلت : ان صاحبك هـذا ربمـا كان حسن النية ، وربمـا كان كبيرا فى علم مصطلح الحديث ولـكنه لا يفهم شيئا من فقه الحديث .

قال : كيف ؟ قلت : إن هذا الحديث أصح من الصحيح وأقوى من المتواتر .

قال : وهل يـكون بين الأحاديث الصحيحة ما هو أصح من الصحيح وبين الأحاديث الآحادية ما هو أقوى من المتواتر ؟ قلت : أما فى علم مصطلح الحديث فلا . وأما فى فقه الحديث فنعم . قال : لماذا ؟ قلت لأن هذا الحديث (بقطع النظر عن صحة السند) يحمل براهين صحته بذاته ولفظه ومعناه وقد جاءت الأيام تبرهن على صدقه بواقع الحال .

ذلك أن نصوص الإخبار عن المغيبات منها ما لا يحمل براهين صحته بذاته ، ولـكننا نقول بصحته اعتمادا على صحة السند ومنها ما يحمل فوق برهان السند الصحيح ، براهين صحته بألفاظه ومعانيه والظروف التى روى فيها ، ومنها ما تأتى أحداث المستقبل بتحقيق الأخبار الغيبية التى أنبأ عنها النص خـذ لك مثلا آية الأخبار المبشرة بغلبـــة الروم للفرس فى قوله تعالى :

(غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولـكن أكثر الناس لا يعلمون) .

إن هذه البشارة القرآنية من أخبار الغيب لا تحمل براهين صحتها بذاتها ، ولـكن المسلمين آمنوا بها وصدقوا لأنها من القرآن ثم جاءت الأيام بعد بضع سنين ، كما ذكر القرآن ، تؤيد وتحقق بالواقع غلبة الروم للفرس ، فكان ذلك من جملة وجوه إعجاز القرآن العجيبة لأن الروم كانوا يومئذ فى أوهن وأعجز أحوالهم أمام الفرس الذين يحاصرون عاصمتهم .

أما هذا الحديث ، عن قتال اليهود فإنه يحمل براهين صحته وصدقه من الوجوه الثلاثة : بسنده وبذاته وبواقع الحال ، وهـذا معنى قولى لك عنه إنه أصح من الصحيح وأقوى من المتواتر .

وسأشرح لك هذا المعنى ، ولـكنى أريد قبل ذلك أن أقول كلمة عن المشككين الذين يقولون ، بحسن نية أو بسوء نيـة ، إن الحديث آحادى ولا يجوز الاعتماد عليه فى الصراع بيننا وبين إسرائيل التى تعتمد على أسباب المـادة والقوة إن هؤلاء ينسون أو يتناسون أمرين :

الأول : أن هذه المبشرات هى من أوليات أسباب القوة كما أوضحنا فى صدر هذه المحاضرة عن نفع تشديد القلوب . وعن ضرر اليأس والاستخذاء ، وعن ضرورة الثقة بالله من أجل إعداد القوة ، بل من أجل القدرة على استعمال القوة .

الثانى : أن أعداءنا اليهود ما استطاعوا جمع شتاتهم وإعداد قوتهم إلا باعتمادهم على ما اخترعوه من المبشرات الدينية بإعادة الدولة اليهودية فى أرض الميعاد .. أفيكون للمبشرات الدينية اليهودية التى نعتقد نحن المسلمين أنها مخترعة وكاذبة أثرها ونفعها عند أعدائنا ، ثم نحاول نحن أن نهمل أو نضعف مبشراتنا الدينية التى نؤمن بأنها صادقة ؟ يا للعجب ولنرجع إلى شرح أدلة صدق الحديث .

(ا) إن الحديث يصرح بأن المقتلة مع اليهود ستكون فى المستقبل ، بل إن فى قوله على إحدى الروايات (لا تقوم الساعة حتى .) ما يفيد أن المقتلة ستكون فى المستقبل البعيد .

(ب) أن المفهوم من ظاهر وصف المقتلة أنها ستكون عظيمة وضارية .

(ج) أن المفهوم من قول الحديث ، فى إحدى الروايات (تقاتلكم اليهود) أنهم هم الذين يبدأون المسلمين بالقتال وهذا يقتضى أن تكون لهم دولة وشوكة تشجعهم على أن يبدأوا بالقتال .

(د) لا يخفى أن يهود الحجاز والجزيرة العربية لم يكن لهم كيان دولى قائم بذاته قبل الإسلام وأما بعده فلم يعد لهم شوكة بل لم يعد لهم وجود يظن معه أنهم يقاتلون المسلمين .

(هـ) ولا يمكن أن يعنى الحديث قتالا يقع بين المسلمين وشراذم اليهود الضعفاء من أهل الذمة لأن الإسلام يأمر بحماية أهل الذمة ورعايتهم ولأن قتل مثل هـــذه الشراذم الضعيفة ليس من الأمور الهامة التى تستحق أن يبشر بها النبى صلى الله عليـــه وسلم المسلمين بالنصر .

(و) أما فى الخارج فاليهود بعد التشتيت الثانى الذى حصل لهم على يد تيطوس الرومانى لم يعد لهم كيان دولى أو تجمع أو تكتل مستقل فى أى قطر من أقطار الأرض .

أخيرا لا يخفى أن اختلاق الأحاديث لابد أن تكون له دواع وأسباب ومقاصد وأغراض وغايات منها ما يتعلق بالخلافات السياسية ، ومنها ما يتعلق بخدمة الشعوبية ومنها ما يراد به استرضاء الحكام أو تبرير أخطائهم ومنها ما يتعلق بأساطير الخلق والتكوين التى سماها علماء الحـــديث الإسرائيليات ومنها ما سببه إظهار البراعة بحفظ الأحاديث أو الاستعانة على الفلج فى الجدل والمناظرة .

وكل هذه الدواعى لابد فيها أن تتبع مما يتصل بالناس ويحيط بهم أو يهمهم أو يجرى فى أحاديثهم من الأمور والمشاكل وليس من المعقول أن يخترع أحد الناس حديثاً لا يمت بصلة إلى شىء من هذه الأسباب ولو أن الحديث المذكور تعلق بقتال يقع مع الفرس أو الترك أو الروم أو الهنود مثلا لكان افتراض اختلاقه ممكنا ومعقولا بقصد

التبشير بالنصرة على هذه الأمم التى لها احتكاك مع المسلمين وأما أن يوضع حديث عن مقتلة عظيمة تحمل بشائر النصرة على شعب ذليل مشتت لا شوكة له ولا دولة ولا كيان ولا تجمع ولا تكتل بل لا ذكر له عند المسلمين ولا يخطر ببال التخوف منه فإن اختلاق الحديث يكون بلا سبب ويكون بالتالى غير معقول .

وإذا لم يكن فى العالم دولة يهودية أو تجمع أو تكتل يهودى مستقل يتصور معه حصول احتكاك أو قتال كبير مع المسلمين . فما هو إذا معنى هذا الحديث ؟ .

لقد برهنا على أن اختلاقه غير معقول لأنه لا يتركز على سبب من أسباب اختلاق الأحاديث الموضوعة .

وإذا كان صحيحاً وغير موضوع فكيف (وحالة اليهود) على ما ذكرنا سوف يتم تحقيق ما انطوى عليه من أخبار الغيب ؟ .

لقد ظل الجواب عن هذا السؤال مخبوءً وراء حجاب الغيب أربعة عشر قرنا حتى ظهرت دولة إسرائيل الحديثة التى لم يخطر على البال ولا بالخيال ظهورها فى حياة الإمامين البخارى ومسلم رضى الله عنهما فى القرن التاسع الميلادى وفى القرون الوسطى .

وأين ظهرت ؟ أين ؟ .

فى قلب البلاد العربية والإسلامية أى حيث أصبح حصول الاحتكاك مع اليهود معقولا بل فى صميم الأرض المقدسة عند المسلمين حيث أصبح وقوع القتال حتما وعلى مقربة من الكعبة بيت الله ومقربة من يثرب مدينة الرسول التى لليهود فيها ذكريات كلها أحقاد أى حيث أصبح القعود عن القتال كفراً وخروجا عن الإسلام . .

وهكذا تحقق صدق الحديث النبوى المعجزة فى حصول القتال ولابد أن يتحقق صدقه عن نتيجة القتال إن شاء الله والأيام بيننا .

أيها المسلمون فى الأرض . . كل الأرض :

إنى على يقين من أن هذه البشارة النبوية سوف تتحقق فى يوم من الأيام قريب ... أو بعيد ، وعسى أن يكون قريباً بتعاون هذا الجيل الحاضر من حكام المسلمين وتناصرهم حتى لا تتكرر لعنة الله والتاريخ التى سجلها الشاعر الأندلسى عند ضياع الأندلس ، على المتنابذين والمتخاذلين فى النصرة بقوله :

يا راتعين وراء البحر فى سعة
لهم بأوطانهم عز وسلطان
هل جاءكم نبأ من أرض أندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

نديم الجسر

اليهود كما تحدث القرآن الكريم عنهم

للأستاذ عبد الستار السيد
مفتي طرسوس

لقد رسم القرآن الكريم صورة معتمة لبني إسرائيل لا يرى الرائي منها إلا قطيعا معربدا تلبسه روح خبيثة تعاف كل طيب، وتتنكب كل طريق مستقيم . . !

والوصف الذي وصفه القرآن الكريم لبني إسرائيل ليس وصفا لظاهرة انكشفت منهم في عهد النبوة بل هو وصف لداء قديم تمكن منهم وعاش في أجيالهم، يتوارثونه خلفا عن سلف .

فالتوراة على ما عبث اليهود بها وعلى ما حرفوا وبدلوا فيها ، لا تزال تحتفظ بكثير من مخازيهم ، وتمسك - بأمثلة غير قليلة من انحرافاتهم، وخسة نفوسهم ولا نحسب أنهم أبقوا على تلك الأوصاف التي تسجل عليهم هذه المخازي في التوراة فلم يرفعوها من كتابهم المقدس ، ولم يبدلوا من صورتها - لا نحسب أنهم لم يفعلوا ذلك يوم كان إلى يدهم التحريف والتبديل في الكتاب المقدس إلا لأنهم كانوا يجيزون يومئذ هذه الصفات ولا يرون تحرجا أو تأثما في أن يأخذوا أنفسهم بها ويعيشوا حياتهم فيها .

وأكثر من هذا فقد غذى اليهود نفوسهم الخبيثة بكل خبيث وترضوا أهواءهم الفاسدة بكل منكر ثم ظنوا هذا أمرا من أمر الله إليهم ، وشريعة من شريعته فيهم ليضفوا على هذه الخبائث وتلك المنكرات قداسة الأوامر الإلهية وطهر الشرائع السماوية حتى يغروا أنفسهم بها . ويعدونها قربات يتقربون إلى الله بالتزامها والقيام عليها .

وندع جانبا التشريع السماوي ، وما ينبغي أن يكون عليه من كمال ، وجلال ، ولنحتكم

(بقية المنشور على صفحة ٤٦٧)

وكيف ينصرنا الله ونحن لا نطبق تعاليمه ؟ وهل ورد في القرآن ما يشير إلى أن الله ينصر المسلمين الذين يتقبلون الإسلام بدون تكاليفه في الجهاد والعمل الصالح ؟ ؟

إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: العودة إلى الإسلام وحين ذاك سيقول يهود كما قالوا من قبل « إن فيها قوما جبارين » ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ؟

محمود شيت خطاب

إلى العقل وما تواضع عليه الناس من معطياته، وما استقام عليه أمرهم، مما هو حق وعدل وخير، لنرى كيف تخف موازين هذا الشرع المنسوب إلى الله - كذبا وبهتانا - بالإضافة إلى ما تواضع عليه الناس، وجعلوه شريعة الحياة بينهم.

تقول التوراة، على لسان موسى فيما أمره به ربه - كما يفترى اليهود - لا تقرض أخاك بربا.. ربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء ما، مما يقرض بربا. للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا. لكي يبارك الرب إلهك كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل لتملكها (تثنية ٢٣).

والربا أفدح أنواع الظلم. وأقتلها لمعانى الإنسانية، وأنه إذا كانت المدنية الحديثة قد أباحت الربا، فإنها فى هذا أهدى سبيلا إلى العدل والإنصاف، مما شرعه اليهود فى التوراة إذا كان أمر الربا هنا عاما، يتعامل به أهله مع البعيد والقريب على السواء، لا كما جعله اليهود محرما بينهم، حلالا سائغا مع غيرهم.

والحرب على ما فيها من وحشية وقسوة.. قد تواضعت الإنسانية، قديما وحديثا، على التخفيف من ويلاتها وشرورها، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، فاستقام للناس من تلك المواضعات أدب يعرف بأدب الحرب، يلتزمه الأطراف المتحاربون، وهو بعض ما استبقت الإنسانية من رحمة ومودة وإخاء، فى مجال هذا الشر المحتدم بينها.

ولكن اليهود لكى يغذوا فيهم داء الحقد والكراهية للإنسانية كلها، أقاموا لهم شريعة فى الحرب، جعلوا مصدرها السماء، فنسبوها إلى الله، وأضافوها إلى وصاياه لهم، حتى تختلط بمشاعرهم، وتستولى على عقولهم، فلا يتحللون منها، ولا يتحرجون من إمضائها على ما هى عليه، ولو ولغوا فى دماء الناس، وأكلوا لحومهم أمواتا وأحياء! فما هم؟ والحال كذلك.. إلا منفذون لأمر الله آخذون بما وصاهم به!..

تقول التوراة - توراة اليهود - فيما استمع إليه موسى من وصايا ربه:

(حين تقترب من مدينة لكى تحاربها.. استدعها إلى الصلح!.

(فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك..

(فكل الشعب فيها يكون لك للتسخير.. ويستعبد لك..

(وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربا..

(فحاصرها..

(وإذا دفعها الرب إلى يدك..

(فاضرب جميع ذكورها بحد السيف!.

(أما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما فى المدينة،. كل غنيمتها فتغنمها لنفسك.

(وتأكل كل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك .

(هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا) التى ليست من مدن هؤلاء القوم هنا) .

هذه هى وصاة الرب إلى موسى . وإلى قوم موسى . كما يفترى اليهود على الله ، فى صلاتهم بالشعوب البعيدة جداً منهم . . التى يجيئون إليها فى غارات خاطفة ، أشبه بتلك الغارات التى يشنها قطيع من الجراد على زروع عامرة . وهو فى طريقه، إلى هجرة بعيدة ليس من همه إلا أن يفسد كل ما وقع له منها .

ومهلا ، فإن الوصية الإلهية ، كما يفترى اليهود ، لم تكتمل بعد . . فإذا كانت الوصية السابقة قد رسمت لليهود شريعة الحرب بينهم وبين الأمم البعيدة جداً منهم . . فقد بقى أن تبين لهم هذه الشريعة ما يكون منهم مع الأمم المجاورة لهم . . وقد جاءتهم الشريعة بهذا البيان . .

تقول هذه الشريعة على لسان الرب لموسى :
(وأما الأمم من هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا ، فلا تستبق منهم نسمة ما . .

(بل تحرمها . .
(الحيثيين . .
(والأموريين . .
(والقرويين . .
(والحويين . .
(واليبوسيين . .
(كما أمرك الرب إلهك) .

وهؤلاء الشعوب ، هم الذين كانوا يجاورون اليهود ، ويحيطون بهم من كل جهة . ونسأل أفهذا تأمر شريعة إنسانية فيما يقع بين المتجاورين من شقاق ، وخصام ، وحروب ؟

إنه قل ألا يكون بين الجار والجار احتكاك ، وقد يشتد هذا الاحتكاك فيكون صراعا وقتالا . .

ولهذا قامت الشرائع كلها ـ أرضية وسماوية ـ تدعو إلى الوصاة بحسن الجوار ، ورعاية ما بين المتجاورين من حقوق وواجبات ، حتى لا تفسد دواعى المودة بين الناس ، وتتقطع الصلات بينهم . فلا تطيب لهم حياة ، ولا يستقر لهم حال ، ولا يبيت أحد منهم آمناً إلى جوار أحد . .

لقد أحالت هذه الوصاة حياة اليهود إلى بلاء دائم وشر ، عليهم وعلى من ساقه سوء حظه إلى جوارهم، أو وقع إلى أيديهم.

فهم ـ بهذه الوصاة السماوية ـ مطالبون بأن يثيروا الحرب مع جيرانهم ، متى سنحت لهم فرصة فيهم . . ثم هم مطالبون ثانيا بأن يبيدوا هذه الشعوب من حولهم وأن يجتثوها من أصولها ، بحيث لا تبقى فيها نسمة من إنسان أو حيوان ! وبذلك يطمئن اليهود إلى هذا الخراب الشامل الذى يحيط بهم ، والذى

لا يأتيهم منه إلا صفير الريح ، ونعيق البوم، وبغير هذا لا يطيب لهم سكن ولا يهدأ لهم بال.

هذه هي شريعة اليهود مع جيرانهم ، قديما، وحديثا ، فذلك أمر لايتغير على الزمن ، مادام اليهود يهودا ، وما دامت التوراة توراة يأخذون بكل ما ألفوا فيها من زور وبهتان ،

ومن هنا نستطيع أن نضع أيدينا على كلمة السر ، التي تفتح مغالق التاريخ اليهودي ، وما حل باليهود في القديم والحديث من ويلات ونكبات ، وما أخذوا به من أسر عام شامل وتشتيت مبدد لكل شمل ، حتى مزقوا في البلاد ، وتناثروا في أقطار الأرض فاجمتهم أرض، ولا استقر بهم مقام في وطن!

فحيث كان اليهود ، فهم شوكة مسمومة ، وداء عضال في كيان من يجاورهم . إلا أن يقتلع هذه الشوكة ، ويقضى على هذا الداء

فإذا جاء القرآن الكريم ، يحدث عن بني إسرائيل هذا الحديث الذي يكشف به عن أسوأ صورة للإنسان ، وأخبث وجه من وجوه الإنسانية ، فإنما يقرر بذلك حقيقة ثابتة ، تحدثت بها التوراة عنهم ، وتنطق بها أحداث التاريخ ، وتشهد لها وقائع الحال منهم .

فماذا يقول القرآن الكريم :

والذي يقوله القرآن في فضح اليهود وكشف مساويهم . كثير وكثير . . حيث ألبسهم الله سبحانه به أثوابا فضفاضة من المهانة والخزي واللعنة ...

وحسبنا هنا أن نشير إلى بعض تلك الآيات التي ترسم تلك الخطوط البارزة للطبيعة المنكوسة التي يعيش فيها هذا القطيع المعربد ، كما يصفهم السيد المسيح ، أو هذه الأفاعي ، وتلك الحيات كما كان يناديهم دائما بهذا النداء : يا أولاد الحيات ، . يا أولاد الأفاعي ...

فمن الصفات البارزة التي وصف القرآن بها اليهود ، نقضهم العهود ، مع كل من عقدوا معه عهدا ، حتى عهود الله سبحانه وتعالى وفي هذا يقول الله تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه » (١٤ المائدة) ويقول سبحانه « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا » (٤٦ / النساء) ، فاليهود أجرأ الناس على الكذب ، والنفاق والتحلل من المروءة والشرف ... ومن هنا كان النفاق صفة غالبة عليهم ، وخلقا متحكما فيهم ... ذلك أن النفاق لا يعيش إلا حيث تفتقد المروءة والرجولة ، وحيث يغور ماء الحياء من الوجوه .

ومن صفات اليهود التي فضحها القرآن الحرص على الحياة . . ذلك الحرص الذي يحمل أهله على الأخذ بمبدأ الغايات تبرر الوسائل . . فكل وسيلة يضمن بها اليهودي

حياته هي وسيلة مشروعة بل هي دين يدين به ويعبد الله عليه .. وفى هذا يقول الله تعالى : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر » .

ولحب الحياة عند اليهود هذا الحب الذى يسترخص فى سبيله كل خلق ، وكل فضيلة ، وكل معنى من معانى الإنسانية الكريمة ، لهذا الحب للحياة عند اليهودى ، كانت بيوتهم أبدا أشبه بجحور الضباب ، قلاعا حصينة ينفقون فى سبيلها أكثر ما يملكون من جهد ومال ... وفى هـــذا يقول الله تعالى : « لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » . ويقول سبحانه : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم . هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

وهذا الحب للحياة هو الذى مكن للذلة والمهانة التى ضربها عليهم . فاستساغوا طعمها ، وألفوا السكن إليها ... فلقد أذلهم الله ، وجعلهم موطئاً لأقدام الناس فى الحياة ، بعد أن تطاولوا على أنبياء الله ، ومدوا إليهم ألسنتهم وأيديهم بالأذى كما يقول سبحانه وتعالى : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (١١٢ آل عمران) .

وأكثر من هذا ، فإنه بعد أن ألبسهم الله لباس الذلة سلط عليهم من عباده من يسومهم سوء العذاب ، جيلا بعد جيل ، حتى لا ينزع عنهم هذا الثوب أبداً ... وفى هذا يقول الله تعالى : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم » (١٦٧ الأعراف) .

ومن أجل هذا أيضا فقد كتب الله عليهم أن يشردوا فى كل وجه من وجوه الأرض ، حتى لا تجتمع لهم جماعة ، ولا تتخلق منهم أمة ، بل يكونون هكذا شراً يطوف فى الأرض كما تطوف الآفات والجوائح . . فتكون هنا يوما ، وهناك يوما ، على مدار الكرة الأرضية . . وبهذا يتوزع شرهم فى الناس ، فلا يبتلى به شعب ، ولا تستقل به أمة . . وفى هـــذا يقول الله تعالى : « وقطعناهم فى الأرض أمما » (١٦٨ الأعراف) .

وبعد :

فهذا هو عدونا ، بل هذا هو عدو الداء الذى حل بأرضنا .

فماذا يحدثنا القرآن عنه ، وماذا يرينا كتاب الله منه ؟

إنه كما يحدثنا القرآن عدو ، ليس على طبيعة البشر وسمت الإنسانية .

وإنما هو آفة من الآفات ، وجائحة من الجوائح ..

ملعون من الله ، كما لعن الشيطان .

مطرود من رحمته ، كما طرد إبليس .

مسلط على عباد الله ، كما سلط الشيطان على آدم وأبنائه .

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الشيطان ، ودعانا إلى أن نأخذ حذرنا منه ، فقال تعالى : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً » كذلك حذرنا الله من اليهود ، ودعانا إلى أن نأخذ حذرنا منهم ، فقال سبحانه : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » . فكما أن الشيطان حرب على المؤمنين ، كذلك اليهود هم حرب على كل مؤمن يدين بدين الله ، يقول الله تعالى : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » (٤ المنافقون) .

واجتماع اليهود اليوم واحتشادهم فى هذه المنطقة من العالم ليس إلا لأنها الجبهة التى بقيت صامدة فى وجه الكفر والإلحاد الذى طوف به اليهود فى آفاق الأرض فأفسدوا على المؤمنين إيمانهم ، وأخلوا الدين من مواطنه فى قلوبهم .

فالإيمان الذى لا يزال يعيش به المؤمنون فى هذا الوطن العربى ، هو الذى حرك اليهود إلى هذه المنطقة ، فتداعوا إليها ، وأجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وأنه كما أن الشيطان مع ما معه من خيل ورجل هو هزيل ضعيف أمام قوة الإيمان ويقظة الضمير كما يقول الله تعالى « إن كيد الشيطان كان ضعيفا » فكذلك اليهود مع ما هم عليه الآن من قوة ظاهرة وضعها الاستعمار فى أيديهم ، هم أخزى من الشيطان خزيا ، وأضعف منه كيدا ، فى مواجهة القلوب العامرة بالإيمان ، المتمسكة بدين الله ، فهم كما أرانا الله عاقبة أمرهم معنا فى قوله تعالى : « لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون » (١١١ آل عمران) . وفى قوله سبحانه : « لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون . لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وإذا كان الإيمان هو عدة كل معركة

من معارك الحق فإنه هنا فى وجه هذا الضلال هو السلاح العامل ، لا سلاح غيره فإذا ضعف أو وهن كان ذلك قوة تمكن لهـذا الضلال وتفسح له الطريق ، وتقيمه على مرعى خصيب يرتع ، ويمرح ، حيث يشاء .

فالإيمان هو سلاحنا فى هذه المعركة وهو القوة العاملة التى نصدم بها هذا الشر المحتدم ، ونلق بها هـذا العدو الخبيث ، ونهزمه إن شاء الله ... ورصيدنا من الإيمان ـ بحمدالله ـ كثير موفور ـ ذلك أن الاستشهاد فى سبيل الحق هو دعوة الإسلام لنا ، ووصاته فينا ، وقد استجبنا لهذه الدعوة ، وأخذنا بتلك الوصاة ، فما خذلنا الله فى أى موقف وقفناه مع عدو وإن كثر عددا وعدة .

ذلك هو ماضينا مع كل عدو لقيناه بالإيمان والصبر ، وسيكون هذا ـ إن شاء الله ـ حاضرنا مع هذا العدو الذى ضرب به الله بالذلة والهوان أبدا ، وسيكون من فضل الله علينا أن يندبنا فى هـذه الدورة من الزمن بعثا يسومهم سوء العذاب ، مصداقا لقوله تعالى : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » . . . « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقـــوى عزيز » ؟

عبد الستار السيد

فى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله) .

إلى علماء المسلمين :

نـــــداء من :

حركة التحرير الوطنى الفلسطينى

« فتح »

السادة أصحاب الفضيلة والسماحة علماء المسلمين المحترمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

يسر حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » وقواتها « العاصفة » أن تحيى مؤتمركم العتيد المنعقد فوق أرض الكنانة الطيبة ونسأل الله أن يأخذ بأيديكم إلى ما فيه خير شعوبنا العربية والإسلامية ، هذه الشعوب التى ترنوا إلى اجتماعكم بأمل كبير فى توفيق الله لكم فى بحث قضاياها المصيرية دينية ودنيوية بما يكفل لها وضوح المسيرة فى ظل عزة الإسلام وقوة المسلمين .

السادة العلماء :

من أرض فلسطين المحتلة ، ومن رحاب المسجد الأقصى والصخرة المشرفة يكتب لكم اليوم مقاتلو حركة (فتح) وقد حملوا السلاح معلنين الجهاد دفاعا عن الأرض المقدسة التى دنسها الصهاينة باحتلالهم ...

وليس غريبا أيها السادة الأجلاء أن يحمل أبناء فلسطين السلاح ليدافعوا عن ديارهم ومقدساتهم . فالعدو الصهيونى المحتل يعيث فى الأرض فسادا غير عابىء بجرمه ، ولا مرتدع بقانون ، ينشر الفساد فى طول البلاد وعرضها ويحرض على الفسق والفجور محاولا إفساد عقيدة شبابنا وغرس الانحلال بين أبنائنا ، وقتل روح رجالنا المعنوية ، ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل تجاوزته لكتب الدين والتاريخ فعملوا على إلغاء دراسة التربية الدينية وحرفوا آيات الله وطمسوها كما امتدت أيديهم إلى مساجد الله . فعملوا فيها تخريبا وهدما حتى باتت مقدسات المسلمين

والمسجد الأقصى بالذات أرضا يلتقى عليها المراهقون من أبناء العدو الصهيونى ليمارسوا فوقها أبشع صور الانحلال الخلقى إمعانا فى تحدى مشاعر المسلمين ، ومن أراد أن يثور لدينه وكرامته أوسعه جنود الاحتلال بالضرب المهين وبالسجن والتعذيب .

السادة العلماء :

هذه صورة حزينة مؤلمة لحال إخوانكم العرب والمسلمين فى الأرض المقدسة فهل يرضى علماء الإسلام أن تداس عتبات المسجد الأقصى بنعال الصهاينة ... ؟ وهل يرضون لساحة الصخرة المشرفة أن تكون وكرا لمراهقى الصهاينة ينشرون على أرضها فجورهم وانحلالهم ... ؟

حاشا لله أن يرضوا بذلك ، وحاشا لنا أبناء فلسطين أن نرضى بهذا الذل والعار ...

لذلك تحملت حركتنا عبء الكفاح المسلح فى مطلع عام ١٩٦٥ قبل النكسة ثم تحملنا عبء المقاومة والنضال بعد النكسة نغسل بدماء شهدائنا عار الهزيمة ، لقد أعلنا الجهاد بين صفوف شعبنا وقدمنا خيرة شبابنا شهداء على هذا الطريق ، ولكننا نقولها بصراحة المؤمنين أن هناك أمورا كثيرة نرى أن من واجب مؤتمركم أن يقول فيها الرأى الفصل ... رأى فيه نور العقيدة مع حكمة واجتهاد علماء الإسلام ...

أولا ... لقد مر على كفاح شعبنا بقيادة حركته الرائدة (فتح) أكثر من ثلاثة أعوام ومع ذلك لم تتحرك الشعوب الإسلامية لمد كفاحنا وجهادنا بالمال والسلاح فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى السلاح لشعبنا الأعزل والمال لتأمين عائلات شهدائنا وأسرانا .

ومن هنا نتساءل هل نطمع من مؤتمركم الكريم بفتوى تصدرونها حول موضوع الزكاة وأحقية المجاهدين من أبناء فلسطين ... ؟

إن فتوى كهذه لن تكون قيمتها مادية فحسب بل ستكون رمزا للمشاركة الإيجابية من مسلمى العالم فى تحرير الأرض المقدسة .

ثانيا ... اعتبار قضية فلسطين قضية كل المسلمين فى العالم ، وتحريرها واجب على كل مسلم مما يستدعى تعبئة جهود الشعوب الإسلامية للإسهام فى المعركة المصيرية التى تخوضها الأمة العربية ضد العدو الصهيونى المحتـــل

وعليه لا يجوز لأية دولة إسلامية أن تقيم أية علاقة مع العدو سواء كانت سياسية أو تجارية أو ثقافية أو رياضية ... وكل

خروج على هذه القاعدة يعتبر انحرافا عن الإسلام وخيانة للمسلمين ...

وأملنا أن يرتفع صوت العلماء عاليا فى رأى الإسلام فى كل من يتعاون مع العدو أو من يمد العدو بأسباب الدمار والهلاك لشعبنا ...

ثالثا ... إن كفاحنا المسلح لا يقف عند حد إزالة آثار العدوان الصهيونى لاننا ثرنا ضد العدوان كله من أجل تحرير فلسطين بكاملها ، وكم يكون مناسبا أن يصدر علماء المسلمين قرارا بهذا المعنى يعلنون فيه الجهاد إلى أن تتحرر ديارنا كلها مع تحديد رأى الإسلام فى كل من يحاول منع أبناء فلسطين أو تقييد خطواتهم فى حقهم المشروع المتمثل بالكفاح المسلح والثورة حتى النصر بإذن الله

رابعا ... إن ثوار فلسطين ينتظرون رأيا من علماء المسلمين حول كفاحهم فوق أرضهم حتى يكون لهم زادا فى حربهم مع العدو ، كما ينتظرون كلمة فى الاحتلال الصهيونى الرابض فوق أرضهم بفساده وانحلاله وبطشه واستعماره وعبثه بالمقدسات الإسلامية والمسيحية على السواء .

السادة العلماء :

لعلنا نكون قد تجاوزنا بعض الحدود فى حديثنا إليكم ولكن عذرنا لديكم أننا ثوار مجاهدون نتحدث بقلوب مفتوحة إلى رجال هذه الأمة ، ممن حملوا أمانة العقيدة وأناط بهم الله مسئولية اعزاز دينه وخدمة عباده .

وأملنا أن يتسع وقتكم لدراسة مذكرتنا واتخاذ ما يلزم بشأنها من فتوى أو قرار أو توصية ... وعهدنا لله ولكم ألا نلقى السلاح حتى النصر أو الشهادة ، والله على ما نقول وكيل ...

وهو من وراء القصد ... وهو يهدى السبيل

وثورة حتى النصر بإذن الله

حركة التحرير الوطنى الفلسطينى

« فتح »

قال تعالى : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » .

اليهود من كتابهم المقدس
أعداء الحياة الإنسانية

للأستاذ كمال أحمد عون

يتضمن هذا البحث تمهيدا وخمسة فصول تناول فيها الباحث أخلاق اليهود وطباعهم ومفاسدهم من نصوص كتابهم الذى يقدسونه وقد جاء فيه خاصا بتحقيق نسبهم ما يلى :

اليهود وبنو إسرائيل :

يخلط بعض الباحثين بين اليهود وبنى إسرائيل وذلك الخلط بعض الذرائع المقصـــودة للصهيونيين إلى أغراضهم السياسية. فهم يريدون تحقيق نسب اليهود الحاليين إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، استطالة بشرف النسب وتذرعا للتمسك بما جاء فى التوراة من الوعد بإعطاء الأرض المقدسة إلى نبيه ، هـذا الوعد الذى سنعرض قريبا لحقيقته وجدواه .

يقـول صاحب المنجد من قسم الأدب والعلوم : « اليهود : اسم أطلق منذ القـدم على الشعب سليل إبراهيم الخليل من إسحق ، يعرفون بالعبرانيين، أو بنى إسرائيل انتشروا فى العالم من قديم الزمان .

وفى هذا القول من مجافاة الحقيقة ما فيه . «فبنو إسرائيل هم ذرية نبى الله يعقوب الملقب بإسرائيل ابن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام أما اليهود فهم الذين ينتسبون إلى شريعة موسى عليه السلام كما هى بأيديهم الآن ، على ما داخلها من التحريف والتبديل والتشويه فاليهود قديما كما قال محققو المؤرخين [1] أعم من بنى إسرائيل ، لأن كثيرا مـن أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودا ولم يكونوا من بنى إسرائيل » .

بل يقرر هذا كتابهم المقـدس ، فقد جاء فى سفر « استير » بعد ذكـر نجاة اليهود من الإبادة فى بلاد فارس بحيلة أوقعوا فيها بخصمهم هامان بأمر « أحشورش » ملك الفرس قوله « وكان لليهود بهجة وفرح وسرور وكرامة وصار كثير من أمم تلك الأرض يهودا ، لأن خوف اليهود حـل عليهم » كما جاء أيضا أنهم فى شكرهم لله على النجاة لم يكفهم أن قتلوا عدوهم وبنيه العشرة ، بل أعمـلوا السيف

---

(١) انظر المختصر فى أخبار البشر ص٨٧ لأبى الفداء .

أياما فى رقاب مخالفيهم ، وأبادوا منهم عشرات الألوف [١] » .

ولقد نزلت الكوارث باليهود قديما إلى حد الإبادة والاستئصال ، حتى لم يكد ينجو منهم إلا سبى أو شريد على ما سنشير إلى ذلك من وقائع التاريخ .

ويهود اليوم — كما يشهد الواقع — خليط من أمم العالم شرقه وغربه . لا يخلص لهم نسب . ولا يصفو لهم دم، فقد اختلطوا بأمم الأرض كارهين وطائعين وطوحت بهم الأحداث - كما طوحت بأسلافهم - من أمة إلى أمة ومن صقع إلى صقع ، وما تزال تنزل بهم كشأنهم فى القديم .

أما إبراهيم الخليل عليه السلام . فهو عربى [٢] هاجرت قبيلته من قلب الجزيرة العربية إلى العراق ثم هاجر بعد بعثته إلى أرض كنعان بالشام . ورحل إلى مصر ، ثم عاد ثانية إلى حيث كان بأرض كنعان فى جنوب فلسطين ، كما رحل بابنه إسماعيل وأمه إلى الحجاز حيث أسكنهما هناك [١] وكان يمر بولده حينا بعد حين ، حتى أمر بإقامة القواعد من البيت الحرام ، قبلة الإسلام بمكة المكرمة، يعاونه ولده إسماعيل الذى جاءت منه أمة العرب ، خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان إبراهيم عربيا خالصا من سلالة العرب العاربة التى يرتفع نسبها إلى سام ، ابن نوح عليه السلام ، فهو كذلك أبو العرب المستعربة الذين هم أبناء إسماعيل من إبراهيم وهو بهذا جد العرب كما هو جد بنى إسرائيل

وإبراهيم لا يسمى إسرائيليا - فإسرائيل كما مر حفيد إبراهيم ، كما لا يسمى يهوديا فيهوذا الذى يتعلقون بالنسب إليه أحد

---

(١) سفر استير من الكتاب المقدس ص ٨٢٣ — واستير التى سمى السفر باسمها يهودية أعجبت ملك فارس بعد مغاضبة للملكة السابقة ، فتزوجها وجعلها ملكة بعدها . فخدمت بنى ملتها بتدبير بعض رءوسهم ، حتى تخلصوا من أعدائهم وسنعرض له فى فصل « كتاب اليهود والأخلاق » .

(٢) الكامل لابن الأثير ج١ ص ٤٤ وما بعدها طبعة منير — وفصل النشأة من «أبو الأنبياء» للأستاذ العقاد ، وغيرهما .

(١) زعمت التوراة أن إبراهيم صرف هاجر وأعطاها النبى إسماعيل فضت وتاهت فى برية بئر سبع حتى طمأنها ملاك الله . فأقام إسماعيل فى البرية واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر وأغفلت رحلة الحجاز وإقامة إسماعيل واشتراكه مع أبيه فى بناء البيت الحرام قصدا حتى لا يكون لإسماعيل وذريته من بعده هذا الشرف العظيم .

أبناء إسرائيل ، وبالأولى لا يكون مسيحيا فلم يكن قد اقترب زمان المسيح ، ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » .

إن كثيراً من الباحثين يرون اليهود اليوم هم اليهود منذ كانوا ، لم يغير العصر الحديث من خلائقهم ولم تؤثر البيئات المختلفة فى طباعهم إلا مازادتهم المدنية الحديثة نفاذا إلى ما يبغون من شر وإفساد وتضليل - يعيشون أشتاتا فى بقاع الأرض متفاهمين فى طرائق العمل وإذا كان تفرقهم مظهراً من مظاهر الضعف فإنهم يعدونه فى الوقت من أكبر أسباب القوة ، حيث يحاولون عن طريق المال - وقد برعوا فى جمعه - التغلغل فى شئون الحكم ، والتأثير فى حياة الأمم الاجتماعية من وراء ستار ، وتوجيه السياسة العالمية ، والتصدى لمن ناوأهم أو اعترضهم فى هدف أو منفعة ، وهم مع كل ذلك يحيون فى عزلة نفسية ، وانفصام تام عن مشاعر الشعوب التى يعيشون فيها .

عدالة الإســـلام :

إن عدالة الإسلام المطلقة فى كمالها وشمولها تأبى أن تحمل نفس وزر أخرى ، أو تفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء ، برغم ما يصرح به كثيراً كتاب اليهود المقدس ، ولو شاء اليهود أن يحيوا حياة طيبة لما وجدوا أوسع من من الإسلام صدرا ، ولا أسمح من المسلمين نفسا ، ولا أكرم من العرب جوارا ، وقد عاشوا طويلا فى ظلال الحكم الإسلامى ، وجنبات البلاد العربية لا يضارون فى دينهم، ولا يضيق عليهم فى دنياهم .

ولمصر فى القديم والحديث أياد عليهم بيضاء عدا ما كان من ظلم فرعون لهم لأمر أراد الله به نشر الديانة الموسوية فى الأرض المقدسة ، وجعل به فرعون عبرة فى الآخرين ، فما من شدة فى عيش أو كارثة فى نفس تحل بهم إلا كانت مصر معقد آمالهم ومحط رحالهم .

الصهيونية والاستعمار :

لكن الصهيونية العالمية - قاتلها الله - تنكرت لكل صنيع وقبحت كل جميل .

فمن سخرية القدر أن يعمد اليهود الصهيونيون إلى تحميل العرب وحدهم أوزار ما صنعت الإنسانية بهم ، فقفزوا إلى فلسطين قلب العروبة يسفكون فيها الدماء ويذبحون الأطفال والنساء ، ويشقون بطون الحوامل ، وينشرون من سيرتهم ما كان مطويا ، ويعلنون من نواياهم وطرائقهم ماكان خفيا ، مستعينين فى ذلك بما يمليه لهم أشياعهم من المستعمرين الغربيين ، مسخرين فى ظنهم الاســـتعمار العالمى لأغراضهم

وما يعقلون أنهم فى الحقيقة يسعون لحتفهم وأن الاستعمار يريدهم لتعويق نهضة الشعب العربى وامتصاص قواه ليظل فى دائرة نفوذ الغرب لا يعدوها ولو كان فى سبيل ذلك انتحار يهود إسرائيل .

إن اليهود الصهيونيين بتخدير أوهام عودة وتأسيس دولة فى فلسطين تسيطر على مصاير الشرق الأوسط العوبة فى يد الأشرار الغربيين من ساسة انجلترا أولا ثم أمريكا ومشايعيهم ، يضربون بهم شعبا أبيا تيقظ بماضيه المجيد وقواه البشرية والاقتصادية ، وهيهات أن يستخذى أو ينام وأنى يكون النوم فى عالم اليوم ، وقد تشابكت الصلات، ومحيت المسافات ، وكشفت الأستار عن خفايا السياسيات ، ونقلت الإذاعات ثقافة العالمين بكل لغة إلى كل مكان .

ضرورة الجهاد الشعبى :

إن العربى الذى عرف بفرط كرمه عرف كذلك بأنفته وإبائه وشدة شكيمته إذا مس عرضه أذى ، أودنس طهارته مدنس .

وإن الشدائد التى حلت بالعرب فى فلسطين درس عملى نفذ إلى أعماق العروبة فهزها هزا قويا ونفض الكرى عن عيون الغافلين ، وإنها بإذن الله عائدة إلى مكانها فى الصدارة من قافلة الحياة .

لقد اكتسح المغول بلاد الإسلام وهزم المسلمون ثم انتصروا أخيرا بإسلامهم على جحافل المغيرين ، ولكن الإسلام انتصر بعد على قلوب هؤلاء الأعداء فضمهم إلى جنده ومنحهم سنا من نوره فحملوا لواءه طائعين وجاهدوا فى سبيله راضين .

واحتل الصليبيون فلسطين وبنوا القلاع والحصون ثم أوقع العرب بهم وأخرجوهم مدحورين .

فإذا كانت الصهيونية والاستعمار يدلان بالحديد والنار ، وما بلغت الآلات العلمية من ألوان الدمار فإن فى جهاد الشعوب لعبرة لأولى الألباب .

لقد أقام الإنجليز فى مصر سبعين عاما بعد أن هزموا جيشها بالدسائس والخداع والتفريق بين الشعب وحاكمه قبل أن يهزموه بالسلاح ، وما أخرجهم إلا الجهاد الشعبى فى القنال ، ثم فى الجزائر واليمن الشعبية وبقية بلاد العرب كذلك فى فيتنام وغيرها أمثلة قائمة ونماذج رائعة فإذا توانت حكومة عربية أو حكومات وإذا خسر جيش معركة أو معارك فإن الجهاد الشعبى وسيلة الكفاح وأسلوب التحرير فى العصر الحديث .

إن شعبا صغيرا كفيتنام الشمالية بل جزء ذلك الشعب الصغير قد دوخ بكفاحه أقسى قوى الأرض وأشدها بغيا حتى مدت إليه يدها ، وتوشك أن تركع أمامه لتخرج من

أرضه ببقية فى قواها على أرضه ، وفى هيبتها فى المعترك الدولى وإلا فالويل لها إن ظلت تركب رأسها وتعتدى عليه .

إن الجهاد الشعبى الذى بدأناه فى فلسطين متأخراً عشرين عاما قضيناها فى طريق من الإعداد الرسمى سبقنا عدونا فيه ، يجب أن يمضى قدما إلى غايته إننا فى حاجة إلى فدائية تعبأ لها كل قوى الأمة . وإن شيئاً واحداً يعبىء الشعب المؤمن بدينه وبوطنه وبعروبته ، حيث لا يغنى شىء قط غناءه ، ولن يستطيع أن يغيره إنسان كائنا من كان توحيد العرب وجمعهم وتعبئة جهودهم ، إن ذلك الشىء الوحيد هو كلمة الله .

إن الله تعالى يقول لأعظم خلقه سياسة وحكمة ورأيا وشجاعة وخلقا : هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » وإن كلمة الله هى التى جمع بها العرب قائمة وخالدة وإن الذى كتبه على نفسه نافذ وقاطع والله يقول: « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » لقد جمع الله لنا الشرق والغرب عام ست وخمسين ، وإن جهادنا بدأ من الجامع الأزهر فى خطبة الرئيس المشهورة ، إننا نريد جهاداً ينبثق من من المسجد ، وعلى هدى الله وبتنفيذ أحكامه وإقامة دينه فى كل مكان وكل عمل .

وعلينا أن نعلم إسرائيل ويهود العالمين من ورائها باللغة التى يفهمونها بأن دولة لهم فى فلسطين وعلى حساب شعبها مستحيل ، وأن سلامهم وحياتهم إن شاءوا إنما يكون فى دولة عربية تحفظ فيها للأقليات حقوق ، يصونها شرف العرب وترعاها عدالة الإسلام والسلام

كمال أحمد عون

العز للإســلام	منارة الوجود
هـــداية الأنام	ومطلع السعود
عصابة الصديق	وراية الفاروق
والحق والوسيلة	والسمحة الظليلة
ومعقل الفضيلة	وغابة الأسود
الفرس فى لوائه	والهند فى ضيائه
فى الأرض صار كالعلم	بعزة تمحو الظلم
بين الكتاب والقلم	مظفر الجنود

« أحمد شوقى »

الإسرائيليات في التفسير والحديث

للأستاذ محمود يونس

— ١ —

هذا البحث يشتمل على :

١ — مقدمة تتناول مصادر التفسير وآراء بعض كبار المفسرين .

٢ — دخول الإسرائيليات فى التفسير والحديث .

٣ — أمثلة للإسرائيليات فى كل من التفسير والحديث .

٤ — اقتراح إلى مجمع البحوث الإسلامية حول هذا الموضوع .

— ١ —

فى المقدمة عرض الأستاذ محمود يونس مصادر التفسير وأورد نصوصا فى ذلك لابن جرير الطبرى وابن كثير القرشى والقاسمى ، ثم نقل عن الدكتور أحمد أمين — من كتابيه (فجر الإسلام وضحى الإسلام) — نصوصا عن التفسير بالمنقول ، والتفسير بالاجتهاد أو الرأى ، والتفسير العقلى .

وانتهى إلى أن طرق التفسير ومصادره سبع :

١ — تفسير القرآن بالقرآن لأن الآيات يفسر بعضها بعضا .

٢ — التفسير بالأحاديث الصحيحة .

٣ — التفسير بأقوال الصحابة ، وذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأى فيه .

٤ — التفسير بأقوال التابعين إذا أجمعوا على الشيء .

٥ — التفسير بعموم لغة العرب لأهل العلم باللغة .

٦ — التفسير بالاجتهاد لأهل الاجتهاد .

٧ — التفسير من طريق العقل . . . (المعتزلة) .

وهناك أيضاً تفسير عقلى على مذهب الشيعة وتفسير صوفى للصوفية .

— ٢ —

أما دخول الإسرائيليات فى التفسير والحديث — وهو لب البحث — فقد نقل الأستاذ عن البخارى قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .

وقول ابن كثير : إن الأحاديث الإسرائيلية على ثلاثة أقسام :

١ — ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذلك صحيح .

٢ — ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

٣ — ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ، ولا نكذبه ويجوز حكايته (١) .

وقول ابن تيمية : والاختلاف فى التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك ، والمنقول : إما عن المعصوم أو غيره ، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ، ومنه ما لا يمكن ذلك ، وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامة مما لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته ، وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف واسمه . . وفى قدر سفينة نوح وخشبها . وفى اسم الغلام الذى قتله الخضر ونحو ذلك . فهذه الأمور طريقة العلم بها النقل ، فما كان منها منقولا نقلا صحيحاً عن النبى صلى الله عليه وسلم قبل ، وما نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب يمسك عن تصديقه ، وتكذيبه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم (٢) .

(١) تفسير ابن كثير ١ : ٤ .
(٢) تفسير المنار ١ : ٨ .

ويستدل على عدم الاعتماد على الكتابيين وكتبهم بقول القاسمى : « . . . فكتب الكتابيين كأقوالهم لا يعتمد عليها لظهور الكذب والتناقض فيها إلى اليوم ولظهور تلفيقها . . » (١) ، ويقول رشيد رضا : « فالحق أن كل ما لا يعلم إلا بالنقل عن المعصوم من أخبار الغيب الماضى أو المستقبل وأمثاله لا يقبل فى إثباته إلا الحديث الصحيح المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذه قاعدة الإمام الطبرى التى صرح بها كثيراً (٢) .

ويقول الشيخ محمد عبده : (... إنه يجب الاحتراس فى قصص بنى إسرائيل وغيرهم من الأنبياء وعدم الثقة بما زاد على القرآن من أقوال المؤرخين والمفسرين) وأنه يجب (أن نقف عند نصوص القرآن لا نتعداها وإنما نوضحها بما يوافقها إذا صحت روايته) اهـ . (٣) .

وحين ينتهى الأستاذ الباحث من إيراد أقوال السابقين يذكر خمسة أسباب لمنع دخول الإسرائيليات فى التفسير والحديث . وهى :

١ — إن الإسرائيليات ليست من مصادر التفسير المعتبرة التى ذكرها من قبل .

(١) تفسير القاسمى ١ : ٥٠ .
(٢) تفسير المنار ١ : ١٠ .
(٣) راجع تفسير الجلالين ١ : ٣٧ .

٢ — إن إدخال وجعل الإسرائيليات تفسيرا لآيات القرآن معناه تصديق لأهل الكتاب ، وقد منعنا النبي صلى الله عليه وسلم من تصديقهم ، والأمر كذلك في وضع الإسرائيليات في كتب الأحاديث المعتبرة .

٣ — إن في دخول الإسرائيليات في التفسير والحديث إثباتا لأخبار الغيب الماضي بالإسرائيليات ، ويجب أن يكون إثباتها بالقرآن أو الحديث الصحيح ، وعند علماء الكلام بالحديث المتواتر لأنه يفيد اليقين ، وأما أحاديث الآحاد فلا تفيد إلا الظن كما هو المعلوم .

٤ — إن دخول الإسرائيليات في التفسير يؤدى إلى الطعن في القرآن نفسه - والعياذ بالله - لأن معناه تفسير القرآن بالأقوال الكاذبة والخرافات الباطلة .

٥ — إن دخول الاسرائيليات في التفسير والحديث تلبيسا للحق بالباطل . قال الله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) .

— ٣ —

ثم أورد أمثلة وشواهـــد على تلك الإسرائيليات في (تفسير الجلالين) لأنه (أكثر انتشاراً في البلاد الاسلامية) فذكر الآيات : ٢٤٣ من سورة البقرة ، ١٨٣ من سورة آل عمران [١] ، ١٤٥ من سورة الأعراف [٢] ، ١٧٥ من سورة الأعراف [٣] .

وسنكتفي هنا بمثال واحد منها :

قال : الثانية : (الذين) نعت للذين قبله (قالوا) لمحمد (إن الله) قد (عهد إلينا) في التوراة (أن لا نؤمن لرسول) نصدقه (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فلا نؤمن لك حتى تأتينابه وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها ، فإن قيل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه . وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد ... (تفسير الجلالين ١ : ٦٧) .

(١) فهذا التفسير من أوله إلى آخره من أقوال المفسر نفسه لأنه لم يوجد فيه أي إشارة إلى التحديث عن أهل الكتاب .

(٢) إن قوله : (وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها ، فإن قيل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه) ، من خرافات أهل الكتاب أو مخترعاتهم لأنه لم يوجد أصله في التوراة - العهد القديم - والذى وجد فيها أنهم كانوا يوقدون النار بأيديهم ويحرقون بها القرابين المحرقات .

---

(١) تفسير الجلالين ١ ، ٦٧ .

(٢) تفسير الجلالين ١ : ١٤١ .

(٣) تفسير الجلالين ١ : ١٤٥ .

وقد جاء فى الفصل الأول من سفر اللاويين فى ذلك ما نصه :

١ — ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلا .

٢ — كلم بنى إسرائيل وقل لهم إذا قرب إنسان منكم قربانا للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم .

٣ — إن كان قربانه من البقر فذكرا صحيحا يقرب إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه للرضا عنه أمام الرب .

٤ — ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عنه للتكفير عنه .

٥ — ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هـــرون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديرا على المذبح الذى لدى باب خيمة الاجتماع .

٦ — ويسلخ المحرقة ويقطعها إلى قطع .

٧ — ويجعل بنو هرون الكهنة نارا على المذبح ويرتبون حطب على النار .

٨ — ويرتب بنو هرون الكهنة القطع من الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح . وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكهن الجميع على الذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب .

فما أبعد الفرق بين هذا وبين ما قال المفسر . وعلى ذلك فإن هذا التفسير من خرافات أهل الكتاب أو مخترعاتهم دخلت فى تفسير القرآن بدون وعى من العلماء الكرام .

(٣) ولا شك أن مثل هذا التفسير يؤدى إلى الطعن فى القرآن نفسه لأن مجىء النار البيضاء من السماء لإحراق القربان لا يقبله عقل المتعلمين فى هذا العصر .

(٤) ولو فرضنا أن ذلك من المعجزات الصحيحة ، يجب إثباتها بالقرآن أو الحديث المتواتر لا بقول أهل الكتاب .

(٥) وفى ذلك التفسير تلبيس للحق بالباطل والحقيقة بالخرافة .

• • •

وأما عن الإسرائيليات فى الحديث فقد ساق الأستاذ الباحث منها أربعة :

١ — حديث (وما وسعنى سمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن)

ذكره الغزالى فى الإحياء وقال العراقى : لم أر له أصلا وقال ابن تيمية : هو مذكور فى الإسرائيليات وليس له إسناد معروف[1].

٢ — حديث هاروت وماروت وقصتهما مع الزهرة . أخرجه أحمد وابن حبان وابن السنى عن ابن عمر مرفوعا ؛ وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب قال : وقيل إن الصحيح وقفه على كعب ، وتبع البيهقى فى ذلك فإنه أورده فى الشعب عن ابن عمر عن كعب

---

(١) تمييز الطيب من الخبيث ١٤٥

باختصار وقال : هو الصحيح عن كعب (١) فهو من الإسرائيليات ، وقال ابن كثير : وقد روى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدى والحسن البصرى وقتادة . وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل (٢) .

٣ — حديث : وقال موسى عليه السلام : يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك ؟ فقال : كل فقير فقير (٣) .

٤ — حديث إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وهو مأخوذ من الإسرائيليات وأنه عليه الصلاة والسلام بعث فى أواخر الألف السادسة ومعظم الملة فى الألف السابعة (٤) .

(١) تمييز الطيب من الخبيث ١٧٩
(٢) تفسير ابن كثير ١ : ١٤١ ، ١٣٨
(٣) إحياء علوم الدين ٤ : ١٩١
(٤) راجع تفسير المنار ٩ : ٤٧ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ .

— ٤ —

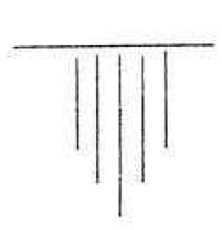
ثم يختم بحثه فيقترح على مجمع البحوث الإسلامية :

١ — أن تجمع جميع الإسرائيليات فى التفسير فى كتاب خاص لتطهير تفسير القرآن الكريم من الروايات الكاذبة . ولئلا تغتر بها الأمة الإسلامية التى لا تعرف أصلها من الإسرائيلية .

٢ — أن تجمع أيضا جميع الإسرائيليات فى الحديث فى كتاب خاص لئلا تثق بها الأمة الإسلامية كما ألف كتاب (اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) .

وبذلك نطهر تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية من الأدناس الأجنبية ؟

محمود يونس



الاسرائيليات فى التفسير والحديث

للأستاذ : محمد السيد حسين الذهبي

هذا البحث مرتب على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة :

فالمقدمة : فى بيان علاقة القرآن الكريم بغيره من الكتب السماوية ومنزلته منها .

والفصل الأول : فى بيان معنى الإسرائيليات وكيف تسربت إلى التفسير والحديث ومدى خطورتها على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام .

والفصل الثانى : فى بيان أقسام الإسرائيليات وحكم روايتها وأشهر رواتها .

والفصل الثالث : فى الإسرائيليات فى كتب التفسير والحديث .

والخاتمة : فى بيان ما يجب أن يلتزم به من يفسر كتاب الله تعالى بالنسبة للروايات الإسرائيلية وما يجب أن يقوم به العلماء من تنقية كتب التفسير منها .

وهذه مقتطفات لبعض ما ورد فى البحث :

القرآن والكتب السماوية

تقوم جميع الكتب السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم على أساس واحد : هو الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى والأخذ بما جاء عنه من تعاليم تقود الإنسانية إلى طريق الخير والرشاد .

فأصول العقيدة والشريعة واحدة فى جميع الأديان كما يصرح بذلك قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (١) » .

أما تفصيلات الشرائع العملية فتختلف فيها الكتب السماوية اختلافا يتلاءم مع زمان كل منها ويتفق مع مصالح أتباعها . فما يصلح لزمان قد لا يصلح لزمان آخر . وما يلائم طبيعة قوم قد لا يلائم طبيعة قوم آخرين . مصداق ذلك قوله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (٢) » .

والقرآن الكريم باعتباره خاتم الكتب والمنزل على خاتم الرسل جاء يجدد دعوة الكتب السماوية إلى أصول العقيدة والشريعة ويؤكد وحدتها فى جوهر الدعوة إلى الله وإلى حياة أفضل ثم هو بعد ذلك يخالف كل ما سواه من الكتب المنزلة بما ينفرد به

---

(١) الآية : ١٢ من سورة الشورى .

(٢) الآية : ٤٨ من سورة المائدة .

من نظم التشريع وألوان العبادات وكيفيات المعاملات التي تلائم عصره وتتفق وصالح الإنسانية في مرحلتها الأخيرة ... مرحلة النضج والكمال .

والكتب السماوية - غير القرآن - قد طواها الزمن ولم يصل إلينا منها سوى التوراة والإنجيل وكلاهما قد تطرق إليه التبديل والتحريف وتناول ذلك منهما جانب العقيدة وجانب الشريعة على سواء .

وما في أيدي الناس منهما اليوم ليس هو التوراة التي نزل الله على موسى . وليس هو الإنجيل الذي نزل الله على عيسى وفي التوراة والإنجيل أنفسهما من التناقض والمناكير شواهد على ما نقول . وفي تحقيقات بعض علماء اللاهوت من غير المسلمين ما يقرر ذلك ويؤكده . وفي القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ما يقرر ذلك في صراحة ووضوح .

فيقول عن اليهود « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً .. (١) » .

ويقول في شأن النصارى « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (١) » .

ثم يخاطب الفريقين فيقول « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (٢) » .

أما القرآن الكريم فقد كتب الله له الخلود وحماه من التحريف والتبديل وصانه من تطرق الضياع إلى شيء منه كما قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٣) » .

ولقد كان خلود القرآن الكريم وحفظه من الضياع أو تطرق التحريف والتبديل إليه أمراً طبيعياً وضرورياً مادام هو الكتاب الذي ختم الله به رسالات السماء إلى الأرض .

معنى الإسرائيليات :

لفظ الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب ابن إسحق بن ابراهيم أبو الأسباط الاثنى عشر وإليه ينسب اليهود .

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يروى أصلا عن مصادر

---

(١) الآية : ٩١ : الأنعام .

(١) الآية : ١٤ : المائدة .
(٢) الآية : ١٥ : المائدة
(٣) الآية : ٩ : الحجر .

يهودية يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ماهو أوسع وأشمل من القصص اليهودى . فهو فى اصطلاحهم يدل على كل ماتطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة فى أصل روايتها إلى مصدر يهودى أو نصرانى أو غيرهما

بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها فى مصدر قديم . وإنما هى أخبار من صنع أعداء الإسلام صنعوها بخبث نية وسوء طوية ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين .

كيف تسربت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث ؟ :

تسرب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث مسبوق بتسرب الثقافة الإسرائيلية إلى الثقافة العربية فى الجاهلية .

فالعرب فى جاهليتهم كان يقيم بينهم جماعة من أهل الكتاب جلهم من اليهود الذين نزحوا إلى جزيرة العرب من قديم والذين هاجروا إليها هجرتهم الكبرى سنة سبعين من ميلاد المسيح عليه السلام فراراً من العذاب والنكال الذى لحقهم على يد «تيطس الرومانى» وقد حمل اليهود معهم إلى جزيرة العرب ما حملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية وغيرها .

وكانت للعرب فى جاهليتهم رحلات يرحلونها مشرقين ومغربين ، وبدهى أنه كانت تتم لقاءات ولا شك أن هذه اللقاءات سواء ما كان منها فى جزيرة العرب وما كان خارجا عنها كانت عاملا قويا من عوامل تسرب الثقافة اليهودية إلى العرب الذين كانت ثقافتهم حينئذ بحكم بداوتهم وجاهليتهم محدودة وضيقة .

ثم جاء الإسلام وجاء كتابه الخالد وكانت دعوة الإسلام أول ما ظهرت وانتشرت بين سكان الجزيرة العربية وكانت عاصمة الإسلام دار الهجرة «المدينة» وفى المدينة وما حولها وعلى بعد منها كانت تقيم طوائف يهودية .

وكانت بحكم هذا الجوار بين اليهود والمسلمين تتم لقاءات بينهم لاتخلو عادة من تبادل العلوم والمعارف .

كذلك كانت تتم لقاءات بين بعض المسلمين وبعض اليهود تدور فيها مناقشات ومجادلات ثم كان ماهو أهم من هذا وهو دخول جماعات من علماء اليهود وأحبارهم فى الإسلام وبهذا التحمت الثقافة الإسرائيلية بالثقافة الإسلامية وتعدت التفسير والحديث إلى التاريخ وعلوم الجدل والكلام ...

ثم ... كانت جولة ...

فقد هال أعداء الإسلام ما أصبح له ولأهله من قوة فتربصوا به الدوائر ولما لم

يفلحوا تفتقت عقولهم الماكرة وقلوبهم الفاجرة عن مكر سيء وخداع بشع . فتظاهر نفر منهم بالدخول فى الإسلام وقلوبهم خاوية ونسجوا الكذب وأذاعوه فى خبث ومهارة .

وقد تلقف القصاص ذلك يستميلون به قلوب العامة ويستهوونهم بما يروونه لهم من غرائب وأعاجيب والنفس إذا لم يكن لها حصانة من علم صحيح وبصيرة تميز بين الحق والباطل كثيرا ما تنطلى عليها تلك الأعاجيب وتسلم فى بساطة ويسر لغرائب ولو كانت أكاذيب .

ولا شك أن الإسرائيليات بما حوته من أباطيل وخرافات نسب الكثير منها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى صحابته رضوان الله عليهم واتخذها بعض المشتغلين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض نصوص القرآن الكريم وتشكل خطرا بالغا وذلك لإفضائها إلى النتائج التالية :

١ ـ أنها تفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوى عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله . وبما فيها من نفى العصمة عن الأنبياء والمرسلين وتصويرهم فى صورة من استبدت بهم شهواتهم ودفعتهم ملذاتهم إلى قبائح لا تليق بإنسان عادى فضلا عن أن يكون نبيا .

٢ ـ أنها تصور الإسلام فى صورة دين خرافى يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها وكلها نسيج عقول ضالة وخيالات جماعات مضللة .

٣ ـ أنها كادت تذهب بالثقة فى بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين .

هـــذه هى جوانب الخطورة على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام من رواية الإسرائيليات ولاتزال يهود تبذل من جهدها لإفساد عقائد المسلمين وإضعاف ثقتهم بمقدساتهم من القرآن والسنة وما يتصل بهما وزعزعة ثقتهم فى سلفهم الصالح .

وما جولد زيهر الإسرائيلى وغيره من دعاة اليهودية المستشرقين من مات منهم ومن لا يزالون منتشرين إلى اليوم بصفة خاصة فى القارة السوداء إلا معاول هدم للإسلام والله من ورائهم محيط .

وعلاج ذلك يتمثل فى واجبين :

الأول : ما يجب أن يلتزم به من يفسر كتاب الله تعــــالى بالنسبة للروايات الإسرائيلية .

الثانى : ما يجب أن يقوم به العلماء من تنقية كتب التفسير .

فبالنسبة للأمر الأول فإنه :

١ ـ على المفسر أن يكون يقظا إلى أبعد حدود اليقظة وناقدا إلى غاية ما يصل إليه

النقاد من دقة وروية حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن ويتفق مع النقل الصحيح والعقل السليم .

٢ — لا يجوز للمفسر بحال من الأحوال أن يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا كان فى سنة نبينا صلى الله عليه وسلم بيان لمجمل القرآن أو تعيين لمبهمه :

٣ — يجب على المفسر أن يراعى أن الضرورى يتقدر بقدر الحاجة فلا يذكر فى تفسيره شيئا من الإسرائيليات الموثوق بها إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال ، وما يكفى أن يكون حجة على من خالف وعاند من أهل الكتاب .

٤ — إذا اختلف المتقدمون فى شىء من هذا القبيل وكثرت أقوالهم ونقولهم فلا مانع من نقل المفسر لهذه الأقوال كلها على أن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل وليس له أن يحكى الخلاف ويطلقه دون تنبيه على الصحيح من الأقوال وغير الصحيح منها .

وبالنسبة للأمر الثانى :

فإن كتب الحديث قد تميز صحاحها من ضعافها وعرف الناس قيمة كل منها ويرجع الفضل فى ذلك إلى علماء الحديث الذين عملوا على تنقية الحديث وتجريده من الدخيل والعليل من وقت مبكر والذين قيموا لنا كل هذه الكتب وحكموا عليها فكان من نتيجة ذلك أن تلقى الناس الصالح منها بالقبول وغير الصالح منها رفضوه رفضا باتا وبجوار ذلك صنفوا فى الموضوعات مصنفات كثيرة قيمة فتحت عيون الناس على ما دس على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكاذيب وأباطيل .

إذا فالواجب الأهم على علماء المسلمين اليوم نحو كتب التفسير قد تحمله وأداه عنهم أسلافهم من المحدثين ولم يبق عليهم إلا إعادة طبع كتب الصحاح من الأحاديث طبعا جيداً منسقا مع حل مشكلات الأحاديث التى فيها غرابة والتى يظن بعض الناس أنها لا أصل لها ...

أما كتب التفسير فواجب علماء المسلمين عامة وعلماء الأزهر خاصة . بل أقول : واجب مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر الشريف وقد حوى من كل قطر إسلامى أفضل علمائه ... واجبه أن يتجرد لمهمة تجريد كتب التفسير من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات .

وأرى أن هذه المهمة يمكن القيام بها على وجه من الوجوه الآتية :

١ — أن يوكل إلى كل قطر إسلامى مجموعة من كتب التفسير ليجردها علماؤه من

الإسرائيليات وما حوت من الموضوعات كالأحاديث التى أوردها بعض المفسرين فى فضائل القرآن سورة سورة ثم تطبع هذه التفاسير بعد تجريدها على نفقته الخاصة - حكومة وشعبا - وقد يكون هذا أصعب الوجوه :

أولا : لأن ذلك يحتاج إلى إقناع المسئولين أو المعنيين بالشئون الإسلامية فى كل قطر بهذه الفكرة وبالمساهمة فيها ماديا وعلميا .

ثانيا . لأنه يحتاج إلى وقت طويل وجهد ليس بالقليل :

ثالثا : لأنه سوف يقال حتما : إن هذه التفاسير تراث إسلامى فلا يجوز التصرف فيها بحذف بعض ماتحويه ، وإذا تم تجريدها من الإسرائيليات وأعيد طبعها مجردة منها فليس ذلك بقاض على ما هو موجود منها اليوم فى المكتبات العامة والخاصة وبهذا تبقى العلة قائمة .

٢ — أن يوكل إلى علماء كل قطر إسلامى مهمة التعليق على مجموعة من كتب التفسير ببيان ما فيها من إسرائيليات وموضوعات وإبطال كل ذلك ثم تطبع هذه التفاسير وما عليها من تعليقات على نفقة كل قطر - حكومة وشعبا - وهذا الوجه وإن أبقى تراثنا فى التفسير على ما هو عليه تقوم فى سبيل تنفيذه نفس الصعوبات السابقة .

٣ — أن يعهد مجمع البحوث الإسلامية إلى جماعة من العلماء بكتابة تفسير للقرآن الكريم خال من الإسرائيليات والأباطيل ويعمم نشره فى جميع الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية وهذا عمل حسن ولكنه سوف لا يمنع الناس من الرجوع إلى غيره من التفاسير القديمة .

٤ — أن يعهد مجمع البحوث الإسلامية إلى لجان يكونها من علمائه الأكفاء ومن غير علمائه بدراسة كل ما لدينا من كتب التفسير دراسة وافية شاملة تكشف عما فى كل كتاب من أباطيل الإسرائيليات وخرافاتها .

ومن كل دخيل على كتاب الله تعالى وتحذر من تصديق ذلك وقبوله ثم تجمع ذلك كله فى كتاب مستقل ينشر فى الأوساط العلمية العامة وربما كان هذا الوجه أيسر الوجوه وأجداها وأكثرها احتمالا للتنفيذ.

وقد يكون لدى غيرى رأى آخر أيسر وأجدى ولو أن الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية عرضت فكرة تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات وسائر الموضوعات على الهيئات العلمية الإسلامية فى كل الأقطار لتبدى كل منها رأيها فى أيسر الطرق وأجداها لخرجنا من وراء ذلك برأى سديد ورشيد؟

محمد السيد حسين الذهبى

مناقشات المؤتمر الرابع
صراحة مؤمنة وأمل متطلع

تابع « تحرير المجلة » ما دار فى جلسات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية واستمع إلى البحوث التى قدمت وما أثارته من نقاش .

وقد تميزت هذه الجلسات بسيطرة الواقع الذى تعيشه الأمة الإسلامية سيطرة كاملة . تبحث مواطن العلل وتطب لها فى صراحة وحصافة .

وكان تشخيصا لمكمن الداء ما جاء فى كلمة الإمام الأكبر فى حفل افتتاح المؤتمر :

« إننا لو انتصرنا ونحن على ما كان فى مجتمعنا من خلل وانحراف لازددنا جرأة على محارم الله ، ولجعلنا النصر شهادة على صدق التحلل وسلامة الانحراف وصواب الانفلات من حضرة الله ومبادىء الإسلام .

ولهذا كانت الهزيمة غيرة علينا من الله ، لأن فينا وجدان الدين وإن لم يكن لنا سلوك المتقين ، فحاسبنا ربنا لنرجع إليه وابتلانا لنقبل عليه ، وذلك قانون الأحياء يحتم مرارة الجرعة تقريبا لحلاوة الشفاء » .

كما اتسمت الجلسات بالصدق مع النفس ومع الواقع بعثه تطلع مؤمن بالله إلى يوم النصر المرتقب الذى هيأه رب العزة للمؤمنين الذين ينصرون دينه ويترسمون خطى نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

لقد كان لقاء أعضاء المؤتمر ووفوده على الجدية المتحفزة يبتغون بيان الأسلوب الصحيح الموصل إلى أشرف غاية ، وأكرم مقصد ، وأعز هدف .

بدا كل ذلك فيما جرى من مناقشات وما تدارسه الأعضاء من وجهات النظر التى عرضت .

وبذلك أدوا الأمانة التى فرضت عليهم والتى سيسألون عنها أمام الله ثم التاريخ ... وقد فعلوا .

فكانت القرارات والتوصيات المنشورة بعد عرض الجلسات . وبقى على رؤساء الحكومات الإسلامية أن يترجموا هذه القرارات إلى واقع عملى ينبض بحيوية دافقة دافعة يرضاها الله ويتقبلها بقبول حسن ينحى

عن جيلنا أمام قادم الأجيال ما بدا من غبار خانق فى مسيرتنا الدائبة وسعينا الحثيث نحو حياة لائقة بخير أمة أخرجت للناس.

وهذه صورة وصفية لما دار فى جلسات الفترة الأولى للمؤتمر بقاعة الاجتماعات بمبنى محافظة القاهرة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر ، وحضور فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر .

وأمانة فضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

وحضور السادة أعضاء المجمع والسادة المدعوين للمؤتمر من مختلف الأقطار الإسلامية .

الجلسة الأولى :

كان أول المتكلمين فى هذه الجلسة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد السايح عضو المؤتمر فعرض بحثه « مكانة القدس فى الإسلام » فأبان المحنة التى يتعرض لها الإسلام الآن من الاحتلال الصهيونى لبيت المقدس وما يشعر به المسلمون من امتهان وألم ، وقد نشرنا فى غير هذا المكان جانبا من هذا البحث وأشرنا إلى ما تضمنه من عناصر .

وقدم سيادته لعلماء المؤتمر بيانا عن الفتوى التى أصدرها العلماء لمجابهة ما حدث إثر الاحتلال الإسرائيلى للقدس من صلاة حاخام اليهود بالمسجد الأقصى ودعوته أتباعه للصلاة فى يوم تال وما حدث من اجتماع الحاخامات وإصدارهم بيانا يعتبرون فيه القدس أقدس مقدساتهم وأن جبل البيت حق لهم بالفتح أو بالشراء .

وطلب إلى المؤتمر أن يعضد ما جاء بفتوى العلماء من اعتبار أى محاولة لتغيير حالة المسجدين الأقصى والإبراهيمى عما كانا عليه انتهاك خطير لحرمتهما ولحرمة المسلمين فى أنحاء العالم .

ثم تحدث بعده الأستاذ إسحق موسى الحسينى عضو المجمع فعرض بحثه موضحا فيه :

المراحل التاريخية التى مر بها بيت المقدس منذ أن أنشأه الكنعانيون فى الألف الرابع قبل الميلاد . وفى عهد العبرانيين وفى العهود الإسلامية ، وبين سيادته الأسباب التى دعت المسلمين إلى العناية ببيت المقدس ورد مزاعم الإسرائيليين فى أن بيت المقدس لهم بمثابة الرأس من الجسد، ثم أهاب بالمسلمين بالمبادرة إلى إنقاذه صونا لكرامتهم وأداء لحق الله فى أعناقهم .

الجلسة الثانية :

أعطيت الكلمة للسيد الأستاذ عبد الحميد حسن عضو المجمع فقدم بحثه « مكانة بيت المقدس فى الإسلام » الذى يجده القارىء فى مواد هذا العدد .

وأعقبه الأستاذ وفيق القصار عضو المجمع فألقى بحثه بعنوان « الصهيونية العالمية ومأساة فلسطين العربية » .

وقد قدم له بمقدمة قصيرة ذكر فيها أنه تناول فى بحثه النواحى الهامة فى المأساة التى عاشها العرب المسلمون متتبعا التسلسل التاريخى راجيا أن يكون النصر المبين للمسلمين بإذن الله .

وقد بين سيادته نشأة الحركة الصهيونية وفكرة الوطن القومى اليهودى مبينا أنها نشأت بنشأة مذهب القوميات فى القرن الثامن عشر فقام قسم من اليهود تحت تأثير هذا المذهب بالدعوة إلى القومية اليهودية على أساس دينى عنصرى . وذكر كيف عقد جماعة من يهود الاسكيناز مؤتمرا فى روسيا للدعوة إلى إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ثم أشار إلى وعد بلفور وبين بطلانه من الناحية القانونية والدولية .

كما أشار إلى تصديق عصبة الأمم على وعد بلفور وبين كيف أن الحكومة البريطانية قد وفت بوعدها لليهود وأخلت بعهدها للعرب .

ثم تحدث عن دور منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ فى المشكلة وذكر عوامل نجاح الحركة الصهيونية فى تحقيق أغراضها وعوامل فشل العرب فى مقاومتها .

وتطرق الحديث إلى العدوان الثلاثى الذى وقع على مصر عام ١٩٥٦ بسبب تأميم القناة وأشار إلى تحيز الأمم المتحدة فى كل قرار اتخذته بشأن القضية الفلسطينية .

وانتقل إلى الحديث عن عدوان إسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ . وأشار إلى الموقف الدولى من هذا العدوان وموقف إسرائيل من قرارات الأمم المتحدة .

ورأى تدارك الأخطاء التى أدت إلى وقوع هذه الكارثة راجيا الله أن يحقق النصر للمسلمين .

الجلسة الثالثة :

بدأ هذه الجلسة الدكتور عبد العزيز كامل نائب السيد وزير الأوقاف مقدما بحثه عن « دور اليهود فى العدوان على قاعدة الإسلام فى المدينة » .

فبين كيف أن موقع اليهود فى المدينة أعطاهم سيطرة اقتصادية وأن الصراع بين العرب واليهود فى المدينة كان سابقا للإسلام .

كما عقد سيادته مقارنة بين ما يحدث الآن بيننا وبين اليهود وما كان يحدث أيام الرسول

صلى الله عليه وسلم من تواطؤ اليهود مع قريش والمشركين ضد الإسلام ونبي الإسلام . وأن هـذا التواطؤ كان سببا فى نشوب حروب عديدة وأن اليهود فتحوا بيوتهم لإيواء أعداد الإسلام وأبانوا لهم عورات المدينة كما قاموا بخيانات كثيرة كعادتهم وأن الرسول دعاهم إلى كف الأذى واحترام المواثيق فاستخفوا بدعوته . ويجد القارىء مقتطفات منه فى غير هذا المكان .

ثم أعطيت الكلمة للدكتور سيد نوفل الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية فقدم بحثه « الصهيونية وفلسطين » .

وقد بين فى بحثه تعريف الصهيونية وذكر أن القومية اليهودية فى نظر اليهود دين وجنس معا . وأوضح أن فكرة « اليهودية قومية سياسية » تتضمن أن تكون القدس لليهود بمثابة روما للمسيحيين . ويجد القارىء تفصيلا للتعريف بالصهيونية فى هذا العدد .

وتلاه سماحة الشيخ نديم الجسر عضو المجمع فقدم بحثه عن « بشائر معركة المصير بين المسلمين وإسرائيل فى ضوء القرآن والأحاديث والنواميس الكونية والتاريخ » فقرر فى مستهله أن ألف معركة خاسرة فى ميادين الحرب أهون من معركة واحدة خاسرة فى طوايا النفس والقلب وأن النكسة التى حلت بالمسلمين لن تكون النكبة الأبدية وقدم لذلك الأمثلة لما حدث فى بلادنا وفى البلاد الأجنبية : وبشائر النصر منشورة فى هذا العدد .

الجلسة الرابعة :

أعطيت الكلمة للأستاذ حسين جوزو ممثل وفد يوغوسلافيا فبين كيف أن المسلمين فى يوغوسلافيا وهم قلة غريبة بعيدة عن المجتمع الإسلامى يحافظون على دينهم الإسلامى وتقاليده وتراثه . وأن مشاكلهم الخاصة بهم لم تشغلهم عن متابعة قضايا إخوانهم المسلمين فى أنحاء العالم . وأهم هذه القضايا قضية فلسطين فى تطورها الأخير والتى يعتبر ما حدث فيها عارا على المسلمين لا يجوز الصبر عليه .

وذكر أن هذه القضية لا تعالج بالكلام وحده ولكن بالعودة إلى الله وتغيير أفكارنا حتى تتغير أحوالنا .

وعزا ما نواجهه من المشاكل إلى سلبيتنا وجمود علمائنا وتقليد الأفكار التى تحمل عناصر الإلحاد والمادية . واستشهد ببقائنا عشرين عاما منذ ضاعت فلسطين دون الاستعداد الكافى لاستردادها معتمدين على الخطب الحماسية الجوفاء . ونحن فى الحقيقة نعادى أنفسنا أكثر مما يعادينا أعداؤنا ثم تساءل : هل تغير سلوكنا عما كان عليه قبل الكارثة السوداء وكارثة « يونيو ١٩٦٧ ؟

وبعد أن ذكر أن القضية قد ازدادت سوءا وتعقيدا وأصبحت قضية أربع بلاد عربية أو فلسطين وحدها تساءل عما كان ينقص العرب وقت حلول الكارثة ملاحظا أنه لم يكن ينقصهم العدد ولا العدة وإنما كانت تنقصهم العقيدة ، ورأى أن العلاج الوحيد لجميع مشاكلنا يكمن في الرجوع إلى الإسلام من جديد ونبذ الأفكار الدخيلة والاعتماد على أنفسنا وقيمنا وتراثنا .

ثم تحدث بعده الأستاذ مصطفى الزرقا ، ممثل وفد سوريا فتناول العلاقة بين الماسونية الصهيونية باعتبار الماسونية الطريق المقنع للصهيونية تحت شعارات السلام والإنسانية وتغرر بالناس حتى توقعهم في شباكها ، وزمامها الحقيقي في يد عدد محدود من اليهود المقنعين وقد أشار إلى أنها قد أصبحت مكشوفة وبخاصة بعد أن نشرت عنها الرسائل والوثائق التي تؤكد ذلك .

وأعقبه الأستاذ عبد الوارث الصوفي ممثل وفد عمان فتأسف لأننا لم نرتفع بعد إلى مستوى الأحداث ولم تتغير عقليتنا بعد . ورأى أنه ينبغي للمؤتمر أن يعالج القضية بروح ملائمة لخطورتها والا حق فينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه أننا كغثاء السيل ثم رجا ألا نكون نحن المعنيين بهذا القول .

ثم تحدث الدكتور عبد الله العربي عضو المجمع فأشار إلى كلمة سماحة الشيخ نديم الجسر وإلى ما دعا إليه فيها من تحقيق الاكتفاء الذاتي للأمة العربية والإسلامية وقد علق على ذلك بأننا لا نحسن استثمار مواردنا مع أن الاحصائيات تثبت أن مواردنا غزيرة وفيرة . ومن ناحية أخرى فإن كل إقليم يجهل إمكانيات البلاد الإسلامية الأخرى وإذا أردنا أن نعرف شيئا عنها رجعنا إلى مراجع أجنبية مع ما فيها من تضليل مقصود في كثير من الأحيان .

وأوصى المؤتمر في ختام كلمته أن يدعو ممثلي مصادر الثروة في الأقاليم الإسلامية إلى اجتماع كل عام للتباحث وعمل المعارض أو إنشاء سوق إسلامية مشتركة حتى تنجو من اخطبوط الاحتكار العالمي ملاحظا أن التعاون الإسلامي ومادي ومعنوي .

وتحدث بعده الأستاذ نعيم النعيمي ممثل الجزائر فذكر أنه ينتظر من المؤتمر نتيجة عملية سريعة وأن أحسن ما نعتمد عليه في هذا هو قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »

وفى ضوء هذا النص القرآنى المجيد بين الصفات اللازمة للجندى الذى يخوض المعركة حتى ينتصر وهذه الصفات تعتمد على الإيمان بالله أولا وقبل كل شىء .

ولاحظ أن كثيرا من ذوى القيادة والريادة لا يرجعون فى أقوالهم إلى مشيئة الله أو إذنه بينما يعتمد الجهاد على الإخلاص والتوجه إلى الله .

وبين أن النصر يعتمد على سلاحين : مادى ومعنوى . وذكر أن المادى كثير ولا عذر لمن يدعى قدمه أو قلته . وأما المعنوى فيتمثل فى اختيار الجندى ، وهنا أشار إلى ماذكره الأستاذ مصطفى الزرقا ممثل وفد سوريا مبينا أن الحركات الهدامة لا تنحصر فى الماسونية ولكن هناك مبادىء هدامة غيرها كالإلحاد الذى يأتى من الشرق والغرب على السواء ويغرر بالشباب المسلم حتى يتحلل من دينه وقوميته وأخلاقه الأمر الذى يحتم علينا أن نكون دائما يقظين حذرين . .

الجلسة الخامسة :

أعطيت الكلمة الدكتور كامل الباقر مدير جامعة أم درمان الإسلامية فقدم بحثه عن « جوهر القضية الفلسطينية » المنشورة فى هذا العدد .

ثم أعطيت الكلمة لسماحة الشيخ عبد الستار السيد مفتى طرسوس . المنشور جانب منها فى هذا العدد .

وتحدث بعده الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة ـ فقدم بحثه « اليهود فى العصور الوسطى » مبينا أن اليهود دأبوا فى دعايتهم على تأكيد فكرة اضطهادهم وتشريدهم ونبه على الخداع بتلك الدعاية استجلابا للعطف .

والحقيقة أنهم تعرضوا لبعض ذلك لسوء أخلاقهم تجاه الشعوب التى عايشوها واختيارهم المال على الله لأن فى المال كما يعتقدون سعادتهم وذكر أنهم بعد انتشارهم فى البلاد كانت بينهم صلات ثلاث : الدين والمال والدم .

وأنهم استغلوا التجارة العالمية وتعاملوا بالربا حتى أصبح الرؤساء فريسة لهم نتيجة الفوائد الفاحشة لذلك زادت نقمة الناس عليهم .

وضرب أمثلة لذلك ثم انتقل إلى أن المسلمين كانوا واسعى الصدر سمحوا لليهود بالإقامة بينهم وممارسة تجارتهم وصناعتهم بل أباحوا لهم التتلمذ على أيديهم وتولى المهام الرسمية والاحتفاظ بهياكلهم ومعابدهم . ثم

قابل اليهود الوفاء بالغدر والإحسان بالمنكر والمعروف بالجحود .

وتلاه السيد / قاسم غالب وزير التربية والتعليم السابق بجمهورية اليمن فتحدث عن علاقة اليهود باليمن منذ أيام بلقيس وما جرته على العرب من ويلات ، وأنهم حين فكروا فى الهجرة إلى اليمن كانوا أصحاب مطامع فعملوا على التضليل والانحراف والاستغلال . وخربوا العقول بالشعوذات . وقدموا للفاتحين من الرومان والأحباش والفرس الوثنيين كل تعاون . .

أما بعد الإسلام فقد تآمروا مع بنى قريظة وخيبر .

وضرب أمثلة لذلك عبد الله بن أبى بن سلول .

وبين أن اليهود عملوا على تأخر اليمن مستغلين نساءهم فى الدعارة وارتكاب الجرائم الخلقية مضللين الناس بقولهم بإباحة شرب الخمر نقلا عن أحد علماء المسلمين زوراً وبهتاناً .

وختم كلمته بمطالبة المؤتمر بتوسيع نطاق الدراسات عن اليهود وأطماعهم توجيهاً للأجيال القادمة وطلب أن يسجل اسمه مرابطا فى جبهة القتال فى سبيل الله لأن الصفوف المرابطة الجهادهى المساجدالتى لاجدران لها .

وبعد الاستراحة قدم الأستاذ أسعد مدنى من علماء الهند كلمته عن « موقف اليهود من الإسلام والمسلمين فى العصر الأول » بدأها بألمه الشديد لطغيان إسرائيل الذى بلغ مداه فى هذه الآونة . ثم انتقل إلى موقف الرسول من يهود المدينة مبيناً أن النبى صلى الله عليه وسلم عقد معهم معاهدة أقرهم فيهـا على دينهم وأموالهم ولكن اليهود لم يحترموا العهود والمواثيق وتحالفوا مع أعداء الإسلام بغية الكيد له .

ثم ذكر أنه حين تبين للرسول خبثهم رأى أن يضع حداً لخياناتهم ويقطع بذلك وسائل الغدر والخيانة .

وأهاب بالمسلمين أن يتنبهوا لهـذا الخطر الصهيونى ويقفوا صفاً واحداً لاستئصال الشجرة الخبيثـة وذلك بسياسة الصفاء والأخوة .

ثم تلاه الأستاذ محمد طه يحيى فألقى كلمته « موقف اليهودية من الإسلام والمسلمين فى العصر الأول » وقد نشر جانب منه فى هذا العدد . .

الجلسة السادسة :

ابتدأ الكلام بعد افتتاح الجلسة الأستاذ مالك بن نبي عضو وفد الجزائر فذكر أنه كان ينوى الكلام فى نقطة خاصة فى التاريخ اليهودى واتصاله بالتاريخ الأوربى وأنه عدل عن ذلك وقرر أن يقوم أمام المؤتمر بواجب مبنى على قول الله تعالى « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » ...

وقال : يجب أن نلتفت إلى جانب المعادين من حيث إن أسرار المؤتمر ليست فى القاعة دائما وإنما أيضاً فى الأحاديث الخاصة التى يمكن أن تتسرب إلى الخارج بوسائل خاصة . .

وركز على نظام النشرات الدعائية وتوزيعها ضاربا المثل بنشرة « من أجل تسوية عادلة للمشكلة الفلسطينية » التى تقوم بتوزيعها مصلحة الاستعلامات والتى تتحدث عن فريق تكون فى باريس من الشخصيات البارزة الفرنسية وجهودهم لمعالجة هذه القضية وعلق على ذلك بأن موقفنا ينبغى أن يكون بالتحفظ المقترن بالمجاملة لا بنشر هذه الأقاويل بين مجتمع إسلامى أو مؤتمر إسلامى موضحا أن الشخصية اليهودية معقدة تعمل فى كل اتجاه وتتلون حسب الظروف حتى تضمن الربح على أى حال ، ضاربا المثل بأنهم واضعو مذهب الرأسمالية ومذهب الشيوعيـــة على السواء .

ثم قدم مثالا آخر فى كيفية تأثيرهم فى المجتمع الإسلامى من خلال تلاميذهم بمثل كتاب « العرب أمام الغرب » للسيد عبد الله العلوى من مراكش ، وهو كتاب ملىء بالمعلومات التى تؤثر نفسيا بطريق عجيب ، كقوله فى مقدمتين : المسلم يرى دينه أفضل الأديان وأن المسلم يرى أن المجتمع الإسلامى متخلف ، تاركا النتيجة ليحدث الصدام النفسى يحتدم بين قضية عقلية وواقع مشهود ليصل بطريق ماكر إلى أنه لا يمكن لدين يقتج عنه التخلف أن يكون أفضل الأديان ويستقر ذلك تلقائيا فى نفوس الشباب ، وهذا ما يقصد إليه أمثال هؤلاء الأساتذة ولا يعنيهم أن يغالطوا فى ربط القضية الثانية بالأولى ربطا خادعا ولا يعنيهم أن يزهقوا الحق ويروجوا للباطل .

وختم كلمته بدعوة المؤتمر لتدبر فكرة عن إقامة أعضائه فى المؤتمرات القادمة فى مخيمات خاصة ، وأن يتحرى فى توزيع بعض النشرات أو الكلمات التى تأتى من بعض « المحبين المريبين » ، ثم أعطيت الكلمة للأستاذ إدريس الكتانى من وفد المغرب .

فرأى أن الجزء الأكبر من المناقشات انصرف لمناقشة طرف واحد هو اليهود ،

وأغفل طرف المسلمين مع أنه يجب البحث فيه أيضا ورأى أن العاملين الأساسيين لنكبة يونيو ١٩٦٧ هما التخلف والاختلاف مشيرا إلى أن التخلف ليس ظاهرة اقتصادية فحسب بل هو ظاهرة نفسية اجتماعية أيضا توجد فى الأوساط الغنية والمثقفة كما توجد فى الأوساط الفقيرة والجاهلة وأن الاختلاف يعود إلى أننا انطلقنا للدعوة إلى الوحدة العربية من مبدأ خاطىء هو الاتحاد فى إطار دولة واحدة بينما أثبت نظام الاتحاد الفيدرالى نجاحه فى الشرق والغرب وهذا النظام يتفق مع طبيعة الشعوب العربية .

ثم اقترح أن يصدر المؤتمر توصية للشعوب والدول العربية والإسلامية بتمكين عرا التضامن والاتحاد للوقوف فى وجه العدو وقفة الأمة الواحدة .

ثم تحدث الحاج ل . ب . أوغسطو من وفد نيجيريا .

وبعد شكر الداعين للمؤتمر بين أن السؤال القائم الآن هو :

هل أقام اليهود فى هذا البلد أم لا ؟ وذكر أنه لا يفكر أحد مطلقا فى أن السكان الأصليين لاستراليا سوف يعودون إليها ، وأن من أقاموا فيها سوف يتركونها ، وأن هذا ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية وكندا . وأن العالم لذلك لا يهمه إذا كان العرب قد أقاموا فى فلسطين وقتا طويلا أو قصيرا ، فما موقفنا نحن كمسلمين وبخاصة بعد أن صرح اليهود بما صرحوا به بشأن الأرض التى اغتصبوها ؟

يجب أن نرجع إلى الله ، وإنا مع سعينا للسلام فلا بد أن نستعد للحرب لأن هذا هو المنطق الناجح الوحيد .

ثم أعطيت الكلمة الأستاذ عبدالله الشيخلى من وفد العراق :

فذكر أن حكم الله فى شأن قضية فلسطين معروف للجميع وأن الجهاد فى سبيل الله لإنقاذ ديار الإسلام والمسجد الأقصى قد أصبح فرض عين . ثم بين أننا نحتاج إلى الإيمان بالله بعد أن ابتعدنا كثيرا عن تعاليم الإسلام فدخل فى قلوبنا الوهن .

وركز على أنه يجب ألا نسقط من حسابنا القوة الإسلامية التى تقف وراءنا وتساندنا فى كل البلاد الإسلامية فالكثير من الشباب المسلم متعطش للبذل والتضحية والفداء .

واقترح أن يؤلف المؤتمر وفدا إسلاميا من أعضائه يطوف بالبلاد الإسلامية ليفقها

عن حقيقة الوضع الراهن لأن الكثير منها يتلق الأخبار عن طريق وكالات الأنباء الأجنبية المعادية للإسلام والمسلمين .

الجلسة السابعة :

بدأ الحديث فى هذه الجلسة اللواء الركن : محمود شيت خطاب من وفد العراق :

فألق بحثه عن (إرادة القتال فى الجهاد الإسلامى) الذى نشر جانب منه فى هذا العدد .

وقدم مقترحاته التى تتضمن العمل على توحيد الصفوف ماديا وعسكريا وتصحيح الأوضاع الفكرية والثقافية والتربوية والتخطيط السليم لكل أوجه نشاطنا قائما على التمسك بمبادىء الإسلام وتطبيقه تطبيقا جادا نصا وروحا .

وتحدث بعده فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة عضو المجمع .

فألق بحثه فى (الجهاد) وقد نشرنا أهم ما تضمنه فى هذا العدد .

الجلسة الثامنة :

كانت كلمة سماحة الإمام على كاشف الغطاء إمام الشيعة الإثنا عشرية فى العراق .

بدء هذه الجلسة :

وقد ذكر فيها أن العالم الإسلامى اليوم يمر بأخطر مرحلة فى تاريخه وطالب بأخذ العدة للقيام بعمل حاسم يحقق الأمل وبين أن من الخطأ القول بأن يعزى موت الأمة إلى الظروف والزمن وإنما مرد حياتها أو موتها إلى عمل أبنائها .

فنصوص القرآن صريحة فى أخذ العدة لمجابهة الأعداء وأن الجهاد باب من أبواب الجنة من تركه منى بالخزى والخسران . ثم سأل الله التوفيق للمؤتمر .

ثم أعطيت الكلمة للسيد / مصطفى سيس ممثل الاتحاد الوطنى للجمعيات الثقافية الإسلامية بالسنغال .

فذكر أنهم فى السنغال ينتظرون نتائج هذا هذا المؤتمر بقلوب ملؤها التفاؤل والأمل وأهاب بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجمعوا كل ما لديهم من وسائل لاسترجاع قبلتهم الأولى وثالث الحرمين وأن يخرجوا بأنفسهم فى هذه المرحلة الخطيرة من نطاق الكلام إلى العمل الجدى .

وأعطى صورة عن الاتحاد الوطنى للجمعيات الثقافية الإسلامية فى السنغال وعرض لما تقوم به من خدمات وذكر من أهم هذه الخدمات العمل على أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد وتمنى لمجلة « أفريقيا المسلمة » التى يصدرها الاتحاد أن تكون لسان حال المسلمين وأن تكون همزة الوصل فيما بينهم .

وتحدث بعده السيد / أحمد ألنترا من

الفلبين معلنا أن مسلمى الفلبين شعروا شعورا عميقاً بمرارة النكسة وصداها الأليم .

وأبان أن ما قد يبدوا لنا من مؤازرة بعض الدول ليس للإسلام والمسلمين فيه حساب وأن هذه الدول تقيم سياستها وعلاقاتها بغيرها على أساس المصلحة الذاتية ودعا إلى أن يستيقظ المسلمون وينتبهوا ولا يجافوا الطريق الصحيح إذ لا طريق لهم إلا الأخذ بطريق الإسلام .

ثم تحدث الأستاذ الشيخ محمد عادل الشريف خطيب المسجد الأقصى فألقى كلمته « أضواء على حالة العرب والمسلمين بعد حرب يونيو » ، أبان فيها أنه لا مجال لكثرة الكلام وأشار إلى أن العرب لم يكونوا جادين فى مواجهتهم لإسرائيل وأرجع سبب الفشل فى المعركة الأخيرة إلى التجافى عن الصراط المستقيم والفرقة والاختلاف والتهاون فى الجهاد .

وختم كلمته بالدعوة إلى الاتحاد والوقوف صفا واحداً فى وجه الغاصب المعتدى .

ثم أعطيت الكلمة للأستاذ إبراهيم حاجى من الصومال :

فتحدث عن النشاط الصهيونى فى شرق أفريقيا وتاريخ تقسيم الصومال وأبان أنه مخطط استعمارى وربط بين المشاكل التى يعانيها الصومال المسلم وبين الموقف العدائى الذى تناصبه إياه بعض الدول المجاورة له كالحبشة وكينيا .

وانتقل إلى الحديث عن اللغة العربية فى الصومال وبين أن المحاولات التى بذلت للتخلص منها باءت بالفشل كلها .

وأعطيت الكلمة للسيد / قاضى حاج سالى من الكاميرون :

فأعرب عن شعور مسلمى الكاميرون وتضامنهم مع مسلمى العالم وراء قضية فلسطين وأبدى يقينه بأن هذا المؤتمر سوف يعمل بجد فى حل المشاكل المعروضة عليه

وأكد أن شعب الكاميرون سوف يعمل على أن تكون هذه القرارات مفيدة ...

ثم تحدث الأستاذ إدريس الكتانى من المغرب : فأعرب عن تفاؤله بأن المؤتمر فى هذه الدورة سوف يسفر عن نتائج إيجابية وقدم مشروعا ببعض التوصيات التى رآها معبرة عن اتجاهات المؤتمر وأهدافه .

الجلسة التاسعة :

أعطيت الكلمة بعد افتتاح الجلسة لفضيلة الشيخ عبد الله غوشة لتقديم بحثه « الجهاد طريق النصر » وقد نشر جانب منه فى هذا العدد .

ثم قدم سماحة الشيخ حسن خالد مفتى جمهورية لبنان بحثه « الجهاد فى سبيل الله » .

وشكر القائمين على إدارة المؤتمر لما بذلوه من جهد مبينا أنه كان يرجو أن يقسم المؤتمر إلى لجان تلخص ما ارتأته من مقررات حتى ننتهى من عملنا سريعا كما شكر العلماء المدعوين على ما قدموه من بحوث .

ثم تحدث الدكتور الباقر فشكر سماحة مفتى لبنان وأبان أن المناقشات التى جرت كانت مفيدة وأن أمانة المجمع كونت اللجان فعلا وهى تتابع عملها .

وأعقبه الدكتور عثمان خليل عثمان فعقب على حديث سماحة مفتى لبنان أن المؤتمرات التى تعقد على غرار هذا المؤتمر تقوم على هدفين : إعلامى توجيهى وآخر فنى خاص ، يخصص الشق الأول من المؤتمرات للهدف الأول والشق الثانى للهدف الآخر .

ثم عاد سماحة الشيخ حسن خالد فبين ما كان فى حديثه الأول من أن قراءة البحوث كما هو جار غير مفيد وأن الأفضل أن يقرأها كل عضو ويضع عليها ملاحظاته ويقدمها لرئيس المؤتمر على أن تؤلف لجان لتقدم المقررات التى تراها .

ثم تحدث الشيخ كاظم الكفائى وأعلن باسم النجف الأشرف وسماحة الإمام على كاشف الغطاء والعراق أنه يعلق على المؤتمر الآمال الكبار واقترح إنشاء الجامعة الإسلامية

وعقب الأستاذ مالك بن نبى مؤيدا وجهة نظر الدكتور عثمان خليل عن نظام المؤتمر كما عقب على كلمة فضيلة الشيخ كاظم الكفائى واقترح تحقيق الوحدة الإسلامية عن طريق إنشاء كومنولث إسلامى مبينا أن هذا العمل لا يتعارض مع وجود الجامعة العربية .

ثم تحدث سماحة الشيخ نديم الجسر فأبدى اتجاهه إلى التوسط بين الرأيين ورأى أن يستمر المؤتمر فى الإستماع إلى البحوث مع تكوين لجان تباشر عملها ، وبعد الاستراحة تكلم السيد / ضياء الدين بابا خانوف مفتى طشقند .

فألقى كلمته مبينا أن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى يتطلعون إلى هذا المؤتمر ودعا المسلمين إلى الوحدة والتضامن .

ثم صرح فضيلة الامام الأكبر بأن الاقتراح الذى تقدم به سماحة مفتى لبنان سينفذ فعلا وأن اللجنة التى كونت لدراسة المقترحات تقوم بعملها فعلا .

الجلسة العاشرة :

بدأ هذه الجلسة بعد افتتاحها السيد / كاظم

الكفافى فألقى بحث سماحة الامام على كاشف الغطاء « الجهاد وبواعثه والخطوة الأولى لمؤتمر مجمع البحوث، وقد استعرض العناصر الفقهية لفريضة الجهاد.

ثم اقترح أن يتخذ المجمع خطوة إيجابية بأن يوجب على كل مسلم أن يدفع جنيها فى العام ليقدم للعاملين على تحرير الأرض العربية من الاحتلال وأن يطلب من رئيس كل بلد أن يلزم رعيته بذلك وأعلن أن سماحة الإمام مستعد لتنفيذ هذا القرار فى بلاده ثم تحدث اللواء الركن محمود شيت خطاب مقترحا أن يكون الكتاب الذى يصدر للتعريف بالجهاد مشتملا على المصطلحات العسكرية الحديثة وطلب أن يخطط للكتاب على أساس فقهى وعلمى وثقافى سليم وأن يشترك فى وضعه الخبراء ... وتحدث فضيلة الشيخ محمد على الجوزو مفتى جبل لبنان فنوه بالأساس الروحى لهذا اللقاء ونتائجه المؤثرة وقال :

إنه لايجوز لهذا المؤتمر أن يلتقى من أجل البحوث التى تلقى فيه فحسب بل لابد من أن ينبثق عن إجتماعه نتائج عملية تنتقل قراراته من حيز الاصدار إلى حيز العمل والتنفيذ . وطالب بأن يتحرك العلماء من أجل تنظيم سياسى دينى على مستوى العالم .

وعلق فضيلة الشيخ نديم الجسر على ما جاء فى كلمة اللواء محمود شيت خطاب من أن الرسول كان يختار أسلوب المباغتة فى الحرب وقرر أن الإسلام لا يلجأ إلى المباغتة إلا عندما تكون الحرب متصلة والأرض محتلة والاعتداء قائما .

ثم أعطيت الكلمة لفضيلة الأستاذ عبد الرحمن القلهود عضو المجمع .

فأعلن استعداد شعب ليبيا لخوض حرب مقبلة يدق لها ناقوس الخطر ويدعى لها باسم الله .

وقرر أن المسلمين جميعا مدعوون للمساهمة فى رد العدوان الغادر . وأوضح أن مساهمة المسلمين الجدية من شأنها أن تدعم الدول المجاورة لاسرائيل وأن تجعل دولة صغيرة مثل الأردن قادرة على صد الطغيان وتأديب إسرائيل .

وعرج على بيان أنواع الجهاد ودعا إلى الأخذ بكل أنواعه وفى مقدمتها الانفاق المالى فى سبيل المعركة . كما دعا إلى أن يقدم خبراء الحرب فى أى بلد إسلامى أنفسهم وخبراتهم فى هذا السبيل .

الجلسة الحادية عشرة :

أعطيت الكلمة لفضيلة الأستاذ الشيخ

عبد اللطيف السبكى لالقاء بحثه « الجهاد فى الإسلام » الذى نشر بعض ما جاء فيه فى هذا العدد .

ثم أعطيت الكلمة للسيد « أبو هشام » ممثل منظمة « فتح » لتحرير فلسطين فألقى بيان منظمة « فتح » للمؤتمر والمنشور فى غير هذا المكان .

وختم كلمته معلنا أن ثوار فلسطين ينتظرون قرارات المؤتمر ثم قدم تسجيلا لاحتفال الصهاينة يوم ٦ من يونيو أثناء دخولهم بيت المقدس يهتفون ـ خسئت ألسنتهم ـ « محمد مات . خلف بنات »

ثم أعطيت الكلمة للأستاذ محمود يونس فألقى بحثه « الإسرائيليات فى التفسير والحديث » والذى نشرت خلاصته فى هذا العدد .

ثم أعطيت الكلمة للحاج سورى إبراهيم كانو من سيراليون فحيا الحاضرين وأعلن أن مسلمى سيراليون ليس لهم الحق فى أن يقرروا شيئا نيابة عن حكوماتهم لأن حكومتهم لجميع الطوائف وذكر أن التربية فى سيراليون تربية مسيحية وأشار إلى أثر ذلك على النشء وطلب من المؤتمر أن يرسل من ينشر مبادىء الإسلام وذكر أن المسلمين فى سيراليون مستعدون للجهاد والموت فى سبيل الاسلام .

الجلسة الثانية عشرة :

بدأ الحديث فى هذه الجلسة بعد افتتاحها الأستاذ لطفى دوغان رئيس الشئون الدينية بالوكالة فى تركيا .

وبعد أن استعرض طبيعة الصراع بين الحق والباطل أوضح أن الإسلام قد بين طريق الخلاص للمسلمين وأبان أن الذين يفرطون فى مسئولياتهم مسئولون أمام الله وهى مسئولية خطيرة .

وتحدث عن مكانة المسجد الأقصى وأكد أن الأحداث الأخيرة سببت آلاما جساما للمسلمين .

وأعقبه الحاج م ـ ا أوسينى من نيجيريا فشكر المؤتمر وتطرق إلى الحديث عن قرارات الأمم المتحدة ورأى أننا لن نصل إلى شىء عن طريقها وذكر أن ذلك هو رأى المسلمين فى نيجيريا .

ثم أعطيت الكلمة للواء الركن محمود شيت خطاب فذكر أن المؤتمر قد حقق نجاحا كبيرا فى التعارف بين علماء الإسلام وأبان أنه لم يكن ينقصنا السلاح وإنما كانت تنقصنا العقيدة ، وذكر أن اليهود يعقدون مسابقات للجنود فى مدى تفهم التوراة وتساءل : لماذا لا نفعل ذلك مع جنودنا ؟ .

وأضاف أن اليهود يعملون على إحياء العبرية حتى أنهم نالوا جائزة « نوبل » بينما نحن ندعو إلى العامية وهى دعوة مسمومة من شأنها تقطيع أواصر العالم الإسلامى وطالب بمقاطعة الأفلام الجنسية .

واستعرض بعض الأمور التى ركزت عليها الصحافة وأجهزة الإعلام مما فيه مجافاة للفطنة وبعد عن إدراك من هم أعداؤنا ومثل لذلك بزيارة جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار .

وأعطيت الكلمة للسيد / وان عبد القادر من ماليزيا فأكد أن ماليزيا كبلد إسلامى تحب أن تكون فى الصفوف الأولى مع شقيقاتها العربية والإسلامية . وأنه يجب علينا العمل وبسرعة وأشار إلى جهود ماليزيا فى سبيل الوحدة الإسلامية .

ثم أعطيت الكلمة للسيد / قاسم مفصيا من توجو وبعد أن أعرب عن شكره لحضور هذا المؤتمر ذكر أن الوسيلة لمحو العدوان الذى وقع على الأمة الإسلامية هى الحرب السريعة وأن المسلم يفضل الموت فى سبيل العقيدة .

ثم تحدث الأستاذ مالك بن نبى فأشار إلى أنه فى كل وطن وشبر من أرض الإسلام مأساة وأن مشكلة فلسطين ما هى إلا فصل من هذه المأساة يجب ألا ينسينا بقية الفصول وأن ذلك يقتضى عقد مؤتمرات أخرى وإتاحة الفرص لاجتماع علماء الإسلام لدراسة أوضاع العالم الإسلامى وأكد أن العقيدة سلاح خطير للنصر على العدو وقدم لذلك عديدا من الأمثلة كما أكد أن اقتراح ماليزيا بتكوين اتحاد إسلامى لابد فى ذلك تذكيراً لكل مسلم بعقيدته بخلاف الدعوة إلى القومية التى من شأنها أن تذكر كل إنسان ببلده الخاص . .



قرارات وتوصيات الفترة الأولى

● إيماناً بالوحدة الإسلامية التي طبع عليها الإسلام أتباعه .

● واستجابة لدعوة الإسلام إلى التواصي بالحق والتعاون على البر .

● وتحقيقاً لمبدأ التكافل والمناصرة الذي دعا إليه القرآن وحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● وانتصاراً للحق والعدل ، ودفاعاً عن العقيدة والوطن والعرض ...

لبى علماء المسلمين في العالم دعوة مجمع البحوث الإسلامية ، لمؤتمره الرابع الذي عقد في رحاب الأزهر الشريف في شهر رجب سنة ١٣٨٨ هـ ... وقد خصصت الفترة الأولى منه لقضية فلسطين واحتلال بيت المقدس ، وانتهاك حرماته والعدوان على الأراضي العربية .

وعلى أساس من تعاليم الإسلام ومبادئه ، وفي ضوء الحقائق التاريخية والمبادىء الإنسانية والأعراف الدولية ، تدارس المؤتمرون ما يربو على خمسة وعشرين بحثاً قدمها علماء المسلمين من القارات الثلاث : آسيا وأفريقيا ، وأوربا وأعقبتها مناقشات تلاقت عندها مشاعر أعضاء المؤتمر في إجماع وإصرار على مواجهة فداحة الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم :

يعلن المؤتمر :

أولا :

(ا) أن أسباب وجوب القتال والجهاد التي حددها القرآن الكريم قد أصبحت كلها متوافرة في العدوان الإسرائيلي ، بما كان من اعتداء على أرض الوطن العربي الإسلامي ، وانتهاك لحرمات الدين في أقدس شعائرها وأماكنها . وبما كان من إخراج المسلمين والعرب من ديارهم ، وبما كان من قسوة ووحشية في تقتيل المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال .

لهذا كله صار الجهاد بالأموال والأنفس فرضاً عينياً في عنق كل مسلم يقوم به على قدر وسعه وطاقته مهما بعدت الديار .

(ب) يحيي المؤتمر طلائع الفدائيين

والمرابطين على خطوط القتال وبقدر نضالهم، وصمودهم، وإصرارهم على النصر.

(جـ) يدعو المؤتمر إلى دعم الكفاح الذى يخوضه أبناء الشعب الفلسطيني وإمداده بكل أسباب القوة التى تضمن له الصمود والتصعيد، وتحقق له هدفه وغايته.

(د) كما يدعو إلى دعم الجبهات العسكرية العربية وبخاصة الجبهة الأردنية.

(هـ) يبارك المؤتمر الوحدة العسكرية العربية، ويدعو إلى وضعها موضع التنفيذ، ويهيب بالدول العربية إلى تقوية القيادة العربية الموحدة ويدعو المسلمين كافة إلى مساندة هذه الوحدة ماديا ومعنويا.

(و) يوصى المؤتمر بحشد كل الطاقات المادية والمعنوية للأمة العربية والإسلامية، وتدريب جميع القادرين على حمل السلاح وعلى استعماله.

(ز) يدعو المؤتمر إلى إنشاء صندوق لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطيني ورعاية أسر المجاهدين والشهداء، والعمل على أن تكون للصندوق فروع فى كل بلد إسلامى، وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله، فإن الإنفاق فى سبيل الله من البر الذى أمر الله به ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التى نص القرآن الكريم عليها.

(حـ) يهيب المؤتمر بالمسلمين أن يبادروا إلى تعبئة القوى الروحية وتعميق القيم الإسلامية فى المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد والقوات المسلحة، وفى كل وسائل النشر والإعلام، ويحثهم على التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وحشد القوى فى جميع المرافق والمصانع والمزارع استعدادا لمواجهة احتمالات الموقف.

ثانيا:

(ا) أن المؤتمر إذ يقدر ما تقوم به الحكومات والشعوب الإسلامية من جهود حميدة فى سبيل الهدف المشترك، يوصى بالمزيد من هذه الجهود وبالتنسيق بينها، ليقف المسلمون صفا واحدا فى مواجهة الموقف الحاسم.

(ب) يدعو المؤتمر إلى تأليف وفد للعمل على تنفيذ هذه التوصية لتوثيق عرى المودة والتآخى والتعاون الفعال بين البلاد الإسلامية تمهيدا لقيام الجامعة الإسلامية المنشودة.

(جـ) يوصى المؤتمر بالتعاون الاقتصادى بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى الحدود والعمل على تنسيقه بما يحقق التكامل بين الدول الإسلامية والعربية.

ثالثا:

يدعو المؤتمر جميع الحكومات الإسلامية

أن تقطع كل علاقة لها مع إسرائيل أيا كانت هذه العلاقة ، ويقرر أن التعامل مع العدو فى أية صورة من صور التعامل طعنة موجهة للمسلمين جميعا ، ومخالفة لتعاليم الإسلام . قال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

رابعا :

(ا) يهيب المؤتمر بالمسلمين فى كل مكان ألا يغفلوا لحظة عن واجبهم الدينى فى تخليص بيت المقدس وسائر الأرض المحتلة والحفاظ على قداسته وعروبته . فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه ومثوى الشهداء من صحابته .

(ب) يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٧ م ، والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ، ومسجد الصخرة المشرفة ، والساحات المحيطة بهما ، وما عليه السور وفيه الأبواب .

وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته ، وأن الحرم الإبراهيمى فى الخليل مسجد إسلامى مقدس ، وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكا لحرمته وقدسيته .

خامسا :

(ا) أن أمانة الدعوة إلى الحق ، وواجب الإخلاص فى النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، لتوجب على المؤتمر أن يدعو الشعوب والحكومات الإسلامية إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والأخذ بتعاليمه . فذلك طريق النصر ، وسبيل العزة والكرامة : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

(ب) يهيب المؤتمر بالمسلمين - شعوبا وحكومات - أن يأخذوا بأسباب العلم والقوة ليحققوا لمجتمعاتهم وأوطانهم النصر والأمن ويوفروا لهم الطمأنينة والرخاء : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

سادسا :

(ا) يعلن المؤتمر استنكاره الصارخ لمساندة بعض الدول لإسرائيل ، وتأييدها

لعدوانها، ويعتبر تلك المساندة وذلك التأييد تحديا وعداء للأمـــة الإسلامية واستهانة بمشاعر المسلمين .

(ب) يعلن المؤتمر أن المسلمين فى مختلف بلادهم لن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام الاطماع الصهيونية العنصرية فى العالم العربى الإسلامى ولن يتوانوا عن بذل النفـوس والأرواح فى سبيل الدفاع عن أوطانهم ومقـدساتهم واسترداد أرضهم السليبة .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

صدر بالقاهرة بتاريخ ١٣ من رجب ١٣٨٨ هـ

الموافق ٦ من أكتوبر ١٩٦٨ م

يقول الله تعالى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

(سورة الشورى)

those recommendations to tighten the bonds of amity, brotherhood and effective cooperation between the Islamic countries prior to the establishment of the cherished Islamic League.

The conference also called for economic cooperation between the Arab and Muslim countries to the farthest possible extent, and that steps be taken towards its coordination to ensure intigration among them.

iii) The conference appealed to all Islamic governments to cut off all relations whatever with Israel, and stressed that cooperation with the enemy in any form is a stab against all Muslims as well as violation of the teachings of Islam.

iv) The conference further urged Muslims everywhere not to over look the religious duty of liberating Jerusalem and all occupied lands to preserve their sanctity and Arabism, because the Jerusalem is the first 'Qibla' (of Prophet and his followers), the third most holy places of Islam, and to which the Prophet was carried from the sacred 'Mosque ot Mecca in the Night of 'Ascent'.

The conference confirmed the religious verdict issued by Muslim Ulemas, judges and muftis in the Western Bank of jordan on August 22, 1967 which ruled that the Aqsa Mosque in its religious concept covers the Aqsa Mosque as well as the holy Dome of the Rock, their precincts, including the walls and the doors. The scholars declared aggression on ony of these parts of the Mosque as desecration of the sanctity of the Aqsa Mosque and its holiness. They also declared that the Ibrahimy Sherine in Khalil (Hebron), is a sacred Muslim Mosque, any agrression upon it, is therefore a profanation of its sanctity.

v) The conference also urged Islamic peoples and goverments to adhere to the Holy Book and the Hadith and to adopt means of scientific development to strengthen them on the road to victory, power and dignity.

vi) The conference denounced the support of certain countries for Israel and Israel's aggression and declared such support bath a challenge at, and a demonstration of enmity towards Islamic people.

The conference declared that Muslims everywhere will not remain mere spectators in the face of the Zionists' racist ambitions in the Arab and Islamic world nor will they shrink from giving their lives in defence of their countries and sanctities, and for the restoration of their usarped lands.

Resolutions and Recommendations

The Fourth Conference of the Islamic Research Academy Issued its resolutions and recommendations at its closing sitting, of the first stage, on Saturday 6*th* October 1968. The conference announced :

i) The causes for which the 'Jihad' must be taken as defined in Qur'an, are all manifest in the Israeli aggression. The Israelis have violated the sacred places, expelled Muslims and Arabs from their homes and brutally killed old men, women and children.

The conference hailed the resistance fighters and troops deployed along the frontlines and appreciated their struggle, their steadfastness and called for providing them with all means of strength.

Calling for consolidation of the Arab military fronts, especially the Jordanian front, the conference demanded implementation of Arab military unity.

The conference appealed to the Arab states to strengthen the United Arab Command and called upon all Muslims to support this unity, to mobilise all material and moral resources of the Islamic nation, (Arabs and non-Arabs) and to train all in bearing arms.

The conference urged the establishment of a fund to finance the struggle of the Palestinian people and the care of the families of the strugglers and the martyrs. This fund, it said, should have branches in all Islamic countries and should be partly financed by Zakat given by Muslims.

The conference called on Muslims to hasten to mobilise their spiritual forces and deepen Islamic values in schools, institutes, universities, mosques, the armed forces and all information media. Muslims, they said, should muster also forces in all utilities farms and factories to cope with all eventualities of the situation.

ii) The conference expressed appreciation of the efforts being made by the Islamic governments and peoples towards the common objective, and recommended more such efforts be exerted and co-ordinated so that Muslims' ranks may be unified in the confrontation of the present situation.

The conference urged the formation of a delegation to assume the responsibility of implementing

of the Karmia sect, and traditionist Bakr Ibn Suhail Al Demiati.

The Israelis now claim that Jerusalem is to them as the head is to the body.

We wonder which Jerusalem they have in mind. It is the historic Orshalim, twice pulled down by the Romans and whose name wase obligerated by them.

It is the city whose ruin was predicted by Christ when he said, " O ! Orshalim ... Ordaslim ... Killer of the prophets and the stoner of messengers to you ... Here ; your house ; has become shambles.

Christ also told one of his disciples, Look at these great buildings none of them will not fall dows in in pieces.

Even their prophet Solomon had a similar prediction. He said " I tear off Isreal from the face of the land I have given them, and the house I have sanctifies with my name, I remove from my sight ".

This Orshalim collapsed because of them. The Muslims when they conquered the town, did not take it from the Jews but rather from the Romans enemies of the Jews. They preseeved its churches and temples.

Under the Muslim rule alone, the Jews started returning to the town, and setting up temples and institutes in it eccording to the relevant conditions prescribed by Islam for the people of the Book.

Muslims duting their twelve-century rule of Palestine, also took Baitul Makis for their capital, owned the land of Palestine by lawful means ; and had most of this land endowed for charity and purposes of worship. The town was never destroyed or burnt all through their rule. Morever, they built Mosques, schools, places of prayer and alms houses with their own money.

They held tenaciously and patiently to their homes and their blood was shed and their bones buried on its soil. What right then the Israelis now have to claim the town as their holy land ? If such a claim be based on historical facts, history tells us that their town was completely destroyed 18 centuries ago. If the right be one of constuction, history also shows that it was the Muslims who built and developed it, and if it be founded on the right of possession, history again rules that it was the Muslims who owned the land for twelve centuries.

parallel where God's praise was celebrated everywhere.

Muslims used the courtyard of the holy shrine, the two big mosques and the halls as schools where to teach religious snbjects.

Most pilgrims stoppad in Beitul Makdison their trip to the inviolable House of God, and on their return with the result that the holy town cam to be a place where Muslims sought blessings as they did in the holy Qaba. They liked-coming to it for pilgrimage or visits. Abu Daoud on the authority of Um - Muselmah reported the Prophet to have said " he who intends to perform a pilgrimage or Umra from the Aqsa Mosque, will have his previous sins proponed by God".

A number of ancestors including Ibn Umar, Muadh, Kab Al Ahbar intended to preform pilgrimage from Jorusalem.

Muslims loved the town, yearned for it, defended it with their very souls, surrounded it with all their care and attention, and expressed their feelings in their books and messages on the "Merits of Baitul Makdis ".

Ibn maga in his sunan, quoted Maimuna, a clien of the Prophet, as saying : " O Apostle of Allah ; advise us on Bait ul Makdiss. The Prophet said " It is the land of the congragation and of the Rising of the Dead. Go to it ond pray, for one prayer in it counts as one thousand prayers in other places".

The Prophet was also reported to have said, "He who dies in Bait ul Makdis, is as though he died in heavens.

Ibn Ahbas on the other hand, said, " He who preforms the pilgrimage, and prays in the Madina mosque and the Aqsa Mosque in the one and the same year will be as clear of sins as on the day he was born.

Ibn Abbas further quoted the Prophet as saying, "He who wishes to behold a spot of Heaven, let him behold Bait ul Makdiss".

Anas ibn Malik also said, Heavens blong for Bait ul Makdis; the rock of Bait ul Makdis is a part of the Garden of Paradise and the navel of the earth".

In the town a large number of the Prophet's companions, followers and the militants " Mujahedin " were buried. They included Prophet's companions Obada Ibn Al Samit Al Ansary, Lhaddad Ibnd Aws the Ascetic Um Al Khair Raba'a Al Adawia, theologian Mohammadien Karrar,

Second : For God has exclusively honoured it with the night journey of his Apostle and beloved prophet, saying in the Holy Book, "Glorified be He Who carried His servant by night from the Inviolable Place of Worship to the Far Distant Place of Worship the neighbourhood whereof We have blessed, that We might show him of Our tokens. Lo ! He, Only He, is the Hearer the Seer."

Third : For in it there exist the first of the Kiblas and the third of the sacred shrines. Al Tabari in his History quoting Qotada, said, "They used to pray with their faces set toward Bait ul Makdis while the Prophet on whom be God's paace and blessing, was in Macca before the Hejra. and after the migration, the Prophef prayed also with his face in the direction of Bait ul Makdis for sixteen months".

Al Bukhari on the other hand, quoted the Prophet as saying "Pilgrimage shall be made only to three nosques : this my mosque, the inviolable Mosque (of Macca and the Distant Mosque (Jeru salem)".

Al Siuti in Al Jameh Al Saghir quotes the Prophet as saying, "God the Almighty has blessed that which lies betweeu Al Arish and the Euphrates, and has made Palestine a sacred Plac ".

Fourth : For Muslims considered the twon as the gap through which a potential enemy would reach the holy Kaba and the Prophet's grave. Therefore, hardly and they settled down when they hastened to fill that gap and protect it thereby averting an otherwise grave danger.

For these four considerations, no Islamic era passed by whithout the Muslims making additions to the town, or repairing some old landmark.

Under Abdul Malik Ibn. Marwan, Mnslims built the Mosque of the Rock on which they spent the proceeds of tributes from Egypt for seven years.

In the are of his son Al walid, the Aqsa Mosque and the Mosque of Umar were constructed. Both mosques were the most beautiful and magnificent structures by the Muslims in their capitals. They were even among the most glorious pieces of immortal art all the world over. To them were endowed most of the lands surrounding Baitul Makdis. The Caliphs, the Emirs and the pious sought God's favours by Keeping those mosques in a good stata of repair, and serving them. More praying places were added, as well as domes, halls, minarets and schools so fhat Jerusalem developed into a museum without

the Arab East. In a few years' time 130 families from Spain joined the Jews of Jerusalem and the latter gradually rose in number of reach 1500 persons. With the continued flow of Jews into the town they came to number 1300 families in 1522 A.D. Muslims under their pious rulers, made no distinction between followers of divine religions, nor did they differentiate between God's Apostles. Their word was kept and their pledge was honoured.

In Jerusalem there emerged a unique spiritual renaissance, mosques, churches and temples existed side by side, the name of God was loudly hailed, and peace and tranquility previaled.

There were of course times of hardship from which the whole people suffered. These, however did not reach the extreme extent of inquisitions the burning of temples, and the elimination of prophets' relics.

The Jews taking advantage of that tolerant era, sought to distort the old Canaanite name of the town. They called it "Yoroshalaim" with a hebrew suffi to have a hebrew pronunciation in lieu of "Yuroshalm".

However, all archaeological, historical and linguistic indications prove that the city's name is an ancidnt Canaanite appellation, and that the distorted name was later introduced.

The town after the Islamic conquest, was more commonly known by the name of Beitul Makdis or "Al Baitul Mokaddas" which provided evidence that they who used it, wanted for that town to be both sacred and pure for the sake of God, to which all the Faithful would flock for worship and to purge themselves of vice, and that fires, destruction, restrictions and inquisitions should come to an end.

The Muslim rule lasted for 13 centuries except one during which the crusaders were able to occupy parts of Palestine and Jerusalem.

This was the longest period of stability which the holy town had ever enjoyed in its long history.

Freedom of worship was common to all sects without bias.

Muslims paid great attention to the town for four reasons :

First : For God has privileged it with several prophets starting with the prophets' father Abrarham to Isa Ibn Mariam, on them be God's peace and blessings. Upon the authority of Ibn Abbas, he said, "Al-Baitul Mokaddas" (The Holy House) was built and inhabited by the prophets ; there is not an inch it where a prophet has not prayed, or an angel has not appeared.

the kingdum of Juda from existence, pulled down the temple, and took the jews captives.

The Jews suffered much in captivity before the Persions sympathised for them, and returned to Jerusalem in 538 B.C. those of them who were desirous of such return.

But the Jews failed to draw a lesson from their plight and turned a deaf ear to their prophets.

In consequence they were struck twice by the Romans, once in 70 B.C. at the hand of Emperor Titus who destroyed the town and burnt the temple down, and once in 135 B.C. by Emperor Hadrianos who rased the town to the ground, changed its name form Ay Alia the great to Aelia Capitolina, and rendered its people homeless.

When the Romans turned Christian in the Fourth Century A. c., they pressed more heavily on the Jews because of their treachery towards Christ, and the town was banned to them.

The site of the temple was reduced to a dupm for garbage from the town and out side it.

With the Islamic conquest of the town in the seventeenth year of the Hijra - Gregorioan 636 - a new page was turn which was the best and most generous in the Jewish annals.

Muslim Caliph Umār Ibn al-Khattab removed with his own hand the accumulated filth on the rock which had been left there by Romans to vex the children of Israel. The Caliph styelished his garment and swept that refuse with the Meslims around him joining him in the process.

Umar then worshipped in David's temple, reciting the Chapter of SAD and kneeled down.

Muslims traced the mosques of the prophets, one after another from Abraham down to the last of them buried in Palestine and Jerusalem. They had the mosque re-built, preserved their sanctity and pursed them.

After the Muslim conquest, the Jews started returning to the town for visit and later for work, residence or worship. Of this they had been deprived entirely under the Romans, both Pagans and Christians. Some of them were entrusted with the Service of the Aqsa Mosque, the making of lamps ; cups, chandliers, etc. No tribute was collected from them and they were assured of subsistence for them and their offspring from the time of Abdul Malek Ibn Marwan onwards.

When the Jews set up religious centres in Tiberias, safed, Hebron and Jerusalem.

When the Jews were expelled from Spain large numbers of them went to

The Position of Jerusalem in Islam

BY : DR. ISHAQ MUSA AL-HUSINI

All the papers came before the fourth Conference of Islamic Research Academy, on the palestine question, dealt with different aspects of this important problem, that Arab and muslim world are facing today, The paper presented by Dr. Ishaq Mùsa Al Husaini to the Conference has given glimpses on the historical and other background of the above mentioned subject. The following is the English Version of the paper:

The oldest information we have about Jerusalem dates back to the fourth thousand years before Christ when Canaanites-An Arab race-set up a town with the namc of ' Yord salem "or" Yoro Shalem " meaning the establishment of god salem or Shalem.

This name has since been commonly used with some modifications, apart from other names which appeared in certain historical stages.

From "Yoro salem" was derived the Western appellation of Jerusalem used in the Greek, Latin, German, French, English and other languages. The same denomination gave rise to the name O'shelim used in the Holy Book.

The Hebrews seized the town in the tenth Century B. C. at the hands of king David who took il for his capital, brought the tribes together and determined to set up the temple. On his death his son solemon built the temple. und transferred the "Ark of the Covenant" to it. The temple became a holy place where the praise of God was celebrated.

The Hebrews deviating from the course of righteoueness worshipped idols, defies the message of Allah, the one God, committed vices, did injustice, became arrogant and unlawfully killed the prophets, "Therefore, Allah seized them with such penalty as comes from one night and powerful, and caused their enemies to stamp them out.

The Assyrians in 721 B.C. conquered the Kingdom of Islrael while the Babylonians in 585 removed

these plans could not be hit either at the beginning or in the end as it happened with Banu Qainuqua'a. Their past experience and their vast knowledge of the strategic geographic positions of Medina and the social constitution of the inhabitants before Islam helped them termendously. Now the battle between the Banu Nazeer and the Muslims began from house to house and from street to street.

The Jews in their flight were pulling down their houses and belongings which they had to vacate.

The Jews were confident of their position, their preparations and their stocks. The battle continued for twenty days and the Jews had much hope of the assistance of their allies, the hypocrites of Medina, who would immediately play an important role if their position dwindled.

The Prophet ordered the burning of the date groves belonging to the Jews because they had dragged the agricultural fields into the battle. In the meantime the Jews expected their allies to help them but the help never came. Only they heard the echo of their voices. Now that the Jews had fully understood their position they asked for security of their lives, their possessions and thier families. The Prophet agreed to their evacuation.

He allowed every three Jews to take one camel with them and on it they might load whatever they could. The hypocrites watched helplessly. Their allies of hypocrites were all but helpless. Banu El Nadeer left behind them much of their weapons, grain and lands as a booty to the Muslims.

After the evacuation of Banu El Nadeer, Banu Quraiza were the only Jewish element that remained in medina.

They carefully observed how the Prophet swiftly moved the balance of power and how he completely destroyed the groups thats were going to take over Medina. They saw how the Prophet manouvered his military strategy from Daumathu Jundul on the borders of Syria and Hejaz to Muraisee in the south near Mecca. They found themselves absolutely helpless to wage a war against the Muslims. The best thing they could do was to wait for an oppurtunity. Perhaps a strong ally may emerge with whom they would unite if they were assured of victory.

Banu El Nadeer spared no efforts in collecting and combining Quraish and other tribes of Arabs in Najd to wage war on the city of Medina.

(To be Continued)

the Prophet was victorious. Eventually they declared their hostility and begãn sowing the seeds of discontent and doubt in the minds of the Muslims. They began carrying the news of the Muslims to the idolators. They opened their doors and gave shelter to the enemies of Islam and enlightened them on the strategic weak points of Medina.

All this they did after they had signed a pact with the Muslims to defend Medina.

The most dangerous points of resistance came from the Jewish tribe of Bani Qainuqah. They lived in the centre of the Muslims and were fully aware of their secrets and their activities.

They conveniently carried these secrets to Quraish.

On the other hand the Prophet was recieving all the news and was carefully following it up. He was studying their drive and their mockery of Islam and the Muslims. This reached a stage where the Muslim women began to get involved. It so infuriated a Muslim in the Jewish bazaar of Bani Quainuqah that he killed the sinful Jew. In return the Jews attacked the Muslim to kill him and then to retreat to their homes to equip themselves with their weapons ; relying on their pre-Islamic alliance. . . . !

Dealing with the fate of Jewish tribes of 'Medinah' the auther said : Two powers remained in Medina even after purging the city of the enemy. They were the Bani Nadeer in the vally of Muzaineeb and Bani Quriza in the vally of Mehzoor situated in the surrounding of the south eastern sector of Medina.

Once again the Prophet was left to fight Quraish. In the meantime Quraish deceitfully sent a contingent of two hundred horsemen under the leadership od Abu Sufyan. Abu Sufyan made his first stop at Banu Nadeer and from their leader, Salam Bin Mishkam ; learned about the Muslims and together with him studied the best way to attack the Muslims. Salam in turn enlightened him on the best way to strike with his men in the valley of Al-Areed. They actually struck, killed and after burning the place they fled swiftly and found the Muslims pursuing them. In their rush towards Mecca the non-believers left behind much of the food they had carried with them comprising mostly of Saweeq, a mixed diet of barley and dates.

They drew up many plans and the idea of using forts was the last one. In this way they were able to delve deep in the matter and think far. The fort, in accordance

" It was a possible danger, since the Jews were still in alliance with the Aus and Khazraj and had until then concealed their enmity. They never openly declared thier enmity so that the Prophet might make a new alliance with them though it would be partly a continuation of their present status, but it would be in the name of Islam. In this new alliance there would be an abolition to the pre-Islamic alliance and would make all dealings and activities directly attached to the Prophet as the leader ot the Muslims on whose hands lies the supreme authority in Medina . . . .

In this way the alliance provided the Jews an opportunity to live in peace and co - operation with the Muslims on the basis of the religious tolerance established for the people of Medina irrespective of thier religious affiliations. They were to participate in defending Medina from any foreign onslaught and the alliance defined clearly their opposition against Quraish and those who helped them.

Militiary movements in Medina and incursions, which geographically spread from the northwest of Medina along the shores of the Red Sea to the south below Mecca on the way to Taif. Threats to commerce activities of Quraish in the north and south were affected.

The Battle of Badr took place in Ramadan in the second year A. H. in which the Muslims triumphed despite their in adequate arms and their shortage of men. Their enemies were materially three times superior to them.

The Prophet returned to Medina after a clear vicotry over his enemies.

Did the Jews of Medina Rejoice at the vicotry, at the defending of Medina and at the moral prestige this victory had brought to the city ? Kaab Bin El Ashraf the Jew, hwo about the death of the Quraish leaders at Badr said :

"By God-if Muhammad had killed these leaders, then the recesses of the earth would be better than its surface."

After being fully informed and satisfied with the news Kaab went to Mecca and provoked Quraish against the Prophet He excited them by reciting poetry and by mourning over the death of the Quraish leaders. Then he returnd to Medina and sang romantic poems to the Muslim women.

The Jews of Medina could not hide thier anger after hearing that

they were spread in the valley and in the higher sectors.

The inhabitants of the villages protected themselves by building forts and strong store-houses in which they stored food and weapons. They pursued, as far as possible to make means to see that they could have a source of water within these forts. Whenever they felt the danger of a raid they dashed from their farms and bazaars into their forts where they could defend themselves from foreign and internal raiders.

Medina in this way, during critical circumstances and internatal unity could play the role of a very formidable fort and could defend itself from foreign invasion . . .

Speaking about the struggle between the Arabs and the Jews in Medina he says :

" . . . . The jewish problem was part of their heritage. They carried its seeds wherever they went. The Arabs of Medina had fought the Jews before Islam and after the advent of Islam. The base of Islam in Medina inherited this struggle for no other reason but to regain its legal valid rights and to annihilate the forces of conspiracy and civil discord from the Arab Peninsula. This has nothing to do with the religion of Islam which in this respect declares :

" There is no compulsion in religion. The truth is clear from the evil. "

With the confrontation of Aus and Khazraj against the Jews there arose battles and revengeful wars amongst themselves during the pre-Islamic period. Each group found for itself a good pretext to have an alliance with the Jews. In this way the Jews were able to retain a part of their power in Medina. They were also satisfied to have an alliance with their neighbouring Arabs at Medina. The Khazraj tribe Made alliance with Bani Quraiza. Each group of the Khazraj and the Aws before Islam were anxious to have some sort of alliance with the Jews. The Jews in turn were always dividing the Aus and Khazraj so that they could not unite and the Jews would be able to attack both of them. Solely through their efforts before the Islamic era, they were able to keep them apart and disunited.

Thes are the broad and main outlines of the natural and human seen of Medina when the Prophet made it the base of Islam. It was here in Medina again the field for the first struggle . . . .

Regarding the danger of Jews-Quraish unholy alliance agaist the Islam and the Prophet the author says :

meet with the valley of Bathan which is met by the valley of Ranouna, coming down from mount Eir. These valleys stretch towards the north westernside and are intercepted by the valley of Qanah coming down from the East. These valleys all meet at Wadi Aqeeq which comes from the south and passes through the lava section of Wavra and follows its path towards the north behind Medina.

It is well known that the city of Mecca enjoyed the privilege from ancient times, of being Allah's sacred territory wherein His shrine stands. This is not the case with Medina. It only got its sanctified status after the arrival of the messenger of Allah in it and after he had made it the base of Islam. This sanctity at that time was not recognised by anybody but the Muslims ; yet it is well known that all Arabs at that time revered Mecca. This is the reason why before Islam and during the time when foundations of its being the base of Islam were laid, it had to protect itself by its own means. This can be illustrated by the general plannings of its administration and buildings.

The main factor which is decisive in distributing its inhabitants is its water resources. These resources are practically bound together by the distribution of the valleys and the areas that eventually centralises in the valley of Aqeeq. The inhabitants of Medina live on the slopes and plains of these valleys and usually spread to the areas from where they can have easy access to water. For this point the characteristics of the higher sections of Medina be in to become clear.

1- They have the best opportunities for irrigation.

2- They have the greater potentials for farming.

3- Its inhabitants can defend themselves from any onslaught or raids of the enemy. Their situations are in controlling positions in Medina. Not all the high sections were in the hands of the Jews.

In the same way it must be remembered that it was not only the Jews who centred in Medina. They had only three quarters which are important.

1- In the heart of the city were the Jews of Bani Qainoqa were enganged in business, home industries and especially in goldsmithing.

2- In the south-east were Banu-Nazeer who lived in the valley of Mozineeb and Banu Quraiza lived in the valley of Mehzoor.

3- As for the Aus and Khazraj,

The time of that struggle extended over a period of six years from the 2nd to the 7th year after Hijra. The struggle during this period was tense and operate on both internal and external fronts until eventually, Islam in its defensive resistance to safeguard its base and existance, triumphantly won. We can divide these six years into two stages.

1— The first stage was between the second and fifth year. During this period the struggle took place on the land of Medina and its surrounding precincts towards the south-east.

2— The second stage was from the sixth to the seventh year. During this period Islam was able to extinguish rapidly and conclusively the resistance in the northern front starting from Khaibar which was the strongest point. Thereafter the forts of Fidak, Wadi Qora and Taima fell one after another.

The Base Of Islam.

We may begin by presenting some geographical features and a picture of the inhabitants of the base of Islam so that we may be able to understand the causes of the struggle between Medina and the Jews. Medina is about 150 Kls. far from the shores of the Red Sea and lies in a straight line with Mecca which is about 350 Kls. far from Medina that engages a section of lowlands from the higher plain. It is 700 metres above sea level and is surrounded- with hills (or moutains) as mentioned in the books of biographies. Its decline generally starts from the east and south towards the western north. The lava field of Raqim rises high in the east of Medina and the lava field of Wabra in its west. Arabs use the words Harrah and Laabah for the constituents of a volcano.

This is mentioned in a tradition of the Prophet. " O " Lord, I have been allocated a sacred territory between the two lava remains. as Abraham your sincere devotee was allocated.

(meaning the sacred territory of Mecca)

In the south of Medina lies mount Eir, in the nourth mount Uhud and behind it Mount Sour. A tradition of the Prophet is recorded to this effect :

" Between the two mountains of Eir and Sour is a sacred territory". The valley of Mozineeb where the Jewish tribe of Bani Nazeer had their settlement and the valley of Mehzoor, where the Jewish tribe of Bani Quraiza lived starts from the lava section of Raqim and then slopes off downward. These two valleys soon

THE ROLE OF JEWS IN AGGRESSION ON THE BASE OF ISLAM IN MEDINAH

By : Dr. ABDUL AZIZ KAMEL

Deputy Minister of Wakfs, U.A.R.

The Research paper presented to the fourth conference of the Islamic Research Academy, by Dr. Abdul Aziz Kamel, in the above mentioned topic, gave authoritative informations about the Jewish treachery and intrigues against Islam and Muslims during the lifetime of the Prophet. The author pointed out that the Jews were always the first to start aggression and go back on their pledges.

He gave many historical evidences on the fact that the Muslims, were marked by their love for peace and good intentions, but they received nothing good in return, and eventually had no alternative but to defend themselves. The learned author, gave a historical Synopsis of the history of the holy city of Medinah, and its position in Islam. The following are the extracted points of the paper.

In the introduction the author mentions the geogrophical area of Jewish conspiracy against the Base of Islam. He says :

« The geographical battle - area between the Jews and the base of Islam in Medina stretches to about 350 Kilometres, between Medina in the south and Taima in the north, along an axis of oases which end in Syria. Within this axis there is abundance of water resources resulting from floods, springs and wells which enable the inhabitants to establish permanent living conditions and they can rely on agriculture, commerce, blacksmithing and goldsmithing.

As for the geographical area of Jewish conspiracy, the circle is much wider. In the south it stretches to Mecca, in the east to the heart of Najd, in the north to the fringes of Syria and in the west to the shores of the Red Sea. This means that it includes the greater part of the northern half of the Arab Peninsula.

the Muslims today were in uregent need of solidarity in order to check the ambitions of imperialists in the Islamic countries.

Moulana Asaad Madani, a member of Indian delegation, read a paper, dealing with the attitude of Jews towards Islam and Muslims. It embodied a historical review of Jewish hatred of Islam through the ages, and the acts of terrorism, assassination, and conspiracy they have committed against Muslims.

The paper said such methods continued to be practised against the Muslims by the Jews, situation which impels the Arab and Muslim peoples to be on the alert, and to rise as one man to " Uproot the vicious tree "

A paper by Dr. Kamel El-Baqer, Director of the Omdurman Islamic University dealing with the essence of the Palestine cause, was also presented for study. It gave a historical synopsis of the Palestinion problem, and urged Islamic Universities to make as one of their principal targets the casting of light on question. The author also called on the conference to launch an appeal to the Muslim world giving adequate clarification of the Arab-Muslim cause.

A paper by Dr. Said Abdul Fattah Ashur, Professor, Cairo University, compared between Muslim treatment of the Jews in the Middle ages, and the treatment of Muslims by non-Muslim peoples. He said that Jews through out the history had met with no treatment, more generous and favourable than that they had received at the hands of Muslims, but the former had repaid mercy and benevolence with ingratitude.

The Conference discussed a research paper by El-Sayed Muhamed Yunis, the Indonesian Chief Delegate, on Israli distortions of the interpretations of the Holy Qur'an and the Hadith. The author reviewed the methods end sources of interpretations and explained how the Israelis managed to distort them along with the Prophet's sayings. He warned against that threat and suggested as a remedy that the Academy should compile all such distortions in a special book as a guide to false reports and superstitions.

and occupies Islamic land. The paper said that martyrdom for principles and the creed was the duty of the true Muslim. Sheikh Abu Zahra called upon all Muslims to rise to save Jerusalem which was now being desecrated by "the enemies of humanity."

In his paper, Sheikh Abdulla Gushah, chief justice of Jordan, said that Muslims should take up the Jihad in order to defend the creed, the homeland and the nation. The Islamic nation, today is passing through one of the gravest stages of its life with the enemies trespassing upon its lands and desecrating and violating its sacred things. The Jihad has thus become a duty for which life and money must be sacraificed.

Appealing to Muslims in all countries to rise to save the Al-Aqsa Mosque and the other holy places, Sheikh Gusha said that reluctance to do so would encourage the aggressors to attack other Arab and Islamic lands. The aggressors would do what they have done in Jerusalem and other areas, where they had profaned the sacred things, pulled down Islamic monuments and persecuted the inhabitants, disregarding the resolutions of the united Nations and world opinion.

Towards the end of his paper, Sheikh Gushah stressed that Muslims with their material and human resources were capable of checking the enemy until justice triumphed. The paper, presented by sheikh Hassan Khaled, the Mufti of Lebanon gave a review of Jewish hostility towards Islam and the Muslims during the reign of the Prophet and his successors.

This hostility, he said, was inherited by the Israelis today, who are supported by the forces of imperialism in modern times. Sheikh Khalid called upon the Muslims and the Arabs to take up the Jihad as the way to repulse this aggression, in which the Zionists have used all means of force, cunning and deception.

He demanded that the preparation of the members of the Islamic community be considered with the use of the enformation media and constructive guidance so that the Jihad might reach its zenith and victory be gained over the enemies of Islam and Muslims.

The conference also discussed the paper which was presented by Sheikh Muhammad Abdul Latif el Sobky, member of the Islamic Research Academy. Speaking of the Jihad as one of the principles of Islam, Sheikh Sobky Said that

effective Muslim action in this Ordeal is the sole road to a new vista in Islamic relations, Dr. Nofal said. In this respect, Dr. Nofal suggested that Islamic countries should sever their relation with Israel and hold firm against the flagrant American alliance with Israel in her aggression against the Arabs.

He also suggested that Islamic states should extend material help including the provision of arms to the militant Arab strugglers. He called on the Arab states to organise a volunteer movement for a Jihad (a holy war).

The third paper presented by Sheikh Nadim el Jisr centred upon the battle of destiny with Israel in the light of the Qur'an, the tradition of the Prophet and history all of which have taught the necessity of Muslim unity. This unity, he added is inevitable, since Muslims should work hand in hand to repel the enemy from Palestine.

The paper, written and read to the conference by Maj. Gen. Mahmud Sheet Khattab, a member of the Iraqi delegation, dealt with the will for combat in Jihad, the objectives of Jihad, and the need for unity among all Muslims in the face of danger. Referring to the Palestine problem, Maj. Gen. Kattab said :

"The Palestine problem dictates the necessity of Jihad and the solidarity of all Arabs in order to save Palestine from the clutches of zionism."

Maj. Gen. Khattab then urged the unity of Arab ranks, the consolidation of the unified Arab command and the organisation of military powers both materially and morally. He urged the Arabs to learn from the lesson of the June 1967 set back. He also called for the creation of a unified Arab and Islamic policy against Israel and it's supporters. He also called for the establishment of a permanent fund to supply commando organisations with arms and equipment.

Concluding, the paper urged Arabs and Muslims to cooperate in fortifying the frontline villages, specially in Jordan, so as to guard against the inhuman raids launched by Israel. Then the paper called upon the Islamic and Arab countries represented at the conference to put into effect the resolutions of this conference in order to achieve victory and restore Arab rights.

The paper submitted by Sheikh Muhammed Abu Zahra, member of the Islamic Research Academy, dealt with the inevitability of Jihad, specially when the enemy invades

of the sanctity of Jerusalem following the June 1967 aggression.

The cheif delegate of the Palestine urged Muslims every where not to abandon the city of the Aqsa Mosque, the Dome of the Rock, the Haram Al Sherif—Sacred precincts of Al Aqsa Mosque and the Dome and the tombs of the prophetes and the Muslim militants to its fate under the treacherous Israeli imperialism and not to take a passive attitude towards the war of extermination being waged by the Israelis against the Arab population of the city.

On the second day, the conference dealt with three papers written respectively by Dr. Abdul Aziz Kamel, Deputy Minister of wakfs, Dr. Sayed Nofal, Assistant Secretary General of the Arab League and Sheikh Nadim El Jisr, member of the Academy.

The first paper centred upon Jewish sacrilege in Jerusalem. The paper gave a historical background of the military strife between Jews and Muslims in the holy city, pointing out that the Jews were always the first to start aggression and go back on their pledges. The muslims however, throughout the history, were marked by their good intentions and love for peace. Paradoxically, they received nothing good in return, they suffered much from intrigues and treachery and eventually had no alternative but to defend themselves and work to restore their rights.

Dr. Abdul Aziz Kamel ended his paper saying that the modern Zionist movement had influnced imperialism to help her to establish a state in Palestine and divide the Arab nation into two parts : Asain and African. The Arabs, there fore, have no choice but to work persistently till they restore their land and holy legacy.

The following Dr. Abdul Aziz Kamel, Dr. Nofal read out a paper on Zionism and Palestine, in which he gave a detailed account of Zionism, its objectives and its choice of Palestine as a national home for the Jews. The paper embodied the duties of every Muslim in particular, every man in general, in resisting Zionist ambitions which run counter to the divine values.

Concluding, Dr. Nofal called for the formation of a specialised body branching out from Islamic organisations all over the world, in a bid to unify the Islamic rebuttal of the harmful Israeli allegations. The Israeli aggression against Arabs has afforded Arabs the opportunity of coming together, and similarly

Research Papers and discussions

REVIEW AND ANNOTATION

By : A. M. Mohiaddin Alwaye

The Papers that the scholars read, and the discussions that they carried on, in the many meetings of the first stage of the conference not only stressed the significance of Jerusalem to the Muslim world, but also gave the Muslims all over the world a true picture of the Palestine problem, and suggested plans for rescue of Jerusalem from the Israeli profanatien. The following are the brief summaries of some of the important papers:

Three papers on the position of Jerusalem in Islam, presented by Sheikh Abdul Hamid el Sayeh, Jordanian Minister of Religious Affairs, El Sayed Abdul Hamid Hassan, member of the Islamic Research Academy, and Dr. Ishak Moussa el Husseiny, member of the Academy and Head of the Palestine delegation, came up for study at the first meeting.

The paper by Sheikh Sayeh urged Arabs and Muslims to adopt scientific planning before it is too late, and to save Jerusalim from the grip of the usurpers. Silence over the present conditions in Jerusalem is not acceptable under Muslim Law, it said, nor can they be condoned by Is am.

The author called on the world's conscience to stand by the people of Palestine already threatened with extermination, and to help the Arab people repele the Israeli-imperialist aggression and halt the Israel plan to Judaise Arab Jerusalem.

El Sayed Abdul Hamid Hassan, on the other hand, reviewed the history of Jerusalem and its centuries of Islamic glory. The high standing of Jerusalem in Islam was also stressed in both the Holy Quran and the tradition of the Prophet, he added. The third author El Sayed Isbak Mussa El Hussainy, recalled the Muslim conquest of the city in 636 A.D. and Muslim behaviour towards the city and its people which was in sharp contrast to the Israeli misdeeds of 1948 when they confiscated the property of its citizens, both Muslim and Christian, demolished mosques, churches and mousoleums, persecuted religious leaders and killed innocent people. The writer also referred to the Israelis profanation

of the Academy for discussion on researches particularly on Jerusalem, the problem of Palestine, problems of Arab refugees, position of the Jews with regard to Islam and Muslims in the early age of Islam, attitude of Ziomism towards Islam and muslims at the present erā and other topics which they find written in the agenda.

After the second period starts later on and it will finish at the end of the fourth week from the day of inaguration and members of the Research Academy alone will be engaged in it in discussing the remaining subjects.

Gentlemen :

Four years had Passed, and it had paved the way for unanimity among muslims indicating necessity for strengthening the research academy and its support, and security of means for it until it accomplishes its international message and achieves its objective.

And the past four years had revealed real desire, faithful detemination on the work and struggle on the part of the members of the academy and the participants in the sessions of the conference and those responsible for its affairs and the supervisors of its activities.

Then, the past four years had witnessed the sincere unanimous desire of muslim Ulemas from different parts of the world ready to sacrifice time in the course of its success and achievement of its purpose.

But when will these wishes and desires turn into a practical occurence that muslims will reap its good fruits ? We hope that this will not be far.

Really life is running fast, the wheel of time waits for no man.

Therefore, we must embark on non-stop speed in the work and on wise resolutions baged on sound opinion, and it is compulsory on Islamic world, be it states or governments, to have a great share in this burden. The day when all efforts will be coordinated behind this blessed movement, that day, they will know that the existence of Islamic Research Academy is a necessity which the desire of life has composed it and that its establishement is goodness and blessings for Islam and muslims.

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

It means : "And say (unto them) Act ! for God and His prophet and believers will see your work, and you will be returned to the knower of the seen and unseen, and He will inform you of what you used to do."

Other researches were made on Islamic society and its pecularities and characteristics and systems that ought to be in force regarding it, together with the mutual sympathy and co-operation amongst it. In these researches mention has been made about the behaviour of individuals and groups that should be ruled by high moral values, absolute equity in the legal systems and social justice in life, All these topics have been dealt with by the Islamic Research Academy and regarding which sound reslutions have been formulated which can be considered as living models to a sane human society. Enemies of Islam have thrown in the backs of the Muslims and arabs a poisonous dagger by alloving zionists to settle in Palestine and to occupy its land and arrogate Jerusalem for themselves.

This issue has been the subject of researches studies and resolutions since the first meeting of the Academy summoned up to the last conference.

Gentlemen :

This is in brief, the output of the sincere efforts of a few number of scholars who lacked the essential means to carryout the research-work, save the faith which has been conferred upon them by God, in addition to their strong resolve and faithful desire to work for the sake of Islam and muslims.

This is the scientific achie vuents which the Islamic Research Academy conveyed to all muslims by all possible mass media. From this scientific outcome, the academy carried out what was possible by the available material means. As some of them have resulted in taking its course to the practical way of life where it was available for it the possibilities by which it can establish this kind of life.

Gentlemen :

These papers of yesterday threw light on the glorious past and announced good news when its means and factors were available. As for the present day, it carries new pages and serious events which encourage intentions and imposes cooperation and collective efforts when confrontation of occurences is wanted to be real and effective.

The method of work will go on in this session in a way identical with provious ones and the researches of the conference will be discussed at two periods.

The first period will start as from today and will be completed at the end of the sixth day of october. The invited guests will participate in it together with members

Most of these researches had not been carried out for the mere purpose of speculative research, if ever this be deamed apprcpriate and desirable for its own sake. Also were they not intended for mental training for researchers but in their aggregate a response to practical realities which perplexed the thoughts of the muslims and plagued them with doubts and uncertainity. These juristic decisions arrived at have come to be an explanation to Muslims that might shed light on the attitude of modern enconomic doctrines as regards the faith of God. Thus they could gain full guidance and perspicacity.

About the Quran and Tradition, researches were written on the glorious Qur'an and its position among the muslims.

That is the first source in legislation and guidance and the necessity of adherence to Uthman's cadox is imperative. That the holy Qur'an its verses, words, chapters and the position of each in the Qur'an - all were revealed to the prophet by the Lord of the worlds. He convoyed it as it had been sent down to him as it is now.

It is not permissible to interpret the perspicous Qur'an by mere reasoning. The prophet's Sunna is the second source of Islamic legislation after the Qur'an.

All these were topics for exhaustive study and original research that have been carried by the scholars and the Academy drew from them reselutions proved and supported by evidences and arguments.

This part of research was equally the outcome of certain attitudes which scholars could gather from some people unfamiliar with Islamic culture which they misunderstood and misjudged. Some muslims lacking in firm belief have adopted these distorted ideas. Thus it has been incumbent upon the Islamic Research Acadamy to rectify these mistaken notions and to point out to them the right path.

Within the scope of international studies, valuable researches were submitted dealing with these relations in both war and peace, and with their causes and results other rescarches were presented on ruls of behaviour and ethics in jihad ; the result of which was a collection of researches that emerged into resolutions which revealed Islam and tolerance, These resolutions also, stress Islam's universality and cosmopolitanism. It is a faith that deals with the feeling and the reason. Islam allows a certain latitude for man failings and weaknesses ; there by it excuses him before it blames him and never resorts to his rebuke until it finds no way to cerrect him and becomes incurable.

papers and dessertations and the resolutions passed by the Islamic Research Academy in the three previous conferencas will point out the tremendous efforts which have been exerted with a view to serving the scientific and practical aspects of Muslim's lives in different spheres: finance, economy, organization, legislation, Erhics sociology, international reliations and such aspects which are part and parcel of human life.

As for the financial and economical side, researches were submitted tackling private ownership in Islam its rights, limits; lawful and unalwful means of finacial resources both for the individual and the state. These researches, too dealt with the rights and the obligations of the state to the individual property and how this property can be directed to derive the utmost benefit from it; ownership of property namely, percipticle things which have material and volume, and benefits derived from the property. Other papers were devoted to approach the themes of the poor due, charity and the right of the poor to have a share in wealth of the rich, loans, interests deposits, insurances, government pensions, bank dealings, co-operative societies and such other topics that were subject to vast and careful research by the academy which passed on them, sound resolations that reached the entire body of Muslim world by all information media.

Other papers tackled the subject of Islamic law, its dimensions, its close interrelation with human life. Muslim Jurisprudence was another object of interest to the academy. It dealt at length with this snbject pointing out its different phases of development, its Voluminous size which increased by the lapse of time due to the ever-recurring incidents of life.

There had been Ijtihad which took upon itself the deduction of such rulings.

It has been available for every scholar who attained to the requisite qualifications and his Ijtihad was to the point Ijtihad can be practised so long as there are scholars most competent to perform it, since it is deemed the only means for the promotion of human interests to cope with the ever-recurring situations, by selecting the approriate verdicts from amongst the Muslim juristic schools.

If non-available we have recourse to doctrinal collctive Ijtihad. But if nothing could not be turned to account, then we apply the method of absolute collective kind of Ijtihad. All these sides have been within the range of exhaustive investigation by the members of the academy.

Gentlmen.

These shortcomings in personnel and finance, dœs not meen that the Academy may cease to undertake its activities or to shrink its responsiblities because strong belief in God the Almighty and the desire to work, and the hope in the future, all these factors have endowed the respectable members and those in charge of the affairs of the academy, with the power to keep on striving and over coming all difficulties that might confront them. They struggled, in this connection, to the best of their limited means.

Those who are working in its departments are supervising the editions of the Holy Quran and to make these copies of the Quran accessible to private individuals and groups in the various countries of the Muslim world. Besides, they keep a watchful eye on all what is issued in the form of books and fiction pertaining to the Islamic heritage again, the Academy receives Islamic missions desirous to do studies at Alazhar's Institutes and Faculties together with granting them all social and cultural facilities during their stay in the U. A. R. in quest of religious studies.

Another contribution done by the academy is delegatig Muslim scholars to different Islamic countries and supervising Islamic Institutes abroad, and providing them with teaching staff, books, techincal experiences, establishing Islamic libraries and the available the Islamic culture.

Another thing is that the members of the Academy have submitted a considerable output of great scientific value closely related with the scientific and practical lives of Muslims. Indeed the resolutions passed by the Academy concerning this great scientific production are ranked among the excellences which the modern age prides itself upon, by dint of their abounding in juristic interpreations, novel studies which are regarded no less, in quality and quantity, than the efforts exerted by our pious early authorities from amongest Muslim Scholars whom we regard as leaders of great merit and pioneers of legal legislation. Modern scholars express their acknowledgement to these predecessores and testity to their eminence and pioneering efforts as juris in the history of law in general. While part of this precious scientific output has been practically applied and circulated, yet a lot of it is pending its turn for puplic usage, and we do hope that this will come soon.

Gentlement :

A general survey of the valuable

Their various advantages and interests can be exchanged and make mutual enquiries about different issues and problams. Seminars can be held within the range of the village, the town, the state and the continent. Again, these seminars would be incorporated to represent the whole Islamic world. This would establish a strong link between the academy and the different Islamic environments. By so doing, the Muslim world would rightly be the proper field for the academy's researches, and studeies, such an all embracing function requires the formation of adminstrative and technical departments to be equal to these great responsibilities.

Added to this, the Academy needs considerable funds to defray the expenses required for holding such seminars and to carry out projected scientific researches, studies dealing with writing of books, systems of education and pious foundations related to hospitals, orphanages and to combat intrusive cultures of the past and stop the sweeping tides which pour in the Islamic societies everywhere with a view to distort the land marks of the Islamic culture in a terifying and alarming way.

All these projects are dictated by the nature of the academy's mission; nay the very existance of the Academy necessitates their implementation. In the meantime, these projects require considerable pecuniary resources as we have referred to before. Hence, it is imperative that all muslims should join hands and unify their efforts so as to enable the Academy to cope with its multifarions obligations in all these spheres; to acquaint people with the religion of Islam in its pristine purity, free of blemishes pure of accretions, and to safeguard Islamic heritage from all profanations and forgeries to convey the word of Allah through wisdom and good councel, and care for the publications of the Holy Quran & the purified Sunna.

In short, to perform all the duties dictated by the Islamic brotherhood towards Muslim minorities to acquaint them with Islam, its civilization and culture and assist them to establish institutes and erect mosques, and other relevent religous and social services which they are being in dire need of.

In fact, the academy, in its three previous sessions, has passed resolutions touching this long-felt need and expressing the desire to establish a treasury for the Call; nevertheless, nothing of the kind has been realized and we are still in the stage of expectations and cherished hopes.

and basic fundamentals of Islam. If there were any thing justifying their introduction and necessitating their adoption they had to be modified and softened so as to be accomodated within the framework of Muslim jurisprudence, or to select from those developments what is deemed as most requisite.

Ijtihad, i. e. exerting oneself in the exercise of one's personal judgement in the sole path conducting to such a solution is the proper medium help realizing this end.

This is in fact the function of the Islamic resreach academy with the aid of its prominent scholars and notable thinkers.

But the message of the academy is not confined to justify or develop the existing conditions; nay it is the duty of Muslim thinkers and scholars to anticipate the coming events and depict a mental picture of the future endeavouring to make such development take the gradual course of perfection, so that the present would be more appropriate than the past, and the same holds true for the future.

Such a proceding would help in planning the details for this forcast and collaborating to make it an accomplished fact that would contribute to the promotion and advancement of human society.

This, gentlemen, would be some of the noble aims of the academy which are still too remote from practical life. Besides, the Academy could not achieve any of them since "such a task is in dire need of the capacities & possibilties which have not so far been available to the Islamic Research Academy.

It is evident that the scope of the academy is ample and spacious, hence it envisages the whole Islamic world with its diverse problems and intricate relations wihtin the general Islamic framework. This requires that a considerable personnel should be accessible to the Academy's departments that should be held reshonsible to cope with the universal problems cast upon the academy and to be its strong reliable asset every where in the Islamic environments, however small the volume, the political and social weight may be, to participate effectively in the activities undertaken by the Academy to the best of its capacity, and according to the possibilities and experiences offered by the Islamic research Academy, as they will supply the academy with a host of problems and widen the scope of research and these problems are drawn from the actual settings of the various muslim environment.

The morale force in these local centres can be co-ordinated in their concepts.

Tasks and Efforts of The Academy

By : Dr. Mahmoud Hubballa

The speech of the Secretary General of the Academy, delivered at the inaugural session, dealt with conference affairs, and reviewed the important role of the fourth conference in the aims of Academy, and underlined the papers on the agenda of the present session. The following is the text of the speech :

Gentlemen ;

I welcome you in the name of Islam which gathered you under the banner of righteousness & good in this plenary Islamic conference. Again I greet you on behalf of the honoured Azhar, the Kaaba of religious knowledge and the fort of Islam, and the centre which has been entrusted with the sacred mission of conveying the Call of Allah to mankind, it is your Azhar, Al-Azhar of Islam and all Muslims which you convene to-day within its precincts which offers you a hearty reception, as active promient scholars, and to reinforce through you brotherhood in religion.

I welcome you as bearers of good tidings, renewed whenever the Islamic Research Academy holds a new meeting so as to emphasise the strong link existing between Muslims and their religion, and point out the necessity of such a link and intensify the mutual feeling of resorting, as a matter of necessity to the main tenets and principles of Islam.

Consequently muslims would emerge as they had ever been mighty, dignified, unthreatened by any hostile power. Moreover, this conference affords the opportunity to render this sentiment into a positive, concrete action for the same of establishing the Muslim society on divine bases governed by religion & science and pervaded by virtue, justice and mercy.

Life cannot be ruled solely through religion unless reason be enabled to grasp clearly the facts of religion, and the heart becomes enligtened with religious rules in their pristine purity. The path conducing to the noble objective is through serious scientific research and scrutinized study. This is the task of Islamic Research Academy with its erudite doctors of religion and well-noted researchers.

The issues of human life would not develop in harmony with the tenets of the Faith unless subjected to careful study and investigation and collated with the principles

The Inaugural Session of the Conference

The Fourth Conference of the Islamic Research Academy was inaugurated by Mr. Hussain Al-Shafi, Vice — president and Minister of Al-Azhar Affairs, on behalf of President Gamal Abdul Nasser. The inaugural session was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Saturday, 28th September 1968 (6th Rajab, 1388 A. H.). A large number of Muslim scholars representing 33 countries in Asian, Africa and Europe, and members of several cultural organisations, and foreign diplomats were present. The deliberations commenced with the recitation of the Holy Qur'an. Opening the conference, Grand Sheikh of Al-Azhar, Sheikh Hassan Mamoun welcomed the members and the delegates of the conference. He described the meeting as being of paramount importance since it was taking place at a time when Zionism was profaning one of the World's purest places.

The Grand Sheikh pointed out in his inaugural address : "We hoped this session would be held after we had recovered the occupied lands but God chose to extend the ordial so that we may grow more mature and draw a better lesson from the crisis. God also chose that Muslim scholars should play an outstanding role in the face of current events, and explain to the people, God's rulings on that ordial".

Sheikh Hassan Khalid, the Mufti, of Lebenon, then spoke on belhalf of the delegates participating in the conference. He paid tribute to Al-Azhar for its efforts in the service of Islam and the spread of its principles. He reiterated, on the Palestine cause, that what had been taken by force could only be restored by force. Dr. Mahmoud Hubballa, Secretary General of the Islamic Research Academy, spoke next outlining the Academy's tasks and issues which were before the 4th conference.

Mr. Hussain Al-Shafi, Vice-President of U. A. R. delivered a speech. He welcomed the guest-delegates and the members of the Academy on behalf of President Gamal Abdul Nasser, and wished them success in their mission.

Jihad is the way of victory - by by Sheikh Abdulla Ghushah, Chief Justice of Jordan.

Jihad in the cause of Allah - by Sheikh Hassan Khalid, Mufti of Lebenon.

Israeli Legends in "Tafsir" and "Hadith" (Commentaries of the Qur'an and Traditions of the Prophet) by Dr. Mahmoud Unus, Indonesia.

Jewish agression on Medina-by Dr. Abdul Aziz Kamil, Deputy Minister of wakfs, U. A. R.

The Position of Jerusalem-by Dr. Ishaq Mousa Al-Husaini. International Zionism-by Prof. Wafiq Al-Kassar, Lebenon.

Jews in Quran-by sheikh Abdussattar Al-Sayyed, Syriya.

Zionist activities in East Africa-by Prof. Ibrahim Haji Mahmoud, Somalia.

The attitude of the Jews towards Islam and Muslims, in the early times-by Moulana Asaad Madani, Secretary - General of Jamiat-Ul-Ulama, India.

Jews in Medieval Ages-by Dr. Saeed Abdul Fatah Ashur.

The attitude of the Jews towards Islam and Muslims-by Muhammad Tahir Yahya, Indonesia.

The battle of destiny with Isræl, in the light of Qur'an and Hadith-by Nadim Al-Jisr, Lebenon.

The will of fighting in Jihad-by Mahmoud Sheet Khatab, Iraq.

Jihad in Islam-by Abdul Latif Subki, U. A. R.

Jihad-by Muhammad Abu Zahra, Membar of the Academy.

The papers prepared for the second stage included :

The Personality of the Muslim-by Dr. Abdul Haleem Mahmoud.

Anniversary of the revelation of the Quran and verification of its date-by Sheikh Abdulla Knnoun.

The Quran and the Society-by Dr. Ibrahim Labban.

Origin of Juristic 'Ijtihad' and its phases of development-by sheikh Muhammad Ali Al-Sayes.

The collection, recording and complition of the Quran-by Sheikh Ali Al-Khafif.

This conference was a continuation of the previous three conferences held in 1964, 1965 and 1966. The general picture of these experiments shed light on a new form of conduct and new aims through which the Academy will round up its mission and it become more effective. This conference is also a manifestation of the fraternity of Islam and an acheivement of Al-Azbar.

through which the Arab and Muslim world is passing, and devoted its fourth session to the study of the Palestine question and explain to the people the significance of Jerusalem, and their duty to rescue the city and other occupied lands from the grip of zionism.

About one hundred scholars, representing 33 countries, in Asia, Africa and Europe, attended the conference. In addition to these, Professors of Al-Azhar and other universities, and distinguished men of letters and knowedge were also present. The countries that participated in the conference were : Indonesia, Malaysia, Philippines, Koria, China, Japan, India, Iraq, Kuwait, Baharain, Yamen, Oman, Lebenon, Jordan, Palestine, Syriya, Soviet Union, Libya, Algeria, Morocco, Sudan, Senegal, Sierra Leone, Togo, Nigeria, Uganda, Kenya, Somalia, Aritheria, Moritious, Turky and Yugoslavia.

The conference carried out in two stages. The first stage started by the inaugural session on 28th September 1968 and ended on 6th October, 1968. In this stage, the guest-delegates participated with the members of the Academy. The Second stage continued from 9th to 24th October, 1968. The work of this stage was confined to the Academy members. All sessions of the conference were presided by Grand Sheikh of Al-Azhar, Sheikh Hassan Mamoun. The Secretariat of the Conference was headed by Dr. Mahmoud Hubballa, Secretary General of the Academy.

The conference discussed many papers prepared by members of the Academy and the quest-scholars. The papers that the scholars read in many sessions of the first stage, and the discussions that they carried on point to the matters related to Palestine question and the Arab refugee problem alongwith the attitude of Jews towards Islam and Muslims in early times, and the stand of Zionism on Islamic world at present. The second stage discussed research papers on the history of revelation of the Qur'an and the developments of Islamic Jurisprudence through centuries, etc.

Some of the important papers that were read and discussed in the first stage of the conference are :

The Position of Jerusalem in Islam - by Sheikh Abdul Hameed El-Sayeh, Minister of wakfs, Jordan.

Zionism and Palestine - by Dr. Sayed Nofal Assistant Secretary-General, Arab League.

The place of Jerusalem in Islam-by Prof. Abdul Hameed Hassan, Member of the Academy.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

SHA'BAN 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	NOVEMBER 1968

The Fourth International Conference of the Islamic Research Academy of AL-AZHAR

BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The Islamic Research Academy was established in 1961, under the auspices of Al-Azhar, the great and glorious seat of learning, which has been keeping the torch of Islamic Faith and sciences, burning since it was founded ten centuries ago. This Academy serves as the highest body of the distinguished Muslim scholars who shoulder the responsibility of spreading Islam and solving the problems facing the Muslim world, in the light of Qur'an, Hadith (tradition of the Prophet) and Islamic Jurisprudence.

The fourth conference of the Academy took place at a time when the Arab and Muslim world confronted the zionist-imperialist conspiracy against Jerusalem, one of the holiest spots on earth and dear to the hearts of all Muslims. Today Jerusalem appeals to the Muslims to perform their obligatory duty towards this holy city. It is also the urgent duty of the Muslims and the peace loving people all over the world to take necessary steps for restoring the right of the people of Palestine, who have been wrongfully driven out.

It was the fitness of things that the Academy responsed to the exigencies of the momenteous stage

الفهرس

English Section

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء السابع - السنة الأربعون - رمضان سنة ١٣٨٨ هـ - نوفمبر سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الشهر العظيم ..!

للأستاذ عبد الرحيم فوده

الرشد والخير كلمتان تجمعان معانى الحق والبر ، والتوفيق واليمن ، والهدى والفلاح ، وكل ما تصلح به الحال وتطيب عليه الحياة ، ويرضى عنه الله يدخل فى معناهما الواسع الجامع ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى فى هلال رمضان بشائر كل ذلك . فيستقبله متشوقا إليه ، متيمناً به ، ويعبر عن شعوره أمامه بهذه الكلمات : اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد وخير .

ولا عجب أن يكون ذلك هو موقف النبي صلى الله عليه وسلم من هلال هذا الشهر ، فقد تلقى فيه أول ماتلقاه من أشعة الوحى ، وأشرق على قلبه نور ربه فى ليلة مباركة من لياليه ، فكان القرآن كما يقول الله : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » وكان عليه السلام كما يقول « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » وكما يقول للناس فيه ، وفى الكتاب الذى أنزل عليه :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط

مستقيم » . فالكتاب المبين هو هذا القرآن الكريم ، والنور هو خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام . وهما معاً كما يقول الله : « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء » وكما يقول : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان) . فإذا صح ذلك - ويقينى أنه صحيح - كان معناه أن هذا الشهر الأغر هو الشهر الذى اصطفاه الله ليكون فجر هديه ورحمته ، ومشرق نوره ونعمته ، وإنما قرن الله هذا الشهر بالقرآن دون غيره من الكتب التى أنزلت فيه ، لأن ذكره ينطوى فيه ذكرها وقدره ينتمى إليه قدرها ، بل هو بالنسبة إليها كما يقول القائل :

لا تذكروا الكتب السوالف عنده
طلع الصباح فأطفأ القنديلا

ومعاذ الله أن نغض من قيمة التوراة التى أنزلها الله على موسى ، أو من قيمة الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى ، والقرآن يذكر قول الله فى التوراة « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » ، وقول الله فى الإنجيل « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور » ، ولكنه يذكر بعد ذلك قوله تعالى فى القرآن « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » . وقوله فيه « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » ، ومن ذلك يعرف قدره ، كما يعرف بالليلة التى أنزل فيها وهى ليلة القدر ، إذ أنها كما يقول الله « خير من ألف شهر » ، فإذا طوى ذكر غيره اكتفاء بذكره لم يفت هذا الشهر شىء يعظم به قدره وذكره ، إذ يكتفى أنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وقد اقترن هذا الشهر فى تاريخ الإسلام والمسلمين بأحداث كبرى ترفع من قدره عندهم ، ففيه كان النصر المؤزر فى غزوة بدر وفتح مكة ، وغزو الروم فى تبوك ، وقهر القوط فى الأندلس ، وهزيمة التتار فى عين جالوت ، والصليبيين فى المنصورة . وهذه الانتصارات الباهرة تثير الشعور بما ينبغى أن يكون عليه المسلمون ليكون الله معهم على أعدائهم وأعداء دينه ؛ فإنه كما يقول : « ولينصرن الله من ينصره » ، وكما يقول « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

أما ثمرات الصيام فيه فقد أجملها الله فى كلمة واحدة تسع كل خير ، وذلك حيث يقول سبحانه « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

فالتقوى هى الثمرة المرجوة من صيام هذا الشهر ، وهى كما يقول الله « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » وكما يقول : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وإنما يثمر الصيام هذه الثمرة العظمى لأنه يزكى النفس . ويربى الضمير ، وينبه الوجدان ، ويوجه السلوك ، ثم هو جهاد وإعداد للجهاد ، يتخرج منه الصائم وقد انتصر على أهوائه وشهواته ، وظفر بتقوية إرادته ورياضة نفسه على احتمال المشاق ، وذلك ـ دون شك ـ كسب عظيم لا يقاس به كسب يرجى لخير الفرد وصلاح المجتمع . (لهذا ولغيره ـ مما لا يتسع المقال لذكره ـ نستقبل هذا الشهر بما كان يستقبله به النبى صلى الله عليه وسلم ، ونرى فى مطلعه مخايل خير مقبل ويمن مأمول) ، ونقول فى استقبال هلاله ما كان يقوله النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك الله ، هلال رشد وخير .

عبد الرحيم فوده

قال أحد الشعراء :

أعوذ بك اللهم من بطر الغنى ... ومن نهكة البلوى ومن ذلة الفقر

ومن أمل يمتد فى كل شارق ... يرجعنى منه بحظ يد صفـــر

إذا لم تدنسنى الذنوب بعارها ... فلست أبالى ما تشعث من أمرى

مركز الإنسان فى الوجود بين الدين والعلم

للدكتور عفيفى عبد الفتاح

سرعان ما يدفعنا التفكير . حين نبحث - فى محيط القيم - عن مركز الإنسان فى الوجود ومكانته من العوالم - إلى مواجهة موقفين يبدوان ، أول الرأى ، مختلفين فى التقدير والاعتبار ، ينبعث أحدهما من هدى الدين وصريح منطقه ، ويصدر الثانى عن العلم ومفاهيم نظرياته ، وقد يقف الباحث بينهما فى شبه متاهة ، يتلمس وجه الصواب .

الإنسان والدين

فحديث الدين عن الإنسان لا يدع مجالا للشك فى أنه الهدف الأسمى للخلق ، والمركز الذى تهبط إليه الكائنات ،فقد سخر الله له مافى الأرض جميعا وما يحيط بها من كائنات وعوالم سخر له الشمس والقمر دائبين ، وسخر له الليل والنهار ، وذرأ له ما فى الأرض مختلفا ألوانه وسخر له البحر ليأكل منه لحما طريا ، والفلك مواخر فيه وليبتغى من فضله ، وأنزل من السماء ماء له منه شراب وفيه شجر وألقى فى الأرض رواسى أن تميد به ، وآتاه من كل ما سأل ...

كل ذلك من أجل الإنسان ينعم بما فيها من طيبات . ويعتبر بما تنتظم من حكم وغايات ، فهو المخلوق المفضل عند الله ، والمكرم من خلقه ، هو خليفته فى أرضه ، يعمرها وينفذ إرادته فى شئونها ؛ ويسجد له من فيها من عباده المكرمين . وقد اختصه الله بخطابه وبرسالاته لتحقيق هذه الخلافة . ومكنه ، بما منحه من مواهب وقدرات ، من التأمل فى صنعته ، والاهتداء إلى معرفته ، ثم وعده بالخلود فى رحاب جناته ، والحظوة بمشاهدة ذاته ، ألطاف وعنايات تشهد بأنه الكائن الأول فى الموجودات والقطب الذى تلتف حوله العوالم .

ولعل (دانته) أفصح من لساننا إذ يتحدث عن هذه القضية ، فى (الكوميدا الإلهية) فيعبر عن شعوره وشعور معاصريه وعن جماع الثقافات التى سبقته بشأنها .

فهو ينظر إلى الأرض ، تمدها الشمس بالضوء والحرارة وتتصدر الكواكب فوقها فى أقدارها ومصائرها ، وتهب الرياح الرخوة والهوجاء فى فسيح أرجائها ، وتجرى الأنهار العذبة والبحار المالحة فى مختلف جوانبها ، وتظهر على سطحها وفى مروجها أشجار مورقة مع أعشاب ضارة ، وتهوم عليها أرواح طيبة مع نفوس شريرة وهوام خبيثة ... ثم يرى الفيلسوف أن كل ذلك ليس إلا للإنسان ، المخلوق الأول ، لسعادته أو إرهابه . أو عقوبته .

والمؤرخ يعرف ما كان لهذه النظرية (مركزية

الإنسان) من شيوع وذيوع فى علوم اللاهوت التى سادت طوال العصور الوسطى والفلسفات التى سبقتها وعاصرتها وفى روح الثقافات بوجه عام ، فقد صدر عنها كثير من التصورات فى البيئات الاجتماعية وانعكست عنها صور من أساليب التفكير ، حتى فى النظريات الطبيعية عند (لوكريس) التى اعتبرت بقاء الإنسانية سندا لدوام الوجود .

وقد نرى كثيراً من ملامحها فى مجال الفنون والآداب عند الأغريق والرومان وفى عهد الحضارات الأولى ، مدونا فى التراث الخالد من النقوش والرسوم والتماثيل والشعر وأدب الملاحم .

كانت زعامة الإنسان أو (المركزية) روح الثقافة المعروفة إلى عصر النهضة ، وكان المساس بها خروجا على عقيدة شبه مقدسة .

ومن ذا الذى كان يجرؤ على أن ينزع الإنسان من مركز الصدارة ، ليجعل منه حدثا عارضا فى سلسلة تغيرات الطبيعة خاضعا لقوانينها فى تلقائية لا هدف لها ولا غاية ؟

إن من كان يذهب إلى ذلك سوف يكون ملحداً أو كافراً بالعناية السماوية التى مظهرها الإنسان ، وإنه سينتهى عن هذا الشطط ، طوعا أو كرها ، إلى المذهب المادى الذى ينزع من الوجود سماته الرفيعة . والذى نرفضه كفلسفة منحرفة وخاطئة .

وغير خفى أن شعورنا الذى نكنه فى مواجهة الكفر والإلحاد أقوى بشاعة وأكثر فظاعة منه فى مواجهة الانحراف الفلسفى وأخطاء المذهب المادى . فإن موقفنا هنالك يتمثل فى ثورة حادة شعورية وخلقية وفكرية ذات هول ورهبة ، وذلك ما لا نجده فى إنكارنا للنظريات العلمية كنظرية التولد الطبيعى أو بعض نظريات الضوء . مما ينتهى الأمر بشأنه إلى مواصلة البحث والمهادنة فى النزاع .

أما الإلحادية فإنها تهوى بالإنسانية من علياء عرشها وتنزل بها إلى مستوى الحيوان الذى يسرع إليه العطب والحشائش التى لاتلبث حتى تذبل ، وهو ماينفر منه شعورنا الطبيعى بكرامتنا وكبريائنا ، ويحدثنا التاريخ عما لقى العلماء المعارضون من عنت الكنيسة أمثال (نيوتن) و(جاليلى) .

بمثل هذا المنطق تأصلت (نظرية المركزية الإنسانية) وتغلغلت فى مشاعر الدينيين والتقليديين المحافظين حتى عصر العلم الحديث أو عصر الاكتشافات .

الإنسان والعلم :

وماذا يقول العلم الحديث عن الإنسان ؟

إنه يعرض وجهاً آخر للمسألة ، ويخلق إحساساً مختلفاً فيها . فهو يرى أن النظرة التى سادت قديماً كانت خدعة ناشئة عن سذاجة العقل فى ميعة شبابه وقبل أوان نضجه صادرة عن قصوره فى فهم ما حوله من العوالم

الكونية التي تتجاوز مقدرته في تصورها وإدراك حدودها وأبعادها .

ففي طليعة القرن السادس عشر ، أعلن العالم البولندي (كوبيرنيك) نظريته في النظام الفلكي ليهدم بها نظرية (بطليموس) وليقلب بها تصوراتنا رأساً على عقب . فقد ظهرت منها العوالم السماوية في أعداد وامتدادات تفوت حدود الخيال . وقد ظهر بها أن الإنسان ليس أكثر ولا أقل من ضيف متواضع من ضيوف الكوكب الأرضي الذي هو منها أقل من هبوة خافتة لا تكاد تلمح من كواكب عملاقة لا يحصيها عد ولا يحيط بها حد .

فمن أفلاكها مالا تستطيع الأرقام قياس أبعاده ولا العلم ضبط سرعة كواكبه .

ويتحدث (باسكال) في صدر تأملاته (les pensées) عن ضخامة العوالم الكونية وضآلة الإنسان بجانبها : فالعالم المرئي كله ليس شيئاً ضمن ما تحتضنه الطبيعة في أبعادها ولا توجد فكرة تقرب لتصوراتنا مدى هذه الأبعاد ، فإن هذه الفكرة لن تقع إلا على أجرام هي ذرات تدور في فلك لا نهائي مركزه في كل مكان ودائرته لا تحد بمكان . أما الإنسان منه فالعدم (كل العدم) .

وحسبنا ، في إعطاء فكرة عن هذه العوالم ، أن نذهب إلى (السياحة الفضائية) التي عرضها في بعض محاضراته العالم الرياضي الدكتور علي مشرفة .

فهو يفترض أننا سنمتطي شعاعا من الضوء في هذه الريادة ، نتجه به إلى حيث نشاء ليسير بنا في طريقنا بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميلا في الثانية الواحدة ، فنذهب إلى الشمس في نحو ثمان دقائق ، لنرى عندها المجموعة الشمسية مؤلفة من الكواكب الثمانية الكبرى ومرتبة حسب أبعادها من الشمس ، ومع كل منها أقماره وتوابعه .

وقد نقوم من الشمس إلى (نبتون) لنصله في نحو الأربع ساعات وربع من الساعة . وقد نذهب من المجموعة الشمسية إلى أقرب نجم إليها ، وهو (ألفا) لنصل إليه في نحو من أربع سنين . وعنده تبدو هذه المجموعة نقطة صغيرة في الفضاء ، وقد ننتقل من نجم إلى آخر في بضع سنين لنصل إلى حدود العالم الأدنى الذي شمسنا أحد نجومه . فإذا خرجنا منه إلى العالم المجري الذي هو أحد مئات الألوف من العوالم المتفرقة في الفضاء ، فإننا نقطع بضع آلاف السنين . حتى إذا انتقلنا منه إلى بعض السدم اللامجرية نكون قد قطعنا بعض ملايين السنين ... ولا ننسى أننا نمتطي شعاعا من الضوء سرعته في الثانية ما قدمنا

فأين نحن من الكون ؟ وماذا عسى أن يكون الإنسان منه ؟ ألا يكون أضعف وأحقر من أن نعير وجوده أية لفتة أو أن نعزو إليه مركزية ما ؟

ولقد جاءت كشوف (كيبلر) و (نيوتن)

تدعم النظرية (كوبيرنيك) وتفسح المجال لاكتشافات علمية فى العالم الطبيعى ، تسير فى نفس الاتجاه ، بشأن وزن الإنسان ووضعه من عالم القيم .

فالدراسات العلمية التى قام بها بعض العلماء وخاصة (دانتيك) للكرة الأرضية ، تؤكد أن الحياة فيها ليست إلا عرضا سطحيا فى تاريخ حركة الأرض .

وعلم التحليل المقارن يبرهن على أن الإنسان أكثر قربا لبعض فصائل القردة من هذه بالنسبة لفصائل أخرى من جنسها .

وعلم وظائف الأعضاء يثبت بوسائله القرب الوثيق بين الإنسان وفصيلة الشامبانزى كما يثبت الشروط والأوضاع التى ترتكز عليها عملية التفكير .

وعلم الأجنة يقرر أن النظام العضوى الإنسانى يمر فى تطوره بمراحل استحالية ، مقابلة للحالة النهائية فى شكل الحيوانات الدنيا ويتأكد ذلك بدراسة الظواهر العضوية الشاذة والأجزاء الفضولية فى الإنسان .

ويحاول علم الحفريات فى دراسة للأجسام العضوية المطمورة ، أن يحدد المراحل الفاصلة بين الإنسان والحيوانات الأخرى .

وتتجمع هذه الدراسات فى إطار واحد لتؤلف بحوثا متآخذة ترتكز عليها مذاهب التطور والارتقاء عند (داروين) و(لامارك) و(سبنسر) ، لتعلن بمضمونها الديناميكى ما تقول به النظريات الفلكية فى مظهرها الاستاتيكى بشأن موقف العلم من الإنسان ولتصور هذا الإعلان فى منطق صارم صرامة القوانين الثابتة ، مؤيدا بالنتائج والاكتشافات .

وقد كان هذا الإعلان نكسة قاسية فى شعور المحافظين والدينيين والتقليديين تركت فيه نوعا من التشاؤم وخلقت فيما حوله صورا من الأدب الساخر على الإنسان وعلى (المركزية) اهتز بها الإنسان وترنح بها عرش المركزية فمن هو ذلك الإنسان !! أمن عالم الحيوانات ومن أى أنواعها ؟ أم من دنيا الحشائش ؟ ومن أى فصائلها ؟ وكيف يقف على قدم المساواة مع الحيوانات العجماوات تصرفه طبيعة لا عقل لها ويتحكم فيه قانونها التلقائى الأعمى ؟ .

وكذلك يبدو الإنسان وقد هبط من عرشه وعاد ظاهرة طبيعة عارضة . لم تكن فى بداية حركة هذا الكوكب ، ثم حلت فيه بشكل ما ، آخذة مظاهر تكوينها رويدا من الكائنات الدنيا طواعية لقانون التطور الحتم ، وصائرة معه إلى طبعها وطابعها الذى نرى ، ومن المحتمل ، أو من المتوقع ، أن ينتهى فعل التطور باختفائها من محيط العالم ليستمر الوجود سيرته الأولى وبدون الإنسان .

ذلك حديث العلم تقف معه أمام قضية مؤيدة بالتجارب مدعمة بالوقائع ، تطيح بما كان مألوفا من القيم وتسخر بما كان معروفا

وسائدا فى التصورات . كما وقفنا من قبل مع الدين أمام قضية معارضة مؤيدة بوحى منه وبشعور الإنسان بسموه وفوقانه .

نحن إذن أمام موقفين مختلفين لا يجدى بينهما الاختيار ، فهو أنى يكون ، انكار لحقيقة ، وإهدار لصواب .

وإلى أين المصير .

والحق فى ذلك أن الثورة العلمية فى مختلف شعبها ووجوهها لم تفهم كما كان يجب أن تفهم فى علاقتها بزعامة الإنسان أو مركزيته ، حتى كان القلق منها عاطفة هو جاء وكان المتشائمون بها من أنصار القديم جامدين أغبياء .

إنها فى واقعها لم تكن ثورة على الإنسان ولا على القيم الإنسانية ، ولكن ثورة من الإنسان على الطبيعة فى صميمها وتطوافا بجوانبها لكشفها ، وتخطيطا واعيا لتدعيم سلطانه عليها وبسط نفوذه فيها ، إنها كانت انتصارا للإنسان كانت تأكيدا لزعامته وتأييدا لعرشه الذى أن أمكن أن يتزلزل من قبل فلا يمكن معها أن يهتز . فإنها قبل أن تكتشف الطبيعة اكتشفت الإنسان نفسه وعرفت عنه المواهب الفياضة والاستعدادات الخارقة والخصائص التى خلعتها عليه العناية واختصته بها .

وذلك ما كشفه العلم عن طريق دراسته للإنسان فى مقابلته للفصائل الحيوانية المختلفة القريبة منه والبعيدة عنه . وذلك ما تقول به نظرية (داروين) نفسه على ضوء الدراسات المقارنة للمخ فى نشأته وحجمه ومساحته السطحية ، وفى كشف مدى تأثير الانتخاب الطبيعى على التطور فى هذا الإنسان والحيوانات الأخرى .

حتى لتحمله نتائج بحوثه على القول بأن الإنسان هو وحده مظهر التكامل والاتقان فى فعل الانتخاب المتتابع عرض آلاف السنين ، وحتى ليقرر بأنه لم يوجد ولا يمكن أن يوجد مخلوق أطوع من الإنسان لتطور بعيد الغايات ويعترف القائلون بالانتخاب بأن أروع ما استحال إليه فى نضاله عبر القرون هو تولد النفس الإنسانية ، وبها وبإمكاناتها اللامحدودة بدأ فصل جديد ومجيد من تاريخ العالم .

وقد يكون من الإنصاف للدين وللعلم معا وكل فى محرابه المقدس ينشد الحقيقة ـ أن نرى فى هذا الانتخاب مظهر العناية الإلهية فى إخضاع الإنسانية لناموس الترقى عن طريق تفاعله بالمؤثرات التى خلقتها وحددتها لها هذه العناية ، وهذا ما يعنيه الفلاسفة بقولهم إن الكامل لا يصدر عنه إلا الكامل فهذه الإنسانية بما تمثل من كمال ودقة وإتقان وتنسيق لا يمكن أن تكون مدبرة بضرورة غبية ولكن بعناية عاقلة تفيض بالخير عن قصد وتلغى الكمالات عن إرادة ، ولو أخذ علماء الطبيعة بذلك لتلاشى التشاؤم واختفى خطر النظريات ، ولأمن الناس جميعا .

إن زعامة الإنسان ترجع لذاتيته المخلوقة بيد الله والمحوطة بعنايته، وليس فى الكشوف الطبيعية ما يشكل خطرا عليها كما عرفنا عند أخطر العلماء (دارون) ولا فى الكشوف الفلكية ما يحقر من شأن الإنسان أو يقف فى سبيل سموه وطموحه، ذلك الطموح الذى يغريه اليوم بريادة الكون واختراق سماواته ليكشف عجائبها وأسرارها ، وليسخر منها ما شاءت له الحكمة تسخيره وهو من ذلك بالغ ما امتد به وجوده وسمحت أقداره بفضل ما أوتى من قدرة مبتكرة ، يرفع بها طاقاته ويزود بها إمكاناته .

إن انتصارات الإنسان على الطبيعة فى أرضها وسمائها ليس أمرا واقعا فحسب ولكنها أيضا تتزايد كما وكيفا مع حركة الفكر وحركة الفلك .

وإن (كوبيرنيك) الذى كشف لا نهائية العالم قد فاته أن يكشف لانهائية الطاقة الإنسانية ومقدرة العقل البشرى .

وإن الله الذى خلق هذه اللانهائية فى الكون شاء أن يظهر منها جلاله وتكشف بها عظمته ، فخلق الإنسان لذلك ، والله عليم حكيم .

وكذلك ننتهى إلى أن الإنسان الضعيف أمام الخالق ، هو السيد أمام المخلوق .

وكفى الله المؤمنين القتال ؟

د. عفيفى عبد الفتاح

(بقية المنشور على صفحة ٥٣٦)

ولما كان مختلفاً فى أى ليالى عشر رمضان تكون ليلة القدر فلهذا يستحب قيام هذه العشر الأخيرة كما قاله المتولى حتى يحرز المسلم فضلها على اليقين . أقول ولعل النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فيها لذلك .

وإحياء هذه الليالى يكون بالصلاة والدعاء فى وقت منها ، فلا ينام الليل كله وروى مرفوعا من طريق أبى هريرة أن من صلى العشاء الأخيرة فى جماعة فقد أدرك ليلة القدر أى أخذ حظا منها .

والإمام النووى يرى أن من أحياها لا يحرز فضلها بمجرد إحيائها ، بل بأن يطلعه الله عليها ، أى يريه بعض ملكوته ، فلو لم يشعر بها لم ينل فضلها ، ويخالفه الأوزاعى والمتولى حيث قالا إن فضلها يناله من قامها بإخلاص لله تعالى ، وفق الله جميع المسلمين لإحيائها وأنالهم من بركاتها ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

لفظ القرآن ومعناه

للأستاذ على الخفيف

فى ليلة مباركة من ليالى شهر رمضان من سنة أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو من عام الفيل هى ليلة القدر(١) نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغار حراء ، حيث كان يتحنث الليالى ذوات العدد قائلا له : اقرأ ، فقال له : ما أنا بقارئ ، فأقرأه أول ما نزل عليه من القرآن ، وهو صدر سورة العلق ، قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » (٢) . وقال تعالى :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » سورة البقرة ١٨٥ ، وقال : « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين » سورة الدخان ٣ . وقال : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » سورة القدر ١ .

وروى البخارى ومسلم واللفظ للبخارى عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

(١) سيرة ابن هشام ص ١٥١ مطبعة الجمالية سنة ١٩١١ ، ٢٠ البخارى كتاب بدء الوحى .

(٢) سورة العلق ١ .

(أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق ، وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : « اقرأ قلت : ما أنا بقارئ » ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم »(١) .

فكانت هذه الآيات أول ما نزل من القرآن .

وكان بين العلماء اختلاف فى تعيين آخر ما نزل من القرآن ، ومرد أقوالهم فى ذلك إلى آثار غير مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها : أن آخر ما نزل قول الله

(١) سورة العلق ١ .

تعالى فى سورة البقرة : « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ٢٨١ أخرجه النسائى عن ابن عباس .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعش بعد نزولها سوى تسع ليال ، وكانت وفاته لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة ٦٤ من مولده ، أو من عام الفيل ، ومنها : أن آخر ما نزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين » البقرة ٢٧٨ ، أخرجه البخارى عن ابن عباس والبيهقى عن ابن عمر .

ومنها : أن آخر ما نزل آية المداينة : « يا أيها الذين آمنوا » البقرة ٢٨٢ ، أخرجه ابن جرير عن سعيد بن المسيب ، ومنها : أن آخر ما نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » المائدة ٣ ، وقد نزلت يوم عرفة ، والرسول صلى الله عليه وسلم قائم يصلى بعرفات يدعو ربه ، وكان ذلك من السنة العاشرة بعد الهجرة ، وقد عاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة ، إذ توفى صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

وكل منها يقوم على ما وصل إليه علم صاحبه عن آخر سماع من رسول الله سمعه ، وقد يكون غيره قد سمع منه بعد ذلك ما لم يسمع . وقد نزل القرآن عليه صلى الله عليه وسلم يوم مبعثه ، واستمر نزوله إلى قبيل وفاته ، فكان نزوله عليه بمكة ، فيما بين بعثته وهجرته ، وقد اختلفت الروايات فى تقديرها ما بين عشر سنوات أو ثلاث عشرة سنة أو خمس عشر سنة ، وكان نزوله عليه صلى الله عليه وسلم فى المدينة مدة إقامته فيها ، وهى من وقت هجرته إلى وقت وفاته ، وهى من أول ربيع الأول سنة ٥٤ من مولده صلى الله عليه وسلم إلى الثانى من ربيع الثانى سنة ٦٤ من مولده أو سنة ١١ من هجرته ومقدارها عشر سنوات تقريبا (١)

ما نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت عناية القرآن الكريم ببيان مصدره وأنه تنزيل من رب العالمين على محمد صلى الله عليه وسلم عناية بالغة ، تجلى مظهرها فيما جاء به من آيات عديدة منبثة فيه ، وموزعة على كثير من سوره تارة فى مفتتحها ، وتارة فى ثناياها ، مما كان له فى نفوس المنصفين من الناس ذلك الأثر الذى لا يخالجه أدنى شك ، وهو أن الكتاب إنما جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم وحياً من الله العلى الحكيم ليس له

(١) الإتقان جـ ١ صـ ٢٤ وما بعدها .

فيه إنشاء ولا صياغة ولا تأليف ولا ترتيب ولا لفظ . وليس له فيه إلا أنه وعاه وحفظه ثم بلغه وبينه وطبقه ونفذه ، نزل به عليه رسول كريم ذو قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ، تلقاه من لدن الحكيم العليم ثم نزل به بلسان عربى مبين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فوعاه وحفظه وبلغه ، كما أنزل عليه دون تغيير ولا تبديل ، وفى بيان ذلك نزلت الآيات ذوات العدد فى كثير من سوره نذكر منها :

١ — قوله تعالى : « وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » الشعراء ١٩٢ - ١٩٥ .

٢ — وقوله تعالى . « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل ٦ .

٣ — وقوله تعالى « الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون » يوسف ١ ، ٢ .

٤ — وقوله تعالى : « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق » الزمر ١ ، ٢ .

٥ — وقوله تعالى : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » سورة إبراهيم ١ .

٦ — وقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » سورة الإنسان ٢٣ .

وتلك آيات لها فى القرآن نظائر عديدة تدل بصريح ألفاظها وعباراتها على أن القرآن الكريم إنما هو من عند الله العلى العظيم معنى ولفظا ، لأن كلا من القرآن والكتاب اسم لما جاء به رسول الله من عند الله ، وهو عبارة عن اللفظ والمعنى .

كما يدل على ذلك قوله تعالى : « إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين » إذ قد صرح فيه بأنه قول منزل من رب العالمين .

وكذلك « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » النحل ١٠٢ ، ١٠٣ ، إذ وصف فيه بأنه لسان عربى مبين أنزله روح القدس من رب العالمين .

ومثل ذلك قوله تعالى : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » الإسراء ١٠٥ ، ١٠٦ . فقد وصف فيه بأنه قرآن نزل مفرقا ليقرأه رسول الله على الناس ، والقراءة لا يوصف بها إلا اللفظ .

وقوله تعالى : « واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته » الكهف ٢٧ .

وقوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » الأعلى ٦ .

وقوله تعالى . « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه » سورة القيامة .

وقوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » المزمل ٤ .

« ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون » الزمر ٢٧ ، ٢٨ .

فى هذه الآيات والتى قبلها وصف بأنه نزل بلسان عربى مبين وبأنه قرآن عربى ، وبأنه قول نزله رب العالمين ، ولسان عربى نزله روح القدس ، وبأنه قرآن نزل مفرقا ليقرأه رسول الله على مكث ثم أمر فيها رسول الله بتلاوته وترتيله وكل هذا لا توصف به إلا الألفاظ ، لأن القراءة والإقراء والتلاوة والترتيل ، وتحريك اللسان وكونه قولا عربيا إنما هو من عوارض الألفاظ وصفاتها ، لا من عوارض المعانى وصفاتها فكانت هذه الآيات وأمثالها المنتشرة فى الكتاب العزيز حججاً قاطعة على أن القرآن لفظه ومعناه من عند الله تعالى ، وليس لمحمد صلى الله عليه وسلم إلا البلاغ والبيان[1] .

وإنك لترى هذا المعنى وقد أكده القرآن الكريم بأساليب مختلفة فى آيات عديدة ذكرنا لك بعضها ، ووثقه أى توثيق بضروب من البيان ، وبألوان من الحجج ، قد زاده توثيقا وإحكاما بما رتبه من الجزاء الأليم والعقاب الصارم على الزيادة فيه أو التبديل أو التغيير بقول من محمد صلى الله عليه وسلم وذلك إذ يقول تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين » الحاقة ٤٤ - ٤٧ .

على الخفيف

---

(١) الإتقان جـ ١ ومقدمة تفسير المبانى .

ليلة القدر

للأستاذ مصطفى الطير

هى ليلة من ليالى الله تعالى . خصها بمزيد من القدر والشرف ، فأنزل فيها القرآن ، ورفعها بذلك فوق أقدار الزمان ، وجعلها موسما للعبادات ، وميقاتا للبر والخيرات ينتظرها الصائمون كل عام ، يمجدون فيها القرآن الذى شرفت بنزوله فيها ، ويستكثرون من الدعاء والطاعات فى زلف منها ، ويرجون من الله أن يتقبل منهم ، ويجعلها خيرا وبركة عليهم .

وفيها يقول الله « إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر » .

فشرف هذه الليلة ناشىء من نزول القرآن العظيم فيها ، ولولاه لكانت مثل سائر الليالى فالزمان فى ذاته عند الله سواء ، وكيف لا تشرف به ليلة القدر وهو أغلى كلام من أجل متكلم . نزل على أكرم رسول . ليبلغه خير أمة أخرجت للناس .

وقد فخم الله القرآن بالإضمار إليه بقوله : « أنزلناه » من غير سابق تصريح باسمه إيذانا بحضوره فى الأذهان لجلال منزلته ، وزاده تفخيما بتفخيم ليلة إنزاله فى قوله « وما أدراك ما ليلة القدر » فإنه مشير إلى أنها من الفخامة فى درجة فاقت دراية كل من يصلح للخطاب من المخلوقين ، وفى قوله « ليلة القدر خير من ألف شهر » ولا شك أن عظمة هذه الليلة ليست ذاتية ، بل بسبب نزول القرآن فيها ، وحسبك فى الدلالة على قدر القرآن الذى عظم به قدر هذه الليلة أن الله تعالى قال فى شأنه « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وقد بقى هذا التحدى إلى يومنا هذا ولم يستطع معارضوه أن يأتوا بمثله ولا بأقصر سورة منه ، وسيبقى العجز أمامه إلى يوم القيامة ، وذلك خير دليل على أنه من عند الله وأنه حجة الله على صدق نبيه محمد فى دعواه الرسالة عنه تعالى .

والمراد بإنزال القرآن ليلة القدر إنزاله كله فيها إلى السماء الدنيا فى العام الأول للبعثة لكنه نزل بعد ذلك منجما حسب الوقائع فى مدى ثلاث وعشرين سنة ، وقيل إنه لم ينزل دفعة واحدة ، بل ابتدأ نزوله ليلة القدر ، وتتابع نزوله بعد ذلك طول مدة البعثة النبوية .

موعد ليلة القدر :

أكثر العلماء على أنها فى أوتار العشر الأخير من رمضان ، وأكثر هؤلاء على أنها ليلة السابع والعشرين منه ، ودليلهم فى ذلك ما رواه مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين) .

ومن طرائف الاستنباط أن عدد كلمات السورة ثلاثون ، وأن كلمة (هى) الراجعة إلى ليلة القدر هى السابعة والعشرون ، وذلك يشير إلى أنها ليلة السابع والعشرين .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعد لها فيعتكف بالمسجد فى العشر الأخير من رمضان قالت عائشة : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأخير شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله) والمئزر ما يستر العورة ، وشده كناية عن الجد فى العمل وقد ورد فى تحديد وقتها روايات مختلفة غير ما ذكر ، وأقواها فى أوتار العشر الأخير من رمضان ، ولعل اختلاف الروايات ليتعدد طلب العبد لها بالعبادة فى الليالى التى وردت فيها .

سبب تسميتها :

القدر الشرف ، فتسميتها بليلة القدر لشرفها بإنزال القرآن العظيم فيها ، وقيل سميت بذلك لأن الله ينزل مقادير الأمور فى العام المقبل ليلتها ، فينزل فيها آجال العباد وأرزاقهم ومقادير الرياح والأمطار والحروب والسحاب ورحلات الطيور والحيوانات والمواليد والوفيات وغير ذلك ، ليقوم مدبرات الأمور من الملائكة بتنفيذها فى حينها .

وفى ذلك يقول الله « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم » وقيل للحسين بن الفضيل أليس الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال بلى ، قيل فما معنى ليلة القدر ، قال سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر ، وقيل سميت بذلك لأن الطاعة فيها لها قدر عظيم وجزاء كبير .

ليلة القدر خير من ألف شهر :

عن ابن عباس أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب لذلك وقال يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعماراً وأقلهم أعمالا ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر إلى يوم القيامة .

وما نظن أن ذلك يصح عن ابن عباس ، فإن آجالنا ليست أقصر من آجال بنى إسرائيل وليس مقبولا أن واحداً منهم يحمل السلاح ثلاثا وثمانين سنة وثلثا اطول المدة من جهة ، ولأنهم هم الذين قالوا لموسى فى قتال الجبارين « إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا

قاعدون ، ولأنه لو كان قيام ليلها يغنى عن الجهاد ألف شهر لتعرض الإسلام لخطر كبير ، ولهذا قال بعض العلماء إن كونها خيراً من ألف شهر للتكثير فى ثواب عبادتها وليس للحصر العددى .

والذى أفهمه أن هذه الليلة وإن كان يعظم فيها قدر الأعمال لقوله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخارى ومسلم لكن كونها خيراً من ألف شهر جاءها من أن القرآن العظيم نزل فيها ، فهى خير من ألف شهر ، فإنك إذا قارنت بين هذه الليلة وبين العصر الجاهلى قبلها وجدت ذلك حقيقياً لا مبالغة فيه ، فقد كان الناس يعيشون فى حروب متتابعة ووثنية مزرية ، وانحراف فى السلوك وإهدار للأعراض وجهالة ضافية الذيول فلما جاءت ليلة القدر المباركة نزل فيها القرآن الذى فتح أبواب الاستقرار والتعايش السلمى على أساس من وحدة العقيدة وتبادل النفع والخير والمحبة والسلام ، إلى غير ذلك مما جاء به القرآن العظيم ، فكيف لا تفضل به ألف شهر ليست فيها وأمرها ما ذكرنا أفليست ليلة الشفاء خيراً من ألف شهر يقضيه الإنسان عليلا مهدما . لذلك كان العمل الصالح فيها خيراً منه فى ألف شهر ليست فيها ليلة القدر .

تنزل الملائكة والروح :

يقول الله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر » والروح هو جبريل رئيس الملائكة وأمين الوحى ، ويدل لذلك قوله تعالى « نزل به الروح الأمين على قلبك » الآية ، وقيل إنه صنف أعلى من الملائكة وهم حفظة عليهم ، كما أن الملائكة حفظة علينا ، ومعنى الآية تتنزل الملائكة على دفعات بأمر ربهم من أجل كل أمر قضاه الله لينفذوه فى حينه بعد أن تلقوه من ربهم سبحانه .

سلام هى حتى مطلع الفجر :

يعنى أن هذه الليلة هى ليلة السلام ، ففيها يسلم الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم ، أو يسلم الله عليهم . والسلام من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار أو دعاء بالسلامة ، ويجوز أن يكون المعنى أن الله يسالم فى هذه الليلة عباده ويتجاوز عن هفواتهم السابقة إذا أحيوها بالطاعة .

ويبقى كل من تنزل الملائكة والسلام حتى مطلع الفجر .

من يحرز فضلها

يحرز فضلها من أحياها بالقيام لقوله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » من حديث رواه البخارى ومسلم .

(البقية على صفحة ٥٢٩)

تقوى الله أفضل العُدّة

للدكتور علي العماري

لا غنى لأي محارب يريد النصر عن إعداد ما يستطيع من قوة مادية . تلك سنة كونية لا سبيل إلى إنكارها أو التشكيك فيها ، فمن تجاهل هذه السنة ، واغتر بنفسه فقد حاد عن الجادة ، وضل الطريق الموصل إلى النصر.

ولو كان النصر يهبط على بعض الناس دون تحمل مشاق القتال والإعداد له لكان أحق بذلك رسل الله عليهم السلام ، أولئك الذين لم يحرزوا نصرا على أعدائهم إلا مع الاستعداد وبذل كل مرتخص وغال في سبيل إنجاح دعواتهم ، وهي دعوات الحق المؤيدة من عند الله سبحانه وتعالى .

هذا حق ، ولكن من الحق أيضا أن كل القوى مهما بلغت لا غناء فيها ما لم تؤيدها قوى روحية ، هي - في الحقيقة - أقوى من كل عدة ، وأمضى من كل سلاح ، تلك هي قوى الإيمان .

فالجندي الذي يتسلح بالإيمان لا يبالي على أي جنبيه يصرع ، والمؤمن يقاتل دائما وهو يتمثل في نفسه قول الله تعالى : « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » فهو واثق من الظفر بما يرضي نفسه وإيمانه . إما النصر والغنيمة ، وإما الجنة التي وعده الله بها إن مات شهيدا وهو يجاهد لإعلاء كلمته سبحانه . وبهذه الثقة يهون عنده كل بذل ، بل هو يستعذب كل ما يلقى من مكاره .

ولقد كان أسلافنا الأوائل يحاربون بالإيمان وبالسلاح ، وكان إيمانهم - دائما - أقوى من أسلحتهم ، وأشد على أعدائهم من عددهم وعددهم . ولذلك انتصروا في كل معركة ثبت فيها إيمانهم ، وانهزموا في بعض المعارك التي تغلبت فيها النوازع النفسية الدنيوية ، أو سادهم فيها الاغترار بقوام المادية .

انهزموا - بادىء ذي بدء - في موقعة حنين حين غرتهم كثرتهم ، وقالوا لن نهزم اليوم من قلة ، وحكى عنهم القرآن ذلك : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » ، فلما عاودتهم الثقة بالله ، وازداد نور الإيمان إشراقا في نفوسهم ، وكروا على أعدائهم غير عابئين بما يلقون منهم أعانهم الله ، ونصرهم على أعدائهم مع كثرتهم « ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم » .

وانهزموا يوم أحد حين جذبت الغنائم أعين الرماة منهم ، فخرجوا على أمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وتركوا أماكنهم ، لجاءهم المشركون من ورائهم وأعملوا فيهم السيوف والرماح .

وهكذا لو درسنا دراسة واعية كل معركة من معارك الإسلام لوجدنا النصر دائماً مقترناً بمدى إيمان الجيش المحارب ، ووجدنا ما حل من هزائم بسبب نزول درجة هذا الإيمان ، وربما كانت الأسلحة فى المعارك التى انهزموا فيها أكثر وأقوى منها فى تلك المعارك التى انتصروا فيها .

فى حنين كان المسلمون اثنى عشر ألفا ، وفى بدر كانوا زهاء الثلاثمائة .

ومما يروى عن سيدنا أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ من وصاياه للمسلمين المحاربين : (أيها الناس . عمل صالح قبل الغزو فإنما تقاتلون بأعمالكم)

وكان سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله ، وعلى عون الله ، وامضوا بتأييد من الله ، وبلزوم الحق والصبر ، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا ، وأبشروا بالرباح فى البيع الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) .

وسيدنا عمر يشير بكلمة (الرباح فى البيع) إلى قول الله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

وقد يكون فى الجيش الرجل الصالح يدعو الله فيستقبل دعوته ، فينزل النصر على أوليائه . روى أن قتيبة بن مسلم الباهلى فاتح السند حين قابل الترك هاله أمرهم ، فسأل عن رجل من صلحاء المسلمين وزهادهم هو العالم العامل محمد بن واسع ، قائلا لمن معه : مايصنع ؟ قالوا : هو فى أقصى الميمنة جانح على سية قوسه ينضنض بإصبعه نحو السماء ، فقال قتيبة : تلك الأصبع الفاردة أحب إلى من مائة ألف سيف شهير ، فلما فتح الله عليهم قال لمحمد : ماكنت تصنع ؟ قال : كنت آخذ لك بمجامع الطريق .

فالقائد المظفر ـ وهو من أعظم قواد الإسلام ـ لما هاله الأمر ، لما رأى من كثرة عدوه ، وقوة عتاده سأل عن رجل صالح يعتقد أنه مجاب الدعوة ، فلما علم أنه بين صفوف الجيش يرفع أصبعه إلى السماء ، ويدعوا الله بالنصر سره ذلك .

ولكن ينبغى أن ندرك حكمة هى من أجل حكم الله ، ذلك أن هذا الزاهد العابد لم يكن يدعو الله بالنصر ، وهو قابع فى بيته ، أو فى محرابه كما تفعل عجائز النساء ، وإنما كان

يدعو وهو فى ساحة القتال معه سلاحه وهو منحن على طرف قوسه .

كما أن القائد كان حسن الظن بالله ، قوى الثقة فى عونه ، خالص الإيمان بنفع الدعاء من المؤمنين الصالحين حتى ليفضل دعوة هذا الرجل الصالح على مائة ألف سيف .

وفى بعض مواقع الروم مع العرب انهزم جيش الروم ، فلما قدموا على (هرقل) دعا رجالا من عظماء قومه وسألهم ! ويحكم ، أخبرونى ماهؤلاء الذين تقاتلونهم ؟ أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلى . يعنى العرب . قال فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافا فى كل موطن . قال : ويلكم . فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا . فقال شيخ منهم : أنا أخبرك أيها الملك من أين تؤتون . قال : أخبرنى . قال : إذا حملنا عليهم صبروا ، وإذا حملوا علينا صدقوا ، ونحمل عليهم فنكذب ، ويحملون علينا فلا نصبر . قال . ويلكم . فما بالكم كما تصفون ، وهم كما تزعمون قال الشيخ : ما أراك إلا وقد علمت من أين هذا ؟ قال : من أين هو ؟ قال : لأن القوم يصومون بالنهار ، ويقومون بالليل ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ولا يظلمون أحدا ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزنى ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغضب ونظلم ، ونأمر بما يسخط الله ، وننهى عما يرضى الله ، ونفسد فى الأرض . قال صدقتنى .

ومن أجمع الرسائل التى نبهت إلى ضرورة اعتصام الجيش بالإيمان ما كتبه سيدنا عمر ابن الخطاب إلى سيدنا سعد بن أبى وقاص : (أما بعد . فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال . فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لهم بهم قوة . لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإذا استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا) .

وهى وصية جامعة من سيدنا عمر أجابت عن كثير مما يهجس فى النفوس ، ومن أهم ما فيها أنه لا ينبغى للمحاربين أن يتوهموا أن الله لن يسلط عليهم من هم شر منهم ، وأن الجيشين إذا تساويا فى البعد عن الله كان الفضل للقوة .

ومن أولى ثمرات الإيمان فى المعارك أن كل جندى من هؤلاء المحاربين مادام لا يبغى بقتاله إلا رضا الله ومحبته فإنه ينكر ذاته ، ويستوى عنده الموت والحياة ، بل ربما كان الاستشهاد أحب اليه

والأمثـــلة فى إنكار الذات لاتحصى بين جنود الإسـلام الذين خاضوا المعارك ضد أعداء الله ، ولعل من أروعها قصة (صاحب النقب) ، ذلك أنه لما حاصر مسلمة ابن عبد الملك بعض الحصون المنيعة فى بلاد (أرمنية) ندب النـاس إلى ينقبوا فيه نقبا ولـكنهم تباطئوا . فتقدم رجل من عرض الجيش ، وغامر بنفسه ،وأحدث فى الحصن نقبا فـكتب الله النصر للسلمين ثم إن مسلمه نادى فى الجيش : أين صاحب النقب ، فما جاءه أحـد ، فنادى : إنى قد أمرت الآذن أن يدخله ساعة يأتى ، فعزمت عليه إلا جاء فجاء رجـل فقال للحاجب : إستأذن لى على الأمـير ، فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه ، فأتى مسلمه فأخبره فأذن له . فقال الرجل للقائد : إن صاحب النقب يشترط عليـكم ثلاثا : ألا تسودوا اسمه فى صحيفة إلى الخليفة ، ولا تأمروا له بشى ، ولا تسألوه من هو .قال مسلمة: فذاك له قال : أنا هو ،فكان مسلمة بعد ذلك لا يصلى صـلاة إلا دعا الله ، قائلا : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

بهذه الروح العالية ، وبهذا التفانى فى ذات الله حارب أسلافنا فانتصروا ، على أعدائهم ولم تكن قوة العدد ،ولا كثرة العدد لترهبهم فإن الشعار الأسمى الذى كان يردده كل واحد منهم ما قاله الشاعر .

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

والقرآن الكريم يؤكد ، والمسلمون كلهم يؤمنون بهـذا كل الإيمـان : (وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

على العمارى

الاختبار لله وحـده

ظهر إبليس اللعين لعيسى بن مريم عليه السلام . قال : ألست تقول : إنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليـــك . قال نعم . قال : فارم بنفسك من ذروة هـذا الجبل فإنه إن يقـدر لك السـلامة تسلم . فقـال له : يا ملعون . إن لله أن يختبر عبـاده وليس للعبد أن يختبر ربه .

غزوة بدر الكبرى

بين القوة المادية والقوة الروحية

للأستاذ عبد الغفار الباز

١ — كانت غزوة بدر فى محيط العرب بداية فتح جديد.

وفى المحيط العالمى. أساسا لقاعدة رسا عليها بناء نهضة حديثة: أعجزت كل حضارات البشر - ولا تزال معجزة كل العصور. على اختلاف الأمم والشعوب !!.

يقول برنارد شو (١) « لقد كان دين محمد هو الدين الوحيد الذى له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة والذى يستطيع لذلك أن يجذب إليه كل جيل من الناس ».

وإذا أردنا أن نحلل غزوة المسلمين فى بدر لنضعها فى كفتى ميزان بين المادية والروحية ينبغى لنا أن ننظر إليها فى إطار يختلف تماما عن إطار غيرها من غزوات الفتوح التى شرعت لاستقلال الإنسان. ذلك ... لأن طبيعة الدعوة الجديدة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قادرة على هضم الحياة لتصوغها فى طابع جديد. يتضمن حماية حقوق الإنسان. ويكفل للبشرية السلام فيما بينها. على أساس من العدل والمحبة والرحمة؛ ودعوة هذه طبيعتها ... لا بد لها أن تصمد أمام عالم يتحكم فيه طغيان المادة الظالمة:

٢ — ففى مكة بين معاقل الشرك - التى تتنافى مع روح الدعوة الجديدة. يقف محمد ليرفض أن يساوم فى طبيعة دعوته ويعلنها صرخة مدوية تكون إيذانا لتحرير الإنسان من ربقة العبودية « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى ينصره الله أو أهلك دونه ». وبهذا الإيمان !! سارت حياة النبى وأصحابه فى المدينة. تدفعهم قوة الروح إلى التغلب على كل مصاعب الحياة، وأخذت دعوة النبى تسرى فى قلوب الحجيج لمكة وتنفذ أنباؤها إلى أقطار الأرض.

إذ ليس محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته (١) كالأنبياء السابقين محصورة دعوتهم فى قومهم أو كمبشرين مضيعين. أو كمصلحين تضيق عليهم أسباب الحياة ولم تشب دعوتهم ليجنوا ثمارها الطيبة، وإنما جاءت دعوته لتعيد

---

(١) « محمد رسول الله فى مرآة الفكر الأجنبى » د. عبد الفتاح شحاته.

(٢) « محمد رسول الحرية » للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى.

الكون شبابه، وتجدد للحياة آمالها فى مبادئ تصون السلام والعدل . وتنشر الإخاء والمساواة ؛ ولقد برهن المهاجرون بإيمانهم أن(١) سلطان المادة قوة مقهورة أمام سلطان الروح المشبعة بالإيمان الصادق ... حيث تركوا فى مكة - المال - والولد - والمتاع ؛ وهمهم أن يفروا بدينهم الجديد : وكانت المدينة هى نقطة الانطلاق التى تمكن منها المهاجرون والأنصار أن يواجهوا شرك الوثنية وغشم المادية المتحكمة . وجبروت القوى الطاغية :

ولقد كان هذا الحق الذى جاء به محمد وأيدته البراهين . وقامت عليه الأدلة !! لابد له من قوة الروح التى تستعذب فى سبيله الموت وتستهين الصعب - ولا بد له كذلك من القوة المادية(٢) التى تدفع العدو وتسترد منه الحق المسلوب فى مكة ، وقد غلبهم عليه ضلال الشرك وهمجيته الطاغية وهم عزل . إلا عن قوة الروح التى استهانت بكل عسير .

٣ - كان على المسلمين إذا أن ينتقلوا إلى مرحلة عملية تتسم بالجد ، بعد أن تعلموا الصبر على المكاره ، وكانت غزوة بدر الكبرى هى تلك الخطوة العملية التى تلت خطوة التجربة الروحية لتنقلهم إلى جماع الأمر كله - إمتزاج القوة الروحية التى عليها مدار الإيمان - بالقوة المادية التى تصون الحق وتدعمه . فتحرص عليه ، وتقوم حارساً له من هوس المادية الطاغية

كان حتما على المسلمين إذا أن يستعدوا لمعركة فاصلة ، تفرق بين الحق والباطل ، وقد بين الله عز وجل أن القتال لكل دين ضرورة اجتماعية وسياسية ، فذكر الله الغالب العزيز . أن جزاء النصر لإعلاء كلمته فى الأرض لم يسجل فى القرآن وحده ، بل بشرت به صحف الأنبياء من قبل « وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن » .

فاكتشف المسلمون بذلك ما برر لهم قتال قريش ، وكان من أهم هذه المبررات أسباب ثلاثة :

(أ) تعويض المسلمين عما افتقدوه فى مكة من مال وسلاح .

(ب) كما كان المقصود أيضا حربا اقتصادية - أى - ضرب حصار اقتصادى على قريش ، وهذا ما استعملته أوربا والغرب فى العصور الحديثة ، وثمت سبب ثالث .

(ج) كان عجما لعود المسلمين وتجربة لهم فى معارك الحربية ضد معاقل الشرك ومطامع المفسدين الطغاة .. تأهبا للدفاع عن الدعوة

---

(١) « تفسيرات فى القرآن الكريم ، والسيرة » للدكتور محمد أبو شهبة .

(٢) قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الآية :

المحمدية ، وكانت معركة بدر الكبرى هي الفاصلة في تاريخ هذه الدعوة لأنها فرقت بين الحق والباطل !!

ولهذا سمي يوم بدر بيوم الفرقان ، وهكذا كان لزاما على النبي صلى الله عليه وسلم . أن ينتقل بدعوته إلى مرحلة العمل الجدى . دفاعا عن الدعوة .. على تنوع وسائل الدفاع واختلاف المبررات ...

فلم تكن إرادة المسلمين إذا في الاستيلاء على قافلة تجارية أو مناصبة قريش القتال لمجرد قطع طريق . استيلاء على مال أو إغارة قبيلة على أخرى كما هو حال العرب في الجاهلية !!

وإنما كان وعدا من الله بنصر كلمته - كشأن كل دين . وكان للمسلمين وعدا بإحدى الطائفتين . . العير أو النفير !! أما وقد أفلت العير ، وقد نجا بها أبو سفيان جانب البحر ، فلم يبق للمسلمين إلا النفير « ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وكان بعض المسلمين قد حسب أن الخروج من المدينة طلبا للعير فقط . فليقعدوا إذا حيث لا حرب ، وخرج الرسول من المدينة بعد أن استعرض جيشه ورد من لم يحتمل الحرب المحتملة الوقوع .

٤ — كان أبو جهل قد بلغه تأهب المسلمين للعير فخرج في جيش من مكة قوامه « ما بين التسعمائة والألف » مقاتل ما بين فارس وراجل [1] :

وإذا كان أبو سفيان قد نجا بالعير - بعد - أن بعث إليه يهود المدينة [2] فما بال أبو جهل لم يرجع بجيشه إلى مكة ؟ .

إنها قوة المادية الغاشمة بجبروتها المستبد حفزت عمرو بن هشام هذا الملقب بأبي جهل - أن يصيح قائلا . . . « والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر فنقيم عليها ثلاثا تنحر الجزر ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا » .

وهكذا سار جيش الضلال تحت قيادة قوة السلطة المادية الطاغية متجسمة في أبي جهل والذين معه - ليقابل جيش الحق ممثلا في شخصية الرسول والذين اتبعوه تحت قيادة السلطة الروحية .

وكان الرسول قد سار بجيشه القليل العدد والعدة .. حتى بلغ واديا يقال له « ذفران » ، حيث علم الرسول بإفلات العير ومقدم قريش التي هتكت حرمة العدل ، واغتصبت حقوق الضعفاء . فصادرت أملاكهم بمكة ، واعتدت على الحريات فأهانت أحرارها : —

٥ — وفي وادي ذفران هذا . . استشار النبي أصحابه في ملاقاة العدو « أيها الناس إن

---

(١) « السيرة » للدكتور محمد أبو شهبة .

(٢) « محمد رسول الحرية » للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي .

الله وعدني إحدى الحسنيين ، إما العير وإما النفير !! .

لكن القوم قد خرجوا يطلبون العير فما بالهم يطالبون بالقتال ؟ وقد بقى بالمدينة من أعرضوا عن طلب العير وهم لم يعلموا جميعا أن الرسول سيواجه موقفا أشدما ظنوا فليطلب بعضهم الرجوع إذا لأنهم لم يستعدوا لقتال .. !!

لكن الرسول أخبرهم بإحدى الطائفتين ... وبرزت أصالة الإيمان تعبر عن وجودها في قول أحدهم :

« يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله مانقول لك كما قال بنوا إسرائيل لموسى ـ إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

وقام متكلم الأنصار مخاطبا النبي «لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك فامض لما أردت فنحن معك . فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك ماتخلف فينا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء . لعل الله يريك ما تقر به عينك فسر على بركة الله » .

عندئذ أشرق وجه النبي مسروراً وبشرهم بالنصر قائلا « سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ... والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم : في وادى زفران إذا بدأت معالم النصر — بعد تحرج !! — في موقفين مشرفين :

١ — الأول يتجلى : حيث استشار النبي أصحابه !! وهو من القلوب بمكانة القائد العظيم المطاع . لأن دعوة الإيمان التي جاءهم بها قد ملكت عليهم القلوب وأحكمت في نفوسهم زمام القوة الروحية التي لا تقهر .

٢ — والموقف الثانى : يتجلى في موقف المسلمين المشرف مع صاحبهم العظيم وتصديقهم لما وعده الله به ، وهو موقف تتجلى فيه عظمة الروح في قوة الإيمان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، حمل النبي أصحابه من وادى زفران حتى أتى أدنى ماء من قوم الشرك في بدر فنزل ثم غور ماوراء الآبار وبنى عليها حوضا إمتلأ بالماء فشرب جيش المسلمين ولم يشرب جيش المغتصبين لحقوق الإنسان .

وهكذا تعلم المسلمون الأوائل — بفطنة إيمانهم — فنون الحرب ، قبل أن تتعلمه جيوش العصور الحديثة في كلياتها العسكرية ، ومدارسها الفنية ، وهكذا عرف العرب خدعة الحروب ، فأجازها الإسلام في مواقف الحق فانتصر !!

وهذا سبب من أسباب النصر اخترعه

عقل القوة الروحية التى تلهم الصواب فى ميدان النضال بين صراع الحق والباطل

وسبب ثان يحدثنا فيه القرآن أيضاً فيقول العزيز الغالب « إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور » .

ويقول أيضاً : وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور » ، وهكذا تتعلق إرادة الله بالأسباب ، فإذا كل شىء يتجه إلى الحق فيدفعه ليدفع الباطل فيزهقه .

ولقد كانت معركة بدر هى الحد الفاصل فى ميدان الصراع بين الحق والباطل ... بين هداية الإيمان وضلال الشرك ، وكان منطق هذه الغزوة تدعيما لعوامل ثلاثة :

١ — القضاء على الوثنية والمذاهب التى انحدرت بالعقول إلى مدارك الحيوان الأعجم

٢ — ومحاولة إيجاد حكومة تدير أمور العرب فى وحدة منظمة فى القرب والبعد تتبسط فيها نظام الحياة على غير قواعد الهمجية والطيش

٣ — والعامل الثالث: وضع أسس منظمة عادلة بين الناس جميعاً تتمشى مفاهيمها(١) مع منطق الحياة البشرية حيث أرادها الله فى ظل السلام .

كان القتال إذاً ضرورة حتمية بين جيش القوة الروحية الذى ذهب يسترد بعض حقه المسلوب ليجعله وسيلة لإقامة دعائم الحق وتثبيته ـ وبين جيش المادة الطاغية الذى يتخذ من مادته وسيلة لاستعباد الإنسان وتشويه جمال الكون .

كان القتال هو الوعد الذى أعده الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حيث يكون لهم النصر فتعلو كلمة الله وتهبط كلمة الضلال ، وحيث يتعلم الناس فى منطق حياتهم ، أن الحق لا يقهره طغيان المادة مهما طال بها الأمد وأن « ما أخذ بالقوة . لا يرد بغير القوة » .

ولقد كان منطق الحياة فى تاريخ الدعوة الجديدة حتى معركة بدر يوحى دائماً بانتصار صاحب هذه الدعوة ، وكانت تلك المعركة الحاسمة هى ميزان الفصل بين قسمين :

١ — قسم الرسول لعمه فى مكة بين معاقل الشرك بأنه لا يترك أمر الدعوة حتى يظهره الله .

٢ — وقسم أبى جهل فى قوته الغاشمة : « أن لا يرجع حتى يرد بدرا وينحر الجزر ويشرب الخمر » ...

وهكذا فصلت معركة بدر بميزان الحق ، بين قوة الروح ، وقوة المادية الطاغية ؟

عبد الغفار الباز محمد الباز

---

(١) السيرة النبوية .

شهداؤنا في سبيل الحق والواجب

للدكتور عباس حلمي اسماعيل

حين قام المسلمون ينشرون دعوة الله جل وعلا ويحمونها ، لم يكن شأنهم فى هذا شأن المستعمرين الطامعين : فأولئك يعنيهم القتال فى سبيل إرضاء نزواتهم ، وسلب أقوات غيرهم ، وهم يتظاهرون بأنهم يعبرون عن آمال الشعوب وآلامها ، ويذودون عن حياض الأمم ، ويضربون على أيدى العابثين ، وينشدون مجتمعا سعيداً تقدميا يعمه العدل والرخاء ، وهم كما قال أبو العلاء :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

أما المجاهدون المؤمنون فقد اهتموا بنشر الدعوة الإسلامية ، لقيادة النفس والمجتمع ، والتمييز بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، وإذا كانوا حملوا على الأمم ، فلأجل حماية الدعوة من الصادين لدين الله سبحانه ، لا طغيانا على الشعوب الآمنة ، وإذا كانوا حملوا الرماح ، فما ذاك بخلا بالنفوس على القنا ، ولكن صدم الشر بالشر أحزم . وحالفهم النصر لأن عقيدتهم : احرص على الموت توهب لك الحياة ، وتعاليمهم العفو عند المقدرة ، والإخلاص للدين ، والتعفف ، مما جعل الفقير معدما ويتعفف ، والغنى موسراً ويتصدق ، والشره طامعا ويمسك ، والقوى قادراً ويحجم .

انتهت معركة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة (٦٢٤ م) بانهزام المسلمين حين خالفوا أوامر الرسول القائد ، ورأى الأعداء فى هذا الانهزام الوقتى فرصة للإيقاع بهم والقضاء على دعوتهم ، وقام المنافقون بدور هام فى توهين عزائم المسلمين . وفى غمرة الحزن والأسى على شهداء المعركة ، جاء رهط من بعض القبائل يعرضون على الرسول إسلامهم ، ويطلبون إليه أن يبعث معهم نفراً من أصحابه يفقهونهم فى الدين ، فأرسل معهم ستة من أعلام الصحابة البدريين ، وكان من بين هؤلاء الدعاة خبيب بن عدى . وفى الطريق غدر هذا الوفد المجرم بثلاثة من أصحابه المتقين ، أما هو وصاحباه فخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم ، واشترى حجر بن أبى إهاب التميمى خبيبا ليقتله بأبيه . وقضى خبيب فترة قليلة حبيسا فى أحد بيوت مكة ، ظهرت على يديه كرامات عجيبة ! كان يرى بين يديه فواكه مثل العنب يتناولها فى غير أوانها ، فتعجب زوجة حجر من هذا ، وتخبر زوجها فيدهش . .

ثم جاء دور خبيب لينضم إلى قافلة الشهداء ، فيسأل أبا سفيان أن يدعه يركع ركعتين قبل الموت ، فيجيبه إلى ذلك ، ويصطف خبيب فى صلاته ركعتين ويتمهما ويحسنهما ، ثم يقبل على القوم ويقول لهم : أما والله لولا أن تظنوا فى أنما طولت جزعا من الموت ، لاستكثرت من الصلاة . فلما أوثقوه قال : اللهم إننا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا . ثم قال بعد أن تلقى ضربة سيف : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا . وفى هذه اللحظة هاجت ريح عاتية . فهرب حكيم بن حزام ، وانهزم مطعم بن جبير ، خوفا من أن تصيبه دعوة خبيب . وعانق خبيب الشهادة بعد أن أنشد :

إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى
وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى
وقد خيرونى الكفر والموت دونه
وقد هملت عيناى من غير مجزعى
ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى
فلست بمبد للعدو تخشعا
ولا جزعا إنى إلى الله مرجعى

ثم تجلت البطولة العربية الإسلامية فى غزوة مؤتة ، وسببها أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنفذ إلى هرقل ملك الروم ، يدعوه فيه إلى الإسلام ، فقتله أحد عمال هرقل ، فكان ذلك شديداً على رسول الله ، وبعث بحملة من المسلمين عدتها ثلاثة آلاف مقاتل ، ليؤدب الروم على قتل رسوله . وقد أمر على هذه الحملة زيد بن حارثة ، فإن قتل جعفر بن أبى طالب ، فإن قتل فعبد الله ابن رواحة ، فخرج جيش المسلمين بقيادة زيد ابن حارثة من المدينة ، وسار حتى مؤتة ببلاد الشام . ولما علم الروم بقدوم جيش المسلمين استعدوا للقائه بمائتى ألف مقاتل . والتقى الجيشان ، وكان زيد بن حارثة يحمل راية الرسول ، فاندفع بها نحو الأعداء ، ووراءه الجيش كله ، وظل يقاتل حتى قتل .

فتناول جعفر بن أبى طالب الراية ، وتصدر للقيادة وقاتل ، حتى إذا أحاط به العدو من كل جانب ، نزل عن جواده ، وعقره حتى لا يغنمه العدو ، ثم اندفع وسط جند الروم ، يهوى بسيفه على رءوسهم ، ويقتل منهم ، حتى قطعت يمينه ، فحمل الراية بشماله وثبت حتى قطعت هى الأخرى ، فاحتضن راية الرسول بعضديه ، وظل فى الميدان حتى استشهد . فأخذ الراية من بعده عبد الله ابن رواحة ، وانبرى يقاتل حتى قتل ، ولما استشهد القواد الثلاثة تلفت المسلمون حولهم يبحثون عن القائد الذى يجمع شملهم ، وينجيهم من عدوهم ، فلم يجدوا أصلح من

خالد بن الوليد ، فاتفقوا على أن يتولى قيادة الجيش ، فأخذ خالد الراية ، وأظهر فى هذا الوقت العصيب من المهارة الحربية ، ما ظل مضرب الأمثال . وكم تمنى خالد أن يعانق الشهادة ، لكن لم يتحقق أمله ، وقال وهو يجود بآخر أنفاسه : « لقد طلبت القتل فى مظانه ، فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى - ولقيت الزحف ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، أو طعنة برمح ، وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى ، كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

وثمة شهيد آخر هو عبد الله بن الزبير ، الذى كان لمولده بالمدينة المنورة فرح عظيم، وذلك لأن اليهود كانوا قد أشاعوا ، أنهم صنعوا سحرا للذين هاجروا مع الرسول ، حتى لا يولد لهم بالمدينة أولاد . أبوه الزبير بن العوام حوارى الرسول ، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت الصديق . نشأ ابن الزبير بالمدينة ، فى ظلال الثورة الإسلامية المباركة التى تدعو إلى توحيد الله وإقامة العدل ورأى فى صباه الأبطال رائحين غادين ، مهللين مكبرين بانتصاراتهم ، وسمع من أبيه ما كان يحفظه من القرآن المجيد ، ومن حديث الرسول الكريم ، فتشبع بالمبادىء الإسلامية منذ نعومة أظفاره .

وبعد أن تعلم الفروسية وقويت ساعداه ، اشترك فى الفتوحات العربية الإسلامية ، على عهد عثمان بن عفان ، فتمكن من أن يفتح الجزء الباقى من شمال إفريقية الممتد بين طرابلس وطنجة ، بعد أن قتل الملك البيزنطى جريجورى ، المعروف لدى العرب باسم جرجير . وكان هذا الفتح خيرا وبركة على أهل شمال إفريقية ، فقد رفع الإسلام عنهم المظالم الرومانية ، وأصبحوا بنعمة الله متحابين ، بعد أن عاشوا طبقات متنافرة .

وشهد عبد الله بن الزبير الصراع بين على ومعاوية ، ثم انتقال الحكم من الراشدين إلى الأمويين ، وعندئذ ساءه استبداد بعض حكامهم . وكان شجاعا فى الحق ، لا يخشى فيه لومة لائم ، فطلب من معاوية أن يرد على المهاجرين والأنصار فيئهم ، ويحفظ وصية رسول الله فيهم : تقبل من محسنهم ، وتتجاوز عن مسيئهم . وعندما رأى استبداد مروان والى المدينة ذهب إلى معاوية وقال : « ياأمير المؤمنين ، لا تدعن مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه ، ويضرب صفاتهم بمعوله ، أما والله لولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشة وأقل فى أنفسنا من خشاشة » . وقصد ابن الزبير أن يمنع معاوية رجله مروان من أن يرمى قريش بحديدة الرمح ، ويضرب صخورهم بفأسه ، فإنه لولا معاوية لكان أقل من حشرة من حشرات الأرض .

وصبر ابن الزبير ، ثم انتهز فرصة قتل الحسين حفيد الرسول ، فاستمال القلوب إليه ، وجمع حوله كثيرا من الأنصار ، وأعلن خروجه عن طاعة يزيد العابث ، وإعلان نفسه خليفة فبايعه أهل مكة لما عرفوه عن زهده ، وشجاعته وتدينه ، وكما وصفه ابن عباس حين سئل عنه قال : «كان قارئا لكتاب الله ، متبعا لسنة نبيه ، وأمه بنت الصديق ، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله زوجة رسول الله ، فلا يجهل حقه إلا ما أعماه الله » غير أن يزيد أقسم أن يحضره إلى مجلسه مكبلا بالسلاسل ، لكن لما عرف أن ذلك مستحيل لمكانة ابن الزبير، أراد أن يحتال عليه ، فأرسل سلسلة من فضة ليربط ابن الزبير فيها ، ومعها ثوب من حرير يغطيها حتى لا يراه الناس مسلسلا ، وذلك ليبر بقسمه ، لكن ابن الزبير أبى ودارت المعارك بين أنصاره وأنصار بنى أمية ، مات فى أثنائها يزيد سنة ٦٤ هـ (٦٨٤ م) ولم تدم خلافة ابنه معاوية الثانى إلا أربعين يوما ، فاستتب الأمر لابن الزبير وبايعه أهل الحجاز والعراق ، وبقيت الشام خارجة عن طاعته ، ولا سيما بعد أن رحل إليها بقايا الأمويين ، وعلى رأسهم مروان ابن الحكم الذى بايعه أهل الشام خليفة عليهم، دون ابن الزبير .

ظل عبدالله بن الزبير خليفة بالمدينة حوالى تسع سنوات ، التزم فيها بحسن السيرة ، وأشاع العدالة بين الناس ، ورد الحقوق إلى أهلها ، وأعاد بناء الكعبة على الأوصاف التى كان سمعها من الرسول ثم بلغه مقتل أخيه مصعب ، فخطب الناس وقال : (الحمد لله ، ملك الدنيا والآخرة ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير . ألا إنه لن يذل من كان الحق معه ، ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه . إنه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا : قتل مصعب . فأما الذى أحزننا من ذلك ، فإن لفراق الحميم لذعة ، يجدها حميمه عند المصاب ، ثم يرعوى من بعد ذلك إلى كريم الصبر وجميل العزاء . وأما الذى أفرحنا ، فإن القتل له شهادة ، ويجعل الله له ولنا فى ذلك الخير .

وتتجلى بطولة ابن الزبير ، وشجاعة أمه أسماء ، فى ذلك الحوار الذى دار بينهما ، عندما اشتد عليه الحصار بمكة بجند الحجاج وأيقن أنه لا محالة من الهالكين . ذهب إلى أمه يهتدى بمشورتها فى الموقف الضنك ، وقد تخلى عنه كثير ممن كانوا معه فقال : يا أمه ، خذلنى الناس . وخصومى يعطوننى ما أريد من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت أنت والله يا بنى أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، وإليه تدعو ، فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك

ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بنى أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا، فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ، وأهلكت من كان معك ، وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ، ولا أهل الدين . والله لضربة بالسيف فى عز أحب إلى من ضربة بسوط فى ذل . قال : إنى أخاف إن قتلونى أن يمثلوا بى . فقالت يا بنى ، إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها .

وهنا دنا من أمه وقبل رأسها وقال : هذا والله رأيى، والذى قمت به داعيا إلى يومى هذا ما ركنت إلى دنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعانى إلى الخروج إلا الغضب لله ، أن تستحل حرمه ، ولكننى أردت أن أعلم رأيك، فزدتنى بصيرة إلى بصيرتى ، وانظرى إنى مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسلمى لأمر الله ، فإن ابنك لم يتعمد باتيان منكر، ولا عملا بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان . ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم من عمالى فرضيت به بل أنكرته . فقالت : إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا، إن تقدمتنى وإن تقدمتك ، فنى نفسى حرج حتى أنظر إلام يصير أمرك . قال : يا أمه ، لا تدعى الدعاء قبل وبعد ، فقالت : لا أدعه أبدا ، اللهم أرحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى ، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين .

مضى عبد الله بعد ذلك الحوار ، وهو ما يشك فى قتله ، لكنه جالد المعتدين حتى أحاطوا به ، وفى المعركة الأخيرة قال لأصحابه يا آل الزبير ، لا يرعكم وقع السيوف، فإنى لم أحضر موطنا قط إلا ارتثثت فيه من القتل وما أجد من ألم جراحها أشد مما أجد من ألم حرها، صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم . فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل ... ولا يلهينكم السؤال عنى ، ألا من كان سائلا عنى فإنى فى الرعيل الأول . احملوا على بركة الله . ثم أصابه سهم ، فحمل مقتولا سنة ٧٣ ﻫ (٦٩٢م) فى سبيل الحق والواجب.

عباس حلمى إسماعيل

نفحات القرآن

تكليف الله لرسوله قد يكون تكريما وتعزيزا

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(ا) « وأقم الصلاة طرفى النهار ، وزلفا من الليل ...

(ب) « إن الحسنات يذهبن السيئات . ذلك ذكرى للذاكرين

١١٤ - هود

١ - حينما نقرأ آية من آيات الأمر ، أو النهى - كالتى معنا - يسبق إلى بعض الأذهان : أن الرسول صلى الله عليه وسلم فى مستوى الناس : كما يناط به التكليف يناط به الحساب ، والجزاء ... كما هو الشأن بالنسبة لغيره .

والذى نعلمه فى غير شطط : أن التكليف مقصد عام ، يشذ عنه رسول ، ولا غير رسول .

• • •

ولكن هناك ملحظا لا يفوتنا - وهو : أن الرسول - مع كونه مأمورا بما أمرت به أمته - له وضع كريم فوق المستوى العام .

إذ هو فى دنياه معصوم عن المخالفة ، وهو دائما على الجادة الرشيدة : فلا تزل قدمه إلى ضلالة ولا يحوم حول معصية .

وعلى هذا لا يعلق به حساب فى الآخرة كما نحاسب نحن بل تقف أمته بين يدى الله موقف الشاهد على الأمم كلها . بما أخبرها به نبيها ويكون موقفه هو موقف الشاهد على أمته . فيما أطاعت ، أو خالفت ، وفيما أجلبت على نفسها من مسئوليات . أو تنحت عن عن المآثم : طوعا لأمر الله .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » آية - ١٤٣ بقرة .

ومفهوم أن موقف الشاهد يسمو كثيرا عن موقف المشهود .

فإذا كان لأمة محمد فضل الشهادة على الأمم فمنزلته صلى الله عليه وسلم ، أعلى منازل الخلق جميعا - ولا جرم .

بل له مقام آخر من هذا القبيل - والفضل عند الله درجات ، وهو مقام الشفاعة العظمى فيمن يشاء الله .

ذلك المقام الذى يتهيبه الأنبياء كثيرا ، ولا يقدم عليه أحد إلا فى حدود دون شفاعة محمد . . الخ .

٢ - والذى نهدف إليه من هذا الاستطراد : أن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم ، لا يكون فى الموقف الآخر كواحد من الخلق ، بل له عند الله درجة رفيعة وله المقام المقام المحمود الذى وعده الله به فى قوله تعالى « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمود آية - ٧٩ - سورة الاسراء .

* * *

ونضيف إلى ذلك : أن الرسل ، والأنبياء جميعا بنجوة من المسئولية الحسابية .

ولهم الحظوة الكاملة عند الله سبحانه - حتى لا يلاحقهم فزع ، ولا يساورهم شىء من أهوال الآخرة « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى : أولئك عنها - النار - مبعدون ، لا يسمعون حسيسها ، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة : هذا يومكم الذى كنتم توعدون » آية ، ١٠١ - ١٠٣ سورة الأنبياء .

* * *

وإزاء هذه المكارم الموعودة . والحظوات المقدورة . يكون تكليف النبى محمد بما يكلفه الله تكريما له ، وتعزيزا لمقامه ، ووسيلة شاء الله أن يجعلها مقدمة لما أعدالله له من أرفع الدرجات ؟

* * *

وقد اشتبه على بعض الصحابة - يوما - ما رأوه من ضراعة النبى إلى ربه وخشيته من العاقبة ، فقالوا له : كيف تخشى يارسول وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ، وما تأخر ؟ يعنى لو كانت لك ذنوب سابقة ، أو لاحقة فهى مغفورة لك كلها ؟ ؟

فقال صلى عليه وسلم : « أفلا أكون عبدا شكورا ؟ ؟ » أو ما هو مرادف لذلك القول فهذا صريح فى أن النبى كان مطمئنا إلى وعد الله له . . ولكنه يؤدى واجب العبودية ، فهو يخشى الله تعظيما لسلطانه ، وتقديرا

لربوبيته ، ويعبده : شكرا على أفضاله الكثيرة .

فإذا نظرنا إلى الآية التي بدأنا بها موضوعنا وما فيها من تكليف بأداء الصلوات في طرفي النهار . وفي زلف من الليل : وجدناها توجيها إلى ما يزيد من شأن النبي ، ويرفع من درجاته ومن القدوة به .

وذلك هو المنهج الرباني الذي أشاد به النبي صلوات الله عليه في قوله — أدبني ربي فأحسن تأديبي —

٣ — ثم : ما المراد من طرفي النهار ، وزلف الليل ؟

تحدث العلماء كثيرا في ذلك : فذكر بعضهم أن الصبح هو الطرف الأول للنهار . وأن الظهر والعصر هما الطرف الآخر . ورأى البعض أن العصر وحده هو الطرف الثاني الخ والذي اخترناه من الآراء المتشعبة أن الصبح والعصر هما الطرفان : وأما الزلف من الليل فهي وقت المغرب ، والعشاء ...

فأين صلاة الظهر ؟ أجابوا عن ذلك بأنها داخلة بين الطرفين : الصبح والعصر ...

وعلى هذا تكون الآية شاملة للفرائض الخمس .

وأما بقية الصلوات : كالجمعة ، والعيدين ، والنوافل المتنوعة فيعرف شأنها من أدلة أخرى في الكتاب ، والسنة على ما هو مذكور في كتب الفروع .

ونحن نجد في القرآن آية أخرى تؤيد ما تقدم في المطالبة بإقامة الصلاة في أوقاتها .

وهي قوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل . . وقرآن الفجر » آية ٧٨ من سورة الإسراء : فالمعنى : حافظوا على إقامة الصلاة من وقت - دلوك الشمس - وزوالها ظهرا - إلى شدة ظلام الليل .

وهذه فترة تتناول الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ... ثم ذكر صلاة الصبح بقوله تعالى « وقرآن الفجر » وحث عليها بصفة ترغب فيها كثيرا ... لأنها تصادف وقت الاستغراق في النوم ... فسماها قرآن الفجر ، وقال « إن قرآن الفجر كان مشهودا يعني : تحضره الملائكة ، وتشهد للمصلي شهادة تقررها ملائكة الليل ، لأنها في آخره وتشهده ملائكة النهار ، لأنها في أوله ... فوقتها ملتقى الملائكة الموكلين بالأعمال .

° ° °

٤ — وخلاصة ما نستشفه من هذا الذكر الحكيم أن القرآن يقف من الناس جميعا موقف الإلزام بإقامة الصلاة في أوقاتها المحدودة وعلى أتم وجوهها « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

٥ — وبعد هذا ننتقل إلى بقية الآية - « إن الحسنات يذهبن السيئات » وهذه الجملة تعقيب على ما سلف من المطالبة بإقامة الصلاة وهو تعقيب ينزل في القلب منزلة البشرى بأن الإنسان إذا كان كاسبا للحسنات

بصلاته ، أو بغيرها من طاعاته : فإن ثوابه لا يكون بمجرد الأجر على ماقام به .

بل تكون حسناته ماحية لسيئاته التى اجترحها فهنا كسب من ناحيتين .

إحداهما تطهيره من السيئات، فلا عقاب عليه.

والثانية ـ فوزه بالأجر ، وظفره بمقعده فى الجنة كما لو لم يكن أساء فى شىء من عمله .

فإن يكن عدل الله مقتضيا لمجازاة المحسن على إحسانه بقدر مايستحق .

ومقتضيا لمجازاة المسىء على ما أساء بقدر ما يستحق . فإن فضل الله على المؤمن يتسع حتى يتجاوز دائرة العدل إلى دائرة الإحسان، والإحسان فوق العدل .

وكثيرا مايقرر القرآن أن الله يجزى على الحسنة بعشر أمثالها . وأنه يجزى على السيئة بما يعادلها فقط « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها .

بل يؤكد القرآن أن الله قد يمنح عبده من الثواب إلى سبعمائة ضعف . أو إلى « أكثر من هذا دون تحديد « والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم » آية ـ ٢٦١ بقرة

والعبد حينما يظفر بثوابه على عمل صالح عمله يكون حظه ميمونا .

فكيف إذا كان ثوابه مضاعفا إلى عشرة أمثاله أو إلى أكثر من عشرة أمثاله ؟

ثم كيف إذا كانت حسناته ماحية لجميع سيئاته » ؟

إن هذا الفيض الذى يغمر المسلم المطيع لدعوة ربه ليرغب الإنسان الواعى فى المزيد من عمله الطيب ليكون راجيا ، وطامعا فى المزيد من رحمة الله .

وإن الله تعالى يحدثنا أن رحمته وسعت كل شىء . وأنه سيجعل هذه السعة محرمة على الكافرين ، وأنه سيكتبها للمؤمنين .

« ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون » . آية ـ ١٥٦ ـ أعراف

إن الله تعالى فتح أمام عباده طريق الأمل فسيحا ، لإدراك هذه الغايات .

وفى هذا الترغيب كثرت أحاديث الرسول تكشف لنا ما خفى علينا . وتبدد من طريقنا ظلمات اليأس ، وتقرب إلينا ما نستبعده ، أو نستعظمه على أنفسنا من الأمل فى الله « لا تقنطوا من رحمة الله » .

وبذلك يتقرر فى نفس المؤمن أنه على قرب ربه ، فكلما دعاه أجابه ، وكلما أطاعه زاده هداية . « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون» ١٨٦ ـ بقرة .

٦ ـ جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه عمل سيئة ثم ندم عليها، فماذا يكون جزاؤه على سيئته بعد ذلك ؟

فانتظر النبى فى جوابه حتى نزل عليه الوحى.

بأن توبة هذا الرجل كفرت ذنوبه فبشر بها صاحبه .

وهل الحسنات تكفر جميع الذنوب ، كما يستفاد من ظاهر الآية « إن الحسنات يذهبن السيئات » ؟

يرى بعض العلماء ذلك ولا حرج على فضل الله.

وأكثر المحققين منهم يحمل هذا الظاهر على الذنوب الصغيرة ، كالنظرة إلى الأجنبية من غير مداومة عليها ، وكثرة المزاح بلغو الحديث وتتبع سير الناس من غير إفحاش فى القول .

وأما كبائر الذنوب فلا يكفرها غير التوبة عنها ، وبالندم على ما سلف منها ، وعدم العودة إليها .

والكبائر هى كترك الصلاة . وأكل الربا ، وإحداث الفتن بين الناس بالإيقاع والدس ، وترويج الإشاعات السيئة ، وتثبيط المجاهدين إلخ

وقصارى الحديث الذى توسع فيه المفسرون ـ أحسن الله إليهم ـ : أن الطاعة تكفر الصغائر وهذا إجماع . وأن الكبائر تكفرها التوبة الصادقة وهذا إجماع كذلك .

وهناك وجه ثالث : هل اجتناب الكبائر وحدها يكفر الصغائر ؟

يرى بعضهم ذلك ، لقوله تعالى « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه : نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلا كريما » آية ـ ٣١ ـ نساء .

والبعض يقول إذا اجتنب المرء فعل الكبائر ، ولم يقلع عن الصغائر واستدام على فعلها فإنه يعاقب عليها لأنه مصر عليها ، والإصرار يعطيها حكم الكبيرة .

وقد ورد فى الحديث النبوى لا كبيرة مع الاستغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار فاجتناب الكبائر لا يغفر إلا القليل .

٧ ـ ثم فى التوجيه إلى مداومة الصلاة وتذكيرنا بما فيها من خير كثير إحياء القلوب وإيقاظ للمشاعر ، واستمساك بحبل الله ، واعتصام بحمايته ، وقهر لأعدائه .

وحينما نجد الناس فى انصراف عن هذه التوجيهات ، واستهانة بالعواقب ، وانحدار وراء التقاليد المرذولة كما يشيع بيننا ذلك الإسفاف ، فإن الجزاء دائما يكون من جنس العمل ولا يمكن أن يستقيم الظل والعود أعوج .

والأمر كله بحاجة إلى ضمير واستحضار خشية الله . ولو رويدا رويدا . فإن إصلاح النفس يكون بالتعود ، والاستعانة بالله على الشيطان ، والصبر على معالجة الآفات الخلقية والنزعات المنحرفة .

وفى ظلال ذلك التهذيب تنهض الجماعة ، ويتاح للزعامات ، ولقادة الأمة أن يقوموا بالأعباء ، ويؤدوا رسالاتهم فى نجاح .

وقد ختم الله ـ سبحانه ـ آية الصلاة التى معنا بما يتضمن ذلك التعليق فقال : « ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

عبد اللطيف السبكى

رسم المصحف العثماني في ضوء الدراسة والبحث

للدكتور عبد العال سالم مكرم

قبل أن أتحدث عن رسم المصحف أحب أن أبين في إيجاز « موضوع الكتابة العربية » :

هل كان العرب في جاهليتهم وصدر الإسلام يجيدون الكتابة ؟ وإذا كانوا كذلك فهل كانت الكتابة أمراً شائعاً بينهم ؟ وهل وصلوا فيها إلى درجة الإتقان ؟ .

وللإجابة عن هذه الأسئلة أقرر أن الكتابة العربية كانت معهودة أيام الجاهلية بمكة . جاء في مجلة « المشرق » ما نصه : « من الفصول المفيدة التي اطلعنا عليها في أحد الكتب المخطوطة التي لقيناها في مدينة « ستراسبورغ » فصل نقلناه من الجزء الثاني من كتاب « الخبر عن البشر » تأليف الإمام المقريزي جمع فيه الكاتب فوائد عن حال الكتابة عند العرب في أول الإسلام وقد جاء فيه :

إن الكتابة كانت أيام الجاهلية بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة كان أول من علم بها الكتابة من المسلمين عبد الله بن سعيد بن أمية أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلم الكتابة بالمدينة ، وكان كاتباً محسناً ... ثم كان ممن أسر ببدر ، ولا مال له ، فقبل منه أن يعلم عشرة من غلمان الأنصار الكتابة ، ويخلي سبيله ، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الأنصار . ثم قال المقريزي : « وكان أول الخطوط العربية الخط المكي ، وبعده الخط المدني . ثم الخط البصري . ثم الخط الكوفي [1] » .

فالكتابة إذاً كانت معروفة في الجاهلية ، ولما جاء الإسلام زاد انتشارها ، وبخاصة في المدينة بعد موقعة غزوة بدر حيث عرض على الأسرى الكاتبين إطلاق سراحهم إذا علم كل منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .

ويرى المرحوم الدكتور « منصور فهمي » أن المدينة تقدمت على مكة في الكتابة ، وأنها أسبق منها في هذا المجال ، يقول : أما المدينة فجاء في السير ما يفيد أن النبي عليه السلام حين دخلها مهاجراً وجد فيها يهوديا يعلم الصبيان ، وكان فيها جماعة من الرجال يكتبون منهم سعيد بن زرارة ،

---

(١) مجلة المشرق ـ السنة العاشرة ص٤٧٨ .

والمنذر بن عمرو ، وأبى بن كعب ، وزيد ابن ثابت وغيرهم ، ومن هذا يبدو أن المدينة تقدمت على مكة فى الكتابة [1] » .

والذى أميل إليه أن مكة هى التى تقدمت على المدينـــة فى الكتابة لأسباب أجملها فيما يأتى : ـــ

١ ـــ مكة كانت حلقة اتصال بين أجزاء الجزيرة العربية وغيرها من البلاد المجاورة . وبهذا الموقع كانت تفيد من معارف القادمين عليها .

٢ ـــ أهل مكة كانت رحلاتهم الصيفية إلى الشام ، والشتائية إلى اليمن لا تنقطع ، واليمن مهد الحضارة العربية فى الجزيرة ، والشـام موطن « الفينيقيين » الذين حولوا الكتابة التى كانت تقوم على الأشكال والصور إلى حروف هجائية سميت بالخط الآرامى .

٣ ـــ فى مكة كانت تقام الأسواق التى يؤمها العرب من كل ناحية ، والتجارة فى غالب أحوالها تقوم على الكتابة .

٤ ـــ لو كانت المدينة تنتشر بها الكتابة حينما دخلها النبى عليه السلام لم تكن هناك حاجة إلى فداء الأسرى الكاتبين بتعليم كل فرد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ، لأن الإسلام فى هذا الوقت كان فى حاجة إلى المال الذى يقوى الشوكة ويعوض المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأرضهم فى مكة .

أقول : إن الرسول عليه السلام رأى أن المدينة ستكون قاعدة الإسلام التى يزحف منها على أرجاء المعمورة ، فأراد أن يحمى هذا القرآن ويصونه ، فجعل نشر الكتابة أهم فداء يخدم الفكرة الإسلامية التى تحيا بين دفتى القرآن الكريم .

ما المراد بالرسم ؟ .

يقصد بالرسم رسم الحروف الهجائية التى تدل على الكلام ، وتبين معناه .

ومن المعروف أن رسم الكتابة فى القرآن الكريم كان غاية ما وصل إليه فن الرسم الإملائى فى هذا العهد العثمانى ، وسجل القرآن الكريم بهـذا الرسم ، وأطلق عليه الرسم العثمانى ، ولا زال هـذا الرسم سنة متبعة فى مصاحفنا لا تخضع للتغيير أو التبديل ، ومن ثم قال السيوطى :

« قال أشهب : سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتبة الأولى [1] » .

ومعنى ذلك أن رسم القرآن الكريم الذى كتب به زيد بن ثابت فى عهد عثمان ـ رضى الله عنه ـ المصحف الإمام توقيفى ، فقد نسبوا

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق المجلد ٣١ ج ١ ص ١٠٨ .

(١) الإتقان للسيوطى ج ٢ ص ١٦٧ .

إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية أحد كتبة الوحي : الق الدواة ، وحرف القلم ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن وجود الرحيم ، وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك (١) » .

والحق الذي يقال في هـذا المجال : أن الاعتراف بأن رسم المصحف توقيفي اعتماداً على هذا النص أمر يحتاج إلى بحث .

وحتى لو صح هذا الحديث ، فإنه لا يدل على أن الرسم توقيفي ، فما الصلة بين الرسم وبين تحريف القلم ، أو مد الرحمن ، وتجويد الرحيم ؟ .

أغلب الظن أن النبي عليه السلام أراد من الكاتب التأني في الكتابة ليحسن رسمه وتجود حروفه ، وتحسين الرسم غير الرسم ومن ثم قال : لا تعور الميم ، وجود الرحيم إلخ ولا أدل على ذلك من أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ حينما كتب المصحف وضع للثلاثة القرشيين القاعدة العامة التي على أساسها يكتبون « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسـان قريش ، فإنما نزل بلسانهم (٢) » .

من هذا يتبين أن الرسم العثماني الذي سار عليه عثمان ، أو بمعنى آخر سار عليه الكتبة في المصحف العثماني اصطلاحي يسير على قواعد الكتابة التي كانوا يكتبون بها .

ولما اتخذ المصحف هذا الرسم شعاراً له أصبح وقفاً عليه ، وسنة متبعة لا تخالف ولذلك حكمة ، فإن رسوم الهجاء تتغير جرياً على سنة التطور ، وتختلف في تغيرها من زمن إلى زمن ، بل من شعب إلى شعب ، فصيانة لكتاب الله من عبث العابثين ، وإغلاقاً لباب التغيير فيه ، وإحداث ما ليس منه أصبح هذا الرسم العثماني مقدساً لا يمس .

ولذلك قال الإمام أحمد : « يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك (١) » :

وقال البيهقي في شعب الإيمان : « من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علماً منا وأصدق قلباً ولساناً ، وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم (٢) » .

والتزام الرسم العثماني ومخالفته في كثير من الأحيان للرسم الإملائي المستحدث يبرز

---

(١) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ١٠٥ .

(٢) الإتقان جـ ١ ص ٥٩ .

(١) مفتاح السعادة بطاش كبرى زاده جـ ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

لنا مشكلة فحواها أن التزام الرسم العثمانى يحول بين المتعلمين، وبين حفظ القرآن الكريم لأن رسمه يخالف الرسم الذى تعودوا، والقواعد الإملائية التى يكتبون بها فى شتى مجالات المعرفة ولكن هذه المشكلة لم يقف أمامها علماء الإسلام مكتوفى الأيدى، فقد ذللوا صعوبة الرسم العثمانى بل جعلوه فناً يدرس، وتؤلف فيه الكتب التى تبين مسالكه، وتوضح طريقه.

فصاحب «مفتاح السعادة» يبين فى كتابه حدود هذا العلم وموضوعه وغايته فيقول :

«موضوعه : رسم خط المصحف من الحذف والزيادة، والهمز، والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان فكتب على أحدهما.

وغايته : حفظ المصاحف الكريمة من مخالفة المصحف الإمام [(١)] ».

ولم ينس أن يبين لنا الكتب التى صنفت فى هذا العلم فيقول : وصنف فى هذا الفن أبو عمرو الدانى «المقنع»، وأبو العباس المراكشى «عنوان الدليل فى رسوم خط التنزيل»، والقصيدة الرائية المرسومة «بالعقيلة» للشيخ الشاطبى [(٢)] ».

(١) مفتاح السعادة بطاش كبرى زاده جـ ٢ ص ٢٢٥.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

صور من اختلاف الرسم العثمانى عن الرسم الإملائى :

ذكر ابن قتيبة فى كتابه «تأويل مشكل القرآن» أن الرسم العثمانى اختلف عن الرسم الإملائى فى عدة صور :

فألف التثنية تحذف فى هجاء هذا المصحف فى كل مكان مثل : «قال رجلن» فى قال رجلان، وكتب كتاب المصاحف : الصلوة، والزكوة، والحيوة بالواو، ونحن لا نكتب الصلاة والقناة إلا بالألف، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه.

وكتبوا «الربو» بالواو.

وكتبوا «أولا أذبحنه» بزيادة ألف، وكذلك «ولا أوضعوا خلالكم» بزيادة ألف بعد لام الألف. ثم قال ابن قتيبة : وهذا أكثر فى المصحف من أن نستقصيه [(١)] ».

على أن الرسم العثمانى لم يسر على قواعد مطردة فكثير من الكلمات القرآنية رسمت فى موضع برسم خاص، وفى موضع آخر برسم مخالف وذلك مثل كلمة «لدا» فعن خلف قال : سمعت الكسائى يقول «لدا الباب» كتبت فى يوسف بألف.

قال أبو عمرو : واتفقت المصاحف على ذلك واختلفت فى «لدى الحناجر» فى سورة

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤١.

« المؤمن » فرسمت فى بعضها باليـــاء ، وفى بعضها بالألف ، وأكثرها على الياء [١] » .

وحاول المفسرون وضع حل لهذا الإشكال فقالوا : معنى الذى فى « يوسف » « عند » والذى فى « غافر » « فى » فلذلك فرق بينهما فى الـكتابة [٢] » .

وأدلى النحويون برأيهم فى هـذا الإشكال فقالوا : « المرسوم بالألف على اللفظ ، والمرسوم بالياء لانقلاب الألف ياء مع الإضافة إلى المكنى ، كما رسم علىّ ، وإلىّ كذلك [٣] » .

على أية حال كانت : إن الرسم العثمانى له نهجه الخاص ، وطريقته المنفردة ، وسواء أكان خاضعاً لقواعد معينة . أم خارجا عنها فى بعض المواضع فهو سنة متبعة ، وبذلك وضع الأمر فى نصابه ، فأى محاولة تجديدية للخروج بهـذا الرسم عن تقليده المعروف محاولة مردودة .

وقد بين الزمخشرى هـذا المعنى إذ يقول فى قوله تعالى « وقالوا مال هـذا الرسول » (وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن هذا) خارجة عن أوضاع الخط العربى . وخط المصحف سنة لا تغير [١] » .

وقبل أن ننهى الحديث فى هـذا الموضع أحب أن أشير إلى فتوى « لجنة الفتوى » بالأزهر الشريف بشأن اقتراح كتابة القرآن على قواعد الرسم المعتاد المتبع الآن فقد رفضت اللجنة كتابة المصحف بالرسم الإملائى المتبع الآن ، وردت على أبى بكر الباقلانى بمـا نصه :

« أما ما يراه أبو بكر الباقلانى ، من أن الرسم العثمانى لا يلزم أن يتبع فى كتابة المصحف فهو رأى ضعيف لأن الأئمة فى جميع العصور المختلفة ـ درجوا فى التزامه فى كتابة المصحف ولأن سد الذرائع أصل من أصول الشريعة الإسلامية التى تبنى الأحكام عليها ، وما كان موقف الأئمة من الرسم العثمانى إلا بدافع هذا الأصل العظيم ، مبالغة فى حفظ القرآن وصونه » [٢] .

دكتور عبد العال سالم على مكرم

---

(١) المقنع للدانى ص ٦٥ .
(٢) المرجع نفسه والصفحة .
(٣) المرجع نفسه والصفحة .

(١) الكشاف للزمخشرى ج ٣ ص ٢٠٩ .
(٢) مجلة الأزهر المجلد ٧ ص ٧٣١ .

قضية السجع ونظم القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور محمد أحمد العراوى

— ٤ —

تشابه على ابن الصائغ ما تشابه من فواصل آى القرآن الكريم فقال فيها ما قال بما بينا عوار كثير منه فى مقال سبق (١) ولقد كدنا نكتفى بما تقدم لنا فيه لولا أن وجدنا عددا من مزاعمه قد وجد سبيله إلى كتابين من كتب الأدب فى العهد الحديث .

فأما كتاب « تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى (٢) » فقد أراد صاحبه أن يدل على أن القرآن « يكثر فى تركيبه الإنشائى تقديم القيود على المقيدات والصفات على الموصوفات ، بما يلائم اتقاد الشعور ووثبات الخيال ! (٣) » والتعجب من عندنا - فلم تسعفه إلا أقوال ابن الصائغ ينقل منها ثلاثة عشر زعما ، أوحكما كما يقول ابن الصائغ ظلما - إلا أنه فيما يبدو لم يجد بدا من تخفيف العبارة التى قدم بها ابن الصائغ لمزاعمه ، فقال عنه : إنه أشار فى كتابه « إلى تناسب العبارات القرآنية وإلى أنه قد توخى فيها أوضاع خاصة مراعاة لهذا التناسب » بدلا من أن يذكر ما ذكر السيوطى فى الإتقان من قوله « إعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول » وهو قول شنيع ما دام قد أريد به القرآن المجيد فكأن المؤلف بتخفيفه أراد أن يسهل على القارىء المسلم قبول ما أورد من مزاعم ابن الصائغ من غير أن ينقد شيئا منها حتى ولا ورود اسم المفعول فى القرآن بمعنى اسم الفاعل كما فى (حجابا مستورا) بمعنى (ساترا) لا لشىء إلا لمراعاة الفاصلة ! وقد أقر كل مزاعم ابن الصائغ إذا أعقب ما نقل منها بقوله « إلى آخر هذه الأحكام التى تدل على مراعاة التنزيل للوزن وحسن الرصف وجمال الإيقاع » .

والتنزيل من حسن الرصف وجمال الإيقاع فوق ما وصف ، لكن لا يتوخى أوضاع خاصة مراعاة للتناسب كما قال ، ولا بمخالفة أصل من أصول العربية كما قال ابن الصائغ ولكن بما يستلزمه إعجاز القرآن من الجمع فى كل آية من آياته بين الجلال والجمال فى المعنى والتعبير من غير خروج على أصل فى اللغة ، إذ القرآن هو الأصل وهو الحكم وهو المرجع .

---

(١) عدد صفر سنة ٨٨

(٢) لأنيس المقدسى دار العلم للملايين بيروت

(٣) صفحة ٥٥

وأما ثانى الكتابين - كتاب «صور البديع فن الأسجاع [1]» فقد ورد فيه [2] من مزاعم ابن الصائغ إثنا عشر زعما، منها عشرة تتابعت من غير نقد لها وفيها أيضا (مستورا) بمعنى (ساترا)، وزاد (مأتيا) بمعنى آتيا فى قوله تعالى (إنه كان وعده مأتيا) - وإثنان أفردا بعد ذلك وخصا بالنقد.

ولم نكن تناولنا منها بالرفض فى مقالنا السابق إلا زعم ابن الصائغ فى (مستورا) فى آية الإسراء أنها بمعنى (ساترا) أما زعمه فى (مأتيا) أنها بمعنى (آتيا) فيكفى الآن فى رده قول الزمخشرى فى الكشاف: «والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحسانا، أى كان وعده مفعولا منجزا». وفى الوجه الاول غنى عن القول الثانى لأن الآية الكريمة هى: (جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب، إنه كان وعده مأتيا) فالوعد هو جنات عدن وهى موجودة الآن، فلا معنى لأن تكون آتية، لكن الموعودين يأتونها حتما، وقد ذكر أبو حيان فى البحر ما يفيد أن ابن جريج سبق الزمخشرى إلى الوجه الاول حين قال «وعده هنا موعوده وهو الجنة، ومأتيا - يأتيه أولياؤه» وإذا كان ابن جريج فى أقدميته قد فهم (مأتيا) فى الآية الكريمة على ظاهرها فليس لابن الصائغ ولا لغيره أن يؤولها إلى عكس معناها ثم زعم أنها جاءت كذلك لمراعاة الفاصلة!.

وقد كان المنتظر من مثل الأستاذ على الجندى، وقد نقل ذلك القول لابن الصائغ، ألا يمر به من غير نقده واستنكاره كما استنكر دعواه الاستغناء فى القرآن بالتثنية عن الإفراد نحو (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أراد جنة «زعم» فثنى من أجل الفاصلة، مستندا فى ذلك إلى الفراء. فأنكر الأستاذ عليه ذلك وقال: إنه مما لا يصح وقوعه فى القرآن وأكد إنكاره بذكر ما رواه صاحب الإتقان من إنكار ابن قتيبة وإغلاظه فيه ونزيده أن قد أخطأ ابن قتيبة فى ميله إلى قبول التثنية بمعنى الجمع. فالتثنية فى العربية لها صيغتها، والجمع له صيغته، ولو أريد الجمع لجاء بصيغة الجمع وإنما هما جنتان، من دونهما جنتان، (فيهن خيرات حسان) [1] بضمير الجمع على الإشتراك بين الجنات الأربع بعد أن خص كل اثنتين منها بأوصاف لها فى سورة الرحمن.

وقد ذكر الأستاذ قول ابن الصائغ فى المناسبة وأنها «يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول» وقال إنه تكلم على ذلك بإسهاب فى الجزء الاول من كتابه صور البديع، وزاد «أن وراء ما ذكره ابن الصائغ من مسوغات التقديم

---

(١) للأستاذ على الجندى دار الفكر العربى

(٢) صفحة ١٨٨

(١) الآية (٧٠)

والتأخير والحذف إلى آخره عللا بيانية بسطها بلغاء المفسرين كالزمخشرى وغيره » ، وكنا نود الاطلاع على الجزء الأول لكننا لم نستطع الحصول الا على الجزء الثانى » فن الأسجاع ، الذى هو موضوع حديثنا الآن فيما نقل عن الإتقان من أقوال بن الصائغ وما نقد منها . والذى يهم هو تقرير الأستاذ أن وراء تلك الأقوال عللا بيانية ضرب لها مثلا توضيحيا كما سنرى لكننا بحثنا فى تلك الأقوال وقد رواها صاحب الإتقان بتمامها - عما سماه الأستاذ مسوغات فلم نجد له مسوغا إلا مراعاة الفاصلة على ما زعم فيها من مخالفة الاصول فى العربية : وهو زعم شنيع كما نرى يشهد على نفسه بالبطلان سواء استطعنا حل كل ما أشكل عليه أم لم نستطع .

والمثل التوضيحى للعلل البيانية وراء ما عدده ابن الصائغ هو كلمة (ضيزى) فى قوله تعالى من سورة النجم «ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك إذن قسمة ضيزى !» ، اختارها الأستاذ من بين كلمات مثل بها ابن الصائغ لإيثار القرآن أغرب اللفظين مراعاة للفاصلة فى السورة - كلمات سنعود لسائرها فيما بعد ، وكان اعتراضه على ما قال ابن الصائغ وما قال ابن الأثير فى المثل السائر ، أنهما نظرا إلى الناحية اللفظية ولم يعيرا الناحية المعنوية التفاتا ولا اهتماما . أما الرافعى رحمه الله فقد نظر فى الكلمة فى سياقها فى الآية الكريمة «نظرة عميقة شاملة تناولتها من ناحيتها فى إفاضة وحسن عرض ودقة برهنة » ، وكذلك فعل الرافعى حقا فى كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية [1] . ولعل ماقاله رحمه الله من الناحية المعنوية يتلخص فى أن الكلمة بغرابتها وما أودع فيها من تهكم تمثل غرابة القسمة والسخرية منها . لكن العجب من ابن الأثير أن يقول ، فيما نقل الأستاذ عنه ، إن كلمة « جائرة » التى اقترحها ابن الصائغ أحسن من ضيزى لولا خروج جائرة عن حرف السورة ومجىء (ضيزى عليه كأن المسألة مسألة سجع وكفى ، أفلم ينظر ابن الأثير إلى الخلل الذى يلحق المعنى لو قيل « تلك أذن قسمة جائرة » بصرف النظر عن النظم وسجعه الذى يبرر الكلمة وغرابتها عنده .

إن (جائرة) التى يقترحها ابن الصائغ و (وظالمة) التى يزيدها ابن الأثير تجعل القسمة فيها شىء من الحق ، مع إنها لاحق فيها مطلقا ولا أصل لها . هى (قسمة ضيزى) لا يمثلها إلا هذا اللفظ بما فيه . والكلمة فى الواقع لا مرادف لها فى العربية يمكن أن يحل محلها من غير أن يلحق بالمعنى ذلك الخلل الذى يخرج الآية عن قرآنيتها . بل أى مرادف

---

(١) صفحة ٣٠٤ الطبعة الثالثة

من نحو جائرة أو ظالمة أو ناقصة إذا حل محل (ضيزى) فى الآية الكريمة ليس فقط يوهم أن القسمة فيها بعض الحق بل يكون فيه بذلك إقرار لطرف من الشرك الذى ما نزل القرآن أول ما نزل إلا لمحوه ، لأن القسمة متصلة بالأصنام المذكورة فى قوله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى ؟ ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن قسمة ضيزى ! » ومن هنا كان خير ما قيل فى تفسير الآية الأخيرة هى قول ابن كثير فى تفسيره :

« فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت (قسمة ضيزى) أى جورا باطلة ، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التى لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها ! » .

وعلى أى حال فكل تفسير للكلمة فى سياقها يجب أن يتفق مع معنى الآية بعدها : « إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » .

لكن ابن الصائغ ومن لف لفه فى شغل بالسجع ومراعاة الفاصلة عن الحق الذى نزل به القرآن ، وعن مقتضيات الإعجاز فى المعنى والأسلوب .

والكلمات التى جاء بها ابن الصائغ مع كلمة ضيزى هى (الحطمة) فى سورة الهمزة و (سقر) فى سورة المدثر ، و (لظى) فى المعارج ، و (هاوية) فى القارعة ، وكان يفضل بدلا منها جهنم أو النار ، وينسى أن المخاطب بها عند نزول الوحى كان العربى المشرك ، وهى كلها عنده سواء إذ لم يكن يعتقد فى البعث ولا يعرف ما بعده ، بل إن ما استغربه ابن الصائغ له معنى معروف فى اللغة يدل على صفة من صفات النار لا يدل عليها الاسم المجرد ، ويزداد الإنسان تقديرا لها كلما إزداد علما وقارنها بمثلها من صفات الشمس التى جلاها العلم الحديث ، فإن جهنم موجودة بين هذه النجوم التى لا تعد شمسنا إلا نجما متوسطا فيها ، ولكن أنى لمثل ابن الصائغ أن يعرف هذا أو يتذكر أن القرآن يخاطب به عصور آتية قد تكون أوسع من عصره علما فيفهم أهلها من أسرار تلك الكلمات ما لا يستطيع هو له فهما .

لكن السر فى كلمة (سقر) فى سياقها فى سورة المدثر أدبى تاريخى ، لا علمى وكان من الممكن لابن الصائغ أن يهتدى إليه لو لم تصرفه مزاعمه عن البحث عنه . هى علم لجهنم فى القاموس وفى الكشاف إذ يقول الزمخشرى فى تفسير (ذوقوا مس سقر) من سورة القمر « وسقر علم لجهنم ، من سقرته النار وصقرته إذا لوحته » .

لكن هذا لا يكفى لإظهار المناسبة المعنوية

بين قوله تعالى (سأصليه سقر) وما حكاه فى الآيتين قبلها من قول الوليد يريد القرآن الكريم : (إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر) .

ويرجع الباحث إلى القاموس مرة أخرى فإذا فيه «السقار الكافر واللعان لغير المستحقين» فتتضح المناسبة بين (سقر) النار ، والوليد السقار ثم يرجع إلى النهاية لابن الأثير فيجد تحت سقر « وجاء ذكر السقارين فى حديث آخر وجاء تفسيره فى الحديث أنهم الكذابون قيل سموا به لخبث ما يتكلمون به » فتزداد المناسبة وضوحا وظهورا بين قوله تعالى (سأصليه سقر) وخبث ما قاله الوليد كذبا على القرآن .

بقى أن نمر على ما ذكره الكتابان وما قد يتسع له المقال من مزاعم ابن الصائغ التى لم نتناولها فى مقالنا الماضى ، ولنبدأ بما اشتركا فيه بعد كلمة (ضيزى) فمن ذلك .

حذف المفعول نحو (فأما من أعطى واتقى) (ما ودعك ربك وما قلى) وليس فى هذا مخالفة لأصل ما . بل هو ما تقتضيه البلاغة ومعروف أن الحذف فى (أعطى) للتعميم والإطلاق ؛ وفى (واتقى) إيجاز قصر إشارة إلى ما ينبغى فى العطاء من أن يكون طيبا خالصا لله لامن فيه ولو قبل . وما قلاك بعد (ما ودعك ربك) لجاء مشرك أو ملحد يستدرك على الآية بحذف الكاف ومثل ذلك يقال فيما ذكره ابن الصائغ ولم يذكره الكتابان من حذف متعلق أفعل التفضيل فى نحو (يعلم السر وأخفى) .

أما إجراء غير العاقل مجرى العاقل فى (رأيتهم لى ساجدين) «وكل فى فلك يسبحون» فالأولى حكاية عن يوسف يعبر عن ذات نفسه فيما رأى فى - منامه - ولعل العبرية لغة يوسف تقتضيه فيكون فى الآية نوع من الإعجاز اللغوى التاريخى وأما الآية الثانية ففى مجرد الجمع اعجاز على إذ يدل فى آية (٣٣) من سورة الأنبياء وآية (٤٠) من يس على أن أل ليس فى الشمس والقمر للجنس ؛ ولم يكن تعدد الشمس والقمر فى السماء معروفا قبل العصر الحديث . وفى ضمير العاقل دلالة على أن شموس السماء وأقمارها إنما تطيع الله طوعا لا كرها فيما سن لها سبحانه من سنن ، كما فى آية فصلت (قالتا أتينا طائعين) ٢ -

وفى الجمع هنا معجزة علمية أخرى دل عليها (فقضاهن سبع سموات فى يومين) فى الآية بعدها لا يتسع المقام لتبيانها ، وينبغى لجاهلها التفويض .

وأما العدول عن صيغة الماضى فى نحو (فريقا كذبتم وفريقا تقتلون) فقد أجاب الزمخشرى عن الاحتمالين ، وفى الجواب عن الحاضر كفاية . قال إنه على حكاية الحال

الماضية استحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها كما فى (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) . وعلى أى حال فهو هنا كما فى الآية (٣٨) من هود : ويصنع الفلك) الآية وأما زعمه تغيير بنية الكلمة للفاصلة نحو (طور سينين) والأصل سينا ، فهذا من أعجب ما اجترأ الرجل به على كتاب الله . فظاهر كلامه أن كلمة سينين لم يكن العرب يعرفونها قبل نزول القرآن بها للغاية التى ذكر ، مع أنها مذكورة فى القاموس وفى كتب التفسير لأكثر من معنى . وأبو حيان فى البحر يقول « ومعنى سينين ذو الشجر » وفتح السين فيها لغة بكر وتميم ونقل هذا الإمام الشيخ محمد عبده فى تفسير جزء عم وزاد « ويقال إن سينين وإلياسين والغسلين وأمثال هذا الوزن من لغة أهل اليمن وعرب الجنوب » فالكلمة

معروفة للعرب قبل نزول القرآن وإن تعدد معناها فمن الافتراء على الله أن يزعم زاعم أن الأصل سينا تغيرت بنيتها من أجل الفاصلة أما مجىء أنسب كلمتين مترادفتين فى اللغة وأليقهما بالأسلوب القرآنى فهذا من الله توجيه بل تشريع فى الأدب العربى . ومثل هذا يقال فيما سماه ابن الصائغ إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض مثل (عجاب) فى آية سورة ص و (عجيب) فى آية سورة ق .

أما الإتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم مع ترك ذلك فى نحو (هو القادر) و (عالم الغيب) فهو لحكمة معنوية من غير شك ، فما استعمل فيه صيغة المبالغة أدل على القدرة الإلهية ، وقد تأتى فى غير فاصلة مثل)(إنه عليم بذات الصدور) فى الآية ٤٣ من سورة الأنفال ، كما قد تأتى صيغة اسم الفاعل فى الفاصلة نحو إنه على رجعه لقادر .

وليس فى هذا كله شىء من مخالفة الأصول وما كنا لنعرج على مثله لولا أنه مما ذكر فى ثانى الكتابين من « أحكام » ابن الصائغ

وأما ما ذكر فيه أيضا من إيقاع اسم الفاعل موقع اسم المفعول نحو (عيشة راضية) و (ماء دافق) فقد فهمهما الزمخشرى إما على الاسناد المجازى وإما على النسب كالدارع والنابل واللابن والتامر . ونزيد أن فى (ماء دافق) فى سياقها فى سورة الطارق معجزة علمية إشارة إلى أن دفق الماء لا إرادى .

وأما ما ذكره أول الكتابين عن ابن الصائغ من الاستغناء عن التثنية بالأفراد فى (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) بدل فتشقيا ، فغير صحيح ، والآية على ظاهرها لحكمة لطيفة إذ تشير إلى أن سنة الله فى الحياة على الأرض أن الرجل هو الذى يشقى بالسعى على الأسرة . كذلك ما ذكر من إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر فى (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن

الكاذبين) ، ولم يقل الذين كذبوا ، فليس لما توهم ابن الصائغ ولكن لحكمة معنوية . فاسم الفاعل يفيد ثبوت الصفة والفعل الماضي يجيز انقطاعها . ولا ندرى كيف خفى هذا عليه . ومثل هذا يقال فيما لم يورده الكتاب من عد ابن الصائغ مجىء الآية على غير وجه المطابقة فى نحو (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين) ولم يقل وما آمنوا ، فالآية تفيد من استمرار نفى الإيمان عنهم ما لا يفيده الفعل فى مطابقة ابن الصائغ .

أما ما عده من إيقاع الظاهر موقع الضمير فى نحو « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين » فليس للفاصلة كما توهم إذ هو لتقرير سنة عامة لله سبحانه فى توفيته المصلحين أجرهم : ممن ذكروا فى صدر الآية ومن لم يذكروا . وفى هذا ما فيه من الحض على الإصلاح على إطلاقه فشتان بين ضمير ابن الصائغ وظاهر القرآن ومثله يقال فى آية الكهف : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » ، التى أشار إليها .

وأما ما زعمه من الاستغناء بالإفراد عن الجمع نحو « واجعلنا للمتقين إماما » ولم يقل أئمة ، وبالجمع عن الإفراد نحو : « لا بيع فيه ولا خلال » ، فقد جاء الزمخشرى فى الأولى بأربعة أوجه نختار منها قوله « أو أرادا جعلنا إماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا » فهو من جوامع الكلم فى الدعاء إذ هو دعاء بدوام جمع الكلمة على أعظم التقوى أسوة وقدوة للناس . وذلك كله فى ثلاث كلمات وفسر الزمخشرى (ولا خلال) بمعنى ولا مخالة على المفاعلة . وفى هذا ما فى (ولا خلة) وزيادة من غير أن يزيد عنها حرفا . والكلمة أيضا جمع خلة لتدل على التنوع فيها ، فهى تفيد المعينين جميعا على الجمع لا على التخيير لأنها من كلام الله لا من كلام البشر . أما جمال الإيقاع فهو فى الكلم القرآنى للمعنى تبع . وتعالى الله معجز العرب والبشر بالقرآن .

وقد بقيت للرجل مزاعم شرها قوله : إن الأحسن كان الفصل بين المجرورات فى قوله تعالى : « ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » لولا مراعاة الفاصلة ! فعفا الله عن الرجل وكفى الناس شر ما أخطأ به فى حق الكتاب العزيز ؟

محمد أحمد الغمراوى

عود الى قضية السجع والقرآن والباقلانى

للدكتور عبد الرءوف مخلوف

أما أنى ذكرت أن القرآن يعدل عن الأشهر إلى المشهور . أو عن الكثير الاستعمال إلى القليل ، فليعلم الدكتور الفاضل ألا غبار فى ذلك على استعمالات القرآن الكريم بل إن ذهابه هذا المذهب ، واختياره للفظة نادرة على ماسواها مما شاع وذاع لغاية يراها لدليل يقطع بأنما ينزله الذى وسع علمه كل شىء ، فعرف فرق ما بين لفظة وأخرى وما عسى أن تحدثه لفظة بموسيقاها من التأثير فى العبارة ، إن اختيار اللفظة للموقـــع الملائم مراعى فى ذلك شتى الاعتبارات الفنية وإن تكن نادرة الاستعمال فى اللغة لهو دليل الإعجاز . وقد استعمال كلمة « ضيزى » على ندرة استعمالها ، فى قوله تعالى « تلك إذن قسمة ضيزى » إنها على ما هى عليه من الغرابة ومن ندرة الاستخدام فى أساليب العرب ، شعرا أو نثرا - وقعت موقعا لا يقع غيرها فيه إلا كان دونها أما هى فجاءت - ومقاطع الآيات قبلها وبعدها على الألف المقصورة ملائمة لها متفقة معها فى الجرس والموسيقى ، مع ما تدل عليه من معنى الجور فيما نسبه العرب إلى الله جل وعلا حين جعلوا لله الأنثى ولأنفسهم الذكور وهكذا تحقق بهذه الكلمة دون غيرها وجها اللغة : الصورة والمضمون من غير ما استكراه أو تكلف ، « ولو كان من عند غـــير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ، ولله در الذى يقول « ما هذه الفواصل التى تنتهى بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التى تنتهى بها جمل الموسيقى ، وهى متفقة مع آياتها فى قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذى يساق عليه بما ليس وراءه فى العجب مذهب » .

هذا ومسألة استخدام القليل والكثير قد أشار إليها العلماء ، فقال قائلهم « والقرآن قد يأتى بما لا يقاس عليه فيشنع على ذلك ناس وهم أولى بالتشنيع ... لأن النحويين لما استقرأوا الكلام وجدوا كلام العرب على قسمين : قسم يسهل عليهم وجه القياس فيه ولم يعارضه معارض لشهرته فى الاستعمال ، أو لكثرة النظائر فيه فأعملوه باطلاق ، وقسم لم يظهر لهم وجه القياس فيه ، أو عارضه معارض لقلته وكثرة ما يخالفه فتى قالوا شاذ أو موقوف على السماع أو نحو ذلك فمعناه أنا نتبع العرب فيما تكلمت به من ذلك ولا نقيس عليه غيره ، لا لأنه غير صحيح بل لأنا نعلم

أنها لم تقصد بذلك القليل أن يقاس عليه . . هذا الذى يعنون حين يقولون : إن القرآن يأتى بما لا يقاس عليه ، لا أنهم يرمون الكلام بالتضعيف حاشا لله » .

وإذن فجىء القرآن بالقليل النادر لا ينال من إعجازه أو فنيته ؛ بل إنه يؤكد فيه صفة العلم بأنسب الكلمات للموطن وإن قل استعمال العرب لها ودورانها على الألسن .

وأما كلمة : « موسى وهرون أو هرون وموسى » وأن هرون فيما يذكر الدكتور كان أفضل من موسى للفصاحة والسن فاقتضى ذلك تقديمه على أخيه فى الذكر فى موطن ليدل على ذلك ، فما أستريح لهذا التوجيه إذ هذه الأفضلية بالفصاحة ، وبالسن ـ تعتبر فيما أرى صفة لازمة ، فلو كانت تبرر تقديم ذكره على أخيه لكان يطرد ذلك فى جميع المواضع . أما والأمر ليس كذلك فينبغى أن يكون اعتبار الموسيقى الصوتية فى الفواصل هو المبرر لتقديم هرون مرة ، وموسى أخرى ، فحين تبنى القصة على مقطع النون يأتى هرون ختاما الآية ، وحين تبنى القصة على الألف المقصورة يأتى موسى مقطعا للصوت والفاصلة ، بل حين تبنى القصة على حرف الياء فإن الآية لا تنهى بهرون ولا بموسى وإنما تأتى كلمة « أخى » صفة لهرون لتحقيق التوافق والتسجيع .

وليست رعاية الجانب الصوتى فى الأسلوب اللغوى بأقل شأناً من الجانب المعنوى ، لا سيما إذا لم يتحيف ذلك الجانب صاحبه أو يخل به . وذلك ما عليه القرآن الكريم .

ويقال مثل ذلك فى « جنات ونهر » ففيها العدول عن أنهار إلى نهر كما قلت وقال العارفون بفن الكلمة ، وحتى على أن « نهر » بمعنى « سعة » ، كما يقول الدكتور نقلا عن القاموس ، وكما قال من قبله الزمخشرى فى كشافه ، فإن العدول عن لفظ « السعة » مع مافيها من قرب المعنى ووضوحها ، واشتهارها فيه إلى كلمة « نهر » وهى قليلة الاستعمال والذيوع فى ذلك المعنى لا يكون إلا لغرض ولتحقيق شىء آخر فوق المعنى . وليس ذلك إلا إجراء الفاصلة على قرار أخواتها ، وذلك هو التسجيع الذى تحدث به العبارة ضربا من التأثير الفنى يضفى على اللغة جمالا أى جمال .

وعلى هذا النحو يمكن أن نقول فى « نخرة » و« ناخرة » وفى « لزاما وأجل مسمى » وما شاكلهما وهو كثير فى القرآن ، وليس الخروج إلى مثل ذلك والعدول إليه مما ينفى أن يكون القرآن كله « مرادا لله بالبداهة وليس هناك قصد وعمد .. » كما يريد الدكتور أن يقال . على أنا حين نقول : « إنه يعمد ويقصد » لا يمكن أن يفهم منها التكلف الذى هو ضد البداهة ، وإنما نقصد مجرد مجىء

الأسلوب على هذا النحو دون غيره مما يمكن أن يجئ عليه بصفة عامة .

وأما ماذهب إليه الدكتور الغمراوى من أن « الفن كالعلم يكون أرقى كلما كانت أدوات التمييز فيه أكثر » فمردود ، إذ فى المسائل العلمية يمكن وضع التعاريف والحدود والقيود الجامعة المانعة ، فللمربع ضوابط والمستطيل ضوابط ... ولكن الأمر جد مختلف فى مسائل الفن ، ومن العسير ، إن لم يكن من المستحيل ، وضع ضابط جامع مانع للظاهرة الفنية لأنها ليست مسألة موضوعية ، وقصارى ما يمكن فى ذلك إنما هو التقريب إذ مدار النظم إنما هو على معانى النحو ، وعلى الوجوه والفروق التى من شأنها أن تكون فيه ، وهى كثيرة ليست لها غاية يوقف عندها ، والكلمة الواحدة تحلو فى موضع وترتفع به إلى أسمى درجات الفنية ، وهى هي تأتى فى موضع آخر فتكون سمجة مستثقلة مرذولة ، ولا ذلك إلا للعلاقات التى تستدعيها فى موضع دون آخر . يقول عبد القاهر : « وسبيل هذه المعانى سبيل الأصباغ التى تعمل منها الصور ، والنقش ، فكما أنك ترى الرجل قد تهدى فى الأصباغ التى عمل منها الصور والنقش فى ثوبه الذى نسج ، إلى ضرب من التخير والتدبر فى أنفس الأصباغ ، وفى مواضعها ، وفى مقاديرها ، وكيفية مزجه لها ، وترتيبه إياها يقول ، — تهدى — إلى ما لم يتهد إليه صاحبه ، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب ، وصورته أغرب ، كذلك حال الكاتب والشاعر فى توخيهما معانى النحو ووجوهه التى علمت أنها محصول النظم » .

وهكذا يكون الأمر فى الفنون جد مختلف عنه فى العلوم ، وإنى لملتمس للسيد الدكتور واسع العذر فقد ناقش قضية فنية بعقلية عالم ، ناقش قضية السجع بعقلية من يرى أنه كلما « كثرت الضوابط فى الفن كان أرقى » ولعل ذلك هو ما رآه الباقلانى قبله حين وضع للسجع تعريفاً رأى فيه أن يكون المعنى تبعاً للفظ وذلك حين قال « إن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ » .. وليس ذلك كله من الصواب فى قضيتنا على قليل أو كثير .

إن صور السجع لا يمكن حصرها ولا يمكن إحصاؤها وقد قول رجل القرن الرابع معاصر الباقلانى : « والسجع على وجوه : فمنها أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر مع إتفاق الفواصل على حرف بعينه كقول الأعرابى : سنة جردت ، وحال جهدت ، وأيد جمدت . فرحم الله من رحم ، فأقرض من لا يظلم .

ومنها أن تكون ألفاظ الجزءين المزدوجين مسجوعة فيكون الكلام سجعا

فى سجع كقول البصير : « حتى عاد تعريضك تصريحا ، وتمريضك تصحيحا » .

يقول أبو هلال : وهذا الجنس إذا سلم من الاستكراه فهو أحسن وجوه السجع .

ومن الغريب الذى ينقض على الباقلانى وعلى من يشايعه فكرته عن السجع أنه يرفض أن يكون فى القرآن سجع . ويقبل أن يكون فيه ترصيع فيقول : ونظير الترصيع فى القرآن قوله : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجرا غير ممنون » ، وقوله : « والطور وكتاب مسطور » . وقوله : « والسابحات سبحا والسابقات سبقا » .

ثم يمضى أبو هلال يتحدث عن أنواع السجع فيذكر أن منها ما تكون الأجزاء فيه متعادلة ، وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد ...

وقد قررت أن القرآن الكريم سمح فى استعمال السجع ، فلا يتشدد فيه تشدد المتكلفين ، ولكن يأتى منه بالعفو السمح الذى يقتضيه المعنى ومن ثم لا يلتزم بتمام التماثل فى الصوت ، أو التوازى فى المساحة ، أو التوافق فى الجرس لتكون له من هذه السعة فى الاستعمال جدة تحمل منه ذلك الأسلوب الذى لا يبلى على كثرة الرد ولا يخلق على التكرار .

هذا ولم أقل — كما زعم الدكتور — : « إن القرآن يأتى بالسجع الصرف » ، وأين ذلك مما قلت (.. وهكذا يكون السجع فى القرآن جاء وهو تصوير الأفكار والمواقف على اختلافها ، فاختلف بالطول والقصر ، وبالمساحة والمقطع ، ولم يلتزم التساوى فى شىء مما يتعلق بالألفاظ والأصوات ، لأنه ليس من الاهتمام بالصورة الخارجية للغة فى قليل أو كثير ما لم يكن ذلك على صلة وثيقة وقرابة قريبة من المعنى والفكرة التى يريد لها ويقصد إليها) .

ولقد ضربت المثل لذلك وأن اللفظ فيه يتبع المعنى ، وليس المعنى هو الذى يتبع اللفظ بقوله تعالى فى حالة التخويف والتهديد : « ذرنى ومن خلقت وحيدا ... إلى قوله تعالى : لا تبقى ولا تذر ») ثم بحالة الاستقرار ومخاطبة العقل التى يعدل معها عن التسجيع إلى الترســـل فى قوله تعالى : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة » . الآية .

فكيف يقال بعد ذلك كله أنا قلنا بالسجع الصرف فى القرآن الكريم ! !

وكيف يستبيح السيد الدكتور لنفسه أن يرمى القائلين بالسجع بأنهم إنما يسترون جهلهم بالمعنى المفاد حين يقولون بالسجع فى القرآن ؟ ولكن يعفو الله .

وهلا قرأ الدكتور ما قلنا وما كتبنا حين قررنا : (أن القرآن الكريم كما يراعى ويستهدف الظاهرة الثانية من ظاهرتى اللغة . أعنى ظاهرة المضمون والمحتوى ؛ فإنه لا يقصر فى رعاية الظاهرة الأولى ظاهرة الصوت والنغم ، ما لم تؤد إلى إخلال بأختها) ... إلى أن قلنا : « وهكذا يتأكد أن القرآن ينأى بأسلوبه عن السجع حين تكون هناك مظنة تحيف الدلالة أو انتقاص المعانى » .

ألا إنه حين يستدعى المعنى السجع ويعين على تحقيقه لا يكون ثمة نمط من الأساليب أولى منه بالإيثار إذ فى هذه الحالة يتحقق جانبا اللغة : المضمون والمظهر فى أحسن صورة وأبهج زينة ، وقد دو عبد القاهر الجرجانى فإنه بعد أن يذكر حديث النبى صلى الله عليه وسلم : افشوا السلام ... يقول : « فأنت لا تجد فى جميع ما ذكرت لفظا اجتلب من أجل السجع وترك له ما هو أحق بالمعنى منه ، وأبر به ، وأهدى إلى مذهبه ... » يقول ولذلك أنكر الأعرابى حين شكا إلى عامل بقوله : حلأت ركابى ، وشققت ثيابى ، وضربت صحابى - فقال له العامل : وتسجع أيضا ؟ إذ قال الأعرابى فكيف أقول ؟ يقول عبد القاهر : وذاك أنه لم يعلم أصلح لما أراد من هذه الألفاظ ، ولم يره بالسجع مخلا بمعنى أو محدثا فى الكلام استكراها ، أو خارجا إلى تكلف أو استعمال لما ليس بمعتاد فى غرضه » .

نقول نحن : وعلى هذا لا نكون أغربنا حين رددنا على الباقلانى مذهبه فى القضية وأثبتنا السجع فى القرآن ، وشكرا لأستاذنا الدكتور الغمراوى فقد أتاح بما كتب فرصة تأييد القضية وتأكيدها ، وليطب نفسا ، وليطمئن إلى أنا نغار على السلف كغيرته ، وإن كان ذلك لا يمنعنا من أن نختلف معهم فى بعض ما ذهبوا إليه حين يقوم لدينا الدليل ، وتستقيم لنا الحجة والله يهدى إلى سواء السبيل ؟

عبد الرءوف مخلوف

عنصر الفكرة فى الحديث النبوى

للدكتور محمد رجب البيومى

— ١ —

جاء محمد صلى الله عليه وسلم برسالة من عند الله واضحة الأغراض ساطعة المعانى، تتطلب من البيان العربى ما يجلو أفكارها القوية فى وضوح وائتلاق، وقد احتشدت عناصرها القوية فى ذهنه الكريم وتمكنت من عقله تمكناً دفعه إلى التعبير عنها فى غير ما يتصل بالوحى النصى بمختلف الأنماط الأدبية الذائعة فى عصره من خطبة إلى رسالة إلى قصة إلى حديث هادف يتلقفه الصحب فرادى وجماعات. والدارس المتتبع لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى شتى مناحيه الأدبيـــة لا يعجزه أن يستشف خصائص الفكرة فى بيانه الكريم وحين نخص الأفكار النبوية بموضوع خاص نساير الاصطلاح المعاصر فى النقد حين يقسم عناصر الأسلوب إلى أفكار وصور وتعبير، وذلك لا يمنع فى شىء أن تكون الصورة جزءاً من الفكرة بحيث يتعذر انفصالها على حد متميز، كما أن التعبير يلتصق بالفكرة التصاقاً تاماً بحيث لا تستطيع البروز إلا عن طريقه، ولكن هذا التقسيم الاصطلاحى مع ذلك كله يعتبر أقرب طريق إلى التحليل الصادق والتشريح الواضح بحيث يعطى القارىء وصفاً دقيقاً لما يريد أن يقوله الناقد عن كل نص أدبى معروض، إذ أنه فى منهجه الصحيح يضع الحوافظ المانعة من التدفق اللفظى لدى النقاد كما أنه فى صميمه الخالص دعوة إلى المنطق الواضح المركز، واصطناع لبعض أساليب العلم فى دنيا البيان، ولا يغيب عن الذهن أن العاطفة ليست عنصراً رابعاً من عناصر الأسلوب، وإنما هى قاسم مشترك بين الفكرة والصورة والعبارة جميعاً إذ أنها تتسرب إلى الفكرة فتذهب من جفافها وتلق عليها مزيداً من الضوء يطارد ما قد يخيم عليها من تعقيد، كما أنها تأتى إلى الصورة فتجعلها محكمة دقيقة، وتبعد عنها كل تنافر فى الذوق أو ثقل فى اللون والظل مما يحول دون ارتسام الانطباع الوجدانى فى بهائه الشامل، فإذا تسربت العاطفة إلى العبارة ترقرقت فى ألفاظها فصارت سلسة مواتية وفى تراكيبها فأصبحت متآخية متماسكة، والذين ينكرون أثر العاطفة فى الأفكار الفلسفية يخطئون

إذ يظنون العقل راصداً آليا يرتجم الحقائق ، ويسجل النتائج ، وآية ذلك أن تقرأ لباحثين عقليين يعالجان موضوعا واحداً فترى لدى أحدهما من النصوع والإيضاح ما يبرز تأثير العاطفة فى أسلوبه ، فى حين ترى لدى الآخر من الجفاف والنضوب ماينأى بك عن موالاته حتى ما تستطيع موالاته دون جهد كبير ! وإذا كان ذلك فى أبحاث الفلسفة المنطقية ، فما ظنك بما ترفد به العواطف جداول النقد الأدبى من عطاء فعال. لقد آن لنا أن ننأى بالتشريح النقدى عن الكلمات الفضفاضة التى طال ترددادها فى معرض الحكم البيانى على الآثار الأدبية من مثل القول : بمتانة السبك وشدة الأسر أو إشراق اللفظ وحلاوة الوصف دون تشخيص دقيق لكل عنصر من عناصر الأسلوب على حدة ، وإذ جاز ذلك فيما مضى من القرون السابقة فإن تقدم النقد المعاصر لا يسمح لنا أن نتورط فيما تورط فيه المتساهلون فلابد من الدقة الحازمة ليطمئن القارئ المثقف إلى صحة الموازين . وسنكتفى فى هذا المقال بالنظر إلى الأفكار وحدها كعنصر أصيل من عناصر البيان المحمدى لندرك سماتها الكاشفة فى ضوء التحليل .

تعلم جيداً أن الأفكار البليغة تتسم عادة بالقوة والجـــدة والتحديد والتسلسل ، فإذا عرضت هذه الأوصاف الجيدة على بيان محمد صلى الله عليه وسلم فماذا أنت واجد ؟ .

أما قوة أفكاره فما لا يرتاب فيه ألد خصومه لأن الذى ينقل الناس من الجاهلية إلى الإسلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور لابد أن يكون ذا فكر قوى غلاب ، وإذا كان البيان أكبر وسائله فى الإقناع والتأثير فلابد أن تكون الأفكار التى يصورها هذا البيان من القوة بحيث ترج العقائد المتأصلة فى النفوس رجا عنيفا بل تحطمها تحطيما لتبنى مكانها عقائد أخرى تكون على أتم مايرجى لها من التأصل والرسوخ ! يعرف هذا كل عاقل حصيف . وإن كان أجنبيا عن العربية وعن أدبها ، فمتى قلت لأى مفكر فى شتى بلاد العالم إن رجلا قاد الملايين بالمنطق المقنع من اعتقاد إلى اعتقاد مضاد فإنه سيقول لك دون حاجة إلى أمثلة وشواهد : إن هذا القائد النافذ مفكر دقيق ! .

أجل كان محمد صاحب فكر قوى متسع شامل فى وقت كان فيه مقاول المنابر بالجزيرة العربية لايكادون يخرجون عن واقعهم القبلى المحدود ، فكل خطيب يجمع الناس ليترجم عن مشاعرهم فيما يقع من مجريات الحوادث والأحوال ، وإذا ارتفع عن مستواهم قليلا فإنه ارتفاع الطائر فى قفص مربع لا يتجاوز طوله ثلاثة أمتار فهما اشرأب إلى السماء فهو

معقود بسقف لا يلبث أن يهوى إلى الأرض حين يصدم به ، أما محمد صلى الله عليه وسلم فمنذ تسنم منبر الدعوة ، وهو يحلق بأمته فى أفق لا انتهاء له ، وإن سامعيه لينظرون إليه مرتفعا فى أجوائه العالية ، وكلهم راغب أن يرتفع معه حيث يحلق ، وما كان هذا الارتفاع الشاهق إلا هتافا بالمثل الإسلامية التى أرسله الله بها فدعا إليها ، ليعيد إلى الإنسانية كرامتها ، وينأى بها عن حضيض الخرافة والفسق والوأد وعبادة الأوثان ! .

نطالع الأفكار التشريعية التى بعث بها محمد وأهدافه الخلقية، وأحاديثه الإنسانية وأخباره الغيبية فنجد ما لا يؤلف فى عصره ولا يعهد فى قومه ! وإذا كان للتشريع والآداب الخلقية والأحاديث الغيبية أمكنتها الفسيحة فى كتب العلماء والمحدثين فإن المحلل الأدبى ينظر إليها من الوجهة الفنية فيجدها من ناحية الفكرة ذات قوة غالبة نفاذة تنبىء عن عقلية دقيقة واعية ، ومن هنا كثرت الحكمة فى البيان النبوى ، وتسابق البلغاء إلى اقتناصها ، لأن الحكمة لا تأتى إلا عن تجربة شاملة وفكر دقيق ، وفى كتاب أدب الدنيا والدين - مثلا - للماوردى عشرات من الأحاديث النبوية متفرقة فى أكثر الفصول تصور الحكمة النبوية فى سياقها الرصين ، وكثرة الحكم المحمدية العاقلة فى هذا الكتاب وأمثاله يغنى عن تلهف علماء الأخلاق والآداب على روائع الحكم الغالية عند عقلاء المفكرين لتكون موضع الاستدلال والتأييد

على أن روعة هذه الأفكار تزيد قوة وجلاء إذا نظر الناقد إلى سياقها وطريقة عرضها ، إذ أننا نجد نفراً من أدباء الفكرة يحاولون الاستعلاء فى أسلوبهم ، فيغمضون ويدقون ، ويرون أن من واجب القارىء أن يرتفع إليهم مندفعين بشعور من الكبرياء يوهمهم أنهم فى مستوى أرفع ؛ وقد كافأهم القراء بالقطيعة والانصراف ، حتى اضطروا إلى التراجع عن قلق وضيق ، أما الفكرة الدقيقة لدى محمد فتأتى فى مساق واضح سهل ، وهى على دقتهـــا النافذة لا تتعدى فى كثير من أحوالها حديثا سيق فى مجلس على ملأ من الناس ففهمه الجميع ، ولنا أن ننظر فى مجال التطبيق الأدبى إلى مثل قوله صلى الله عليه وسلم عن النعمان بن بشير « إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله

وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب [١] » .

أسطر قليلة تعرض عدة قضايا متنوعة يجمعها رابط دقيق ، فوضوح الحواجز بين الحلال والحرام لا يمنع وجود مشتبهات توجب اليقظة والحذر ، وتدفع إلى الاحتراز إذ أن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وهذا تصوير محسوس لأمر عقلى يزيد به وضوحا وجلاء !! أما الحمى المحظور فمحارم الله ، وأما القلب فهو مصدر الصلاح إذا بعد عن المحارم أو الفساد إذا وقع فيها !! فما رأى القارئ فى قوة هذه الأفكار وصوابها ؟ أليست تحمل الطابع العام لبيان الرسول ، وهو الصدق الموجز دون تزيد أو فضول !.

وهذا الحديث الثانى « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع [٢] » .

كم من الصور الإنسانية أومأ إليها هذا الأثر الشريف ، عبد الدينار يرضى إذا أعطى ويسخطه إذا منع ، والعبد المجاهد يأخذ بعنان فرسه مغبرة قدماه أشعث رأسه ، والعبد المتواضع فى أعين الناس يستأذن ويشفع فلا يؤذن له ولا يشفع وهو عند الله قوى مكين !! إن تجاريب محمد مع البشر قد أسعفته بهذه الصورة وأمثالها فهو يمتح من نبع فى نفسه لا يغيض ، على أنه يكتفى بالإيمان اللائح لا الإسهاب الفاضح ليدعو السامعين إلى التفكير ! وتلك إحدى مزايا الإيجاز وهذا الحديث الثالث : .

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا [١] » .

أى فكرة صائبة بجربة ! يسجلها هذا القول الحكيم ! العلم لا ينزع انتزاعا بل يفنى بموت العلماء ، ومتى ذهبوا تصدر الجاهل فأفتى فضل وأضل ! دع الزمن يمر واقرأ هذا القول على جيل بعد جيل ! فإنك واجد من يشد على يديك بالتأييد ، لأن الفكرة صائبة يعرفها السامع الذكى فيمن حوله من الناس ، وقد لمست مكمن الداء لتهدى إلى الطريق القويم متى تقال !.

---

(١) التاج ج ٢ ص ٢١٨ .

(٢) هداية البارى ج ١ ص ٢١٤ .

(١) هداية البارى ج ١ ص ١٠٦ .

أما جدة الأفكار النبوية فهى أيضاً من المسلمات منطقيا إذ أن كل نبى يأتى بالجديد لامحالة ، وأذكر أننا قلنا فى باب محمد الداعية إن التجاء الداعية الأعظم إلى التكرار والترديد لترسخ مبادئه وتتأصل تعاليمه كان يلزمه أن يجدد فى الصورة والإطار حتى يظل لحديثه رونقه الخالب ، وقد ضربنا بعض الأمثلة من بيانه شواهد على التكرار المعنوى حين يتحد الهـدف والغرض ويتنوع اللفظ والتركيب ، فمحمد صلى الله عليه وسلم حين يتحدث عن الغلول مثلا فى الحديث التالى .

يشقق القول ويفرعه بما يجعل كل معنى من معانيه يحمل من الجدة الطريفة ما يذكى فى النفوس شعوراً حاراً يتقد ، وذلك حين قام ذات مرة - كما روى أبو هريرة - فذكر الغلول فعظمه ثم قال « لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك [1] » .

لنعرف أولا أن قول أبى هريرة فى مبدأ الحديث قام فينا رسول الله يدل على أنه كان يخطب ، وللخطابة سمتها الواضح من التكرار ، وضرب الأمثلة بما يهيج الانفعال ويذكى الإحساس ! .

فليس المجال مجال إيجاز دقيق يكتفى فيه باللمح بل مقام استعراض لأحوال هامة من مشاهد الغلول ، ولكل مشهد صورة تختلف عن سابقه ولاحقه ! هذا الاختلاف هو موضع الطرافة فى الفكرة . فلو أن الرسول قال إن الغلول حرام وإن الإنسان سيحاسب يوم القيامة عما غل ، ثم دعا إلى تقوى الله ومراقبته لفاتته الجدة الطريفة فى تعداد مشاهد تبعث التأثير الآخذ من منظر صارخ لهيف من ذوى الغلول وقد جثم على رقبته بعير له رغاء أو فرس له حمحمة أو شاة لها ثغاء أو عبد له صياح أو ذهب يثقل بوزنه ! هذه الجدة قد أكدت الفكرة وجسمتها تجسيما حتى لتلمس باليد وترى بالنظر ! وتلك بعض منافذ الإبداع فى بيان محمد .

د . محمد رجب البيومى

---

(١) التاج جـ ١ ص ٥٧ .

زيادة السعر في بيوع التقسيط

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

١ — يكثر التعامل بالنسيئة في البيوع فقد تحتاج إلى ثلاجة أو إلى جهاز « تلفزيون » فيحدد لك البائع ثمنين للسلعة أحدهما ثمن فوري والآخر ثمن مؤجل يزيد عن الثمن الأول ، ولقد اختلف علماء المسلمين حول الزيادة التي يحصل عليها البائع في الثمن المؤجل وإن كان جمهورهم يجيزها ، والوقوف على الدليل الذي يحرم هذه الزيادة أو يبيحها يظهر لنا وجه الحق في مسألة تكاد تعرض لكل مسلم في حياته .

٢ — أما الذين حرموا هذه الزيادة فقد نقل عنهم (١) أنهم يستدلون بحجج أهمها أن زيادة الثمن المؤجل عن الفوري في بيوع التقسيط إنما هو ربا ، لأنها زيادة من غير عوض في عقد معاوضة يجب أن يتساوى فيه كلا البدلين ، وقد كان الثمن الفوري مساويا لقيمة السلعة وما زاد لا يقابله عوض فيكون ربا . والدليل على تحريم كل زيادة بغير عوض هو عموم قوله تعالى « وحرم الربا »

والربا في اللغة يعني الزيادة الخالية عن العوض فدل لفظ الربا العام هنا على تحريم كل زيادة إلا ما خصه دليل ، وليس ثمة دليل على إجازة الزيادة هنا . فكانت حراما . ثم إن الزيادة هنا إنما كانت في مقابل الأجل لا غير فدخلت بذلك في ربا النسيئة لأن العلة فيه كون الزيادة لم يقابلها شيء من العوض إلا المدة ، وقد روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من باع بيعتين في بيعة ، فله أوكسهما أو الربا » وقد فسر هذا الحديث بأنه بيع السلعة بثمن مؤجل أكثر من سعرها الفوري والبائع في بيع السلعة بثمن مؤجل هنا يجمع صفتي النقد والنسيئة في صفقة واحدة فلا يكون له إلا أوكسهما أو الربا ، أي لا يستحق إلا الثمن الأقل ، فإن أخذ الزيادة فهو مرب فدل هذا على تحريم زيادة ثمن السلعة المؤجل عن سعرها اليومي .

٣ — غير أن جمهور الفقهاء يردون الحجج السابقة بحجج أخرى يستدلون بها على جواز زيادة الثمن المؤجل في بيوع التقسيط . وأهم

---

(١) انظر الروض النضير جـ ٣ ص ٢٦٩ ونيل الأوطار للشوكاني جـ ٥ ص ١٥٢

حججهم فى ذلك أن الزيادة هنا ليست ربا ، لعدم توافر علة الربا فيها ، لأن آية الربا عندهم « مجملة » فلا يحتج بها هنا. وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الربا فى هذه الآية بقوله « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر (أى القمح بالقمح) والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل، سواء بسواء، يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأشياء فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » وقد ذهب بعض الفقهاء كالظاهرية إلى الاقتصار على ما ورد به هذا النص فى التحريم ، وعلى رأيهم نجد أن بيع السلعة بأكثر من سعر يومها لا ينصرف إليه هذا الحديث فلا تكون الزيادة ربا ، واختلف غيرهم من العلماء فى علة الربا إلا أنهم يرون أن اختلاف الجنس بين البدلين فى البيع مع القدر أو الطعم أو القوت على تفصيل فى ذلك يجيز زيادة أحدهما على الآخر كما يجيز تأجيل أدائه عنه .

ومسألة بيع الشىء بأكثر من سعر يومه يختلف فيها جنس المبيع عن جنس الثمن فتخرج عن نطاق هذا الحديث ويجوز فيها التفاضل والنساء ، فلو أن زيدا باع لبكر ثلاجة بمائة جنيه لجاز التفاضل بأن يكون الثمن أكثر من ذلك ، ولجاز النساء بأن يكون الثمن مؤجلا ، فلم لا يجوز أن يزيد الثمن المؤجل عن السعر اليومى ، وقد كان للبائع أن يجعله ابتداء ثمن السلعة الوحيد ؟ والبيوع لا تخلو من زيادة الأسعار وتفاوتها ، كما أن الأسعار تختلف بحسب رغبات المشترى ودواعى حاجته ، ولو أن البائع باع بأقل من سعر السوق لجاز ، ولا يقال للمشترى إنه حصل على زيادة فى السلعة لا يقابلها شىء ، فكذلك لا يقال للبائع ذلك فى زيادة الثمن التى يحصل عليها . . والقول بأن الزيادة إذا كانت فى مقابل المدة تحرم قول محل نظر ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما أمر بإخراج بنى النضير جاءه ناس منهم فقالوا : يانبى الله ، إنك أمرت بإخراجنا ولنا على الناس ديون لم تحل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. (ضعوا وتعجلوا) فدل هذا على جواز جعل المدة عوضا عن المال ، لأن وضع جزء من الدين والإبراء من بعضه كان فى مقابل عدم استيفاء الأجل ، فكذلك زيادة الثمن عند تأجيله مثل ذلك سواء بسواء ولا بأس بها .
أما حديث النبى عليه الصلاة والسلام عن البيعتين فى بيعة فقد ورد فى رواية أخرى قاصرا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ، والرواية الأولى السالف ذكرها دخل فى روايتها محمد بن عمرو بن علقمة وقد تكلم فيه غير واحد فلا يطمأن إليها. والرواية الأخرى عن النهى عن بيعتين فى بيعة تحتمل تفسيرا آخر وهو النهى عن الجمع بين

بيعتين يقصد بهما التحايل على الربا ، كمن يشترى سلعة من آخر بثمن مؤجل قدره مائة دينار ، وقبل مضى الأجل يشتريها بائعها الأول بثمن حال قدره ثمانون دينارا ، فيؤول الأمر إلى أن يجمع هذا التصرف بيعتين للسلعة هما فى الحقيقة بيعة واحدة للثمانين دينارا بثمن قدره مائة دينار تدفع عند حلول الأجل ، وقد كان بيع السلعة ستارا للتحايل على هذا الربا .

٤ — وإذا ناقشنا أدلة الرأيين السابقين ، تبين لنا أن الزيادة فى بيوع التقسيط حرام.

فقد أجمع العلماء على تفسير الربا فى قوله تعالى : « وحرم الربا » على أنه الربا الذى كان معروفا فى الجاهلية ، وهو ما كان يحصل عليه الدائن من زيادة لرأس ماله عند ما يعجز مدينه عن الوفاء بدينه عند حلول الأجل فيقول له : إما تقضى دينى وإما أن تربى أى تزيدنى فى الدين نظير الأجل . فدل هذا على أن كل زيادة فى مقابل الأجل تحسب ربا ، والزيادة هنا لا مقابل لها فى حقيقة الأمر غير الأجل ، والأجل لا يعد مالا لعدم إمكان حيازته والاستئثار به وادخاره لوقت الحاجة ، فلم يكن جائزا أن يعتاض عنه بمال .

أما حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ضعوا وتعجلوا) فليس فيه ما يشير إلى جواز أن تكون المدة عوضا عن المال ، لأن إنقاص الدين هنا كان بسبب التعجيل ، وهو عكس التأجيل فلم يكن فى مقابل المدة الباقية من الأجل ، وإنما كان لتيسير حصول الدائن على الدين بتعجيل المدين ما عنده إذا كان مساويا للقدر المطلوب بعد إبرائه عن بعض الدين . يضاف إلى ذلك أن العائد هنا إلى الدائن أقل من حقه لا أكثر منه بينما فى البيع المؤجل نجد الثمن العائد إلى البائع أكثر من حقه لا أقل منه ، فلا وجه للقياس هنا ولا سبيل إلى الاستدلال بهذا الحديث فى هذا المجال ، خاصة أن الربا هو الزيادة أصلا ، وفى حالة الحط عن الدين والإبراء منه نقص ولا زيادة ، فضلا عن أن هذا الحديث لا يتعلق بعقد معاوضة ، بل يتعلق بالإبراء وهو إسقاط لا معاوضة فيه.

وكذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « الذهب بالذهب والفضة بالفضة ... إلى قوله عليه السلام : « فإذا اختلفت هذه الأشياء فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » ، فقد تناول هذا الحديث ربا الفضل ، ويؤخذ منه أن اختلاف الجنسين يجيز التفاضل بشرط « إذا كان البيع قد تم يدا بيد » ، وقد سكت الحديث عن حكم البيع عند اختلاف الجنس - إذا لم يكن قد تم يدا بيد بأن تأجل أحد العوضين فيه ، كما يحدث فى زيادة ثمن السلعة

المؤجل عن سعرها اليومى لتأجيل هذا الثمن، ومن ثم لا حجة فى هذا الحديث على تحريم هذه الزيادة أو حلها . ولا ينفى ذلك أن هناك فى قواعد التشريع الإسلامى ما يحرم هذه الزيادة ، ومن ذلك آية الربا سالفة الذكر حيث ثبت بها تحريم كل زيادة إذا كانت فى مقابل الأجل فحسب .

وليس الأمر هنا مجرد تجارة تمت عن تراض بين البائع والمشترى، كما لا يقال كذلك إن البائع كان له أن يزيد ثمن السلعة منذ البداية وله أن يؤجل ثمنها فكان له زيادة الثمن المؤجل فى بيوع التقسيط ، لأن هذه أمور لا مجال للاحتجاج بها فى الحالة موضع البحث لأن بيوع التقسيط تتميز بأن للسلعة فيها ثمنين أحدهما ثمن حال معروف (نقدى) والآخر ثمن مؤجل يزيد عنه ، وهو نفس الثمن الحال بعد أن زاد بسبب التأجيل ، وهنا لا يمكن القول بأن الأسعار تتفاوت وتزيد وتنخفض لأن السلعة تحدد لها سعر نقدى معين ولم يقصد البائع إلى زيادة الثمن المؤجل إلا بسبب الأجل ، ولا يقبل المشترى هذه الزيادة عن رضا خالص فى معظم الظروف ، فضلا عن أن التراضى على الربا لا يجعله حلالا ، بفرض وجود الرضا الخالص عليه .

ومن الملاحظ أن زيادة الثمن فى بيوع التقسيط تعتبر ربا من الناحية القانونية ، ولهذا لا يجوز أن تزيد عن الحد الأقصى المقرر قانوناً للفوائد الربوية (٧٪ سنوياً) فإن زادت على ذلك أنقصت إلى هذا الحد قانوناً . وإذا كان هذا نظر فقهاء القانون ، فأولى بفقهاء الشريعة الإسلامية تحريم هذه الزيادة للأدلة الشرعية السالف ذكرها .

٥ — وغنى عن البيان أن النظم الاقتصادية قد عرفت وسائل أخرى مشروعة يتم فيها تأجيل ثمن البيع دون زيادة ، كنظام الاستمارات الحكومية، فى بعض المؤسسات، والتى يتم بمقتضاها شراء بعض السلع بسعرها اليومى مع تأجيل ثمنها ودفعه أقساطا ، وإذا كان هذا النظام قاصراً على الموظفين ، فإن فى إمكان غير الموظفين تطبيقه عن طريق النقابات والجمعيات التعاونية ... الخ ، ولا شك أن هذا النظام لا غبار عليه فى الإسلام ؟

د. عبد الناصر توفيق العطار

رحّالة ... وشاعر ... ومهندس

للأستاذ أبو الوفا المراغي

ظاهرتان فى حياة إخواننا المغاربة تستوقفان النظر وتحتاجان إلى تفسير : إحداهما حب الرحلة والتجول ، والثانية كثرة رجال الصوفية فيهم ، فالمتتبع لأخبار الرحالة العرب يجد أكثرهم من المغاربة . فابن بطوطة وابن جبير والإدريسى وإبراهيم بن يعقوب الطرطوشى والعلامة ابن خلدون كلهم من المغرب ، وأعنى بالمغرب هنا المغرب بمعناه القديم لا بمعناه السياسى الحديث ، وكذلك المتتبع لتراجم الصوفية يجد كثيرا منهم من المغاربة فابن عربى وابن العربى وأبو الحسن الشاذلى والمرسى أبو العباس والسيد البدوى وغيرهم ممن تنتشر اسماؤهم وطرقهم فى مصر وغيرها من البلدان الإسلامية مغاربة .

وقد يمكن تفسير كثرة الرحلات والرحالين من المغرب إلى المشرق . بأنها كانت ببواعث من طلب العلم ، والاستزادة منه أو استجلاء حضارته التى زخرت بها مصر وبغداد ومدن الشام وترامت أنباؤها إليهم فبعثت فى نفوسهم الشوق إلى تلك الديار للاقتباس منها والمتعة بها ، ولقد كان لمصر خاصة وعلى امتداد التاريخ من الفتنة والسحر ماجعلها مهوى الأفئدة وقبلة الأنظار ومطمح النفوس ، وهناك سبب دينى لا شك أنه أهم من سابقه ذلك هو الرغبة فى أداء فريضة الحج والرحلة إلى الحج من أحلى آمانى المسلم يستعذب لها العذاب ويستهين فيها بالصعاب بل يسترخص من أجلها الرقاب - ولطالما كانت أحاديث الرحلات الحجازية مادة السمر فى أندية المسلمين ومجتمعاتهم كما كانت مادة لكثير من مؤلفاتهم التاريخية ، وأشواق الحج والحنين إليه تتأجج نارها فى قلب كل مسلم وبخاصة من ذاق حلاوة القرب فى رحاب الرب ، ونعم بالمثول فى حضرة الرسول وإذا صح تفسير كثرة رحلات المغاربة بما ذكر فما تزال كثرة الصوفية فيهم بحاجة إلى تفسير نرجو أن ينهض به دارسو تاريخ التصوف والمتصوفين .

ومن هؤلاء الرحالة المغاربة رحالة شذ عن تفسيرنا للرحلات المغربية ، فهو رحالة لم يرحل إلا إلى مصر وقد رحل إليها يبتغى بسطة العيش وثراء المال فحسب كما حدث عن نفسه وكما حكى عنه مترجموه لأنه كان غنيا بعلمه ومواهبه عن التعلم والعلماء ، فقد كان أديبا وطبيبا ومنجما وموسيقيا كما كان رياضيا عالما بالحيل ، وقد بلغ فى صناعة الطب مبلغا

لم يصل إليه غيره من الأطباء. وحصل من معرفة الأدب ما لم يدركه كثير من سائر الأدباء . وكان أوحد العلم الرياضي متقنا علم الموسيقى وعمله جيداللعب بالعود وكان لطيف النادرة فصيح اللسان جيد المعانى ولشعره رونق ، وعلم الحيل فيما ذكرنا له مفهوم فى العصر الحديث .فهو بمعناه القديم قد يتسع لعلم الفراسة ولشىء من مبادىء الكيمياء والطبيعة والهندسة على أن مفهومه فى العصر الحديث : الدجل والشعبذة وسلب عقول الناس لسلب أموالهم . وعلم الحيل الذى كان هذا الرحالة ذا براعة فيه هو موضوع الغرابة والإعجاب فى رحلته وحياته فقد كانت الحيلة التى ذكرها مترجموه للدلالة على علمه بالحيل هو اختراعه لآلة هندسية هى الرافعة «الونش» التى ربما ظنها كثير من الناس أنها اختراع أجنبي حديث ، ولكن فكرتها فكرة عربية مغربية نبتت فى ذهن هـــذا الرحالة المغربى منذ أكثر من ثمانية قرون على ما يروى المؤرخون فقد حدث وهو فى مصر أن مركبا وصل إلى الإسكندرية وهو محمل بالنحاس فغرق قريبا من شاطئها ولم يكن لأهل الإسكندرية حيلة فى انتشاله ففكر ذلك الرحالة فى هذا الأمر حتى يكون له فيه رأى واجتمع بوزير مصر إذ ذاك وهو الأفضل ابن أمير الجيوش وأعلمه أنه قادر على انتشاله إن تهيأ له جميع ما يحتاج إليه من الأدوات فعجب الوزير من أمره وسربه وأمر بإعداد جميع ما يحتاج إليه فوضع الرحالة ما أعد من آلات هندسية فى مركب مواز للمركب الغريق وأدلى منه حبالا ربطت بالمركب الغريق وأعمل الآلات الهندسية حتى رفع المركب الغريق إلى سطح الماء. وكادت الفكرة تنجح لولا أن الحبال قد انقطعت فهوى إلى قاع البحر مرة أخرى وقد غضب الوزير لما ضاع من أموال فى تجهيز الآلات ويقال أنه سجنه ثلاث سنوات عقابا له على ذلك وقد كان الوزير مخطئا فى غضبه وفيما فعل لأن الفكرة كانت سديدة وصحيحة لولا أمور خارجة عن إرادته . وهكذا برهن ذلك الرحالة على مقدرته الهندسية إلا أنها لم تصادف من يشجع عليها ويتسع صدره وصبره لما تحتاج إليه الابتكارات من تجارب ونفقات .

وهانحن أولاء نشهد فى عصرنا كم تستنفد التجارب من نفقات وتضحيات بالأرواح والأموال حتى تنجح وتؤتى ثمارها .

تلك هى الناحية الهندسية من نواحى هذا الرحالة أما ناحيته الأدبية فقد كان أديبا بأوسع معانى هذه الكلمة ، كان شاعرا وكان ناثرا ، وبلغ فى الناحيتين أقصى ما يبلغه ناثر أو شاعر وكاد يصل بنثره ما انقطع

من سلسة الكتاب الجاحظيين كما كاد يذكرنا شعره بزميله وسميه الشاعر القديم أمية بن أبى الصلت فقد كانت موهبته الشعرية من المواهب النادرة فى الشعراء فأكثر الشعراء يجيد القول فى فنون خاصة أما هو فقد كان مجيدا فى أكثرها وأعاد لنا بجزالة لفظه ورقة معانيه ودقة تشبيهاته صورة العصر العباسى الزاهر ، عصر أبى نواس والبحترى وأبى تمام وابن الرومى وغيرهم وأضاف إلى ذلك طابع الأندلسيين فى وصف الطبيعة وأخلاق الناس . وحسبنا أن نقتبس نماذج من نثره من رسالته المصرية وهى الرسالة التى دون فيها رحلته إلى مصر وأجمل الباعث له عليها وهو رجاء الخير فيها ثم خيبته فيما ابتغاه وسعى إليه كما وصف فيها البلدان المصرية وما احتوته من جمال وتحدث عن عواصمها القديمة وما انبث فيها من آثار كالأهرام ولم يفته أن يتحدث عن النيل وينشد لنفسه ويحكى عن غيره ما قيل فيه من بديع التشبيه وغريب الوصف وقد عرض فيها العقائد المصريين وأخلاقهم وولعهم بأحكام النجوم كما تحدث عمن لقيهم من الأدباء والظرفاء والأطباء الذين لم يرض عن خبرتهم وعلمهم .

قال فى أول الرسالة :

كنت إبان عصر الشباب موتق . وغصن الصبا مورق . إذ لحيتى مسودة ولماء وجهى رونق يمن ساعه الدهر بغفلة من غفلاته ، وتجافى له عن غفوة من غفواته . فماش آمن السرب سائغ الشرب ، لا يتفرغ من أدب يرود رياضه ، ويرد حياضه ، إلا إلى طرب يعمر ميدانه ، ويسحب ذيوله وأردانه . ثم تلون فقلب لى ظهر مجنه وسقانى دردى دنه فتدارك ما أغفله واسترد ما بذله واضطررت إلى مفارقة الوطن ، والخروج عن العطن ، فتما سكت إشفاقا من مفارقة أول أرض مس جلدى ترابها . وشدت على التمائم بها ، وجاءت أمور لا تطاق كبار ، فلما لم يمكن القرار ، ولم يبق إلا الفرار ، قلت ليس لى إلا أن أرمى بنفسى كل مرمى ، وأطرحها كل مطرح .

لأبلغ عــذرا أو أنال رغيبة

ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وسكنت إلى البيت المشهور :

تلق بكل بلاد إن حللت بها

أهلا بأهل وأوطانا بأوطان

وليس لى غير مصر مقصد ولا وراءها مذهب ولا دونها للفتى متطلب

وكم فى الأرض من بلد ولكن

عليك لشقوتى وقع اختيارى

ومن الرسالة يصف ما لقى بمصر من عنت وجحود :

ولم تطل مدة اللبث حتى تبينت بما شاهدته أنى فيها مبخوس البضاعة موكوس الصناعة مخصوص بالإهانة والإضاعة ، وأن عيشها الرغد مقصور على الوغد ، وعقابها المر موقوف على الحر فلو تقدمت فعلمت ذلك لخف عنها مركبي وصرفت إلى سواها وجه مطلبي ولكان فى الأرض مرعى شاسع، ومنتاب واسع ، بل تثبطت حتى تورطت حتى عوملت بما يعامل به ذو الجرائر والذنوب وجرعت من المذلة بأوفى ذنوب هذا مع ماجرته من المدح التى اشتهرت شهرة الصباح وهبت هبوب الرياح ، ولهج . بها الحادى والملاح . وهذا شعره فى الغزل :

متفرد بالحسن والظرف
بحت لديه بالذى أخفى
قد عوقبت أجفانه بالضنى
لأنها أضنت وما تشفى

ومما قاله فى الرثاء :

قد كنت جارك والأيام ترهبنى
ولست أرهب عز الله من أحد
فنافستنى الليالى فيك ظالمة
وما حسبت الليالى من ذوى الحسد

ومما قاله فى وصف روضة حول بركة الحبش بالقاهرة :

لله يوى ببركة الحبش
والصبح بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب
كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوفة
دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الربيع لنا
فنحن من نسجها على فرش

ومما قاله فى الزهد والتندم :

حسبي فقد بعدت فى ألفى أشواطى
وطال فى اللهو إيغالى وإفراطى
انفقت فى اللهو عمرى غير متقظ
وجدت فيه بوفرى غير محتاط
فكيف أخلص من جسر الذنوب وقد
غرقت فيه على بعد من الشاطى
يارب مالى ما أرجو رضاك به
إلا اعترافى بأنى المذنب الخاطى

وبعد ، فذلك هو الرحالة الذى لمع برق سعده فى سماء مصر قليلا ثم خبا فأظلمت حياته بما حيك له من الدسائس فعاد إلى أفقه بالمغرب تجلله غيوم الناس والأسى وقد أجمل حاليه حين قدومه إلى مصر راجيا وحين عودته منها محروما فقال .

وكم تمنيت أن ألقى بها أحدا
يسلى من الهم أو يعدى على النوب

. . . .

والرحالة هــذا هو أبو الصلت أمية ابن عبد العزيز ابن أبى الصلت المولود بدانية من بلاد الأندلس سنة ٤٧٠ هـ والمتوفى بها ٥٢٨ هـ .

أبو الوفا المراغى

إفطار الرسول صلوات الله وسلامه عليه

للأستاذ علي الجندي

كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - في غير رمضان، يستحب - إذا أفطر - أن يكون على لبن. وفي رمضان كان لا يصلي المغرب حتى يفطر.

عن أنس: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فتمرات. فإن لم تكن تمرات، حسا حسوات (١) من ماء.

رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال (حديث حسن).

وفي الجامع الصغير: (كان يعجبه أن يفطر على الرطب ما دام الرطب، وعلى التمر إذا لم يكن رطب، ويختم بهن، ويجعلهن وتراً: ثلاثا، أو خمسا، أو سبعا).

وفي الجامع أيضا: (كان إذا كان الرطب لم يفطر إلا على الرطب، وإذا لم يكن الرطب لم يفطر إلا على التمر). وكان أحب التمر إليه العجوة).

حكمة تقديم الرطب:

ويقول الشيخ ابن عربي: إنما كان - صلى الله عليه وسلم - يقدم الرطب على التمر إذا أفطر في رمضان، لأن الرطب أحدث عهدا بربه، كما قال ذلك حين اغتسل بماء المطر.

وفي يوم عيد الفطر أيضا، كان يطعم قبل أن يخرج إلى المصلى، وكان يأكل تمرات.

وليس المعنى: أن الفطر على التمر واجب في رمضان، وإنما هو مستحب لو تركه لجاز.

وتحصل السنة بتمرة واحدة، والحديث يومىء إلى ثلاث:

حب الرسول للتمر:

وكان عليه الصلاة والسلام يحب المراجين ولا يزال في يده منها.

ومن قوله في التمر: (نعم غذاء المؤمن الحفنة من التمر).

وكان كذلك يحب الزبد والتمر، وهما من أنفس الغذاء عند العرب بعامة.

وعن أبي الصديق الناجي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (خير تمراتكم البرني (١). يذهب بالداء، ولا داء فيه.

---

(١) حسوات: جمع حسوة - بفتح الحاء والسين فيهما وهي المرة من الشرب.

(١) البرني - بفتح فسكون فكسر مع تشديد الياء - ضرب من التمر أصفر مدور، وهو أجود التمر. وفي القاموس: البرني تمر معرب أي الحمل الجديد.

حكمة الإفطار على التمر :

قالوا : وإنما شرع الإفطار على التمر ، لأنه حلو ، وكل حلو يقوى البصر الذى يضعف بالصوم ، وهذا أحسن ما قيل فى المناسبة ، وبيان وجه الحكمة .

فالتمر لأهل الحجاز يكاد يكون بمنزلة الحنطة عند غيرهم ، وهو قوتهم ومادتهم وأدمهم والرطب منه فاكهتهم وتمر العالية (١) . من أجود أصناف تمرهم ، فإنه متين الجسم ، لذيذ الطعم ، صادق الحلاوة !

والتمر عامة يدخل فى الأغذية والأدوية والفاكهة ، وهو يوافق أكثر الأبدان . مقو للحرارة الغريزية ، ولا يتولد عنه من الفضلات الرديئة ما يتولد عن غيره من الأغذية والفاكهة بل يمنع لمن اعتاده من تعفن الأخلاط وفسادها !

وكان أبو هريرة يقول : أكل التمر أمان من القولنج (٢) ، وشرب العسل على الريق أمان من الفالج ، وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد ، والزبيب يشد العصب ويذهب بالوصب والنصب ، والكرفس يقوى المعدة ، ويطيب النكهة ، وأطيب اللحم الكتف .

(١) العالية : ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة . وقرى بظاهر المدينة تسمى العوالى ، وهى المراد .

(٢) ما يسمى بلغة العصر مرض المصران الغليظ

تفضيل التمر على كل الأطعمة !

كانت العرب لا تقدم على التمر شيئا ومن ذلك أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال لرجل من أهل الطائف الحبلة (١) أفضل أم النخلة ؟ .

فقال الرجل : بل الحبلة أتزببها ، وأشمسها ، أستظل فى ظلها ، وأصلح برمتى منها (٢) .

فقال عمر : تأبى ذلك الأنصار .

وفى « التنبيه » لو حضرك رجل من أهل يثرب لرد عليك .

وكان الرجل من أهل الطائف ـ وهى معروفة بالعنب ـ لذلك فضل الكرم على التمر وقول عمر : تأبى ذلك الأنصار لأن الأنصار سكان المدينة ، وهى معروفة بالنخل :

وقوله هذا يحمل فى ثناياه تفضيل التمر على العنب .

وعن الأصمعى : أسر رجل رجلين فى الجاهلية ، فخيرهما بم يمشيهما ؟ فاختار أحدهما اللحم ، واختار الآخر التمر ، وكان ذلك فى شتاء شديد ، فأصبح صاحب اللحم خامدا ، وأصبح صاحب التمر تتوقد عيناه ! .

(١) الحبلة ـ بالضم ويحرك ـ شجرة العنب

(٢) أتزببها أتخذ منها الزبيب ، والتشميش التجفيف فى الشمس . والبرمة : قدر من الحجارة ، قال البكرى : يعنى الخل الذى يتخذ من العنب ، يريد أصنع من خلها فى القدر ما يصلح الطعام .

(البقية على صفحة ٥٩٢)

زكاة الفطر

للأستاذ يوسف عبد الهادي الشال

إذا تأملنا تكاليف الإسلام وجدنا التناسق والانسجام بينها بينا واضحا .

وأقرب الشواهد على ذلك ما بين زكاة الفطر وفريضة الصوم في رمضان من تناسب وتلاؤم فبعد مقاساة الحرمان المفروض على المسلم طوال شهر كامل يتحتم على المستطيع أن يؤدى زكاة الفطر لمستحقيها الذين عينهم الله سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد .

والمشهور أن هذه الزكاة شرعت في السنة الثانية من الهجرة وهو العام الذى فرض فيه صوم رمضان[1] .

وأضيفت الزكاة إلى الفطر لأنها تجب بسببه أى بسبب الفطر بعد الانتهاء من صوم رمضان ، ووقت وجوبها يبدأ من غروب شمس ليلة عيد الفطر .

قال ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة : يقدم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدى صلاته فإن الله يقول : قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى »

ولابن خزيمة من طريق كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال : نزلت

(١) مغنى المحتاج حـ ١ ص ٤٠١ .

في زكاة الفطر[1] .

وقد روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنا نخرج في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعا من طعام . وقال أبو سعيد : وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر[2] .

فيوم العيد إذا مجال وجوب هذه الزكاة فإن أخرت عن هذا اليوم لم تسقط ، بل تصير دينا في الذمة يجب قضاؤه .

ومما يؤكد هذا الوجوب ماروى من أن صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بتأدية هذه الزكاة ، وقد أوجبها الله إغناء للفقراء في يوم العيد عن مد اليد والمسألة حتى يشعروا في هذا اليوم بما يشعر به كل واجد من بهجة ومسرة يبدو معهما أفراد المجتمع المسلم في مظهر الود المتبادل والسعادة المشتركة .

وإذا كان يوم العيد مجال وجوب هذا النوع من الزكاة فإن بعض الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين يرى أن شهر رمضان كله مجال لجواز إخراجها فيه تيسيرا على المستحقين كيما تتهيأ

(١) عمدة القارى حـ ٣ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٢) المرجع السابق .

لهم فرصة الاستعداد ليوم العيد ومتطلباته من ملبس ومطعم متميز .

وممن يرى هذا الرأى الإمام الشافعى رضى الله عنه .

وقد روى الإمام « الشوكانى » فى « نيل الأوطار » للبخارى أنهم كانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين ، ثم قال . وفى ذلك « دليل على جواز تعجيل الفطرة قبل يوم الفطر ، وقد جوزه الشافعى من أول رمضان [1] .

ويبدو أن هذا الرأى له من الوجاهة والإقناع ما يسوغ الفتوى به لأن المتأمل فى هدف زكاة الفطر يراه ماثلا فى إغناء الفقراء والمحتاجين فى يوم العيد حتى يقضوه كما يقضيه غيرهم فى غنى عن السؤال كما قال عليه السلام : أغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم .

وأياما كان الأمر فإن وقت الإخراج يرجع إلى تقدير المخرج ، وللظروف والملابسات التى تحيط بكل من المخرج والمستحق أثر كبير فى تكييف الموقف وملاحظة المصلحة .

وقد وردت نصوص الأحاديث بالقدر الواجب على كل مسلم والصنف الذى يخرج .

ومن بين هذه النصوص مارواه الدارقطنى عن ابن عيينة عن بن عجلان عن عياض ابن عبد الله عن أبى سعيد قال :

« ما أخرجنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صاعا من دقيق أو صاعا من تمر أو صاعا من سلت أو صاعا من زبيب أو صاعا من شعير أو صاعا من أقط ، قال ابن المدينى لسفيان : يا أبا محمد : إن أحداً لا يذكر فى هذا الدقيق . ! فقال : بلى . هو فيه » رواه الدارقطنى واحتج به أحمد على إجزاء الدقيق .

والسلت بضم السين وسكون اللام نوع من الشعير وهو كالحنطة فى ملاسته وكالشعير فى طبعه .

والأقط بفتح الهمزة وكسر القاف هو لبن يابس غير منزوع الزبد ، ولعله يشبه الجبن كامل الدسم فى عصرنا .

والمعتبر القوت الغالب لجمهرة بلد المزكى .

والصاع فى الكيل المصرى قدحان على رأى الشافعية وعلى ذلك تكون الكيلة زكاة أربعة أفراد . وفى تقدير الحنفية تكون الكيلة زكاة ستة أفراد باعتبار الصاع قدحا وثلث قدح ، والمزكى مخير بين التقديرين تبرأ ذمته باتباع أحدهما بيد أن التوسعة على المستحقين ينبغى أن تكون موضع رعاية وباعث بذل .

وليس ثمت ما يمنع من إخراج القيمة نقداً يوجهه المستحق الوجهة التى يراها محققة لغرضه وسد حاجته .

وقد بين القرآن الكريم مصارف الزكاة

---

(١) نيل الأوطار حـ ٤ ص ١٨١

فى قول الله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » التوبة : ٦٠

والفقير والمسكين تجمعهما الحاجة الداعية إلى بذل العون وإن اختلف مفهوم كل منهما .
فالمشهور أن الفقير أسوأ حالا من المسكين إذ هو الذى لا يجد شيئاً وأما المسكين فإنه يجد مالا يكفيه .

وقد استدل الشافعى والجمهور على ذلك بقوله تعالى فى سورة «الكهف» . « وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر » حيث سماهم مساكين مع أن لهم سفينة يعملون فيها (١) .

على أن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه نبه المسلمين إلى طائفة ولفت إليها الأنظار بقوله عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة واللقمتان . إنما المسكين الذى يتعفف . اقرءوا إن شئتم « لا يسألون الناس إلحافا » .

وفى لفظ : ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان . لكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه . ولا يفطن به فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس » ...

مثل هـذا خليق أن يتنبه المزكون إليه ويحاولون ما استطاعوا البحث عن مثله ، وبخاصة أولئك الذين أخنى عليهم الدهر وتقلبت بهم الأيام . ويعصمهم ـ على الحرمان والطوى ـ من السؤال عزة الإيمان والحياء الذى يعقد الألسنة ويغل الأيدى أحيانا كثيرة .

والمؤلفة قلوبهم هم الذين أسلموا حديثاً وكانوا فى حاجة إلى العون على تدبير معاشهم وتهيئة شئونهم ، ومثل هؤلاء يكونون فى حاجة إلى الرعاية والمساعدة لما قد يحيق بهم من أهلهم وذوى قرباهم وأرباب دينهم السابق من محاولات مرهقة وتضييق عنيد يصل أحياناً إلى المحاربة فى الرزق .
وأما الغارمون فهم أولئك الذين يتحملون التزامات فى ذممهم يؤدونها من أموالهم

وقد بين الرسول الكريم هؤلاء فيما رواه قبيصة بن مخارق الهلالى بقوله : تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ثم قال : يا قبيصة . إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك . ورجل أصابته جائحة اجتاحت

---

(١) نيل الأوطار جـ ٤ صـ ١٥٨ .

ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سداداً من عيش . ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سداداً من عيش . فما سواهن من المسألة يا قبيصة فسحت يأكلها صاحبها سحتا (١) » .

والحمالة بفتح الحاء والميم مايتحمله الإنسان ويلتزمه ليدفعه فى إصلاح ذات البين .

وإنما تحل له المسألة ويعطى من الزكاة بشرط أن يلتزم لغير معصية .

ولا شك أن هذه لمسة من لمسات الإسلام تبدو فيها مكارم الأخلاق ومحمدة الدفع إلى المروءة والنجدة .

فقد تكون هناك خصومة أو فتنة لا يقضى عليها إلا مثل ذلك الذى يتقدم فيطفىء نارها بالتزام يلتزمه فيغرم من ماله الخاص فى الوقت الذى لا يعتبر فيه طرف نزاع ولا تربطه به أدنى صلة . فإذا قدر الإسلام موقفه وأوجب له ذلك الحظ من الزكاة حقا مقررا له أن يأخذه كان ذلك دافعا له ومشجعا . وفى مثل هذه المواقف خير كثير لا يقدره قدره إلا من عانى تجربة منها وعاشها .

وفى « سبيل الله » مقصود بها الغازى . وقد وضح ذلك النص النبوى « لا تحل الصدقة إلا لخمسة : لعامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غاز فى سبيل الله أو مسكين تصدق عليه بها فأهدى منها لغنى » رواه أبو داود وابن ماجه .

وليس أولى فى أيامنا هذه من منظمات المقاومة فى فلسطين التى تحاول وتعمل جاهدة فى أرضنا التى احتلها العدو فلوث باحتلاله وجه كرامتنا وطعننا فى عزتنا وديننا .

أولئك أولى بأن تمتد إليهم أيدى البذل فى سخاء عسى الله أن ينصر بهم وينفع .

وابن السبيل المستحق للصدقة هو كما قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : من يريد السفر فى غير معصية فيعجز عن بلوغ مقصده .

وزكاة الفطر هذه تجب على المسلم الذى يجد ما يؤديه فاضلا عن قوته وقوت من يعوله يوم العيد وليلته .

وتجب عن نفسه وعمن تلزمه نفقته كزوجته وأصوله وفروعه الذين تجب عليه نفقتهم ، وكذا الخادم الذى يتولى المزكى أمره ويقوم بالإنفاق عليه .

وطبيعى أنه لا تدفع الزكاة إلى الآباء والأبناء لأنه يجب على المزكى أن ينفق على أصوله وفروعه إذا كانوا فقراء .

ويجوز دفعها إلى الأخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات – وأولادهم وغيرهم من الأقارب إذا كانوا

---

(١) نيل الأوطار جـ ٤ ص ١٦٨ .

مستحقين بل هم أولى لأنها لهم صدقة وصلة رحم فثوابها أكبر وهى عند الله أحمد .

وطبيعى أيضا أن تصرف زكاة كل بلد فى مستحقيها ولا ينقل إلى غيرها إلا الفاضل بعد استيعاب المستحقين . حيث روى الشيخان عن معاذ أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمين قال له : خذها من أغنيائهم وضعها فى فقرائهم ، وروى عن مالك والشافعى والثورى أنه لا يجوز صرفها فى غير فقراء البلد أى قبل استيعابهم وسد حاجتهم .

وقد ختم صاحب « مغنى المحتاج » باب زكاة الفطر بقوله :

يسن للمستحق الدعاء للمعطى عند الأخذ ترغيبا له فى الخير وتطييبا لقلبه ، والأولى أن يقول ما استحبه الإمام الشافعى رضى الله عنه : آجرك الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا وبارك لك فيما أبقيت ؟

يوسف عبد الهادى الشال

(بقية المنشور على صفحة ٥٨٧)

ورأى أعرابى دقيقا وتمرا ، فاشترى التمر وكان سعرهما واحدا - فقيل له : كيف وسعر الدقيق والتمر واحد ؟ .

فقال : إن فى التمر أدمة وحلاوة . أى إنه يجمع بين الإدام والحلواء ، فهو طعام كامل وفاكهة ! .

وقال أعرابى - يفضل الرطب على اللبن - : أتجعل عسلة فى أخثاء البقر(١) كعسلة فى جو السماء ، لها محارس من جريد ، وذوائب من زمرد ؟ ! .

شجرة مريم :

وعن الشعبى : كتب قيصر الروم إلى عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - : إن رسلى أخبرونى : أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق عن مثل أذان الحمر ، ثم يصير مثل اللؤلؤ ، ثم يعود كالزمرد الأخضر ثم يصير كالياقوت الأحمر والأصفر ، ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ، ثم يجف فيكون عصمة للمقيم ، وزادا للمسافر ، فإن كان رسلى صدقونى ، فهى الشجرة التى نبتت على مريم بنت عمران .

فكتب إليه الخليفة : إن رسلك صدقوك وهى شجرة مريم ، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله ! .

وسبحان الخالق الحكيم الذى وهب لكل صقع ما يوافق أهله من الغذاء والدواء ! .

على الجندى

(١) الأخثاء : جمع خثى - كقرد - : ما يخرج من بطون الحيوان .

ما يقال عن الإسلام

عظمة الإسلام

للدكتور أحمد فؤاد الإهوانى

ليس جميع المستشرقين على حد سواء فى التصغير من شأن الإسلام، إذ منهم من ينظر نظرا فيه بعض الموضوعية والتجرد من كل هوى إلى الواقع التاريخى، فلا ينكرون على الإسلام عظمته فى صفحة التاريخ. وهذا بالفعل عنوان كتاب كبير يبلغ زهاء ثلاثمائة صفحة وسبعين من القطع الكبير، ألفه الأستاذ جاستون فييت، عضو الأكاديمية الفرنسية.
Gaston Wiet Grandeur de L'Islam, 1961.

وقد اتبع المؤلف منهجا يمكن أن نطلق عليه (المنهج الداخلى) فى مقابل المنهج الخارجى. والمنهج الداخلى ينظر إلى الدين من خلال عيون أصحابه، كما يرونه، ويعتقدونه، لا من وجهة نظر أصحاب الأديان الأخرى. ومن أجل ذلك اختفى وراء المؤلفين العرب، فأنطقهم، وجعلهم هم الذين يتحدثون إلينا. ولم يذكر هذه النصوص كما وردت عند أصحابها باللغة العربية بطبيعة الحال وإنما ذكر أنه قد قام بترجمة بعض المؤلفات العربية، كما أن معظم الكتب العربية الرئيسية الهامة منقولة بالفعل نقلا جيدا إلى معظم اللغات الأجنبية.

هذا المنهج الذى يعتمد أولا وقبل كل شىء على النصوص القديمة نفسها، ولا يكاد مؤلف الكتاب يتحدث بلغته أكثر من بضعة أسطر ربما يقدم بين يدى النص ويمهد له. هو لعمرى طريقة أصبحت شائعة فى الوقت الحاضر.

إن عظمة الإسلام المقصودة ليست هى عظمة الفن، أو العقيدة، أو الأحوال الاجتماعية، وإنما هى العظمة التاريخية. الحق أن التاريخ يشمل كل شىء، لأن المؤرخ مضطر حين يبرز الحوادث التاريخية عبر الزمان، أن يصور ما كانت عليه الشعوب من حضارة تشمل الدين والفلسفة، والفن، والأخلاق، والاقتصاد، والحياة الاجتماعية والنزعات النفسية، والطبائع الجارية، وما إلى ذلك. غير أن محور الارتكاز عند المؤرخ هو السرد التاريخى، والتسلسل الزمنى، وأنظمة الحكم، على حين أن المؤلف فى العقائد وأصول الدين يضطر كذلك إلى التعرض للنواحى التاريخية، والبيئة الاجتماعية، والمظاهر الأدبية. بعبارة أخرى. إن هذه

المظاهر المختلفة أجزاء من كل واحد وفروع من شخصية الأمة التى يحدثنا المؤرخ عنها .

كيف إذن تصور (جاستون فيت) مسيرة التاريخ الإسلامى خلال عشرة قرون من الزمان وكيف نظر نظرة تاريخية متعالية أشرف بها من سماء الفكر على العالم كله شرقا وغربا ، مسيحيا أم إسلاميا ، لينتهى من ذلك إلى هذه النتيجة التى خلص إليها بأن الإسلام كان عظيما .

كان الإسلام عظيما ، لأنه ثمرة الصراع بين قوى مختلفة تريد كل منها أن تتغلب على الأخرى(١) وأن تغلب وجهة نظرها ، ومثلها العليا . الحق أن المنهج الذى اتبعه المؤلف يبرز العلاقات المتشابكة ، والقوى المتصارعة فكانت الغلبة فى نهاية الأمر هى للحق والخير والفضيلة والتقدم . وهذه هى الصفات التى جاء بها الإسلام ، نزلت على النبى عليه السلام فى الكتاب ، وبشرت تعاليمه بين أبناء الشعوب المختلفة بها ، تطلعا إلى دنيا أكثر بهجة ورقيا فآمنوا به ، واعتنقوا مبادئه لا بالعسف والقهر ، وإنما بالتأمل والإقناع ، ولذلك

(١) فى الحق أن عظمة الإسلام عظمة ذاتية. وهى عظمة يضيفها الإسلام على أتباعه حينما يتمسكون به تمسكا صحيحا. ولذلك استطاعوا أن يظهروا بين هذه القوى المتصارعة فتغلبوا بمبادىء الإسلام وحدها ولا يصح أن يحكم على الإسلام بأتباعه سواء تقدموا أم تخلفوا.

كانت هذه الفترة التاريخية التى سادت فيها عظمة الإسلام ، تشكل فيها بالفخار فى سجل الإنسانية .

كان من الطبيعى أن يبدأ الكتاب بالحديث عن العرب قبل الإسلام وما كان لهم من أدب يتمثل فى الشعر الجاهلى بوجه خاص ، وكان العرب فى النصف الثانى من القرن السادس قد بلغوا قدرا من الحضارة والثروة يسرت للطبقة الارستقراطية فى مكة ، بما حققته من مكسب من التجارة بين اليمن والشام ، أن تصبح ذات نفوذ قوى . على الرغم من انحرافهم عن ديانة ابراهيم الذى أنشأ البيت مثابة للناس فى مكة ، واتجهوا إلى عبادة الأصنام

فى هذه الظروف ولد محمد بن عبد الله سنة ٥٧٠ ميلادية . فى عام الفيل ، ثم نزل عليه الوحى بالأمر الإلهى أن اقرأ باسم ربك الذى خلق ، إن أوثق مرجع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يعتريه شك ، وأصدق مصدر تاريخى ، هو القرآن نفسه ، الذى اعتمد عليه المؤلف فى تدوين معظم سيرة النبى ، لذلك رتب الآيات التى تبين سلوكه ، وخلقه ، وأحواله الاجتماعية ، والتى وردت فى القرآن ، وإذا رجع إلى السنة استأنس بتاريخ الطبرى .

لن يتسع المجال لعرض كل ما جاء فى ثنايا الكتاب اكتفاء بذكر المعالم الكبرى التى

وقف عندها. وقد مضى بعد ذكر موت النبي صلى الله عليه وسلم في بيان فتوح الشام وفارس، والتوغل شرقا وشمالا، على عهد الخلفاء الثلاثة ثم رجع إلى علي، وما دار في خلافته من فتن. والنزاع بينه وبين معاوية، وحرب صفين، وموقعة الجمل، وظهور الخوارج، بما انتهى إلى مقتله، وظهور الشيعة. وعاد بعد ذلك إلى فتح شمال إفريقية والأندلس في عصر الأمويين، ثم انتقال الحكم إلى العباسيين، وانفصال الامبراطورية الإسلامية إلى مشرق ومغرب، ووقف طويلا عند عصر المأمون الذهبي وعند مقتل المتوكل. وتحدث عن ثورة الزنج والقرامطة واستقلال الولاة بالإمارات، وموقف الحمدانيين من البيزنطيين، ثم انتقل إلى الفاطميين ودولتهم في مصر وازدهارها ثم أفول نجمها. وبدأت الحروب الصليبية واستمرت طويلا وأخيرا أسدل عليها الستار. وفي القرن الرابع عشر برز الأتراك، وتصاعدت قوتهم، واستولوا على القسطنطينية، وتوغلوا في أوربا وآسيا وفي الوقت نفسه سقطت غرناطة وانتهى حكم العـــرب في أسبانيا، وجاء عصر النهضة واكتشف طريق الرجاء الصالح، وعند ذلك توقفت عظمة [(١)] الإسلام !!.

(١) لن تتوقف عظمة الإسلام أبدا فهي ذاتية فيه لكن المؤلف مهما حاول أن يكون منصفا فهو لا يزال يرى الإسلام نفسه بتقصير أتباعه

هذه هي المعالم الكبرى التي مزج فيها بين قيام الدول وسقوطها وحضارات الأمم وما فيها من فكر وفن، ويجدر بنا أن نقف قليلا عند أبرز ما يسترعي الانتباه في هذا المؤلف، مكتفين بأربع مسائل، تعد نماذج لغيرها.

(١) لقد درجت لفظة الخلافة والخليفة في اللغة الفرنسية نفسها، وأصبحت جزءا من ذلك اللسان، ولكي يوضح لجمهور القراء الأجانب أصل هذا اللفظ، تحدث عن أبي بكر الذي سمي خليفة الرسول Galife والخلافة هي المصدر، وتسمى Califat ونحب أن نوجه هذا الكلام لمن يتصدون للبحث السياسي والتاريخي، في الإسلام، فيعدون الإمامة والخلافة شيئا واحدا، كما بينا في مقال سابق [(١)].

(٢) لم يعتمد المؤلف على الكتب العربية فقط، بل على المؤرخين من الفرنجة والمؤرخ المنصف لا بد له أن يذكر وجهتي النظر، ويقابل بينهما، ثم يناقشهما، ثم يخرج منهما بنتيجة متكاملة ونظرة شاملة. هذا هو المنهج التاريخي السليم. ولكن العرب والفرنجة على حد سواء دونوا التاريخ كلا من وجهة نظره فقط، وبذلك خرجت الحقيقة ناقصة لأنها من جانب واحد.

(١) مجلة الأزهر : ذو القعدة ١٣٨٧ هـ فبراير ١٩٦٨.

(٣) لم يترك المؤلف مصرع الخليفة المتوكل على يد الجند الأتراك دون أن يذكر الأسباب العميقة الواقعة من وراء هذا المقتل. ذلك أن سلطان المعتزلة بدأ فى عصر المأمون، وازداد فى خلافة المعتصم بالله. وظلت محنة اضطهاد المعتزلة لأهل السنة مستمرة فى ابتداء حكم المتوكل. غير أنه فى أواخر حياته انحاز إلى جانب أهل السنة ضد المعتزلة، ورفع المحنة عن أصحاب الحديث وعن ابن حنبل وأتباعه، كما أوقف موجة الالحاد، وفى الوقت نفسه اضطهد الشيعة كذلك، الذين اضطروا إلى الاختفاء والتية. وعلى الرغم من ترجمة المؤلف ماجاء من تفاصيل هذا المقتل عن الطبرى فى تاريخه، إلا أنه يعزو مصرعه إلى تلك الأسباب التى ذكرناها.

(٤) ومن فطنة المؤلف سعة اطلاعه على المصادر التاريخية وحسن اختياره الوقائع ومعرفة دلالتها وأثرها. فقد ذكر الحاكم بأمر الله الفاطمى وعجيب تصرفاته غير المعقولة، ومغالاته فى مذهب الإسماعيلية الذين يعتقدون أن العقل كلى وأن النفس كلية وأنهما فائضان عن الله بطريق العقل الفعال ويمكن حلولهما فى أى أنسان.

نكتفى بهذا القدر من الإشارات لبيان تطبيق هذا المنهج الداخلى، ونختم مقالنا بخاتمة المؤلف التى جاء فيها ماخواه: عظمة الإسلام لقد اختير هذا العنوان حتى تبعد عن مظنة الظلم. الحق أن الفترة التى واجهتها الشعوب الإسلامية فى التاريخ نبيلة وخصبة إن يقظة العالم الإسلامى كفيلة بإتاحة فرصة الأمل فى مستقبل مشرق باسم.

أحمد فؤاد الأهوانى

« الشر درجات »

قال رسول الله صلى الله عليه: (ألا أنبئكم بشرار الناس؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال من نزل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا بلى يا رسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره. ثم قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه).

أنباء وآراء

● اختتم المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية دورته الثانية فى ٢ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٤/١٠/١٩٦٨ م وقد أصدر المؤتمر قراراته وتوصياته فى هذه الدورة ـ وهى منشورة بهذا الباب ـ وجدير بالذكر أن مضمون قرارات هذا المؤتمر تتفق مع قرارات مؤتمر المسلمين بالحجاز. وأصبح معلوما لكل مسلم مكلف أن الجهاد فرض عين عليه لاسترداد الأرض المقدسة .

● اتخذت إسرائيل عدة قوانين تستهدف جميعاً: الاستيلاء على أموال العرب فى الأراضى المحتلة ، وطرح الجنسية الإسرائيلية قسرا على المواطنين بها عن طريق إلزام كل تاجر، أو محام بوجوب إجراء عدة إجراءات لدى السلطات الإسرائيليـــة حتى إذا حصل على توقيعاتها أذن له باستئناف عمله . ولم يقتصر الأمر على التجار والمحامين بل تعداه إلى كافة المواطنين مادام هناك عمل يستوجب تصريحاته كاستخراج رخصة بنـــاء أو سيارة أو ما إلى ذلك .

صدر ما أسمته إسرائيل « قانون التنظيمات القانونية والإدارية لسنة ١٩٦٨ » فى صيغته النهائية فى ٢٣/٨/١٩٦٨ بإقرار برلمانهم . ونشرته الجريدة الرسمية فى العدد ٥٤٢ فى ٢٣/٨/١٩٦٨ . ويحتوى على ثنتين وعشرين مادة .

● بدأت المنظمات الماسونية الصهيونية فى الولايات المتحدة تخطيطاً تحاول به الاستيلاء على جزء من مسجد عمر وخاطبت فى ذلك جهات إسرائيلية مسئولة .

● من بحوث الفترة الثانية للمؤتمر : جمع القرآن وتدوينه لفضيلة الشيخ على الخفيف عضو المجمع ، ونشأة الفقه الاجتهادى وأطواره لفضيلة الشيخ على السايس .

ويقوم المجمع عادة بإعداد بحوث كل مؤتمر وطبعها فى كتاب مستقل بدورة المؤتمر . وقد أصدر المجمع ـ حتى الآن ـ ثلاثة كتب عن مؤتمراته السابقة .

● « الشرط فى العقد : دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامى والقانون » عنوان الرسالة التى تقدم بها السيد : حسن أحمد عبد العال الشاذلى إلى كلية الشريعة والقانون بجامعة

الأزهر لنيل درجة الدكتوراه ، وقد تولى مناقشتها الأساتذة : فضيلة الشيخ مصطفى مجاهد عبد الرحمن رئيس قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون ، والدكتور محمد مختار القاضى رئيس قسم القانون بالكلية ، والدكتور الصوفى .

وقد نالت الرسالة درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الثانية .

يشغل الدكتور حسن أحمد عبد العال الشاذلى وكالة إدارة البحوث بمجمع البحوث الإسلامية .

● نال الأستاذ متولى يوسف حسن شلبي بمجمع البحوث الإسلامية درجة الدكتوراه الفخرية ، بسبب جهوده للدعوة الإسلامية بالجامعة الإسلامية بسومطرة الجنوبية : كلية أصول الدين السلفية .

وقد منحت الجامعة المذكورة هذه الدرجة للأستاذ متولى تقوية لصلتها بالأزهر الشريف وتكريما لجهود أحد أبنائه التى شملت المجالين : التأليف والدعوة .

من قصيدة فى تحية شهر رمضان للأستاذ صلاح عبده الحناوى المدرس بمعهد الأزهر الثانوى فى المنصورة .

إن كان حسن الروض راع عيوننا
فلأنت يا رمضان أروع مظهراً
ولأنت شهر اليمن فى كل البقا
ع من الفيافى والمدائن والقرى
فإذا نظمت الدر فيك فإنما
من فيض بحرك أستمد الجوهرا
فيك اصطفى الله العلى محمدا
للناس طرا هاديا ومبشرا
فى ليلة القدر المجيدة أنزل القـ
رآن غيثاً للبرية طاهرا
لولاه ما عرف امرؤ سبل الهدى
ولظل يخبط فى المجاهل حائرا

قرارات وتوصيات الفترة الثانية

من ١٧ رجب ١٣٨٨ﻫ إلى ٢ شعبان ١٣٨٨ﻫ
٩ أكتوبر ١٩٦٨م إلى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٨م

تمهيـــد :

ركز المؤتمر بحوثه ، فى الفترة الأولى ، فى المشكلة الكبرى التى تواجه العالم الإسلامى والعربى اليوم ، وهى مشكلة الاعتداء الصهيونى الاستعمارى على فلسطين والبلاد الإسلامية العربية ، وانتهاك حرمات بيت المقدس : وانتهى المؤتمر فى تلك الفترة إلى القرارات والتوصيات التى فى صدر هذا البيان .

ثم استأنف المؤتمر أعماله فى فترته الثانية التى استمرت من ١٧ رجب حتى ٢ شعبان سنة ١٣٨٨ ﻫ (٩ أكتوبر حتى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٦٨ م) ، والتى خصصها لدراسة البحوث المتصلة بالقرآن الكريم ، والسنة

النبوية مواصلة لأداء رسالة المجمع فى نشر المبادىء الإسلامية الصحيحة، وتوضيح أسباب الأخذ بها، تثبيتاً للعارفين لها، وهدياً للباحثين عن سبيل الهداية بها.

وقد اشترك فى هذه الفترة أعضاء المجمع من الجمهورية العربية المتحدة والبلاد الإسلامية الأخرى، فاستمعوا إلى عدد من البحوث وتدارسوها دراسة علمية وافية، وانتهوا منها إلى القرارات والتوصيات الآتية، التى يتقدم بها المؤتمر إلى العالم الإسلامى فى جميع أجزاء الأرض، علمائه ومتعلميه، واثقاً أن كل من تبلغه رسالة المؤتمر سيقوم بما يفرضه عليه إخلاصه لدينه، وحرصه على تعاليمه من تنفيذها، عملا بها ودعوة إليها كل فى نطاق حياته، وبقدر ما تتسع له قدرته.

وتتصل هذه القرارات والتوصيات بالأمور الآتية: —

(ا) القرآن الكريم والسنة النبوية.
(ب) التشريع الإسلامى.
(ج) الحضارة والمجتمع.

(ا) - فى القرآن الكريم والسنة النبوية:

١ — يقرر المؤتمر تقريراً إجماعيا مؤكدا وموثقا بأن ترتيب السور والآيات فى القرآن الكريم هو ترتيب توقيفى تلقاه الرسول عليه الصلاة والسلام بوحى إلهى، وأن هذا الترتيب هو الذى جاء فى المصحف الإمام عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه.

ويعلن المؤتمر أنه لا يجوز لأحد أن ينحرف عنه أو يخالفه بأى وجه من الوجوه.

٢ — يقرر المؤتمر وجوب المحافظة على رسم مصحف سيدنا عثمان - رضى الله عنه - فى طبع القرآن الكريم فى مصحف كامل، أو فى طبع أجزاء منه، ولا يجوز استعمال الرسم التعليمى إلا إذا كان ذلك لبعض الآيات ضمن كتب تعليمية، أو لغرض اقتباس بعض الآيات أو الاستشهاد بها.

٣ — يوصى المؤتمر بعدم الجمع بين قراءات القرآن الكريم عند تلاوته فى المجلس الواحد، فى المحافل أو الإذاعة، أو التليفزيون أو فى تسجيله على أى من وسائط التسجيل الصوتى.

٤ — يوصى المؤتمر بأن يعنى المسئولون فى الدول الإسلامية بإنشاء دور للقرآن الكريم تكون مهمتها العناية بشئونه المختلفة حفظا وتجويداً ودراسة.

٥ — يوصى المؤتمر بأن تشتمل الطبعات الجديدة لكتب التفسير المعروفة، على تعليق على بأقلام المتخصصين الثقات، يبين ما قد يكون فى هذه الكتب من أخبار إسرائيلية دخيلة على التراث الإسلامى الصحيح ليكشف عن وجه الحق فى موضوعها.

٦ — يوصى المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بأن يعهد إلى جماعة من العلماء فى وضع تفسير وسيط للقرآن الكريم، فى أسلوب ميسر يسهل للقارىء الوصول إلى معانيه.

٧ — يوصى المؤتمر بأن تعمل دور الإعلام والتربية ، فى الدول الإسلامية ، على الدعوة بمختلف الأساليب إلى الأخذ بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى أقواله وأعماله وآدابه لينشأ الجيل الجديد من الشباب على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والتمسك بهديه .

(ب) فى التشريع الإسلامى :

١ — يوصى المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بتأليف لجنة من رجال الفقه الإسلامى والقانون الوضعى ، لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية فى قوانين بلادها كقوانين العقوبات والقانون التجارى ، والقانون البحرى وغيرها .

٢ — يدعو المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية إلى دراسة القاعدة الإسلامية التى تقرر أنه : لا يبطل دم فى الإسلام ، وأن من قتل ولم يعرف قاتله تدفع ديته من خزانة الدولة (بيت المال) .

٣ — يوصى المؤتمر بأن يعمل مجمع البحوث الإسلامية على التعريف - فى النطاق الدولى - بأحكام العقوبات الإسلامية ، والأسس التى قامت عليها ، والنتائج المترتبة على تطبيقها .

(ج) فى الحضارة والمجتمع :

١ — يوصى المؤتمر بأن تعنى التربية الإسلامية الحديثة - فى أجهزتها ووسائلها المختلفة - بتوعية الشباب المسلم فى مختلف مراحل التعليم بما حققته الحضارة الإسلامية منذ ظهور الإسلام ، من تكريم الإنسان : وما لذلك من أثر فى موقف الأمم الإسلامية المعاصرة من قضايا الحرية فى العالم كله .

٢ — يوصى المؤتمر بإخراج كتاب مفصل ينشر بمختلف اللغات على نطاق واسع ، للتعريف بموقف الحضارة الإسلامية من حقوق الإنسان ، والموازنة بين هذا الموقف وموقف الحضارة الغربية .

٣ — يوصى المؤتمر بإعداد دراسة علمية تاريخية فى بيان أثر الحضارة الإسلامية وتعاليمها فى حركات الإصـــلاح السياسى والاجتماعى والدينى فى الغرب ، منذ عصر النهضة الأوربية .

٤ — يدعو المؤتمر علماء الإسلام إلى عرض مبادئه فى العقائد والأحكام والآداب فى صور وأساليب ينتفع بها فى كل بيئة ومجتمع .

٥ — يوصى المؤتمر بأن يقوم الإصلاح الاجتماعى فى المجتمعات الإسلامية على أساس من تكوين الشخصية الإسلامية فى جوهرها على أن يأخذ المسلم نفسه بإسلام وجهه لله تعالى فى كل ما يأتى وما يدع ، مستعينا فى ذلك بالعلم والعبادة ، لتتحقق - ثمرة لذلك - إشاعة الرحمة فى المجتمع ، وتحصين النفس بالكفاح ضد كل فساد أو انحراف شخصى أو اجتماعى أو قومى .

على الخطيب

When culture change is complicated by the presence of another groupe and a feeling of inferiority toward it, glorification of the old culture provides a convenient compensatory mechanism. "A society which can find nothing to plume itself on in the present can bolster its self - respect by contemplating the real or imaginary glories of its past"(1) The term cultural renewal, therefore, can refer to a deliberate attempt by some members of a society who have suffered stress to revive among themselves some selected cultural elements and some new habits different from those adopted by the dominant society.

Cultural renewal can be seen as a special kind of cultural change which occurs as an alternative response to oppression. It cannot be predicted, nor are two cultural renewal movements necessarily similar.

". . . nativistic movements seem to require a special combination of circumstances — subjection to another group, economic hardship, and loss of hope of bettering conditions by practical means. Apparently no one of these conditions is enough to produce such movements in the absence of the others nor does the whole series always produce them."(2)

In summary, cultural renewal is a sub - classification which falls under the general classification of revitalization movements. Cultural renewal is usually more rapid and more intense than the change produced by the ordinary cultural processes such as evolution and diffusion. It is an alternative, unpre- which dicted response to stress which Wallace defines as "a condition in some part, or the whole, of the social organism is threatened with more or less serious damage."(3)

IDENTITY DEVELOPMENT

Historically, the scientific study of personality began when physicians developed careful observation of their patients who suffered from mental disorders in the nineteenth century. For example, Sigmund Freud studied the individual's personality in order to formulate some rules of behavior which could be employed in the treatment of personality aberration.

(to be Continued)

---

(1) Ralph Linton, "The Distinctive Aspects of Acculturation," Acculturation in Seven American Indian Tribes, (ed.), Appleton-Century-Crofts, Inc., 1940, p. 517.

(2) Ibid., p. 518.

(3) Wallace, op. cit., p. 265.

to contribute to the theory of cultural renewal and identity transformation and to the field of social science in general.

Now let us examine the theory of cultural renewal and identity development which underlies the educational system of the Nation of Islam in America.

CULTURAL RENEWAL

In his book Culture and Personality,[1] Anthony F. Wallace gives two categories for the process of cultural change : (a) macro-temporal change which includes cultural evolution and diffusion, and (b) micro-temporal process Which includes innovation, acculturation, and revitalization. The term revitalization has been used by Wallace in its generic sense to cover a wide range of sub-class terms such as cultural renewal reform movement, Utopian Community, and other rubrics used by writers in social-anthropological areas.

"Behavioral scientists have deccribed many instances of attempted and sometimes successful innovation of whole cultural systems, or at least substantial portions of such systems. Various rubrics are employed, the rubrice depending on the discipline and the theoretical orientation of the researcher, and on salient local charactertstics of the cases he has chosen for study.[2]

Accordingly, this researcher has considered cultural renewal as a sub-class of the general classification of revitalization movement.

According to Wallace. a revitalization movement is defined more clearly "as deliberate, organized, conscious effort by members of society to construct a more satisfying culture."[3] This deliberate conscious attempt to initiate cultural change might include revival, messianic movement, Utopian Community sect formation, mass movement, or cultural renewal.[4]

Ralph Linton on the other hand defines both the all-inclusive term revitalization movement and the more limited term nativistic movement as a glorification of the past or passing phases of culture with a conscious attempt to reestablish them.

(1) Anthony F. C. Wallace, Culture and Personality, Random House, New York, 1961, pp. 136 - 155.

(2) Anthony F. C. Wallace, "Revitalization Movements," American Anthropologist, Vol. 58, April, 1956, p. 264.

(3) Ibid., p. 264.

(4) Ibid., p. 264

This comment only touches on the role of tpe school in the Nation of Islam, and it was not included in the other two reports. Thus one of the main reasons for the recenet study was a closer examination of the role of the Muslim school in cultural renewal and identity development, in order to determine to what degree the school affects these aspects of the Nation of Islam. Furthermore, it has been stated that most of the Nation of Islam's members come from the lower classes, but most of the school's priucipals have advanced degrees. Therefore, another important feature of the study was to determine whe her or not this class of formally educated individuals received its initiative from inside the Nation of Islam.

The Brazziel and Gordon report points out another vital consideration of the present study. Writers about the Muslim schools insist that their programs show a high degree of success in implementing children's learning in life situations. It was the purpose of this research to understand the programs of such schools, and further to consider the possible application of such a program to the educational systems of the the newly emerging nations Africa. Such an application would be very much in keeping with the present study, since the African nations can be seen to be currently undergoing a nativistic movement as a proble reaction to the recent period of European colonialism from which most of them have just emerged. As Brameld points out :

"But often the processes of culture generate tensions and even upheavals of a quite literal kind. One example very much before us in current years is the situation in Africa. Why has there been so much unrest on that great continent ? Part of the reason, surely, is the boomerang effect called nativism-a process resulting from the attempt of one culture to impose itself too rapidly upon another culture. Especially in South Africa, the nativist reaction to foreign culture is on of resistance. hostility, and violence".(1)

One unique aspect of this study was an examination of cultural renewal in an industrially developed society. Previous studies have always concerned themselves with the revitalization movement within the frame-work of primitive societies.

Finally, by investigation and analysis, this study was intended

---

(1) Theodore Brameld, The Use of Explosive Ideas In Education, University of Pittsburg Press, Pittsburg, 1965, pp. 42 - 43.

The Role of the Muslim School of the Nation of Islam in America

BY :
DR. IBRAMIH M. SHALABY

— 2 —

The Nation of Islam has attracted the attention of news reporters, investigators, and writers. In particular, it has attrected two students who have written their doctoral dissertations on the Nation of Islam. The first, The Black Muslim in the United States,(1) was written by C. E. Lincoln, who received his doctorate from Boston University, School of Theology, in 19t0, and the second, Black Nationalism,(2) was written by E. U. Essien-Udom, a Nigerian who received his degree from the University of Chicago, School of Political Science, in 1961.

Lincoln's major concern was with the theological aspects of the Nation of Islam, while Udom concentrated on the polotical phases of the Nation of Isiam. However, the role of the school in cultural renewal and identity transformation in this group was not treated by either study. William F. Brazziel and Margaret Gordon, in their evaluation of one of the schools of the Nation of Islam, report that the Muslim school in Chicago was the best schools in the United States in matching its program to the needs of its culturally deprived children. Brazziel and Gordon stated that some of its reading materials, for instance, are written to reflect the life situation of the Muslim children.

"There is only one school in the country which makes use of such materials, and this, oddly enough (but with a large measure of suc cess) is the Muslim school in Chicago which wrote and published its own elementary school books"(3)

---

(1) Charles Eric Lincoln, The Black Muslims in the United States, Boston University, 1960.

(2) E. U. Essien - Udom. Black Nationalism, A Search for an Identity in America. The University of Chicago, 1961.

(3) William F. Brazziel and Margaret Gordon.

of his life. Another aspect of the moral development of man is that he is thus taught to conquer his physical desires. This teaches him the higher lesson that instead of being the slave of his appetities, he should be their master, being able to change the course of his life if he so wills it. The man who is able to rule his desires, is the man who has attained to true moral greatness.

In addition to that, fasting has its physical advantages. It not only prepares man to bear hunger and thirst and thus to accustom him to a life of hardship but also it exercises a very good effect upon health in general. We learn to deny our physical needs, we cultivate the rare qualities of patience and character and a strong will power to resist physical urges and temptations. For example, it will be found that if a person faithfully abstains from food and drink and drink and sexual impulses for a long time, it is a simple matter to resist temptation to bribery, corruption and adultery.

The rest given to the digestive organs for a whole month, only gives them additional strength, like fallow ground which, by rest, becomes more productive, as all organs of the body are so made that rest only increases their capacity for work, and the better the capacity of the digestive organs, the healtheir is the physical growth of man.

But fasting has yet another important physical value. It accustoms man fo face the hardships of life and increases his powers of resistance.

Also a purely medical benefit is derived from fasting. Medical authorities accept that abstaining from food at times not only greatly assists curing certain diseases, but can even prevent thier occurrence. To lessen the intake of food and to suppress the desire for excessive sexual indulgence can prolong life.

In addifion to its sprritual, moral and physical values, fasting has also a social value. It teaches us that all Muslims are equal in spite of individual financial circumstances. The appearance of the moon of Ramădhan is a signal for a mass movement towards equality that affects the whole Muslim world. The rich and the poor may stand shoulder in one row in fhe mosque, but in their homes they live in different environments.

Therefore, fasting fortifies us spiritually, morally, physically and socially.

«فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل».

It means : "Now therefore go unto them and seek what Allah has ordained for you, and eat and drink until the white thread of dawn becomes distinct from the black thread, then observe the fast till nightfall".

Every Muslim may, during the night satisfy his needs with regard to food, drink and women. When dawn comes, he must abstain till sunset.

The Holy Prophet said, "Five things spoil a Muslim's fast : - lying, slander, calumny, false oath and lustful look. The Ramadhan fast is spoiled if a person deliberately eats, drinks or indulges in sexual intercourse. Fasting is also spoiled if a person deliberately vommits.

Those who are exempted from the fast are persons in sick bed or on a journey and woman in childbirth bleeding or that gives suck or in menstruation. They ought to fast a like number of other days. Concerning those who can not keep the fasts, on account of constant or long illness or who are too old or weak, the practise is to give away the measure of one man's food to a poor man everyday during the whole month.

VALUES OF FASTING

Fasting Ramadhan has many advantages and merits. It is primarily a spiritual discipline. No temptation is greater than the temptation of satisfying one's thirst and hunger when drink and food are in one's possession, yet this temptation is overcome, not once or twice, but day after day regularly for a whole month, with a set purpose of growing closer and closer to the Divine Being. A man can avail himself of the best diet, yet he prefers to remain hungry ; he has the cool drink in his possession, yet he is praching with thirst ; he touches neither food nor drink, simply because he thinks that it is the commandment of God that he shoud not do so, and there is an inner voice that God is with him and sees him.

There is also moral elevation aimed at in fasting, for it is the training ground where man stood the greatest moral lesson of his life, the lesson that he hould be prepared for suffering the greatest privation. That lesson is repeated from day to day for a whole month. Just as physical exercise strengthens man physically, exercise through fasting strengthens the moral side

under obligation to fast, should be trained on fasting in order to prepare them for carrying out their adult obligations in this respect.

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » (البقرة ١٨٥)

It means : "The month of Ramadhan is that in which the Qur'an was revealed, a guidance to men and clear proofs of the guidance and the distinction ; therefore whoever of you beholds this month he shall fast therein ; and whoever is sick or upon a journey, then (he shall fast) an equal number of other days ; - Allah desires ease for you, and He does not desire for you difficulty, and (He desires) that you should complete the number and that you should exalt the greatness of Allah for His having guided you and that you may give thanks.
(Chapter 2, Verse 185)

Fasting Ramadhan is one of the five pillars on which Islam is built. The other four pillars are :-

1 — Profession of faith to bear witness that there is none worthy of worship but Allah and that Muhammad is His Prophet.

2 — Prayer, the worship of Allah through the medium of prayer five times daily.

3 — Zakat, alms-task or poor rate.

4 — Hajj, pilgrimage to the Kaaba, if one has means of doing so.

The beginning of Ramadhan becomes official when the new moon is seen. Its end is officially fixed when the new moon of the next month "Shawwal" is seen. Once the new moon of Ramadhan is seen, fasting becomes obligatory for all those who are required to fast it. When the new moon of Shawwal is seen, the fast comes to an end, and everybody should break the fast.

For the fast of Ramadhan to be varied, one has to make up his mind, or formulate the intention during the night of the day he will fast. The intention is an act of the heart ; it is not necessary to utter it ; it is enough to harbour it. The Prophet said, "Acts are judged by the intentions prompting them".

The person who fasts should abstain from food, drink and sexual intercourse, from dawn till sunset, in accordance with the verse of the Qur'an :

FASTING IN ISLAM

BY : M. ABDEL MONEIM YOUNIS
Director of the Cultural Centre for Diplomats
Ministry of Culture, U. A. R.

Fasting is an ancient from of worship recognized by previous nations ever since the time of Adam. It constituted an essential part of every religion. It was known to the Ancient Egyptians, from whom it passed on, to the Ancient Greeks, who used to enforce it, principally upon their women. The Romans also observed the fast and pagans in India and elsewhere practise fasting to this day. Fasting meant the suffering of some privation in times of mourning and sorrow. Fasting was generally resorted to, in times of mourning and sorrow, as a form of suffering of privation.

By the advent of Islam, a new meaning of fasting has been introduced. It becomes an institution for the improvement of the moral and spiritual character of man. This is plainly stated in the concluding words of this verse : « لعلكم تتقون » "So that you may guard against evil things". Hence, fasting in Islam does not simply imply abstaining from food but also from every kind of evil.

The Qur'an teaches that fasting was enjoined on all nations by the Prophets who passed before the Holy Prophet Muhammad. In the bible, it is stated that fasting has, in all ages and among all nations, been an exercise much in use, in times of mourning and affliction. Fasting has also been invoked among the Hindus. Even Christians, who assume that they have no need of any religious exercise, on account of Jesus atonement, were commanded by that Holy Prophet to keep the fasts. It is known also that Moses had fasted for forty days and this proved that fasting was considered a form of worship.

The institution of fasting in Islam came after the institution of prayer, Fasting Ramadhan was made obligatory in the second year of El-Hijra in Medina on the second Monday of the month of Shaban. Fasting is obligatory for every Muslim provided that he or she is adult and in full possession of his or her faculties. It is preferable that children, though they are not

after fort Qamus. Then the Muslims turned to fort Saab Ibn Muaz which had all the provision. There after they encountered fort Zubair. The Muslims made a serious investigation of the water resources in fort Zubair and after finding them they had them completely cut off from the enemy.

One by one the forts were conquered and eventually the fort of Wateeh and Sulalim fell. The Jews them agreed to surrender and submit. The Prophet offered them the opportunity to continue tilling their lands and taking half of its harvest.

The news of the fall Khaibar quickly spread throughout the country and influnced the Jews ot Fadak so much that they also accepted the same conditions. Their example was followed by Wadi Al - Qura and Taimaa.

In this way the Prophet was able to crush the strongholds of the Jews and their military power from the Arab Peninsula after the decisive battles of Khaibar.

The auther concluded his paper saying : "Although the Prophet offered them the opportunity to rejuvenate and rehabilitate them selves in the northern oases, the conspiracies of the Jews continued after his demise.

This continued till the era of the Second Khalifa (Caliph) Omar who was then forced to complete their evacuateion from the Arab peninsula to the Borders of Syria.

But did their evacuation bring the episode to an end ?

Never ! It coutinued appearing in one form or another — To day, Zionism has adopted and followed the same evil — imperialism creates in Palestine a state of conspiracies to disunite and crush the unity of the Arab and Islamic world and divide it into two parts : African and Asian.

Imperialism can utilise this state as a bridgehead for its aggression We are now undergoing the same experience of conspiracy, enmity, hostility and throughwhich the powers of the Up — to — date Imperialism will break into our land.

There is no other way open to us but to work and struggle.

We should work at a non stop pace until such a time that we can clear our land and its sacred places from Zionists and return them to their lawful owners as it was done by the Prophet in Medina, the base of Islam. He crushed the foreigin evil.

against Quraish. Their role was like that of a guerilla band working on their own and getting their food with their own weapons.

Their only activity was to plunder the commercial caravans of the Quraish. Their own stipulations and conditions were backfiring against them and they were terribly cornered by their own political deceit. They approached the Prophet to be kind to drop that condition.

The Jews in the northern front were left alone. The Prophet in turn attacked their allies by surprise. They suddenly recoiled to themselves and started to defend their own homes.

The Jews were alone. Neither did they get the Quraish on their side nor the Arab tribes of Najd. Then there dawned upon the Muslims a day when they found themselves triumphantly settled in front of the forts of Khaibar. This was not an easy task.

Speaking about 'Khaibar' and its importance he says :

Khaibar is situated on a stony spot and its hills are volcanic and very fertile, full of date palme and edible grains.

It was the strongest Jewis point in the north and their Inhabitants were the best military fighters among the Jews and they were well acqualinted with the skills of conspiracy and defiance.

Its defencive posts constituted three groups of forts.

1 — Natah Area : In the valley of Sareer wherin there existed the forts of Natah, Naim, the forts of Saab Ibn Muaz and Zubair.

2 — Al - Shaq Area : This was situated on the mountain of shemran which overlooked the valley of Sareer, wherein existed the fort of Abi wad, and it was built on the peak of the mountain.

3 — Al - Kateeba Area : Here two forts of Wateeh and Sulalim existed, which were the most formidable forts of Khaibar, and the fort of Qamus.

The Jews gathered their people and their wealth in the forts of Wateeh and Sulalim, and all the provisions were treasured in the fort Na'im, and the Attacking retinues were stationed at fort Nitah.

The battles were waged in the open fields and there after the Jewes retreated to their forts. The Muslims concentrated their attack on fort Na'im which was the most formidable fort, and the other forts were to be kept engaged.

Eventually, after a bloody battle, fort Na'im was conquered and there

In the sixth year A. H. the Prophet with a great retinue moved to mecca to perform his pilgrimage. The Arabs [saw his strength. He invited all Arabs to join him on a peaceful trip to visit the sacred House of God to pay homage to it; A trip that had nothing to do with war and battles. Now what could Quraish do?

Could they stop him from visiting the sacred mosque or unsheath their swords during a season universally accepted by the Arabs to be a No War period?

Quraish found themselves in a tight corner. It did not take long when a treaty was signed at Hudaybiya between the Prophet and Quraish.

Among the conditions that concerned our subject was the fact that it was a ten year treaty between the Prophet and Quraish. Those who loved Muhammed could join his side and those who loved Quraish could join them and that any Quraishian who would join Muhammed after embracing Islam without getting permission from hts master must be returned to Quraish, while this term was not stipulated against Quraish.

The treaty acknowledged equality between the Muslims and Quraish and inaugurated a new era in making alliances with the neighbouring Arab tribes. The Prophet kept the far sighted objectives of the treaty concealed even from his closest associates.

But the results became obviously clear very soon.

It was an exceptional capacity of self - contrel on the part of the companions of the Prophet to accept the condition to return to Medina without paying homage to the sacred mosque and they should postpone their visit to the following year.

Then Quraish directed its attention towards its commence to build up its economy. Once the economy was strong Quraish would be able to do what they liked. Unfortunately for them the were surmounted by difficulties from whence they came Quraish did not know. Those who had embraced Islam without permission and went to the Muslim camp the Prophet returned them to Quraish, but they did not comply with this. They refused to return to their people and the Prophet refused to accept them into his society according to the terms of the treaty. These groups could over power their guards on the way to Mecca from Medina and were able to form a secret power

THE ROLE OF JEWS IN AGGRESSION ON THE BASE OF ISLAM IN MEDINAH – II

By : Dr. ABDUL AZIZ KAMEL

Minister of Wakfs, And Al-Azhar Affairs, U. A. R.

(Continued from Previous Issue)

The battle of the Trench took place in the fifth year A. H. The Muslim army constituted three thousand men centred in Medina behind a trench they dug on the lower part of the city in the north.

As for the highlands where lay the agricultural fields, the forts and homes of Banu Quraiza, they were left to a mobile unit of guard.

The Quraish army constituted ten thousand men drawn from the neighbouring tribes of Quraish, Banu Saleem, Asad, Fazarah, Ashga, and Ghatafaan, besides the Jews of Banu Quraiza themselves who were to emerge from the forts at a later stage when the occassion was appropriate. . . .

These Jews that vacated Midina did collect together. They travelled to the north and some settled in Khaibar, Wadi Qura, Fadak-Tayma while some continued their journey towards Syria and its borders. The battle of Ahzaab (or the battle of the Trench) was fierce and penetrating. Although it was a complete success it drew the dimensions of future battles.

There was the southern front with its contre in Mecca and a nothern front where the Jews were mobilising.

As for all of them the battle of Ahzaab was only the first round to be followed by many to come. The northern front made a mover by provoking the tribes of Ghatafaan and by creating fresh cooperation with them to attack Medina.

They tried to decieve a delegation sent by the Prophet to Khaibar ; It was expected ; if the Jews were successful in wedding the various Arab tribes of Najd together, that Quraish would make a fresh attack with all their might. It was therefore necessary for the Prophet to think of dividing these powers.

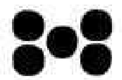
it runs westward to the River yarmouk, and, still westward, to the Dead sea".

"The southern frontier runs from the extremity of the Dead Sea to Wadi Arab (North Latitude 30°30'), from where it runs eastward to Wadi al-Arish, which it skirts as far as the Sea". This analysis gives a clear picture of the Zionist point of view with regard the frontiers and areas of Israel.

In fact the expansionist acts of Zionists began before the date of the official founding of the Israel. Previous to that Zionist military and Para - military forces had invaded and occupied a certain number of localities such as Jaffa and Akka, which had been allocated to the Arab State in the partition plan recognised by the U. N. O. They also occupied certain parts of the city of Jerusalem. Further more the Zionist forces took maximum possible areas of Arab property during cease - fire periods.

During the period between June 1949 and October 1956 Israel took steps to occupy demilitarised Zones declaring them as parts of Israeli territory, and assumed soverign authority over them. The Arab residence were expelled from their homes, and forts and military installations were built in their home lands. During this same period Israel also organised innumerable raides into neighbouring Arab territories. In fact, the major attack launched by Israel in 1956 with the overt complicity of Britain and France was a total war aimed at occupying the Gaza strip and Sinai to retain them as integral parts of the extented Israel.

An objective study of the dynamic character of Zionism and the expansionist character of the Zionist State of Israel is enough to convince any imparial observer of the threat enherents in the Zionist movement. This treat aimed not only at the neighbouring Arab states but the entire Arab world. The danger represented by the existence of Israel in the Middle East is originated fundamentaly in the idealogical factor, and its military and economic necessaries.



aims and geographical extent of the Isreal and its frontiers. In a letter which the Zionist Leader Herzl addressed to the famous Jewish financier Lord Rothscild, dated 12 July, 1902, he outlined the Zionist plan for the settlement of poor Jews at al-Arish and in the Sinai Peninsula and also in Cyprus. In this letter he termed the Arish and Sinai as Egyptian Palestine.

It is recalled that the first Jewish religious Leader to join the Zionist movement set up by Herzl, Aaron Marcus, had discovered, by a close study of the 'Talmud' that Cyprus was part of Palestine. The Zionist writer Oscar gave, in his book 'The Jewish Project', the proofs of the Zionist plan to obtain the Island of Cyprus also as part of Promised Land of the Jews in the holy Books. In his reply, this book added, to Aaron Marcus, Herzl said: "If you say that (Cyprus was part of Palestine) speaking as a man of religion I do not oppose it. I also find that it constitutes an important gain".

The mouthpiece Journal of a British Zionist organization 'Paletine Magazine' published a series of articles on the Palestinian frontiers, as well as some studies of the relatively litte-known regions. This magazine published on 15 February, 1917 an article entitled 'The frontiers of Palestine, it says : "Every writer who takes an interest in Palestinian offairs has his own conception as to the frontiers of this country.....his own deductions, which are in conformity with the nature of the objective at which he is aiming in the domains of religion, of science, or of politics. Consequently, these deductions vary according to the definition referred to since such definiton is based on Biblical or historical, or geographical writings. The frontiers we wish to discuss are those of the future Palestine, the territory must of necessity include the land inherited from the Twelve Tribes of Isreal mentioned in the old Testament".

"To this should be added the territories indispensable for safeguarding the unity and integrity of the country. The western frontier is the one formed by the Mediteranian sea. The eastern frontier is constituted boundaries of the territory which formerly belonged to the Tribes of Isreal. It runs along a straight line from the Mediteranian coast to the north of Saida, and as far as the point at which the river al-Awaj runs into Lake al-Haid Jannah to the south east of Damascus. This frontier extends eastward to a point at North Latitude 32°30' from where

In this brief study we must examine the Zionist geographical definition of Jewish National Home. Theodor Herzl was the first to give a general definition of the nature and geographical extent of Isreal and the neighbouring territories. The founder of Zionist movement says in his famous "Memoirs" Part I :

"The slogan we must shout should be the Palestine of David and Solomn ! We must have access to the sea because of the future of our external trade. We must also have extensive areas of land where we can interoduce our modrn agriculture on a large scale". In another passage of his Memoirs, Herzl defines the general idea about the geographical boundaries of the Isreal : " . . . From the river of Egypt to the Euphrates. A transitory period, during which there will be a British governor is indispensable for the consolidation of our institutions. As soon as the proportion of the Jewish population has reached two-thirds of the total population, the Jewish administration will automatically take over command as the political authority."

The founder of Zionism, Theodor Herzl, outlined the Zionist plans with regard to the geographical extensions of the so-called promaised land (Isreal) in the following points:

1— The Zionist state must be sufficiently extensive in area in order to receive all the children of the Jewish nation, as it is the expression and the incarnation of the Jewish Nationalism, preached by Zionist movement.

2— As Palestine is the promised land of the Jews, it should therefore, include all those territories over which Jews have travelled and all the regions in which, centuries ago, there were settlements of Jewish tribes.

3— The state of Isreal must possess all the basic foundations of a state capable of attainig an autonomous economy and acquiring military Supermacy.

5— The state of Isreal must be able to render service to any Imperialist state which will protect it and assure its existence, in return for the efforts undertaken to allow the Zionists to create their state.

6— The future Zionist state must be strong, of imperial and glorious character in order the better to manifest the superiority of the Chosen People over other people, especially those of Asia and Africa.

These are the master-ideas dominated the thought of Zionist movement with regard to the nature,

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

RAMADAN 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	NOVEMBER 1968

A Study of the Aims and Plans of Zionist Movement

BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The Zionist movement started as an organization from the first Zionist congress, held at Basle in 1897, and presided over by the founder of Zionism, Theodore Herzl. He fixed the main ideas, aims and plans of the Zionist movement at this congress. The congress proclaimed that the Jews constituted an ethno-religious unity, that they were a single people, and that, in consequence, this people had the right to exist as a nation established on autonomous territory. This territory was to be Palestine. At this first congress were definitely enunciated the main ideas of Zionism, so much so that there emerged a national ideology, with its fixed aims and its strategic plans.

The main aim of Zionism is to establish in Palestine a national Jewish home. This obejective to be acheived by the following tectical plans : (1) To reinforce and maintain the Jewish national conscience and sentiment among the Jews throughout the world. (2) To adopt necessary measures to the realisation of Zionist thought and Jewish nationalism. (3) To reorganise world Jews with the help of local and International organisations. (4) To re-group the Jewish people in conformity with the laws in force in each country. (5) To carry out the plans of the colonisation of Palestine with the help of agricultural workers and Jewish industrials, with adequate and well-defined plans.

الفهرس

English Section

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء الثامن - السنة الأربعون - شوال سنة ١٣٨٨ هـ - ديسمبر سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجديد في هذا العيد ... !

للأستاذ عبد الرحيم فوده

تشرق الشمس في هذا اليوم على ربوع الإسلام وجموع المسلمين وهي تضج بالتكبير، وتعج بالتهليل ، وتعلن ابتهاجها على الرغم مما أصابها - بفرحة هذا العيد الجديد ، ذلك لأن الإسلام بطبيعته قوة تجدد في نفس المسلم الأمل ، وتحبب إليه الجهاد ، وتغريه بالعمل ، وتمد عينيه إلى حياة أعظم وأكرم من هذه الحياة ، فإذا حل به كرب أو ألم به خطب ، أو اصطلحت عليه الأحداث ، وجد في إيمانه بربه ، وثقته بعدله ، وأمله في فضله ، ما يفرج كربه . ويخفف خطبه . ويكشف عنه السوء والضراء ، ولهذا يواجه النوازل بقوة لا تعرف الضعف ، وروح لا تقبل اليأس ، ويقين بأن رحمة الله كما يقول سبحانه : إن رحمة الله قريب من المحسنين ، وبأنه كما يقول جل شأنه : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

وهذا المنهج السوى القوى لحياة المؤمن في هذه الحياة هو الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء . فلا تقل

لو أنى فعلت كان كذا ، وكذا ، ولكن قل : قدر الله . وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان ، فالحرص على ما ينفع ، والعمل له ، والاستعانة بالله عليه ، وعـــدم الشعور بالعجز عنه مهما يكن شأنه ووزنه ، هو السبيل إلى القوة التى يكبر بها قدره ، وإلى الحياة التى يكثر فيها خيره ، فإذا أصابه - مع ذلك - الإخفاق أو الفشل . فعليه أن يرد ذلك إلى قدر الله ، لينقذ نفسه من وطأة الإحساس بالنـــدم والألم ، ويستأنف نشاطه وعمله بأمل جديد ، وثقة بأن الله كما يقول : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » . وكما يقول : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وذلك المنهج بعض ما يوحيه العيد أو يلقيه من دروس وعظات . فإن الاستمتاع به يجىء بعد شهر كله جهاد وإعداد للجهاد ، وصبر على الجوع والظمأ ، وكفاح الميول والشهوات ورياضة على احتمال المتاعب والصعاب ، وقد رن الله اليسر بالعسر ، والفرج بالضيق ، والرخاء بالشدة ، فقال جل شأنه « فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا » وأكد - بما لا يدع مجالا للشك - أنه (لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) ومن ثم كان الأمل فى نصر الله حقيقا بكل مسلم ، وكان الإيمان بوعده الذى لا يتخلف هو الوسيلة الجليلة التى تحفزه إلى العمل . وتقربه من الغاية ، وتضمه حيث يقول الله « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » ، وحيث يقول : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » .

والجديد فى هذا العيد أنه يقبل علينا وقد تأهبنا للصمود أمام أعدائنا وأعداء ديننا ، وانتقلنا من مرحلة الصمود إلى مرحلة الردع والقمع ، وانطلقت كتائب الفدائيين تثير فى ربوع إسرائيل القلق والأرق ، وتحول الرأى العام العالمى إلى الوقوف معنا بعد أن تمزق القناع عن الوجه الحقيقى لمطامع الصهيونية والاستعمار ، وقرب الوقت الذى تفسر فيه الأحداث قول الله لبنى إسرائيل ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

فليحتفل المسلمون بهذا العيد على هذا الأمل وليرفعوا أصواتهم بهـذا الهتاف الذى رفع أقدارهم عند الله والناس « الله أكبر الله أكبر »

لا إله إلا الله وحده .. صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ...

لقد كان ذلك هتاف أسلافهم عند الزحف وسيكون ذلك هتافهم عند الزحف . وعند النصر ، وفى كل عيد ..

عبد الرحيم فوده

مصـــير الشهداء

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » . (قرآن كريم)

بيان

نشرت بعض الصحف أن الأزهر قد وافق على ظهور الحسين بن على — على المسرح فى المسرحية التى كتبها الشاعر عبد الرحمن الشرقاوى .

ومكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إذ ينفى ذلك نفيا باتا يؤكد أن الأزهر لم يوافق على ظهور شخصية الحسين بن على وغيره من آل البيت الأطهار والصحابة الأجلاء فى مسرحية الشاعر عبد الرحمن الشرقاوى ولا غيره لا على المسرح ولا على شاشة السينما أو التليفزيون ، أو غيرهما — وينبه إلى أن لجنة الفتوى بالأزهر قد أصدرت فتويين بتحريم ظهور مثل هذه الشخصيات الإسلامية الجليلة .

أفضل العلم

للدكتور علي العماري

سئل قيس بن ساعدة، وهو أحد خطباء العرب، وحكمائها، وواحد من أصحاب الرأى والعقل فيها: ما أفضل المعرفة؟ قال معرفة الرجل نفسه. قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه. قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.

كلمات ثلاث لا تصدر إلا عن حكيم، ولا يعيها، ويعرف قدرها إلا بصير بما يعرف العقلاء، وما ينكرون، ولو تدبرها الناس حق تدبرها، وقدروها حق قدرها لظفروا منها بكنوز ثمينة تثرى العقل، وتغنى النفس، وتهذب السلوك.

فمعرفة الإنسان نفسه هى الطلبة العزيزة التى تفتقدها الإنسانية منذ وجد الإنسان، وهى الأمل العذب الذى ظل الفلاسفة من قديم يروون به ظمأ أنفسهم وعقولهم إلى الحق والخير والعدل.

ووقوف المرء عند علمه، هو ضالة العلماء المخلصين، وخلق الحكماء العارفين، ودعوة الصفوة من الأنبياء والمرسلين.

واستبقاء الرجل ماء وجهه، هو أفضل ما فى السلوك الإنسانى، وأقوى خلق يحفظ على الإنسان إنسانيته، ويمسك على الكريم كرامته.

* * *

وكل واحدة من هذه الثلاث جديرة بأن نقف عندها طويلا، وننعم النظر فيما يمكن أن تهدينا إليه من كرائم فى السلوك وفى الأخلاق، وما يكون لها من آثار رائعة فى تكوين مجتمع فاضل يتواصى أفراده بالحق وبالخير، ويتصاحبون على مكارم من الصدق والبر.

وكثيراً ما أستعيد فى نفسى حكم قيس هذه، وإن إحداها لتلح على نفسى كلما رأيت متطفلا يعالج من قضايا العلم ما لا يحسن، ويدخل نفسه فى مداخل لم يأخذ لها أهبتها، وما أعد نفسه لها.

على أنها تلح على نفسى أكثر ما تلح فى هذه الأيام، فإنه من الجميل أن تحتفل أجهزة الإعلام فى الدولة بإحياء الشعائر الدينية، وبالحديث فيما يهم المسلمين معرفته من أمور دينهم، ولكن ليس حسنا ولا جميلا أن يتقدم للفتيا كل من هيأت له الظروف أن يتقدم، وأن يتجرأ على القول فى دين الله كل من دعى إلى ذلك.

والذى يرجع إلى تاريخ أسلافنا من العلماء المتورعين يقرأ كيف كان الواحد منهم يتحرج من الفتوى ، ولعله من أعرف الناس بها ، ولكنهم كانوا يخافون الزلة ، ويخشون أن يقعوا فى الباطل .

وماذا على المرء الذى لا يحسن الفتوى أن يربأ بنفسه أن يضعها فى موضع لا تحسن القيام فيه ، وهبه لا يبالى القول فى دين الله بغير علم ، أما كان من حق نفسه عليه أن يصونها عن لمز اللامزين ، وعيب العائبين ؟.

ومما يروى عن مالك بن أنس - رضى الله عنه - : إذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله .

ونحن فى عصر تخصص - لا ريب فى ذلك والعلماء أنفسهم يتهيبون الفتوى فى بعض الأحايين ، حتى لترى الواحد منهم يحاول أن يخرج من عهدة الفتوى فيروى عن فلان أو فلان من أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة وقل ماسمعت عالما دارسا حاول أن يتبجح بالاعتماد على رأيه ، أو بادعاء أن هذا الرأى هو المستخرجه والمستنبطه ، فى حين رأيت من لم يدرك من علم الشريعة إلا قليلا لايبالى يقول: هذا رأيى ، وهذا فيما أرى ، وأمثال العبارات التى يحاول بها أن يوهم الناس أنه صاحب رأى فى استخراج الأحكام من أصولها .

وقد علم إن كان يعلم أنه لا يحق لمسلم أن يقول فى دين الله برأيه حتى يحصل من العلم ما لا تسعه الأعمار فى جيلنا .

فمن هؤلاء المفتين ، المجترئين على القول فى دين الله من فقه القرآن حق فقهه ، وحفظ السنة حق حفظها ، وعرف اللغة التى أنزل بها القرآن حق معرفتها ؟

وليت هؤلاء إذ فاتهم فقه الشريعة تحرجوا من القول إلا إذا أسندوه ودرسوه ، وأطالوا درسه ، ولكننى سمعت أحدهم يجلس مجلس الفتوى ، فإذا سئل عن أى مسألة أجاب ولو كان يجهل الأساس الذى بنى عليه هذا الحكم ، وهى جرأة ما رأيت لها شبيها فى أى علم من العلوم الأخرى .

علمان يجرؤ عليهما كثير من الناس . علم الشريعة ، وعلم الطب فكل من درس شيئا من الفقه . بل ، وبعض من لم يدرسوا يسرع إلى الفتوى حين يطرح سؤال من مستفهم كأنه يعز عليه أن يعرض سؤال ، ولا يكون عنده جوابه ، وكل من سمع شكاة مريض لايتلبث حتى يصف له دواء ، وربما شخص له الداء أيضا ، وكما أن جهل هذا ربما يودى بحياة المريض إذا استمع إليه ، وعمل بما يقول ، فإن ذاك يوقع من يثق بفتواه فى خسران وضلال ، ويوبق دينه .

ولكن إذا جاز ذلك فى مجالس العامة ، وبعيدا عن رقابة رجال الطب ، ورجال الشرع ،

فما ينبغى أن يكون ذلك فى حضرة الأطباء والعلماء ، وعلى مسمع ومرأى من العارفين بالطب وبالشرع .

ولا يقولن قائل إن ذلك تحجير واسع ، وإن لكل مسلم أن ينظر فى الكتب ، وأن يتقدم للفتوى ، لا يقولن هذا ؟ فإن ديننا ليس بأهون علينا من أجسامنا ، فكما أننا نضرب على أيدى من يدعى الطب حتى لا يهلك الأبدان ، كذلك يجب أن نضرب على يد من يدعى المعرفة بأحكام الشريعة حتى لا يهلك الأديان .

وليس ذلك منا تعصبا لعلماء الدين ، ولا حجرا ، ولا دعوة لكهنوت كما يحلو لبعض الناس أن يتشدقوا به ، فإننا نعرف أن العالم الذى أطال النظر فى كتب الدين يتهم نفسه فى كثير من الأحيان ، ولا يقول بالفتوى حتى تنقدح فى نفسه أدلتها ، فهو يقول عن دراسة وعلم ، وعن تحر ، وإمعان نظر ، ولا عليه إن أخطأ بعد ذلك فإنه خطأ من اجتهد ، ووازن وقارن ، وقرأ ودرس وفقه وهو بعد ذلك سريع العودة عن الرأى الذى يتبين له خطؤه فيه ، فهو يعرف أنه مسئول أمام الله مسئولية جسيمة عن كل كلمة قالها ، إذ هو قدوة تتبع .

ولقد أفتى العز بن عبد السلام وكان عالم مصر ومفتيها فى وقته ، وكان يسمى سلطان العلماء أخطأ فى فتوى ، فلما رجع إلى كتبه وجد الحق على خلاف ما أفتى ، فأمر مناديا ينادى فى مصر والقاهرة ، يقول : من أفتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به ، فإنه أخطأ فى الفتوى .

وماذا يضر الإنسان لو وقف عند علمه ؟ إن الله منح كثيراً من الناس مزايا وفضائل ، وعلمهم أنواعا من العلوم فيها فضل وجاه إن أرادوا الفضل والجاه ، أفلا يكمل فضلهم حتى يتصدوا للقول فى دين الله ، فيصيبون ويخطئون .

ونحن - بحمد الله - أغنياء بعلماء الدين ، وفيهم الكفاية ، فلماذا لا نكل أمر الفتوى إليهم ؟ ونرجع فى كل شئون ديننا إلى علمهم وفضلهم ؟

ينبغى ألا تكون الفتوى فى الدين مصدر ربح يعطاه من يشاء له المعارف والأصدقاء أن يعطاه ، وينبغى أن يتحرى كل من مكنته وظيفته أن يطلب الفتيا أن يتحرى من يحسن القول فى الشريعة ، دون اعتبار لأى أمر آخر .

ولعل القارىء ينتظر منى أن أضرب له أمثلة من فتاوى سمعتها ، أو قرأت عنها ليعرف الدوافع التى دفعتنى إلى كتابة هذه الكلمة ، وأحب أن أقول له إننى أتحرج أن أعين إنسانا أخطأ فى فتوى ، فما إلى ذلك

قصدت ، وإنما أردت بكلمتى هذه أن أنبه إلى بعض ما يقع فيه أناس قد يبهرهم حب المظهر ، فيعرضون على الناس علمهم ، وهم لا يعلمون .

وأحب أن يقرأ هؤلاء هذه الكلمة التى كتبها العلامة ابن خلدون إذ يقول : (ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وسائر دلالته بما تلقوه من النبى ، أو ممن سمعه منهم من عليتهم) .

ولا حاجة فى أن أؤكد أن بعض أولئك الذين نشاهدهم يفتون ، ويعرضون للقول فى الدين ، لا يحفظ القرآن بل ربما كان لا يحفظ منه إلا ما تصح به صلاته ، ولا يكاد يحفظ حديثا كاملا من الأحاديث النبوية ، ومن حفظ منهم لم تهيىء له ظروف دراسته أن يقف على دقائق المسائل ، وعلى أصول التشريع كما ينبغى . أفلا يكون من الخير لهم ، وللمسلمين أن يقفوا عند علمهم ، كما لا حاجة بى أن أنصح كل مسلم يحرص على دينه ألا يأخذ فتواه إلا عن عالم درس فى الأزهر وأطال الدرس فإن الشىء لا يؤخذ إلا من مصادره .

وبسبيل من الفتوى تفسير كتاب الله تعالى ، فقد تصدى لهذا الأمر بعض من لا يحسنونه ، وربما وقع فى وهم وهم أنه يكفى أن ينظر الإنسان فى كتاب التفسير حتى يتسنى له أن يحدث الناس بذلك .

والحق أن القول فى كتاب الله بغير علم خطأ كبير ، وخطر عظيم ، ولقد كان بعض علمائنا السابقين على ما كانوا عليه من فقه للفقه ومعرفة بالسنة يتحرج من تفسير القرآن ، فما بالنا نرى هذا الأمر الخطير يمكن منه غير أهله أيضا .

إن الإنسان ليعجب كيف يتصدى لتفسير القرآن كل من درس صبابة من كتب التفسير وإن المرء ليتحرج أحيانا من تفسير بيت من الشعر قد يخفى عليه ما يريده الشاعر منه .

وماذا على الذين يشرفون على تفسير كتاب الله فى (التلفزيون) أن يقصروا هذا الأمر على كبار العلماء حتى لا نسمع هذا الخلط الذى نسمعه أحيانا من بعض من يعرض آى القرآن فى أساليب إنشائية لا حظ لها من الدقة التى ينبغى أن تراعى فى تفسير كتاب الله ؟ والله يدعو إلى الحق ، وهو يهدى السبيل .

د : على العمارى

نفحات القرآن

من سورة الأحزاب (١)

نماذج من القرآن
في مناجاته وتوجيهاته للرسول والمؤمنين

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

يا أيها النبي اتق الله .. ولا تطع الكافرين ، والمنافقين إن الله كان عليما حكيما .

١ — هذه سورة الأحزاب .. وهي إحدى السور المدنية .. وقد سميت بسورة الأحزاب — لاشتمالها على قصص رهيب ، وعجيب : عن أولئك الكفار ، الذين تجمعوا من المشركين واليهود ، وتحزبوا للأغارة على مدينة الرسول ، والإيقاع بالمسلمين .

فكانت رعاية الله للمسلمين .. وكانت الدائرة على الأحزاب « وكفى الله المؤمنين القتال » .

بدأها الله تعالى بنداء النبي صلى الله عليه وسلم ، لتعظيمه بهذا الوصف ، وإثبات نبوته في مواجهة المكذبين بها .. كما ناداه كذلك في عشرات من الآيات ، وكما ناداه بوصف الرسالة في جمهرة أخرى : من مقامات القرآن . وفي سورة الأحزاب يذكره الله بوصف النبوة سبع عشرة مرة ، ويذكره بوصف الرسالة ثلاث عشرة مرة .

وربما كانت هذه النداءات بوصف النبوة والرسالة قرابة المثتى مرة في مجموع السور مع أنه لم يذكر باسمه الصريح في القرآن كله سوى أربع مرات .. وحكمة ذلك واضحة كما ذكرنا .

وهي تأكيد شأن النبي فيما يدعيه .. وتبكيت الأعداء لإنكارهم ما ثبت لديهم بالمعجزات ..

٢ — وقد بلغ من رعاية الله لتزكية محمد بهذين الوصفين — النبوة ، والرسالة — أن أوجب على المسلمين أن يخاطبوا رسوله بأحد الوصفين — لا باسمه الصريح « لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » يعني لا تقولوا له : يا محمد .. كما تقولون : يافلان ، لغيره من الناس .. وكما شنع الله على من كانوا ينادونه باسمه « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » .

---

(١) بعد إيجاز النفحات عن سورة هود تعلقت الرغبة بالانتقال إلى سورة الأحزاب .

ونحن نجد نداء الرسول فى كل مقام : مقرونا بتوجيه جديد فى الأغلب .

ومن ذلك «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ، ونذيراً » فذلك تأكيد لرسالته ، ونبوته « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال » فهذه دعوة إلى جهاد العـــدو ، واعتراف للنبى بأنه صاحب هذه الدعوة ، وقائدها ، من جانب الله تعالى :

« يا أيها النبى قل لأزواجك ، وبناتك ، ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » « يا أيها النبى ، إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن ـ الآية » فهذا امتنان من الله على رسوله بإباحته له زوجاته الكثيرات ، وهذا كبت للخصوم الذين يغمزونه بكثرة الزوجات .

« يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ... الآية » فهذا تعليم له ، وتشريع يبينه الله على لسان نبيه ، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

« يا أيها النبى إذا طلقتم النساء : فطلقوهن لعدتهن . الآية » وكذلك هذا بيان وتشريع على لسان الرسول فى شأن تطليق الزوجات ، وما يتعلق به من العدة ، ونفقاتها « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ... »

فهذا تأكيد عليه بتبليغ ما أرسل به من عند الله .

« يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ... » فهذه مواساة له فى شأنه ، وتثبيت له على مواصلة دعوته ، وتخفيف من ألمه ، وأسفه على من كان يتخلف عن الإسلام ، أو ينقض عهده بعد أن دخل فيه .

ومن خلال هذه النداءات والتوجيهات نستشف تكريم الله لرسوله فى خطابه له على مسمع من الحاقدين عليه . بل على مسمع من الدنيا ، وأهليها إلى أن تأفل شمس الحياة فيها .

٣ ــ وفى تقديم النداء بوصف النبوة أو الرسالة إشعار للناس أن أى نداء من هذه النداءات لا يحمل أى معنى من معانى الشدة أو المساس بقيمة النبى أو بشخصه ، أو برسالته . بل هذا تلطف كريم ، يبعد عن الذهن أن الله يؤاخذ رسوله ، أو يعنف عليه الخطاب . .

حتى فى الأحوال التى تكون لتربية النبى ، وتعليمه . وبيان الصواب فيما كان اجتهادا منه . فى تلك الأحوال لا يكون الخطاب إلا رفقا وتعطفا ، ورعاية بالحب ، والتكريم .

وانظر ـ مثلا ـ قول الله تعالى لرسوله « عفا الله عنك ، لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا ، وتعلم الكاذبين » فقد كان النبى أذن لبعض الناس أن يتخلفوا عن الخروج معه لإحدى الغزوات ـــ غزوة تبوك ـــ فعاتبه الله على قبول عذرهم ، وأعلمه أنه لو

تريث معهم لظهر له كذبهم فيما أخبروه من أعذار، وظهر له نفاقهم في دعواهم الإسلام. وقبل أن يعاتبه الله تعالى ليعلمه بدأ كلامه بقوله - عفا الله عنك - وبذلك العفو - وهو تكريم - وليس عفوا عن ذنب - يظهر لنا أن الله لا يحرج نبيه، ولا يلومه وإنما يعاتبه عتاب المحب الذي ينشد لحبيبه الكمال، وينصحه بالحيطة. وهذه تربية الله لرسوله.

٤ — وفي المقام الذي نحن فيه من سورة الأحزاب: خاطب الله نبيه بهذا الوصف.. ثم قال له « اتق الله.. ولا تطع الكافرين والمنافقين . إن الله كان عليما حكيما ».

فهل كان النبي على نقص في تقواه: فجاءه الأمر من جديد بالتقوى؟ معاذ الله، فإنه في ذروة الإيمان، والعمل الصالح..

بل كان الكفار يحاولون أن يستدرجوه إلى الاعتراف بأصنامهم، أو إلى ترك سبها لبيان بطلانها، أو إلى الاقتصاد في دعوته إلى الإسلام، فلا يكثر المسلمون.

ومع أن النبي كان في عصمة الله من التأثر بهذه المحاولات... فإن الله تعالى لا يقطع إمداده بالوحي، وبالتحذير مما يحاولونه، ويوثق عزيمته. ويجدد عصبته، ليظل دائما في حرز من وقاية الله.

وليشعر الكفار أنهم يجهدون أنفسهم معه، ويبذلون له وسائل الإغراء، وهو لا يلين معهم، ولا يتأثر بإلحاحهم، بل هو يزداد كل يوم صلابة في الحق، وهو في كل محاولة منهم يواجههم بما يضعف أملهم فيه فيدركون من هذه المناعة أنه في صيانة من خبثهم، وفي حماية لا يستطيعون اقتحامها ولذلك جاء الأسلوب في الآية قويا، مؤكدا بالإيجاب، والسلب - فالأول: أمره بالتقوى - وهي: البقاء على ما هو عليه من العمل الطيب، والاعتصام بإيمانه الكامل.

والثاني - هو النهي عن طاعة الكافرين، والمنافقين.. ومفهوم ذلك: هو الثبات على حاله:

٥ — ثم يتداركه الله بما يشد عزيمته، فيبين له أن هذا التوجيه إلى ما ذكر مبني أولا على علم الله بما يعلمه من الحق في شأن المؤمنين.. ومن الباطل في شأن الكافرين والمنافقين.

ومبني - ثانيا - على أن حكمة الله في صنعه وفي ملكه اقتضت أن يكون النبي والمسلمون في جانب، وغيرهم في جانب واقتضت أن يبين لكل من الفريقين حاله، وأن يكشف له عن عاقبة أمره..

ومع هذا فقد استجاب من استجاب وأعرض من أعرض.

٦ — ثم تسير الآيات بعد ذلك في هذا الاتجاه، فيقول الله لرسوله « واتبع ما يوحى

إليك من ربك ، وإن الله كان بما تعملون خبيرا ، فهنا أمر بالاتباع للوحى - والوحى من عند الله لا غير - ومتابعة الوحى هى بعينها التقوى ، وما يليها من عدم طاعة الكاذبين ، والمنافقين ولا شىء أن الله يعلم كل ما يكون من عباده ... ومقتضى العلم أنه سيحاسبهم عليه بما هو جزاء عدل ثم يعزز الله ذلك التكليف بتوجيه يجمع بين هذه التوصيات كلهـــا .

يقول لرسوله « وتوكل على الله .. وكفى بالله وكيلا » فالتوكل على الله هو النهوض إلى العمل فى حرص على الطاعة .

ولا يستطيع المرء أن يضمن لنفسه وفاء بعهد الله . ولا صيانة من الزلل . ولا استيفاء لحظه من أعمال الخير إلا إذا كان فى كفالة الله ، ومعتصما بحبله ، ولاجئا إليه فى سره وجهره .

وذلك ميسور لمن فرض نفسه عاجزا ... ولاجئا ، ومتمسكا بما سمع من جانب الله وهذا هو معنى التوكل . وقد أمر الله نبيه بالتوكل ... فكأنه بعد العلم بما ينبغى له يحتاج إلى الإرشاد والاخبار بما يضمن له ذلك المسلك ... وقد علمه ربه أن المسلك هو حسن التوكل عليه ، والاستعانة به سبحانه .

وأما من غير علم ... ومن غير ركون إلى معونة الله : فالمرء فى مهب الرياح ويا ليتنا نكون عندما هدانا الله إليه ... ولكننا نغفل ... فلا نهتدى ... ولعل الله يجعل لنا من أمرنا يسرا .

عبد اللطيف السبكى

« مع الصوفيـة »

زارت رابعة العدوية أصحابها يوما فذكروا الدنيا ، وأقبلوا على ذمها فقالت رابعة : اسكتوا عن ذكرها ، فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ، إن من أحب شيئا أكثر من ذكره .

من تأثير القرآن في الحياة الإنسانية

للأستاذ محمد الأحمدي أبو النور

لمحة تاريخية :

لو قدر لامرىء منا أن يرتاد شبه الجزيرة العربية قبل أربعة عشر قرنا من الزمان فيبصر القبائل المتناثرة فوق رمال الصحراء ، أو العشائر المتهادية بين الحاضرة والبيداء ، فما كان ليتوقع مطلقا تلك الطفرة الهائلة التى حدثت فى حياتهم منذ أن نزل جبريل الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم بأول ما نزل من القرآن الكريم .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

نزل القرآن فأحدث تغييرا بعيد المدى ، وعميق الجذور ، فى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلا عما أحدثه فى سلوك الفرد من تقويم ، وهداية إلى السنن الأحب والطريق المستقيم ! .

كانوا قبائل متفرقة ، متعادية ، فأصبحوا دولة واحدة ، مترابطة ! .

كان الكثير من أطراف الجزيرة يتنازع استغلاله الفرس فى الشرق والروم فى الغرب ، فإذا بهم يقوضون ملك كسرى ، ويقضون على دولة قيصر ! .

كانوا يثورون لأتفه الأسباب ويتفاخرون بالأحساب والأنساب ، وتسرى فى عروقهم دماء العصبية القبلية ، والحمية الجاهلية ، لا قانون يحكمهم ، ولا تشريع يردعهم ، ولا دين يهذب طباعهم وسلوكهم ، ولا قيم تؤلف بين قلوبهم ونفوسهم ، فإذا بهم وقد سرى فى أوصالهم روح من أمر الله يفيئون إلى شريعة العدل ، وعقيدة الحق ، ومنهج الخير ، ومسلك الفضيلة ! .

وإذا هم أشداء على الكفار رحماء بينهم يقاتلون لا فى سبيل عرض الدنيا ، ولا إجابة لداعى العصبية والحمية ، ولا إغارة على الضعفاء استرقاقا لهم ، واستنهابا لأموالهم ، ولكنهم يجاهدون لإعلاء كلمة الله ، وإرساء قيم الحرية والأخوة والعداله والمساواة ! . فأسبغ الله عليهم نعمة ظاهرة وباطنة ، ومكن لهم فى الأرض ، وخلع عليهم محبته ورضوانه :

« إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

ماذا حدث فى حياتهم ؟ !

الشىء الوحيد الذى طرأ فى حياتهم فأحدث هذا التغيير الهائل هو نزول القرآن الكريم الذى كان للأمة العربية ، بل للبشرية عامة بمنزلة الروح من الجسد ، أحيا موات القلوب وهدى العقول وبصر النفوس كما قال تعالى :

« وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » وجاء تمييزاً بين الخير والشر ، وفرقانا بين الحق والباطل ، كما قال سبحانه :

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » .

وتبيانا لكل شىء ، وتبصرة وذكرى لكل عبد منيب ! .

المنهج الذى جاء به القرآن :

ولقد جاء القرآن بمنهج متكامل لتكوين الفرد السوى ، والمجتمع الفاضل ، ولتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه ، وبينه وبين مجتمعه ولربط دنياه بآخرته ، والخالق أعلم بما يصلح شأن المخلوق ، وينظم أمره ، ويقوم فكره : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟!

وكان هداية سماوية شاملة ، تحتوى أصول الرسالات السابقة ، وتسعى لتحقيق أهدافها وتضيف من التشريعات والفروع ما يساوق تقدم الفكر ونضوجه ، ويصلح لهداية البشرية إلى التى هى أقوم ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !!

وعلى أساس هـذه الهداية القرآنية المثلى ارتفع بناء الإسلام ، وخفق لواء الحضارة ، وتعدل معيار السلوك ، وتحول سير الحياة ، وتغير مجرى التاريخ ؟!.

رصيد العرب فى الخلق :

ولا نعنى بما أسلفنا أن العرب كانوا مقفرين من ينابيع الخير والفضيلة ؟ كلا . بل كان لديهم رصيد ضخم فى القيم الخلقية ، والأمجاد الإنسانية من الشجاعة والبطولة ، والنجدة والمروءة ، والصدق والوفاء ، والصبر والإباء .

الأمر الذى يفسر لنا كيف كانوا بذلك بيئة خصبة ذات استعداد فطرى لتلقى الرسالة السماوية وحسن التأثر بها ؛ وكذا لا نعجب لما تبدى فى الأمة العربية من تحول سريع على إثر نزول القرآن الكريم .

ولقد كان من حكمة الله أن يصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم ليلقى القرآن من لدنه ، ولقد استأهل ذلك بصفات ومزايا لم تكن لدى غيره من البشر . !

كما كان من حكمته سبحانه أن يرسل رسوله بالهدى ودين الحق بين قوم ذوى استعداد خاص لاستقبال أشعة هذا الهدى والتأثر به ، وللإيمان بذلك الدين ونصره ، والنهوض بتبعات نشره ؛ وذلك معنى قوله تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

وفى هذا يقول عبد الله بن مسعود :

« إن الله نظر فى قلوب العباد فاصطفى محمدا لنفسه فبعثه برسالته ، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ؛ فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه » .

ولقد سجل الشعر العربى ما كانوا يمتازون به من محامد الصفات ، ومحاسن الشيم ، الأمر

الذى مثـــل البيئة الخصبة لتقبل الوحى ، وازدهار الإسلام .

فمن الشجاعة والإقدام يقول قائلهم :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد
لنفسى حياة مثل أن أتقدما

وعن فلسفة البذل وروح الإيثار يصدر عروة بن الورد حين يقول :

أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى
بجسمى من الجوع والجوع جاهد ؟!

لأنى امرؤ عاف : إنائى شركة
وأنت امرؤ عاف : إناؤك واحد ؟!

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء ، والماء بارد ؟!

وعن منع الظالم عن الجار والحليف يقولون :

إنا لعمرك لا يضا م حلفنا أبدا لدينا

• • •

وما جار يبقى بالذليل فترتجى
ظلامته يوما ولا المتهضم

• • •

وعن التضامن والمسارعة إلى نصرة ذويهم :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
فى النائبات على ما قال برهانا

• • •

وعن إباء الضيم وابتغاء العزة يتمثلون بقول القائل :

فللموت خير من حياة يرى لها
على الحر بالأغلال وسم هوان !؟

• • •

وعن قيمة المال يقول حاتم الطائى :

أمادى إن المال غاد ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكر

ويقول :

إذا كان بعض المال ربا لأهله
فإنى بحمد الله مالى معبد ؟!

يفك به العانى ، ويؤكل طيبا
ويعطى إذا من البخيل المصرد ؟!

كان لدى العرب - إذاً - منابع للخير . ومنابت للفضيلة ، واتجاه مثالى فى الخلق والسلوك ، بيد أن هذا الاتجاه أخطأ الهدف ، وتجاوز القصد ، وضل السبيل الأقوم ، فأسرف فى بذل المال بدعوى الكرم ، وتغالى فى الخوف من العار حتى وأد البنت ، واندفع فى نصرة الأخ والحليف ولو كان ظالما ، وضحى بالنفس والنفيس ولو فى سبيل المرأة واعتد بالحسب والنسب والثراء كمقومات أساسية للشخص فى المجتمع . ! ؟

ومن هنا مست الحاجة إلى النهج الذى يبين الرشد من الغى ، ويمكن لتلك الطاقات الخيرة أن تحقق أهدافها لا عن طريق الكبت أو التبديد ، بل عن طريق التوجيه السديد ، بالإبدال أو التصعيد ! كما يقول علماء النفس .

ولقد جاء القرآن بسوره وآياته ، وبما أوحى معه من السنة المبينة له ، روحا من أمر الله ، عمر القلب بالإيمان ، وغمر العقل بالهدى وأمر الناس بالعدل ، وكان قوله الفصل ، فيما ينبغى من عقيدة ومن سلوك . ! ؟

وكان لتلك الظاهرة العامة فى أخلاق العرب وتفكيرهم آثار بعيدة المدى فى حسن تقبلهم للدين الجديد ، وعمق تأثرهم بالمبادىء التى صادفت هوى من نفوسهم ، وصدى فى قلوبهم .

أجل . ! وأصبحت التضحية بالنفس والمال جهادا فى سبيل الله لإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ! وغدت الجنة غاية ما يسعى المؤمن للحصول عليه من وراء جهاده : جنة الدنيا بالحرية والعزة ... وجنة الآخرة بالنعيم المقيم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وذلك تأثرا بمثل قوله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

وتسامى الحب لله ورسوله — ويتمثل فى اتباع الكتاب والسنة — عن أن يدانى أو يشابه بحب ما يشتهى من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث .. نعم . فذلك متاع الحياة والله عنده حسن المآب .

ولقد تأثروا فى ذلك بمثل قوله تعالى :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانو آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ... »

وقوله تعالى :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » ، حتى لقد قتل أبو عبيدة أباه . ومصعب بن عمير أخاه .. وعمر قريبا له . وذلك يوم بدر . ثم قال عمر للرسول صلى الله عليه وسلم حين استشاره فى أسارى المشركين : لا أرى ما أرى الصديق يارسول الله ! هل تمكننى من فلان - قريب لعمر - فأقتله ؟ وتمكن عليا من عقيل - أخيه وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله أنه ليست فى قلوبنا موادة للمشركين ؟ ! !

واعتدل مقياس النصرة للأخ أو الحليف فأصبح نصره ظالما يعنى ردعه عن ظلم الآخرين . وتطبيقا لهذا قال أبو بكر رضى الله عنه عقب توليته الخلافة : أيها الناس ! الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه !

وأصبح الكرم بذلا منظما بالانفاق فى سبيل الله ، وبالإسهام فى خير المجتمع ، وبأداء الزكاة وتوزيعها بالعدل فى مصارفها المحددة .

ولقد قال عز وجل : (وفى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) .

كما قال سبحانه : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن

السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .

وأصبح التضامن .. مساندة للحق .. على الباطل ، وذلك وصف القرآن للمؤمنين (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) .

(أذلة على المؤمنين . أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) .

• • •

واتسع مفهوم العبادة فشمل السعى فى طلب الرزق ، واستدرار الخير ، وما نعبر عنه الآن بالعمل لرفع كفاية الإنتاج ، وذلك بنحو قوله تعالى :

(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) .

وأصبح الصراع من أجل القبيلة جهاداً دائباً ، وعملا دائماً لتحرير البشرية كلها من المذلة والاستغلال والخضوع لغير الله ، وإقرار العدالة والإخاء والمساواة دون تمييز لجنس على جنس ، ولا للون على لون .

وذلك بمثل قوله تعالى :

(يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون) .

وقوله تعالى :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) .

• • •

وغدا مقياس التفاضل بين الناس هو الإيمان والعمل الصالح الذى يتسق فى إطاره خير الفرد بخير المجموع ، وترتبط فى مجاله الدنيا بالدار الآخرة دون أثرة أو استعلاء .

فقد قال عز وجل :

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وقال سبحانه :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) .

وبعد

فذلك طرف من تأثير القرآن فى الحياة الإنسانية ، وهدايته إلى التى هى أقوم ! .

ولا يزال غض الإهاب صالحا للهداية والتأثير فى كل جيل وفى كل مكان ، رغم مرور أربعة عشر قرنا من الزمان على نزوله.

وهذا أحد أسرار إعجازه ، وعسى أن نحسن التقبل له ، والتأثر به ، فهو حجة لمن اتبع هداه . كما أنه حجة على من أعرض عنه واتبع هواه وصدق الله حيث يقول .

إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ..

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

محمد الأحمدى أبو النور

من ملامح اليسر فى الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

الناظر من قضاعيف القرآن الكريم إلى ملامح السياسة التشريعية فى نطاق الفقه الإسلامى يجد أن خطوطا عريضة تحـــدد معالم تلك السياسة، وتوضح ملامح اليسر والتلطف فى سن النظام العملى للأمة الإسلامية ، بحيث تشكل تلك الخطوط فى مجموعها إطارا محدد الأبعاد متميز الطابع لتلك السياسة القرآنية الهادفة إذ أن تلك الخطوط العريضة تلتقى فى النهاية فى بؤرة معينة تنعكس فى معنى الآية الكريمة « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

وإذا ما لاحظنا من خلال الرخص الشرعية العديدة ... ما تنطوى عليه من مرونة ويسر وإسماح ... وجدنا أن إرادة التخفيف هى نبضها الخفاق، وتيارها المولد لحركتها المجدد لحيويتها . . ومما يلفت النظر فى هذا الصدد انحصار أطراف الشريعة انحصارا يسهل الإلمام به فى زمن وجيز أو بجهد ركيز . . قد تعـــبر عنه خطبة جامعة أو محاضرة موضوعية محددة ، أو كتيب مستوعب ، وإذا تتبعنا الخطوات التشريعية من زاويتها التاريخية اتضح لنا من إجمالها المتبوع بتفصيلها، ونسخها السابق لتقريرها وتصريحها المتعالق مع تلميحها . مدى ما تتمتع به الشريعة الغراء كما وكيفا من مراعاة الحاجات الملحة ، والظروف الحرجة وأنها تبعا لذلك خضعت لعوامل النشوء والتطوير أو كما يقول العلماء : لسنة التدرج فى التشريع .

وأمامنا جدول الرخص الشرعية الحافل بألوان من تلبية الحاجات الاضطرارية ، والمتلائم مع أطوار الحياة الإنسانية بكل ما فيها من مطالب للجسد ، أو مراقى للروح سواء فى ذلك العبادات والعادات والمعاملات والجنايات .

وإذا أخذنا مثلا لذلك « الصلاة » وهى أمس الأركان الإسلامية عمليا بدنيا الناس ، وأوثقها اتصالا بحياتهم اليومية المتجددة . رأينا فى مرآة الرخص الشرعية . جوهر الصلاة النفيس . وقد غلفته غلالات رقيقة من التسهيلات والمنح الإلهية التى تصدق الله تعالى بها على عباده ... تفضلا منه عليهم ، ورحمة بهم . فحيثما حلت الصلاة فى حلة قشيبة من تلك الرخص . لم تفقد قيمتها ولا نفاستها واستحق صاحبها نفس الثواب المقدر لها فى أكمل أحوالها ، وأتم أوضاعها . فهى

فى حال المرض تأخذ عدة اتجاهات تشريعية وأوضاع صلاتية تختلف شكلا وتتفق موضوعا وتتحد جزاء.

وفى كتاب الاختيار فى فقه أبى حنيفة أن من عجز عن الصلاة الواجبة من قيام ... صلاها من قعود يركع ويسجد، ومن عجز عنها قاعداً صلاها مستلقياً على ظهره أو مضطجعاً على جنبه يومىء برأسه إيماء ومن عجز عن الايماء بالرأس سقطت عنه الصلاة إلى غير بدل ولا قضاء، وقالوا فى تعليلها نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

« إن الله تعالى أحق أن يقبل عذره »

ويسوقنا حديث التخفيف فى قطاع الصلاة شكلا وموضوعا .. إلى حكاية لون منها .. يسقط فيه عن المصلى شرط استقبال القبلة .. الذى ثبت اشتراطه بالقرآن « فول وجهك شطر المسجد الحرام »، وبالسنة .. وذلك فى حديث أخرجه البخارى مرفوعا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: « من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا .. فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله فى ذمته ». وذلك اللون هو صلاة النافلة على الدابة .. ومثلها بطبيعة القياس . كل وسيلة من وسائل المواصلات الحديثة .. براً أو بحراً .. أو جواً .. حيث يسوغ لمن يريد التطوع بالصلاة بقدر يزيد عن الفريضة .. أن يتوجه فى نافلته إلى أى جهة توجهت إليها مطيته .. ولا عليه فى ذلك.

وفى هذا إتاحة فرص متكاثرة لملء فراغ المسافر أو الراكب بالعبادة التى تقربه من الله زلفى، ويستغل بها الزمان والمكان الذى قد يطول .. أو يقصر .. فى النافع المفيد.

وقد سبق بذلك العمل من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسن به للأمة القدوة الحسنة .. والرخصة المتبعة: روى جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما فيما أخرجه البخارى: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى على راحلته حيث توجهت به، فإذا أراد فريضة نزل .. فاستقبل القبلة » ويؤيده ما رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فيما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى: قال: « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على حمار وهو متوجه إلى خيبر » والمعروف أن خيبر فى اتجاه مضاد للقبلة.

على أن الفريضة ذاتها تخضع لهذا اللون التسهيلى فى حال الخوف الشديد حيث يسقط شرط استقبال القبلة عند الشافعى رضى الله عنه .. وثمت ناحية جديرة بالاهتمام فى حديث الرخصة والتيسير فى الصلاة .. نظراً لما تقدمه للمسافرين من توسعة ورفق بهم، وإتاحة الاستغلال لوقتهم المحدد .. فى إبان الاغتراب والوحشة .. مع غض النظر عما يصاحب المسافر من أمن وراحة . واعتبار

حال السفر من حيث هو سفر.. ظرفا حرجا وغير عادى يستلزم الهوادة فى التشريع ، والتسامح فى الأداء .

فالسفر الذى يمتد إلى مسافة تسعة وثمانين كيلو مترا وأربعين مترا .. وهو مثل المسافة من القاهرة إلى محلة مرحوم - حسب أدق تقديرات السفر المبيح للرخصة - يعطى المسافر إمكانية قصر الصلاة .. أى اختصار الرباعية منها .. وهى الظهر والعصر والعشاء. بحيث تؤدى ثنتين ثنتين ، وقد سئل رسول الله عما إذا كان من الممكن استمرار هذه الرخصة بعد زوال الخوف الذى اشترطته الآية الكريمة : « وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم .. الآية ... »

فقرر الرسول عليه الصلاة والسلام استمرار فاعلية هذا القصر فى حالتى الخوف والأمن فى نطاق السفر .. بقوله : « إنها صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » وسواء أكان القصر الرباعية فى السفر عزيمة وواجبا كما هو رأى أبى حنيفة رضى الله عنه أم كان رخصة وجائزا .. كما هو مذهب غيره من الأئمة الأربعة فمما لاشك فيه أنه تيسير يصاحب كل مسافر فى رحلاته ، وعنوان على السماحة ودفع المشقة فى الشريعة الإسلامية ، والرسول يدعو إلى الاستمتاع بتلك اللطائف الشرعية ، وقبولها قبول الهدية ممن يهديها .. وفى الحديث الشريف : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه .. كما يحب أن تؤتى عزائمه » .

وليس حديث قصر الصلاة هذا خاتمة المطاف فى تسهيلات السفر للمسافرين .. بل هناك الجمع بين الصلاتين فى وقت إحداهما .. إما تقديماً فى وقت الأولى .. وإما تأخيراً فى وقت الثانية ، وبالإضافة إلى اختصار الصلاة الرباعية فى ركعتين نجد أن المسافر قد تمتع باليسر كماً وكيفاً ، وانفسح أمامه وقته إلى مدى يستفرغ فيه كل سعيه اليومى، فى سبيل بلوغ أهدافه ومصالحه .. إذ يستطيع أن يصلى الظهر والعصر جمع تقديم كلا منهما ركعتين فى أول وقت الظهر .. ثم يخلو وقته من الصلاة الواجبة إلى آخر وقت العشاء حيث يؤدى المغرب والعشاء قبيل نهاية وقت العشاء جمع تأخير .. أو يؤخر الظهر إلى قرب نهاية وقت العصر فيصلى كل واحدة منهما ركعتين منفصلتين بتسليمتين جمع تأخير .. ثم يصلى المغرب ثلاثا كما هى مع العشاء ركعتين فى أول وقت المغرب جمع تقديم ..

روى الحاكم بإسناد صحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر . ثم نزل فجمع

بينهما ، فإذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر والعصر ثم ركب » . . ومع أن أبا حنيفة قد خص رخصة الجمع بين الصلاتين بيوم عرفة فى الحج بالنسبة إلى الظهر والعصر حيث يصليان جمع تقديم فى وقت الأولى مع الإمام . وبالنسبة إلى المغرب والعشاء بالمزدلفة حيث يؤديان جمع تأخير . فإن الأئمة الثلاثة يرون عدم تقييد هذه الرخصة بموسم الحج ويرونها صالحة لكل زمان ومكان حال الأسفار .

ومما يتصل بالصلاة فى إطار الرخصة والتيسير . . الطهارة لها . . وهى شرط أساسى من شرائطها التى لا تصح إلا بها فعند إرادة التطهر للصلاة يتمتع المرء بتسهيلات شرعية أخرى تهون عليه مقصده ، وتفرج عنه ما يجده من ضيق ، فإنه إذا افتقد الماء إلى بعد ميل على الأقل ، أو عجز عن استعمال الماء لمرض أو حاجة إليه ، أو ارتفع سعره فى مكان تشح فيه المياه إلى أكثر من المعتاد فإنه يستطيع أن يستعيض عن الماء بالأرض بما رحبت من صعيد طيب فيضرب الصعيد الطاهر ضربتين : واحدة لمسح الوجه ، والأخرى لمسح اليدين إلى المرفقين وهو ما يسمى « بالتيمم » وهو طهارة للأحداث كلها قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البخارى عن جابر : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى ، وذكر منها : وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل » .

ولو ذهبنا نتتبع مواطن التيسير والترخص فى المجالات الشرعية المتنوعة لضاق بنا المقال ولفاض بنا المقام .

وحسبنا أن نكتفى بضرب الأمثال عن استيعاب الأحوال .

ففى قطاع العادات يرخص للمضطر أن يتناول المآكل والمشارب المحرمة بالقدر الضرورى بعد ، إباحة الطيبات من الرزق مأكلا ومشربا وملبساً ، واستعمالا وتمتعا ، من غير سرف ولا مخيلة ، والنهى عن الخبائث والمحرمات التى تضر بالإنسان صحيا أو عقليا أو جسمانيا .

وفى قطاع المعاملات تضمنت الشريعة إباحة القرض المالى مع ما فيه من علة الربا وهى النساء ، ورخص للناس فى السلم : وهو بيع الآجل بالعاجل ، بمعنى أن من حق الناس أن يشتروا المحاصيل الزراعية قبل ظهورها مع أن فيه بيع المعدوم .

وفى الجنايات قررت الشريعة تلمس الأسباب الدارئة للحدود والقصاص وإسقاط القصاص عمن وجب عليه بعفو أولياء الدم كلا أو بعضا وإشراك عاقلة القاتل فى تحمل نصيبها من دية المقتول .

كما شرعت الكفارات على اختلاف أنواعها وتفاوت أقدارها ، لرفع آثار الذنوب ، ومحو معالم الخطيئة .

فهناك كفارة اليمين عند الحنث فيه . . . وكفارة الإفطار عمداً فى نهار رمضان ، وكفارة القتل غير العمد ، وكفارة الظهار . . وكلها آيات رحمة بالمذنبين ، وسبيل خلاص للمسرفين . . الذين أحاطت بهم خطيئاتهم من كل جانب ، وتورطوا فى أوحال الآثام . . فتجبر ما وقع من نقص ، وتزجر من تحدثه نفسه بالمخالفة والتقصير

وفى الصيام تتجلى إرادة التخفيف عن الصائمين واضحة جلية . بإسقاط الصوم عن الشيخ والشيخة إذا شق عليهما الصوم مشقة بالغة .. على أن يخرجا فدية طعام مسكين عن كل يوم أفطرا فيه . . كما يؤجل الصوم عن المسافر - إذا شاء - وعن المريض والعاجز عجزاً موقوتاً . . وعن الحائض والنفساء ، والمرضع إذا احتاجت للفطر . . وذلك إلى أن تواتيهم صحتهم وإمكانياتهم من معاودته فى أيام أخر .

وفى الحج نجد بصمات اليسر والترخيص بالنسبة إلى من أعوزته النفقة أو الوسيلة الانتقالية . أو توقع الخوف حيث لا يجب عليه حج فى هذه الأحوال . . ومن افتقد من نفسه القدرة بصفة دائمة أناب عنه غيره فى الحج والعمرة . ومن ارتكب إحدى المخالفات الموجبة للمؤاخذة . . وجد فى الذبائح أو الصيام أو الصدقات كفارات لمخالفاته ، وتكميلا لحجه . .

وقد أجمل الفقهاء تلك الرخص الشرعية تبعاً لاستقراء مواضعها ، وتتبع مواردها فيما يأتى :

أولا : إسقاط العبادة . . كسقوط الحج عن غير المستطيع .

ثانياً : إبدالها بغيرها . . كالتيمم بدلا عن الماء . . ومسح الخفين بدلا عن غسل الرجلين .

ثالثاً : التقديم والتأخير . . كالجمع بين الصلاتين فى وقت إحداهما .

رابعاً : التغيير . . كنظام صلاة الخوف المخالف لصلاة الأمن شكلا .

خامساً : الإباحة . كشرب الخمر لمن به غصة وهو بلا ماء .

وفى تخطيط القرآن الكريم لإطار الشريعة الغراء . . نجد ملامح هذا اليسر بارزة المعالم . . كما تتعانق ظلال هـذا الإطار وأضواؤه على معنى التلطف بالناس . ومدافعة الحرج عنهم ، وتعبيد الطريق أمام مسيرتهم الدينية الصاعدة . . والقضاء على كل العوائق المثبطة للهمم . . أو الصارفة للعزائم . . وقد وصف الله تعالى رسوله فى القرآن الكريم بقوله :

« ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » كما تفضل سبحانه وتعالى بتحديد دائرة التكاليف كلها من أمر أو نهى ، ومن فعل أو ترك بدائرة الوسع الشخصى ، والطاقة الذاتية . .

وما خرج عن تلك الدائرة الفطرية .. فهو إما ساقط أو مؤخر قال تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » .. « لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها » . . « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » . . « ولو شاء الله لأعنتكم » . . « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .. « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » .

وأخيراً ـ وليس آخراً ـ نجد أن الاتجاهات العامة فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها .. سواء منها ما يتصل بحياته الخاصة . . أو بسيرته العامة . . تستوحى مبدأ التيسير فيما تأخذ وما تدع .. وتؤثر أسلوب التخفف والتلطف فى أموره كلها . . وفى ذلك تقول عائشة رضى الله عنها :

« ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً .. فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه » .

محمد محمد الشرقاوى

« العقل تزيده الطاعة »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا » قلت بأبى وأمى ومن لى بالعقل قال : اجتنب محارم الله ، وأد فرائض الله تكن عاقلا ، ثم تنفل بصالحات الأعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وبه عزاً » .

صيانة الأعراض فى الإسلام

للأستاذ مصطفى الطير

— ١ —

تمهيد :

بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ، وقد فشا فى الناس ألوان من الأخلاق المنحرفة والعادات الذميمة إلى جانب ماهم عليه من عقائد فاسدة وشرائع مبدلة ، فلهذا جاءت الدعوة المحمدية لإصلاح ما فسد من أمور الناس ، حتى يسيروا فى شئون معاشهم ومعادهم على سبيل راشدة .

ومن أهم ماعنى به الإسلام بعد توحيد الله تعالى صيانة الأعراض من الدنس ، وحفظ الأنساب من الدخيل ، فقد كان بعض ألوان الزواج سفاحا ، وبعضها يؤدى إلى السفاح كما كان البغاء منتشرا سرا وعلنا ، فلهذا جاء الإسلام بعدة تشريعات على سبيل التدرج لعلاج هذه الانحرافات ، وكان بعض هذه التشريعات وقائيا ، وبعضها عقابيا يضم بين أعطافه الوقاية من العودة إلى مثل الجريمة التى كان العقاب من أجلها ، وردع الغير وإبعاده عن ممارسة ما فعله المعاقب وقبل أن نتحدث عن هذه التشريعات نبين فيما يلى ما كان عليه الناس فى أمورهم الجنسية .

الزواج والبغاء قبل الإسلام :

قال ابن شهاب الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها(١) أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه(٢) فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر ، يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة ، ، كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، وتقول لهم قد عرفتم الذى كان من أمركم ، وقد ولدت

---

(١) الطمث الحيض .

(٢) أى اطلبى منه أن يجامعك بحملها بذلك على الزنى .

فهذا ابنك يافلان ، تسمى من أحببت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل

ونكاح الرابع ، يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها . وهن البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة (١) ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاط به (٢) ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كلها إلا نكاح الناس اليوم » .

وقال القرطبي . كان فى ذلك الزمان زنى النساء فاشيا ، وكان لإماء العرب وبغايا الوقت رايات ، وكن مجاهرات بذلك (٣) .

فمن النوع الثانى لزواج الجاهلية المروى عن عائشة عرفنا أن الأزواج لم يتورعوا عن السياح لزوجاتهم بالزنى رغبة فى نجابة الولد ، فبئست الوسيلة لغاية تتحقق عن غير طريقها ، فإن نجابة الولد تأتى عن طريق التربية الحسنة والبيئة التى يترقى فيها ، إلى جانب التكوين العقلى الذى شاءه الله له ، فكم من أب نجيب استعقب أولادا لا نجابة فيهم لأن الله تعالى لم يخلقهم على استعداد لها ، أو لما صادفهم من عقبات حالت دون نجابتهم ، كالمرض وصحبة المتخلفين عقليا ، وكم من أب غير نجيب استعقب أولادا هم شعلة فى الذكاء ولأن الله تعالى منحهم أسبابه وهيأ لهم فرصه .

كما عرفنا من النوعين الثالث والرابع استهتار الحرائر بأعراضهن إلى هذا النحو من الاستعلان والعمومية وأن ولد السفاح كان يلحق بالرجل بمشيئة المسافحة أو بقول القائف وقد لا يكون منه .

ومما قاله القرطبي عرفنا أن الحرائر والإماء كن يمارسن البغاء جهارا . ويرفعن الرايات على بيوتهن ليقصدهن أهل الإثم والفجور .

ولقد كانت الإماء يمارسن البغاء بأمر سادتهن ، فقد كانوا يتجرون بأعراضهن . ومن سفاحهن كانوا يرتزقون ، وفيهم يقول الله تعالى « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » ولشيوع البغاء اشترطت قريش حين أرادت إعادة بناء الكعبة قبيل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يساهم أحد فى بنائها بأجر امرأة أو أمة بغى ، إعظاما للكعبة وتنزيها لها عن أن تبنى بمال دنس وكسب قذر مهين .

---

(١) هم الذين يلحقون الأبناء بالآباء وبعلامات يعرفونها .

(٢) أى التصق به وتبعه فى النسب .

(٣) ص ١٦٠ ج ٥

وكان الرجل من العرب قبل الإسلام يتزوج من حرائر النساء العدد الذى يشاؤه ، وقد أسلم بعضهم وعنده عشر نساء كغيلان بن أمية الثقفى ، وأسلم بعضهم وعنده ثمان كحارث ابن قيس الأسدى .

ولا ريب فى أن الرجل الواحد لا يستطيع أن يقوم بإعفاف هذا العدد الكثير ، فكان بعضهن ينحرف خصوصا المهجورات منهن ، كما كانت بناتهن اللاتى يلدهن هذا العدد من النساء لا يجدن أسباب الصيانة فكن ينهجن هذا المنهج الوضيع ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان العرب يرتزقون من رعى الأغنام فى مراع بعيدة عن مساكنهم ويغيبون عن بيوتهم وقتا طويلا . كما كانوا يسافرون للتجارة إلى أقطار بعيدة. فلهذا كان شياطين الإنس من رعاة الأغنام والأعراب والجيران يجدون السبيل ميسرة إلى تحقيق أغراضهم الجنسية فى غيبة أولئك الأزواج .

ولقد كان بعض الأزواج يتقى الفضائح فى عرضه بوأد بناته وقتلهن صغيرات قبل أن يبلغن المحيض حذرا من العار الذى ينتظرهن مستقبلا ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » .

كما كان بعض أهل الكتاب لا يتزوجون سوى امرأة واحدة تبعا لشريعتهم التى تمنع تعدد الزوجات ، وكثير منهم كان يتخذ له خليلات يستمتع بهن لأن زوجته لا تكفيه أو لأنها غير جميلة الذات أو الطباع والعادات .

والطلاق عند هؤلاء ممنوع حتى يثبت الزنى على الزوجة ، وهيهات للزوج أن يستطيع إثباته وحينئذ يستمر فى عشرة زوجته العاثرة على كره منه ، أو يبعث بها إلى أهلها وفى كلتا الحالتين ينفس عن نفسه بالانحراف إلى الزنى ، لأنه لا يستطيع أن يتزوج سواها بعد عجزه عن تطليقها ، وقد تكون الزوجة عاقرا والزوج منجبا وهو يريد الذرية ، ولكنه مقهور على البقاء مع زوجته ولا يستطيع أن يتزوج معها أخرى ، فيعيش مكبوتا ، ويجد نفسه مدفوعة إلى الانحراف تنفيسا وترويحا ولا يزال هذا الوضع ملازما لهذه الطائفة من أهل الكتاب ، بل زاد حدة فى هذا العصر ، ففى هذا العام أحصى بعض الجهات المعنية بالإحصاء ببعض الدول الغربية عدد المواليد سفاحا فوجد أنه واحد فى كل ستة مواليد .

وهذا الإحصاء لا يمثل نسبة الزنى على الحقيقة فإنه يعتمد فى نسبة الولد غير الشرعى أن أمه التى ولدته فتاة لم يسبق لها زواج ، أو امرأة مطلقة من زوجها طلاقا مدنيا أو بسبب زناها أو امرأة توفى عنها زوجها ، وأغفل من حسابه المرأة المتزوجة المنحرفة التى تحمل وهى

فى عصمة زوجها من غيره وتلد وتنسب ولدها هذا إلى زوجها مع أنه من سفاح .

كما أن بعض الفتيات والنساء غير المتزوجات يستعملن الحبوب المانعة من الحمل ، وما أكثر السفاح الذى لم يظهر له أثر إنجابى بسبب استعمال هذا العقار ، فالجهة التى قامت بالإحصاء أغفلت هاتين الحالتين ، ولم تجعلهما فى حسابها ولو استطاعت لظهرت لها نسبة الزنى بشكل مروع .

وكل ذلك ناجم عن إيجاب الاقتصار على الزوجة الواحدة ، مع قلة الرجال بسبب فناء بعضهم فى الحروب ، فهم لا يكفون النساء ، كما أنه ناجم عن الأسباب التى قدمناها .

وإنك لتجد فى هذه الطائفة من يعيشون رهبانا وراهبات فى الأديرة ، فلا الرجال منهم يتزوجون ولا النساء ، وكثيراً ما يحدث بين الجنسين الاختلاط غير المشروع وينتهى إلى ولادة غير مشروعة ، ومن أجل ذلك لم يرض الإسلام بحالة الترهب ، قال صلى الله عليه وسلم « لا رهبانية فى الإسلام » فإن طبيعة الجنسين التى فطرها الله عليها توجب الاتصال الجنسى فلذا يجب الزواج حذراً من ارتكاب خطيئة الزنى والاستيلاد غير المشروع .

الزواج فى الإسلام ووقايته للأعراض :

قدمنا لك أحوال الزواج قبل الإسلام وما كان يؤدى إليه من الانحرافات بسبب كثرة الزوجات أو الاقتصار على الزوجة الواحدة ، وذكرنا لك انحراف الجنسين إلى السفاح سراً وعلناً ، والآن نبين لك ما جاء به الإسلام من التشريعات الواقية من الانحرافات والتشريعات الرادعة عنها ، وسنبدأ بالأولى فنقول وبالله التوفيق

أنزل الله تعالى فى سورة النساء قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » وهذه الآية تبيح للزوج أن يتزوج من واحدة إلى أربع لا يزيد عليهن ، وأن يجمع بينهن فى عصمته ، وإنما سمح له بذلك لأنه يقدر على إعفافهن ، ولأن كل واحدة من الأربع تستطيع الصبر على بعد زوجها عنها ثلاثة أيام بلياليها عندما يكون عند ضراتها ، وستبين حكمته بعد .

ومن أطرف القضايا التى عرضت على عمر ابن الخطاب قضية تدل على إمكان صبر المرأة عن زوجها هذه المدة ، وهى أن امرأة أتته فقالت يا أمير المؤمنين إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل ، فقال لها نعم الزوج زوجك ، فجعلت تكرر عليه القول ويكرر عليها الجواب فقال له كعب بن سور الأسدى يا أمير المؤمنين هذه الزوجة تشكو زوجها فى مباعدته إياها

عن فراشه ، فقال له عمر كما فهمت كلامها فاقض بينهما ، فأحضر زوجها وقال له : إن امرأتك هذه تشكوك ، قال أفى طعام أم فى شراب ، قال لا ، قالت المرأة :

يأيها القاضى الحكيم رشده
ألهى خليلى عن فراشى مسجده
زهده فى مضجعى تعبده
فاقض القضا كعب ولا تردده
نهاره وليله ما يرقده
فلست فى أمر النساء أحمده

فقال زوجها :

زهدنى فى فرشها وفى الحجل (١)
أنى امرؤ أذهلنى ما قد نزل
فى سورة النحل وفى السبع الطول
وفى كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب :

إن لها حقا عليك يا رجل
نصيبها فى أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال : إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام بلياليها تعبد فيها ربك ، فقال عمر : والله ما أدرى من أى أمريك أعجب ، أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما ، اذهب فقد وليتك قضاء البصرة .

وقيمة هذا التشريع فى الوقاية من الزنى واضحة فى كل من الرجل المرأة ، وفى تكثير عدد المسلمين ذلك أن الرجل قد يجد أن المرأة الواحدة لا تكفيه ، أو يجد نفسه تتطلع إلى أفضل من الزوجة التى تزوجها فسمح له أن يتزوج هذا العدد لا يتعداه حتى لا يحيف على أكثر منه بالترك والإهمال كما أن السماح به منعه من أن تحدثه نفسه بالانحراف إذ أنه يجد فيه ما يغنيه عن التردى فى الرذيلة كما أن النساء يجدن من يتزوجهن خصوصا بعد الحروب التى يفنى فيها الكثير من الرجال ، وفى ذلك إعفاف لهن ، كما أنه يساعد على أن ينجب الرجل الواحد من هذا العدد أكثر من إنجابه من زوجة واحدة ، وبذلك يكثر عدد المسلمين حتى يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم وقد بدأ المسلمون قلة فكان هذا التشريع سببا فى كثرتهم وصمودهم عبر الأجيال أمام أعدائهم من أهل الأديان المختلفة .

ولما نزلت هذه الآية الكريمة أمر النبى صلى الله عليه وسلم من عنده أكثر من أربع نساء أن يختار منهن أربعا ويفارق غيرهن .

وقد اشترط الإسلام لجواز الجمع بينهن أن يكون الزوج صادق العزم على العدل بينهن وإلا حرم عليه ، قال تعالى « فإن خفتم

(١) جمع الحجلة ، وهى بيت يزين للعروس بالثياب والستور .

أن لا تعدلوا فواحدة ، فمن خاف الجور وجب عليه أن يقتصر على زوجة واحدة .

وبهذا البيان علم على أن هذا التشريع وقائى ضد الانحراف والسفاح فى كل من الرجل والمرأة بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية ، وما عليه بعض أهل الأديان .

ومن التشريعات الوقائية إيجاب احتشام المرأة فى لباسها ، وعدم إظهار زينتها إلا على زوجها ومحارمها ومن فى حكمهم ، وأن لاتبدى من جسمها إلا وجهها وكفيها فى غير زينة وأصباغ .

وأن يغض كل من الرجل والمرأة بصره عن الآخر ، فإن النظر سفير بين القلوب قال تعالى « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، ودخلت أسماء بنت أبى بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال يا أسماء « إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه » .

ويقول الله تعالى فى حق الرجال « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » الآية ، وفى حق النساء ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن » ولقد كانت فتحات الصدور واسعة تبدى من النساء صدورهن ، وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى صدورهن مكشوفات ، فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها ، والخمر جمع الخمار وهو غطاء الرأس للمرأة ويسمى الطرحة فى العرف المصرى ، ولولا ضيق المقام لشرحت هذه الآيات الخاصة بوجوب الستر وكف النظر .

عقوبة الزنى وتدرجها :

أول عقوبة فى الإسلام فى حق الزناة جاءت فى قوله تعالى « واللاتى يأتين الفاحشة من من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا » .

فإذا شهد أربعة شهود عدول على واقعة الزنى تفصيلا أمسكت المرأة فى البيت حتى تموت عقوبة لها حيث طلبت المتعة من غير وجهها ، فحرمت منها إلى أن تموت أو ينزل الله فى حقها حكما آخر ناسخا لهذا الحكم .

وهذه الآية لم تتضمن حكم الزناة من الرجال فلهذا أنزل الله تعالى بعدها « واللذان يأتيانها

منكم فآذوهما ، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما » الآية ، ومنها علم حكم الرجال وهو الإيذاء ويكون بالنيل باللسان والضرب بالنعال كما قاله ابن عباس .

قال مجاهد وغيره « الآية الأولى فى النساء عامة محصنات وغير محصنات ، والثانية فى الرجال خاصة » والمراد من التثنية الصنفان من الرجال ، من أحصن بالزواج ومن لم يحصن به . فعقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال الأذى ، واختار هذا الرأى النحاس ورواه عن ابن عباس .

وقيل كان الإمساك فى البيوت للمرأة الزانية دون الرجل . ثم نزلت الثانية فأشركت الرجل معها فى الإيذاء . قال قتادة كانت المرأة تحبس ويؤذيان جميعا وهذا لأن الرجل محتاج إلى السعى والاكتساب .

وقيل إن الثانية نزلت قبل الأولى وإن كانت بعدها فى المصحف . وإن العقوبة كانت الإيذاء لهما وزادت المرأة الحبس بعد ذلك ، والأول أرجح وأولى لاتفاقه مع ترتيب المصحف .

والعقوبة الثانية للزناة جلد الزانى ذكرا أو أنثى مائة جلدة لقوله تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

وهذه الآية هى السبيل التى وعد الله أن يجعلها لعقاب المسافحات ، وبها نسخ الحبس والإيذاء فى الآيتين السابقتين ، وقد دلت على أن كلا من الزانية والزانى يجلد مائة جلدة وأن لا ترأف بهما مهما كان مركزهما الاجتماعى فإنه لا فرق فى حدود الله بين رفيع ووضيع كما قال صلى الله عليه وسلم « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » ، كما أوجبت أن يشهد هذا الجلد طائفة من المؤمنين زيادة فى التنكيل بالزانيين ، وردعا لغيرهما عن اقتراف مثل ما اقترفا .

وقد كانت عقوبة الجلد المذكورة عامة لمن تزوج ومن لم يتزوج ، ثم تدرج الحد فخص الجلد بمن لم يتزوج ، وجعل الرجم بالحجارة حتى الموت لمن سبق له الزواج ، فإن جنايته أعظم لسبق إعفافه بالزواج .

وقد أخذ دليل الرجم من السنة ، فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم برجم ماعز والغامدية بسبق زواجهما ، كما أخذت من قوله صلى الله عليه وسلم لأنيس « اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » .

وقد اختلف فى الجمع بين التغريب عاما وبين الجلد لغير المحصن ، وفى الجمع بين الجلد والرجم للمحصن ، فمن العلماء من قال بالجمع ومنهم من منعه ، والمقام لا يسمح بمناقشة أدلة الطرفين .

ولا يقام الحد جلدا أو رجما إلا بعد ثبوت الزنى بإقرار الزانى أو بشهادة أربعة شهود عدول على واقعة الزنى تفصيلا ، وينبغى للقاضى أن يتحقق أن الزانى يريد من إقراره حقيقة الزنى ، فقد يظن الملامسة أو المداعبة زنى ، فإن الغامدية لما قالت للرسول زنيت فطهرنى قال لها ما معناه : لعل أحدا قبلك أو لامسك فظننت أن ذلك زنى ، فقالت لقد زنيت وأنا حبلى ، فلم يشأ أن يقيم عليها الحد حتى تضع حملها لكى لا تقتل معها نفس بريئة ، بل قال لها : « أما الآن فاذهبى حتى تضعى » ، فلما وضعت جاءت بالصبى فى خرقة فقالت هذا قد ولدته فقال « اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه » ، فلما فطمته أتت به وفى يده كسرة خبز ، فلم يبق بد من إقامة الحد عليها فرجمت ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت .

عقوبة قذف العفيفات بالزنى :

أحاط الإسلام أعراض العفيفات بالحماية فشرع حدا لمن يقذفهن بالزنى ، قال تعالى : والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » ، والمراد من رميهن قذفهن بالزنى .

وهذه العقوبة تكون أيضا لمن يقذف الأعفاء من الرجال بإجماع الأمة ، وإنما جاء النص خاصا بالنساء لأن قذفهن أشد إيلاما وأشنع ، وحكى الزهراوى أن المعنى والذين يرمون الأنفس المحصنات ، فهى على هذا التأويل تشمل الرجال والنساء نصا .

وقد تضمنت الآية ثلاثة أحكام (الأول) أن يجلد القاذف ثمانين جلدة (والثانى) أن لا تقبل شهادته أمام القضاء طول حياته ، (والثالث) أنه فاسق أى خارج عن طاعة الله ثم قال تعالى : « إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » .

وللعلماء فى هذا الاستثناء آراء ، فالشعبى يرى أن القاذف إذا تاب رفعت عنه هذه العقوبات فلا يجلد ولا ترد شهادته ، وينتفى عنه الفسق ، وأيد كلامه بقوله تعالى « وإنى لغفار لمن تاب » الآية ، وماقاله الشعبى بالنسبة للجلد مخالف لإجماع العلماء ، فإن التوبة عندهم لا تمنع الجلد ولكنهم اختلفوا . هل يبقى مردود الشهادة بعد توبته أم تقبل شهادته ، فالجمهور على قبولها لأنها إنما ردت لفسقه ، وقد زال بالتوبة ، وعلى هذا يكون الاستثناء راجعاً إلى رد الشهادة والفسق ، وقال جماعة آخرون إنه راجع إلى الفسق ، فإذا تاب زال فسقه ، ولكنه يجلد وترد شهادته طول حياته .

على رسلك أيها المنحرف :

قد علمت أيها المنحرف عن سواء السبيل

كرامة الأعراض عند الله تعالى ، وما أحاطها به من الصيانة وما أنزله من عقاب لمن غوى وضل عن سواء السبيل . فكيف تحدثك نفسك بعد ذلك بالاعتداء على حليلة جارك أو ابنته أو أخته أو أية امرأة أو فتاة مسلمة أو غير مسلمة ، أتحب أن غيرك يصنع بزوجتك أو قريبتك مثل ما صنعته ببنات الناس ، فإذا كرهت ذلك الإثم فى حق نفسك فلماذا تقترفه فى حقوق الناس ، أفأنت آمن أن ينتقم الله منك فى عرضك فيفضحك كما فضحت سواك ، وإنه لفاعل، فكماتدين تدان.

هل قدرت ماذا سيكون بعد إثمك ، إنه جنين يتحرك بين أحشاء الفاجرة التى استجابت لك وسوف ينسب زورا إلى زوجها إن كان لها زوج ، أو تتخلص منه خليلتك إن لم يكن لها زوج ، فتكون أنت سببا فى قتل نفس حرم الله قتلها على يد أمه العاثرة .

أفلا يفيق ضميرك فتعلم أن الزواج هو أسمى صلة بين الجنسين ، وأنه هو الوسيلة الشريفة لبقاء الجنس البشرى ، وأن الزوجة هى الوحيدة التى يسكن إليها الفؤاد ، أما بنات الهوى فهن بائعات الغرام وصائدات القلوب ثم محطماتها بعد أن يقضين من أصحابها لباناتهن .

تزوج أيها الشاب العاثر واعصم بالزواج بصرك وشهوتك عن الحرام ، فإن كنت متزوجا فعش مع زوجتك راضيا بحلالك ، وانصرف عن غيك مبكرا قبل أن تحل بك نقمة الله ، قال صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

وقال « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » وقال « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » وعن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الذنب أعظم » . قال « أن تجعل لله ندا » قلت إن ذلك لعظيم ، ثم أى قال « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت ثم أى . قال « أن تزنى بحليلة جارك » رواه الشيخان .

مصطفى محمد الحديدى الطير

عنصر الفكرة فى الحديث النبوى

للدكتور محمد رجب البيومى

— ٢ —

لقد كسفت الشمس ذات يوم فوقف رسول الله يصلى صلاة الكسوف متجها إلى ربه فبصر به أصحابه يتباعد قليلا فى الصلاة عن مكانه ثم يعود إليه ثانية قبل أن يختم صلاته فسئل عن ذلك فقال فيما رواه مسلم (ما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه ، لقد جىء بالنار وذلكم حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فطن له قال إنما تعلق بمحجنى ، وإن غفل عنه ذهب به وحتى رأيت صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، حتى ماتت جوعا ثم جىء بالجنة وذلكم حين رأيتمونى تقدمت حين قمت فى مقامى ، ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لى ألا أفعل ، فما من شىء توعدونه إلا رأيته فى صلاتى هذه)(١) .

لك أن تعيد هذا الأثر مرة ثانية لترى كيف ضمن أفكارا هامة فى التنفير من الاحتيال على السرقة ، وتعذيب الحيوان الضعيف ، ومن تحقيق وجود الجنة والنار على وجه يقطع الشك ! وهذا كله لا يترك صداه البعيد فى النفس إذا سيق مجردا من طرافته الجديدة إذ سيق فى مشهد يصور صلاة الرسول وقد تأخر قليلا حين لمس لفح النار وشاهد بعض المعذبين ثم تقدم حين رأى الجنة وهم أن يتناول من ثمرها فبدا له ألا يفعل ! وشاهدان آخران لهذه الطرافة الجديدة فى عرض الفكرة يتراءيان فى قوله صلى الله عليه وسلم .

عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا أعملت من الخير شيئا قال لا ، قالوا تذكر ، قال كنت أداين الناس فآمر فتيانى أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر فقال الله تعالى تجوزوا عنه (١) .

وفى قوله عليه السلام :

عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ولد العبد قال الله

(١) التاج جـ ١ ص ٣٢٧ .

(١) التاج جـ ٢ ص ٢٢٤ .

لملائكته قبضتم ولد عبدى فيقولون نعم ، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع ، فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد (١) .

فالشاهد الأول : يشير إلى روح التعامل المتسامحة بين الناس فى البيوع والمعاملات .

والشاهد الثانى : يدعو إلى الصبر عند فقد الأبناء ولكن سياقها الأدبى كان من الطرافة بحيث جعل فكرتى الحديثين تتغلغلان فى النفس المؤمنة إلى أبعد مدى يستطاع !!

ولعلنا نكتفى بما تقدم من الأمثلة الخاصة بطرافة الفكرة لنستدل على تحديد المعانى وتسلسلها فى الآثار النبوية ببعض الآثار .

إن تحديد المعانى من سمات المفكر المطمئن الذى يجيل النظر طويلا فى الأشياء والخواطر ، ليقرن النظير إلى النظير ، وليجمع بين الأمور المتقاربة فى أحكام تتشابه على قدر ما بينها من الاتفاق ، وصاحب هذا التحديد الدقيق فوق إدراكه القوى ونظره المحيط ذو خبرة حاذقة بدخائل النفوس ، فهو فى تحديده الضابط يختصر مسافات بعيدة من الفحص اليقظ والتتبع الدائب ليقدم خلاصتها الموجزة مركزة فى عدة نقاط متقاربة ! فأنت حين تسمع مثلا قول الرسول صلى الله عليه وسلم .

الخيل ثلاثة هى لرجل وزر ، وهى لرجل ستر ، وهى لرجل أجر ، أما التى هى له وزر فرجل ربطها رياء وفخرا ونواء على أهل الإسلام فهى له وزر ، وأما التى هى له ستر فرجل ربطها فى سبيل الله ثم لم ينس حق الله فى ظهورها ولا رقابها فهى له ستر ، وأما التى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله لأهل الإسلام فى مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شئ إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له أبوالها وأرواثها حسنات ، ولا تقطع طولها فاستنت شرفا أو شرفين إلا كتب له عدد آثارها وأرواثها حسنات ، ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت ولا يريد أن يسقيها إلا كتب له عدد ما شربت حسنات (١) .

فمحمد صلى الله عليه وسلم بهذا التحديد الدقيق لأنواع الخيل قد استعرض فى تأمل صامت أحوال ذوى الخيول ممن يناوئون بها الحق وممن يعملون بها لأنفسهم وممن يعملون بها لله ! ثم أفاض فى مزايا النوع الأخير لأنه الهدف الأول من مساق الحديث إذ هو فى سياقه النبوى دعوة صريحة إلى إعداد

---

(١) التاج جـ ١ ص ٣٧٩ .

(١) التاج جـ ٤ صـ ٣٥٥ .

القوة الضاربة فى الإسلام وقد كانت الخيل من أعظم مظاهرها وأقواها تأثيراً فى عصر الدعوة الإسلامية ! وأعتقد أن سامعى الحديث من الصحابة قد استعرضوا أنفسهم استعراضا دقيقا فى ضوء ما ذكر الرسول، وقد فطنوا فى بصيرة مؤمنة إلى من ينطبق عليهم الوصف الأول من مجاوريهم من المنافقين أو المشركين وإلى من توسط فاكتفى بالستر عن الأجر ثم طمحت نفوسهم أن يكونوا بين من ربطوا خيولهم فى سبيل الله لأهل الإسلام، وقد راعتهم بعد ذلك هذه الفراسة البصيرة فى استشفاف النفوس، وهذه القدرة النافذة على التحديد والتشخيص ! وقريب من هـذا الأثر الجامع المحيط قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أثر آخر.

عن قبيصة بن مخارق الهلالى - رضى الله عنه - قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها، فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها، ثم قال يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا فى قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش فما سواهن من المسألة يا قبيصة يأكلها صاحبها سحتا [1].

لا يدرك قيمة هذا التحديد الدقيق فى هذا الأثر الكريم إلا من يعلم أن المال مهوى كل طامع، وأن النفوس قد جبلت على حبه والاستزادة منه حتى لتشتط فترتكب ما نهى الله عنه فى سبيله ! وكم من أكاذيب منكرة اخترعت اختراعا لابتزازه من الكرماء فضلا عن الأنفس الشح، والرسول فى مكان الزعامة من المسلمين فلا ينفك يأتيه الطارقون صباح مساء سائلين راغبين، منهم الصادق ومنهم الكاذب ! ولا بد أن يرسم قانونا دقيقا للمسألة متى تحل ومتى تحرم، ولابد أن يستعرض أحوال عصره من احتمال المغارم لدى الرؤساء واختراع الحيل لدى الطامعين، والركون إلى الكسل دون العمل عند من يعشقون الفراغ ثم يتسولون ! ! لابد أن يستعرض جميع ما مر عليه من أمور الناس وما يحتمل أن يمر عليه من صنوف السائلين، ثم يحدد المسألة المشروعة فى ثلاثة أحوال عند تحمل الحمالات وعند نزول الجوائح وعند الفقر المعسر ! ولكن بعض الناس ينتهزون الفرص ليستولوا على المال من غير طريقه فلابد من تحديد آخر لهؤلاء، فصاحب الحمالة تحل له المسألة حتى يصيبها ويمسك ! لا أن يطوف بالناس فيجمع ويجمع بحجة أنه تحمل

(١) التاج جـ ٢ صـ ٣٤.

بعض الحالات وقد أربى ماجمعه على ما أعطاه! وصاحب الجائحة تحل له المسألة حتى يصيب قواما من عيش لا أن ينتهزها فرصة للاستجداء المتواصل! وصاحب الفاقة لابد أن يشهد ثلاثة من ذوى الحجا على فاقته حتى تحل له المسألة منعا للادعاء المنكر والإلحاف المهين فى غير حاجة!! وذلك بعض ما خطه هذا الأثر الحكيم!.

ومن التحديد الملفت ما يتقدم به الحديث النبوى من ذكر العدد كأن يقول رسول الله ثلاثة من كن فيه كان منافقا خالصا، أو اتقوا السبع الموبقات، أو لا حسد إلا فى اثنتين، أو سبعة يظلهم الله فى عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم إلى ما ينحو هذا النحو وهو كثير فى الحديث الشريف، وقد ألف الأصوليون أن يقولوا فى كتبهم أن العدد لا مفهوم له، وهو قول له دلالته التشريعية دون نزاع.

ونحن هنا لا نبحث عن الدلالة التشريعية، ولكننا نبحث عن الدلالة التأثيرية، وهى المقصودة من الأسلوب الأدبى فى عالم البيان لأن السامع حين يسمع لأول وهلة قول الرسول آية المنافق ثلاث لا ينصرف ذهنه إلى أن للمنافق أكثر من عشرين صفة يمكن إحصاؤها بسهولة، ولكنه يقتبع الأمور الثلاثة المنصوص عليها فى يقظة وحرص، محاذرا أن يكون على شىء منها وكأن هذه الثلاثة تسد عليه الأفق، فإذا وجد منها انفلاتا فقد استراح، وإذا وقف أمام بعض أبوابها فإنه ليجتهد أن يدفعه عن وجهه!

وهذا هو التأثير الجاذب لسطوة العدد يلقى فى مفتتح الحديث! فهو لا محالة نوع من التحديد الفنى أما تسلسل الفكرة فما أشد وضوحه فى البيان النبوى، والفكر المكين هو الذى تتساوق أفكاره متتابعة وكأنها ماء يطرد فى نهر مستقيم القاع! أما من يستعصى عليه التسلسل المطرد فهو لاقط متّرصد يجمع شاردة من هنا وواردة من هناك ليملأ بها الوقت إن تحدث ويسود بها الورق إن كتب ولن يجد من السامع أو القارىء سوى الضيق فهو يتساءل نافرا عن هذه المعانى يزحم بعضها بعضا دون ترتيب! وإذا راقت النفس فكرة ثم وليتها فكرة أخرى غير متجانسة، فإن الثانية تعصف بمحاسن الأولى وتعفى عليها دون انتظار! ولن نحتاج فى مجال الحديث عن تسلسل البيان النبوى إلى غير الاستشهاد بقوله دون تعليق لأن النسق النبوى فى اطراده المتسلسل وتلاحقه المتتابع لا يحوج إلى تنقيب فهو من وضوحه الساطع بحيث تغمره أشعة الشمس بأمواج الضياء.

وإليكم بعض النماذج من المأثورات :

١ — عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وأن العالم ليستغفر له من فى السموات والأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على الجاهل كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » (١) .

٢ — عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (١) .

٣ — عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال « : ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، ياعبادى كلكم ضال إلا من استهديته فاستهدونى أهدكم ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ، ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم ، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » (١) .

٤ — عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نفس

---

(١) التاج جـ ١ ص ٥٧ .

(٢) التاج جـ ١ ص ٢٩٨ .

(١) التاج جـ ٥ ص ١٥٦

عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » .

هذه بعض النماذج نقدمها لتسلسل الفكرة وترتيبها ، فى حديث الرسول ! ولنا بعد هذا التطواف أن نوجز ما شرحناه من خصائص الأفكار النبوية فى القوة والطرافة والتحديد والتسلسل مع الميل إلى الإيجاز المحكم ، وما كان من تكرار ينافى الإيجاز فى بعض الآثار النبوية فقد أوحى به الموقف الخطابى وحده ، وهو قليل غير الخطابة حتى ليكاد يعد عدا ، ومن هنا اشتهر محمد صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم إذ أن المقصود بهذه الجوامع كل جملة قصيرة تضم معنى كبيرا مثل إنما الأعمال بالنيات ، الدين النصيحة المضعف أمير الركب ، إن من البيان لسحرا خير الأمور أوسطها ، المرء مع من أحب ، وما ينحو نحو ذلك من كل قول قصير يرمز إلى معان تتسع لها النفس بما توحى وتشير ولا يعلم مزية الإيجاز فى موضعه غير من يعلم معابة الإطناب فى غير موضعه ، وإلى ذلك يشير المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات فى مقالة له تحت عنوان البلاغة بين الإيجاز والإطناب قال فيه .

« وملاك الإيجاز غزارة المعانى ووضوحها فى الذهن وطـــواعية الألفاظ ومرونتها فى اللسان ، وإنما يكون العى والثرثرة ومضغ الكلام من جدب القريحة أو قلة العلم أو سقم الذوق وقديما قالوا « من ضاق عقله اتسع لسانه » لذلك كان الإسهاب أول ما يصاب به ناشئة الكتاب لأن جهدهم القليل يضيق عن شرح الفكرة فيدورون حولها بمجمجين بالكلم الفوارغ ، والجمل الجوف إلى أن قال « والإيجاز فى البليغ قوة وروية وجهد لأن الإيجاز غربلة ونخل وتصفية وتنقية وتصميد وتركيز وذلك لا يتهيأ إلا بدوام النظر وطول التعهد وإن للكلمة الموجزة سحراً يأخذ بالقلوب وشعراً يجرى فى الشعور وقد قال فيها سيد البلغاء محمد بن عبدالله (إن من البيان لسحراً) وقال فى مقام الفخر والشكر أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام إختصارا[1] » .

د . محمد رجب البيومى

---

(١) افتتاحية مجلة الأزهر صفر سنة ١٣٨٤هـ

الضمان الاجتماعي
بين الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية

للأستاذ محمد الدسوقي

— ١ —

الضمان الاجتماعي نظام يقصد به ضمان دخل معين للفرد كحد أدنى أو تقديم مساعدة له فى حالة العجز عن الكسب لبطالة أو مرض أو شيخوخة ، أو غير ذلك من الأسباب التى تحول بين الفرد وحياة كريمة مطمئنة ، على أن « الضمان الاجتماعى » تعبير لم يعرف إلا فى العصر الحديث - وإن كان مدلوله قد تحقق منذ زمن قديم فى صور مختلفة وعلى درجات متفاوتة - فقد ظهر لأول مرة فى عالم التشريع سنة ١٩٣٥ حين أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية قانون الضمان الاجتماعى لمعالجة كثير من المشكلات الاجتماعية ، وتأمين حيـــاة العاجزين عن الكسب .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية واشتد أوارها رأت بريطانيا والولايات المتحدة ضرورة كسب ولاء الشعوب وبخاصة طبقاتها الفقيرة المساقة إلى ميادين القتال بشىء ملموس ذى أثر فعال ، لذلك أعلنتا ميثاق الأطلسى الذى بينت مادته الخامسة رغبتهما فى تحقيق التعاون الاقتصادى الوثيق بين الأمم ؛ لكى يتحقق للجميع خير الظروف والشروط للعمل والتقدم الاقتصادى والضمان الاجتماعى.

والواقع أن أوربا وأمريكا بوجه عام قد واجهتا منذ بداية هذا القرن ظروفا اقتصادية متقلبة ، وكانت الرأسمالية بأوزارها قد خلفت فى المجتمع طبقات متصارعة ، كما أن الحروب بأزماتها الاقتصادية والاجتماعية قد أسهمت فى مضاعفة القلق النفسى والتوجس من المستقبل ووجوب الاستعداد له ؛ لذلك كله نبتت فكرة تأمين العيش للناس وضمان مستقبلهم بصورة رسمية عامة دولية [1] .

وتحت ضغط الظروف القاهرة التى مرت بها الشعوب ، وقاست منها صنوفا متباينة من الصراع الدموى والطبقى ، أخذت الدول تتجه إلى وضع القوانين والنظم الخاصة بمشكلات البطالة والعجز والعلاج ، وقد اهتمت كل دولة بما تراه أولى من غيره ، ولابس هذا الاهتمام فى كثير من الأحيان الدوافع

---

(١) انظر مقدمة كتاب الضمان الاجتماعى للدكتور مهدى السعيد .

السياسية والرغبات الذاتية ، وتملق الطوائف التى يخشى ثورتها وعصيانها ، وبخاصة طوائف العمال .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تطلعت البشرية إلى حياة جديدة يسودها الأمن والسلام ، ويتمتع فيها النـــاس بالرفاهية والاستقرار وتبلورت هذه الآمال فى إعلان حقوق الإنسان عام ١٩٤٨ وقد جاءت المادة الثانية والعشرون منه قاضية بأن لكل إنسان - بصفته عضوا فى الجماعة الإنسانية - الحق فى الضمان الاجتماعى ، وقد وضحت المادة الخامسة والعشرون معنى الضمان الاجتماعى ، فنصت على أن لكل شخص الحق فى مستوى لائق كاف من المعيشة لتأمين صحته وسعادته وعائلته خاصة من حيث الغذاء والكساء والمأوى والخدمات الطبية والاجتماعية الضرورية ، وله الحق فى الضمان فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وفقد وسائل العيش الأخرى نتيجة الظروف الخارجة عن إرادته ، كما أنه للأمومة وللطفولة الحق فى الإعانة والمساعدة اللازمة ، وأن جميع الأطفال يتمتعون بنفس الحماية الاجتماعية سواء ولدوا من زواج أو سفاح .

— ٢ —

ومع تقدير كل عمل يحفظ للإنسان إنسانيته ويحقق له كرامته ورفاهته . فإن للشريعة الإسلامية فى مجال الضمان الاجتماعى مبادئها العادلة الكاملة التى تضمن لكل فرد فى المجتمع الإسلامى - صغيرا أو كبيرا مسلما أو غير مسلم - مستوى كريما من العيش ، ورعاية طيبة إذ ما ألمت به نازلة .

والخطوة الأولى نحو الضمان الاجتماعى فى الشريعة الإسلامية تنطلق من مبدأ الأخوة والمساواة « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » وذلك لأن المجتمع القائم على الأخوة والمساواة مجتمع متكافل متناصر ، تشيع فيه خلال الخير والبر وتختفى كل صور الأنانية والانتهازية ، فالكل كالجسد الواحد ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وإذا كانت الشريعة الإسلامية شريعة مساواة وأخوة وتكافل فإنها كذلك شريعة عمل وكسب مبرور « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » والعمل دائما سبيل العزة والقوة وطريق التخلص من الحاجة والمتربة ، والأمم العاملة هى الأمم القوية المتقدمة والأمم الخاملة هى الأمم الضعيفة المتخلفة ، والشريعة تدعو إلى السعى الدائب والعمل المثمر ليصدق على المسلمين أنهم خـــير أمة أخرجت للناس

وأنهم القادة والدعاة إلى الحضارة الإنسانية الفاضلة

وقد تكرر ذكر العمل فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة، وليس معناه فحسب العبادات المفروضة، ولكن العمل فى الشريعة الإسلامية له مدلول واسع فهو يشمل كل ما يعود على الفرد والمجتمع بالخير والنفع، ومن فضل الله علينا أنه يثيب على كل عمل — وإن بدا فى نظر فاعله دنيويا محضا — ما دامت النية فيه متجهة إلى امتثال أمر الله والمحافظة على حدوده ومراعاة حرماته؛ فالمؤمن فى عبادة مستمرة حتى فى أوقات طعامه وشرابه ونومه ولهوه المباح؛ لأنه بكل ذلك يتقوى على السعى والعمل والجهاد.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فرضت الشريعة على الأغنياء أنواعا مختلفة من الصدقات والزكوات، وبينت أنها حق للفقراء ومن فى حكمهم فى مال الأثرياء، ولكى يقبل الأغنياء على أداء ما كتبته الشريعة عليهم بقلوب مؤمنة ونفوس راضية بين القرآن - دستور الشريعة الخالد - أن المال مال الله وأن يد العبد يد أمانة «أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» وأن الله يضاعف الحسنة «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» كما توعد القرآن الذين يبخلون بأموالهم ولا ينفقونها فى سبيل الله بالعذاب الأليم «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» ولهذا يكون أداء هذه الفرائض نابعا من ضمير المسلم إلى جانب أن ولى الأمر مسئول عن مراعاة أدائها، وله أن يحارب من يمتنعون عن القيام بها ...

— ٣ —

وتلك الإشارات الكلية إلى أسس الضمان الاجتماعى فى النظم الوضعيـــة والشريعة الإسلامية يمكن أن ترشد إلى الحقائق التالية:

أولا: لم تلجأ بعض الدول أخيراً إلى الأخذ بفكرة الضمان الاجتماعى إلا بدافع سياسى، فقد اتهم بعض المسئولين فى الولايات المتحدة الأمريكية الرئيس روزفلت بأنه نادى بمشروع الضمان الاجتماعى لكسب أصوات الناخبين فى المعركة الانتخابية(1). أما الشريعة فمبادئها إنسانية عامة دعت إلى الضمان الاجتماعى منذ أربعة عشر قرنا على أسس وطيدة من المحبة والإخاء والتكافل فى السراء والضراء.

ثانياً: النظم الوضعية على تنوعها لم تعالج مشكلات المجتمع علاجا شاملا وأحيانا

(1) أنظر «الأهرام» ٣ مارس سنه ١٩٤٣

ـ لغرض خاص ـ تهتم بطائفة دون طائفة ، ولكن الشريعة بتعاليمها الشاملة الكاملة قد عالجت أمراض المجتمع علاجا يقوم على تكريم الإنسان واحترام آدميته ، فالجميع سواسية كأسنان المشط يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح ، غير أن الرعاية الاجتماعية حق للجميع لا مفاضلة فيه ولا تمييز ، فكل فرد فى ظل الإسلام وشريعته السمحة له حق الحياة الكريمة دون نظر إلى عقيدته أو جنسيته ، والشواهد التاريخية أشهر من أن تذكر .

ثالثا : النظم الوضعية مواد ميتة لا روح فيها ولا صلة بينها وبين ضمير الفرد . وإذا فقد القانون هذه الصلة أصبح سلطانه ضعيفا والهرب منه مستطاعا ولكن الشريعة الإسلامية ربطت بين ضمير الفرد وما كتبته عليه ؛ لأنها شريعة الدنيا والآخرة ، ولهذا يؤدى المسلم شعائر دينه بوازع من ضميره وإيمان بعقيدته قبل أى شىء آخر .

وبعد فإن الشريعة الإسلامية كل لا يتجزأ وهى هداية للبشرية كافة ، وليس هناك قانون أو نظام كرم الإنسان واحترم آدميته وأمن حياته مثلها ولا غرو فى ذلك ، فهى شريعة الله الذى جعل الإنسان خليفة له فى أرضه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » .

محمد الدسوقى

« دعاء »

اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ونفس لا تشبع ، وقلب لا يخشع ، وعين لا تدمع . هل يتوقع أحدكم إلا غنى مطغيا ، أو فقرا منسيا ، أو مرضا مفسداً ، أو هرما مقيدا ، أو الدجال . فهو شر غائب ينتظر ، أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر .

العلم والدين

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

الدين والعلم : كلمتان من أشيع الكلمات فى دنيا العالم قديما وحديثا ، ولكل كلمة مدلولها ومفهومها .

الدين : هو القوانين الاعتقادية والعملية التى جاءت من طريق الوحى الإلهى ، وجاء فى دائرة معارف القرن العشرين حرف « دال » أن الدين هو : الطاعة والانقياد واسم لجميع ما يعبد به الله .

والعلم هو : مجموع المعارف الإنسانية المؤيدة بالدلائل الحسية ، والعلم لا يعترف بمسألة إلا إذا قبلها العقل ، وأيدها الحس ، وقبلت الخضوع لأسلوبه من الغربلة والاختبار والتمحيص والتكرار والعمق .

ويطلق العلم أيضا على ما يضاد الجهل على الإطلاق وقد يقصد بالعلم تلك المعرفة الرياضية والطبيعية التى قامت على تجارب دقيقة ، والتى وصل عن طريقها الإنسان إلى كشف : قوة البخار والكهرباء والذرة .

وإذا كانت هذه التعاريف تعطى الحد التام لمعنى : كلمتى الدين والعلم ، فهل يجتمعان أو لا يجتمعان ؟

فى نظر الماديين والطبيعيين : أنهما نقيضان وضدان لا يلتقيان . لهذا أنكروا الدين ، وبعدوا عن تعاليمه .

والحقيقة التى لا يسوغ إنكارها : أن العلم والدين يلتقيان على إسعاد البشرية ، ورفاهية المجتمع وخدمة الإنسانية .

ومن غاية الدين : إسعاد الإنسانية كلها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولا شك أن السعادة من أهم الحقائق التى جاء بها الدين .

وغاية العلم : الكشف عن الحقيقة وخدمة الإنسان فى الحياة .

فالدين : أداة لمعرفة الحقيقة ، والعلم أداة لمعرفة الحقيقة ، إذن العلم والدين يواجهان الحقيقة من طرق مختلفة .

يقول الدكتور (ميلر بروز) الأستاذ بجامعة بيل : « الدين والعلم يعالجان حقيقة واحدة غير أنهما يمثلان نواحى مختلفة ، فهما لا يتفقان بالضرورة فى رؤية الحقيقة لأنهما يواجهانها من طرق مختلفة » .

والعلم يخضع للتجارب فى المعامل ويرى فيها جوهر الحياة وعناصر القوة . قال العالم

(أينشتاين) : « العلم يخبرنا بما هو كائن ولكن الوحي وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون » وهذه التفرقة التي ذكرها (أينشتاين) مهمة وحقيقة واقعة لا جدال فيها ، فالعلم يصف والدين يأمر ، وقد يستطيع العلم أن يفيدنا ما هو الإنسان ؟ وكيف أصبح على ما هو عليه ؛ ولكن الدين يخبرنا لم يعيش الإنسان؟ « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » .

وإلى أي غاية يجب أن توجه حياته . والعلم يخبرنا عن الطبيعة وما فيها من عجائب وكيف نستخدمها ونستغلها ؟ .

قال « وليام جيمس » الفيلسوف الأمريكي « إن موضوع العلم وطرق البحث وأساليب المعرفة فيه تختلف عنها في الدين ولهذا لا يناقض أحدهما الآخر » .

والفيلسوف البرجمازي (وليام جيمس) يتحدث عن دين تنحصر وظيفته في النهوض بروح الإنسان فحسب . والإسلام غير هذا لأنه ينظم الحياة من جميع وجوهها .

فالعلم لا يتعارض مع الإسلام ألبتة مادام ذلك في مصلحة الإنسانية وإن المنصف يجد أن الإسلام قدس العلم الطبيعي والعقلي والنظري وجعل متابعة التجارب العلمية والتزود بالمعرفة واجباً يؤجر عليه المسلم .

وكلمة العلم في قاموس الإسلام أطلقت ولم تخصص بلون معين من مواد العلم . ومما يلفت النظر أن مادة العلم وما يدفع إلى العلم جاءت في القرآن بصورة تحفز الهمم ، وتشحذ العزائم ، وتبعث الهمة . فمادة العلم وحدها تكررت ٨٦٠ مرة . ومادة البيان ٥٢٣ مرة . ومادة الكتابة ٣٢٠ مرة ، ومادة القراءة ٨٨ مرة ومادة الرأي ٣٣١ مرة ، ومادة السمع ١٨٥ مرة ، ومادة البصر ١٤٨ مرة ، ومادة النظر ١٣٠ مرة ، ومادة العقل ٤٩ مرة ، ومادة الفؤاد والقلب ١٩٤ مرة .

وإن لفظ القرآن نفسه مشتق من «القراءة» وهي أدنى مفاتح العلم للإنسان ، وإن أول كلمة نزلت على محمد - عليه الصلاة والسلام - هي « اقرأ » ، وإن أول قسم في القرآن كله أقسم به رب العزة في ثاني آية نزلت بعد الأمر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالقلم وبما يسطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون » .

ولهذا كله بلغت حضارة الإسلام العلمية أوج عظمتها وشرقت وغربت حتى تملقت قال الأستاذ (كويلر يونج) : وحين نولي وجوهنا نحو العلم والفلسفة نجد ما ورثه الإسلام لثقافتنا الغربية أكثر أصالة وإيجابية في خلال النصف الأول من العصور الوسطى كانت جهود الإسلام العلمية من الطراز

الأول ولا سيما فى ميادين الطب والفلك والرياضيات » .

وفى ميدان العلوم الطبيعية ظهرت جهود الإسلام فى الطبيعة والكيمياء وطرق التحسين فى عمليات البخر والترشيح والتصعيد والتذويب والتقطير ترتبط كلها باسم جابر كذلك ينسب إليه أنه وصف عمليتى التكليس والتحويل وصفاً علمياً وفى ميادين الطبيعة والميكانيكا ظهر أعلام ثلاثة : الكندى وابن الهيثم والبيرونى وفى ميدان الطب كان للإسلام فضل كبير وإلى ابن النفيس المتوفى ١٢٨٨ م والذى كان رئيساً للمستشفى الناصرى بالقاهرة ينسب فضل الكشف الأول للدورة الدموية فى الرئتين وعلى العموم كان تأثير الإسلام أوضح وأعظم مايكون فى ميادين التشخيص الكلينيكى والعلاج وخواص الأدوية .

قال الفيلسوف الفرنسى « ألكس لوازون » : « خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة ، وسجل للأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا أو المكتشفات حديثا ، مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية » .

وقال العلامة (هيرشفيلد) : « وليس القرآن مثيل فى قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه . وإليه يرجع الفضل فى ازدهار العلوم بكافة نواحيها فى العالم الإسلامى » . فالإسلام الحنيف يدعو إلى العلم وكشف مافى الكون من حقائق وكلما وصل الإنسان إلى درجة من كشف حقائق الكون كلما اقترب من حقيقته الكلية وكلما ازداد إيماناً بها ، ازداد إيمانا بالله خالق الكون « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. » .

فالإسلام يدعو إلى العلم والعلم يؤيد الإسلام « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » فساق القرآن العلم بهذه المظاهر الطبيعية ليرشد إلى الإيمان بالله خالق الكون وكلما دق علم الإنسان بالطبيعة ومظاهرها كلما قوى إيمانه بالله .

فيجب أن يستخدم العلم فى الطريق السليم المنقذ للبشرية من أدوائها المعالج لأمراضها وهذا هو العلم الذى يلتقى مع الإسلام فى انتشال الإنسانية من وهدة الضياع والهلاك والله ولى التوفيق .

أحمد عبد الرحيم السايح

انتشار الإسلام في جيلان

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٤ —

اتضح لنا من المقال السابق أن الزعماء العلويين الذين مارسوا نشاطهم الدعائى بين الديالمة قبل الناصر كانوا محكومين بظروف خاصة ، وقد ألجأتهم هذه الظروف إلى عدم القدرة على إبراز الخصائص الذاتية الإنسانية والاجتماعية التى يمتاز بها الدين الإسلامى وكانت النتيجة الحتمية لهذا الأسلوب هى التقليل من فاعلية الجهود التى قام بها هؤلاء الدعاة . كذلك اتضح لنا أيضا أن الناصر فى أول عهده قد انتهج نفس الأسلوب الذى انتهجه سابقوه بيد أنه أدرك أن هذا الأسلوب كان هو العامل الأول وراء القصور الذى أصاب جهود سابقيه ، ومن ثم قادته التجربة إلى خطة جديدة فى الدعوة ، وهى خطة ترمى إلى إبراز الخصائص الذاتية للإسلام والإصلاحات الاجتماعية والسياسية التى ينادى بها والتى من شأنها أنها تخدم قضية الجماهير .

ومعنى هذا أن الناصر قد اختار فى دعوته جانب الطبقات الكادحة التى تجوهلت فى المحاولات السابقة . ومما لا شك فيه أن هذا الاتجاه كان مغامرة لا يتوقع لها أكثر من أحد احتمالين : فإما أن ينجح أعداء الإصلاح ، دفاعا عن امتيازاتهم المتوارثة ، فى القضاء عليها وهى ما تزال فى المهد ، وإما أن يكون التوفيق حليف الناصر فيتحقق للإسلام بالتالى أكبر انتصار له فى المنطقة . وفيما يلى سنعرف ما الذى أسفرت عنه هذه التجربة مستعينين فى ذلك بالكتابات التاريخية التى يعتمد عليها .

ووقع الاختيار على مؤرخين أربعة ، كل منهم كتب بشىء من التفصيل عن الفترة التى قضاها الناصر بين جماهير الديلم والجيل داعيا إلى الدين الإسلامى . ونستطيع اعتمادا على ما كتبوه أن نقدم تصورا عاما ، وأمينا فى نفس الوقت ، لطبيعة الجهود التى بذلها هذا الزعيم العلوى ومدى الاستجابة التى قوبلت بها ، هؤلاء المؤرخون هم المسعودى

وابراهيم بن هلال الصابى وابن الأثير والمحلى حسام الدين .

ويمتاز الأول بمعاصرته للتطورات موضوع الحديث (توفى المسعودى فى سنة ٣٤٥) هذا بجانب شهرته فى التطواف بالبلدان الإسلامية وغيرها . ولذا فهو شاهد عيان للكثير مما رواه فى مؤلفاته . أما الصابى فإنه بجانب قرب عهده من الفترة الزمنية التى نعالجها (توفى هذا المؤرخ فى سنة ٣٨٤) قدخصص مؤلفه « التاج فى أخبار الدولة الديلمية » لتدوين تاريخ دولة بنى بويه الديالمة ، وقد أبرز فى كتابته أخطر نقطة تحول فى تاريخ الشعب الديلمى وهى اعتناقه للدين الإسلامى على يد الناصر العلوى . أما ابن الأثير فإن مكانته الرفيعة فى الكتابات التاريخية ليست فى حاجة إلى تأكيد ، وبالنسبة للمحلى صاحب « الحدائق الوردية فى مناقب أئمة الزيدية » فإنه كما هو واضح من عنوان كتابه قد أرخ لزعماء المذهب الزيدى والناصر واحد منهم ولذا فقد أمدنا هو الآخر بالكثير من الحقائق الهامة التى بتآزرها مع المعلومات الموجودة فى كتابات المؤرخين السابقين نستطيع أن نقدم صورة صادقة لانتشار الإسلام فى هذا الجزء من منطقة بحر قزوين .

وضع الناصر خطته على أساس تجنب الوقوع فى صدام مباشر مع جستان على الأقل فى الفترة الأولى لتجربته ، وذلك حتى لا يتخذ الأخير أى موقف مضاد قد يكون من أثره أن يصيب نشاط الزعيم العلوى بالشلل ، وهذا تصرف طبيعى ينتظر حدوثه من أى إنسان عاش تجربة الناصر ، فقد كان موقفه حرجا للغاية ، فمن ناحية هو يريد أن يحمل الديالمة على اعتناق الدين الإسلامى مبينا لهم الخصائص الذاتية للإسلام وبالإصلاحات الاجتماعية التى تتضمنها تعاليم هذا الدين ، ومن ناحية أخرى فإن هذه الاصلاحات تعنى بالضرورة القضاء على الامتيازات التى تمتعت بها الأسرة الجستانية طويلا على حساب جماهير الديلم الكادحة ، ومما لا شك فيه أنه لو انكشفت معالم الخطة التى سيسير على أساسها الناصر قبل اقتناع الديالمة بالعقيدة الإسلامية وتقبلهم لها لنجحت الأسرة الجستانية وأعوانها فى إخماد دعوة الناصر قبل بلوغها الهدف المأمول .

أما كيف تغلب الناصر على هذه الصعوبة ؟ فهذا ما يبرزه لنا الصابى فى قوله عن الزعيم العلوى (ص ٥) : « وأظهر لجستان أنه لا يرغب فى التدبير والأمر والنهى (أى أنه لا يتطلع إلى الرياسة) وأنه إنما يقيم نفسه مقام المعلم والمرشد إلى الدين والداعية إلى

القائم من أهل البيت ، وقد أحدث هذا القول صداه الطيب فى نفس جستان ، ولم لا ، فها هو ذا الزعيم العلوى قد أوضح للملك الديلمى بما لا يدع مجالا للشك أنه سيبتعد كلية عن التدخل فى شئون الحكم ، وأن نشاطه سيدور فى نطاق الإرشاد الدينى البحت . ومعنى هذا أن خطة الناصر الرامية إلى مداراة جستان ومهادنته قد قدر لها النجاح ، وليس أدل على ذلك مما ذكره المؤرخ نفسه تعقيبا على القول السابق : « فقد سكن الملك حينئذ إليه وزاده تعظيما وتكرمة » .

مواصلا السير فى خطته ، انطلق الزعيم العلوى يدعو جماهير الديلم إلى الإسلام ، معتمدا فى دعوته على أسلوب جديد . يختلف كل الاختلاف عن أسلوب أسلافه ، وذلك بأن ركز على المميزات البدائية للإسلام والجوانب الإجتماعية له مبينا للقوم ما يستطيع الإسلام أن يقدمه لمعتنقيه من تكافل اجتماعى ومساواة فى الحقوق والواجبات . وقد وجد الديالمة فى دعوة الناصر نغمة جديدة لم يألفوها من قبل ، نغمة جذبت اهتمامهم واستحوذت على عقولهم وقلوبهم لارتباطها الوثيق بصميم المشاكل التى يئنون تحت وطأتها ، ولأنها تلبى تطلعهم إلى حياة جديدة ، ومن ثم كانت استجابتهم لهذا الداعية لأنهم وجدوا فى الإسلام الذى يدعو إليه التوافق مع الفطرة وسبيل الخلاص من الذل الذى توارثوه جيلا بعد جيل ، والتحرر من الاستعباد الذى قدر عليهم أن يتجرعوا كأسه المرة بموجب الأوضاع الطبقية الظالمة والاستبداد السياسى .

أخذ الناصر ينتقل من قرية إلى أخرى فى المنطقة الجبلية التى هى موطن الديالمة ، وفى كل مكان ذهب إليه وجد استجابة كبيرة من الجماهير ، استجابة تفوق كل توقعات النجاح حتى من وجهة نظر أكثر المراقبين تفاؤلا ، ويكفى أن نعرف أن عدد من أسلموا بفضل جهود الناصر قد قدر بألف ألف نسمة ، وأن حصيلة يوم واحد من أيام نشاطه الدعائى قد ارتفعت إلى أربع عشرة ألف نسمة فى رواية بعض المؤرخين . مهما يكن من أمر فليست هذه هى القضية ، فإنها حقيقة بعيدة عن احتمالات الشك أن الناصر قد نجح نجاحا كبيرا فى جذب الديالمة إلى الإسلام ، ولكن المشكلة التى لا تزال فى حاجة إلى تأكيد تدعمه الحقائق التاريخية هى ماهية السر وراء هذا النجاح ، ونعنى به العامل الاجتماعى ومدى فاعليته فى حمل جماهير الديلم على اعتناق الدين الإسلامى .

بالنسبة لهذه النقطة فمن الممكن القول — وهذه حقيقة أسفرت عنها الدراسة — بأن أغلب المؤرخين الذين تناولوا تاريخ الناصر أو كتبوا عن انتشار الإسلام بين الديالمة

لم يشيروا إلى أهمية العـــوامل الاجتماعية وتأثيرها فى دفع الديالمة إلى اعتناق الدين الإسلامى .

ولكن الحقيقة لم تفقد كلية من يعمل على وضعها فى دائرة الضوء ، فنى الجانب الآخر نجد بعض المؤرخين قد التفتوا إلى الدوافع الاجتماعية وراء حركة اعتناق الديالمة للدين الإسلامى، وإن كانوا فى التفاتهم إليها قد لمسوها لمسا خفيفا دون بسط أو تحليل . بيدأن هذا اللمس الخفيف — رغم قصوره الكمى — هو الذى وضع فى متناول يدالدارس المعاصر الأساس التاريخى لإبراز هذه الحقيقة وتحديد أبعادها ، وخاصة أن قصور المادة ليس مخلا إلى الحد الذى يصرف الدارس عن محاولة البحث والاستقصاء .

وفى هـذه المناسبة تحتم علينا الحقيقة أن ننوه بابن الأثير والصابى والمحلى لأن كلا منهم قد أشار إلى الأوضاع الاجتماعية وأثرها فى تقبل الديالمة للدين الإسلامى . فقد أمدنا المؤرخ الأول بنص له أهميته البالغة بخصوص هذه القضية ، وذلك حيث قال عن الناصر وجهوده فى نشر الإسلام بين الديالمة :

« وقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويقتصر منهم على العشر ويدافع عنهم ابن جستان ملكهم ؛ فأسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه » .

وهذا النص رغم قصره يصل بنا إلى عدة حقائق هامة ، منها أن الديالمة كانوا يدفعون للسلطات الحاكمة ضرائب باهظة كما يتضح ذلك من تعبير « ويقتصر منهم على العشر » . والحقيقة الثانية هى أن الديالمة كانوا يقاسون من سيطرة ملكهم وتجبره ، وهذه الحقيقة واضحة كل الوضوح من قول ابن الأثير : « ويدافع عنهم ابن جستان ملكهم » .

أما الحقيقة الثالثة فهى أن الناصر كان يمزج فى نشاطه الدينى بين دعوة الديالمة إلى اعتناق الدين الإسلامى والوقوف بجانبهم ضد المظالم الإقتصادية والسياسية ، المظالم التى قدر على جماهير ذلك الشعب أن تعانى منها طويلا ، وهذه الحقيقة يعكسها بكل أبعادها قوله : « وأقام بينهم ... يدعوهم إلى الإسلام ويقتصر منهم على العشر ويدافع عنهم ابن جستان ملكهم » . ورابعة الحقائق هى أن إسلام جماهير الديلم كان مرتبطا بالأسلوب الذى انتهجه الناصر فى دعوته ، ونعنى به المزج بين الدعوة إلى اعتناق الدين الإسلامى والوقوف بجانب الجماهير الذين وجهت إليهم الدعوة فى قضاياهم الإجتماعية والسياسية ، وهذه الحقيقة يعطيها لنا قوله تعقيباً ونتيجة للحقيقة الثالثه : « فأسلم منهم خلق كثير » . والحقيقة الخامسة والأخيرة التى يمكن استخلاصها من النص هى أن الديالمة

لم ينظروا إلى الناصر بصفته داعية إلى الإسلام فحسب ، بل إنهم اعتبروه أيضاً مصلحاً إجتماعياً وزعيماً سياسياً ، ويسوقنا إلى القول بهذه الحقيقه رد الفعل الطبيعى الذى ينتظر حدوثه من الديالمة نتيجة لما لمسوه فى الناصر ، ولعل هذا الفهم يجد ما يؤيده فى ختام النص ... « واجتمعوا عليه » .

وهكذا فإن النص رغم قصره قد وضع أيدينا على كثير من الحقائق التى لها أهميتها لمن أراد الكتابة عن الناصر ومنهجه فى نشر الإسلام بين الديالمة ، وإذا كانت هذه الحقائق الخمس قد أمكن استخلاصها من النص السابق بصفة مباشرة فإنا نستطيع بالتالى أن نستنتج — بصفة غير مباشرة — أن الدعاة السابقين لم تتح لهم الفرصة للالتفات إلى الأوضاع الإجتماعية التى كانت تحكم العلاقات بين طبقات المجتمع الديلمى ، ومن ثم لم يبد نجاحهم متوائماً مع حجم الجهود التى بذلوها ، وكان أن تأخر إعتناق الديالمة للدين الإسلامى عشرات السنين .

وقريب من هذا الذى استخلصناه من النص السابق من الممكن أن نجده فى نص ذكره الصابى فى سياق الحديث عن الجيل ومدى استجابتهم لدعوة الإسلام التى حمل لواءها الناصر ، فقد قال هذا المؤرخ فى الورقة الخامسة : « وأقام (أى الناصر) بمن معه فانثال الناس إليه والتحقوا عليه لأنهم كانوا فى شدة من بنى سلكة ملوكهم » .

ويكفى فى هذا النص أن نعرف أن كلمة انثال تفيد توافد الناس عليه وتقبلهم لدعوته دون كبير عناء ، ولا أدل على ذلك من أن الجيليين كانوا يتوافدون عليه حيث هو مقيم مظهرين إسلامهم ومعلنين فى نفس الوقت ولاءهم له ، فإذا ربطنا بين هذه الصورة وبين السبب الذى ذكره المؤرخ نفسه كما هو واضح كل الوضوح فى قوله : « لأنهم كانوا فى شدة من بنى سلكة ملوكهم » لتوصلنا بذلك إلى مدى قوة فاعلية الأوضاع الجائرة والمتمثلة فيما كان يمارسه بنو سلكة من البطش برعاياهم الجيليين ، فى إقبال جماهير هذا الشعب على اعتناق الدين الإسلامى .

ويأتى الآن دور النص الذى أورده المحلى بخصوص القضية نفسها ، فقد قال هذا المؤرخ عن الناصر (ح ١ ص ٣٤) : « فأقام على هذه الجملة بالجيل والديلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والرسوم الجائرة التى وضعها آل وهسوذان (أى الأسرة الجستانية المالكة) على الديلم واستنقذهم مما كانوا فيه من الضيم فى الأنفس والأولاد والأموال » .

والنص فى جملته واضح غاية الوضوح ولا يحتاج من القارئ أن يكدح ذهنيا لكى يستخرج مدلول الكلمات ، فهو بإيجاز يصور

لنا العلاقة بين أفراد الأسرة الجستانية المالكة من ناحية وجماهير الديلم من ناحية أخرى ، وهى علاقة كانت تقوم على استبداد الأولين بأقدار ومصائر الأخيرين ، وبجانب هذا التصوير فإن النص يحدد لنا الجانب الذى اختاره الناصر لنفسه فى هذه العلاقة ، وهو جانب الجماهير .

اتضح لنا إذن من خلال النصوص السابقة أن الأوضاع الظالمة التى كانت سائدة بين جماهير الديلم ، وكذلك جماهير الجيل ، كانت فى نفس الوقت من العوامل الرئيسية التى دفعت هذه الجماهير إلى اعتناق الدين الإسلامى ، وذلك على أمل الخلاص فى ظله من الأوضاع الجائرة التى قدر على أجيالهم أن يرزحوا تحت وطأتها طويلا ، وقد أصبح أمرا مسلما به أن الناصر هو الذى أثار انتباه هذه الجماهير إلى إمكانيات الإصلاح التى يستطيع الإسلام أن يقدمها لهم ، وقد ضرب بنفسه المثل العملى على صدق وأصالة العقيدة التى يدعو إليها ، ومن ثم وجد الديالمة فى دعوته عنصرا جديدا يميزها على المحاولات السابقة ، الأمر الذى ترتب عليه أن استجابوا لجهوده التى قدمت لقلوبهم دينا جديدا ، وهيأت لهم مناخا طيبا يستطيعون فى نطاقه أن يتنسموا ريح الحرية التى ترد عليهم إنسانيتهم فينطلقون إلى المستقبل يحدوهم الأمل ، ويدفعهم الرجاء .

وإلى اللقاء فى المقال التالى حيث نلقى مزيدا من الضوء على المسرح الجغرافى الذى تأثر بجهود الناصر ، مع تقصينا لبقية المحاولات التى أدت إلى سيادة الإسلام فى جيلان ؟

د . عامر غنيم أبو سعيد

وقت الصدقة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تأمل العيش ، وتخشى الفقر ، لا حتى إذا بلغت هذه . وأشار إلى التراقى قلت لفلان كذا ولفلان كذا . لقد كان ذلك وإن لم تقل .

قيس بن سعد

للأستاذ محمد محمود زيتون

— ٣ —

عمد معاوية بن أبي سفيان إلى دواعي الحيلة، وقد ركبت في طبعه، فلا مفر له من الاستجابة، وأخذ يفتل قيس بن سعد في الذروة والغارب، لم يتوقف، ولم ييأس، ومد له التمكن من الشام في حبال المكايدة.

ولما كان علي بالكوفة، بعيداً عن مسرح الحوادث الجارية، فقد كتب أول ما كتب إلى قيس بن سعد أمير مصر، يقول:

« أما بعد: فإنكم كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها. أو ضربة بسوط ضربها، أو شتيمة رجل، أو في تسييره آخر، أو في استعماله فتى. فإنكم قد علمتم أن دمه لم يكن يحل لكم، فقد ركبتم عظيما من الأمر، وجئتم شيئا إدا، فتب إلى الله ياقيس بن سعد، فإنك كنت في المجلبين على عثمان بن عفان — رضي الله عنه — إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئا، فأما صاحبك (علي)، فإنا استيقنا أنه الذي أغرى به الناس، وحملهم على قتله، حتى قتلوه، وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك. فإن استطعت ياقيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل، تابعنا على أمرنا، ولك سلطان العراقين. إذا ظهرت مابقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز، مادام لي سلطان، وسلني غير هذا ما تحب، فإنك لاتسألني شيئا إلا أوتيته، واكتب إلي برأيك فيما كتبت إليك، والسلام ».

وكتب قيس مفنداً ماورد بكتاب معاوية من تهم، ولم يشأ في بادئ الأمر أن يدافعه أو يكشف له عن مكنون سره، أو يتعجل قتاله، إن كان لا مناص منه، فرد عليه يقول:

« أما بعد: فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان، وذلك أمر لم أقارفه، ولم أطف به، وذكرت أن صاحبي هو أغرى الناس بعثمان، ودسهم إليه حتى قتلوه، وهذا ما لم أطلع عليه، وذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان، فأول الناس كان قياما عشيرتي، وأما ما سألتني من متابعتك، وعرضت علي من الجزاء فقد فهمته، وهذا أمر لي فيه نظر وفكرة، وليس هذا مما يسرع إليه، وأنا كاف عنك، ولن يأتيك من قبلي شيء تكرهه، حتى ترى ونرى إن شاء الله، والمستجار الله عز وجل والسلام ».

صديق هو أم عدو ؟ . مقارب أم مباعد ؟ . معه أم عليه ؟. بمثل هـذا استنهض معاوية كتاب قيس ، فلم يظفر بالجواب الذى يشفى وينقع ، ووقف حائراً فى أمر هذا الداهية فليس هو دانيـا فيعده سلما ، ولا متباعداً فيعده حربا ، وينفلت الزمام من يد معاوية ، فلا يستطيع كبح جماح نفسه . وهو الذى قال عمر بن الخطاب فيه : « تذكرون كسرى وقيصر ، وعندكم معاوية ! »[1] .

ويملى معاوية على كاتبه فى الرد على قيس ، وقد فرغ صبره ، فيقول له فى ختام كتابه إليه : « أنت فيا ههنا كنحك الجزور ، وليس مثلى يصانع المخـــادع . ولا ينتزع للمكايد ، ومعه عدد الرجال ، وبيده أعنة الخيل » .

نغمة جديدة بخلاف سابقتها ، وعيد بعد وعد ، وإغراء ثم تهديد ، واطمأن قيس إلى أن الأرض التى تحت قدميه لن تميد أبدا إلا بإذن الله وحده ، وعرف أن معاوية ليس ممن تنفع معه المدافعة والمماطلة فضى ، ينفذ السهم إلى هدفه مباشرة من أقرب طريق ، فقد قصر حبل المكايدة فى يده . فكتب إليه قيس يقول :

« أما بعد : فإن العجب من اغترارك بى وطمعك فى ، واستسقاطك رأيى ، أتسومنى الخروج من طاعة أولى الناس بالإمرة ، وأقولهم للحق ، وأهداهم سبيلا ، وأقربهم من رسول الله وسيلة . وتأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقولهم للزور ، وأضلهم سبيلا ، وأبعدهم من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وسـيلة ، ولد ضالين مضلين ، طاغوت من طواغيت إبليس ، وأما قولك إنى مالئ عليك مصر خيلا ورجلا . فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم إليك ، إنك لذو جد والسلام » .

وهنا بلغ يأس معاوية من قيس كل مبلغ وثقل عليه فى الحق مكانه ، وعجز هو وعمرو عن غزو مصر مادام بها لا خوفا من جيوشه المعبأة ولكن خوفا من كتائب دهائه ومكره عند ذاك لوى العنان الماكر نحـو الخليفة لا الوالى ، وصوب سهامه هذه المرة نحـو الكوفة لا الفسطاط . .

جمع معاوية أهل الشام ، وأبدى لهم رضاه عن قيس ــ موارية ومخادعة ــ وأمر ألا يسبوه ، وألا يدعوا الناس إلى غزوه ، لأنه معهم لا عليهم ، وإنمـا يقتضيه الأمر اللازم أن يدارى ويوارى ، وقـد تأتينا كتبه ونصيحته سرا ، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم (العثمانية) الذين عنده من أهل خربتا : يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم

---

(١) الفخرى : ابن طباطبا .

ويحسن إليهم ، وكتب إلى العراق والمدينة برضاه عن قيس ، وأمر بكتمان ذلك كيلا يعزله على إذا علم . وصدق أهل الشام ، وانصاعوا لأمره .. وعلى لا يعلم ، وقيس لا يدرى .

أما قيس فقد كبح مكره ، وكظم دهاءه ، ولم يطلق لنفسه زمام الهوى . فقد كان يقول لمن حوله : « لولا أن المكر فجور ، لمكرت مكرا تضطرب منه أهل الشام بينهم »(١) وتارة أخرى يقول : « لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب »(٢) لقد سالم أهل (خربتا) ووادعهم ، فسالموه ووادعوه ، ولم يقاتلهم فرضوا عنه ، وأحسن إلى راكبهم ، وأمن خائفهم ، وأجرى عليهم أرزاقهم فشكروا له ، فتساءل : أليس النجاح يغرى بالنجاح والنصر يهدى إلى النصر ، فماذا عليه لو أرخى الحبال لمعاوية ، ولو طال المدى . .

أخذت المكاتبات تتوالى بين الجانبين : يأتى الكتاب من معاوية فى لين فيرد عليه قيس فى غلظة ، يتبعه كتاب فى غلظة ، فيكون الجواب فى لين . إذن لم تعد ثمت قدرة لدى معاوية على مكر قيس ، فليتحول عنه إلى من هو فوق وليتجه بضربات معولة إلى على ، حتى إذا ضرب الرأس ، تمزقت الأعضاء . وتفككت الولاة ، ولو كان قيس على رأسهم .

وأثار معاوية الشكوك والريب حول قيس فى صدر على ، وزعزعة ثقته فيه وفى ولائه لبنى هاشم . وفى الوقت نفسه عمل على تهديد مركز قيس من داخل مصر ، وتأليب العناصر الموالية لمعاوية على الهاشمية ، أما هذه فقد سد قيس عليها كل سبيل ، إذ أفلح فى دعم الجبهة الداخلية بكل ما أوتى من نوازع الخير ومواهب الحكم ، وأما الأخرى فقد كانت الشغل الشاغل لمعاوية ليلا ونهارا ، وقد رأينا كيف تظاهر أمام أهل الشام بالرضى عن قيس ، فذاع الخبر وشاع ، لماذا ؟ هذا ما سنكشف عنه بعد قليل ، ولكن حسبنا هنا أن نسجل ما كان يقوله معاوية ، غير قادر على كبت ما فى صدره إزاء خصمه اللدود : « والله لقيس بن سعد عند على . أبغض إلى من مائة ألف مقاتل بدله عنده »(١) ويقول أيضا : « ما ابتدعت مكايدة قط كانت أعجب عندى من مكايدة كدت بها قيسا من قبل على وهو بالعراق . حين امتنع من قيس »(٢) ، بينما كان قيس يرد عليه عبر الأثير فيقول للتاريخ : « والله لولا الكذب لمكرت بمعاوية مكرا يدخل عليه بيته . ولولا أنى سمعت رسول الله يقول ، المكر والخديعة فى النار . لكنت من أمكر الناس » .

« إن كنت إنما أمرتنى بهذا لتختبرنى

---

(١) سيرة أعلام النبلاء : الذهبى

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة : ابن حجر

(١) البداية والنهاية : ابن كثير

(٢) تاريخ الأمم والملوك : الطبرى .

لأنك اتهمتنى فابعث على عملك بمصر غيرى .

ترى ما هى تلك المكايدة التى كادها معاوية لقيس . فلأت عليه أقطار نفسه زهوا وعجبا لقد افتعل معاوية كتابا بعث به قيس إليه ، بالدخول معه فى المطالبة بدم عثمان ، قرأه على أهل الشام ليصدقوا أن قيسا معهم لا عليهم مسالم لا محارب ، وتعمد معاوية — بحيله ودهائه أن يقرأ هذا الكتاب على الملأ وعلى مرأى ومسمع من جواسيس على ، وهو يعلم أنهم ناقلوه إليه بحذافيره ، وأن عليا عندما سيبلغه ذلك سيتغير على قيس ، فينقلب عليه ثم هو لابد عازله عن مصر ، فتخلو من هذا الداهية المكايد ، فينقض عليها ويلتهمها سائغة بلا حرب ، وهذا ما حدث ، إذ آلت مصر إلى عمرو مرة ثانية بعد مصرع محمد بن أبى بكر ، وبعد أن انقلبت الدولة بعد اغتيال على أموية ، زمامها بيد معاوية .

نقل عيون على بالشام إليه كل ما جرى فلم يصدق ، وما زال به محمد بن أبى بكر وأخوه لأمه محمد بن جعفر بن أبى طالب يغريانه بعزله حسما لكل نزاع . وقطعا لكل صراع ، فأشارا عليه أولا بقتال العثمانية الذين لم يبايعوا عليا من أهل خربتا ، وكتب على فى ذلك لقيس يحمله على قتالهم . وتوالت الكتب بهذا الشأن بين على وقيس ، ودهش قيس لهذا التحول المفاجىء فى سياسة على . كيف يأمره بقتال قوم كفوا عنه ، وأفرغوه لقتال عدوه ، وقيس يستألف قلوبهم ، ويستخرج منها الفتنة فإن هو قاتلهم ساعدوا العدو عليه .

جلا قيس للخليفة حقيقة الأمر فى كتاب بعث به إليه ، وأبان فيه عن رأيه بتركهم لهذه الأسباب التى يراها عين الحقيقة والصواب ووصف لهم العثمانية فى خربتا بأنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ ، وقد رضوا منى بأن أؤمن سربهم ، وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، وقد علمت أن هواهم مع معاوية . فلست مكايدهم بأمر أهون من الذى أفعل بهم ، وهم أسود العرب » . وبهذا بلغ قيس بن سعد ذروة النجاح بسياسة الحياد الإيجابى ، وصون السلام فى شجاعة لا مواربة فيها . وإخلاص للقيم العليا من غير ضعف .

وعمقت الفتنة جذورها رويدا رويدا ، وتلاقى تيار معاوية عبر الجواسيس القادمين بالنبأ من الشام ، مع إرشادات ذوى المطامع الذين يشيرون بآرائهم على على ، بالكوفة فيكتب إلى عامله يستدعيه ويقول « إنى قد احتجت إلى قربك ، فاستخلف على عملك وأقدم » (١) ولم يكن قيس ممن يفجعه هذا الاستدعاء ، فهو الذى سعى إليه قبل أن يأمره به الخليفة ، فلما ألح عليه فى قتال أهل خربتا رد عليه حازما حاسما يقول : له بقية

محمد محمود زيتون

---

(١) ولاة مصر : الكندى .

أثر الإسلام فى الأدب العربى

للأستاذ محمد مفيد الشوباشى

ما بدأت الدعوة إلى الإسلام تخطو خطواتها الأولى فى طريق الانتشار والانتصار حتى اشتد النضال بين مؤيديها ومعارضيها ، ولم ينحصر هذا النضال فى ميادين القتال ولكن تعداها إلى ميادين الفكر والأدب ، فراح المسلمون يبشرون بدينهم الحنيف ، ويشيدون بتعاليمه النبيلة ، ويفسرون أهدافه السامية ، ويقارنون بين هدايته وضـــلالة الشرك ، وتصدى لهم المشركون ، المستمسكون بالقديم ، يفاخرون بجاههم وغناهم ، ويسفهون الدعوة الجديدة متجنين مضللين ... واشترك شعراء الفريقين فى هذا المعمعان ، وتراشقوا بقصائد دعوها فيما مضى المعارضات ـ وتدعى اليوم النقائض ـ وتسلح كل طرف منهم بأفانين يؤيدبها معتقداته ، ويفند معتقدات خصومه . ووقف إلى جانب الرسول شعراء فحول آمنوا بدين الحق منهم حسان بن ثابت ، والأعشى التميمى ، ومعبد الخزاعى ، وظل إلى جانب المشركين واليهود أمية ابن أبى الصلت الثقفى ، وكعب الأشرف ، وعبد الله بن الزبعرى وغيرهم .

ويكفى أن نذكر النماذج القليلة الآتية للدلالة على نوع الشعر ، وتبيان جانب من مضامينه .

قال حسان بن ثابت ساخرا من تفاخر سادة قريش بملابسهم الفاخرة ، وتشبههم فى ذلك بالروم والفرس ، والأبيات موجهة إلى ضرار بن الخطاب .

أتفخر بالكتان لما لبسته ؟
وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا
فلا تك كالوسنان يحلم أنه
بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

وقال عبد الله بن الزبعرى يفاخر بجلاد قومه فى يوم أحد :

أبلغا حسان عنى آية
فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
كم قتلنا من كريم سيد
ماجد الجدين مقدام بطل

فأجابه حسان بقصيدة يذكر فيها فضل الإيمان على المسلمين :

ولقد نلتم ونلنا منكم
وكذاك الحرب أحيانا دول
وعلونا يوم بدر بالتقى
طاعة الله وتصديق الرسل
وتركنا فى قريش عورة
يوم بدر وأحاديث المثل

وقال عمرو بن العاص أيضا — قبل إسلامه — قصيدة فى يوم أحد تفاخر فيها بتنكيل الكفار بالمسلمين ، فأجابه كعب ابن مالك بأبيات يذكر فيها اتصاف المؤمنين بالصبر ، ويمتدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

صبرنا لهم والصبر منا سجية
إذا طارت الأوغاد نسمو ونرتق
على عادة تلكم جرينا بصبرنا
وقدماً لدى الغايات نجرى ونسبق
لنا حومة لا تستطاع يقودها
نبى أتى بالحق عفٌ وصدق

ومن شعر ذلك العهد قصيدة ، قيل إنها لعلى بن أبى طالب — تشيد بالدين الجديد ، وتنذر الكافرين ، وفيما يلى بعض أبياتها :

عرفت ومن يعتدل يعرف
وأيقنت حقاً ولم أصدف
عن الكلم المحكم اللاءِ من
لدى الله ذى الرأفة الأرأف
رسائل تدرس فى المؤمنين
بهن اصطفى أحمد المصطفى

ووقع ابن الزبعرى فى حبائل أوانس اليهود ، ونظم قصيدة يتحسر فيها على عهودهن فسفهه حسان بن ثابت بمعارضة جاء فيها :

قدع الديار وذكر كل خريدة
بيضاء آنسة الحديث كعاب
واشك الأمور إلى الاله وما ترى
من معشر ظلموا الرسول غضاب
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا
قتل الرسول ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم ..
ردوا بغيظهم على الأعقاب

ولعل النقائض التى ذكرناها تعكس لنا صورة واضحة للخطوة المحدودة التى خطاها الشعر الإسلامى فى الأيام الأولى للدعوة ، ونحن إذا قارنا بين أسلوبها ومضامينها من ناحية وأسلوب الشعر الجاهلى ومضامينه من ناحية أخرى ، لاحظنا تخففها من خشونة الجاهلية ، وتنويهها بالصفات الإنسانية الكريمة بعد التفاخر بالبطش وسفك الدماء . أما الحرب فهى عندها ضرورة للقضاء على الشرك والظلم ، ولتوطيد دعائم العدل والخير واجتثاث الشر من جذوره ، وليست لمجرد القهر والسلب والنهب والانتقام ، والتنفيس عن الأحقاد .

ولم يكن فى الإمكان أن يتخلص الشعراء المسلمون دفعة واحدة ، فى حقبة الانتقال إلى العهد الجديد ، من شتى رواسب الماضى ، ويقطعوا كل صلة بين شعرهم وشعر أجدادهم فكل لاحق يتولد من سابقه ، ويحتاج إلى مندوحة من الوقت ليكتسب الشخصية المستقلة ، ويتميز بالطابع الخاص ، وتستقر له الصورة الجديدة ... ولذلك لم يخل الشعر الإسلامى ، وهو فى إبانه ، من وصف

المعارك الحربية ، والتفاخر بالانتصارات التى حققها المسلمون ، والإشادة ببطولاتهم ، وهجو خصومهم . أما مضامينه المستجدة فهى الدعوة إلى الدين الحنيف ، والتعصب الشريف له ، والمناداة بالجهاد فى سبيل الله والحق ، والإشادة بالمثل القويمة التى جاء بها التنزيل ... فموضوعات الشعر القديم والجديد تكاد تكون واحدة ، فى حين تختلف مضامينها .

ومن أهم ما حققته الدعوة الإسلامية ، إلى جانب تنظيم شئون المجتمع - أنها هذبت النفوس ، وطهرت القلوب ، واستثارت أنبل المشاعر ، وحببت إلى الناس مكارم الأخلاق واستلت من نفوسهم الضغائن والأحقاد ، واجتثت النزوات والنزغات ، ودعتهم إلى التسامح والغفران ، وبصرتهم بالحق ، واستنهضتهم للدفاع عنه ، والاستمساك بأهدابه وانعكس ذلك على الشعر فيما انعكس عليه ، فظهر الشعراء الأطهار فى قبيلة بنى عذرة ، وفى بعض القبائل الأخرى . أولئك الشعراء الذين تغنوا بالحب الطاهر ، وبجلوا حبيباتهم وارتفعوا بهن إلى مرتبة التقديس ، ونزهوا حبهم عن الرغبات الدنيا ، منصرفين إلى الرغبات الروحية منتشين بها . وليس هناك قارئ ملم بشئ من الأدب العربى لا يعرف من أولئك الشعراء جميل بن معمر ، وعروة بن حزام ، وهما من بنى عذرة . وقيس بن الملوح العامرى وكثير عزة ، ونصيب بن رباح ، وقيس ابن ذريح ، وتوبة بن الحمير وغيرهم ... وشعر أولئك الشعراء معروف كذلك شائع ولذلك نكتفى بإيراد مقتطفات قليلة منه لإيضاح ما نقول ... ...

قال جميل بن معمر :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى
لو أبصره الواشى لقرت بلابله

بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب أمله

وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى
أواخره لا نلتقى وأوائله

وقال قيس بن الملوح (مجنون ليلى) :

وأحبس عنك النفس والنفس حية
بذكراك والممشى إليك قريب

مخافة أن يسعى الوشاة بظنة
وأحرسكم أن يستريب مريب

وهو لا يحبها لجمال جسدى ، ولكن حبه لها خالص بلا وطر :

وشب بنو ليلى وشب بنو ابنها
وأعلاق ليلى فى فؤادى كما هيا

وما بى من شرك ولكن حبها
كعود الشجا أعيا الطبيب المداويا

وقال كثير :

ويخفى لكم حباً شديداً ورهبة
وللناس أشغال وحبك شاغله

ويسعى إلى المعروف فى طلب العلا
لتحمد يوما عند عز شمائله

وقال ابن ذريح :

فإن تمنعوها أو يحل دون وصلها
مقالة واش أو وعيد أمير
فلن تمنعوا عينى من دائم البكا
ولن تذهبوا ما قد أجن ضميرى

وقال توبة بن الحمير :

وأغبط من ليلى بما أناله
ألا كل ماقرت به العين صالح

وقال ابن الطثرية :

أحبا على حب وأنت بخيلة ؟
وقد زعموا أن لايحب بخيل
أليس قليلا نظرة إن نظرتها
إلى ، وكلا ليس منك قليل

وقال ابن الدمينة :

وإنى لأستحييك حتى كأنما
على بظهر الغيب منك رقيب

ولا شك أن هذه المعانى الجميلة . والمشاعر النبيلة التى هى من وحى الإسلام تعد فى أوانها جديدة فريدة لم يعرف لها عالم الأدب فى مختلف الأمم القديمة نظيراً .

ولم تلبث عقيدة الحب الطاهر أن تحولت إلى فلسفة صوفية لا تنبض قلوب أصحابها إلا بالحب لذات الله ، والتفانى فيها ، وانتهى ذلك إلى الإعراض عن الدنيا ، والزهد فى مباهجها ومغرياتها .

ونقول هنا ، على سبيل الاستطراد ، إن ما نظمه الشعراء العرب من قصائد الغزل الطاهر ، ومن الشعر الصوفى لعب أخطر دور فى تهذيب الأوربيين وترقية مشاعرهم حينما انتقل إليهم ابتداء من القرن الحادى عشر (يراجع كتاب رحلة الأدب العربى إلى أوربا بقلم كاتب هذا المقال) .

واشتدت حركة الزهد فى أواخر عهد بنى أمية ، وكان من أهم الدعاة لها الحسن البصرى ، وابراهيم بن أدهم ، ورابعة العدوية ومن أشهر شعرائها أبو العتاهية الذى ظهر فى أوائل الحكم العباسى .

نشأ هذا الشاعر فى أسرة تصنع الجرار ، واشتغل فى مطلع حياته بمهنة أهله ، وهى مهنة كانت تعد وضيعة فحالت دون ظفره باحترام الناس حتى بعد أن نظم روائعه الشعرية ، وفتحت فى وجهه أبواب الخليفة والأمراء . ولذلك نراه يقول :

دعنى من ذكر أب وجد
ونسب يعليك سور المجد
ما الفخر إلا فى التقى والزهد
وطاعة تعطى جنان الخلد

وهذه الحركة ترجع فى عمومها إلى ازدياد غنى الأغنياء ، وفاقة الفقراء فى تلك الحقبة

التى تميزت بازدهار الحالة الاقتصادية وافتقر فيها الصراع بين الفريقين إلى تكافؤ الفرص، واختل ميزان العدالة الاجتماعية، وأفسدت النعمة بعض المنعمين وأتلف الفقر المعوزين وأصبح الإنسان لا يقدر عند عامة الناس إلا بمقدار ما يكتنز من مال، أما الفقير فكان يعيش على هامش الحياة مفتقرا حتى إلى الشعور بإنسانيته.

ومما يدل على تنبه أبى العتاهية إلى تلك الحال، وضيقه بها قوله:

يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت
عليه يوما بما لا يشتهى وثبوا

وقد هال أبا العتاهية ما تعانيه الرعية من فقر ومذلة وهم، وحاول أن يقوم تلك الحال فلم ير وسيلة للنضال فى سبيل إنصاف المظلومين إلا أن يتجه إلى الخليفة، ويستنهضه لرفع الظلم وإحقاق الحق، وفى نظم ذلك أبياته المشهورة التالية.

من مبلغ عنى الإما
م نصائحا متواليه
إنى أرى الأسعار أسـ
ـعار الرعية غاليه
وأرى المكاسب نزرة
وأرى الضرورة فاشيه
وأرى غموم الدهر را
ئحة تمر وغاديه
وأرى المراضع فيه عن
أولادها متجافيه
وأرى اليتامى والأرا
مل فى البيوت الخاليه
من بين راج لم يزل
يسمو إليك وراجيه
ألقيت أخبارا إليـ
ـك من الرعية شافيه

ولكن تلك الحال التى تسيطر فيها طبقة جشعة ذات مال وسلطان لا تنفع فيها مثل تلك النصائح، وأكبر الظن أن أبا العتاهية يئس من أى إصلاح، فألقى سلاح النضال واستسلم للواقع، وكان ذلك من أهم أسباب زهده.

وإذا لاذ بعض الناس بفلسفة الزهد هروبا من مكاره الحياة، ويأسا من الفوز بمتعها فهناك فئة أخرى منهم اعتنقت الفلسفة المذكورة بحسبانها من تعاليم الإسلام، وخطأ هذا الحسبان واضح، فالإسلام، كما قلنا، دعوة دينية دنيوية، تبشر بالتقوى والورع، وتبصر بالطريق القويم، وتدعو فى الوقت نفسه إلى السعى فى مناكب الأرض والتنعم بخيراتها وشكر الله على آلائه وليس استصغار شأن الوجود، والإعراض عنه، إلا إنكارا لفضل الله على الناس.

وقد نما فن القصة فى العصر الأموى إلى جانب فن الشعر ، وكانت للقصص ، كما كانت للشعر ، أهداف سياسية وتربوية بالإضافة إلى التعبير عن المشاعر الإنسانية . والمضامين الاجتماعية التى استحدثها الإسلام .

ولاشك أن قصص القرآن غرس فى قلوب المسلمين ميلا شديداً إلى هذا اللون الأدبى وهيأهم للإقبال على مختلف فنونه . وقد روى عن ابن شهاب أن تميما الدارى كان أول من قص فى مسجد الرسول . . ثم توسع فى ذلك خلال خلافة عثمان .

وقال أحمد أمين فى كتابه فجر الإسلام : « يظهر أن كلا من على ومعاوية اتخذ من القصص أداة سياسية يستعين بها على ترويج حزبه ، والدعوة له . ثم ارتفع شأن القصص حتى رأيناه عملا رسمياً يضطلع به موظفون عموميون يتقاضون عليه أجراً . . . » .

وأغلب القصص التى راجت فى ذلك العهد كانت تتناول أخبار ملوك أحقوا الحق وحكموا بالعدل ، ولم يترددوا فى الانتصاف للفقراء المظلومين من الأغنياء الظالمين ، وفى هذه القصص إيحاء بأن الخليفة ينهج هذا النهج ، وأن رحمته ستصل يوما ما إلى كل مغلوب على أمره ، والصبر مفتاح الفرج ، ولا يلبث المستمع المسكين أن يجد فيما يسمع متنفساً عن همومه ، ويخف عبء ما يعانيه أملا فى حلول يوم الخلاص مما هو فيه .

وهذا القصص الذى يستهدف توطيد مكانة ذوى السلطان يضعهم فوق مستوى البشر ويحيطهم بهالة قدسية من الجلال والوقار ، ويصورهم أهل حكمة وفطنة لا تتوفران لغيرهم من الناس ، وينزههم عن ارتكاب أى خطأ ، أو التورط فى أى إثم ، ويسبغ عليهم أسمى الصفات التى دعا الإسلام إلى التحلى بها ، فهو بذلك يضلل الناس من مخازى أولئك الحكام ومثالبهم وينهنه من بوادر تمردهم عليهم .

بيد أن أثر الإسلام يبدو أشد وضوحا فى قصص الحب الطاهر ، وأغلب أبطالها من الشعراء الحجازيين من أمثال جميل وكثير وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح .

تنزه الحب فى تلك القصص عن شهوات الجسد ، واستعذب أبطالها ألم الحرمان واستعاضوا بمتعة الطهر عن المتع الأرضية وبالوصال الروحى عن الوصال الجسدى ، ووجدوا فى الوفاء المتبادل بينهم وبين حبيباتهم أنبل غايات عاطفتهم السامية .

وظهر أثر التهذيب الإسلامى فى مختلف ألوان الأدب العربى منذ انتشار الدين الحنيف ، وازداد هذا الأثر عمقا على مرور الزمن ، وتخلصت الآثار الأدبية شيئا فشيئا من أرضية الوثنية الجاهلية ومن خشونتها ، وإذا ظل بعض تلك الآثار يعبر عن المشاعر

الحسية ويسف فى شرحها ، فهو ، مع ذلك ، يقارن بما يقابله من الشعر الجاهلى ، فقد اكتسب من الحياة الحضارية الجديدة ، وتقاليدها المهذبة ، رقة ولطفا لم يكن للأدب عهد بمثلهما من قبل ، وتحول بمبتدعاته الفنية من سجل فج للواقع إلى عمل فنى رفيع .

وإذا كان شعراء الزهد قد أغمضوا عيونهم وأغلقوا قلوبهم عن محاسن الدنيا ومباهجها ، فهناك شعراء آخرون بهرت عيونهم بتلك المحاسن والمباهج ، ورفت قلوبهم لها فعبروا فى شعرهم عن انفعالهم بها . وكان للقرآن أثر كبير فى ذلك إذ نوه فى كثير من آياته الكريمة بمفاتن الطبيعة الساحرة ، فلفت إليها الأنظار والأفئدة ، ولا عجب أن يكون الشعراء أشد تأثراً بها ، وهم أرهف الناس حساً ، وأسماهم ذوقا ، وأن يرصعوا شعرهم بأوصافها ، فيفتحوا فى عالم الأدب فتحا جديدا صار له ، فيما بعد ، أثر بعيد الغور فى الأدب الأوروبى .

وبمراجعة تطور الأدب العربى نجد أن الشعراء العرب القدامى عبروا عن آراء يخطر مثلها ببال الإنسان المعاصر ، وعن مشاعر يجيش نظيرها فى صدره ، فى حين لم يفكر شعراء الإغريق بعقلية العصر الحاضر ، ولم ينفعلوا بانفعالاته ، ولو نظرنا إلى الأدب الإسلامى وجدنا أن ما عبر عنه أشد قربا إلى فكرنا ووجداننا .

وليس بعد ذلك شاهد أدل على ما سبق أن قررناه ، وهو أن الأدب العربى قطع فى سبيل التقدم أشواطا لم يقطعها الأدب الإغريقى ، أو غيره من آداب العصر القديم ؟

محمد مفيد الشوباشى

« الوعد الحق »

« لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فيختبىء كل منهم وراء حجر ، فينطق الحجر ويقول : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله » .

(حديث نبوى)

مع شاعر من أبطال المقاومة

للأستاذ محمد أحمد العزب

عبر الأسماء الكثيرة التى لمعت شعرياً تحت راية النضال فى فلسطين السليبة تبدو قامة « يوسف الخطيب » الشعرية من بين الكثيرين فارعة وعملاقة . ليس لأنه أكثرهم استيعاباً لأبعاد الفجيعة وملامح النكبة . فكلهم يحمل فى أعماقه روح الكارثة وبشاعتها . ولكن لأنه يحمل على جبينه جرح البشارة لما يمكن أن يكون بحق شعر مقاومة . لا يغلق دائرة التعبير على النقاط أهونها وأقربها منالا وهـــو ذلك الصياح الموتور الذى يحمل فى تضاعيفه ألم الجرح وضراوة الاغتراب ، ولست أعنى أن شعر يوسف الخطيب لا يصرخ ولا يتوتر . ولكنى أعنى على التحديد أن صراخه مبطن بفهم موضوعى عميق لأبعاد نكبته . وبفهم موضوعى عميق كذلك لأبعاد التجربة الشعرية كيف يمكن أن تكون ... ومن هنا كان وعى هذا الشاعر بملامح التعبير الحقيقى من كارثة « النفى » وعار « الاغتراب » أقرب إلى روح الفهم وأدنى إلى أصالة التعبير

وليست قيمة يوسف الخطيب من بين شعراء المقاومة فى أنه كان أقربهم إلى روح الفهم للتعبير عن قضيته على مستوى قومى وشعرى فحسب ، ولكن قيمته تظهر كذلك فى نوعية المخاطرة الشعرية التى حمل رايتها وبراءتها . فهو واحد ممن استجابوا فى بواكير الحركة إلى صيحة التجديد الشعرى فى إطاريها الشكلى والمضمونى . واستطاع بشاعرية مضيئة وثرية أن يضيف إلى الحركة وأن ينهض بدوره فيها ، ومن هنا تبدو قيمته كشاعر جسور لم يلهه الجرح النازف فى أعماق شعره عن روح المخاطرة وجسارة الابتكار . وفى هذا تكمن قيمة الإضافة الباكرة التى أعطاها يوسف الخطيب للتعبير عن كارثة الضياع وفجيعة النكبة . فالأذن العربية الشابة أكثر ميلا لمخاطر التجديد ورؤيته مهما اختلفت فى ذلك الآراء وتعددت المذاهب :

تسائل عن حلى وعن هم ترحالى
وما زاد أسفارى ومرساة آمالى

ترحلت لا أرضى الرضا عند لذة
ولى هم موتور ، وهمة جبار

ومذ قلت فى رهط الملوك نبوءتى
تغربت فى أهلى وشردت فى دارى

إن الشاعر هنا يرفض منذ البدء طراوة

الرضا وسذاجة القناعة ، فهمه ليس هم عاشق حالم فى عالم معقول . ولكن همه الضاغط على قلبه هم موتور مشرد عن أرضه فى عالم كل ما فيه يتآمر عليه ، وعلى قضية شعبه الواقف تحت سماء ماطرة بالرصاص . والدم وألوان الخيانة النكراء .

أقول وبى قصد الغريب وكبره
لى الراحة العزلاء والهدف الغالى
لى الكلمات الحمر تنسغ من دمى
وما كان إلا من دمى زاد أسفارى
وبوركت آلام الجروح تميمة
تؤرق أعصابى وتلهم أشعارى

إن « الغريب » فى شعر يوسف الخطيب ليس هو ذلك التائه المحطم الذى تبعثرت خطواته سدى على طريق الضياع ، ولكنه « الغريب » الواثق المستيقظ الذى يعرف جيداً من أين ؟ وإلى أين ؟ والذى لم يفقد عبر مسيرته الطويلة كبره ولا ملامح ذاته ، ولئن كانت جواذب الظلام من حوله تشد خطواته إلى الوراء قليلا . فإن هواتف الأمل المنشود ، والهدف الغالى ، تحرق فى داخله كل نوازع المبوط لتقفه دائماً أمام يومه ومصيره فاتحاً أحداقه جيداً على طريقه الطويل الذى تجلجل كلماته فى زواياه المعتمة شاربة حياتها من دمه وأعصابه . وعلى طريقه الطويلة الممتدة تتزاحم جموع شعبه الرازحه تميمة أمل تبدد اليأس ، وتلهم أشعار شاعرها الأصيل .

ويدرك الشاعر هنا أن القضية ليست بنت اليوم ولا احصاد الساعة ، وإنما هى حلقة من سلسلة طويلة موصولة الحلقات ، فهذه الأمة التى ينتمى الشاعر إليها كم من طواغيت صارعت ، وكم على أعاصير زمانها الموبوء تمردت ... ثم هو يدرك إدراكا حقيقاً أنه كفرد شاعر يحمل قضية شعبه وأمته ليس فى إطار تعبيره عن هذه القضية غصناً مبتوت الجذور ، وإنما هو منتم أساساً إلى شعب عريق تاوك وراءه أصداء فتوحات لم تزل حديث التاريخ :

وحسبى جبين ضيئات جراحه
ضياء وذاذ النجم فى الفلك العالى
جبين نمى فرعى لمجد أمية
وأوغل بى عزاً لعقبان ذى قار
تمرد من قبل الطواغيت يومنا
على ألف شمس فى الزمان وإعصار

والشاعر يؤمن فى قرارة أعماقه أنه ليس سوى بشارة بالذى يأتى وأن جيله جيل تمهيد وتعبيد ، ويوم ينفتح الأفق البعيد عن فارس الحلم ، وبطل الملحمة ، ستنهار كل الهياكل النخرة التى شادها الطغيان وستهوى تحت ضرباته المؤمنة كل القياصر والفراعين ، وستخر كل الأصنام على وجهها كابية

لتفسح الطريق لما يمكن أن يكون موائماً لروح العدالة وطبيعة التطور ... إن الشاعر البشارة . أو الشاعر الرمز .. أو الشاعر التمهيد .. لا يستعمل كلماته فى شعره المقاوم لتحدث ، صدى ، قريباً أو بعيداً ، وإنما هو يشهر أحرفه فى هشيم المرحلة لكى تستحيل ناراً وسط هذا الموات :

وحسبى تهيج النار فى الموت أحرفى
وتمسح تيجان القياصر أذيالى
سيأتى الذى بعدى . تهد حروفه
هياكل كهان . وأصنام كفار
وما أنا إلا كى أشق طريقه
يبدل أقدار الحيـــاة بأقدار

ويبلغ الشاعر ذروة الانفعال والثورة فيتحدى بكل إصراره أن شعبه يباع ، وأن موطنه يستباح . وهو فى تحديه يدرك تماما ضراوة الرحلة وقساوة المخاطرة ، ولكنه يعصب جرحه بيديه ويمضى إلى غايته فى رجولة وإصرار ، كافراً بالشوك ـ هازئا بالصخر ـ رافعاً يد التحدى فى وجه جلاده وجلاد شعبه :

تحديت أن شعبى يباع . وموطنى
يباح . وأن أغلى الحصى قوت أطفالى
صعاب دروبى . فى الموات اجتبيتها
وفى الشوك . والجلمود . والأفق العارى
ويا أيها الجلاد .. أوثقت معصمى
فمن أين يا جلاد توثق إصرارى

وحين يشارف الشاعر نهاية الخلق فى عمله الشعرى يطلق من أعماقه صيحة النفار والبعث حاشداً فيها كل طاقات التوتر والأمل والإصرار .

حرام على جفنى الرقاد .. وأمتى
شتات . وآفاقى تناثر أطلالى
رؤاى اكتناز الليل غيما وأنجما
وأشرعة كالثلج يبحرن فى نار
غد للزمان الرحب يولد من غد
ونار لوهج البعث تخلص من نار
لا بتدون الصبح قبل اشتعاله
وأورث فى عمق السكينة زلزالى

هذه واحدة من قصائد الشاعر الواهب « يوسف الخطيب » الذى عمقت النكبة فى شعره روح المقاومة فلم يهتف كغيره من شعراء الأرض المحتلة هتافا بمجرد هتاف ، وإنما استوعب فى داخله أبعاد القضية قومياً وشعريا ، وعرف كيف يخاطب الوجدان الإنسانى مترقيا من وصف بشاعة الكارثة .. إلى احتوائها ألماً وأملا .. إلى وقفها فى مستوى الرؤية أمام كل البشر عاراً يدمغ إنسان العصر ، وبركاناً يوشك

أن ينفجر ، ثم إلى إشهارها قضية جيل يرفض أن تموت قضيته قبل أن يموت .

فإذا انتقلنا إلى قصيدة أخرى من قصائد هذا الشاعر الموفق بعنوان « الطريق إلى يافا » راعنا ما فى القصيدة من جهامة قابضة ، ومن يباس رهيب ، ومن تساؤلات لا تنتظر الجواب لأنها هى نفسها تفجر الجواب المؤسى فى كل القلوب .

يوم غاب الضوء عن يافا انتجعنا الشرق واجتزنا لهان الشريعه
ضرعنا جف . ولا زرع . وأرخى القحط فى أرواحنا المعى الوجيعه
والدروب اختنقت موتى . وكنا التائهين الأرض . والأرض المبيعه
كيف ضيعنا زمان الوصل ضيعناه . غشينا على الإثم الذريعه
أمة جاحدة . . أم يبس الشريان من يافا على ثغر الرضيعه
لست تدرى . ثم فصلنا قماش الليل فى الأرض أخياشاً وضيعه
ورقدنا لصق موتانا من الكهف . وأغفت بيننا حتى الفجيعه
أرضنا آلتنا الحدباء . . ومشانا على الأرض الخديعه

ثم روعنا فى مقاطع تالية من القصيدة رجعة الشاعر على تاريخنا كله ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، وهى رجعة موفقة وقاسية فى آن فالماضى الذى كان عملاقا استحال فى أيدينا إلى حاضر هش ، والمستقبل الذى يمكن أن يولد من هذا الحاضر لن يكون إلا على مستوى المشاشة ، إن ماضينا العظيم بمواريثه الضخمة تفلت من أعماقنا أو هو يكاد ، حتى لم يبق لنا منه سوى ملامح الراعى وملامح القطيع ، ظل الخيمة وغباوة السلطان وشم على الجبين وتمر بدوى فى الجراب ... وحين يصفى التاريخ كله لتبقى لنا منه هذه الرواسب الكابية ، ويضيع من بين أصابعنا كل الماء القراح .. يصرخ الشاعر يوسف الخطيب :

آه يا أيتها الأصلاب من يافا . . أقام الليل أزماناً . وأرخى
العيون ارتسمت وحلا من الرعى إلى أدنى وأشواكا وعشبا
نبت الرعيان ملء الأرض . تب الكلأ المسموم تب الوشم تبا
أترى يا أنهر الضوء روابينا وهزى باطن التربة شعبا
ألهمينا مرة كيف نشد الرأس . . ننفك من المذود . . نأبى

ولست أريد هنا أن أمضى مع هذه القصيدة الرائعة إلى نهايتها فهى طويلة وحافلة ، وربما كانت واحدة من أروع قصائد الشعر العربى المعاصر رغم كل ما فيها من جهامة ويباس .

فإذا انتقلنا مع الشاعر إلى قصيدة أخرى كتبها بعد النكسة، وبعد هزيمة زلزلت إيمان كل القوى العربية على امتداد الأرض والأفق رأينا ملامح الإصرار والمقاومة تعايش كل حرف من حروف قصيدته الجديدة.

هنا أمة فرعها فى السماء
وفى كبد الأرض منها قدم
وتمهل لا تهمل الفاتحين
وتهدأ كى تستجن الحمم
هنا أمة من ليان الزمان
غذت لحمها من ثدى الألم
أسارى على أرضها الفاتحون
ومنهزم دونها من هزم
وما اللات أول من حطمت
ولا اللات آخر بعل جثم
لتشهد مكة فى كل يوم
حمراء - إذا كل يوم صنم

وفى الحق - أن ما فى قصيدة الشاعر الأخيرة التى كتبها بعد هزيمة يونيو الرهيبة من مباهاة بالماضى مرة ولجوء إلى التشابيه المألوفة فى الشعر العربى مرة أخرى، ومحاولة التعقل والإدلاء بالحكم مرة ثالثة ... إن كل ذلك يدل على شىء واحد. هو إحساس الشاعر العميق بالفاجعة، وبأن ما كان لم يكن ينبغى أن يكون ولكنه كشاعر يحمل رسالة المقاومة لم يستطع أن يتخلى عن دوره الرائد، وتكلف التعقل فى موقف يهيج حتى الحليم، إن هذه القصيدة الأخيرة برغم كل ما فيها من اقتدار الشاعر وثراء عاطفته وخياله لا يمكن أن تكون إلا دليلا على إحساسه الكبير بالتزامه نحو قضية المقاومة، التى تفرض عليه أن يخفى دموعه وراء ستار من اللا مبالاة بما حدث، أو المبالاة به كحافز دافع إلى جولة أخرى لا يهمها أن أصابها الدوار فى الجولة الأولى فوقعت على الأرض.

إن يوسف الخطيب شاعر من ألمع شعراء المقاومة فى الوطن العربى، وربما كان من ألمع شعرائنا على الإطلاق، وإن ديوانه «واحة الجحيم» ليؤكد قيمته الفنية والنضالية على السواء، بكل ما فيه من عطاء شعرى لا يمكن أن يكون إلا لشاعر واعد وأصيل، ولعل ما فى «واحة الجحيم» من اقتحامات تجديدية بارزة يستحق أن يدرس وأن يقيم، فلقد يبدو أن الشاعر فى تجديده واقتحامه يفهم ما قد أقدم عليه، بل أوشك أن أقول إنه مصر على المضى فيه حتى ليستحيل الإطار الشعرى فى يديه إلى خلق جديد، له إيقاعه الخاص، وموسيقاه الفريدة، وهذا وحده يستحق وقفة أخرى، تسلط الضوء على قيمة المخاطرة فى هذا المجال.

محمد أحمد العزب

تصحيحات لكتاب لسان العرب في طبعتيه

للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة

معاجمنا اللغوية الكبيرة لم تقف عند شرح الكلمات اللغوية فحسب ، وإنما عرضت لألوان شتى من علوم العربية .

لو ألقينا نظرة على المخصص لابن سيده لألفيناه أفاض كثيرا فى مسائل النحو والصرف ، وشرح كثيرا من الشعر . وخذ مثلا عنايته بكتاب سيبويه : كان لا يكتفى بالنقل عن نسخة واحدة من كتاب سيبويه ، وإنما يرجع إلى نسخ متعددة (ج ١٤ ص ١٤٥) ؛ كما كان يصحح نسخ كتاب سيبويه بالرجوع إلى السيرافى) ج ١٤ ص ١١٥ ، ص ١٢١) ويشرح ما خفى من أسلوب سيبويه (ج ١٤ ص ١٧٦) ، وينقل عن نقد المبرد لكتاب سيبويه (ج ١٧ ص ١٤٣) .

ويقول : كل عقد لسيبويه ، وكل تحليل فلأبى بكر بن السرى وأبى على وأبى سعيد (ج ١٤ ص ٢٢٠) ويقول : أذكر ما لم يذكره سيبويه (ج ١٤ ص ٢١٢ ص ٢٢٦)

أما ما نقله عن كتب أبى على : الإيضاح ، والإغفال ، والحجة فهو كثير (ج ١٦ ص ٩٠ ، وص ٩٢) .

وقد أحصيت مسائل النحو التى فى المخصص فشغلت مجلدا كبيرا يقرب من ألف صفحة ؛ كما جاء ما تضمنه من الشعر فى مثل ذلك أيضا .

* * *

وكتاب لسان العرب لابن منظور المصرى قمة كتب اللغة ، جمع ما لم يجمعه كتاب قبله ولا بعده . انفرد بالشمول والإحاطة فى كل ناحية . لو جمع ما حواه من ألوان العلوم على انفراد لجاء كتبا ضخمة فى الحديث والتفسير والنحو ، والصرف والفقه والأدب .

أما ما نثره فى تضاعيفه من دواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين فهو كثير جدا . هو الكتاب الذى يتكىء عليه كل من حقق كتابا فى علوم العربية أو الشريعة ، لا يستغنى عنه محقق أو باحث . ولا يعدل غيره به .

ولما كان بهذه المنزلة كان تصحيحه مما يحتاج إلى بذل جهد ضخم ومصححين لهم دراية عميقة بعلوم العربية . يحتاج إلى جهد المحدث ، والمفسر ، والفقيه ، واللغوى والنحوى ، والراوية ، والأديب ، لهذا كان تصحيحه أمانة فى عنق هؤلاء جميعا .

أحضرت لمكتبتي مصورات لبعض الكتب اللغوية في القرنين الثالث والرابع ، وقت بتحقيقها . فكانت فرصة أتاحت لي الوقوف على بعض الأخطاء والتحريفات والنقص في بعض نصوص اللسان ، وها أنذا أدلي بما وقفت عليه .

(١) في اللسان (قط) : وأنشد ابن برى لأمية بن أبي الصلت :

قوم لهم ســـاحة العرا
ق جميعا والقط والقلم

ط بولاق جـ ٩ صـ ٢٥٨ س ٧ ، ط بيروت جـ ٧ صـ ٣٨٢ س ١١ ب [١] .

والبيت على هذه الرواية لا يستقيم له وزن ، وروايته في كتاب المذكر والمؤنث لابن الأنباري [٢] صـ ٢١٧ :

قوم لهم ساحة العراق إذا
ساروا جميعا والقط والقلم

وكذلك روى في سيرة ابن هشام مع آخر (انظر الروض الأنف جـ ١ صـ ٤٣) .

والبيت بهـــذه الرواية من أبيات صحة في ديوان أمية بن الصلت صـ ٦٠ ط بيروت .

(٢) بيت الشماخ :

وهن وقوف ينتظرن قضاءه
بضاحي عذاة أمره وهو ضامز

(١) الصفحة في طبعة بيروت تهران فرمزنا لها بألف ، ب .

(٢) نسخة بالتصوير الشمسي بمكتبتي .

يدور حديثه عن أتن تنتظر حارها الوحشى ليرد بها الماء .

الضاحي من الأرض : الظاهر البارز .

العذاة ، بالعين والذال المعجمة :
الأرض الطيبة التربة الكريمة النبت .

الضامز : الساكت .

(أمره) مفعول به للمصدر قضاءه . وإذا علق الجار والمجرور (بضاحي) بوقوف أو بالفعل (ينتظرن) كان فيه فصل بين العامل ومعموله بالأجنبي وهذا الذى رآه ابن الشجرى (الأمالي جـ ١ صـ ١٩١) .

أما ابن هشام فقد علق الجار والمجرور بنفس المصدر (قضاءه) حتى لا يفصل بين العامل ومعموله بالأجنبي (المغنى جـ ٢ صـ ١٢٥) .

وهذا البيت أصابته تحريفات كثيرة في كتب اللغة والنحو :

صحفت (عذاة) وهي بالعين المهملة والذال المعجمة إلى غداة ، بالغين والدال المهملة في طبعتي اللسان . ط بولاق جـ ٧ صـ ٢٣٢ س ٢٤ . ط بيروت جـ ٥ صـ ٣٦٥ س ٢٢ ب .

وكذلك وقع التحريف في نسخ المغنى لابن هشام وشراحه ، وعرفوها بأنها من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ، وكذلك في ديوان الشماخ صـ ٤٤ .

وجعلت (عداة) بالعين والدال المهملتين

فى أمالى ابن الشجرى وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى صـ ٣٠٣ :

ضبط (أمره) بالرفع فى طبعتى لسان العرب وهو منصوب ، وأخطأ شارح ديوان الشماخ ، لجعل (أمره) مضافا إليه ، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف وهو غداة . .

وحرف (ضامز) وهو بالزاى إلى (ضامر) بالراء فى شرح شواهد المغنى للسيوطى وذكر أبياتا أخرى من القصيدة وجعلها كلها بالراء المهملة وكذلك فى بعض نسخ المغنى .

والبيت من زائية الشماخ التى قال عنها الأصمعى : ما قيلت قصيدة على الزاى أجود من قصيدة الشماخ فى صفة القوس . انظر المقتضب جـ ١ صـ ١٥ - ١٦ .

(٣) فى اللسان (أمم) نقل عن الفراء وقد وقع فى النص تحريف وسقط يتبين ذلك بالرجوع إلى كتاب (معانى القرآن للفراء جـ ١ صـ ٧١ - ٧٢) .

التحريف : قال فى اللسان . « (أم) فى المعنى تكون ردآ على الاستفهام على جهتين : إحداهما أن تفارق معنى (أم) . الصواب : معنى أى .
أما الساقط فسنضعه بين معقوفين :

« وأما قوله (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) فإن شئت جعلته استفهاما مبتدأ قد سبقه كلام وإن شئت (قلت : قبله استفهام فرد عليه ، وهو قوله : (ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير) وكذلك قوله (ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار) فإن شئت جعلته استفهاما مبتدأ قد سبقه كلام وإن شئت جعلته مردوداً على قوله (ما لنا لا نرى رجالا) .

انظر اللسان ط بولاق جـ ١٤ صـ ٣٠٠ س ٢٤ ، و صـ ٣٠١ س ٤ ، ط بيروت جـ ١٢ صـ ٣٥ س ١٤ ا ، ٢٥ .

(٤) فى اللسان (سيد) نقل نصا عن ابن سيده فى أصل عين (سيد) .

ولما كان الأسلوب عليه مسحة أسلوب ابن جنى رجعت إلى الخصائص فوقفت على ماسقط من النص وإليك النص مصححا :

« فإن قيل : فإن سيدا مما يمكن أن يكون من باب ريح وريحة فهلا توقفت عن الحكم بكون عينه ياء لأنه لا يؤمن أن يكون من الواو (قيل : هذا الذى تقوله إنما تدعى فيه ألا يؤمن أن يكون من الواو) وأما الظاهر فهو ما تراه » .

(انظر الخصائص جـ ١ صـ ٢٥٢ . واللسان ط بولاق جـ ٤ صـ ٢١٧ س ١٧ ، ط بيروت جـ ٣ صـ ٢٢٢ س ١٣ ا) .

محمد عبد الخالق عضيمة

الوجيز في العسكرية الاسرائيلية

عرضه وتعليقه : للاستاذ يوسف عبد الهادي الشال

مؤلف هذا الكتاب اللواء الركن : محمود شيت خطاب . وهو مجموعة محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات الفلسطينية في معهد البحوث والدراسات العربية ، تناول فيها الجانب العسكرى وما يتصل به في إسرائيل .

ويشمل الكتاب على مقدمة واثنى عشر فصلا وخاتمة .

وفى المقدمة أوضح المؤلف العلاقة بين إحراز النصر ومعرفة العدو معرفة دقيقة تشمل العدد والسلاح ونوعية التدريبات وطبيعة الأرض التى يمكن أن تدور عليها المعركة مستندا إلى أوثق كتب التعبئة العسكرية المعتمدة التى تجمع على أنه ، يجب أن تبنى جميع الاستعدادات والخطط العسكرية على المعلومات الجيدة . فدائرة الأركان العامة — الدماغ المفكر للجيش — فى وزارة الدفاع مسئولة عن جمع المعلومات المتعلقة بقوات الدول الأجنبية كاملة وتجديد تلك المعلومات دائما لتكون على أحدث ما هى من استقاء المعلومات التى تبين عدد سكان الأقطار التى يحتمل أن تحارب فيها القوات . وسجايا أولئك السكان وسلاحهم وأيضا المعلومات المتعلقة بمصادر جميع دور الحرب التى يحتمل أن تكون فيها قواتنا ووسائل تنقلها وظاهرتها الطبيعية . وللمعلومات الطبيعية المفصلة المتعلقة بدار الحرب شأن خطير لأن عليها يتوقف تأليف قوة الميدان وتنظيمها .

وكل الكتب العسكرية تلح دائما وتلحف أبدا على ضرورة جمع المعلومات عن العدو لتوفير أول شروط النصر . وإلا فلا نصر على عــدو لا يعرف عنه الطرف الآخر شيئا مذكورا .

ولعل من أهم أسباب انتصار اسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ على العرب هو أن إسرائيل كانت تعرف أدق التفاصيل عن الجيوش العربية : عددها وتسليحها وتجهيزها وتدريبها وأساليب قتالها وقيادتها بينما لم يكن العرب يعرفون عن جيش إسرائيل إلا معلومات قليلة وسطحية .

وقد حذر المؤلف من خطأ شائع فى بعض الأذهان ، هذا الخطأ هـــو أن الصراحة فى الحديث عن إسرائيل مؤدية إلى زعزعة المعنويات وقد رد هذا الخطأ بقوله :

ولست أشك فى أن مصدر هذا الخطأ الشائع إن لم يكن إسرائيل ومن وراء إسرائيل من دول الاستعمار فإن تصديقه من مصلحة إسرائيل ومن يشايعونها ذلك لأن إسرائيل وأعداء العرب يريدون أن تبقى نواياهم العدوانية وأهدافهم ومخططاتهم مجهولة للعرب حتى يستطيعوا مباغتتهم فى الزمان والمكان المناسبين بمختلف القوى والأسلحة والمخططات المجهولة .

ثم أخذ المؤلف فى عرض الفصول التى رتبها ترتيباً متناسقا يسلم السابق منها إلى اللاحق، واستهل ذلك العرض بسؤال طرحه :

لماذا خلقت إسرائيل ؟ فبين كيف أقيمت كا بين مطامعها التوسعية على حساب الشعوب العربية كلها . وعلاقتها بالاستعمار ومدى خطورتها لا على العرب وحدهم بل على كل دولة تعادى الاستعمار ، عرض المؤلف كل ذلك فى استيعاب واف معززا ما يقرره بما جاء على ألسنة أقطاب الصهيونية وما تضمنته الكتب والنشرات الرسمية التى تصدرها الصهيونية منذ عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة « بال » بسويسرا إلى وقت صدور هـذا الكتاب ، ثم علل الدوافع التوسعية لإسرائيل وردها إلى أربعة عوامل :

١ — العامل العقدى الذى ينبع من صميم العقيدة ومن صلب الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية والذى يرتبط ارتباطا وثيقا بأسباب اختيار فلسطين وتشبثهم بها على أساس أنها الوطن القومى التاريخى للشعب اليهودى .

٢ — العامل الاقتصادى الذى تحتمه جغرافية الأرض المحتلة وحاجة إسرائيل الزراعية ومشاريعها لاستقدام المهاجرين اليهود .

وعلى هذين العاملين يقوم العاملان الآخران وهما العامل العسكرى والعامل السياسى .

فبالنسبة للعامل العسكرى فإن إسرائيل تهتم به اهتماما كبيرا لإحساسها بأنها معتدية ، وأن العرب مصرون على استعادة حقوقهم المغتصبة ، على أن طبيعة الحدود الإسرائيلية ومساحة الأرض المحتلة والتوزيع السكانى فيها وتطور الجيوش العربية كل ذلك يجعل العامل العسكرى حيويا فى نظر إسرائيل .

وبالنسبة للعامل السياسى فإنه يتمركز فى إجبار العرب على الصلح مع إسرائيل ورفع مكانتها السياسية بين الدول والدعاية المتشعبة الاتجاهات .

ثم تحدث عن الاستراتيجية الإسرائيلية التى تعتمد على نقل المعركة من أراضيها إلى

البلاد العربية حتى لا تتعرض للدمار لاحتمال هزيمتها فى الأيام الأولى من نشوب القتال بينها وبين العرب ، وذلك يجعلها حريصة على اختيار الوقت الذى تهاجم فيه والسلاح الذى تستعمله .

وقد لاحظ المؤلف أن ثمت ارتباطا وثيقا فى التوقيت بين الاعتداءات الإسرائيلية وعروضها للسلام ، وبين أن التظاهر بالسلام ما هو إلا وسيلة من وسائلها الكثيرة لتغطية نواياها العدوانية لأنها لا تؤمن بالسلام ولا تخضع لمنطقه .

ثم عرض أسلوب التعبئة العامة فى إسرائيل ونظام التجنيد والتسريح والاحتياط . وفى تناوله للقوات المسلحة الإسرائيلية رجع بها إلى الحرب العالمية الأولى إذ تطوع أكثر يهود فلسطين وحاربوا إلى جانب القوات البريطانية التى غزت فلسطين وحاربت قوات الدولة العثمانية .

ثم انتهز اليهود فرصة الحرب العالمية الثانية وشكلوا لواء يهوديا كان ضمن القوات البريطانية وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عاد معظم منتسبى اللواء اليهودى إلى فلسطين ليدربوا اليهود هناك وليكونوا نواة جيش الدفاع الإسرائيلى .

وبعد قيام إسرائيل تطور جيشها بسرعة فائقة ولا يزال يتطور حتى اليوم فى تنظيم شامل لأنواع الأعمال والخدمات العسكرية فى زمن السلم والحرب

ثم أخذ المؤلف فى بيان أنواع الخدمات والقوات المسلحة والمنظمات الوطنية بيانا أسلمه إلى الحديث عن تدريب القوات الإسرائيلية فى مختلف المستويات بحيث يبدأ التدريب لكل إسرائيلى عند بلوغه الخامسة عشرة ولا يتخلف عن هذا التدريب فرد فى إسرائيل إلا إذا كان مصابا بما يعجزه عن العمل أو كان ممن يستثنيه القانون وبالنسبة للمهاجرين الجدد فإن تدريبهم يبدأ من الثالثة عشرة مع حشد كل الطاقات المادية والمعنوية للإفادة منها فى الزمان والمكان المناسبين . وبعد الحديث عن أساليب القتال لدى القوات الإسرائيلية هجومياً ودفاعياً انتهى إلى أن الهجوم بالنسبة للقوات الإسرائيلية هو القاعدة وأن الدفاع هو الاستثناء مع الاهتمام بسير الاقتراب والانسحاب والمطاردة .

وانتقل المؤلف إلى الصواريخ التى تستعملها إسرائيل وهى الصاروخ الأمريكى «هوك» والصواريخ الفرنسية المضادة للدبابات ثم الصاروخ الإسرائيلى «شافيت» مبينـــا خصائصها ومميزاتها . ثم عرض السلاح الذرى لإسرائيل متتبعا المحاولات الذرية فيها منذ فجرت فرنسا قنبلتها الذرية فى فبراير ١٩٦٠ حيث استغلت إسرائيل حقد فرنسا

على العرب وزار بن غوريون فرنسا فى يونيو ١٩٦٠ كما زارها شمعون بيريس وكيل وزارة الدفاع الاسرائيلية وكان لتلك الزيارات علاقة وثيقة بمحاولات إسرائيل الحصول على السلاح الذرى إذ أكدت الأنباء ومنها ما نشرته « الديلى ميل » البريطانية فى ٢١ من ديسمبر ١٩٦٠ أن فرنسا زودت إسرائيل بمقدار من « البلوتونيوم » وبالأسرار الفنية اللازمة لصنع القنبلة الذرية وبالخبراء لإقامة الفرن الذرى الإسرائيلى وقد ثبت أن هذا الفرن كان يشرف على إنشائه علماء فرنسيون وأنهى هذا الفصل بالتساؤل عن أهداف إسرائيل من التسلح الذرى وواجب الدول العربية تجاه هذا التسلح وأحال الإجابة على كتابه « طريق النصر فى معركة الثأر » وكان المجال يقتضى الإجابة مهما كانت سريعة وتكون الإحالة لراغبى التوسع والمتخصصين .

وقد خص المؤلف الأسلحة الكيماوية والبيولوجية بفصل كامل ربط فيه ربطا وثيقا بين هذه الأسلحة ونفسية العدو وطبيعة الصهاينة الذين لا يؤمنون إلا بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة . فهم لا يتورعون عن استعمال أى سلاح مهما كان مدمراً فى سبيل تحقيق أهدافهم ، وهذه الأسلحة تلائم خطط العدو العسكرية فهو محاط بالدول العربية المعادية له من كل جانب لذلك لابد له من التفوق على العرب بأسلحة جديدة مدمرة ، وإسرائيل تعتمد على العلوم التطبيقية والتكنولوجيا ، فى جميع نواحى حياتها فلا بد أن تستعين بهذه العلوم لحل مشاكلها العسكرية ... وبعد هذا الربط عرض أسلحة التدمير الشامل التى تستخدمها إسرائيل وبين أنواعها ومواصفاتها .

وقال عن الأسلحة الكيماوية إنها أسلحة تعتمد على مواد كيمارية سامة وقد سميت فى الماضى بـ « الغازات السامة » ، أما الآن فتدعى بـ « العوامل الكيماوية السامة » ، وذلك لأن المواد الكيماوية السامة التى تستخدم كسلاح الآن هى ليست غازات فحسب بل هى مواد صلبة وسائلة أيضا وتدخل العوامل الكيماوية السامة بجميع أنواعها ضمن مجموع الأسلحة التى تستخدم لأغراض التدمير الشامل وأما الأسلحة البيولوجية فهى استخدام بعض الكائنات الحية أو سمومها لاشاعة المرض أو الموت فى القوى البشرية المعادية أو لاتلاف حيواناته ومحاصيله الزراعية وقد تكون هذه الكائنات الحية جراثيم مختلفة الأنواع أو حشرات وطفيليات . ومع تحريم اتفاقية « جنيف » عام ١٩٢٥ لهذا السلاح ومع أن دول العالم اتفقت بعد الحرب العالمية الأولى على تحريم الأسلحة الكيماوية إلا أن إسرائيل

لا تتورع عن استخدام مثل هذه الأسلحة وختم هذا الفصل بقوله :

وأخيرا فإن استخدام إسرائيل للسلاح « البيولوجي » هذا أكثر احتمالا من استخدامها الأسلحة النووية أو الإشعاعية وشبيه باحتمال استخدامها للسلاح الكيماوي غير أن مدى نجاحها في تحقيق الغرض الذي تسعى إليه من استخدام هذا السلاح أمر مشكوك إذ أن طبيعة أراضي البلاد العربية وظروفها المناخية قد تقلل من تأثيره إلى حد كبير ، ثم إن استخدام العدو لهذا السلاح لن يحقق له المباغتة ولا التأثير المعنوي اللذين يمكن أن تحدثهما أسلحة التدمير الشامل الأخرى فالأمة العربية قد اعتادت المرض على اختلاف أنواعه وصار لها بعض الإلمام بطرق الوقاية والمعالجة منه بل وشيء من المناعة أيضا ، ولا ريب في أن اتخاذ التدابير يساعدنا على تقليل تأثير السلاح البيولوجي وقيمته .

ثم انتقل إلى مصادر التسليح الإسرائيلي والصناعة الإسرائيلية للسلاح فذكر الدول التي تمد إسرائيل بالمساعدة والدعم في هذا المجال وأنواعه ومقادير الأسلحة والصناعات العسكرية وهذه الدول هي :

ألمانيا وأمريكا وفرنسا وبريطانيا وتشيكسلوفاكيا وإيطاليا وبلجيكا وسويسرا وكندا والسويد وجنوب أفريقيا وأسبانيا.

وبعد استيعاب لهذا الجانب المهم انتقل إلى الخاتمة التي ركز فيها على أن معرفة العدو يجب ألا تقتصر على العسكريين وحدهم بل يجب أن تشمل المواطنين جميعاً لأن الحرب الحديثة أصبحت حرباً عامة تقتضي حشد كل الطاقات المادية والمعنوية للشعب ولا يمكن إحراز النصر في مثل هذه الحرب بدون أن يكون الشعب كله لا الجيش وحده على مستوى مسئولياته المصيرية .

ومن الأمانة التنبيه إلى خطورة « التهوين » من شأن العدو وبخاصة قبل الحرب . إذ ذلك يؤدي إلى كوارث ماحقة . والذي حدث أن العرب استهانوا بإسرائيل وأضفوا عليها كل نعوت الضعف والهزال وأسبغوا على أنفسهم كل صفات القوة والمنعة . ومن الحصافة ألا نستهين بعدونا أبداً وأن نكون على درجة من الحذر واليقظة والحرص . وتطرق إلى مكامن الضعف في إسرائيل والتي ستسلمها إلى الانحلال عاجلا أو آجلا ولخصها في كثرة الأحزاب فيها وتفشي الانحلال الخلقي بين أبنائها وما يقسم به اليهود من مادية طاغية والتمييز العنصري داخلها وموقعها الجغرافي المحاط بالبلاد العربية المعادية لها . على أن الوقت مع العرب على إسرائيل لأن

العرب إذا ناموا ساعة فلن يناموا إلى قيام الساعة . ثم إن جيش إسرائيل نفسه يحمل جراثيم التلاشى . ذلك لأنه يعيش على انتصارات وقتية تبقى معنوياته مؤقته بها وستنهار معنوياته هذه إذا خسر معركة واحدة .

وأول خطوة يخطوها العرب فى طريق النصر هى إعادة النظر فى تربية النشء العربى ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم ديننا الحنيف وحضارتنا العريقة الأصيلة ، ونؤصل فى كيان كل فرد منا أن تفشى التردى الخلقى فى مجتمعاتنا لا يخدم أحداً غير إسرائيل وأعداء العرب وإعداد المعلم المسلم هو مفتاح الإصلاح التربوى .

وأهم ما يراه المؤلف بعد ذلك كفيلا بتحقيق النصر هو :

تصفية الجو العربى والعمل المخلص الأمين والتعاون مع المسلمين فى كل مكان وفى كافة المجالات ، وإنشاء صندوق ثابت لفلسطين لجمع الأموال اللازمة للجهود الحربى وتنسيق التعليم والسياسة والاقتصاد والإنتاج الحربى بين الدول العربية والتخطيط للاكتفاء الذاتى ووضع الوحدة العسكرية موضع التنفيذ وتقوية القيادة العربية الموحدة ماديا ومعنويا .

وللعرب عقيدة سماوية قادتهم إلى النصر ، فكانت انتصاراتهم انتصارات عقيدة لامراء ولما ضعف العرب صانتهم تلك العقيدة من التفسخ والانحلال ، وهذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ، العودة إلى الإسلام بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء .

وحينذاك سيقول اليهود عن العرب كما قال أسلافهم « إن فيها قوما جبارين » ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وانتهى الكتاب بثبت للمراجع العديدة عربية وأجنبية .

وحسب المؤلف أنه مزج ما قدم من معلومات دقيقة ودراسة مستوعبة بما لديه من رصيد الخبرة الطويلة والتجارب المتنوعة فى حياته العسكرية التى يضفى عليها الكثير من الإعجاب ، اعتزاز لا حد له ، بالإسلام عقيدة يؤمن بها ويعمل من أجلها ؟

يوسف عبد الهادى الشال



شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروى (١)

٣٩٦ — ٤٨١ هـ

حياته ومبادئه وجهاده وآراؤه

عرض وتعليق :

للأستاذ محيى الدين الألوائى

هذا الكتاب يحمل تاريخ حياة عالم من أجلة علماء الإسلام ، حاول أن يعود بالمسلمين إلى الحياة الإسلامية الناصعة ، وجاهد لإبراز شخصية الإسلام وذاتيته خالصة من آثار الخرافات ومن غبار الثقافات الدخيلة ، وعمل لصرف المسلمين عن التورط فى المجادلات النظرية العقيمة إلى العمل الجاد المثمر فى مجالات الحياة .

ودعا الشيخ الهروى فى مؤلفاته ومقالاته وخطبه ، المسلمين لأن يعودوا بشخصيتهم إلى عهود أسلافهم الذين حققوا العزة والكرامة بحياة السلوك العملى والمنهج القويم .

ويعتبر تاريخ حياة هذا المجاهد الإسلامى نبراسا للأمة الإسلامية فى هذه الفترة الحرجة التى يمر بها العالم العربى والإسلامى من جراء دسائس الصهيونية والاستعمار ، ضد العرب والمسلمين ، فى هذه الظروف الخطيرة التى يعملون فيها من أجل استرداد مقدساتهم وحقوقهم السليبة .

وقد قسم المؤلف كتابه الذى بلغ ٣٦٠ ص إلى مقدمة وستة فصول ، وبين فى المقدمة قيمة البحث وما يعود به على حياة الإنسان من خير . ورتب فصولها على النحو التالى :

١ - العصر الذى ولد فيه ونشأ الشيخ الهروى .

---

(١) تأليف : الدكتور محمد سعيد الأفغانى وتقديم : الدكتور عبد الحليم محمود ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة - ١٩٦٨ .

٢ - شرح حياته .

٣ - مؤلفاته .

٤ - مقارنة آرائه بآراء معاصريه من العلماء .

٥ - منهجه فى التصوف .

٦ - أثره فى المجتمع . ثم أردفها بذكر المراجع .

ولد أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى فى ولاية «هراة» بأفغانستان فى العصر الذى كانت فيه الاختلافات المذهبية على أشدها بين المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والجبرية والقدرية وغيرها من الفرق ، إلى حد رمى فيه بعضهم بعضا بالكفر والإلحاد . وصار عامة المسلمين فى حيرة ، وكاد أن يختار خاصتهم من العلماء المخلصين ، حياة العزلة والفرار بدينهم ، خوفا من الوقوع فى الفتن والانحراف عن الطريق السوى .

وقد أدرك عبد الله الأنصارى الهروى بثاقب فكره وقوة بصيرته ، أن العلاج الناجع لهـــذا الداء الوبيل هو الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح من تعاون وإخاء وتضامن ووفاء لأن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها .

ولو قرأنا حياة شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى نجد أنه شمر عن ساعد الجد وأخذ يعمل فى ميدانين رئيسيين لخدمة الأمة الإسلامية : أولا فى ميدان صرف المسلمين عن التورط والتعمق فى الجدل والمراء فى المسائل الفروعية ، ولم ير فيه إلا اتجاها خاطئا إلى التفرقة بين صفوف المسلمين وهم فى أشد الحاجة إلى الاتفاق والوئام . وثانيا فى ميدان إرجاع المسلمين إلى طريق السلوك العملى المبنى على كتاب الله وأسوة برسوله . وكان يذكرهم دائما بقوله تعالى : «إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم» ، وقوله أيضا «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما» .

وكانت خلاصة تعاليمه وزبدة تدريسه وبحثه وثقافته وفكره أن الحياة الروحية هى قوام الحياة المادية ، وأن حياة شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروى حياة علم من أعلام الإسلام الخالدين الذين ضحوا بأنفسهم ونفيسهم فى سبيل العقيدة والمبدأ بدون ملل ولا ضجر حتى لقوا الله راضين مرضيين .

محيى الدين الألوائى

أنباء وآراء

● قرر مجلس مجمع البحوث المنعقد يوم الأربعاء ٢٢ من شعبان ١٣٨٨ الموافق ٢ من نوفمبر ١٩٦٨ م ، تأليف وفد من العلماء من بين السادة : أعضاء مجلس المجمع وأعضاء المؤتمر الرابع برئاسة الإمام الأكبر لزيارة البلاد الإسلامية من أجل تدعيم الجهود التى تبذل لمناصرة الكفاح العربى ضد إسرائيل ماليا وسياسيا .

وقد صدر قرار المجمع هذا بناء على التوصية الثانية من توصيات الفترة الأولى لمؤتمر المجمع الرابع المنعقد فى رجب من هـذا العام وتنص على :

« أن المؤتمر إذ يقدر ما تقوم به الحكومات والشعوب الإسلامية من جهود حميدة فى سبيل الهدف المشترك - يوصى بالمزيد من هـذه الجهود والتنسيق بينها ، ليقف المسلمون صفا واحدا فى مواجهة الموقف الحاسم » .

وبناء على ذلك دعا المؤتمر إلى تأليف وفد للعمل على تنفيذ هذه التوصية لتوثيق عرى المودة والتآخى والتعاون الفعال بين البلاد الإسلامية تمهيدا لقيام الجامعة الإسلامية المنشودة .

ولقد كانت لفلسطين — بوجه خاص — أهميتها فى كل دورات المؤتمرات السابقة لمجمع البحوث الإسلامية ، وشغلت التوصيات بشأنها قرارات هامة على مستوى الصعيد الإسلامى العالمى .

● كان لبحث « التأمين » الذى ألقاه الأستاذ الشيخ على الخفيف عضو مجمع البحوث الإسلامية فى المؤتمر الثانى للمجمع (المحرم ١٣٨٥ - مايو ١٩٦٥) - دراسات مستفيضة :

فقد أحيل البحث إلى لجنة « البحوث الفقهية » برئاسة الشيخ محمد فرج السنهورى عضو المجمع ، وقد درسته اللجنة باستفاضة وتناولته من جميع جهاته : الشرعية والقانونية والاقتصادية — واتصلت فى دراستها هـذه بكبار رجال الفقه بجميع مذاهبه ، ورجال الاقتصاد . وانتهت إلى وضع تقرير بشأن ما توصلت إليه .

وقد قرر المؤتمر الثالث للمجمع طرح الموضوع على رجال الفقه فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، وأخذ رأيهم بشأنه قبل أن يصدر المجمع قراراً فيه.

وقد وصلت الأمانة العامة للمجمع بعض ردود الفقهاء. وهى محل نظر اللجنة.

وينتظر أن يكون للبت فى هذا الموضوع صدى عام فى جميع أنحاء العالم الإسلامى.

● لايزال موضوع «وضع بديل إسلامى للمصارف الحالية» محل دراسة من الدكتور محمد عبد الله العربى وكبار رجال القانون والاقتصاد فى الجمهورية العربية المتحدة طبقا للخطة التى وضعها مجلس مجمع البحوث الإسلامية لدراسة هذا الموضوع.

● توالى «السكرتارية الفنية» لمجمع البحوث الإسلامية نشاطها فى إبلاغ قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع للمجمع إلى الجهات المسئولة فى البلاد الإسلامية والعربية. وتتلقى الردود بشأنها.

● ينظر مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى التخطيط لتنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع للمجمع.

● يبلغ تعداد شعب فلسطين اليوم ٢٠٤٦٢،١٢٨ موزعه كالآتى :

الضفة الغربية	٧٥٠٫٠٠٠
قطاع غزة	٤٠٠٫٠٠٠
داخل المنطقة المحتلة قبل حرب يونيو	٢٨٠٫٠٠٠
البلاد العربية	٦٢٧٫٨٨٠
مناطق مختلفة من العالم	٥٠٫٠٠٠
نازحون	٣٥٤٫٢٤٨

* * *

فى نحو التاسعة من صباح ١٢ يونيه لقى الزيات ربه، ومات ـ رحمه الله ـ فى لحظة من لحظات وفائه النادر وزمالته الفذة، فقد كانت الأوراق التى يسطرها بين يديه تحتوى تأبينا للمغفور له الأمير مصطفى الشهابى آخر فقيد لمجمع اللغة العربية قبله ؛ فما هى إلا هنيهات حتى لحق به، ومات المؤبن مثلما مات المؤبن عقب زفرات معدودة انطلقت بعدها روح شابة لتلحق بالرفيق الأعلى، وسكن بعدها القلب الكبير وهدأ الفكر الخصيب وجفت الأنامل الساحرة، وشاء الله أن يتولى تأبين الأمير مصطفى الشهابى عضو آخر، وأن يؤبن الزيات الدكتور مهدى علام عضو مجمعى اللغة العربية والبحوث الإسلامية صباح الثلاثاء ٢٨ من شعبان ١٣٨٨ الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٦٨.

وقد أشار الأستاذ زكى المهندس الذى رأس حفل التأبين لغياب الدكتور طه حسين إلى الفترة التى انقضت بعد وفاة المغفور له مصطفى لطفى المنفلوطى، فافتقد الأدب العربى فيها أسلوبه نحو عشر سنين حتى برزت كتابات «الزيات» فملأت الفراغ وزادت عليه رونقا وهندسة وأصالة.

وكانت كلمة التأبين للاستاذ مهدى علام تحتوى مفاجأة تشعر بخسارة فادحة، فقد أعلن سيادته - مستندا فى إعلانه إلى مصدر وثيق الصلة بالمرحوم الزيات هو نجله الدكتور علاء الزيات - أن كتاب الزيات الذى تكلم عنه مرارا، وهو كتابه «عبقرية الإسلام» لا وجود لأصوله فى مكتبته وفقد معه آخر، ثم أكد سيادة الدكتور مهدى أن كتاب عبقرية الإسلام خط الزيات فيه وعرض بعضه من أصوله على أحد أصدقائه فقرأ منها.

وأذكر حديثا للاستاذ الزيات رحمه الله بشأن هذا الكتاب كان يتناول فيه مضمونه العام فى مكتبه بمجلة الأزهر فقال رحمه الله: إنه يدور حول أصول الإسلام الخمسة التى أوردها الحديث الشريف: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

* * *

كانت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد تستعد لإصدار كتاب يحوى رسائل الزيات. وإذا صدر هذا الكتاب سيكون أول كتاب يصدر بشأنه بعد وفاته. ولعل سيادتها توفق إلى العثور على أصول «عبقرية الإسلام».

* * *

بين يدى الرحمن

قصيدة بعث بها إلى مجلة الأزهر الأستاذ قاسم مظهر محمود نقتطف منها لمحته الصوفية الآتية:

بين يدى الرحمن

أحبك وارتوت روحى بحبك
وحبك صار لى الظل الظليلا
وما أسمى الحياة بنور قربك
وقربك بات لى الأمل الجميلا
ضياؤك يا ضياء العالمينا
يد تأسو جراح الحائرينا

على الخطيب

Zakat is also one way of preventing the spreading of principles that help make the poor grudge the rich their wealth and make them hate society. It is the means of establishing love and friendship amongst people, rich and poor alike, a feeling of cooperation.

Another important object of Zakat is the moral and psychological satisfaction that a person who pays gets through his fine gesture. He feels that he is contributing to the building of his society and to making its members happy and contented. By so doing he feels that he is freed from anxiety and confusion.

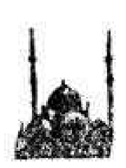
(Continued from page 12)

is the curse of God, and an enduring punishment." (Verse 68, Ch. 9)

« يوم يقول المنافقون والمنافقات الذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم ، فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب » . (الحديد ١٣)

It means : " One day will the Hypocrites-men and women-say to the Believers : " Wait for us ! Let us borrow (a light) from your Light ! " It will be said : " Turn ye back to your rear, then seek a light (where ye can)! " So a wall will be put up between them, with a gate therein. Within it will be Mercy throughout, and without it, all alongside, will be (wrath and) Punishment ! " (Verse 13, Ch. 57)

(to be Continued)



person who is not open to these - so that this Zakat is a purification to those who fast. Perhaps that is what is meant by the saying of the Prophet Muhammad : " Fasting in the month of Ramadhan lies suspended between the earth and Heaven. It is only raised to Heaven by Zakatul Fitr. "

It is also a duty binding upon every single person falling under the guidance of the faster, young or old. It is thus the Zakat of the body. It is a means of preserving the bodies of all who fulfill it, and of purifying and improving them.

As for benefits to society, we all realize that Zakat provides for the poor in a way that makes humility unnecessary on that day. Another benefit to society is that all, poor and rich alike, feel the general joy of that day. It is not for the rich only. Also, the poor person who receives alms feels rich on that day by receiving them. He, therefore, seeks ways of practising charity in himself and that day he feels that he too is a giver and takes delight in giving.

The object of Zakat is the good of the Islamic state, with all its individual members as well as the whole community, and its general welfare.

Concerning the individuals, Zakat has taken care of the poor and the needy and the wayfarers. As for the community, apart from the fact that the welfare of the individual reflects on the welfare of the community, it has another advantage relating to those who are in debt.

As regards the good of the state, this is realized through the insuring of a better life for all individuals through the laying aside of a sum of money to be spent in the way of God. It is an obvious fact that the welfare of the Islamic state is assured through the conservation of the religion of God and through those whose hearts are reconciled, who also reap the fruits of charity.

Poverty is definitely the biggest problem to confront the individual during his lifetime. Most states have to contend with this in varying ways. The poor man who lives in a rich community, whose individual members do not respond to him by giving to him so that he can live, feels deprived. From this feeling of deprivation is born the hatred of this community and its members. Most of the crimes committed by certain individuals are due to poverty. When the poor person feels that he is an outcast, this hatred for the rich man, who keeps his money back from him, grows.

وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون . (التوبة ٣٤-٣٥)

It means : "And those who hoard up gold and silver, and spend it not in the way of God, announce unto them a most grievous penalty ... On the Day when it will all be heated in the pyre of hell, and therefore heads, sides and backs will be branded therewith and they will be told : This is what you hoarded up for yourselves ; taste of that which you hoarded."

Zakat is divided into two main categories :

1 — Zakatul Fitr (i.e. the breaking of the fast at the end of Ramadhan). It is also referred to as the Zakat of the body.

2 — The Zakat of wealth.

Zakatul Fitr is a duty imposed on every Muslim who possesses the amount of Zakat after covering the expenses for food for himself, and whom he feeds for a day and a night, together with the expenditure which he incurs in relation to wife, children servants and those whom he has to provide for, such as parents and others.

The amount of Zakat from each individual is either a measure of dates, or barley, or rice, or corn, or anything else edible that can be used for food.

The Hanafi sect allows the person to pay in eash for Zakatul Fitr, indeed, considers that this is preferrable because it is more useful to the poor, since they know what they need most - it might be food and it might be medicine or clothes.

The time to bractise this Zakat is the end of Ramadhan. And it has to be fulfilled before going out to the prayers. It is permitted to offer it a day or two before that date, or even from the beginning of Ramadhan. It is definitely not permitted after the Prayer. Zakatul-Fitr does not become nullified if one is late in fulfilling it. It is still a duty for all Muslims. A man must fulfill it somehow, or else his account will be settled in relation to it, on the day when no repentance is accepted and no money is availabe.

Zakatul Fitr, has many uses and benefits for those who fulfill it and for society as a whole. The one who fulfills it is purified through it from that which might have soiled his fasting, such as vain acts or unseemly speech which he is required to abstain from, as he abstains from, eating or drinking, or lusts of the flesh and there is hardly a

ZAKATU'L FITR

BY : M. ABDEL MONEIM YOUNIS
Director of the Cultural Centre for Diplomats
Ministry of Culture, U. A. R.

Zakat is an obligatory duty imposed on Muslims all over the world. It is one of the most importand pillars on which the structure of Islam stands. The Prophet Muhammad (Prayers and God's Peace be upon him) mentions Zakat in one of his sayings as one of the five pillars of Islam : " Islam is built upon five pillars - testimony of belief in one God and Muhammad as His Prophet- prayers - Zakat - Fasting in the month of Ramadhan and the pilgrimage to Macca. "

For that reason, when the Prophet Muhammad sent his envoys to preach Islam, he advised them to call people to worship God and then to pay Zakat, taking from the rich to give to the poor.

Almighty God imposed Zakat on all Muslims and gave them orders regarding it in many verses of the Qur'an.

Zakat is mentioned in the Qur'an in some thirty-two verses. In most of them, it is coupled with prayers, and this emphasizes the importance which the Qur'an places upon Zakat.

God has promised all who fulfill Zakat great reward. This is illustrated in these verses :

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، هو خيراً وأعظم أجراً » (المزمل ٢٠)

It means : "And keep up regular prayers and pay Zakat and offer to God a goodly gift. Whatever good you send forth before you for your souls, you shall find it in God's Presence, better and greater in reward. "

What better reward is there than God's mercy :

As for those who refrain from charity and who do not practise Zakat, their punishment will be severe :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم

Pleasure of God : That is the supreme felicity."

(Verse 72, Ch. 9)

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

(النحل ٩٧)

It means : " Whoever works righteousness, man or woman, and has Faith, Verily, to him will we give a new life, a life that is good and pure, and We will bestow on such their reward according to the best of their actions."

(Verse 97, Ch. 16)

« إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً » .

(الاحزاب ٣٥)

It means : For Muslim men and women, — for believing men and momen, for devout men and women, for true men and women, for men and women who are patient and constant, for men and women who humble themselves, for men and women who give in charity, for men and women who fast (and deny themselves), for men and women who engage much in God's praise, — for them has God prepared forgiveness and great reward."

(Verse 35, Ch. 33)

« يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم » .

(الحديد ١٢)

It means : "One Day shalt thou see the believing men and the believing women-how their Light runs forward before them and by their right hands ; (their greeting will be) : " Good News for you this Day ! Gardens beneath which flow rivers ! To dwell therein for aye ! This is indeed the highest Achievement ! "

(Verses 12 Ch. 57)

e) God threatens to punish those who do bad ; He does not differentiate between man and woman:

« وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم » .

(التوبة ٦٨)

It means : " God hath promised the Hypocrites men and women, and the rejecters of Faith, the fire of Hell : Therein shall they dwell : Sufficient is it for them ; for them

(Continued on page 16)

a punishment by wy of example, from God for their crime : and God is exalted in power."

(Verse 38, Ch. 5)

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزانى لا ينكح إلا زانية أومشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين . (النور ٢ ، ٣)

It means : "The woman and the man guilty of adultery of fornication, - flog each of them with a hundred stripes ; let not compassion move you in their case, in a matter prescribed by God, if ye believe in God and the Last Day ; and let a party of the believers witness their punishment." "Let no man guilty of adultery of fornication marry any but a woman similarly guilty, or an Unbeliever ; nor let any but such a man or an Unbeliever marry such a woman ; to the Believers such a thing is forbidden."

(Verses 2 & 3, Ch. 24)

d) God promises rewards to the doers of the good and makes it clear that woman, as well as man, is included :

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا فى سبيلى ، وقاتلوا وقتلوا ، لأكفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ثواباً من عند الله ، والله عنده حسن الثواب » .

(آل عمران ١٩٥)

It means : "And their Lord that accepeted of them, and answered them : Never will I suffer to be lost the work of any of you, be he male or female : ye are members, of one another ; those who have left their homes, or been driven out therefrom, or suffered harm in my cause, or fought or been slain, — verily, I will blot out from them their inquities, and admit them into Gardens with rivers flowing beneath; — a reward from the Presence of God, and from His presence is the best of rewards."

(Verse 195, Ch. 3)

« وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم » . (التوبة ٧٢)

It means : "God hath promised to believers, men and women, Gardens under which rivers flow, to dwell therein, and beautiful mansions in Gardens of everlasting bliss But the greatest bliss is the good

« يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينك في معروف ، فبايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » .

(الممتحنة ١٢)

It means : "O Prophet ! When beleiving women come to thee to take the oath of fealty to thee, that they will not associate in worship any other thing whatever with God, that they will not steal, that they will not commit adultery (or fornication), that they will not kill their children, that they will not utter slander, intentionally forging falsehood, and that they will not disobey thee in any just matter then do thou receive their fealty, and pray to God for the forgiveness (of their sins) : for God is Oft-Forgiving, Most Merciful."

(Vers 12, Ch. 60)

c) Woman has to face her fate if she commits a crime in the same way a man has to :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، جزاء بما كسبا ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » .

(المائدة ٣٨)

It means : "As to the theif male or female, cut off their hands :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين ، وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين » .

(التحريم ١٠ - ١١)

It means : "God sets forth, for an example to the Unbelievers, the wife of Noah and the wife of Lut : They were (respectively) under two of our righteous servants, but they were false to their (husbands), and they prophited nothing before God on their account, but were told : "Enter ye the Fire along with others that enter !" "And God sets forth as an example to those who believe, the wife of Pharoah : Behold she said : "O my Lord ! Build for me, in nearness to Thee, a mansion in the Garden, save me from the Pharoah and his doings, and save me from those that do wrong."

(Verses 10 & 11, Ch. 66)

b) Woman has the right to give a pledge separate from that given by man ; this means that she has an independent identity in the Islamic teachings :

WOMAN'S POSITION IN ISLAM-II

BY : DR. AHMAD I. MOHANNA

Woman and Man are Equal

Islam restored the status of woman as a respected member of human society, equal to her male brother. Reading the Holy Qur'an we find this equality spoken of as an undisputed fact :

1 — Both man and woman are needed for procreation. Both are necessary for us to exist :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . . . » (الحجرات ١٣)

It means : "O mankind ! We created you from a single (pair) of a male and a female . . . "
(Verse 13, Ch. 49)

Furthermore, the first man and the first woman were created of the same nature :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..... » (النساء ١)

"It means : "O mankind ! reverence your Guardian - Lord, who created you from a single person, created, of like nature, his mate, and from them twain scattered (like seeds) countless men and women.."
(Verse 1, Ch. 4)

2 — A daughter is considered a a gift from Almighty God and before Him, she is the same as a son :

« لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور .. » (الشورى ٤٩)

It means : "To God belongs the dominion of the heavens and earth. He creates what He wills (and plans). He bestows (children) male or female according to His Will (and plan)." (Verse 49, Ch. 42)

3 — Woman is an independent and responsible agent in the same way a man is. The following items illustrate this independence and responsibility :

a) A believing woman will be safe even if she is married to a disbelieving husband ; on the other hand, a disbelieving woman will be in danger even if she is married to a prophet of God :

In order to avoid the least semblance of high-handedness, no Muslim was allowed to acquire the land of 'Zimmi' even by purchase. "Neither the Imam nor the Sultan could dispossess a Zimmi of his property".

The Muslims and the Zimmis were absolutely equal in the eye of the law. "Their blood", said Ali the Caliph, "Was like our blood". Many modern governments, not excepting some of the most civilised, may take Muslim administration for their model. In the punishment of crimes there was no difference between the rulers and the ruled. Islam's law is that if a Zimmi is killed by a Muslim, the latter is liable to the same penalty reverse case.

In their anxiety for the welfare of the non-Muslim subjects the Caliphs of Bagdad, like their rivals of Cordova, created a spcial department charged with protection of the Zimmis and the safeguarding of their interests". *

The central point of the message of the Prophet was the doctrine of 'Unity of God and equality of mankind'. Islam inculcated this principle among people, and it allowed the widest scope to the human conscience. Islam brought to them practical equality in the eye of the law.

Consequently, wherever the Muslim preacher appeared, he was hailed by the masses and the persecuted classes as the harbinger of freedom and emancipation from inhuman bondages. An examination of the governmental system of the early Caliphates brings into view a clear idea of the latitude of human rights in the Islamic law. The law was the same for the poor as for the rich, for the man in power as for the labourer in the field. The tribunals were not dependent on the government, their decisions were supreme ; the early Caliphs could not assume the power of pardoning those whom the regular tribunals had condemned.

Islam gave to the world a code of laws which was capable of the greatest development in accordance with the progress of material civilisation, based on a just appreciation of human duties and human rights.

---

* The Spirit of Islam.

name of religion, no faith is more tolerant than Islam to the followers of other creeds. Reasons of state' have led a sovereign here and there to display a certain degree of intolerance, or to insist upon a certain uniformity of faith; but the system itself has ever maintained the most complete tolerance. Christians and Jews, as a rule, have never been molested in the exercise of their religion, or constrained to change their faith. If they are required to pay a special tax, it is in lieu of military service, and it is but right that those who enjoy the protection of the state should contribute in some shape to the public burdens. Towords the idolators there was greater strictness in theory, but in practise the law was equally liberal. If at any time they were treated with harshness, the cause is to be found in the passions of the ruler or the population. The religions element was used only as a pretext.

"... Has any conquering race or faith given to its subject nationalities a nobler guarantee than is to be found in the following words of the Prophet? " To (the Christians of) Najran and the neighbouring territories, the security of God and the pledge of His Prophet are extended for their lives, iheir religion and their property to the present as well as the absent and others besides; there shall be no interference with (the practice of) their faith or their observance; nor any change in their rights or privileges; no bishop shall be removed from his bisphopric; nor any monk from his manastery, nor any priest from his priesthood, and they shall continue to enjoy every thing great and small as heretofore; no image or cross shall be destroyed; they shall not oppress or be oppressed; they shall not practise the rights of blood vengeance as in the Days of Ignorance; no tithes shall be levied from them nor shall they be required to furnish provisions for the troops."

" The best testimony to the toleration of the early Muslim government is furnished by the Christians themselves. In the Regin of Osman (the third Caliph) the Christian Patriarch of Merv, addressed the Bishop of Fars, named Simeon, in the following terms:

" The Arabs who have been given by God the kingdom (of the earth) do not attack the Christian faith; on the contrary they help us in our religion, they respect our God and our Saints and bestow gifts on our Churches and monasteries ".

homes without the leave of the lord, and they were bond, at all times, to render him gratuitous services. If the lord's son or daughter married they must cheerfully pay their contributions. But when the freeman's daughter married she must first submit to an infamous outrage — and not even the hishop, the servaut of Christ, when he happend to be lord of the manor, would waive the atrocious privilege of barbarism. Death even had no solace for these poor victims of barbarism. Living, they were subject to the inhumanities of man; dead, they were doomed to eternal perdition; there was no room for his poor body in consecrated ground; he could only be smuggled away in the dead of night and buried in some unhallowed spot with a stake through his body as a warning to others".

"Such was the terrible misery which hung over the people! But the baron in his hall, the bishop in his palace, the priest in his cloister, little recked they of the sufferings of the masses. The clouds of night had gathered over the fairest portion of Europe and Africa. Everywhere the will of the strongest was the measure of law and right. The Church afforded no help to the downtrodden and oppressed. Its teachings were opposed to the enfranchisement of the human race from the rule of brute force."

"The non - Christians - Jews, heritics, or pagans — enjoyed, under christian domination a fitful existance. It was a matter of chance whether they would be massacred or reduced to slavery. Rights they had none; enough if they were suffered to exist. If a christian contracted an illicit union withe a non-christian, — a lawful union was out of the question — he was burnt to death. The Jews might not eat or drink or sit at the same table with the christians, nor dress like them. Their children were liable to be torn from their arms, their goods plundered, at the will of the baron or bishop, or a frenzied populace".

"... The essence of the political character of Islam is to be found in the charter, which was granted to the Jews by the prophet after his arrival in Medinah and the notable message sent to the christians of Najrân and the neighbouring territories after Islam had fully established itself in peninsula. This latter document has, for the most part, furnished the guiding principle to all Muslim rulers in their mode of dealing with their non - Muslim subjects and if they have departed from it in any instance the cause is to be found in the character of the particular sovereign. If we separate the political necesstty which has often spoken and acted in the

slavery. Both classes of slaves, with their families, and their goods and chattels, belonged to the lord of the soil, who could deal with them at his own free will and pleasure. In latter times the serfs or villeins were either annexed to the manor, and wore bought and sold with the land to which they belonged, or were annexed to the person ot the lord, and were transferable from one owner to another.

They could not leave their lord without his permission, and if they ran away, or were purloined from him, might be claimed and recovered be action, like beasts or other chattels. They held, indeed, small portions of land by way of sustaining themselves and their families, but it was at the mere will of the lord, who might disposses them whenever he pleased. A villein could acquire no property, either in lands or goods; but if he purchased either, the lord might enter upon them, oust the villein, and seize them to his own use".

" . . . The horrors of the Middle Passage, the sufferings of the poor negroes in the southern states of north America before the war of emancipation the cruelties practised by the Sudanese slave — lifters, give us some conception of the terrible sufferings of the slave under Christaine domination at the time when Islam was first promulgated, and until the close of the fifteenth century.

[In the first Parliamentary War waged against Charles I, we find both sides selling their opponents as slaves to the colonists. After the suppression of the Duke of Monmouth's rebellion all his followers were sold into slavery].

And even after the lapse of almost two thousand years of Christ's reign, we still find Christians lashing to death helpless women, imprisoned for real or imaginary political offences by one of the most powerful empires of the civilised world".

"The condition of the so-called freemen was nowise better than that of the ordinary serfs. If they wanted to part with their lands, they must pay a fine to the lord of the manor. If they wanted to by any, they must likewise pay a fine.

They could not take by succession any property until they had paid a heavy duty. They could not grind their corn or make their bread without paying a share to the lord. They could not harwest their crops before the Church had first appropriated its tenth, the king his twentieth, the courtiers their smaller shares. They could not leave their

one human community is an essential part of Islamic faith. God says :

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ».

It means : "Lo (o mankind) ! This your community is one community. And I am your Lord. So keep your duty unto Me." (23 : 52)

The above principles of human relations apply to states and governments in the same way they apply to individuals and communities. In fact what an individual is required to do is also expected from a community as represented in the state. Islam, therefore, recognised human co-operation and communal amity as the spring of human brotherhood and world understanding. It also condemns the attempt of the developed people or country for the domination over backward people or countries. In this way Islam called to sweep away all artificial differences and factions from the human community.

Examining the influence of Islam on collective humanity and on the destiny of mankind, the great scholar and the learned author, Ameer Ali explains the state of things existed in the world until the prophet Muhammad proclaimed the practical equality of mankind and broken the chains which had held in bond the nations of the earth to pieces. He abolished every privilege of caste and emancipated labour : "In the west, as in the east, the condition of the masses was so miserable as to defy description. They possessed no civil rights or political privileges. These were the monopoly of the rich and powerful, or of the sacerdotal classes, the law was not the same for the weak and the strong, the rich and the poor, the great and the lowly. In Sassanide Persia, the priests and the landed proprietors, the 'Dehkans', enjoyed all power and influence, and the wealth of the country was centred in their hands. The peasantry, and the poorer classes generally, were ground to the earth under a lawless despotism. In the Byzantine Empire, the clergy and the great magnates, courtezans, and other nameless ministrants to the vices of caesar and proconsul, were the happy possessors of wealth, influence, and power. The people grovelled in the most abject misery. In the barbaric kingdoms in fact, wherever feudalism had established itself - by far the largest proportion of the population were either serfs or slaves.

Villeinege or serfdom was the ordinary status of the peasantry. At first there was little distinction between praedial and domestic

foster dignity and self - respect in the hearts of its followers and educates them to respect dignity and honour of others. This honour is due for his humanity and not because of his colour, race or soicial status. to make distinction between people according their colcur or race is the fundamental cause of crisis on this earth. There could be no justice and peace in this world without respect for human dignity in every man and on every land. The Quran declares this basic principle in the following verse :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير عن خلقنا تفضيلا » .

It means : "Verily We have honoured the children of Adam and We carry them on the land and sea, and have made provision of good things for them, and have preferred them above many of those whom We have created with a marked preferment". (17 : 70) . It is a com, mon privilege for all people.

4 — Human freedom. Islam has totaly rejected any kind of compulsion as means of driving people to embrace a certain religion, faith or doctrine. Forbidding such compulsion God says in His Holy Book :

«أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين».

It means : "Would you compel people until they are believers." (10 : 99). It has ensured all the human freedoms, namely those of faith, speech, work and residence. The general human brotherhood was recommended by Islam as means of conduct among people of different religions, races and lands. The Quran has also strictly forbidden any interference in the affairs of non-Muslims in an Islamic state, and guaranteed their liberties in all walks of life :

«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين»

It means : "Allah forbids not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Lo ! Allah loves the just dealers". (60 : 8)

5 — Human unity. By strictly forbidding any kind of compulsion in faith, doctrine or work, by establishing necessity of believe in all prophets imperatively, and by calling the people to work for communal amity and harmony, Islam aims at establishing human brotherhood and human unity in the world. The following Quranic verse emphasises that the believe in one God and

tongues of the people, despite their common parentage, are of the signs of God in the universe and its aspects :

« ومن آياته خلق السماوات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم »

It means : " And of His signs is the creation of heavens and the earth and the difference of your languages and colours ". (30 : 22)

This difference would not clash with the principle of unity of mankind nor should it be the cause of conflict but rather of acquaintance with each other and of mutual friendship. God says :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »

It means : "And We have made you nations and tribes that you may know one another". (49 : 13)

Islam promulgated the rules and laws of individual, social, national and international relations in the following cardinal principles :

1 — Human equality. The Holy Qur'an declared in clear verses that the ultimate purpose of differences among people, in races and tribes, is the acquaintance of them with each other and promotion of understanding and co-operation among individuals and socities. This acquaintance and co-operation could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. Among the causes of human miseries in our contemporary age is unjust fanaticism and racial discrimination in the human treatment and understanding. Islam, therefore, announced the principle of relations and co-operation among people in the following words :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

It means : "Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and agression". (5 : 2)

2 — Justice. Justice is the only criterion whereby Islam regulates relations between people in both peace and war times. It is the dominant feature of Islam in its relations with friendly or hostile people. The Holy Qur'an has stressed this ideal principle in the following verse :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

It means : "Let not hatred of any people seduce you that deal not justice. Do justice that is nearer to your duty (towards Allah)." (5 : 8)

3 — Human dignity. Islam through its principles and teachings

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

Shawwâl 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	December 1968

In the Context of the 20th Anniversary of the Universal Declaration of Human Rights

ISLAM AND HUMAN RIGHTS

BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

Islam organises the course of Human relations on the basis of 'Common Origin' of all mankind. It condemns any form of discrimination whether it is class division or racial prejudices between man and man. The Holy Qur'an, the eternal miracle of Islam declares that all people are one community ; they emanate from one origin and share the same end though they differ in races, colours, tongues, tribes or nations. The Holy Qur'an says :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء »

It means : "O mankind ! Be careful of your duty to your lord who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women " (4 : 1)

The theory of common origin of mankind was stressed by the Prophet :

« كلكم لآدم وآدم من تراب » .

(You all are Adam's offspring, and Adam is of earth)

The differences of people, in colour, tongue, tribes and races are due to different areas and climates. The creation of earth and the skies and the difference of colours and

الفهرس

English Section

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء التاسع - السنة الأربعون - ذي القعدة سنة ١٣٨٨ هـ - يناير سنة ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم والعمل في ميزان الإيمان

للأستاذ عبد الرحيم فوده

قيمة العلم في العمل بمقتضاه والسير على هداه ، فإذا كان مجرد قضايا تعرض وحقائق تدرس . وقواعد تدرك فهو مما استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع . بل هو مما يغضب الله . ويستوجب مقته كما يفهم من قوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » وقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

صحيح أن للعلم قيمة ذاتية عظيمة ، وأن الله آثر الإنسان على غيره بالخلافة في الأرض لهذه القيمة العظيمة التي تفضل بها عليه ، ولكنه يفقد قيمته إذا لم يكن طاقة دافعة إلى العمل . وقوة محركة في الإنتاج ، وحافزا موجها إلى الخير . ولا يكون كذلك ما لم يقم على الإيمان الصحيح بالله . والشعور الصادق بأن التوفيق منه ، وأن الهدى هداه ، فقد يكون معه الضلال كما يفهم من قوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » ، وقد يكون الشر في الشعور به والاغترار بسلطانه كما يفهم من قول قارون لقومه : « إنما أوتيته على علم عندي » ، وقول الله في شأنه :

«فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين».

وقد يقع العلم من بعض النفوس كما يقول بعض الحكماء: العلم كالغيث إن أصاب نبتاً حلو الطعم زاده حلاوة، وإن أصاب نبتاً مر الطعم زاده مرارة، ولكن هذا العلم الذى يزيد المر مرارة ليس مما نزل به وحى أو بعث به نبى، فقد بعث الله الأنبياء بالهدى ودين الحق، وكانوا كما يقول الله: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، ثم كان الإسلام وكان القرآن كما يقول: يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين».

فالإيمان هو الأساس الذى يستقيم عليه اتجاه العلم، ويضمن به خيره، ويؤمن به شره، فإنه كما يقول الله: «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» ثم هو الطاقة الكبرى التى تدفع إلى العلم والعمل والجهاد والحياة الطيبة كما يفهم من قول الله جل شأنه: «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون»، وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم ذلك حيث قال: (ليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل) وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة تحسب لهم، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله، وكذبوا ... لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل، فإن ذلك يفهم منه أن الإيمان لا يكون بمجرد تخيل الأمانى، وتمنى الحصول عليها بغير الأسباب الموصلة إليها، ولكن الإيمان الحقيق بأن يطلق عليه اسم الإيمـــان هو ما استقر فى قلب المؤمن وطمأن إليه، وحرص عليه، وتأثر به، فكان عمله موافقا له، مطابقا لتوجيهه، مصدقا لوجوده ودعوى اعتقاده، وهو بهذه المثابة يكون عقيدة تعمر القلب وعملا يعمر الحياة، وخلقا يرضى الله.

ثم إن العمل الذى لا يقوم على الإيمان لا يسمى عملا صالحا مهما يكن أثره وخطره وقد مثله الله بالسراب، «يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا»، وبالرماد تعصف به الريح فإذا هو هباء فى الفضاء «لا يقدرون مما كسبوا على شىء»، وبالتراب على حجر أملس يصيبه المطر فيزول ولا يبقى له أثر «فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا».

فالعمل دون إيمان لا قيمة له عند الله، كما يفهم من ذلك ومن قوله جل شأنه: «قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا».

نسأل الله أن يعمر قلوبنا بالإيمان القوى وعقولنا بالعلم النافع، وحياتنا بالعمل الصالح، إنه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير؟

عبد الرحيم فوده

نفحات الله

للدكتور عفيفي عبد الفتاح

« إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ، فتعرضوا لها »

ما أشبه الحياة الروحية بحياة الطبيعة ، فاذا كان لهذه وقت تعانى فيه الجفاف والقحل، فيأتى آخر فى أعجازه يحين فيه ازدهارها، فيشيع النبت ، وتينع الزهور . وتتفتق البراعم : وتبرز الثمار من أكمامها ، فتأخذ الأرض بزينتها فكذلك الحياة الروحية: فبينا النفوس خامدة والأرواح هامدة : إذ يعرض لها مد من ألطاف الله ، وفضل من نعمه ، فتسبح فى ملكوت الصفاء ، وترقى فى مدارج الخير الأثير عند المصطفين الأخيار والعباد المكرمين .

وكما جعل الله فى حياة الطبيعة آيات وأمارات بشائر لزهرتها ، وبوادر لنضرتها، فقد جعل للحياة الروحية ، من سوانح تجلياته ولوائح إشراقاته ، مخايل لرفعتها ، ودلائل لانتشائها وسعادتها .

وإذا كان الناس يرقبون ، بفؤاد فارغ ، ربيع الطبيعة ، فيشيمون البرق . ويتوسمون السحب ، ليستشرفوا من خلالها أمداد الغيث ، فالمؤمنون الكيسون يرقبون ، فى لهف وشغف ، ربيع القلوب ، فينتظرون طلائعه وينتهزون فرصه ، لينتهبوا منها أمداد الغوث .

ذلك أن أفضال الله سابقة على عباده ، وآلاءه محيطة بهم ، يقـــوم بها أودهم ، وينتظم عليها وجودهم ، ولكن منها نوافل منح وهبات ، وخصائص ألطاف وعنايات تصدر عن محض الإحسان ، وتنبع من فيض الجود ، يخص بها من شاء متى شاء .

إنها نفحات وفيوضات ، أشبه بتيارات تعرض لماما فى مدار الزمن ، فتحيي الموات فى الأرض، وتغمر النفوس بالمرح والنشوة ، وتبعث الحياة والأمل فى القلوب .

وإنها شواهد بأن الله لطيف بعباده ، بار بخلقه ، أكثر من بر الوالدة بواحدها ، وبأن عطاء الجواد يتجدد ولا ينفد ، « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وفى الحديث القدسى : (ياعبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى ، فأعطيت كل سائل ما بلغت أمنيته ، ما نقص ذلك من ملكى شيئا) .

وقد ندبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى التعرض لهذه النفحات، وإلى التماس مواقيتها التي جعل منها معالم للخير ومواسم للبر ومعارج لحياة الأرواح.

ذلك لأنها مظاهر لتجلياته الكريمة ومطالع لإشراقاته الرحيمة.

وقد نبهنا الشارع إلى مظانها في الأيام الفضلى كليلة القدر وليلة البراءة (ليلة نصف شعبان) ويوم عرفه وشهر رمضان وأيام الأعياد والجمع وأوقات السحر وغير أولئك مما تتعرف عليه من أدب الحديث وحديث السنة.

وله سبحانه أن يصطفى ما شاء من أيام الناس ليرفع فيها درجات العاملين ويضاعف من ثواب المجاهدين، وأن يصطنع من الناس من يوفق إلى التماس المواقيت واغتنام مواسم النفحات.

وقد نهتدى لها بإعداد النفوس لتلقيها وتهيأتها لتأتيها. وذلك بتطهيرها من زيغ الشيطان ونزغه وتقويمها بذكر الله في صنعته، وشكره على نعمته. وقد قامت رسالة الأنبياء والفلاسفة والحكماء على وضع وعرض مناهج هذا الإعداد، يتهيجون به للنفوس الفضيلة، ويبتغون بها إلى الله الوسيلة.

على أن خير معوان لذلك أن نلجأ إلى الله بالرجاء ونخلص إليه في الدعاء. فالدعاء جماع كل تقوى وملاك كل سعادة، هو في ظاهره طلب وفي جوهره إذعان بالحاجة، وإيمان بمن يكفيها. وقد أمرنا الله أن نستهديه فيما يحزب، ونستعين به فيما نطلب، ودعانا سبحانا لدعائه، فقال: «ادعوا ربكم تضرعا وخفية»، ووعد الداعى بالاستجابة فقال: «ادعونى أستجب لكم»، وقال «أجيب دعوة الداع إذا دعان».

وأعلمنا أن الدعاء يرفع الضر والبلاء فقال «فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا». وقال: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء» وورد في الآثار «إن الدعاء والبلاء ليعتلجان إلى يوم القيامة» وفيه أيضا: سلو الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل.

وبعد فإن الله أعد للمحسنين الحسنى وزيادة ووعد العاملين أجرا يضاعفه، وإنه فضلا عن ذلك يعرض علينا - في هدى رسوله - سباتا جوائزه فيوضات ممدودة، ونوافل غير معدودة، يفوز بها من راض نفسه لهذا السباق فسعى ودعا ومن نقب على خزائن أفضال الله ونفحاته، فتلمس مفاتيحها وتحسس أبوابها

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون؟

د — عفيفى عبد الفتاح

الدّين ... والتّديّن

للدكتور محمد بيصار

سادت المجتمعات البدائية الأولى نظم دينية قامت على أساس من الخرافة والأسطورة ، ولعبت دورها الفعال فى حياة هذه المجتمعات وأثرت إلى حد كبير فى بنيانها الاجتماعى والسياسى والفكرى والاقتصادى مما أدى إلى ظهور حضارات عند هذه الجماعات أصدق ما توصف به أنها انعكاسات لمعتقداتهم الدينية وطقوسهم وشعائرهم التى يمارسونها فى هذه الديانة أو تلك . يتمثل لنا هذا فى وضوح وجلاء عند الأمم البدائية عامة وعند أمم الشرق القديمة التى قامت بها حضارات بجانب ما لها من ديانات وفلسفات خاصة مثل المصريين القدماء والهنود والفرس والصينيين والإغريق القدماء وما إلى ذلك من ديانات وحضارات .

وإذا كان تكييف الدين عند الأمم البدائية لحياة المجتمع بالغ الأثر ، قوى النفوذ فى توجيهها وفى تكوين عاداتها وتقاليدها وفى تحديدها للقيم ومفاهيم الأشياء ، فإنه يكون أعمق أثراً وأشد فاعلية وأوسع نفوذاً ، إذا كان مستندا ، لا إلى خرافة أو أسطورة أو تصور ساذج أو فكرة بلهاء ، وإنما إلى وحى سماوى معصوم ، وتعليم إلهى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالدين كظاهرة اجتماعية لا يخلو منه مجتمع من المجتمعات الإنسانية ، أعم من أن يكون دينا صحيحا أو فاسدا حقا أو باطلا ، مصدره التصور الإنسانى الخاطىء المنحرف أو المصدر السماوى عن طريق الوحى المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى .

فلا تلازم إذن بين التدين وبين الاعتقاد بفكرة الألوهية . ويعنى أن بعض المجتمعات تدين بدين ما كضرورة اجتماعية لابد منها لحياة المجتمع ولكنها مع ذلك لا تؤمن بوجود إله ، وحتى إذا آمنت به ربما أخطأت فى تكييفه وتحديد ما هيته فصورته تصويرا فسيولوجيا خاطئا . كما نجده فى كثير من الأمم وعند كثير من الجماعات البشرية الأولى ، بل والراهنة فى العصور الحديثة والمعاصرة . فهناك فريق من الناس ينكر أن فكرة التدين قديمة بقدم الإنسان على وجه الأرض ، ويرى أنها استحدثت على يد الإنسان نفسه وفى عصور متأخرة عن نشأته الأولى ، حيث كانت الإنسانية تحيا قبل ذلك على أسس

مادية صرفة قوامها الفنون الجميلة كالنحت والتصوير والبناء دون أن تتجه بتفكيرها إلى الدين أو تحاول أن تشكل لنفسها طقسا من طقوسه أو معتقدا من معتقداته . ولم تكن فكرة الدين فى نظر هؤلاء إلا اختراعا من رجال الدين والكهنة والقساوسة . ذهب إلى هذا « فولتير » كما ذهب إليه « جان جاك روسو » الذى قرر فى نظرية « العقد الاجتماعى » أن القانون لم يوضع إلا لخدمة مصالح الفئة الغالبة من الناس والسيطرة على الفئة المغلوبة وسلبها كل حق فى الحيـــاة ومقوماتها الضرورية .

فالدين فى نظر هؤلاء ليس إلا أداة لتدعيم سلطان النظم الظالمة التى تنكر حقوق الإنسان فى صورته الفردية أو الجماعية وتقوية نفوذها على الضعفاء والمظلومين والتسلح بها من الساسة والحاكمين لتسخير الناس لمشيئتهم . وهذا فى نظر هـذا الفريق ـ هو الذى حمل بعض هؤلاء الساسة والمفكرين على تزييف فكرة الدين وإيقاع الناس فى دائرة التوهم بأن هناك قوة سماوية عليا أزلية تهيمن بمالها من سلطان مطلق ونفوذ لا يحد وقدرة لا تطاول على كل ما فى الوجود .

وبعد هذا الشوط البعيد فى إنكار حقيقة الدين . فإن ما ذهب إليـــه هؤلاء لم يسفر عن إنكار الدين ـ كحقيقة اجتماعية ـ بالله .

وإنما يشكك فى قدم نشأته فى الأدوار الأولى من أدوار التطور الاجتماعى . ويظهر أن هذه الآراء كانت انعكاسا واقعيا ، وأثرا نفسيا وفكريا للصورة التى كان عليها رجال الأديان فى المجتمعات التى نشأت فيها هذه الآراء سواء على يد « فولتير » أو « روسو » أو غيرهما من كتاب الثورة الفرنسية ، حيث كانت منحرفة عن حقائق الأديان الصحيحة ، وظهرت فى شكل جنـوح عن مقومات العبادات الروحية السليمة واستغلال الدين كسلطة لها نفوذها فى المجتمعات تقاوم بهـا الحركات التحررية والثورات الشعبية التى كثرت حينذاك بين جماهير هذه الجماعات ضد ما ساد من حكم مستبد وإقطاع مستغل وطبقية ظالمـة .

وهنا وجدت انفصالية بين الأديان ورجالها من جهة وبين الشعوب وأمانيها من جهة أخرى ، مما ولد إنكار الأديان وجحودها فى نفوس هؤلاء الكتاب الذين سطروا بأقلامهم أمانى شعوبهم وحملوا على أسنتهـا مطالبهم الإنسانية العادلة إلى كل من رجال الدين ورجال السياسة على السـواء .

وإلا فالحقيقة التى لا تقبل الجدل أن الدين ظاهرة إنسانية قديمة النشأة وأن اعتناقه من الجماعات البشرية منذ عهدها الأول بالحياة ، وعلى وجه أى وجه وفى صورة أية صورة ،

حقيقة تاريخية لا مرية فيها . لذلك لم تستطع جماعة إنسانية أن تنفصل عنها فى أى طور من أطوارها لا قديما ولا حديثا لأنها مقتضى الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

ولهذا جاءت شهادة تاريخ الأديان ناطقة بأن الظواهر الدينية قد صبغت بطابعها كل مظاهر النشاط الاجتماعى خاصة عند الأمم القديمة .

غير أنه من الضرورى أن نشير إلى أن لزوم ظاهرة التدين لحياة الجماعات لا يعنى أنها واحدة فى الجماعات الإنسانية على اختلافها وإنما تختلف الظواهر الدينية فى جماعة عنها فى أخرى سواء فى عقائدها أو طقوسها وشعائرها عامة ، تبعا لاختلاف العصور واختلاف التصور للحياة وقيمها رقياً وانحطاطا على ما سيأتى بيانه بعد .

يسوقنا هذا الاختلاف فى الظاهرة الدينية إلى العلاقة الوطيدة بين الدين والبيئة ، ومدى ما لكل منهما من التأثير فى الآخر أو التأثر به .

فالبيئة الطبيعية أو البيئة الاجتماعية أو الاقتصادية كثيراً ما يؤثر كل منها أو هى جميعها فى الدين كما أشار إليه (منتسكيو) و « رينان » و « فريزر » وغيرهم . يقول أولهم : « عندما تصطدم الديانة القائمة على طبيعة مناخ خاص اصطداما شديدا بمناخ قطر آخر فإنها لا تستطيع الاستقرار فيه » .

ويقول ثانيهم : « إن التوحيد وليد الصحراء » ويقول ثالثهم : « إننا لم نكن فى وقت ما أشد اقتناعا منا اليوم بأن الدين قد خضع كباقى النظم الأخرى لتأثير العوامل الطبيعية المحيطة به » . وقد يكون هذا الرأى إلى حد ما صحيحا ومنطبقا على بعض مظاهر الدين فى جماعة من الجماعات ، ولكنه لا ينبغى أن يعمم أو يؤخذ على إطلاقه فما لا شك فيه أن عبادة الأصنام عند العرب نشأت فى أول أمرها عن بعض العادات التى كانت سائدة عند عرب الجاهلية وأخذت شكل ظاهرة اجتماعية وهى ظاهرة « الميل إلى التنبؤ » .

وقد تواترت هذه الظاهرة وتلقتها الجماعة جيلا بعد جيل وفى كل أدوارها تقوى وتنمو ، ويتركز الاعتقاد فيها فى قلوب الناس ويرسخ فى أذهانهم حتى اتخذوا الأصنام طريقا لمعرفة تنبؤاتهم واستخدموها فى الكشف عن المستقبل المخبوء والغيب المكنون والمعد لهم فى أشعارهم أو خلف تصرفاتهم .

ثم ما لبث أن أضفى عليها شىء من القداسة والرهبة اللتان تستوجبان نحس من يخرج على هذه الأصنام وإصابته بأنواع البلاء وكبريات المصائب . وبتوالى الزمن التقت كل هذه التصورات وكونت فكرة عامة يشترك فيها أفراد المجتمع — هو

تقديس هذه الأصنام - الذى سرعان ما انتهى بهم إلى تأليهها وعبادتها .

وكذلك قرر العلماء أن المناخ الحار يؤدى إلى إضعاف حركة الإنسان بما ينتج عادة الديانات واستقرارها على نحو ما كانت عليه ديانات الشرق القديم . بخلاف المناخ البارد فإنه ينشط الحركة فى الإنسان ليحصل الدفء لنفسه فتكثر عدد الجماعات الدينية المعنية بالتأمل كلما ازدادوا بحركتهم دفئا . وينتج عن هذا قبول ديانات سكان المناطق الشمالية للتغير أكثر من قبولها للثبات والاستقرار .

هذا من ناحية تأثير البيئة فى الدين . أما من ناحية تأثير الدين فى البيئة فأمر مفروغ منه ومتفق عليه بل يكون تأثير الدين بها أشد وأعمق فاعلية . ضرورة أن البيئة هى التى يظهر فيها الدين ، وبعد أن يكتسب الدين من البيئة مظهره الروحى وقبوله الاجتماعى فيصبح قوة ملزمة ومؤثرة وموجهة للجماعة ولكل فرد من أفرادها ، يعود بدوره فيؤثر فى البيئة التى عاصر فيها ويغير كثيرا من وجوه الحياة فيها . حتى تصبح هذه الجماعة وقد التقت مع تعاليم ذلك الدين وسارت فى وفاق مع قوانينه فى نظامها الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، فى تقاليدها وعاداتها فى تصورها للحياة فى كل مفاهيمها وقيمها . هذا على وجه إجمالى هو ما يراه هؤلاء العلماء الثلاثة وغيرهم من أساطين الفكر الغربى فى صلة الدين بالبيئة وعلاقة كل منهما بالآخر .

غير أننا كما قلنا سابقا - لا نوافقهم على إطلاق هذا الرأى أو تعميمه ، على كل جيل بصفة عامة . ولكننا نرى فرقا كبيرا فى هذا بين الديانات الوضعية والديانات السماوية مما يضطرنا إلى شىء من الإيضاح والإسهاب إزالة لما قد يلتبس على بعض الأفهام من أن الديانات حتى ما هو سماوى منها إنما هى من صنع البيئة وانعكاس طبيعى لها مما لا يتفق مع الواقع ولا يصيب الحقيقة فى قليل أو كثير .

إن هذا الرأى الذى جرى عليه هؤلاء الفلاسفة وتبعهم فيه بعض علماء الاجتماع ربما يصدق إلى حد كبير وفى صورة واقعة ملموسة فى الديانات الوضعية التى لم تنبع عن مصدر سماوى ولم يجىء بها وحى إلهى وإنما كانت انطباعات لمشاعر المجتمع وانعكاسات لما قد يشيع فيه من تقاليد وعادات وتصورات أو صورا حية لبنيته الطبيعية .

إلا أن هذا لا يصدق ولا يمكن أن يصح فيما يتعلق بالديانات السماوية التى تلقاها الناس على لسان رسل الله إليهم وعن طريق الوحى المعصوم .

ذلك أن هذه الديانات السماوية ليست من صنع الإنسان ولا من عمل البيئة ولا من خلق المجتمع بحيث تكون عرضة للخطأ والصواب ، وعرضة للتغيير والتبديل بتغيير هذه البيئة أو تلك . وإنما هي تنزيل من حكيم حميد يبلغها رسول أمين لا ينطق عن الهوى .

ولهذا كانت لهــــذه الديانات السماوية الفاعلية المطلقة في المجتمعات التي تنزل عليها . والتأثير البالغ في حياتها تأثيرا تقدميا يهدف إلى إرشادها وهدايتها وترقية تصورها وإدراكها لكل الحقائق إلهية كانت أو كونية لتصل بالأولى إلى تقويم ذاتيتها وتكميل وجودها ، وبالثانية إلى سد حاجاتها الحيوية وضروراتها المادية ، مما يعود عليها وعلى أفرادها بأسعد الخيرات وأوفر البركات وأهنأ الحياة .

ويجدر بنا أن ننبه هنا إلى أمر هام وهو أن هذه الديانات السماوية وإن لم تتأثر في ذاتها وحقيقتها بعمل البيئة أو الجماعة ولم تغفل عما يسودها من عادات وتقاليد ، ولكن مفاهيمها ومعانيها قد تتأثر إلى حــــد كبير بالبيئة أو الجماعة بحيث تكون المحاولة الإنسانية لفهمها وتصورها منطبعة غالبا بعوامل البيئة أو بالتقاليد والعادات التي تسيطر على المجتمع وتستبد بتفكيره وتوجه تصوراته لكل شيء حتى للحقائق الدينية .

وهنا يحصل شيء من التغيير أو التطوير في المفاهيم الدينية أو في المدركات الدينية ، إلا أن ذلك لا يكون في هذه المفاهيم ذاتها وحقيقتها ، وإنما في محاولاتنا الإنسانية لفهمها وتصورها ، وبعبارة أخرى في شرحنا وتفسيرنا لها ، مما هو عمل إنساني بحت ، ولهذا كان قابلا للصواب والخطأ ، للتغيير والتبديل باعتباره جهدا وعملا إنسانيا قد يطابق ما جاء به المعنى والوجه الذي أراده الله في دينه ، وقد لا يطابقه .

ولعل هذا هو الذي التبس على القائلين بتأثر الدين بالبيئة أو بالمجتمع الذي نزل له ، فإن كان ذلك ما أرادوا فهم على جانب كبير من الصواب ، وإلا فهم على خطأ فاحش وشطط بالغ . على أن هناك مسألة أخرى لا ينبغي إغفالها في هذا الصدد وهي فطرية الدين وغرس نزعته في طبائع الناس على ما تقرر في الديانات السماوية وعلى الأخص الدين الإسلامي ، فمع اعتبارنا لذلك يكون النزوع إلى التدين والاعتقاد بإله أمر ناشيء عن طبيعة الإنسان وملازم له لا ينفك عنه إلا بتأثير بعض عوامل البيئة أو المجتمع أو التربية إلى غير ذلك من مؤثرات قد تحول

بين المرء وبين ممارسة مقتضى فطرته وعندئذ ينحرف عن الدين الصحيح والعقيدة الحقة، ومن هذه الزاوية يمكن القول بأنه ما دام الدين فطريا فى الإنسان مغروسا فى جبلته وطبعه، وما دامت الجماعة ليست إلا عددا من الأفراد، فإذن يمكن أن يتأثر الدين بالجماعة من هذه الناحية حيث يكون حينئذ انعكاسا لما استقر فى فطرتها وفى طبيعة أفرادها، فيكون الدين على هذا ظاهرة اجتماعية انبعثت من طبيعة المجتمع، وهذا فى جملته صحيح وحق، ولكن التفاصيل التى تأتى بها الأديان فى تشريعاتها وأحكامها ووصاياها، وفى تعاليمها يحتاج المرء فيها إلى مصدر خارج عن عقله وطبيعته، ضرورة اختلاف الناس فى تصوراتهم، وفى مبلغ إدراكهم، وفى القدرة على ممارسة ملكاتهم الفكرية.

ومن هنا كانت الحاجة إلى السماء كمصدر مأمول وإلى رسول مبلغ وشارح وموضح وإلى وحى معصوم يقوم بمهمة التبليغ بين الله ورسله، ويناط به رفع الحواجز والعوائق التى تحول بين الناس وبين المعتقد الصحيح أو السلوك القويم؟ (يتبع)

د. محمد بيصار

«مكارم الأخلاق»

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها: أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكراً، ونطقى ذكرا، ونظرى عبرا».

تحقيقات في المعجزة والكرامة والسحر

للأستاذ مصطفى الطير

أيها القارئ الكريم

أكتب إليك هذا البحث لتعرف منه حدود المعجزة والكرامة، فتثبت به فؤادك وتقوى به إيمانك بالرسل عليهم الصلاة والسلام، وتعرف لذوى الكرامات من أهل التقوى أقدارهم، وقد بينا لك فيه أيضاً حقيقة السحر وحكمه من الناحية الشرعية لتعرفه وتفرق بينه وبين المعجزة والكرامة وتبتعد عن مزاولته حتى لا تزل بك قدم بعد ثبوتها والله الهادى إلى سواء السبيل.

(المعجزة)

المعجزة أمر خارق للعادة يفوق طاقة البشر جميعا حتى الأنبياء، يظهره الله على يد بعض عباده من ذوى الأخلاق الفاضلة، والعقول الكاملة، تأييداً له فى دعواه الرسالة عنه تعالى، مقرون بالتحدى للبشر أن يأتوا بمثله فإذا لم يستطع أحد أن يأتى بمثله، فإن ظهوره على يد مدعى الرسالة دليل على صدقه فى دعواه أنه يبلغ عن الله، وموجب لتصديقه والإيمان به وبما دعاهم إليه، لأنه يستند إلى هذه المعجزة فى صدق دعواه الرسالة عنه تعالى، فإذا أظهرها الله على يديه فكأنه يقول صدق عبدى فيما يبلغه عنى فآمنوا به، فإنه مثلكم لا يستطيع أن يأتى بهذه المعجزة التى لا يمكن صدورها عن البشر، وإنما تصدر عنى لتأييد من أرسلته إليكم، ويستحيل على الله أن يؤيد كاذبا، فإن تأييد الكاذب كذب، وهو محال على الله تعالى.

وإن مثل ذلك فى الدلالة على الصدق والتأييد كمثل رجل ادعى أنه موفد من الملك لقوم فى أمر من الأمور، فلما تشككوا فيما يدعيه أبرز لهم كتابا عليه توقيع الملك وخاتمه وقد جاء فى هذا الكتاب أن هذا الرجل رسوله إليهم فى الأمر المذكور، وأن عليهم أن يطيعوه فيما كلفهم به عن طريقه، فإذا فعل ذلك كان ما فعله برهانا على صدقه ووجوب الاستجابة إلى ما طلبه منهم باسم هذا الملك.

وقد فهم من التعريف السابق أن المعجزة فوق طاقة البشر حتى الأنبياء، وأنها ظهرت على أيديهم بفعل الله تأييداً لهم، فهى لا تتأتى

عن طريق ممارسة علوم ومزاولة أسباب يمكن تعاطيها ، وإنما يكون ذلك فى السحر فإن له أسبابا وقواعد يمكن تعلمها . فلكون المعجزة فوق مقدور البشر يجب الإيمان بمن ظهرت على يده لأنها صادرة عن الله مصدقة له ، وهذا هو الذى استبان لسحرة فرعون لما ابتلعت سحرهم عصا موسى ، فاندفعوا إلى الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم .

روى أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا ، فكانت حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا ، فأمر الله موسى أن يلقى عصاه فصارت حية وتلقفت ما يأفكون . ثم رفعها موسى فعادت عصا كما كانت وأعدم الله تلك الأجرام العظام أو فرقها أجزاء لطيفة ، فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين » ولما رآهم فرعون يؤمنون بالحق هددهم فقال كما قص الله فى سورة الأعراف « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين » ولكنهم لم يكترثوا بهذا التهديد بعد ما عرفوا الحق وميزوا بين السحر الذى يتأتى بتعلم قواعده ، وبين المعجزة التى هى منحة تأييدية من الله تعالى لأنبيائه ليس لها أسباب وقواعد يمكن تعلمها ، فلهذا قالوا لفرعون كما جاء فى الأعراف « إنا إلى ربنا منقلبون ، وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » وكما جاء فى سورة طه « لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض » الآيات .

ولابد فى المعجزة أن توافق الدعوى ، فلو قال مدعى الرسالة معجزتى أن أحيى ميتا ثم أتى بخارق آخر كنتق الجبل لم يدل ذلك على صدقه ، ولابد فيها أن تكون غير مكذبة لدعواه ، كما إذا قال معجزتى أن ينطق هذا الضب فنطق وقال إنه كاذب فإنه لا يكون رسولا بل كذابا وكما فعل مسيلمة الكذاب حين تفل فى بئر قليلة الماء ليزيد ماؤها فزال الماء ولم يبق فيها منه شىء .

ومعجزة كل نبى تتفق مع حال أمته ، فلئلا كان عصر موسى يمتاز بالسحر فجاءت معجزته العصا للقضاء على السحر ، وكذا فى آياته التسع جاءت عالية فوق مستوى السحر وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وخروج يده من جيبه بيضاء من غير سوء وأخذ آل فرعون بالسنين ونقص الأموال والأنفس والثمرات . ولكن أعلاها هى العصا فهى عماد رسالته لأنها القاضية على سحرهم .

ومعجزة عيسى إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله وإخبارهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ، وكانت معجزته كذلك لأن أمته كان ينتشر فيها الطب والأطباء فجاءت علاجية فوق مستوى علاج الأطباء إذهم لا يقدرون على إحياء الموتى ولا على شفاء الأكمه وهو من ولد أعمى ، ولا الأبرص وهو من بجلده بياض قد ينتهى إلى الجذام ، وكل ذلك يتم على يد عيسى بمجرد اللمس أو دعاء الله تعالى ، دون أن يستعمل عقارا كالأطباء .

أما معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى فقد كانت علمية لتناسب العصر الذى بعث فيه ، فقد شب الجنس البشرى عن الطوق وتقدم العلم والفصاحة والأدب فى عهده فكان عماد معجزاته القرآن الكريم الذى ارتقى فى مجال العلم والتشريع والفصاحة والبلاغة ومناهج السلوك والآداب الرفيعة فوق طاقة البشر من أهل عصره ومن بعدهم إلى يوم القيامة فلو لم يكن له معجزة سواه لقامت به حجة الله على خلقه أعظم من أى معجزة سبقت لنبى قبله ، فليس أعلى من مرتبة العلم الذى جاء القرآن دستورا له ، وأساسا لتشريعاته ونواميسه ، لكن الله تعالى أكرمه بمعجزتين أخريين : أخلاقه الشريفة التى لم يصل إلى مثلها بشر ، والمعجزات الكونية التى أظهرها الله على يديه وقد فاقت ما سبقها من المعجزات الكونية التى ظهرت على أيدى الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وبهاتين المعجزتين مع القرآن الكريم اكتملت للنبى صلى الله عليه وسلم ثلاث معجزات ، وسنتكلم عليها فيما يلى فى إيجاز وتيسير على القراء .

(معجزة القرآن)

القرآن العظيم هو كتاب الله القائم على تلك السموات والأرض خلقا وملكا وتصرفا ، نزل به جبريل عليه السلام بلفظه العربى على محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس بلفظه الذى تلقاه من جبريل ، وليس له فيه إلا تبليغه كما أنزل عليه ، وبيان المراد منه بالقول والفعل ، وليس فى استطاعته صلى الله عليه وسلم ولا فى استطاعة غيره من البلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثله « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

والقرآن معجز بنظمه الرائع الخلاب ، وبأسلوبه الرائق الجذاب ، وبتميز كل سورة فيه عن الأخرى بنظمها وأسلوبها وجرسها ، وباشتماله من ضروب الهداية على أعلاها ، ومن بليغ التأثير على القلوب والأرواح على أوفاه وأسماه ، وبتشريعاته الصالحة لكل زمان ومكان ، المتناولة لكل أحداث الحياة

وعوارضها ، حتى قال ابن عباس لو ضاع منى عقال لوجدتها فى القرآن .

والقرآن معجز بما اشتمل عليه من الأخلاق الزكية التى يفوح عبيرها فيعطر الأفئدة والأرواح ، وبما جاء فيه من العلوم الكونية والمخترعات يشير إليها إشارة موجزة ، ولا يفصح عنها إفصاحا شارحا ، حتى لا يشتغل الناس فى أول عهدهم بالدين بتلك العلوم والمخترعات فينصرفوا بها عن الدين ، أو يتشككوا فيما كان منها فوق المدارك فى فجر الإسلام ، حتى إذا طهرت عقائدهم ، وزكت بقواعد الإسلام وشرائعه وآدابه نفوسهم ، وتمكنت تعاليمه من قلوبهم وأرواحهم استنبطوا منه على ممر الأحقاب ما أشار إليه من العلوم الكونية فى أمن وسلام من الانحراف عن الدين .

والقرآن معجز بما اشتمل عليه من أنباء الأمم الماضية ، وبالإخبار عن الغيوب المستقبلة التى حدث بعضها مصدقا له . وسيحدث غيرها ، وكفاه شرفا أنه أبطل عبادة الأوثان ، ونادى بوحدة الديان ، ووجه القلوب إلى اليوم الآخر ليحذروا الحساب فيه ، ونزه الرحمن عن اتخاذ الزوجة والأولاد ولو أن هذا القرآن العظيم جاء به نبى يقرأ ويكتب ، ويجالس علماء أهل الكتاب ويبحث معهم ويناظرهم لكان آية على صدقه ، ولما كان لقاؤه لهؤلاء سببا لرفضه ، فإنه فاق مقدرة أهل الثقافة والعرفان وتجاوز حدود الكتب السماوية السابقة وفاقها ، وصحح منها ما غيره أصحابها وبدلوه ، ونفى عن الأنبياء ما ألصقوه بهم من المعاصى ونفى عن الله النقائص التى التاثت بها كتبهم وأفئدتهم .

فإذا جاء به نبى لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يعرف عنه الجلوس إلى علماء أهل الكتاب فإن دلالته على صدقه فى دعوى النبوة أقوى قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » إذ أن أميته هذه أقوى دلالة على أن القرآن من عند الله مما لو كان يقرأ ويكتب ، فإن ذلك قد يكون مصدراً لتشكك المعاندين المبطلين ، إذ يقولون إنه قرأ الكتب السماوية وألف من مضامينها هذا القرآن بفصاحته وبلاغته ، وإن كان قولهم هذا باطلا ، لأنه فوق قدرة البشر مجتمعين ومنفردين مثقفين وأميين ، فإن القرآن لايزال إلى الآن يتحدى البشر أن يأتوا بسورة مثله ، ولم يستطع أحد أن يقضى على هذا التحدى حتى الآن ، ولن يستطيع إلى يوم القيامة .

وقد أعجبنى قول بعضهم : إن هذا القرآن لو وجد مكتوبا فى مصحف فى فلاة ، وظفر به من يحسن قراءته ولم يعلم من جاء به فإنه

يقطع بأنه من عند الله وأن البشر لا قدرة لهم على الإتيان بمثله ، فكيف إذا جاء به أصدق الخلق وقال إنه من عند الله تعالى ، وحسبنا فى موضوع إعجاز القرآن هذا القدر إذ لا يتسع هذا البحث لأكثر منه .

معجزة أخلاقه الشريفة :

لو أن رجلا فى مثل أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم التى لازمته من الطفولة حتى لقى الله تعالى، أقول لو أن رجلا كذلك دعا الناس إلى مثل ما دعاهم إليه ، ولم يأتهم بمعجزات تؤيده لحكم عقلاؤهم أنه صادق فى تبليغه عن ربه ، لأن مثله فى أخلاقه لا يكذب فيما ادعاه فكيف وقد انضم إلى أخلاقه معجزة القرآن والمعجزات الكونية .

وحسبك فى كمال أخلاقه أن يقول الله تعالى فيه : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

وقد جاء كل رسول قبله بمبادئ خلقية رشيدة ، فلما جاء محمد بالهدى كان من أصله أن يتمم مكارم الأخلاق التى جاء بها الرسل قبله ، قال صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وقد كانت أخلاقه الشريفة ذاتية ومنحة إلهية ، فلم تحدث له بممارسة رياضة أو بالاقتداء بغيره ، وقد استمرت الأخلاق الربانية ترد على قلبه حتى وصل منها إلى أسمى غاية .

وبهذه الأخلاق الفاضلة ساس العرب واحتمل جفاء طباعهم وصبر على أذاهم حتى انقادوا له واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبناءهم ، وهجروا فى سبيله أوطانهم وأحباءهم وبذلوا مهجهم وأرواحهم ولم يكن له فى سياسة الأمم سابق ممارسة ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين حتى يقال إنه نسج على منوالهم وذلك شاهد بأنها هبة الله له نشأت معه منذ صباه كأساس لما ينتظره من الرسالة العامة لهداية البشرية .

ومن أخلاقه الذكية ماروته السيدة عائشة أنه لم « يكن فاحشا ولا متفحشا ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح » .

ومن أخلاقه أنه لم يسأل عن شىء إلا أعطاه ما لم يسأل مأثما ، وأنه ما انتقم لنفسه ممن أساء إليه إلا أن تنتهك حرمات الله ، فينتقم بها لله ، وقد اتسع صدره للمنافقين الذين كانوا يؤذونه إذا غاب ويتملقونه إذا حضر ، مع أن مثل ذلك ينفر القلوب ، وعفا عن اليهودية التى سمته فى الشاة ، وأنه كان متواضعا حسن العشرة ، وكان يوصى بأن لا يمدحوه كما مدحت النصارى عيسى ، ويقول إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله .

ومن أخلاقه أنه كان لا ينهر خادما ، قال أنس : « خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط ، ولا قال لشىء صنعته لم صنعته ، ولا لشىء تركته لم تركته »

فهل فى الدنيا كلها من تتسع طباعه وينفسح حلمه إلى هذا الحد .

وسئلت عائشة كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خلا فى بيته ، قالت : ألين الناس بساما لم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه . وكان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرفع دلوه ويحلب شاته ويخدم نفسه ، وكان يتعاون مع الصحابة وقت العمل ، ومن ذلك أنه أمر أصحابه بإعداد شاة للطعام وجعل على نفسه جمع الحطب ، فقال أصحابه نحن نكفيك العمل ، فقال : قد علمت أنكم تكفوننى ، ولكنى أكره أن أتميز عنكم ، وإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه .

ولما جاء وفد نجاشى الحبشة إليه كان صلى الله عليه وسلم يقوم بخدمتهم ، فلما قال له أصحابه نكفيك قال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وأنا أحب أن أكافئهم ، وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم فقال: اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة .

إلى غير ذلك من أخلاقه الشريفة التى يحتاج استيعابها إلى سجل كبير ، وكان أبرز أخلاقه الصدق والأمانة والزهد فى الدنيا مع قدرته عليها فأما الصدق الذى لازمه منذ صباه فهو موجب أساسى لتصديقه فى نبوته ، فإنه لم يكن ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله كما قال هرقل عظيم الروم لأبى سفيان ، وأما الأمانة التى نشأ عليها فهى أساسية أيضا فى الاطمئنان إلى صدقه فمن لا يخون الناس فإنه لا يخون ربه بأن يدعى الرسالة وهو غير رسول ، أو أن يزيد أو ينقص فيما كلف بتبليغه وأما زهده فى الدنيا مع قدرته عليها، فهو من أعظم الآيات على أنه لم يطلب برسالته رفاهية ولا رغدا من العيش ولا جاها فى الحياة ولا منفعة لآل بيته ، روى مسلم فى صحيحه (ماشبع آل محمد يومين من خبز البر إلا وأحدهما تمر) .

وكانت عائشة تقول لعروة بن الزبير (والله يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال . قلت يا خالة فما كان يعيشكم ، قالت : الأسودان التمر والماء) إلى آخر الحديث ، رواه البخارى ومسلم .

وكانت الأموال تأتيه من عماله فيؤثر بها أصحابه على نفسه ولا يأخذ إلا بمقدار الضرورة ولا شك أن هذه الأخلاق الزكية من أعظم آيات رسالته صلى الله عليه وسلم ، ولا قدرة لأحد على أن يتخلق بها جميعا على النحو الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(يتبع)

مصطفى الطير

نفحات القرآن

حضارة الإسلام تمحو شوائب الجاهلية

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(ا) ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه

(ب) وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم

(جـ) وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ...

آية - ٤ - أحزاب

١ — كان لأهل الجاهلية تقاليد يلتزمونها بالوراثة عن آبائهم ، كما لو كانت دينا يقدسونه ولما جاء الاسلام أقر منها ما يرتضيه ، ودمجه فى مناهجه ، وصار مطبوعا بطابعه التشريعى ، وكان بعض التقاليد على غير جادة هذا الدين ... فلم يكن بد من تصحيح الوضع فيه ... وتهيئته للمجتمع الجديد حتى تكون حضارته قائمة على ركائز لا تميد ... وتكون الجماعة المسلمة سائرة فى دنياها ، دون تعثر منها فى ظلمات الجهل أو تلوث بشوائب الأباطيل .

° ° °

٢ — وفى هذه الآية التى معنا يشرف بنا القرآن على أمور ثلاثة من تراث الجاهلية ، ويتناولها بالإنكار - ويبعدها عن مجاله الثقافى ، والاجتماعى ، حتى لا تجنح إليها عقليتنا الإسلامية فيما نأخذ به من تفكير ، أو تشريع .

الأمر الأول - كان من الكفار والمنافقين من يزعم أن محمدا له قلبان ، يعيش بهما فى الناس ويريدون : له وجهان فى لقاء الناس فله قلب يلاقى به المؤمنين ، وقلب يلاقى به غير المؤمنين ، ومعنى هذا عندهم : أن له سياسة يتستر بها معهم ، وسياسة ودية يعايش بها من يحتفون به من المؤمنين به .

وكذلك كان فيهم من يقول عن نفسه إن له

قلبين ، يفهم بهما أكثر مما يفهم محمد صاحب القلب الواحد وبجانب هذه المزاعم ؛ فإن النفاق نفسه جمع بين النقيضين ... فإنه كفر وتظاهر بالإيمان ، والمنافق يحسب نفسه راشدا بهذا التلون المتناقض ... ولا يمكن بحكم الفطرة أن يجتمع شيء ونقيضه كالإيمان والكفر .

والإسلام حريص على تصحيح المفاهيم فى عقول الناس . وعلى تنويرها بالمعرفة الهادية إلى الحق . ولذلك صارحنا القرآن بأن الله لم يخلق لأحد قلبين فى جوفه ؛ فالرجل الذى يزعم ذلك عن محمد . أو يفاخر بأن له قلبين ، أو يحسب نفاقه ناجحا ، وأنه جامع بين الكفر والإيمان فى قلبه : كل هؤلاء كاذبون ، ويفترون على الله ما ليس صحيحا ، ولا يتلاءم مع صنع الله فى خلقه : من إنسان أو حيوان .

٣ — والقلب - كما هو مقرر علميا - هو المضغة المودعة فى صدر الإنسان . وله وظائف حسية تتعلق بحياة الجسم الحيوانى كتوزيع الدم ، والنبض بحركة الحياة والسيطرة على أجهزة الجسم : حسبما يقرر الأطباء ، وأهل الاختصاص ...

وللقلب وظائف معنوية أخرى : وخاصة فى الإنسان .. فهو مجمع العلم ، ومثار الوعى ومقر الإيمان ، أو غير الإيمان ومستودع الفضيلة ، والطبائع المتنوعة .

وهو موطن الرحمة ، أو مباءة الشكوك ، ومهب المنكرات - إلخ .

وما دام القرآن ينفى وجود قلبين لأحد من خلق الله . فليطمئن الإنسان إلى ما عرف وليجعل همته ، وعنايته إلى تطهير قلبه من الشبهات ، وليمحص نفسه من نوازع التردد وليكن مطمئنا إلى ما هداه ربه ، ومقبلا على الوجهة التى يتمثل بها إخلاصه لدينه ، ولمجتمعه ، ولكل ذى علاقة معه ... فذلك شأن المؤمنين الذين تطمئن قلوبهم لذكر الله ولا يستسلمون للنزغات ، وسوء النزعات « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

٤ — الأمر الثانى من الثلاثة : كان الرجل إذا جمحت نفسه مع زوجته يبادرها بالقطيعة ، ويشعرها بجبروته وسلطانه عليها ، فيقول لها : أنت على حرام كظهر أمى ، أو أختى .. يريد أنه حرمها على نفسه تحريماً قطعياً ، فلا يستمتع بها بعد ذلك أبداً ، كما لا يستمتع بأمه ، أو نحوها .

ولما كان الاستمتاع بالزوجة هو مضاجعتها من ناحية البطن ، وهو شبيه بركوب ظهر الدابة : اعتبروا هذا مجازا ، وأطلقوا عليه ظهاراً ، نسبة إلى الظهر ، لمجاورته للبطن . فقوله لزوجته أنت على حرام كظهر أمى : معناه : وطؤك حرام كما يحرم على ظهر أمى .

وهذا التحريم لم يكن من تشريع الله فى خلقه ، بل هو عرف جرى عليه أهل الجاهلية قديماً ، وعاش فى أول الإسلام فترة .

ثم جاءت امرأة تشكو إلى النبي أن زوجها ظاهر منها ، وأن لها أولاداً منه فكيف تترك له أولاده فيضيعون لحرمانهم من مراحم الأمومة .

وكيف تأخذهم معها فيجوعون ، لعدم استطاعتها أن تسمى عليهم ، وكانت مكروبة أشد الكرب لما يحدق بها من الهم .. نزل الوحى فى شأنها بتفريج الأزمة ، وإبطال هـذا الظهار بين الناس ، وإطلاق الحياة الزوجية من هذه التعقيدات المفتراة على الله.

واعتبر الإسلام أن الإتيان بالظهار بعد ذلك ذنب كبير ، وإن لم تحرم به الزوجة على زوجها . ولما فيه من الحرمة شرع الله له كفارة يخرجها الزوج المظاهر قبل استمتاعه بزوجته وبالكفارة يمحو الله ذنبه ، وتحل له العودة إلى امرأته كما كانت حلالا من قبل. والكفارة هى: عتق رقبة مؤمنة، ومن لم يجدها فعليه صيام شهرين متتابعين ، فمن لم يستطع لمرض مستمر ، أو لكبر يمنع ، أو لمشقة عمله الذى لا يدع له فرصة الصوم فعليه أن يطعم ستين من المساكين .. يعطى كل واحد منهم مثل ما يعطيه فى فدية رمضان حين العجز عن صيامه ، أو قضائه : قدحا من القمح أو من غالب طعام بـلده ، أو ثمن ذلك الإطعام فى أكلتين مشبعتين من متوسط طعامه هو . هذه كفارة الظهار .

٥ ـ ولكن الناس فى عصرنا هـذا يستعملون لفظ الظهار ، يريدون به : تطليق الزوجات ، فأحدهم يقول أنت على حرام كما تحرم أمى أو أختى ، وهم لا يعرفون ظهارا . ولذلك جرى العلماء على اعتبار هذا طلاقا ، ويفتون به على هذا الوجه . وأما من يقوله وهو يعلم أنه ظهار : فعليه كفارة الظهار التى ذكرناها ، ولا يقع به طلاق .

٦ ـ الأمر الثالث ـ كان الرجل إذا شاء تبنى لنفسه ولدا ليس مولودا له ، وينشأ الولد على نسبته لغير أبيه ، ولم يكن فى هذا عيب عندهم ، ولا مساس بأحد الشخصين ، ويجرى بينهما التوارث وقد جرى ذلك من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالنسبة لزيد بن حارثة ، إذ كان مجلوبا من الشام فاشتراه حكيم ابن حزام ، ووهبه لعمته خديجة زوجة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان زيد فى سن الثامنة .. وكان خفيف الظل مرهوبا فى عقليته ، وأدبه ونشاطه .. ثم وهبته خديجة لزوجها قبل البعثة .

وكان حارثة بن شراحيل يبحث فى نشاط عن ولده زيد ، الذى اختفى عنه مسبيا من من بلاده ولما علم بوجوده عند محمد : جاء

منه .. فقال لهم : إن اختاركم زيد فهو لكم دون فداء منكم .. فاختار زيد بقاءه رقيقا عند محمد ، لأنه يرى من عطفه عليه ، وبره به ، وحسن تلطفه معه خيرا مما يرى الأبناء مع آبائهم .. وعندئذ قال النبي : أشهدكم أنى أعتقته ، وأنه ابنى ، يرثنى ، وأرثه .. فطابت نفوس أبيه ومن معه .. واعتبروها مكرمة من محمد ، وعادوا فى غبطة وطمأنينة على ولدهم . وبقى زيد مع النبي ، وصار معروفا بزيد بن محمد .. كما كان النبي يعلن ذلك فى كل ملأ من قريش .

ولما أراد الله - سبحانه - تصحيح هذا الوضع فى الإسلام ، والاحتفاظ بالأنساب بين ذويها ، وصون الأعراض عن مداخلة الدخلاء بين الأسر وتحديد المحارم ، وابقاء المواريث بين القرابات أنزل قرآنه بتحريم التبنى ، وإبطال ما كان موجودا منه وذلك بقوله تعالى « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » ومن ذلك الحين أعلن النبي - صلى الله عليه وسلم - تنصله من هذا التبنى لزيد ، إذ استدعاه ، وقال له : « أنت زيد بن حارثة » وصار زيد طليقا من هذا التبنى ، وإن كانت نسبته إلى النبي لا يعدلها شىء فى دنياه .. وكذلك فعل آخرون من الصحابة ، كان لهم أبناء من طريق التبنى .

٧ - ثم بينت الآية أحكاما كثيرة تتصل بهذا الشأن ، وصارت من معالم الإسلام التى تتجلى بها حضارته ، وتشتد بها أواصره . منها منعهم من العود إلى هذا التبنى : « ذلكم قولكم بأفواهكم » فهو قول باطل (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) .

ومنها دعوة هؤلاء الأبناء لآبائهم الحقيقيين وأن هذا هو الأعدل الذى يختاره الله فى الانساب « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين . ومواليكم » يعنى إن لم تكونوا عارفين بالآباء الحقيقيين فادعوهم بالأخوة فى الدين ، وبالموالاة فيه : يا أخى فى الدين - يا مولاى -

ولا يحل لأحد منكم أن يعود إلى النداء بالبنوة التى كانت إلا أن يكون خطأ منكم عن غير قصد فهى ممنوعة ولا يعفى عن العمد .

وكان هذا التشديد للقضاء على ذلك التقليد الممقوت .. وليحفظ الإسلام لكل امرىء نسبته إلى أبيه .. ولتظل مناقب الأسر ، وفضائل القوم متمايزة ، ولتكون حقوق القرابات مرعية ، ومصونة من التلاشى والاندثار ؛ فإن الإسلام جد حريص على تنمية القرابات وتعزيزها .

٨ - وكما منع القرآن دعوى التبنى من جانب الآباء : منعها كذلك من ناحية الأبناء وهذا مفهوم من الآية بطريق المقابلة بين الأبوة

والبنوة فإنه متى بطل أحد الوجهين بطل الآخر حتما.

وقد صرحت السنة النبوية بالوجه الثانى فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام) ، وفى رواية : (ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر) يعنى : من انتسب إلى غير أبيه سواء : كان رجلا أو غير رجل ، وإنما ذكر القرآن ، وذكر النبى الرجال دون النساء لأن التبنى كان بين الرجال ولم يكونوا فى الجاهلية يحبون البنات حتى يتهافتوا على تبنيهن كالذكور .

٩ ـ هذا ـ ومع تقادم العهد على تحريم التبنى : فكثيرا ما نجد فى حياتنا الحاضرة أن ناسا يلتقطون أطفالا أو يحصلون عليهم من الملاجىء أو يتناولونهم من أهليهم . ثم يتبنونهم لأنفسهم .. فعندما يرغب رجل ، أو سيدة فى طفل أو طفلة يلجأون إلى اختيار من يستطيعون اختياره ، ويتخذونه ابنا أو بنتا ، ويجعل له ميراثا كالولد الطبيعى ، ويتركه يعيش بين محارمه.

وهذا كما تحدثنا باطل ، وحرام ، ولا يترتب عليه أثر صحيح . . وفيه ما فيه من خلط الأنساب ، ومن الجناية على الأقارب بالحرمان من حقوقهم فى الميراث بسبب الولد المتبنى .

ولعل هناك مفاسد أخرى يطول بنا سردها ، وتباركت حكمة الله فيما شرع ؟

عبد اللطيف السبكى

من حكم شوقى

اثنان من نعم الله عليك : عدو تشغله كثيرا ، وصديق يشغلك كثيرا .

إن كنت عصا فكن لينا . وإن كنت سيفا فكن قاطعا .

الإقدام والجد إذا اجتمعا لرجل لم يقف له شىء فى طريقه .

من وثق بالله مشى على الماء .

التكافل الاجتماعي في ظلال الإسلام

للأستاذ كمال الدين الطائي

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فليست هناك شريعة سماوية ، ولا مذاهب إنسانية عنيت بمشاكل المجتمع وقضاياه وفرضت الحلول العادلة لعلله وآفاته كما فعل الإسلام . فهو الدين القيم السمح الذى أسعد الإنسانية ومهد لها سبل العزة ، ووفر لها الكرامة حتى تعيش فى مأمن من الغوائل . وتحيا بعيدة عن الأحقاد المدمرة والشحناء القاتلة والخصومات التى يلهبها تفاوت الحظوظ وتباين الأنصبة من متاع الحياة .

وقد أتيح لى منذ سنوات خلت أن أتتبع علاج الإسلام لأقسى وأعقد مشكلة تواجه المجتمع وتستعصى على جهود المصلحين . وهى مشكلة الفقر والغنى . وكتبت بعض البحوث عن التكافل الاجتماعى فى ظلال الإسلام أبنت فيها كيف نشر العدل والإخاء ، ودعا إلى التراحم والمساواة ، وراض أتباعه وأنصاره ، على أن يستشعروا المحبة ويعيشوا إخوة متآلفين . لا تفرقهم دنيا ، ولا تمزق وحدتهم أعراض الحياة .

ثم بدا لبعض الأصدقاء والمحبين أن اقتطف من تلك الأبحاث بعض الصور لعل فيها عظة لغافل ، أو إيقاظاً لوسنان ، أو تذكرة لمن يتوهم الإسلام صوراً جوفاء ، أو مظاهر من صيام أو صلاة دون أن يكون لذلك أثر فى إقالة العثرات ، والأخذ بأيدى أصحاب الحاجات .

عجبت لمعشر صلوا وصاموا
ظواهر خشية وتقى كذابا
وتلفيهم حيال المال صما
إذا داعى الزكاة بهم أهابا

وهأنذا استجيب لتلك الرغبات وبالله التوفيق :

دعا الإسلام إلى التكافل والتضامن الاجتماعى منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً . ولم يقتصر دوره على وضع مبادىء ومن قوانين لا ترتبط بالواقع ، بل دعا إلى التطبيق وحث عليه وجعله متصلا بكيان الأمة من الناحيتين المادية والمعنوية .

لقد بنى الإسلام شريعته وأقام نظامه على أساس متين من عزة الإنسانية وكرامتها فوضع من الأنظمة المالية والجزاءات التأديبية ما جعل الفقراء وذوى الحاجات والعاجزين عن الكسب يعيشون فى مأمن من الخوف والضيق ومنأى عن العوز ووصلهم

بعون مادى لا ينقطع ما دامت روح الإسلام تسيطر على النفوس وتتغلغل فى المجتمع .

ولا غرو فى ذلك فهو ليس نظاما روحيا ، أو نظاما ماديا فقط كما يزعم البعيدون عن روحه الجافون لتعليمه ؛ بل هو مبادىء عامة وقوانين شاملة ، تحفظ حقوق الفرد والجماعات ، وتحدد علاقة الفرد بالفرد ، وعلاقة الفرد بالمجموع .

لقد دعا القرآن الكريم إلى مبدأ التضامن الاجتماعى ؛ فنادى بأن فى أموال الأغنياء حقا للسائل والمحروم، ليتم التكافل والتعاون بين جميع طبقات الأمة .

(والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) . وقد حض الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم على تضحية الأغنياء بالمال تخفيفا لآلام البؤساء وترفيها عن ذوى الحاجات ، وقضاء على الضغائن والحزازات وبثا لروح المحبة بين أفراد الأمة حتى تصبح أسرة واحدة، فقال صلوات الله وسلامه عليه:

« ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » .

لينظر المسلم إلى العبادات التى أوجبها الإسلام عليه فهى بمجموعها ترمى إلى توحيد الله تبارك وتعالى والبر بالمجتمع الإنسانى . فما ذكر الإيمان إلا وذكر معه صالح الأعمال، وما ذكرت الصلاة إلا وذكرت معها الزكاة، وما ذكر الصوم إلا وذكر معه الصدقة وما ذكر الحج إلا وذكر معه النحر وإطعام الفقراء .

لقد افترض الإسلام لضمان حق ذوى الفاقة من الثروة العامة الزكاة ، وهى الضريبة الثابتة التى يؤديها الغنى من ماله ، وجعلها ركنا من أركانه . ولم يقبل فيها أى اعتذار .

لقد جرد أبو بكر الصديق رضوان الله عليه جيوشه وحارب بها ما نعى الزكاة . لأن ما نعيها مساوون فى الحكم للجاحدين للدين ، فبدأهم رضى الله عنه بنفسه ، وقال فى ذلك قولته المشهورة : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاربتهم عليه » . وقد اعترضه على ابن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ بزمام راحلته وقال له : أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك - أى أغمده - ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدا .

وإذا كان الإسلام يحد من تصرفات أصحاب الأموال بنظام الزكاة الذى يلزمهم بإخراج جزء معين من تلك الأموال ، ويتدخل فى سلطتهم ؛ فإن ذلك التحديد وذلك التدخل مقبولان لدى النفوس المؤمنة بحكم ما فيها من قوة التدين .

ونظام الزكاة هذا غير مرتبط بقيام فرد

بالحكم دون آخر ، بل هو نظام أبدى نافذ الحكم ما دامت السماوات والأرض ، لم يصل إلى مستواه أى تشريع وضعى على اختلاف الأسماء والنزعات .

والإسلام مع تقريره مبدأ المساواة لا يمنع التفضيل فى العمل والمواهب والعلم ، ولا يحرم الفرد أن ينال جزاء مجهوده الشخصى فى هذه الحياة الدنيا .

(نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) . ولكنه فى الوقت نفسه فرض عليه أن يخصص جزءا مما اكتسبه من مال وعلم لمن هو دونه .

ومن تلك الضمانات التى حفظت حق ذوى الحاجة والعاجزين فى أموال الأغنياء صدقة الشكر ، كصدقة الفطر ، وهى جزء من المال يؤديه الصائم يختم بها صومه ليكون أدنى للقبول من الله ، بل أوجبها حتى على غير الصائمين من ذوى الأعذار ؛ بل حتى على الأطفال ومن لم يبلغوا الحلم .

وأضحية النحر أيام عيد الأضحى ، وعقيقة المولود وهى الذبيحة التى تذبح عند الولادة ، وصدقة الرجاء ، وهى ما ينذره الإنسان من نذر بين يدى رجائه فى أمر من الأمور ، وككفارة اعتداء المحرم على الصيد ، أو اخلاله ببعض الواجبات . أو انتهك حرمة من الحرمات . وكفدية الإفطار فى نهار رمضان . وككفارة اليمين إذا حنث المرء فى يمينه ، وككفارة الظهار كما جعل له حصة معينة فى الغنائم والفيء .

أما الصدقات الدائمة ، ونعنى بها تلك التى لا يحدها مقدار ولا زمان ، فقد أطنب الله تبارك وتعالى فى الحث عليها ، وتحبيبها لنفوس المؤمنين : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) .

لقد وضع الإسلام أعظم نظام لتوزيع الثروة على أكبر عدد ممكن ولا سيما بين الأسر : فمن ذلك الميراث ، حيث توزع ثروة المتوفى على أقربائه . ثم جعل للموصى أن يتصرف فى ثلث ثروته ويضعها حيث يشاء من غير الورثة ، وهى بطبيعة الحال تعود على الفقراء وذوى الحاجات من أبناء الأمة) .

كما أعلن بأن المال فى يد الأغنياء ليس إلا وديعة الله استخلفهم فى حفظه وإدارته وتوزيعه . وأن ما يعطيه الغنى لذوى الحاجة من مال ليس تبرعا ولا تطوعا وإنما هو حق مفروض : (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

وعن أبى سعد بن مالك الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ،

(البقية على صفحة ٧٠٩)

تربية النفس
تأملات وخواطر

للأستاذ عبد الحميد المسلوت

كثيرا ما يسائل المرء نفسه في حيرة وعجب، وكثيرا ما يقف إزاءها مشتت البال موزع الفكر يسائلها : ما هي الوسائل القويمة التي يتبعها في محاربة العيوب والتغلب على الأوزار والنقائص التي تنتابه وتعتريه ؟

ما هو الدواء الذي ينقيه من شوائبه ، ويصفيه من أدرانه ومعايبه ، ويجعله سليم الصدر طاهر القلب لا تطل آفاقه نزوة ولا تقسى قلبه شهوة ؟ ما الذي يكفه عن الغيبة والكذب ، ويعفه عن الذلة والضعة ويمنعه من الرياء والملق ، ويشعره بعزة المؤمن وكرامته ، فلا يتمرغ على الأعتاب ؛ ولا يريق حياءه على الأبواب طمعا في منافع زائلة ، ومتع حائلة ، ودنيا لا قرار لها ولا ثبات ؟

ما الذي يحببه في السخاء والبذل ؛ فلا يجعل يده مغلولة إلى عنقه ، ولا يمسك ودوافع البر من حوله تهيب به وتناديه ؟

ما الذي يدفعه إلى اقتحام الصعاب ، وخوض الغمرات ، ويغريه في شوق وصدق إلى الجهاد والموت في سبيل الله طيبة بذلك نفسه متفتحة مشاعره لا يؤثر عاجل الدنيا على الخالد الباقي من نعيم الآخرة ؟ ، ما الذي يجعله إنسانا برا خيرا يحب العدل ويؤثر الحق وينفر من مناظر الدماء فلا يسفكها ، ويقدس الأعراض فلا يهتكها ، ويحفظ أموال الناس فلا يأكلها بالباطل ؟

ما الذي يجعله سهلا هينا لينا دمث الخلق حلو اللسان كريم الطبع نبيل الشمائل لا يجفو ولا يغضب ، ولا يثور ولا يصخب إلا حين تنتهك محارم الله وتتخطى حدوده ؟

إن الإنسان ليستغرق أحيانا في هذه التأملات، ويمعن في هذه السبحات حين يلتفت إلى المجتمع من حوله فيراه وقد لفته الغواشي المطبقة من التمرد والقسوة وتسربت إليه المفاسد المهلكة من التحلل والتقاطع والتدابر ومن الاستسلام للأهواء الضالة والنزوات المدمرة ومن خلال التأمل والاستغراق تلوح لنا هذه الأسئلة .

هل تكون وسيلتنا إلى تطهير نفوسنا وتربية ضمائرنا والتخلص مما ينتابنا من الشرود والمهالك أن نفزع إلى الصلاة ؟ وكان ذلك هدى النبي الكريم قائد الأمة ومرشدها

وهاديها ، فكان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة ، فإذا انعقدت الصلة المقدسة التى تربطه بربه وتصله بخالقه كان عزيزا به منيعا بإيمانه قويا بيقينه لا تغـريه الشهوات ولا ترهبه الأحداث مهما بلغت من الهول والضخامة .

فهل هذه الصلاة تزيل عنا ما يلحقنا من أدران ، وتغسل ما يعلق بالنفوس والقلوب من نقصان ؟ كم نسمع الآن وكم نرى من صور تنكرها النفوس ويجفوها المنطق السليم ، كم نرى من سالب ناهب يملأ بطنه بالحرام ولا يكاد يفوته وقت صـلاة ، كم نرى من حريص على الصلاة وهو فى كل مجال يمزق الأعراض وينهش الحرمات ويلغ فى كرامات النـاس .

هل يكون السبيل إلى تربية النفس وعفها عن مآثمها ، وردها إلى حظيرة الصــلاح والاستقامة أن نصوم والصيام عاقبته التقوى وهى أن نجعل بيننا وبين محارم الله وقاية تحفظنا من التردى فى الهاوية والانحدار إلى الشقاء ، كما أنه يعلمنا الصبر على المكاره ، وينقلنا من دنيا الصراع والصدام والمغالبة وعالم الماديات إلى رحاب فسيحة وعالم نورانى من الروحانيات الجبلة السعيدة ، وقيل قديما للأحنف بن قيس : إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال : إنى أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه .

ولـكن من المؤسف أن النـاس الآن لا يفهمون من الصيام إلا أنه إمساك عن الطعـام والشراب وإن خاضوا إلى أذقانهم فى الفحش والدنس وقذفوا كل حر وتنقصوا كل بر وهتكوا كل عرض ، وكم من صـائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش .

ما أحوج النـاس قبل كل شىء إلى أن يصححوا فى نفوسهم المفاهيم ، ويعدلوا فى أفهامهم القيم حتى تصح لهم الوجهـة وتستقيم الغاية ، وما لم يفعلوا ذلك فسيظلون فى تيه لا يفيقون من غواشيه .

الصلاة دعاء وضراعة وخشوع وخضوع لله والصيام إمساك عن الشهوات يتبعه إمساك عن اللغـو والآثام ، والزكاة طهارة ونمـاء وصفاء وإخاء وعاطفة ورحمـة ومحبة . فهل نمارس العبادات على هذا الاعتبار ونقتبس منها ما تحمل من هدى ، وما يشع فيها من نور ؟

هل الغاية من الصـلاة أن نركع ونسجد ونقوم ونقعد ، ونمرن هذا الجسم على حركات تطول أو تقصر ، وأن نترك ما نقبـل عليه من عمل ، وما ينتظرنا من تـكاليف العيش وأعباء الحيـاة لنقف كل يوم خمس مرات نؤدى هذه العبادة ونمارس هـذه الصورة ، من غير أن يكون لذلك سر أو يستتبعه أثر ؟

هل الغاية من الصيام أن نعذب النفس بالجوع ونرهقها بالحرمان، وأن نظل طول اليوم بين جذب وشد وجزر ومد ، نواثب الرغبة وتواثبنا ، ونحارب الشهوة وتحاربنا من غير أن نأخذ من ذلك الدرس المهذب والحكمة النافعة والعبرة الخاشعة ؟

ليست الغاية من الصلاة حركات تمثيلية رتيبة لا تعود على القلب بالنور الذى يملأ أرجاءه ويضيء جوانبه وبالخشية التى تنضره شفقة ورحمة ، إنما هدفها الأسمى أن تصنع بها ضميرا نقيا حساسا يراقب الله ويخشاه ، وتحيي بها قلبا يخافه فلا يعصاه ، وهى دون شك - إذا فهمنا سرها وأدركنا غايتها - لابد أن توقظ فى الإنسان ضميره الغافى وإحساسه الراكد وتحرك فيه مشاعر التقوى والمراقبة .

ومن هنا كانت طهورا للإنسان خمس مرات فى اليوم تذهب من رجسه وتذيب من دنسه وتلين من قسوته وترق من خشونته وتلطف من حدته ولهذا يقول الرسول صلوات الله عليه: (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى من درنه شيئا ؟ فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الذنوب والخطايا) .

والله تعالى ينبئنا بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر،فإن لم تكن لصلاة العبد هذه العاقبة كانت شهادة عليه بأنه لم ينتفع بثمرتها ولم يفتح قلبه لنورها فيكون بذلك بعيدا عن رب العالمين . وذلك سر قوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا .

الصلاة التى تعصم من الخطايا وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتملأ الإنسان إيمانا بربه وخضوعا لجلاله وإذعانا لأمره ونهيه هى الصلاة الحقة التى تنقل الإنسان من هذا العالم المائج بالفتن المفعم بالأوزار والمحن إلى أنوار الحضرة القدسية .

وهى الصلاة التى يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه: (إنما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب) .

هذا هو الذى يتقبل الله صلاته ويرضى عن عبادته ويضعه فى درجته التى تلائمه . هذه الدرجة التى يقول فيها المولى الكريم كما أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم .

« ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى، واستحفظه ملائكتى ، وأجعل له فى الظلمة نورا، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » .

ودائما العبد الذى يخلص لله طاعته ويمحض

له عبادته ويوثق صلته بربه لا يمتلىء قلبه حقدا على الناس ولا تشتعل نفسه بغضائهم ، ولا يبالى فى هذه الدنيا بما يصيبه من خير أو شر ما دام يعيش فى رحاب القوى القادر الذى بيده ناصية العباد .

أما من يؤدى عبادته وهو غافل ويدخل فى طاعة صورية وهو موزع النفس وراء كل وهم ، متعلق الفكر بكل رغيبة ، فلا يمكن أن ينتفع بطاعة أو تهذبه عبادة ولقد قيل لإبراهيم بن أدهم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى : أدعونى استجب لكم . فقال : لأن قلوبكم ميتة . قيل وما الذى أماتها؟ فقال : ثمان خصال : عرفتم حق الله تعالى ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول الله ولم تعملوا بسنته ، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له . وقال تعالى : إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، فواطأتموه على المعاصى ، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجاب لكم .

وكان من أهل الكوفة زاهد ورع يسمى بهلولا ، وسمه الناس فى أيامه بالجنون .

ومع ذلك كانت له حكم تخلد بخلود الزمن وتبقى مثلا حيا للعبرة الحكيمة والاستفادة العاقلة يقول محمد بن إسماعيل بن أبى فديك (رأيت بهلولا فى بعض المقابر . وقد أدلى رجليه فى قبر : وهو يلعب بالتراب فقلت : ما تصنع هنا . قال: أجالس أقواما لا يؤذوننى ، وإن غبت عنهم لا يغتابوننى . فقلت : قد غلا السعر فهل تدعو الله فيكشف عن الناس؟ . فقال: والله ما أبالى ولو كانت كل حبة بدينار ، لله علينا أن نعبده كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا . ثم صفق بيديه وأنشأ يقول :

يا من تمتع بالدنيا وزينتها
ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما لست تدركه
تقول لله ماذا حين تلقاه

وإذا تأملنا فى حكمة الله تعالى من تشريع الصيام رأينا أنه ليست الغاية منه أن نجوع ونعطش ولا أن نحس بذل المنع ومرارة الحرمان دون حكمة أو غاية ، ولا أن نظل طول اليوم فى نزاع ومكابدة تثور بالشهوات فنسكتها أو تثور بنا الشهوات فنحاول أن نتخلص من قيودها ونفلت من آصارها وحدودها . فإذا انتصرنا كنا أبطالا تتملكنا نشوة الظفر وفرحة الانتصار .

إن الغاية المثلى من الصيام والعاقبة السامية التى ترجى من ورائه أن يشعر الصائم بأن له ضميراً يحاسبه ويراقبه . يذكره إذا نسى

ويوقظه إذا غفا ويكون إمامه وهاديه فى كل ما ينشأ بينه وبين الناس من صلة، وما يستجد له من معاملة، وإلى هذا تشير الآية الكريمة عقب إعلان فرضية الصوم بقوله جل شأنه (لعلكم تتقون) .

قيل: إن الحسن نظر إلى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد . فقال الحسن : إن الله جعل الصوم مضماراً لعباده ليستبقوا إلى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا ، ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر[1].

فإذا استشعرنا الحكمة الحقة من كل عبادة من العبادات أو طاعة من الطاعات. استطعنا حقاً أن نهذب نفوسنا ونربى فينا الضمائر التى لا تؤثر إلا الحق ولا ترضى بغير العدالة.

وبهذا تسعد الإنسانية ويعيش الناس آمنين سعداء .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ؟

عبد الحميد محمود المسلوت

(١) ترطيل الشعر: تليينه بالدهن وما أشبهه

(بقية المنشور على صفحة ٧٠٤)

من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له. قال: فذكر من أصناف المال ماذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل، وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اكسنى يارسول الله ، فأعرض عنه ثم عاد فقال : اكسنى يارسول الله فقال : أما لك جار له فضل ثوبين ؟ فقال: بلى غير واحد، قال: فلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة .

ولقد خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يوما، فقال: لو استقبلت من عمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء وقسمتها على فقرائهم .. ولما انتهت ضائقة عام الرمادة خطب رضى الله عنه فقال: لو أن ربى مافرجها لأدخلت على كل ذى سعة من المسلمين مثل عدد عياله . وما كان لولدين أن يجوعا من طعام ولد واحد .

هذا بعض ما فى الإسلام من تعاليم تكفل حقوق المجتمع بمختلف طبقاته . والله الهادى إلى سواء السبيل .

كمال الدين الطائى

سيناء .. بلاد مقدسة

للأستاذ عباس حلمى اسماعيل

ذكرت شبه جزيرة سيناء فى كتب العصور القديمة ، كما ذكرت فى القرآن الكريم ، فأقسم الله عز وجل بها ، مع التين والزيتون والبلد الأمين ، ومع الكتاب المسطور ، كما أقسم بشجرة تخرج منها ، فهى إذن بلاد مقدسة ، وأصل تسميتها مأخوذ من سين بمعنى القمر فى اللغة الآرامية ، لأن صفاء جوها ، وسعة أرضها يجملان لياليها القمرية من أجمل الليالى ، واشتهرت بهذه التسمية ، لأن اللغة الآرامية ظلت لغة دولية يتخاطب بها أكثر دول العالم القديم فترة طويلة .

وسيناء أرض مصرية منذ غابر الزمان ، فقد حكمها الفراعنة ، وعرفوها باسم أرض الحرب ، فكان سكانها من الأعراب ، إذا أجدبت أرضهم ، أغاروا على القرى المصرية ولذا أقام الفراعنة الحصون شمالى خليج السويس وحاربوهم ليؤدبوهم ، كما تدل النصوص المكتوبة على حجر « بالرمو » وأنفذوا حملات أخرى إلى سيناء ، لتعدين النحاس والفيروز ولذا عمرت ؛ فحفرت بها الآبار ، وأقيمت خزانات المياه ، وأنشئت الثكنات ، وشيدت المعابد ، وزاد اهتمامهم بها ، عندما اعتبروها حصنا طبيعيا لمصر ، ومفتاحا للشرق وهمزة الوصل بينها وبين الأقطار الشرقية عامة وبين البلاد العربية الشقيقة خاصة ، ولذا كان أهلها أخلاطا من الناس ، جمع بينهم وشائج النسب وطاب لهم العيش ، وتحقق لهم الصفاء ، فى هذا المكان الهادىء .

وقد يسرت الظروف الطبيعية اتصال مصر بغرب آسيا ، مهبط الوحى ومهد النبوة ، عن طريق شرق الدلتا ، ولهذا أقام فى هذا الإقليم عدد كبير من أنبياء الله ورسله فارتبط تاريخهم بتاريخه . وكثيرا ما كانت الجهات الغربية من آسيا تتعرض للجدب بسبب قلة المطر ، فلم يكن بد من أن تلجأ القبائل الرحل التى كانت تتجول فى هذه الجهات ، باحثة عن المرعى ، إلى وادى النيل الخصيب تطلب الغوث . لكن برزخ السويس كان الحد الذى لا يسمح بعده لهذه القبائل بالتوغل فى شرق الدلتا إلا بإذن من فرعون ، فبإذنه دخل إبراهيم عليه السلام مصر هو وزوجته سارة ؛ بل أهداها « هاجر » لتكون جارية لها .

وعلى عهد الملك « خيان » أعظم ملوك الهكسوس ، جاءت قافلة « يوسف بن يعقوب » عليهما السلام ، فاستوطن ما يعرف الآن باسم « صان الحجر » بمحافظة الشرقية ، وفيها بلغ أشده

فاصطفاه الملك لنفسه، وجعله على خزائنه فادخر من السنين الخضر للسنين الممحلات فأنجى البلاد بعمله هذا من مجاعة محتومة .

ولم يلبث إخوة يوسف وأبواه — عليهم السلام — أن دخلوا على يوسف بمدينة العريش . وفى هذا الصدد روى الرحالة المغربى «ابن سعيد» نقلا عن «البيهقى» خرج للقيام حتى نزل المدينة ، وكان له هناك عرش ، وهو سرير السلطنة ، فأجلس أبويه عليه ، وكانت تلك المدينة تسمى بمدينة العرش ، فحرفها العامة إلى العريش . فغلب ذلك عليها .

ثم زاد عدد بنى يعقوب ، وكثرت قطعانهم ، وتعلموا الزراعة وأجادوها ، فأصبحت حقولهم بـ(جاشان) من إقليم «الشرقية» مضرب الأمثال فى جودة المحصول . ووصف أحد الشعراء صان الحجر على عهد «رمسيس» الأكبر فقال : «إنها جميلة ، جميلة حقا ، فاقت مبانيها ما ابتدعته عقول جبابرة المهندسين فى طيبة من معابد وقصور ، حقولها منتجة ، وحدائقها غناء وغلب ، وبحيراتها ملأى من الأسماك ، وبركها مفعمة بالبط ، وخزائنها التى تناطح السحاب ملأى من الغلال ، ومرفؤها الجميل موئل للسفن التى تغادرها زرافات محملة بصدرات مصر ، والتى تأتى إليها مشحونة بالبضائع الأجنبية ، لا يشعر أحد من أهلها بفاقة ولا هم ، فقد حالفها السعد والسرور ، وجاورتها البهجة والعزة والمنعة » .

وتطاول على رمسيس الأكبر العمر ، وطال أمد السلم على عهده فافتن فى العمارة وأسرف ، فأصبحت مصر فى حاجة ماسة إلى الأسرى ، فرأى فى بنى يعقوب خير بديل منهم ، ولذا سيقوا إلى المحاجر قسرا ، ولقوا من العنت ما توجعوا له وسرعان ما برموا بحالهم التعسة ، وعرف منهم ذلك عيون فرعون ، وأعلموه بما عرفوا ، فأوجس منهم خيفة ، وأمر أن يذبح أبناؤهم الذكور ؛ فيقل عددهم ثم ينقرضون .

وفى أثناء هذا الهول ولد موسى بن عمران عليه السلام ، وخافت أمه عليه أن يكون من الهالكين ، فأوحى إليها أن تضعه فى التابوت ، وتلقيه فى اليم الذى عرف ببحر « مويس » ، فالتقطه آل فرعون ، ودلتهم أخته على أمه لتكفله لهم ، ورباه فرعون تربية عالية ، ولما استوى أتاه الله جل وعلا حكما وعلما . ودخل يوما ضاحية «صان الحجر» ، فرأى رجلين يقتتلان ، هذا يعقوبى ، وهذا مصرى ، فاستغاثه اليعقوبى على المصرى ، فوكزه موسى فقضى عليه ، فأصبح فى المدينة خائفا يترقب ، وائتمر به المصريون ليقتلوه قصاصا ، ففر من مصر إلى إلى مدين ، ومكث فيها حتى سمع بخبر موت

رمسيس الأكبر ، فرجع بأهله ، ونودى بالوادى المقدس طوى ، وأرسل إلى فرعون وكان منفتاح قد خلف أباه ، فذهب إليه « موسى وهرون » ليدعواه إلى دين الحق ، فأبى واستكبر .

وبرغم أن بنى يعقوب كانوا يعيشون فى شرق الدلتا ـ أقرب أجزاء مصر إلى كنعان ـ إلا أن مطاردة فرعون لهم جعلت رحيلهم محفوفا بكثير من المخاطر ، فكان لابد لهم من اجتياز برزخ السويس ، حيث كانت البحيرات تمتد على طوله من ساحل البحر المتوسط حتى رأس خليج السويس ، إلا فى نقط يابسة قليلة ، كانت الحصون القوية تقوم فيها ، وعلى هذا لم يكن أمام بنى يعقوب إلا أحد أمرين : إما أن يجتازوا حدود مصر الشرقية عن طريق يابس ، حيث يتعرضون للجنود المرابطين فى الحصون ، وإما أن يجتازوا إحدى المسطحات المائية.

غادر بنو يعقوب صان الحجر إلى التل الكبير ، وهنا طرأت على موسى عليه السلام فكرة اجتياز إحدى المسطحات المائية ، للوصول إلى شرق البرزخ ، فحدثت معجزة شق البحر ، فعبروا « بحيرة التمساح » التى انفلقت لهم ، إلى صحراء سيناء ، حيث قضوا ثلاثة أيام بلا ماء ، حتى وصلوا بلدة « نخل » حيث وجدوا عيونا سموها « عيون مارة » ؛ لأنهم لم يستسيغوا ماءها لمرارته ، بمقارنتها بمياه النيل العذبة التى فارقوها مضطرين ، ثم بعد نخل اتجه بنو يعقوب جنوبا إلى جبل سيناء بالطريق المعتاد المؤدى من فلسطين إلى الجبل المعروف الآن بجبل « سنت كترين » ، ولا بأس من ذلك ؛ فقد أصبحوا فى مأمن من جنود فرعون .

ثم أوغل بنو يعقوب فى سيناء ، وضربوا فيها غورا ونجدا ، وتاهوا فى مهامها ، ولوا هم القوت ، فأنزل الله جلت قدرته عليهم المن والسلوى ، وعز عليهم الماء ، ففجر لهم موسى عليه السلام الحجر عيونا . وانتهز السامرى طلوع موسى الجبل ليكلم ربه ، فأضلهم وصنع لهم من الذهب عجلا له خوار ، فعكفوا عليه عابدين . ولا يزال أثر تصدع الجبل من خشية الله ظاهرا ، زيادة على الأثر الذى تركه كليم الله عند ما خر صعقا .

ونشأت فى سيناء بعض المدن التى تطورت إلى نظام الدولة (Polis) على الطريقة اليونانية ، ومن تلك المدن « البتراء » فى وادى موسى ، وهى كلمة يونانية معناها الصخرة ، وسميت كذلك لأنها قائمة على هضبة صخرية عالية ، وأكثر منازلها وهياكلها منحوتة فى الصخر ، الأمر الذى جعلها مدينة حصينة ، ولذا اتخذها « الأنباط » عاصمة لهم ، وهم شعب عربى عريق عاش فى وسط شبه الجزيرة

العربية منذ سنة ٥٠٠ ق . م . ولما جاءوا إلى سيناء، سموا البتراء باسم الرقيم، وحرصوا عليها لأنها المدينة الوحيدة التي توجد فيها مياه غزيرة بين الأردن والحجاز . استمد الأنباط ثروتهم من الاتجار في العطور والأخشاب الزكية الرائحة ، ونقل السلع من اليمن والهند إلى مصر وشواطىء البحر المتوسط ، وطالما جلبوا إلى مصر القار، من أجل تحنيط جثث المصريين القدماء . وأفادت البتراء من موقعها الجغرافي الذي مكنها من السيطرة على التجارة الآتية من الجنوب ؛ إذ كانت القوافل تتخذ من البتراء محطة للراحة ، ثم تخرج منها إلى غزة في الغرب ، أو دمشق في الشمال ، أو «أيلة» (العقبة) في الجنوب ، أو الخليج العربي في الشرق . كما كانت البتراء هي البقعة الوحيدة التي امتازت بوجود الماء العذب فيها بكثرة ولذلك كان عرب الجنوب يستبدلون هناك بإبلهم المتعبة إبلا أخرى ، ليتمكنوا من مواصلة سيرهم . ومما ساعدهم على الدفاع عن بلادهم ، أنهم كانوا يختزنون الماء في صهاريج محفورة في الصخر ، يملأونها من ماء المطر في الشتاء ، ويحكمون سدها ، ثم يضعون عليها علامات خاصة لا يعرفها سواهم ، فإذا هاجمهم عدو تركوا له مدينتهم وفروا إلى الصحراء ، فيموت العدو عطشا لعدم اهتدائه إلى مكان الماء .

واستخدم الأنباط «الآرامية» لغة للعلم والكتابة ، شأنهم في ذلك شأن أكثر دول العالم القديم ، واقتبس الأنباط من الخط الآرامي خطا عرف باسم الخط النبطي، وهو الذي استخدم في تدوين القرآن الكريم ، على عهد الخليفة عثمان بن عفان فيما بعد .

واشتهر الأنباط عند ما استطاعوا أن يصدوا بعض حملات السلوقيين ، خلفاء الإسكندر الأكبر في الشام ، وانتفعوا من ضعفهم فمدوا حدود دولتهم إلى الشمال حيث مدينة «حوران» الخصيبة، ثم استطاع ملكهم «الحارث الثالث» أن يستولي على دمشق وما جاورها ، وعلى عهده ازدهرت التجارة ، وكثر دخل البلاد عن طريقها ، فتمكن من القيام بإصلاحات كثيرة وفرت الرخاء للأهلين. ثم أخذت دولة الأنباط تقوى وتتسع حتى بلغت أقصى قوتها واتساعها على عهد الملك «الحارث الرابع» ، الذي امتدت الدولة على عهده من دمشق حتى أطراف الحجاز ، بما في ذلك سواحل البحر الأحمر ، وشبه جزيرة سيناء .

وظلت البتراء تتمتع بمركزها التجاري العظيم ، إلى أن استخدم الملاحون الرومان طريق البحر الأحمر في نقل تجارة الشرق ، كما تحول خط القوافل بين الشرق والغرب إلى مدينة «تدمر» ، التي تمتاز بوقوعها

فى أرض زراعية يضاف إلى ذلك أن الأنباط مالوا إلى حياة الترف ، فذهبت عنهم خشونة البادية ، وأصابهم الضعف ، ولذا استطاع الامبراطور الرومانى « تراجان » أن يستولى على البتراء سنة ١٠٦م ، فانتقلت طرق التجارة عنها إلى الإسكندرية وخليج السويس .

ولبثت سيناء تقاسى من ظلم الرومان ، حتى خلصها العرب بقيادة « عمرو بن العاص » ، الذى زحف بجيش قوامه أربعة آلاف مقاتل على « رفح » ، ذات الموقع الحربى الهام ، وصاحبة التاريخ الحافل بانتصارات المصريين على أعدائهم ، فاستولى على العريش بسهولة ، على الرغم من حصونها وأسوارها الممتدة إلى السويس ، والسر فى هذا هو ترحيب أهل سيناء بالفاتحين العرب ، وفى هذه البقعة حل عليهم عيد الأضحى سنة ١٨ هـ (أواخر سنة ٦٣٩ م) فاحتفوا به احتفالا فيه الجلال والجد ، وما لبث أن انتشر الإسلام فى ربوع سيناء ، وأقيم بجامع صغير يشرف على جبل المناجاة ، حيث كلم الله تبارك وتعالى موسى عليه السلام وناجاه ، ويقوم رهبان دير « سنت كترين » بإضاءة هذا الجامع طوال ليالى رمضان .

والواقع بقيت سيناء مصدر قوة للعرب ، طوال عصور الجد والجهاد ، حتى استولى الصليبيون على صحراء النقب ، حيث كانت تقع مدينة البطراء ، وأقاموا بها القلاع والحصون ، لكن العرب المسلمين أخرجوهم منها على عهد صلاح الدين ، وشيد أخوه الملك العادل « سيف الدين » قلعة جندى ، فى منتصف الطريق بين العريش والسويس ، ليصد منها الصليبيين من جنود أرناط صاحب حصن الكرك ، وكانوا قد أكثروا الإغارة على العريش ، وسرعان ما عمرت القلعة وما حولها ، عندما أمر العادل ببناء جامع وصهريج للماء .

واليوم يحاول الصهيونيون جهدهم الاحتفاظ بصحراء النقب ، لأنه معروف أن من يشرف عليها يستطيع بسهولة مهاجمة مصر وشبه الجزيرة العربية والعراق ، مثلما فعل الصليبيون من قبل ، لكن هيهات ، ما دام العرب والمسلمون بالمرصاد لأعدائهم من قوى الحقد والاستعلاء ؟

عباس حلمى اسماعيل

حاجي خليفة
شذرات مجهولة عن عالم شهير

للدكتور محمد رجب البيومي

يذكر اسم حاجي خليفة - عند أهل العلم - مع أصحاب الموسوعات العلمية ذات الخطر الجليل من أمثال: الخطيب وابن خلكان والمقريزي وابن عساكر وياقوت. ومن حذا حذوهم من المؤلفين، وأنت تجد لهؤلاء تراجم مبسوطة تذكر أخبارهم وتتحدث عن آثارهم ومواقفهم، ولكن يعوزك أن تجد لحاجي خليفة ما ينقع غلتك من الأنباء! وقد كان المظنون بصاحب خلاصة الأثر المهتمة بأعلام القرن الحادي عشر أن يتحدث عن مؤلف «كشف الظنون» كما تحدث عن معاصريه، ولكن نقص التراجم الخاصة بعلماء الأتراك في القرون الأخيرة مما تعانيه المكتبة الإسلامية، ويرجع ذلك إلى أمرين: أحدهما: أن علماء هذه القرون من التابعين لا المتبوعين، إذ أن أكثرهم كان ممن شمله داء العصر في التأليف العلمي، فصار قصارى جهده أن يلخص أو يشرح أو يختصر أو ينقل، وقل أن يضيف الجديد، تجد ذلك لدى الأكثرية الكاثرة إلا من ندر من أهل النظر المستقل، أما الأمر الثاني: فأكثر المخطوطات التركية ظلت إلى الآن بجفوة مهملة في الطبقات السفلى من دور الكتب في الآستانة وأنقرة وغيرهما، ولم تجد بعد الثورة الكمالية من يعني بإحياء آثار السلف؛ بل وجدت من يصب عليها اللعنات ويصمها بالتأخر والانحطاط! وهكذا ضاعت آثار أعلام فضلاء من المؤلفين، فتبع ذلك ضياع الكثير من أنبائهم إلا من تداركه الله بنباهة الذكر. وهم قليل!

وإذا كانت الكتب كالرجال تشقى وتسعد؛ فإن كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة قد نال حظوة طائرة الذكر بين أولي العلم من الباحثين؛ فاسمه يتخايل كثيرا في صفحات الكتب، وبين مراجع الدارسين حتى أصبح حجة في التعريف بالمراجع، والكشف عن المصادر. ومؤلفه بعد هذه الشهرة الرنانة جدير أن يعرف تاريخه، ويشتهر حديثه! ولكن أين؟

قضيت وقتا طويلا أسأل عن الرجل، فلا أجد من يزيد عن الإشارة إلى مؤلفه كشف الظنون؛ فأرد عليه بأن هذا الكتاب

الموسوعى الجليل هو ما يدعونى إلى البحث عن تاريخ صاحبه ، وقد هدتنى قراءتى الشخصية إلى أن أرجع إلى المغفور له الأستاذ الإمام الشيخ « محمد زاهد الكوثرى » رضى الله عنه وكيل المشيخة الإسلاميه أيام الخلافة العثمانية ، وقد كان من أفذاذ العلماء سعة إطلاع ودقة بحث وتنقيب ، وطول معاناة واختبار. فأخبرنى - رحمه الله - أنه كتب عنه إلمامة وافية منذ سنوات بمجلة الإسلام المصرية ، ولم يعين العدد أو العام ، إذ كان يعانى من مرضه الأخير ما عاقنى عن استيفاء الإجابة .

ولما كنت لا أحتفظ بمجلة الإسلام ، فقد اهتديت إلى أحد قرائها ممن يهتمون بجمعها وتجليدها فى مجموعات سنوية . فعرضت عليه أن يبحث مشكورا عن مقالة الإمام الكوثرى ! ولكن صاحبنا ضل طريقه إليها . إذ أن العنوان لم يكن حاجى خليفة ، كما توقعت بل كان « كاتب جلبى » وهو لقب المؤلف الدال على وظيفته ! ثم مضت سنوات عشر حرصت فيها على قراءة المقال حتى اهتديت إليه بالعدد الرابع من السنة السابعة الصادر بتاريخ ٢٣ من محرم سنة ١٣٥٧ هـ فكان فرحى به فوق الوصف ، وقد دفعنى مقال « الكوثرى » إلى تتبع بعض ما أشار إليه من مؤلفات الرجل ، حتى أمكننى أن أعرف عنه ما أستطيع به التحدث إلى القراء .

ولد مصطفى بن عبدالله الحنفى الشهير بحاجى خليفة فى بعض أيام ذى القعدة من سنة ١٠١٧ هـ .

وكان والده من رجال الجيش التركى المحاربين ؛ فقيد ولده فى سجل الجيش بفرقة « السلحدار » التى كان يعمل بها ، راجيا أن ينهج ولده نهجه ، فيأخذ سبيله إلى الدراسة الحربية بعد أن يلم بأصول القراءة والكتابة والحساب جريا على عادة العصر من اختصاص أبناء المحاربين باقتفاء آبائهم فيما يتداولون من المناصب والألقاب ، ولكن الناشىء الصغير لم يكد يلم بأصول الكتابة والاختزال ، حتى أسند إليه عمل كتابى بإحدى الفرق العسكرية ، وكأنى به قد عاف استكمال الدراسة الحربية قانعا بمنصبه الكتابى مستوحيا غريزته الدافعة إلى الهدوء النسبى فى ظلال الكتب والأبحاث ، دون أن تجمح به إلى ميادين المعارك الحمر ، ومنازلة الأقران وهو بذلك لم يبعد عن الحرب بعداً نهائيا ، بل ظل بمقربة من الجيش المتنقل فى شتى الأصقاع العثمانية يقيم بمقامه ويرحل بارتحاله محتفظا بوظيفته الكتابية فى القلم الحربى ! وقد هيأ له الارتحال المتكرر إلى الشام والعراق والموصل ومكة أن يلم بأكثر البقاع الإسلامية ، وأن يجالس كثيرا من أهل العلم فشغف حبا بالاطلاع ، وصمم على أن يشارك ذوى الثقافة الإسلامية ميولهم

الدراسية ، فأخذ يجمع الكتب ويحفظ الأشعار ، ويتطلع إلى أفق رحيب !

وحين رجع إلى القسطنطينية سنة ١٠٣٨ جعل من همه الإلمام بدروس العلم فى المساجد . وكان الواعظ الأشهر الشيخ « محمد مصطفى » المعروف « بقاضى زاده » ممن يملؤون الأسماع علما وبيانا ، وقد قسم وقته بين وعظ الناس فى الحلقات العامة وتدريس العلوم للطلاب فى الحلقات الخاصة حيث رزق من الفصاحة والإخلاص ما جعل دروس وعظه أثيرة لدى الطالبين ، فتهافت عليها الناس من كل صوب ، ونال إعجاب الملأ فى قومه ؛ فأخذ حاجى خليفة يتردد على حلقاته الخاصة والعامة ، سائلا مسترشدا ، ولم يضن عليه الشيخ فى شىء ، بل آنس لديه استعدادا ونباهة ، فأوصاه وهداه ، ودفع به إلى دراسة القواعد العلميه فى النحو والبلاغة والفقه والتوحيد ! وكان مقامه آنئذ بالقسطنطينية حافزا قويا على الدراسة والتحصيل ، ولكنه لم يلبث أن استدعى إلا عمله الكتابى بقلم تفتيش السوارى ففارق شيخه متألما إلى فارس ، ومنها إلى بغداد ومكة وديار بكر ثم إلى حلب ! وفى حلب هذه عثر على دكاكين الوراقة ملأى بالكتب ، فكادت تستغرق جميع وقته إذ شاهد من المخطوطات ما يروع ويبهر ، فجعل من همه أن يتصفح كل مخطوط ، وأن يكتب نبذاً يسيرة عن موضوعه ومؤلفه مشيرا بإيجاز سريع إلى زبدة أبحاثه حتى اجتمع له من ذلك عدة كراسات كانت نواة أولى لمؤلفه : كشف الظنون !

لم يكن حاجى خليفة يظن أنه حين شرع يدون مذكراته عن الكتب الحلبية إنما يبدأ عملا ضخما سيصبح منار الدارسين بعد حين ، بل كان يعتقد أنه يعمل لنفسه وحده ؛ إذ يحصى أسماء المؤلفات يروقه أن يبحث عنها فى مكاتب الأستانة حين يستقر به المقام عن قريب ، ولكنه حين رجع إلى مقره وفاجأ أساتذته وزملاءه بما دون ، رآهم يعجبون بتلخيصه ، ويتناقلونه ؛ فصمم الكاتب على أن يدون نبذا خاصة بكل مؤلف يقع فى يده ثم يضيفها إلى مجموعته ، وظل قرابة عشرين عاما لا يني عن هذا الرصد الموفق حتى اكتملت موسوعته العلمية ، وأصبحت مرجع الباحثين ! أفكانت المصادفة وحدها هى التى هيأته إلى هذا الصنف من التأليف ليصبح سر خلوده فى التاريخ ، وقد زار مدينة حلب مرافقا لإحدى فرق الجيش التركى فرجع صاحب منهج تأليفى وضعت بذرته فى الأرض وأخذت تتكامل على مر الأيام حتى تفرعت أفنانها المزهرة عن كشف الظنون ! الحق أننا نقف أمام كثير من الأعمال العلمية الجليلة حائرين

فإن موسوعة كشف الظنون قد نهض بها كاتب واحد فى زمن متخلف لجاءت مثلا رائعا فى بابها ، ونحن اليوم نرى فى عصر المطبعة والتقدم العلمى دور الكتب المختلفة ، تؤلف لجانا متشعبة لإحصاء كتبها ثم لتدوين نبذ قصيرة عن محتوياتها ، لتطبع فهارسها فى مجلدات تنشر بين الناس على نحو قريب مما نهض به حاجى خليفة فى كشف الظنون ، أقول: إن هذه اللجان المتشعبة ذوات العدد من الباحثين تتمخض فى النهاية - بعد سنوات عدة - عن عمل لا يقاس بمجهود فرد واحد كحاجى خليفة .

وتلك ظاهرة يطول لها العجب ، فأنت تقع على أخطاء كثيرة فى هذه الفهارس ذات اللجان المتفرعة ، فمؤلف لابن تيمية الجد ينسب إلى ابن تيمية الحفيد ، ومؤلف للسخاوى الفقيه ينسب إلى السخاوى المؤرخ وكتاب فى الخطط الشامية يقال : إنه خاص بالخطط المصرية إلى أمثال هذه الأعاجيب ! أفتكون اللجنة العلمية من القصور بحيث لا تفى بمجهود عالم فرد ؛ إن ذلك ليدل على أن الوظيفة الرسمية لا تخلق الباحثين كما تخلقهم الرغبة الذاتية ذات الميل الحافز والصبر الدءوب !

لسنا نعنى بذلك أن كتاب كشف الظنون قد خلا من الأخطاء ، فإن النقص البشرى متوقع من كل إنسان مهما حرص على الكمال وقد أشار إلى ذلك الإمام الكوثرى حين قال عن الكتاب .

« وهو أوضح ما بأيدى الباحثين اليوم من الكتب المؤلفة فى استقصاء ذكر المؤلفات فى الإسلام ، وأنفعها فى بيان أحوال الكتب وإن كان لا يخلو من أغلاط فى الوفيات وأسماء المؤلفين كما هو شأن من قام بنفسه بمثل هذه المهمة العظيمة المشكورة ، وقد غمطه حقه المستشرق «هربلو» الفرنسى ، وعده جامع الغث والسمين ، مع أن هذا المستشرق إنما يرتكن فى كتابه (مكتبة الشرق) على كشف الظنون بل استمد جل ما فى كتابه من هذا الكتاب ، ويوجد بين المستشرقين من ينصف ويناصر صاحب الكشف ضد ذلك المستشرق » هذا وكتاب الكشف يتحدث عن نحو ثلاثمائة علم من العلوم الإسلامية فيتكلم عن (١٤٥٠١) من الكتب وعن (٩٥١٢) من المؤلفين ، وكان ظهوره حدثا فريدا فى عصره ، وقد شاء لاحقوه أن يتعلقوا بأذياله فكتبوا ملحقات خاصة بأسماء بعض الكتب التى أغفلها حاجى خليفة متبعين طريقته فى الإيجاز الشامل المحيط ، ومن هؤلاء : الشيخ إبراهيم الواعظ ، وأحمد طاهر حنيف ، وشيخ الإسلام عارف حكمت ، وقد طبع ملحق الشيخ الواعظ مع الكشف كذيل له

فى الطبعتين المصريه و الآستانية ، أما الكتاب الفريد حقا فى تذييل الكشف فهو ما صبر على جمعه العالم البحاثة إسماعيل باشا البغدادى حيث استطاع فى مدى ثلاثين عاما أن يصدر فهرسه الجامع مشتملا على التعريف بأكثر من ١٩٠٠٠ من الكتب التى لم يتحدث عنها حاجى خليفة ، وأنا أعجب كيف بقى هذا العمل الضخم مخطوطا بمكاتب الآستانه إلى الآن ! وهو جهد يتطلب البعث السريع ، نشرا وتحقيقا ليمدنا بكثير مما نجهل من تراث الأجداد !

ومؤرخو الحضارة الإسلامية والثقافة العربية لن يؤدوا واجبهم الدقيق دون أن يهتدوا إلى أمثال هذه الفهارس النافعة ، وإلى أن تظهر هذه الذيول الضافية عن كتب السابقين ستبقى الكشف الظنون جدته الدائمة وسيظل المورد الأول لعشاق التراث العلمى من الباحثين .

والمتأمل فى مؤلفات حاجى خليفة يجدها من الكثرة والتنوع بحيث تدهش وتعجب ، فقد كان الرجل يؤلف بالتركية والفارسية والعربية ، ويكتب فى التاريخ وتقويم البلدان والفلك والسياسة والطب الروحى كتابة الباحث الملم فى زمن لا يكاد يعرف التخصص ولعل طريقته التعليمية فى دراسته الأولى هى التى تشعبت بميوله العلمية تشعبا شاملا ، فقد درس علوم التفسير والفقه والتصوف على أستاذه العلامة الشهير بقاضى زاده ، ثم درس الأصول والمنطق والعروض وآداب البحث والمناظرة على أستاذه العلامة «مصطفى الأعرج» واستمع إلى علوم الحديث والبديع والبيان من «الألبانى» ، والواعظ والكردى وهم أساتذة هذه العلوم بمساجد الآستانة ، ثم تصدر للتدريس فى علوم شتى حتى جاءه التعيين سنة ١٠٦٧ هـ بعد خمسين عاما من حياته القصيرة بأعوامها الطويلة بما كتب وشرح وجمع وترك فى المخطوطات والأذهان ! وقد قرأ المغفور له الأستاذ حمزة طاهر أستاذ اللغة التركية بكلية الآداب أكثر مؤلفات حاجى خليفة ، وكتب عنه مقالا جيدا بمجلة الثقافة عدد ٥٧ سنة ١٣٥٨ معلنا أنه استمده مما كتب الرجل عن نفسه فى غضون مؤلفاته الكثيرة ، ثم سجل فى نهايته فهرس مؤلفاته التى وقع عليها ، ونحن نوجزها فيما يلى .

١ — « فذلكة التواريخ » ، وهو مختصر على لكثير من الأمور التاريخية ، قد اقتبس من مؤلف سابق الأمير «جنابى» بعد أن أضاف إليه حاجى خليفة ما انقطع من الأحداث بعد زمان الجنابى إلى زمانه .

٢ — حاشية على تفسير العلامة البيضاوى ونظن أنها كتكميلاتها المعروفة .

٣ — شرح فى علم الفلك لكتاب على القوشى المعروف (بالمحمدية) .

٤ — تقويم التواريخ ، وهو جداول تاريخية من بدء الخليقة إلى سنة ١٠٥٨ باللغتين الفارسية والتركية .

٥ — سلم الوصول إلى طبقات الفحول وهو تراجم تاريخية الأعلام .

٦ — تحفة الأخيار فى الحكم والأشعار ، وهو مختارات مجموعة من الآداب العربية والفارسية والتركية .

٧ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون وقد جمعه فى أكثر من عشرين عاما وبه طارت شهرته ورن صداه .

٨ — لوامع النور فى ترجمة أطلس منيور وهو سرد لحياة أحد أبطال الترك .

٩ — « جهانما » كتاب جغرافى لا يغفل الأحداث والتواريخ .

١٠ — « الرجم الرجيم بالسين والجيم » وهو يضم الفتاوى الدينية لأعلام عصره فى أمور الحياة والأحياء .

١١ — تحفة الكبار فى أسفار البحار ، وهو يتحدث عن بعض الحروب العثمانية ونتائجها وأعلامها .

١٢ — ميزان الحق فى اختيار الأحق ، وهو تراجم علماء عصره من الأتراك .

* * *

وبمراجعة أسماء هذه المؤلفات ، نرى الصبغة التاريخية تعمها فالرجل مولع بأحداث الزمان وأعلام العصور يتحدث عنهم حديث المشاهد إذا رأى وحديث الناقل إذا قرأ ، ولن نكلف الرجل فى زمانه وثقافته بأكثر مما يرتقب من مثله ! وإذا لم تخل العصور السابقة من ذوى التحليل الأدبى فى كتابة التاريخ . فهم من الندرة بحيث يجوز لنا أن نفترض لدى كل كاتب تاريخى أن ينهج نهجهم الكاشف فى استخلاص العبرة وربط النتائج بالأسباب ، والغور المتعمق فى استكناه الجذور العميقة ، أو الطيران المحلق فى رصد الذرى البعيدة ! لقد قرأ الرجل فهضم ، ثم كتب فأوضح وجمع فأوعى وحسبه ذاك !

ولعلك تسأل عن سبب تلقيبه بحاجى خليفة مع أن اسمه الحقيقى «مصطفى عبد الله» وإجابة عن ذلك نذكر أن الرجل كان خليفة فى قسم الكتاب ، وهى الرتبة الثانية التى يعلوها رئيس الكتاب وحده ، وقد حج بيت الله وجاور بمكة حينا فقيل له « حاجى خليفة » بمنطق الأتراك ! وقد غلبت عليه هذه الشهرة حتى أنست اسمه الأول بعض الباحثين ! وإن بقى خالدا فى كتابه الذائع عن الأسامى والمؤلفات ! ذلك المرجع الذى جعله أستاذ ذلك الفن فى دنيا التأليف والمؤلفين ؟ .

محمد رجب البيومى

انتشار الإسلام في جيلان

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٥ —

اتضح لنا إجمالا مما سبق أن جهود الناصر قد آتت ثمارها بين الديالمة والجيليين، وإذا اردنا أن نفصل هذا الإجمال فإننا نقول: إن النشاط الذى قام به «الناصر» من أجل نشر الإسلام فى المنطقة قد اتجه فى مرحلته الأولى إلى جماهير «الديلم»، وقد قوبل هذا النشاط بنجاح كبير فاق كل ما كان مقدرا له، وبعد أن فرغ الناصر من المنطقة الجبلية اتجه بجهوده إلى الجماعات الجيلية، وهم أولئك الذين كانوا يسكنون المنطقة الساحلية الجنوبية ولم يكن نجاح الداعية العلوى مع هؤلاء الجيليين أقل من ذلك الذى استطاع أن يحققه من قبل مع إخوانهم الديالمة.

هذا بيد أن الدقة بخصوص هذه النقطة تدعونا إلى القول: بأن قلة قليلة من الديالمة، وكذلك الجيل، لم تتأثر بدعوة الناصر، ومن ثم ظل أفراد هذه القلة معتنقين لدينهم. والمؤرخ المعاصر المسعودى يكاد يكون هو المؤرخ الوحيد الذى انفرد بتقرير هذه الحقيقة بوصفه شاهد عيان؛ فقد قال هذا المؤرخ فى حديثه عن الزعيم العلوى وثمرة الجهود التى بذلها لنشر الإسلام فى المنطقة: «فاستجابوا وأسلموا إلا قليلا منهم فى مواضع من بلاد الجيل والديلم فى جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة على الشرك إلى هذه الغاية»[1].

كما أن عامل الدقة يحملنا أيضا على القول بأن الجهود التى بذلها الناصر بين الجماعات الجيلية قد تركزت بصفة أساسية فى الجزء الشرقى من المنطقة الساحلية، ونعنى به الجزء المحصور بين نهر «اسفيدورود» والحدود الطبرية وقد أشار إلى هذه الحقيقة بعض المؤرخين الذين عنوا بالكتابة عن انتشار الإسلام فى المنطقة؛ فـ «الصابى» يقول فى الحديث عن الناصر ونشاطه فى سبيل نشر الدين الإسلامى: ولم يتجاوز حد النهر المذكور (اسفيدرود)

---

(١) مروج الذهب، جـ٢ ص٢١٣.

ولا كان إسلام من بقى من الجيل على يده » (١) .

وقد أكد ابن الأثير فى تاريخه لحوادث سنة ٣٠١ هذا الذى قرره الصابى حيث قال بخصوص الموضوع نفسه : « وقد أسلم على يده (الجيل) الذين هم وراء اسفيدرود إلى ناحية آمل (ومدينة آمل كانت آنذاك حاضرة إقليم طبرستان ، وهى مدينة ساحلية تقع على الشاطىء الجنوبى لبحر قزوين) .

يغلب على الظن أن تحديد المجال الجغرافى لنشاط الناصر بين الجماعات الجيلية بالصورة السابقة قد يثير فضول القارىء لمعرفة الظروف التى أدت إلى انتشار الإسلام فى المنطقة الواقعة وراء الضفة الأخرى للنهر ، وأسارع فأقول : إن انتشار الإسلام فى هذه المنطقة ، وهى التى يحصرها النهر المذكور من ناحية والحدود الشمالية للإقليم من ناحية أخرى ، قد ارتبط بجهود داعية آخر من دعاة الإسلام وسيكون الحديث التفصيلى عن ذلك هو الجزء الأخير من هذا المقال .

أما الآن فإنى أجد فى النصوص الثلاثة السابقة ، مع إيجاز كل منهم ، شيئا يحملنى على أن لا أهمله ، وأعنى به مدى تأثير العوامل الجغرافية فى حركة انتشار الإسلام ؛ فالمسعودى يقول لنا : إن الذين لم يعتنقوا الإسلام من بين مواطنى المنطقة هم أولئك الذين كانوا يقيمون « فى جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة » . وتفسير ذلك هو أن عدم إسلام الجماعات التى كانت تقيم فى مثل هذه الأماكن الوعرة يعود فى المرتبة الأولى إلى صعوبة المسالك إليهم . الصعوبة التى وقفت عقبة أمام اتصال الدعاة بهم ، ومن ثم لم تتح لأفراد هذه الجماعة الفرصة لكى يتعرفوا على خصائص الدين الإسلامى بالقدر الذى يدفعهم إلى اعتناقه ، ونبذ دينهم المتوارث القديم .

هذا هو الفهم الذى يمكن أن نستخلصه من النص الذى أورده المسعودى ، ونفس الفهم ، أو قريب منه ، من المستطاع أن نستنبطه من كل من النصين الآخرين ، فنص الصابى يقول عن الناصر : « ولم يتجاوز حد النهر المذكور ولا كان إسلام من بقى من الجيل على يده » . وابن الأثير يقول : « وقد أسلم على يده (الجيل) الذين هم وراء اسفيدرود إلى ناحية آمل » .

لا يستطيع قائل أن يزعم أن الناصر قد وضع تخطيطه على أساس أن يقف بنشاطه عند ضفاف النهر المذكور ، فى حين أن

---

(١) التاج فى أخبار الدولة الديلمية ، ورقة ٥ .

التفسير الأقرب إلى القبول هو أن النهر كان العقبة الجغرافية التى وقفت فى وجه تقدم الناصر إلى الجانب الآخر ، ويرجح هذا التفسير ما يردده الجغرافيون عن صعوبة اجتياز هذا النهر من جهة إلى أخرى ، ومن الطبيعى أن لا يتوقع فى مثل هذه البيئة وهذا التاريخ المتقدم أن يكون الإنسان قد تغلب على هذه الصعوبة بإقامة المعابد التى تربط بين الضفتين .

هذه كلمة سريعة قصدت من ورائها أن أشير إلى مدى فاعلية العوامل الجغرافية والدور الذى لعبته ، أو تلعبه ، فى حركة انتشار الدين الإسلامى ، وكم يكون مفيدا لتكامل الدراسة فى مثل هذا الموضوع أن يلتفت إلى العوامل الجغرافية بالقدر الذى يتفق وما لها من أهمية .

مهما يكن من أمر ، فقد تردد فى المراجع التى أرخت بصفة خاصة لحركة انتشار الدين الإسلامى فى المنطقة ذكر مكانين جعل منهما الناصر مركزيه الرئيسيين أثناء مزاولته نشاطه ، أحدهما هو « كيلاكجان » الذى كان يقع فى المنطقة الجبلية ، وثانى المكانين هو مدينة « هوسم » التى كانت تقع فى المنطقة السهلية المتاخمة لساحل بحر قزوين . ويبدو أن المكانين لم تكن لهما أهمية خارج نطاق المنطقة إلى درجة أنه لم ترد إلى أى منهما إشارة فى المصادر الجغرافية التى كتبت فى القرن الرابع الهجرى ، أما بالنسبة للمصادر المتأخرة فقد عثرت على إشارة مجملة أوردها البكرى[1] ، ولذا فإنه من الصعب التحديد الدقيق للبقعة الخاصة بكل من هذين المكانين ، أى أن الغموض يحيط بالموقع الجغرافى للمركزين اللذين كان كل منهما مصدراً لإشعاع الدين الإسلامى فى الأماكن المجاورة .

والشىء الذى نستطيع أن نقوله حول هذه النقطة هو أنه بمرور الزمن أخذت مدينة « هوسم » تنمو وتزدهر على حساب المدينة الأخرى ، وذلك بصفتها المركز الأول للنشاط الفكرى الإسلامى فى المنطقة كلها سهلها وجبلها ، حتى أننا نجد كثيرا من العلماء الذين برزت أسماؤهم بين الأجيال الإسلامية اللاحقة ينتسبون إلى مدينة « هوسم » .

وهكذا فإن التاريخ يسجل أنه بنهاية القرن الثالث الهجرى أصبح الإسلام دين الأغلبية الساحقة بين الديالمة ، كما أصبحت للدين الإسلامى السيادة أيضا فى المنطقة السهلية التى تقع إلى الشرق من نهر « اسفيدرود » . ومعنى هذا أن الناصر قد أنفق فى نشاطه كل سنوات العقد الأخير من القرن الثالث الهجرى ، ومعه سنوات قليلة من العقد السابق . وقد صاحب انتشار الإسلام فى تلك الفترة

(١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، ج ٢ ص ٩٦ .

وما بعدها تشييد الكثير من المساجد التي أخذ بنيانها يرتفع في كل أنحاء هذه البلاد التي طالما استعصت على المحاولات العديدة السابقة.

ويبدو أن حركة إقامة المساجد في المناطق التي عمها الإسلام كانت نشطة إلى الحد الذي يحمل الباحث على القول بأن كل منطقة تجمع سكاني - مع إطراح الأماكن القليلة التي لم تنعم بنور الإسلام - ارتفع فيها بنيان مسجد أو أكثر، ولنا أن نتخيل آثار مثل هذه الحركة النشطة على مدى سنوات النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ومن الطبيعي أن حركة بناء المساجد هذه قد اضطلع بها الناصر إبان الفترة التي كان يدعو فيها إلى الدين الإسلامي. وقد اقتدى به وسار على هديه فيما بعد أولئك الذين استجابوا له وصدقوا بدعوته.

وعن إقامة المساجد ونصيب كل من الناصر وأتباعه فيها لنا أن نستأنس بنصين؛ أولهما للمسعودي ويقول فيه عن الناصر: «فدعاهم إلى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا ... وبنى في بلادهم مساجد»(١). وثانيهما لأحد مؤرخي الشيعة وهو أبو الحسن علي بن بلال الذي شارك في تأليف كتاب المصابيح، ويتحدث فيه عن الذين اعتنقوا الإسلام بفضل جهود الناصر فيقول: «وبنوا المساجد وتعلموا القرآن وتبصروا في الدين وسموا بأسامي المسلمين»(١). فقد أسند المسعودي إقامة المساجد في نصه إلى الناصر، بينما أسندها المؤرخ الشيعي إلى أهل البلاد الأصليين، والنصان معا يفيدان خط التطور الذي سارت فيه حركة تشييد المساجد في المنطقة.

ونختتم الحديث عن الناصر ونشاطه بالتعرف على موقف «جستان ابن وهسوذان» الملك الديلمي المعاصر وبخصوص هذه القضية فإننا نقول: إن المراجع التي بين أيدينا قد أجمعت على أن «جستان» قد لجأ في أول الأمر إلى مقاومة الناصر والتصدي له، بيد أن محاولاته المضادة قد باءت بالفشل وتخلى عنه أنصاره، فما كان منه إلا أن أعلن هو الآخر إسلامه وأصبح بالتالي واحدا من أتباع الزعيم العلوي، وقد اشترك الملك الديلمي بصورة فعالة في تحقيق الخطة السياسية التي كانت الحلم الذي ظل مسيطرا على حياة الناصر منذ مقتل سلفه محمد بن زيد في سنة ٢٨٧، وأعني به إعادة الدولة العلوية التي سبق لها أن قامت في إقليم طبرستان.

تغلب الجانب السياسي على حياة الناصر

---

(١) مروج الذهب، جـ ٢ ص ٥١١

(١) المصابيح، ميكروفيلم بدار الكتب رقم ٨١، ورقة ١١٧ ب.

منذ استيلائه على طبرستان فى جمادى الآخرة سنة ٣٠١ وحتى وفاته فى شعبان سنة ٣٠٤ ولهذا فإننا عند هذا الحد نكف عن تتبع تاريخ الناصر، وذلك لقلة جدوى هذا التتبع لما نحن بصدده من دراسة انتشار الإسلام فى جيلان.

وننتقل الآن إلى الجزء الأخير من هذا المقال، وهو الجزء المخصص لتفصيل الحديث عن انتشار الإسلام فى المنطقة التى تقع إلى الغرب من نهر «اسفيدرود». والحق أقول أنه لولا ما ذكره الصابى بخصوص انتشار الإسلام فى هذا الجزء من منطقة جيلان لضاعت على الدارس المعاصر إحدى الحلقات التى تكمل سلسلة الجهود التى بذلت من أجل نشر الإسلام فى المنطقة، ولوقع بالتالى فى الخطأ الذى يمكن أن يتورط فيه من يتصدى بالدراسة لهذا الموضوع حيث يخيل إليه أن انتشار الإسلام فى المنطقة كلها مدين بالجهود التى بذلها الناصر، سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة.

وندع الآن الحديث للنص الذى أورده الصابى، فهو يقول فى الورقة الخامسة: «ولم يتجاوز (الناصر) حد النهر المذكور (اسفيدرود) ولا كان إسلام من بقى من الجيل على يده، بل على يد رجل وقع اليهم بجميع النواحى، ويكنى أبا جعفر، مذهبه مذهب أحمد بن حنبل فى السنة والجماعة، وأول أمره معهم أنه أسلم على يده رئيس منهم يقال له «سباهجيل بن رستم»، وأسلم على يد «سباهجيل» جماعة منهم وقالوا له: عمن أخذت هذا الدين، وكيف لنا برجل يوقفنا على حدوده وفروضه ويحفظنا القرآن والعلوم وغيرها مما نحتاج إلى علمه؟ فأرشدهم إلى أبى جعفر وأعلمهم أنه من الصالحين الديانين، واجتمعوا عليه وجعلوه عميدهم وأسلموا على يديه وتلقنوا مذهبه».

ومما يؤسف له أنى لم أقع على ترجمة لأبى جعفر هذا فيما كتبه الفراء عن طبقات الحنابلة، ولعل الصعوبة فى ذلك تعود قبل أى شىء إلى أن الفراء قد ساق من ترجم لهم بالأسماء لا بالكنى، ويترتب على ذلك أن الباحث لا يستطيع أن يتعرف على شخصية أبى جعفر هذا بأكثر من هذه المعلومات القليلة التى ذكرها عنه الصابى.

مهما يكن من أمر، فإن نص الصابى يقدم بعض الحقائق، ويتيح للباحث فى نفس الوقت فرصة الاجتهاد حول جوانب أخرى، فمن الحقائق التى يحملها هذا النص أن من أول من اعتنقوا الإسلام على يد الداعى الحنبلى — إن لم يكن أولهم على الإطلاق — هو «سباهجيل بن رستم»، أحد رؤساء الجماعات الجيلية. وحقيقة ثانية هى أن الزعيم الجيلى

قد تحمس لعقيدته الجديدة بدرجة كبيرة حتى أنه قد صار بدوره داعية إلى الدين الإسلامى ، وقد أثمرت جهوده بين عدد من إخوانه الجيليين ، وثالثة هى أن جمهرة الجيل قد سموا إلى اعتناق الإسلام ومعرفة تعاليمه وقد وجدوا طلبتهم هذه فى شخص أبى جعفر الذى صار القائد الروحى للجماعات الجيلية حديثة العهد بالإسلام ، ورابعة الحقائق هى أن إسلامهم كان مصطبغا بالمذهب الحنبلى ، وهو المذهب الذى كان يعتنقه أبو جعفر .

وفوق كل هذه الحقائق فإن النص فى جملته يحكى لنا صورة من صور انتشار الإسلام بالقوة الذاتية الكامنة فيه ، وهى السمة التى تعتبر من أخص الخصائص التى يمتاز بها هذا الدين الحنيف .

أما السلبية التى تبدو فى النص ، وتتيح للباحث بالتالى فرصة الاجتهاد فمنها تحديد العلاقة الزمنية لانتشار الإسلام فيما وراء الضفة الشرقية لنهر « اسفيدرود » ، وانتشاره فى بلدان الضفة الغربية ، ومنها معرفة العدد التقريبى لمن اعتنقوا الإسلام بفضل جهود أبى جعفر ، ومنها معرفة الجهة التى وفد منها الداعية الحنبلى ، هذا بالإضافة إلى أنه لم ترد فى النص أدنى إشارة عما إذا كان أولئك المسلمون الحنابلة قد أقاموا المساجد فى مدنهم وقراهم .

بالنسبة للعلاقة الزمنية فمن المرجح أن انتشار الاسلام بين الجماعات التى تقطن إلى الشرق من نهر « أسفيدرود » يسبق انتشاره بين مواطنى الضفة الغربية ، إذ أنه لو كان العكس هو الصحيح لأشارت إلى ذلك المراجع التى تحدثت عن الناصر وجهوده فى سبيل نشر الإسلام ، والمرجح أن اعتناق مواطنى الضفة الغربية للإسلام قد حدث فى العقد الأول من القرن الرابع الهجرى ، والذى يسوقنا إلى هذا الترجيح أمران ؛ الأول ما سبق أن تأكد لنا من أن نشاط الناصر فى سبيل نشر الإسلام قد استغرق سنوات العقد الأخير من القرن الثالث ، والثانى أن المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ المنطقة ابتداء من العقد الثانى للقرن الرابع قد تحدثوا عن المنطقة كلها بصفتها منطقة إسلامية .

وعن الجهة التى قدم منها أبو جعفر فإنه ليس من المستبعد أن يكون قد قدم من إقليم أذربيجان ، وهو الإقليم المتاخم للمنطقة موضوع الدراسة من الجهة الغربية ، والمعروف أن مسلمى أذربيجان آنذاك كانوا يدينون بالمذاهب السنية ومن بينها المذهب الحنبلى ، وبخصوص العدد التقريبى لمن اعتنقوا الإسلام على يد أبى جعفر فيكفى أن نستخلص من ثنايا النص أنهم كانوا

الأغلبية ، ومن الطبيعى والحالة هكذا أن تسير حركة إقامة المساجد قدما مع إقبال أهالى المنطقة على إعتناق الدين الإسلامى حتى ولو لم ينص الصابى على ذلك ، مع ملاحظة أن هذا المؤرخ لم يشر إلى حركة إنشاء المساجد فى المنطقة الجبلية والمنطقة السهلية الشرقية ، وقد تأكد لنا من المصادر الأخرى أنها كانت حركة واسعة ونشيطة .

هذه صفحة مشرقة من صفحات إنتشار الدين الإسلامى حول بحر قزوين ، وآمل أن ألتقى بك أيها القارىء الكريم من جديد مع منطقة أخرى من المناطق التى سطع فيها نور الإسلام .

د. حامد غنيم أبو سعيد

استـــدراك

من سلسلة انتشار الإسلام فى جيلان ورد فى المقال الثالث الصادر فى عدد رجب سنة ١٣٨٨ ص ٣٦٣ — العبارة التالية :

(وكيف تغلب على العقبات التى واجهت إسلامه)

الخطـــأ	الصـواب
إسلامه	أسلافه

وقد ورد فى المقال الرابع من هذه السلسلة والصادر فى عـــدد شوال سنة ١٣٨٨ ص ٦٤٧ — العبارة التالية :

(وذلك بأن ركز على المميزات البدائية للإسلام)

الخطـــأ	الصـواب
البدائيـة	الذاتيـة

قيس بن سعد

للأستاذ محمد محمود زيتون

— ٤ —

وبعث على من قبله محمد بن أبي بكر واليا على مصر بدلا من قيس . الذي استقبله عندما قدم عليه ، ودار بينهما الحوار التالي :

قيس : ما بال أمير المؤمنين ؟ ما غيره ؟ أدخل أحد بيني وبينه ؟

محمد : لا ، وهذا السلطان سلطانك

قيس : لا والله ، لا أقيم معك ساعة واحـــدة .

كان محمد بن أبي بكر — الذي تجاهل كل شيء وأنكر كل شي — لا يزيد في العمر على ستة وعشرين عاما ، وكان يحب الخيلاء والرياسة . ويسارع إلى ما هو ساقط عنه ، وكان أقصى ما يتمناه أن يتولى أمر مصر ، من أي سبيل ، فتحقق له المراد . ونصح له قيس ، عندما قدم عليه نصيحة المؤمن المخلص لدينه ، نصحه بألا يقاتل المصريين ، بعد أن وادعهم وهادنهم ، وأوصاه بأن يكون لين الجانب معهم ، وأن يرفع الحجاب عنهم ، ويعود مرضاهم ، ويشهد جنائزهم ، وقال له فيما قال :

« يا أبا القاسم ، إنك قد جئت من عند أمير لا رأى له ، وليس عزله إياي بما نعى أن أنصح لك وله ، وأنا من أمركم هذا على بصيرة ، وإني أدلك على الذي كنت أكيد به معاوية وعمرا وأهل خربتا ، فكايدهم به ، فإنك إن كايدتهم بغيره تهلك » [1] .

لم يكن محمد بن أبي بكر بحاجة إلى نصيحة قيس فقد ظن به كل الظنون ، واستغشه وخالفه في كل شيء أمره به ، وألقى بنصائحه ووصاياه وراءه ظهريا ، واستدار إلى أهل مصر ففتك بهم أشد الفتك : هدم دور العثمانية ونهب أموالهم ، وهتك ذراريهم ، وقتل منهم ثمانين ، وبهذه السياسة الغاشمة حطم كل ما بناه سلفه الصالح ، فجر على نفسه الويلات ، ولم يطيقوا أن يروا واليا على هذا النحو من الفظاظة والغلظة ، فقتلوه شر قتلة ، فمات في ١٤ صفر سنة ٣٨ هـ .

---

(١) الكامل : ابن الأثير .

ذلك أنه بعد قدومه بشهر من ولايته التى لم تزد على خمسة شهور . أرسل إلى المعتزلين بمصر وخيرهم بين الطاعة له أو الخروج من البلاد ، فاستمهلوه حتى يتشاوروا ، فأبى عليهم ذلك ، وأعدوا له ، وانطوت أيام (صفين) مع الأيام ، وهم منه على حذر ، وتربصوا له فأرسل إلى (خربتا) جمعا كبيرا على رأسهم الحارث بن جمهان الجعفى ، فقتلوه ، واتبعه بابن مضاهم الكلبى ، فلم يكن أسعد حظا من سابقه ، وجاء الخبر إلى على بأن ابن أبى بكر قد انكسر أمام معتزلة خربتا ، فعقد فى نفسه مقارنة بين حكمة قيس وطيش من خلفه ، والتفت على إلى من حوله وقال (ما لمصر إلا أحد رجلين: صاحبنا الذى عزلنا (قيس) أو الاشتر) . وكان الاشتر قد عاد إلى عمله بعد (صفين) ، أما قيس فقد أبقاه الخليفة على شرطته حتى تنقضى الحكومة . وقد زاد مكانه عند على علوا وإكبارا .

جاء أمر الخليفة بعزل قيس عن مصر فى ٥ رجب عام ٣٧ ، وقد لبث فى ولايتها أربعة أشهر وخمسة أيام ، عانى خلالها الأهوال من مكايدات معادية ، ولما خرج معزولا لقيه حسان بن ثابت – وكان عثمانيا – فقال له شامتا : (نزعك على ، وقد قتلت عثمان ، فبقى عليك الإثم ، ولم يحسن لك الشكر) فأفحمه قيس بقوله : (يا أعمى القلب والبصر والله لولا أن ألقى من رهطى ورهطك حربا لضربت عنقك اخرج عنى) .

وفى الحق أنه لا يمكن أن يكون فى طاقة أحد – مهما بلغ من كظم الغيظ – أن يحتمل مثل هذه الشماتة من حسان بقيس ، وهو الذى لا يقاس بمناقبه فى هذه الفتنة الهوجاء رجال ورجال ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . كما أن فارس الكلمات أحيانا ، تكون وحدها أبلغ رد على من لعبت الفتنة بعقله ، فانقلب النهار لديه ظلاما ، لما أصابه من عمى القلب والبصيرة ، وقيس – إذا سب وشتم – فهو معذور .

وأوجس قيس – وهو الشجاع المقدام – فى نفسه خيفة ، فإذا كانت النفوس قد تغيرت على نحو ما سمع من حسان ، فما بال الخليفة ! أو الفتنة كحاطبة الليل ، لا تميز ولا تفرق واستيقن قيس أن الناس قد لعبت الأهواء بهم ، ولم يعد لكلمة الحق من سبيل إلى الأسماع ، ومع هذا كله كان لا بد من أن يلقى الخليفة وقد استدعاه بعد عزله ، فاصطحب معه إليه مروان بن الحكم ، والأسود ابن أبى البخترى ، وشهد اللقاء مع على سهل ابن حنيف ، وأفضى الوالى المعزول ضحية المكايدة ، بمكنون سره إليه ، فأدرك أن الخليفة مثله ضحية بريئة ، وعند ذلك بلغه مقتل محمد بن أبى بكر ، وعلى نفسها جنت براقش ، ونفذ سهم الله .

ولما تأهب على لوقعة (صفين) اختار قيسا للقيادة العليا ، فوقع ذلك على معاوية وقع الصاعقة ، فقد احتشد أربعون ألفاً بايعوا عليا على الموت وقال معاوية للأسود ومروان معاتبا : « أمددتما عليا بقيس ، والله لو أمددتماه بمائة ألف مقاتل ، لكان أيسر عندى من قيس بن سعد فى رأيه ومكانه »[(١)] وتلك شهادة من معاوية يعرب فيها عن تقديره الكامل لرأى قيس ومكانته ، من حيث لا يدرى .

وتتلاحق الأيام ، ويموت على مقتولا شهيدا كعمر وعثمان من قبله ويخلفه ابنه الحسن ريحانة رسول الله ، ويأبى قيس إلا أن يكون أول من يبايعه على كتاب الله وسنة رسوله وقتال المحلين لحرمات الله ، ويخرج قيس إلى (المدائن) فى اثنى عشر ألفاً ، ويبعث معاوية من يندس فى الصفوف ، وينادى بأن قيسا قد قتل ، ـ وهو حى يرزق ـ فيتفرق الشمل ويصير النهب والسلب فى العسكر ، ويقف قيس فى الناس ، ليجمع ما تفرق ، ولكن هيهات ، ويحقن الحسن دماء المسلمين ويأمر الناس أن يدخلوا فى طاعة معاوية ، الذى مهد لذلك من بعيد ، وهو يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة [(١)] ، ويراسله معاوية ويصالحه ويعاهده ، فيرضى بقضاء الله خيره وشره ، حلوه ومره ، ويذعن قيس ويقف خطيباً ويقول :

« أيها الناس ، اختاروا أحد أمرين : القتال بلا إمام ، أو الدخول فى طاعة معاوية » [(٢)] ، فاختاروا أهون الشرين ، وبايعوا معاوية على كره منهم ، والحسرة تأكل قلوبهم ، وانصرف قيس إلى (المدائن) والحسن إلى (الكوفة) ثم إلى (المدينة) ، ويسعى معاوية سعيا إلى الحسن ثم قيس ، فى الصلح والترضية ، ويقول لقيس :

« كنت أود أن تنكشف الحروب التى كانت بينى وبين على ، وأنت حى ، فيرد قيس بأنفة وكبرياء .

« والله إنى كنت أكره أن تنكشف تلك الحروب ، وأنت أمير المؤمنين » ، وكتمها معاوية ولم ينبس ببنت شفة ، ولقد كان أحب شىء إلى معاوية أن يخاطبوه بيا أمير المؤمنين [(٣)] . وقد نما إليه أن قيسا كان يقول عنه بعد تنازل الحسن له بالخلافة : « مذل المؤمنين » [(٤)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء : الذهبى الكامل : ابن الأثير .

(١) الإصابة : ابن حجر .
(٢) الأخبار الطوال : الدينورى .
(٣) الفخرى : ابن طباطبا .
(٤) المغرب فى حلى المغرب : ابن سعيد .

ويمعن معاوية فى نكاية قيس كأنما يريد أن تمتد به المكايدة إلى آخر المدى : فسأله بعد الحرب : (على طاعة من تقاتل ؟ وقد بايعنى الذى أعطيته طاعتك) [١] ويأبى قيس أن يجيب ، ولم ينس معاوية ما كان يهجوه به ابن قيس ، وما كان بينهما من ملاحاة لم يغفلها التاريخ [٢] وكان معاوية يلعنه ويلعن العباس والحسن والحسين وأباهما فى قنوته ، ولما بعث معاوية بعض الأنصار إلى قيس ليكف عن شتمه قال لهم : (إن مثلى لا يشتم) ولكنى لا أكف عن حربه حتى ألقى الله .

ويأتى رهط الأنصار إلى معاوية فيقول لهم :

(يا معشر الأنصار ، بم تطلبون ما قبلى ؟ فوالله لقد كنتم قليلا معى ، كثيرا على ، ولفللتم حدى يوم صفين ، حين رأيت المنايا تلظى فى أسنتكم ، وهجوتمونى فى أسلافى بأشد من وقع الأسنة ، حتى إذا أقام الله ما حاولتم مثله ، قلتم : ارع فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هيهات يأبى الحقين العذرة) .

ويتكلم قيس باسم الأنصار فيقول :

(نطلب ما قبلك بالإسلام الكافى به الله ما سواه ، لا ما تمت به إليك الأحزاب ، وأما عداوتنا لك ، فلو شئت كففتها عنك ، وأما هجاؤنا إياك فقول يزول باطله ، ويثبت حقه ، وأما استقامة الأمر فعلى كره كان منا ، وأما حدك يوم صفين فإنا كنا مع رجل نرى طاعته لله ، وأما وصية رسول الله بنا ، فمن آمن به رعاها بعده ، وأما قولك : يأبى الحقين العذرة ، فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية ، فشأنك) .

وكظم معاوية غيظه ، وقال يومه : (سواء ارفعوا حوائجكم) [١] وانتهى هذا الصرح الشامخ إلى عزلة العابد الزاهد بمدينة رسول الله فينقطع فيها للعبادة نحو عشرين سنة أخرى ، بعيدا عن الفتنة ومن اتهم فيها وأنجد ، وخب فيها ووضع ، لقد جاهد نفسه أيما مجاهدة فانتصر على نزواتها ، واعتلى بها إلى ما يليق بكل ذى عمل مجيد ، وهكذا يولد العظماء ويموتون ، ولا تقاس أعمارهم إلا بما خلفوه بعدهم من المحامد والمناقب ، يذكرها لهم دعاة الحق وحماة المبادىء ، بالإجلال والإكبار ، وتمضى الحياة بالعاملين ، وقد عمروها بحصاد ألسنتهم وعقولهم ووجداناتهم أما الخيرات فتبقى لهم وللناس والتاريخ . أما الشرور فلا يحيق مكرها السيىء إلا بأهلها ، ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين .

(تمت)

محمد محمود زيتون

(١) تاريخ الأمم والملوك : الطبرى .

(٢) الكامل : المبرد + التاج : الجاحظ

(١) مروج الذهب : المسعودى .

حامل لواء محاربة الخمور
الدكتور أحمد غلوش

للأستاذ أحمد حسين

قال لى الدكتور أحمد غلوش بعد أن لم يستطع أن ينهض من الفراش وقد افتر ثغره بابتسامة ترحيب :

— « إننى مقبل على الآخرة ، مقبل على ربى ومولاى » .

فقلت له :

— كل حى إلى ممات ، إنك ميت وإنهم ميتون ، ذلك ناموس الحياة ، ومع ذلك فلا يزال أمامك العمر الطويل .

فرد على فى لهفة وقد ومضت عيناه :

— يارب ... يارب ، إن شاء الله .

وعدته مرة ثانية ، وكان لا يزال مسجى فى فراشه ، ولكنه ظل على توقد ذهنه ، وقوة إدراكه ، يحدثنى عن الطبعة السادسة من كتابه الإنجليزى الخالد « دين الاسلام » والتى صدرت أثناء مرضه ، وقد وهبنى أحد هذه الكتب ، ولم يقو على كتابة الإهداء . وشكت إلى ابنته الفاضلة التى كان يقيم فى بيتها ، « أنه لا يأكل شيئا ويرفض الطعام » ، ولما حدثته فى ذلك اعتذر بفقدان الشهية ، وجعلنى ذلك أتوجس ، أن تكون هذه هى النهاية ، ومع ذلك فقد ظل الأمل يراودنا ، أن تكون هذه إحدى الوعكات التى ألمت به فى عمره الطويل ، والتى إجتازها بنجاح ، والحق أن الانسان عندما يعيش طويلا كما عاش الدكتور أحمد غلوش ، تصبح الحياة بالنسبة له ، وبالنسبة لمن حوله عادة ، ولا يعود الموت يمر له أو لهم على بال .

تسعون سنة :

ولن يكون من المستطاع تحديد سنة ميلاد الدكتور أحمد غلوش بالضبط ، حتى ولو أبرزت لنا شهادة ميلاد ، ففى هذا الوقت البعيد لم تكن شهادات الميلاد قد نظمت ، وقد عرفت الدكتور أحمد غلوش منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وقد ترك خدمة الحكومة إلى المعاش ، ولم أسمع منه شيئا عن عمره أو تاريخ ميلاده ، ولكنه قدم لى فى مناسبتين مختلفتين ما يمكن أن يكون مرشداً لتحديد هذا العمر بالتقريب .

أما المرشد الأول فهو ختم جمعية منع المسكرات وقد نص فيه على أنها تأسست عام ١٩٠٥ أى منذ ثلاثة وستين عاما ، فكم كان عمره يوم أسس هذه الجمعية .

يترجم شكسبير :

كما قدم لى فى مناسبة أخرى إحدى روايات شكسبير وهى «سيدان من فيرونا» وقد طبع هذه الرواية ونشرها عام ١٩٠٥ كما هو مسجل على غلاف الرواية ، فكم كان عمره عندما استطاع أن يسيطر على اللغة الانجليزية والعربية إلى الحد الذى يجعله يترجم شكسبير إلى العربية ، الحق أننى لا أتصور أن عمره يوم ترجم شكسبير ، أو يوم أسس جمعية منع المسكرات ، يمكن أن يقل عن خمس وعشرين سنة ، وهذا يصل بنا إلى التسعين كحد أدنى .

لماذا الحيرة ؟

أما لماذا هذه الحيرة ، ولماذا هذا الاهتمام لإثبات أن الرجل قد جاوز التسعين فذلك لأن هذه هى أكبر مميزاته التى تجعله فذا بين الأفذاذ ، وأعجوبة من أعاجيب الأحياء فقد كان الرجل يذهلنى ، بمحافظته الدقيقة وذاكرته الواعية ، وبديهته الحاضرة ، وسخريته اللاذعة ، ونشاطه الجم ، بحيث ظل يختلف إلى الندوات والاجتماعات ، ويمد المجلات الإسلامية بالمقالات ، ويتفضل على أصحابه بزياراتهم ، ولم يكن يشكو من صعوده إلى الدور الثالث حيث أسكن وأقيم .

وأن يفعل ذلك رجل جاوز التسعين فهذا هو التميز والتفرد .

جمعية منع المسكرات :

وقد اقترن اسم الدكتور أحمد غلوش ، باسم جمعية منع المسكرات ، التى أنشأها منذ ثلاث وستين سنة . ولم يحاول فى أى يوم من الأيام أن يدعى أنه أنشأها لتكون أحد أسلحة النضال ضد الاحتلال البريطانى ، وكانت دعواه دائما ، أنه إنما يقوم بواجب يفرضه عليه الدين ، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو من فروض الكفايات التى إن لم يقم بها بعض المسلمين ، أثم الكافة .

وأى شىء أولى بالنهى عنه من الخمر أم الكبائر . ذلك ما كان يقوله أحمد غلوش . ولكنى وقد بدأت أكتب تاريخ مصر فى هذه الحقبة ، رأيت فى إنشاء جمعية منع المسكرات فى هذه السنة بالذات سنة ١٩٠٥ ، أحد ردود الفعل التى قام بها المجتمع المصرى الإسلامى ليقاوم الاحتلال البريطانى بشتى الطرق والأشكال فى مختلف الميادين . ولاجدال أنه على رأس هذه الميادين ، ميدان الدين ، ولقد سلط الاحتلال وسلط الأجانب ، الخمر على المصريين المسلمين فأغرقوهم فى سيول منها ، فأصبحت الدعوة إلى محاربة الخمور ، والتطهر من هذا المنكر ، إحدى سبل مقاومة خطط

الاستعمار ، وانتشال المجتمع من الهوة التى تردى فيها عقب الاحتلال .

كرومر وإنشاء الجمعية :

وهنا يسجل التاريخ إحدى تناقضاته ، أو نكتة فقد حدثنى المرحوم أحمد غلوش كيف أن كرومر عميد الاستعمار الإنجليزى ، كان هو المشجع بطريق غير مباشر على تأسيسه هذه الجمعية . فقد كان يذاكر وبعض رفقائه فى المدرسة فى بيت واحد منهم ، وكان يجاور هذا البيت إحدى الخمارات ، فكان ضجيج السكارى وصراخهم يزعج هؤلاء الطلاب ، ويحول بينهم وبين المذاكرة . ففكر غلوش فى أن يشكو لمأمور قسم العطارين وكان إيطاليا ، فلم يكد يعرض شكواه ، حتى حذره المأمور الإيطالى من التعرض لهذه الخمارة ، وأفهمه أن الدنيا أصبحت حرية . وأن لكل إنسان أن يفعل ما يريد ، وهزأ بقول غلوش أن الإسلام يحرم الخمر ، وطرده من القسم . وحدث أن راح مدرس اللغة الإنجليزية وقد كان من الإنجليز . يحدث الطلاب عن رسالة الإنجليز الإصلاحية فى مصر ، وأن أهم ما يحرص عليه الإنجليز هو عدم تعرضهم للديانة الإسلامية ، فهم يحترمون تقاليد المصريين فى ذلك .

وهنا وقف أحمد غلوش . وقال للرجل فى أدب كما كان شأنه طول حياته ، إنه لا يعرف إذا كان يصدقه فى هذا الذى يقول أم يصدق ، المأمور الإيطالى ، الذى حذره أن لا يعود إلى ذكر الإسلام ، وسخر من الإسلام لأنه يحرم الخمر ، وقص على المدرس الإنجليزى قصة ما حدث وأحس المدرس الإنجليزى بالحرج أمام طلابه ، فعرض على أحمد غلوش أن يحمل منه خطابا إلى اللورد كرومر فى مصر يبسط فيه هذا الذى حدث من المأمور الإيطالى . وقام أحمد غلوش بالسفارة ، وجاء إلى القاهرة لأول مرة فى حياته ، وقابل اللورد كرومر ، الذى احتفى به لإجادته الإنجليزية ووعده بأنه سيزيل أسباب شكواه . وكانت دهشة أحمد غلوش عظيمة عندما عاد إلى الإسكندرية ، فوجد الخمارة التى كان يشكو منها مغلقة ، فذهب إلى مأمور العطارين الإيطالى ليزهو أمامه بانتصاره ، فكانت مفاجأته الكبرى تنتظره إذ قيل له إن المأمور قد نقل .

وكانت هذه هى البذرة ، التى شجعت أحمد غلوش فيما بعد على إنشاء جمعية منع المسكرات .

ماذا حقق :

ولا شك أن الدعوة اليوم لمنع تعاطى الخمور تبدو فى نظر الكثيرين أنها صرخة فى واد ، وأصبحت فى نظر البعض من مظاهر التحضر والتمدن ، وما من فيلم سينمائى

يصور حياتنا المصرية ، إلا ويجعل فى كل بيت باراً للخمور ، وما من بطل من أبطال أى رواية سينمائية مصرية ، إلا وهو يغرق همومه وأحزانه فى تعاطى الخمر باعتبارها الحل لكل مشكلة ،وما من بطلة تعتذر عن شرب الخمر ألا وتنتهى بشربها ، ولا جدال أنهم يفعلون ذلك لإظهار مدنيتنا وحضارتنا أمام العالم .

ومع ذلك فالحقيقة المؤكدة أن الأغلبية الساحقة من المصريين أقباطا ومسلمين لا يشربون الخمر ، وأن البيوت المجهزة ببارات الخمور لا تزال هى الاستثناء وليست القاعدة .

وأن دين الإسلام الذى يحرم الخمر ، هو السائد وهو المسيطر فى هذه البلاد .

فلو لم يكن لغلوش فى حياته إلا أن ظل يذكر بحكم الإسلام فى إنكار الخمور لكان ذلك حسبه .

ولكن أحمد غلوش فعل بجهاده الطويل شيئا فوق مجرد التذكير ، لقد أنقذ وجه مصر الإسلامية من منظر كريه كان يشوهها .

فقد كانت الخمارات تغشى الأحياء السكنية الوطنية ، بل وكانت تقام إلى جوار المدارس والمساجد ودور العبادة ، وكان من المناظر المألوفة فى الأحياء الوطنية ، رؤية السكارى الذين فقدوا عقولهم وراحوا يتطارحون ويصيحون ، ثم يتساقطون على الطريق والصبية يلاحقونهم بالطوب والأحجار .

وكانت هذه نقطة البداية التى بدأ منها غلوش فقد راح يسعى لدى السلطات لإغلاق الخمارات المجاورة للمعاهد ودور العبادة ، والأحياء السكنية الوطنية ، وتحقق له النصر وأغلقت الحانات من هذه الأماكن التى أصبحت محظورة بالنسبة لها .

كتاب خالد :

وما كان مثل هذا الكفاح العتيد من أجل الخير ، إلا أن يؤتى ثمرة تبقى على مر الأيام وقد أثمر كفاح أحمد غلوش ، كتابا إسلاميا خالدا هو « دين الإسلام » باللغة الإنجليزية فلسنا نعرف فى اللغة الإنجليزية التى يتكلم بها أكثر من خمسمائة مليون نسمة فى العالم ، كتابا يمكن أن يقارن بهذا الكتاب العتيد من حيث عرضه تعاليم الإسلام فى شموخها ، سواء من حيث المبادىء العامة أو من حيث تفاصيل العبادات .

وقد نشرت مجلة الأزهر هذا الكتاب العظيم منجما عام ١٩٥٢ حيث ألحقت قسما بها

بالغة الانجليزية لنشره . فلم يكد الكتاب يظهر حتى أحس الجميع أنه يسد حاجة إنسانية ولذلك فقد طبع فى نفس السنة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث طبع منه عشرة آلاف نسخة .

ثم توالت الطبعات ، كلما طبعت طبعة جديدة نفذت على الفور فأعيد طبع الكتاب ، وسيظل الكتاب يطبع ويطبع فليس هناك بديل عنه للتعريف بالإسلام لمن لا يعرفون غير الانجليزية .

الصحبة الأخيرة :

ذلكم هو المغفور له الدكتور أحمد غلوش الذى وجدتنى منساقا لمصاحبته فى رحلته الأخيرة نحو القبر فلزمت نعشه فى السيارة التى أقلته ووجدتنى أشهد على جدثه أنه نموذج للنفس الراضية المرضية التى وعدها الله الجنة .

وسألته أن يدعو الله كما دعاه لى وهو على فراش مرضه ، أن يذهب عنى الانفعال والحدة ، وأن يسبغ على بعض هدوئه وسكينته ، وأن يغفر لى خطيئاتى ، ويعفو عن ذنوبى .

وسلام عليك يا غلوش يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً . .

أحمد صبحى

يقول الله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .

(المائدة - آية ٩٠ ، ٩١)

مُهاجاة الكتاب

للأستاذ أبو الوفا المراغي

مهاجاة الشعراء فن شعرى قديم أورث الأدب العربى ثروة فنية رائعة واحتل فى الأدب العربى فصلا لعله أهم فصوله ، فلكثير من الشعراء فنهم الهجائى إلى جانب فنونهم الشعرية الأخرى ، وقد حفظ تاريخ الأدب العربى فى مختلف عصوره طائفة من الشعراء غلب عليهم طابع الهجاء ، وشاعت أهاجيهم ووقائعهم الهجائية ، ومن هؤلاء : الحطيئة والبعيث والأخطل وجرير والفرزدق وبشار وأبو نواس وابن الرومى والمتنبى ، وأشهر الكتب التى تمثل بعض وقائع الشعراء الهجائية كتابا النقائض التى جمعت كثيرا من مهاجاة الأخطل وجرير والفرزدق ، وكانت مهاجاة الشعراء فى الجاهلية فى الغالب تتسم بالحياء والعفة ، والقصد والاعتدال ، وتتحامى الخوض فى الأعراض والحرمات ، ولما كانت العصور التالية تطرف الشعراء وغلبتهم عواطفهم وألسنتهم ، وخرجوا بها عن حد الاعتدال حتى اضطر الأدباء أن يضعوا للهجاء ، موازين وقواعد يقف عندها الهجاء والهجاءون حتى لا ينزلقوا بالهجاء إلى السب والقذف والإقذاع والإفحاش ، فقد روى عن ابن عمرو بن العلاء أنه قال : خير الهجاء ما تنشده العذراء فى خدرها فلا يقبح بمثلها نحو قول أوس :

إذا ناقة شدت برحل ونمرق
إلى حيكم بعدى فضل ضلالها

وقال خلف الأحمر : أشد الهجاء أعفه وأصدقه ، وقال مرة أخرى : ما عف لفظه وصدق معناه ، وقال صاحب الوساطة : فأما القذف والإفحاش فسباب محض ليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن ، وقال عمر ابن الخطاب للحطيئة حين أطلقه من حبسه إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر : « إياك والهجاء المقذع ، قال : « وما المقذع يا أمير المؤمنين » ؟ قال عمر : المقذع أن تقول : « هؤلاء أفضل من هؤلاء ، وأشرف ، وتبنى شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم » ، فقال : « أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منى بمذاهب الشعر ، ولكن حيانى هؤلاء فمدحتهم وحرمنى هؤلاء فذكرت حرماتهم ولم أنل من أعراضهم شيئا ، وصرفت مديحى لمن أراد ، ورغبت به عمن كرهه وزهد فيه » .

وليس هنا مجال الإفاضة فى بيان هذه الموازين ، وليس هنا أيضا مجال لإيراد نماذج من هجاء الشعراء الجاهليين ومن بعدهم ،

وعقد الموازنة بينهم لنقف على خصائص كل من الفريقين ومميزاته .

وكما كان للشعراء مهاجاة على نحو ما ذكرنا فقد كان للكتاب مهاجاة أيضا غير أنها لم تحظ بالذيوع والانتشار كما حظيت مهاجاة الشعراء ولم تجر على الألسنة كما جرت ، ولم يحتفظ الأدب بكثير منها : ذلك أن الشعر كما يقول القدماء أعلق بالذهن ، وأسرع إلى الحفظ ، وأقرب إلى الإجمال منه إلى التفصيل لمكان الوزن والقافية على حين أن المهاجاة النثرية أوسع مجالا وأفسح ميدانا ، يجرى فيها قلم الكاتب كما يشاء ، يوجز إذا أحب ويطنب إذا أراد ، وبهذا كان ما حفظ من المهاجاة النثرية يتسم غالبا بالإفاضة والإسهاب .

والباعث على الهجاء بنوعيه الشعرى والنثرى باعث إنسانى فطرى هو الغضب ، والغضب من خصائص النفس البشرية لا يسلم منه إنسان لإنسانيته ، ومن الأمثلة الشائعة : من استغضب ولم يغضب فهو حمار ووسائل الغضب والإغضاب كثيرة ، أهمها خيبة الراجى فيمن يرجوه ، وفشل الآمل فيما يؤمل ، وحرمان المحتاج ممن يملك دفع حاجته والحيلولة دون المقاصد والأهداف والوقوف دون الحظوة لدى الملوك والرؤساء والتنافس فى المراتب والمناصب . وجرح الغضب قلما يندمل ونار الغيظ قلما تخبو ، ولا حرج على الشاعر أو الكاتب أن يثور ويثأر ويأخذ بحقه وينتصر لنفسه فلا بد للصدور أن ينفث ، ولكن الحرج فى أن يفرط كل منهما ، ويستسلم لانفعاله ، وغضبه فيرمى من قوس الحق والباطل ويقذف الناس بما ليس فيهم ويخوض فى أعراضهم وشخصياتهم شفاء لغيظه وإطفاء لغلته .

وإذا تتبعنا ما هاج الشعراء والكتاب إلى الهجاء وأغراهم به ألفينا أهمه ، الحرمات من الرجاء والتنافس فى الحظوة لدى الرؤساء وكثير منا يعرف كيف حالت حال المتنبى مع كافور حين أخلف كافور وعده إياه ، وكذب ظنه فيه فحرمه الولاية التى كان ينشدها ويتحرق شوقا إليها كما تحرق ألما لها بعد أن يأس منها ، فقد كان كافور وهو العبد الخصى الأسود حين كان ينظر إليه المتنبى بعين الأمل والطمع والرضا بدرا منيرا وشمسا مشرقة فقال فيه :

يفضح الشمس كلما ذرت الشمس
بشمس منيرة سوداء
إن فى ثوبك الذى المجد فيه
لضياء يزرى بكل ضياء

ثم كان بعد أن يئس منه ، وحين كان ينظر إليه بعين الغضب شائه الخلقة قبيح الشكل مشفره فصفه إذ يقول :

وماذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

بها نبطى من أهــل السواد
يدرس أنساب أهل العــلا
وأسود مشفره نصفــه
يقــال له أنت بدر الدجى

وأصبح كافور يجمع الرذائل بعد أن كان معدن الفضائل فيقول فيه :

أميناً وإخلافاً وغدراً وخسة
وجبناً أشخصاً لحت لى أم مخازيا

ولعل أبرز مثل فى مهاجاة الكتاب بسبب الحرمان وخيبة الأمل ما وقع بين الأديبين أبى حيان التوحيدى والوزير الصاحب بن عباد ، فقد كان أبو حيان يطمع فى مال ابن عباد وجاهه ولكن ابن عاد قبض يده عنه ، وخيب أمله فثارت ثائرته واحتدم غيظه واستعرت نار حقده وكشف له القناع فأخذ فى مهاجاته واستغل خصوبة ذهنه وقوة خياله ووفرة محصوله اللغوى والأدبى إلى أقصى غاية ، ولم يكتف فى مهاجاته وتجريحه بالواقع من أخلاق ابن عباد وأفعاله ـ وقد كان فيها ما يؤاخذ به ، ولكن كان يستنطقه بما لم يقله فى عبارات مخجلة ينفر منها الطبع والذوق ، وإن صيغت فى أسلوب شائق خلاب .

وقد شغلت هذه المهاجاة أكثر صفحات كتابه أخلاق الوزيرين (ابن عباد وابن العميد) كما شغلت كثيراً من صفحات كتابه (الإمتاع والمؤانسة) .

وقد حفظ الأدب العربى طائفة من الكتاب عرفوا بالهجــاء منهم الجاحظ وأبو حيان وابن زيدون وأبو العيناء والعتبى وابن هفان وأبو محمد العروضى والخثعمى كما احتفظ لنا بنماذج من أهجياتهم ، وسنعرف من مجموع ما نورده شدة إقذاعها وإفحاشها مما جعلها من الأدب المكشوف الذى لا يقره الذوق ولا يرضى عنه الحياء ولا يجيزه المجتمع ونحن مضطرون بمجاراة لروح العصر ومراعاة للآداب العامة أن نستر ما انكشف منها فنحذفه اعتماداً على ذكاء القارىء .

فمن رسالة للجاحظ فى هجاء رجل كنى عنه بفلان :

سألتنى أبقاك الله عن فلان ، وأنا أخبرك بالأثر الذى يدل على صحة الخبر فتفهم ذلك ، رحمك الله ولا قوة إلا بالله .

فمن ذلك أنى رأيته ... وله غلام يلبس الرقيق من الثياب ويثابر على العطر ودخول الحمام ، ويتزين ويقلم الأظفار ، وكان مع هذه الصفة المدبر لأمره والمشفع لديه . والحاكم على مولاه دون بنيه وأهله وخاصته ، والصارف له عن رأيه إلى رأيه وعن إرادته إلى هواه ، وكان أكثر أهله جلوساً معه ... وإذا غضب

أحزنه غضبه ، وطاب رضاه ، إن ركب فهو فى موضع صاحب الحرس من الخليفة ، وإن قعد فهى موضع الولد البار والزوجة السارة ، إن التوت على أحد حاجة كان له من ورائها ، وكانت أهون عليه من خلع نعليه. فحكمنا عليه بهذا الحكم الظاهر ، ولا حكم القضاء بالتسجيل ، وتخليدها فى الدواوين ولا كإفـــزار بالحقـوق وشهادات العدول .

وللجاحظ رسالة خاصة فى مهاجاة وأحمد ابن عبدالوهاب ، سماها : التربيع والتدوير ، لأن ابن عبد الوهاب كان قصيرا ضخم الجثة ويدعى أنه مفرط الطول وكان مربعا وتحسبه لسعة جفرته (جانبه) واستفاضة خاصرته مدورا ، وله فصول منها فى كتبه المختلفة .

ومن رسالة لابن عفان إلى ابن مكرم :

أما بعد : يا ابن مكرم ضد سمه ، وخطيئة أبيه ، وأمه ، ياسبة العار على سبته ، ولعنة إبليس على لعنته ... فكلك لعنة فى لعنة ، تقصع القمل بأسنانك ، وتمسح مخاطك بلسانك ... عبدك يصفعك وخادمك يقمعك وكلبك يلطمك ، وصديقك يقطعك ... أنت للأدباء جاحد ، وللعلماء شاتم ، وبالجليس هامز . تظهر جورك ، وتتعدى طورك ، مهين فى نفسك ، معرة فى جنسك حالف فى كل حق وباطل ، كذوب على الجاد والهازل ، تطلب أن تهجى وقد سبق القول فى جنسك ، مع نذالة فعلك ولؤم أصلك .

أما الهجاء فدق عرضك دونه
والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه
عرض عززت به ، وأنت ذليل

فالهجاء بأن يعذب بك فى أمان ، وأنعم بعز لؤمك فى سلطان ، معرفتك تشين وقطيعتك تزين ، وذكرك سبة ، وقتلك قربة لا يحصى الخلق عيوبك ، ولا تثبت الحفظة ذنوبك .

وكتب العتبى إلى صديق له يحذره رجلا ويصف أخلاقه :

احظر فلانا ، فإن ظاهره بر ، وغيبه عداوة وإن أفشيت إليه حديثك وضعه عند عدوك وإن كتمته إياه شتمك عند صديقه لا يصلح لك عند نفسه حتى يفسدك عند غيره ، وهو صديقك بما يلزمك من حقه ، وعدوك بما يضيع من حقك عليه ، إن دنوت منه آذاك وإن غبت عنه اغتابك ، السلامة منه ألا تعرفه . فإن عرفته فهو الداء ، إن تداويت لم ينفعك وإن تركته قتلك ، أخلط الناس جـــده بهزله ليمنعك ما فى يده منع هزل ، ويغلبك على ما فى يدك مسألة جد ، ومما قاله الخثعمى فى ابن عباد .

ما رأيت فى طول عمرى ، وكثرة تجاربى وشدة تتبعى رجلا أجمع للمخازى والمقابح ، والرقاعات ، والجهالات ، والخساسات والفواحش والخبائث من ابن عياد ، أقبل الناس رأيا إذا ارتأى ، وأنكلهم عن الخصم إذا ترامى ، وأقلهم وفاء لمن جعله الله ولى نفسه ، وأوقحهم وجها مع كل إنسان ، وأحدهم لسانا لكل خبث وفحش وأحسدهم لنظير ، ولمن دون النظير ، وأسعاهم بالفساد على الصغير والكبير ، وأخطرهم على الدين ، وأضرهم المسلمين ، وأجرمهم بين العالمين .

ومن رسالة لابن زيدون إلى الوزير ابن عامر بن عيدوس وقد كتبها إليه على لسان ولادة بنت المستكفى ، وكان الوزير قد نافسه فى حبها .

أما بعد : أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر فى ذيل اغتراره الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش على الشهاب ، فإن العجب أكذب ، ومعرفة المرء نفسه أصوب وإنك راسلتنى مستهديا من صلتى ما صفرت منه أيدى أمثالك متصديا من خلتى لما قرعت دونه أنوف أشكالك .

ولست بأول ذى همة

دعته لما ليس بالنائل

وحسبنا هذه النماذج ، وقد أطلنا فيها ، وعذرنا منها أنا أردنا أن نرسم صورة لمهاجاة الكتاب تتضح فى أذهان القراء اتضاح مهاجاة الشعراء .

ولعل القراء يحسون منها أن الكتاب فى أهجياتهم كانوا أشد صراحة من الشعراء وأنهم أعمق تحليلا ، وأوسع ميدانا وأفسح باعا لمكان الروية والأناة فى تدبيج رسائلهم بما لا يتاح مثله أحيانا للشعراء .

وقد أحس بعض الكتاب بحرج المؤاخذة على الهجاء ، وتنقصه لدين الهاجى ومروءته فتصدى للدفاع عن صنيعهم ومن رأى هؤلاء المدافعين أن المهاجاة عقوبة ومؤاخذة بالذنب يقرها العرف والمروءة ، والدين ، وهى من الغيبة المشروعة فالمهجو مسىء والمسىء حرى بالتشريح والتجريح ، وهو فاسق ، والفاسق لا غيبة له ، ومن أبرع من تصدى للدفاع عن هـذه القضية أبو حيان التوحيدى حيث قال .

حمد المحسن وذم المسىء أمران جاريان على مر الزمان منذ خلق الله الخلق ، وعلى ذلك يجرى إلى أن يأذن الله بفنائه وهو عز وجل أول من حمد وذم ، وشكر ولام ، ألاتراه كيف وصف بعض عباده عند رضاه عنه فقال : «نعم العبد إنه أواب» ، وقال فى آخر : «إنه كان صادق الوعد» ، ثم انظر إليه كيف

وصف آخر عند سخطه عليه ، وكراهيته لما كان منه .

« هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم » وهذا فوق ما يقول مخلوق ، فى مخلوق .

وقال أبو حيان فى موضع آخر ، ولم صنف الناس المناقب والمثالب ؟ ولم نشروا أحاديث الكرام واللئام ؟ وكثير من الناس لا غيبة لهم ، أو فى غيبتهم أجر وقد وقع فى الخــبر عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أذكروا الفاسق بما فيه كى تحذره الناس » ، وذم بشر الحافى بخيلا ثم قال : إن البخيل لا غيبة له ، قيل : وكيف ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابنى سلمة من سيدكم ؟ قال : الجد بن قيس على بخل فيه ، قال : أى داء أدوى من البخل ، فذكره وليس بالحضرة .

ودفاع أبى حيان إنما يستقيم إذا كانت المهاجاة على إساءة واقعة ، وذنب يقتضيها ، ولكن هل كانت مهاجاة الكتاب كلها من هذه البابة .

ثم ما هو مدى الإساءة ، وهل منها أن يحرم الأديب من جائزة أو صلة قد يكون للمانع منها ما يبرره فى تقديره ؟ وهل يلتزم الهاجى سبيل المعدلة والإنصاف ، أو يستسلم لغضبه وهواه فيتنكب الجادة ويضل السبيل ، والهوى كما يقول أبو حيان المدافع عن هذه القضية : « لابد أن يعمل عمله ويبلغ مبلغه وله قرار لا يطمئن دونه وحده هو أبدا يتعداه ويتجاوزه ، وله غول تضل وتمساح يبتلع وثعبان إذا نفخ لا يبقى ولا يذر » والرأى عنده غريب خامل وناصح مجهول .

ومتى يسلم الذام إذا ذم من الإسراف تعنتا لصاحبه وحملا عليه بالإنحاء الشديد والقول الشنيع والنداء الفاضح والحديث المخزى وجريا مع شفاء الغيظ وبرد الغليل لأن جرعة الحرمان أحد من جرعة الثكل وضياع التأميل أمضى من الموت .

وقد تطور الهجاء بنوعيه الشعرى والنثرى فيما تطور من شئون الحياة وفنون الأدب تحت تأثير التقاليد المعاصرة ، ولم يعد الذوق الأدبى والاجتماعى يستسيغ ذلك الهجـــاء المكشوف الذى ينال من الأعراض والشخصيات ولم يعد يسمح منه إلا باللمحة الدالة والإشارة الموحية ، فإن تعدى ذلك إلى التصريح والتجريح عد من ساقط الأدب وخرج صاحبه من سلك الأدباء ولذا ندر من عرف به من كتاب العصر وما قيل منه غداً رهين المكاتب .

أبو الوفا مصطفى المراغى

ما يقال عن الإسلام

الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

وهذه محاولة جديدة لبحث تاريخ الإسلام من جهة اعتماده على أسس جغرافية من طبيعة الأرض والسكان الذين يقطنون هــذه الأرض .

وسبق لنا أن تكلمنا فى « ما يقال عن الإسلام » عن الجغرافيا الإسلامية (ديسمبر سنة ١٩٦٧) وعرضنا لرأى كاتب يسمى « جزافييه دى بلانول » ، فى كتابه الصغير « الجغرافية الدينية » . وقد ذكرنا اسم ذلك الكتاب باللغة الفرنسية فالمؤلف فرنسى ، وله طبعة انجليزية وأخرى ألمانية صدرتا فى نفس الوقت . والترجمة الإنجليزية صدرت بعنوان « عالم الإسلام » The world of Islam نيويورك سنة ١٩٥٩ وكانت لنا ملاحظات على ذلك الكتاب عند عرضه وتحليل ما جاء فيه من أفكار أساسية ، نحيل القارىء عليها تجنباً لتكرار القول .

ويبدو أن المؤلف قد عكف منذ الحين على التوسع فى هذا الموضوع فأخرج بعد عشر سنين هذا الكتاب الذى نعرضه ، وهو الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام (Les Fondements Géographiques de l'Histoire de l'Islam) نشر عام ١٩٦٨ .

والمؤلف أستاذ بجامعة نانسى بفرنسا . وجاء فى المقدمة ما يلى : « هذا كتاب ينبغى أن يكون تاريخا لأرض الإسلام . ولم يحاول أحد من قبل أن يحقق هذا العمل . وإذا كنا نملك كتبا ضخمة عن تاريخ الدين الإسلامى والفكر الإسلامى والجماعات الإسلامية ، فلم ينهض أحد بعد للاضطلاع بطريقة منظمة شاملة لبحث هذا الموضوع . ولقد اجتذب الفلاح والبدوى فى بعض الأحيان اهتمام الباحثين من العلماء . أما الأرض التى يزرعها والبوادى التى يزرعها ، فلم يبحثها أحد لذاتها ومن جهة خصوبتها أوجد بها وما قدمته للجماعات البشرية ... لقد آن الأوان لتحقيق مثل هذه المحاولة ... » .

والكتاب كبير يقع فى ٤٣٠ صفحة من القطع الكبير ، ومزود بالصور ، والفهارس

والمراجع . ويشتمل على ثمانية فصول تحت كل منها أبواب عدة .

إن الروح العامة المسيطرة على هذا البحث هو الصراع بين الإنسان والبيئة ، كيف يتفاعل وإياها ، ويتغلب عليها ، ويشكلها ، وكيف تؤثر فيه ، فينطبع الإنسان بطابعها وتتغير عاداته وتقاليده وأفكاره .

ذلك أن مفهوم الجغرافيا ليس بحث الأرض الطبيعية فقط ، بل هى "بحث أساساً فى الإنسان الذى يعيش على سطحها ، يستثمر نباتاتها وحيواناتها والمعادن الموجودة فى باطنها ، ويستفيد من هذه البيئة فى تشكيل مصنوعاته .

وكان لا بد لمن يدرس العالم الإسلامى أن يرجع إلى الوراء قليلا ينظر فى الظروف التى أدت إلى نشأته فى قلب الجزيرة العربية ، وفى عرب الجاهلية الذين كان يسكن بعضهم الحضر من مثل مكة والطائف ويثرب وبعضهم الآخر يضرب فى الصحراء يعيش معيشة البدو فى خيام ، يسوق الإبل والأغنام ، انتجاعا للمراعى ويرحل فى دروب الصحراء شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ناقلا المتاجر ، وكانت الحجاز نقطة لقاء الطرق الصحراوية التى التى تجلب التجارة من الشام إلى اليمن ، وهى رحلة الشتاء ورحلة الصيف المذكورتين فى القرآن الكريم ، وبسببهما حدث ألفة بين العرب ، وقد ترتب على اتصال البدو بالحضر آثار سياسية ، هى التى تبحث فى الجغرافيا السياسية geopolitique وترتب على هذا التحالف بين البدو والحضر تقارب اللهجات والأجناس ، والحضارات ، مما كان يعد تمهيداً لظهور الرسالة المحمدية . ويرى المؤلف على خلاف السابقين من البحاث والمستشرقين أن انتشار الإسلام يتجاوز ، شخصية محمد ، والمصادفات التاريخية ، وحتمية ظروف البيئة ووجود أزمة بدوية هى ظهور جفاف فى الأرض دفع البدو إلى الغزو الخارجى والتماس الرزق خارج نطاق الجزيرة العربية ويبدو أن المؤلف أكثر إنصافا من أولئك السابقين ، فهو يرى أن انتشار الإسلام يرجع أساسا إلى صدق التعاليم الإسلامية ، وعظمة الرسالة الربانية المنزلة على النبى الكريم ، والمكلف بإبلاغها للناس كافة ، لذلك كان الإسلام هو الذى يشكل الأرض ، وليس العكس من القول بأن الطبيعة الجغرافية هى التى شكلت الإسلام » .

ثم هبط المؤلف من هذا الجو الربانى إلى العالم الأرضى فتحدث عن الزراعة ، لقد كان ثمة زراعة فى الجزيرة العربية ، ولكن يمكن القول إجمالا إن الزراعة كانت تحتل منزلة ثانوية . وظل العرب ، وهم أهل القبائل

التى نزلت البلاد التى فتحها المسلمون ، محتفظين بطباعهم البدوية ، يأنفون من الزراعة لأنها تتطلب الاستقرار ويؤثرون عليها التجارة ، وترتب على انتشار الإسلام ، وتحول أهل البلاد المغلوبة إلى الإسلام نتائج كثيرة على رأسها مقاومة الفلاحين للحياة البدوية وانقسام السكان إلى بدو وأهل مدن وإلى فلاحين وعلى مر الزمن استطاعت البيئة الجديدة أن تغير من أخلاق وتقاليد وطبائع بعض البدو ، وأقبلوا على الزراعة ، واستمر بعضهم الآخر وإلى اليوم محتفظين بهذه الخصائص البدوية يأنفون من الزراعة ولا يزاولونها ولكن هذه الفئة شاذة ، قليلة العدد . بالإضافة إلى غالبية السكان ، الذين تأقلموا ، وامتصتهم البيئة ، وأحترفوا الزراعة .

والحديث عن الزراعة يتشعب ويختلف باختلاف الأقاليم ، فالاشتغال بها فى الشام ، غير العراق ، وطبيعة الزراعة فى مصر تختلف عن فارس ، وهكذا . بل إن الشام نفسه منطقة شاسعة مختلفة فى طبيعتها الجغرافية ، لأنها تمتد من سفوح جبال طوروس ، أى من حدود آسيا الصغرى ، وهذه مناطق جبلية ، فتهبط إلى مناطق سهلية يمكن زراعتها ، على حين أن الجبال يصعب تذليل أرضها للزراعة ، فيكتفى فيها بالأشجار التى تنبت على الأمطار . وقد كانت الجبال مواطن يلجأ إليها أهل الفرق الخارجة على السلطة الحاكمة فى الإسلام ، كالشيعة والعلويين ، يلوذون بها من اضطهاد الخلفاء .

لقـــد نشأت الإمبراطورية الإسلامية واسعة الأطراف زمان الأمويين وصدراً من الدولة العباسية ، ولكنها لم تلبث أن تفككت ، وانقســمت إلى إمارات ، ودويلات ، وكانت هذه الظاهرة بارزة فى إيران بوجه خاص ، ويكفى أن تقرأ سيرة حياة ابن سينا الفيلسوف الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى لتجد أنه تنقل من بخارى إلى جرجان إلى الرى ، إلى همدان حيث توفى ودفن . وانظر كذلك إلى حلب كيف وقفت صامدة تحت حكم سيف الدولة الحمدانى إزاء هجمات البيزنطيين وكيف وثبت إلى الأناضول وكان الحال شبيها بذلك فى الأندلس ، فهى إمارات عواصمها مدن مثل إشبيلية وغرناطة وقرطبة وغيرها ، وكذلك فى المغرب والجزائر وشمال إفريقية . إن الطبيعة الجبلية تفرض نفسها فرضا ، وتجعل من الميسور على كل واثب للاستيلاء على السلطة أن يحمى نفسه فى الجبل نظرا لمنعته وتحصينه .

وليست المدنية الإسلامية ، مستمدة من المدنية الاغريقية ، واستمرارا لها ، أو نسجا على منوالها ، وهذا ما يراه المؤلف الذى يذهب إلى أن نظام الدولة فى الإسلام ، قائم

على الروح الإسلامية ذاتها التى أوجبت أن يوجد (المسجد الجامع) ، وهو المسجد الرئيسى الذى تصلى فيه الجمعة ، ويخطب فيه الحاكم بحضور جميع المسلمين ، يستمعون إليه ، ويشاركونه الرأى فى أمور دنياهم وبخاصة الأحوال السياسية ، ويتعلمون منه أمور دينهم .

على هذا الأساس الجغرافى يمكن تقسيم الدول الإسلامية تبعا لطبيعة الجغرافيا الطبيعية ، أى إخضاع التقسيم السياسى للتقسيم الجغرافى ، إلى سبعة أقسام هى (١) العالم العربى فى الشرق الأوسط (٢) العالم العربى فى شمال إفريقية (٣) العالم العربى فى الصحراء (٤) العالم التركى الإيرانى (٥) العالم الإسلامى فى غرب البحر الأبيض والبلقان ثمرة الوقوف فى وجه الغزوات الإسلامية (٦) الأطراف الاستوائية فى إفريقيا والهند (٧) الدول الإسلامية التى قامت نتيجة الملاحة فى البحار الجنوبية ، وعن هذا الطريق انتشر الإسلام فى إندونيسيا .

ولا يقسم المؤلف الدول العربية فى منطقة الشرق الأوسط على أساس للغة ، باعتبار أن أهلها يتكلمون اللغة العربية ، ولكن على أساس جغرافى ، فالمملكة العربية السعودية وشرق الأردن بدو ، ومصر وسوريا والعراق حضر ، ولبنان واليمن جبال . ويلاحظ فى هذا التقسيم التعسف والتداخل . خذ مثالا لذلك سوريا ، فإنها ليست كلها سهولا ، ولكن يوجد فيها مناطق جبلية ، وقد أشار المؤلف نفسه إلى ذلك عند حديثه عن العلويين القاطنين فى جبال الشام . والحق أن تجزئة سوريا ولبنان وفلسطين إنما جاء نتيجة الاستعمار الأوربى منذ أواخر القرن التاسع عشر . أما هذه المنطقة فكانت تسمى كلها بلاد الشام . ولعل أقرب الدول الإسلامية إلى الوحدة جغرافيا ، هما الشام ولبنان . ولاتزال إلى الآن المصالح الاقتصادية مشتركة بينهما ولا يستغنى أحدهما عن الآخر ويجب ألا يغيب عن البال أن المؤلف يكتب من وجهة نظر الغرب ولذلك ليس مبرأ عن الهوى تماما .

مهما يكن من شىء ، فالبحث جديد وطريف ، ومحاولة أولى تحتاج إلى محاولات وجهود طويلة ومباحث كثيرة حتى يستقر هـــذا الموضوع الهام ، ويثمر النتائج المرجوة منه ، ولعل أجدر الجهات التى ينبغى أن تسهم فى هذا الموضوع العلمى ، هى كليات الآداب فى الجامعات العربية ، والدول الإسلامية .

أحمد فؤاد الأهوانى

تصحيحات لكتاب لسان العرب في طبعتيه

للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة

- ٢ -

٥ — في النص السابق بياض في اللسان وهو قوله « وذلك إذا كانت العين ألفا مجهولة فحينئذ ما يحتاج إلى ... الأمر » .

بالرجوع إلى الخصائص ج ١ ص ٢٥٣ نجد النص : ما تحتاج إلى تعديل الأمر وانظر اللسان ط بولاق ج ٤ ص ٢١٧ س ٢١ ط بيروت ج ٣ ص ٢٣٢ س ١٢١ .

٦ — في اللسان (سما) بياض يكمل من المخصص قال :

« فإن قلبت في مداري وجب أن تلزم هذا الضرب فيقال : سماءا ... الهمزة » .

وفي المخصص ج ٩ ص ٥٠٤ « فيقال : مطارا وسماءا فتتبع الهمزة » انظر اللسان ط بولاق ج ١٩ ص ١٢٣ س ٤ ط بيروت ج ١٤ ص ٣٩٨ س ١٧ ب

٧ — في اللسان (سبج) « والسبابجة : قوم ذو جلد من السند ... واحدها سبيجي قال يزيد بن مفرغ الحميري :

وطماطيم من سبابيج خضر
يلبسوني مع الصباح القيودا »

والصواب : أن السيابجة ، بياء بعد السين وواحدها سيبجي وبيت يزيد : سيابيج .

انظر كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٠١ والمذكر والمؤنث للمبرد (١) . وأمالي الشجري ج ٢ ص ٢٩١ والمخصص ج ١٦ ص ١٠٤

اللسان ط بولاق ج ٣ ص ١١٨ س ٢٤ ، ٢٥ ، ص ١١٩ س ٦ و ط بيروت ج ٢ ص ٢٩٤ س ٥ ، ٧ ، ٢٠ ب

٨ — في اللسان (حنا) « ابن سيده : الحانوت فاعول من حنوت تشبيها بالحنية تاؤه بدل من واو ؛ حكاه الفارسي في البصريات له . قال : ويحتمل أن يكون (فعلوتا) منه . الصواب : (فلعوتا) بالقلب المكاني . قدمت اللام على العين ، ثم قلبت ألفا . قال

---

(١) نسخة مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق .

ابن يعيش فى شرح المفصل جـ ٥ صـ ١٥١ :
« حانوت مقلوب ، وأصله حنووت . فقدمت اللام إلى موضع العين ، ثم قلبت ألفا ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها . فهو على وزن رحموت ورهبوت ، فوزنه الآن فلعوت مقلوب من فعلوت من حنا » .

اللسان ط بولاق جـ ١٨ صـ ٢٢٤ س ٣ ،
ط بيروت جـ ١٤ صـ ٢٠٥ س ٢ ب .

٩ — فى اللسان (كنهر) « قال أبو نخيلة :
كنهور كان من أعقاب السمى »

ضبط (كنهور) بالفتح وشددت ياء السمى وعلق مصحح طبعه بولاق بقوله « كذا بالأصل وحرره ، مصححه » ، وعلق مصحح طبعة بيروت بقوله « وهذا الشطر لا وزن له » .

والبيت من شواهد سيبويه جـ ٢ صـ ١٩٤ والمذكر والمؤنث للبرد صـ ٣٥ وهو بتخفيف ياء (السمى) وبنقل همزة أعقاب إلى نون (من) .

وقال ابن سيده فى المخصص جـ ٩ صـ ٣ :
« لجمعه على فعول إذ كان مثل عناق فى التأنيث وقد قالوا فى جمعها عنوق إلا أنه خفف للقافية ؛ كما خفف فى قوله :

حيدة خالى ولقيط وعلى » .

وهو برفع (كنهور) .

انظر اللسان ط بولاق جـ ٦ صـ ٤٧٠ س ٧
ط بيروت جـ ٥ صـ ١٥٣ س ٢٦ ب

١٠ — فى اللسان (صم البيت :

وقد علوت قتود الرحل يسفعنى
يوم قديديمة الجوزاء مسموم

قديديمة : مصغر قدام مخرف فى اللسان وجعل قديديمة « بالهاء المضمومة البيت لعلقمة بن عبيدة من قصيدة مفضلية . انظر شرح المفضليات صـ ٨١٩

والمقتضب جـ ٢ صـ ٢٧٣ ، جـ ٤ صـ ٤١ ،

واللسان ط بولاق جـ ١٥ صـ ١٩٦ س ١٩
ط بيروت جـ ١٢ صـ ٣٠٤ س ١٥ ب

١١ — فى اللسان (رجع) « وأتان راجع وناقة راجع ، إذا كانت تشول بذنبها وتوزع (بالعين المهملة) ببولها فتظن أن بها حملا » .

وقال فى (وزغ) « الإيزاغ : إخراج البول دفعة دفعة ، وأوزغت الناقة ببولها ، وأزغلت به : قطعتــــه دفعا دفعا ، قال ذو الرمة :

إذا ما دعاها أوزغت بكراتها
كإيزاغ آثار المدى فى الترائب

وفى المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص ٥٤ « وتوزغ ببولها ، أى تقطعه دفعادفعا » .

ومن هذا نقطع أنه توزع بالعين المهملة تحريف عن توزغ ، بالغين المعجمة .

اللسان : ط بولاق ج ٩ ص ٤٧٧ ، و ط بيروت ج ٨ ص ١١٩ س ١٧ ب ص ٤٥٩ س ٢٦ ا .

١٢ — فى اللسان (فقد) « الفاقد من النساء : التى يموت زوجها أو ولدها ... وظبية فاقد ، وبقرة فاقد : شبيع ولدها » بالشين المعجمة . والصواب : سبع ولدها ، بالسين ، أى أكلته السباع ، وانظر المخصص ج ١٦ ص ١٢٣ ، والقاموس المحيط .

اللسان : ط بولاق ج ٤ ص ٣٣٤ س ١٦ ط بيروت ج ٣ ص ٣٧٧ س ٢٤ ا .

١٣ — بيت أحيحة بن الجلاح .

إذا جمادى منعت قطرها
زان جنابى عطن معصف

هو بهذه الرواية فى المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص ٩٦ ، وفى شرح القصائد السبع ص ٥٤٤ ثم قال هناك : « أراد كانت له نخل قصير للنخل عطنا » .

وبهذه الرواية أيضا فى شرح المعلقات للتبريزى ص ١٤٥ ، وروى كذلك فى اللسان (عصف) (غضف) ، ولكنه رواه فى (جمد) : جنانى ؛ بالنون بعد الألف وهو تحريف عن جنابى .

وفى تعليق تصحيح بولاق وبيروت : « قوله عطن كذا بالأصل ، ولعله عطل ، باللام » والرواية (عطن) كما ذكرنا .

اللسان : ط بولاق ج ٤ ص ١٠٣ س ٢٥ ج ١١ ص ١٥٣ س ٢١ ، ص ١٧٥ س ١٠ ، ط بيروت ج ٣ ص ١٣٠ س ١٧ ا ، ج ٩ ص ٢٤٨ س ١٨ ا ، ص ٢٦٨ س ٢٠ ب .

١٤ — بيت تميم بن أبى مقبل :

من كل أهوج سرباح ومقربة
تقات يوم لكاك الورد فى الغمر

هكذا روى فى المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص ٦٧ وفى ديوانه ص ٨٧ .

الأهوج : الفرس السريع السرباح : الفرس الطويل . المقربة : الفرس التى ضمرت للركوب لكاك الورد : ازدحامه . الغمر : القدح الصغير يروى شاربه . معنى تقات بالغمر ، أى تقات به اللبن لأنها تضمر .

البيت صحف فى اللسان (سرح) فجعل نقات ، بالنون مكان تقات بالتاء . ووضع مكان لكاك لكال باللام .

ط بولاق ج ٣ ص ٣١١ س ١٥ ، ط بيروت ج ٢ ص ٤٨٢ س ١٢ ا .

١٥ — فى اللسان (رتا) البيت :

يلهو بهند فوق أنماطها

وفرمتني تعدو عليه وهر

جمل (فرثى) بالثاء المثلثة وهى بالتاء كما صرح بذلك فى (فرت، فرتن) ط بولاق ج ١٩ ص ٥٧ س ٢. ط بيروت ج ١٤ ص ٣٣٩ س ١٤ ب.

١٦ — قال فى جمع (قلوص). «قلائص وقلاص، وقلص، وقلصان، جمع الجمع». والصواب: وقلصات بالتاء جمع الجمع وقد صرح بذلك السجستانى فى كتابه التذكير والتأنيث [1] ص ٦.

ط بولاق ج ٨ ص ٣٤٩ س ٢٠، ط بيروت ج ٧ ص ٨١ س ٢٤ أ.

١٧ — بيت العجاج:

أو تلحج الألسن فينا ملحجا

هكذا روى فى المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص ١٤٣ بنصب يلحج عطفا على ما قبله. وقال فى اللسان (لحج) «قال رؤبة: أو يلحج الألسن منها ملحجا، ضبط يلحج بالرفع ونسبه لرؤبة وهو العجاج كما صرح بذلك فى (لسن) وانظر أراجيز العرب ص ٧١، ٧٩ وديوان العجاج.

ط بولاق ج ٣ ص ١٨٠ س ٢١، ط بيروت ج ٢ ص ٣٥٦ س ٢٢ ب.

١٨ — بيت أبى خراش الهذلى:

بموركتين من صلوى مشب

من الثيران عقدهما حميل

هكذا روى فى المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص ١٣٨، وقال: الحميل: الشراك، الموركتان: الشراكان، الصلوان، ما فوق الذنب من الوركين.

حرف (حميل) بالحاء المهملة إلى جميل، بالجيم المعجمة فى اللسان (حذا، شب، صرف) وكذلك وقع التحريف فى ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٤٠.

ط بولاق ج ١٨ ص ١٨٤ س ٢٣، ج ١ ص ٤٦٣ س ١٣، ج ١١ ص ٩٤ س ١، ط بيروت ج ١ ص ٤٨١ س ١١٢، ج ٩ ص ١٩٢ س ١٩، ج ١٤ ص ١٧٠ س ٢١١.

١٩ — بيت تميم بن مقبل:

وتصبح عن غب السرى وكأنها

فنيق تناهى عن سنان فأرقلا

هكذا فى المذكر والمؤنث ص ١٣٧، وفى الديوان ص ٢٠٩.

وحرف فى اللسان (سَنّ) بوضع ثناهى بالثاء المثلثة مكان تناهى بالتاء وكذلك حرف فى أساس البلاغة (شور).

ط بولاق ج ١٧ ص ٩٢ س ٢١، ط بيروت ج ١٣ ص ٢٢٨ س ١٥ أ.

---

(١) مصورة عن التيمورية:

٢٠ — بيت المرار العدوى :

وحشوت الغيظ فى أضلاعه
فهو يمشى حظلانا كالنقر

هكذا روايته فى المذكر والمؤنث ص ١٣٦ وفى إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٢٠٤ ، وفى اللسان (حظل) ، ولكنه حرف فى اللسان (نقر) إلى (خضلانا) ، بالخاء والضاد ، كما حرف فى تهذيب إصلاح المنطق ج ٢ ص ٧٣ إلى (خطلانا) ، بالخاء والطاء .

ط بولاق ج ٧ ص ٨٩ س ٢٣ ، ط بيروت ج ٥ ص ٢٢١ س ١٦ ب .

٢١ — فى اللسان « الضلع ، والضلع لغتان : محنية الجنب ، مؤنثة ، والجمع أضلع وأضالع وأضلاع وضلوع ، قال الشاعر :

وأقبل ماء العين من كل زفرة
إذا وردت لم تستطعها الأضالع

وقال ابن الأنبارى فى المذكر والمؤنث ص ٣٦ : « وربما جمعوا الأضلع فقالوا الأضالع ، فالأضالع جمع الجمع وليس جمع الضلع .

ط بولاق ج ١٠ ص ٩٤ س ١٥ ، ط بيروت ج ٨ ص ٢٢٥ س ٥ ب .

٢٢ — بيت لبيد :

والنيب إن تعرمنى رمة خلقا
بعد الممات فإنى كنت أتئر

هكذا روى فى المذكر والمؤنث ص ١١٠ ، وديوان لبيد ص ٦٣ ، والأضداد لابن الأنبارى ص ١٢٦ ، واللسان (ثأر ، عرا) ، ولكنه حرف فى (رم) إلى :

والبيت ، ورفع (رمة) وهى منصوبة على الحالية .

ط بولاق ج ١٥ ص ١٤٤ س ١١ ، ط بيروت ج ١٢ ص ٢٥٢ س ٢٤ ، ج ١٥ ص ٤٨ س ١٤ ا ، ج ٤ ص ٩٨ س ١٥ ب .

٢٣ — البيت :

وجاءت جيأل وبنو أبيها
أحم المأقيين به خماع

نسب فى اللسان (جيال) إلى مشعث ، ونسبه فى (خمع) إلى مثقب ، وهو تحريف عن مشعث .

والبيت مع بيتين فى معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٧٥ من شعر مشعث العامرى ، وليس فى ديوان مثقب العبدى شعر على هذا الروى .

ط بولاق ج ٩ ص ٤٣٣ س ٦ ، ط بيروت ج ١١ ص ٩٦ س ١ ب ، وفيه أجم بالجيم المعجمة ، ج ٨ ص ٧٩ س ١٦ ب .

٢٤ — بيت أوس بن حجر :

وأملس صوليا كنهى قرارة
أحس بقاع نفح ريح فأجفلا

(البقية على ص ٧٦٠)

الكتب

الإسلام والثقافة العربية
فى مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب

عرض وتعليق . للأستاذ يوسف عبد الهادى الشال

يقع هـذا الكتاب فى أربعمائة صفحة من القطع الكبير . ومؤلفه الأستاذ أنور الجندى وموضوع الكتاب عرض لما وجه للفكر الإسلامى والعربى من شبهات واتهامات حصرها المؤلف وناقشها مناقشة موضوعية اتضحت معها البواعث والوسائل والأهداف التى طيرت الشبهات فى مختلف المجالات فشملت الإسلام ورسول الإسلام والقرآن والسنة والتشريع الإسلامى واللغة العربية والأدب العربى والحضارة الإسلامية .

وفى التمهيد لهذا العرض لمس المؤلف جذور عملية الغـــزو الفكرى التى بدأت بالاحتلال وسيطرة النفوذ الغربى على العالم الإسلامى كوسيلة من وسائل القضاء على المقومات الأساسية التى كان مصدرها الفكر الإسلامى النابع من لغة القرآن .

وقد تناول القسم الأول من الكتاب عرضا سريعا لمراحل المواجهة الساخنة التى كانت الحروب الصليبية نقطة بدايتها حتى أخذت صورتها الكاملة بعد الحرب العالمية الأولى بإجراءات التقسيم عن طريق الاحتلال والانتداب ، وأمام هـذه المواجهة الساخنة كانت حركة المقاومة فى العالم الإسلامى تصر على النضال فى عزيمة واثقة .

وكان التركيز فى باقى الكتاب على معركة الفكر فى بواعثها ووسائلها وأهدافها .

وترجع البواعث جذريا إلى مناهضة الإسلام وطمس معالمه بدوافع الحقد والتعصب على الإسلام فى امتداده الذاتى وما يتمثل فى مبادئه من الحرص على كرامة الإنسان وحريته وامتزاج الروحية بالمادية والعمل لليوم وللغد وتقديم البرهان فى كل قضية . وسيادة مبدأ العقل وتجديد الفكر بالغربلة والاجتهاد والمواءمة مع الزمن والبيئة والتفتح

على تقبل الحضارات والتحليق فى آفاق التطور وحمل أمانة الحضارات والاضافة إليها وإثرائها وإقامة عملية الصهر والوحدة الإنسانية والدعوة إلى العدل الاجتماعى والمساواة بين الأجناس والألوان .

وقد رد المؤلف الفرية التى راجت حتى فى أوساط المثقفين والتى يلقنها المعلمون للناشئة .

تلك الفرية هى عزو « اليقظة الفكرية والثقافية » فى العالم الإسلامى إلى قدوم حملة « نابليون » ثم إلى البعثات والإرساليات الفرنسية والإمريكية .

وكان رد المؤلف مستندا إلى أحداث الواقع الذى سجله التاريخ لدعوة « محمد بن عبد الوهاب » المولود عام ١٧٠٣ م والتى بدأت عام ١٧٣٠ م موقظة العالم الإسلامى

وقد كانت هذه الدعوة ممثلة لكل عناصر اليقظة والتجديد والحركة إذ انصبت على العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى فى بساطته ويسره ، وكان قيام هذه الدعوة من قلب الجزيرة العربية بالذات عاملا ضخما فى هذه الفترة الدقيقة ، وكان ما ظهر بعد ذلك من دعوات وحركات إصلاحية امتدادا لهذه الدعوة وبخاصة فى مصر على يد جمال الدين الأفغانى ومدرسته وفى ليبيا على يد السنوسية

أما الحملة الفرنسية فكانت فى غضون عام ١٧٩٨ م أى أن الدعوة والحركة الإصلاحية بدأت قبل الحملة الفرنسية بأكثر من ستين عاما وقبل وفود الارساليات بمائة عام إذ بدأت هذه البعثات والارساليات فى عام ١٨٣٠

ولم يغفل المؤلف التنبيه على ما أطلق عليه « حضارة الغرب الحديثة » وإشاعة أنها ذاتية لم يؤثر فيها الإسلام فبين كيف تألق الفكر الإسلامى خلال القرون الخمسة الأولى للدعوة المحمدية واستوعب الثقافات المعاصرة له من فارسية ويونانية ورومانية واستطاع أن يهضمها ويحولها إلى كيان إسلامى محدد المعالم والملامح وقد أعانه على ذلك منهج الإسلام نفسه وهو منهج متطور متجدد قابل للتفاعل والالتقاء مع كل حضارة وثقافة .

وخلال هذه القرون كانت أوربا تعانى صراعا بربريا وقاسيا ، وتعيش غارقة فى تيه الجهالة باعتراف مفكريها ومؤرخيها .

وكانت الحضارة الاسلامية قد تحولت من دمشق وبغداد والقاهرة إلى الأندلس وأنشئت ونشطت شامخة جامعات قرطبة وأشبيلية وغرناطة ولا يستطيع منصف أن يتجاهل الدور الضخم الذى أدته الثقافة الإسلامية ، بحركتها النامية المتطورة فى مجالات العلم المتشعبة النواحى والتى كانت بحق عامل اليقظة الذى لا عامل سواه فى أوربا كلها ، وبحق تعتبر الحضارة الاسلامية أبا شرعيا للحضارة الأوربية الحديثة .

وقد فصل المؤلف الوسائل التى اتخذها الغرب للأهداف التى يتوخاها .

فكانت الوسائل ماثلة فى الغزو العسكرى

وحركات التبشير والتشكيك فى التاريخ والقيم الإسلامية .

وكان الهدف ماثلا فى القضاء على الثقافة الاسلاميه وتغريب الروح والفكر .

وتبدأ مرحلة الغزو العسكرى بحملة نابليون عام ١٧٩٨م وليس أدل على أن هدف الغرب هو القضاء على الإسلام والثقافة الإسلامية إن أول معالم نفوذ الفكر الأجنبي فى العالم الإسلامى أنها كانت البعثات التبشيرية والجمعيات والأرساليات ذات الطابع التعليمى لتحويل الفكر وصبغ العقل بصبغة معينة .

بدأت هذه البعثات عملها فى عام ١٨٣٠م وهو تاريخ له دلالته . ففى هذا العام احتلت الجزائر وسقطت فى يد فرنسا، وكان سقوطها يعنى بالنسبة لفرنسا رد اعتبار انتقامى لمقتل القديس « لويس » فى حملته الصليبية التاسعة على الجزائر بعد حملته الثامنة على مصر والتى أسر فيها .

وبذلك حلت المعركة طابع التعصب وامتد هذا الطابع ليصبغ كل صور الفكر والثقافة والعلاقات بين الغرب والعالم الإسلامى .

ومن هنا شهرت الأسلحة المختلفة : التبشير . الإلحاد . التشكيك . التغريب للإجهاز على الدين الإسلامى واللغة العربية وكان هدف الأفكار التى تسمى بالإقليمية أو الفرعونية أو العامية أو الشيوعية أو البهائية للقضاء على الثقافة الإسلامية .

ومنطق هذه الدعوات كان عن معرفة أكيدة لدى أعداء الإسلام إن (القرآن) والفكر الإسلامى كله ماثلا فى الحديث الشريف والتشريع والأدب والشعر وكلها ذخائر تموج بالحياة والحركة ولها من المقدرة على التجاوب والتأثير ما يحقق لها التفاعل ويضمن لها البقاء .

ومن بين الأدلة على ذلك أن (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا إبان الاحتلال الانجليزى لمصر وقف فى البرلمان البريطانى معلنا أنه طالما ظل (القرآن) باقيا فى الأرض فإنه لن يمكن أن يتحول المسلمون .

ومن هذه النقطة انطلقت الحملة الضخمة على الإسلام واللغة العربية والتاريخ والتراث الإسلامى على نحو بالغ فى التعصب والإثارة .

وحمل لواء هذه المعركة الفكرية ثلاثة : المبشرون . وكتاب الغرب تحت اسم (الاستشراق) . وكتاب (التغريب) من بين المسلمين الذين تعلموا فى أوربا أو تابعوا كتاب الغرب فى آرائهم دون أن يتنبهوا إلى الأهداف التى ما كانت لتخفى على من أوتى حظا من الفطنة واليقظة وسلامة الحس .

وقد استثنى المؤلف إنصافا للواقع عشرات الأعلام الذين تعلموا فى أوربا أو فى مدارس

الجزويت والبروتستانت والأمريكان الذين استطاعوا أن يتجردوا من قيود المدرسة الغربية ونفوذ الفكر الاوربي وأن تعاونهم الأحداث والظروف في جو التحرر العقلي الذي كشف لهم بواطن الأمور حتى تبين لهم أن المنهج الذي ادعاه الغربيون من التجرد عن كل هوى أو غرض لدى البحث أو الدرس لم يلتزمه أولئك فيما يتصل بالإسلام والعربية حين يكتبون عن الإسلام ونبيه وثقافته . فضلا عن أن المنهج إسلامي خالص التزمه عباقرة الفكر الإسلامي أمثال ابن تيمية والغزالي وابن حزم وغيرهم كثير .

وقدم المؤلف طائفة ممن تحولوا بعد كشف زيف الغرب في تفكيره ومنطقه مثل شكيب أرسلان وأحمد زكي باشا ومحمد حسين هيكل وزكي مبارك ومنصور فهمي وساطع الحصري.

وقال المؤلف : ولم أذكر غيرهم من أمثال مصطفى صادق الرافعي وعبد العزيز الثعالبي وعبد الحميد بن إدريس ورشيد رضا مخافة أن يتهم هؤلاء بأنهم متعصبون للفكرة الإسلامية بحكم دراستهم أصلا .

ثم أخذ المؤلف في تقديم مشاهير دعاة الحركة ضد الإسلام أمثال : فولتير ودنلوب وربنان وهانوتو وزويمر ولورانس ومرجليوت وأضرابهم عن كشفوا عن حقدهم وضغنهم وأوضح أن « كروس » يعد من أخطر هؤلاء الدعاة وقدم نماذج من كتابه (مصر الحديثة) الذي يعتبر خطة عمل كاملة أهم نقاطها .

(١) إثارة الشبهات حول الإسلام بالادعاء بأنه دين مناف للمدنية ولم يكن صالحا إلا للبيئة والزمان اللذين وجد فيهما . والطعن في شريعته وسياسته ومعاملاته ومهاجمته لإباحة الطلاق وتحريم الربا والخمر .

(٢) أن المسلمين لا يمكنهم أن يرقوا في سلم الحضارة والتمدن إلا بأن ينبذوا قرآنهم وأوامره ظهريا .

(٣) اتهام الإسلام بالتعصب وإطلاق الحرية للمبشرين والمرسلين الدينيين وتشجيعهم .

وقد حقق كروس هدفه في صنع تيار واضح سعى إلى نشر آرائه وتعميق دعوته واستطاع أن يروج هذه الآراء عن طريق صحيفتين .

صحيفة لها طابعها العلني في تأييده وهي « المقطم » ، وأخرى اتخذت أسلوبا ملتويا وغامضا وهي « الجريدة » التي كان يصدرها « لطفي السيد » ... !

وعندما صدر كتاب كروس « مصر الحديثة » في مارس ١٩٠٨م نشرت « اللواء » و « المؤيد » ردودا تفصيلية عليه وألفت الكتب في الرد أيضا . وأبرز ثلاثة تناولوا كتابات كروس بالتفنيد وكشف القناع عن

أهدافها هم : محمد فريد وجــدى ومصطفى الغلاييني ورشيد رضا . ثم قدم المؤلف نقولا وافرة من هذه الردود .

وتحدث المؤلف عن مراكز المقاومة لهذه الحركة الحاقدة الضارية فبين دور الأزهر الشريف في المقاومة من ناحيتها الثقافية والوطنية . وغير الأزهر من مراكز المقاومة في العالم الإسلامي . القرويين في المغرب . والزيتونة في تونس . ومعاهد النجف الأشرف وجامعة أحمد خان في الهند ، والخلاوى في السودان ، والزوايا في ليبيا .

وكان للصحافة الإسلامية دور كبير ترك تراثاً ضخما في هذا المجال يمكن أن يطلق عليه « أدب الدفاع عن الإسلام » .

ولم يكن هذا الأدب دينيا خالصا وإنما كان فكراً إسلاميا متكاملا . فيه مواجهات للفكر الغربي ولاتهاماته . وفيه بحـــوث مستفيضة في القرآن والسنة والفقه والتشريع واللغة العربية وآدابها . والتاريخ الإسلامي .

ويبدو ذلك واضحا في « المنار » و« الفتح » وكتابات « رشيد رضا » و « محب الدين الخطيب » و « شكيب أرسلان » .

وعلى الرغم من أن أعداء الإسلام والمسلمين كانوا جميعا أوضح نموذج تطبيق للمثل العربي « رمتني بدائها وانسلت » ، حيث روجوا أكذوبة اتهام الإسلام والمسلمين بالتعصب ولم يقدموا دليلا واحدا على صدقه فإن الفكر الإسلامي في مجال الدفاع في هذه المعركة الملتهبة اتسم بسمات واضحة أبرزها الإنصاف والتجرد الخالص عن الهوى وفق الأسلوب الدقيق القائم على المنطق والدليل البعيدين عن العاطفة والافتعال مع عدم التعرض للعقائد الغربية في تنقص أو تعصب .

وقد كنت أتطلع بشغف إلى أن أقرأ في هذا الكتاب علاقة الثورة التي قام بها « أتاترك » في تركيا بحركات المناهضـــة والتغريب وتبخير الضباب المصنوع لتحويل الأنظار بحذق وبراعة عن هذه العلاقة . .

كما كنت أود أن ألتقي في نهاية الكتاب بالتنبيه على الأخطاء المطبعية وبخاصة في التواريخ التي قد يضطرب معها القارىء المتعجل أو من ليس لديه رصيد عاصم العادي من الثقافة .

والكتاب من قبل ذلك ومن بعده يضع النقط فوق الحروف . وحرى بأن يقرأه كل مسلم حتى يقف على ما أريد وما يراد بدينه وعقيدته ولغته بل وكيانه . وحتى تتضح له الرؤية . رؤية حقيقة الدعوات المغلفة بما يخدع الأبصار والبصائر .

وحسبه منها لمن ألقى السمع وهو شهيد ؟

يوسف عبد الهادى الشال

أنباء وآراء

رسالة المسجد

للأستاذ قاسم غالب

وزير التربية والتعليم السابق

بالجمهورية العربية اليمنية

اليوم يخطب فى الجميع المسجد
أصغى التقى وسلم المتردد

يا نقطة التوجيه والعش الذى
منه السماء لمن بغى تتوعد

صغت السلوك نماذجا قدمته
فابتاعه القديس والمتعربد

وطبعت وجدان الشباب أمانة
وعزيمة وعروبة تتوقد

تغزو مواعظك القلوب كأنها
بالفن يغزو كل قلب « معبد »

كم صودرت فيك الذنوب وأرغم
الشيطان فى باب المساجد يسجد

وفعلت فعل الجامعات بأمة
« للات » أو « لمناتها » تتعبد

فتح الكتاب عقولهم آياته
وتدبروه أسنة فتجندوا

فترى الصحابى الكبير وهمه
فى عمره الباقى : متى يستشهد ؟

أيام ألسنة المنابر وحدها
ينقاد تحت لوائها المتعبد

يا أمة الإسلام ؛ هل من غيرة
فالقدس أضحت مسرحا والمسجد

* * *

● أدلى الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بحديث تناول فيه قوة الإسلام الدولية مشيرا فيه إلى تضارب أقوال المناوئين له ؛ فبينما يدعى أحدهم أن الإسلام كقوة عالمية تستطيع أن تؤثر فى ميزان القوى وتصدتيارا معاديا لها قد انتهت ؛ إذا بعالم أمريكى يعلن أن المسيحية كقوة مؤثرة فى قارة إفريقيا فى طريقها إلى الزوال وليس أمام الغرب سوى قبول أحد أمرين : إما أن يعضد انتشار الإسلام السريع فى إفريقيا ، أو يحاربه فيسمح بسيطرة شيوعية جارفة فى إفريقيا . وكان تصريح العالم الأخير قد أدلى به فى المركز الإسلامى بوشنطن .

وقد رد الدكتور محمود حب الله فى حديثه على الفكرة القائلة بانتهاء المسلمين كقوة فعالة ؛ فبين خطأ هذه الفكرة إذ أبرز ما تتمتع به حقيقة الوجود الإسلامى على سطح

الأرض من اتصال وثيق بين الجماعات الإسلامية دون فصل بينها فالمسلمون من أقصى الشرق إلى غرب إفريقيا جسد متلاحم فى قوة بشرية هائلة ، فوق ثروات طبيعية لا تزال بكرا تغنيها وتكفيها . وتجعلها أكثر من قوة ذات كيان تستطيع التوجيه والعمل .

والأزهر الشريف هو المركز الإسلامى الذى يمكنه أن يؤدى تلك الرسالة ، بل هو وحده صاحبها .

● خالفت رؤية الهلال هذا العام كل ما توقعه أصحاب المقاييس الرياضية فانتهى شهر رمضان المبارك باليوم التاسع والعشرين منه . وظهر الهلال فى المنطقة وبعيدا عنها بين السعودية وباكستان والأردن والسودان وبهذه المناسبة نسوق ما كتبه بعضهم ضد الرؤية المجردة . قال مخالفا الرؤية البصرية :

« وللعلم رأى فى هذا فهو يقطع بأن نهاية الشهر الكريم تقع فى يوم الجمعة القادم ، وأن السبت هو عيد الفطر المبارك ، ولكن المتمسكين بما جرى عليه العمل أجيالا وأجيالا من ضرورة رؤية الهلال بالعين ، يقولون بأنه نص فى الدين لا يمكن العدول عنه ، والرؤية كما تكون بالعين تكون بغيرها ، والعلم يرى بمقاييسه . والعين ترى بقدرتها الذاتية والعلم أقدر حيث تعجز العين فلماذا لا نلجأ إلى العلم القادر حينما تعجز العين ؟ والإسلام دعا إلى العلم وقدسه وجعله فريضة على كل مسلم ، ولو تركنا الاستعانة بالعلم واعتمدنا على الرؤية بالعين وحدها لجاز أن يولد الهلال ولا تراه العين لضباب أو غيم أو عواصف أو ما إلى ذلك من ظواهر الطبيعة الحاجبة ، فلا يصوم المسلمون أو لا يحتفلون بالعيد فيخالفون حكما من أحكام الدين والعكس صحيح ... » .

تلك الكلمة من الكاتب وجدت ردا عليها من الأحداث ! وكنا نود للكاتب أن يلم ببحوث بجمع البحوث الإسلامية فى هذا الشأن ، فعلى أى كاتب أن يسعى لتحقيق معلوماته ولا ينتظر أن يسعى العلم إليه وبخاصة حين يكتب عن موضوع يمس قضية هامة إسلامية كهذه ليست من عمله فى شىء ، فإن الإسلام لا يبطل العلم ، وليس من أحد يدعى أن الرؤية البصرية ليست من العلم ، فماذا إذا خلف « التلسكوب » و « الميكروسكوب » ؟ وليس فى الضباب أو الغيم ما يحرج المسلم أمام أحكام دينه : « فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » . ولقد كان « العكس صحيح » لو أن المسلمين اعتمدوا هذا العام الحساب الرياضى ... وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● أثيرت منذ أكثر من خمسة شهور قضية : « إخراج القرآن الكريم مرتبا حسب نزوله » ، وتولى الترويج لهذه العملية مواطن لبنانى يدعى « محمد الباقر » ؛ وقد تبين بعد التحقيق مع محمد الباقر هذا أن النسخة التى كان يزمع طبعها موجودة مع أخ له بإيران . وقد كتبت وزارة الأنباء فى الجمهورية اللبنانية إلى هذا الشخص نفسه « تطلب إليه استطلاع دائرة الفتوى فى بيروت بمضمون الكتاب المذكور وأخـــذ موافقتها عليه قبل طبعه وتوزيعه » وقضت دار الإفتاء فى لبنان بعدم الموافقة على طبع الكتاب فى لبنان » .

هذا ونود أن نلفت النظر إلى أن هذا العمل يستحيل من الناحية العلمية البحتة ، فلا يمكن ترتيب آيات القرآن ترتيبا نزوليا ـ كما يزعم المدعون ؛ فإن عملا كهذا لا بد أن يعتمد على مصدر أولى إسلامى ، وهـذا المصدر الإسلامى محصور فى الحـديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإذا تبين لنا أن القرآن الكريم فى عدده الكوفى يحتوى على ٦٢٣٦ آية كريمة ، كان ذلك يعنى ـ من الناحية العلمية البحتة ـ أن يوجـد ٦٢٣٦ حديث شريف متواتر توضح فى جلاء هذا الترتيب ، وهذا ما لا وجود له . فإذا أضفنا إلى ذلك أن فى القرآن الكريم آيات لم تنزل الآية الواحدة منها مرة واحـدة تبين وجه الاستحالة أكثر ، فإذا خضنا إلى تناول الزمن تفصيلا قطعنا بالاستحالة . وعلى ذلك لن يكون هذا الوضع إلا بتر وتشويه لا ترتيب نزولى .

وترتيب القرآن الكريم فى المصحف هو ترتيب عرضتى جبريل عليه الصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم عام وفاته ، وهو الذى سار عليه السلف الصالح وأقره الصدر الأول والتزم به المسلمون فى كل مكان ولم يحدث أن طلبوا سواه ، فلمن يا ترى هذا العمل الجديد وما معنى تهريب النسخة من مكان إلى آخر ؟

ولماذا يعمل لهـذه القضية فى الظلام على جناحى : الإنكار والتهريب ؟

● بعين أكثر من أربعمائة مليون مسلم ينظر الأزهر إلى قضيـة فلسطين ؛ وباسم الإسلام ، وباسم المسلمين فى كافة أنحاء العالم الإسلامى انعقد المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسـلامية ، وباسم فلسطين الإسـلامية استغرقت دورته الأولى دراسـة مشكلتها ، وتوالت نداءات مؤتمر المجمع إلى العـالم الإســـلامى .

ولقد كانت الدولة الإسلامية « ماليزيا » أسرع استجابة ؛ فقـد وجـــه السيد « تنكو عبد الرحمن » رئيس وزراء ماليزيا

دعوة رسمية إلى الحكومات العربية لحضور مؤتمر إسلامي اقترح عقده في «كوالالمبور» خلال شهر إبريل القادم، وقد تسلمت الجامعة العربية الدعوة من سفارة ماليزيا في القاهرة، وتولت الجامعة - بدورها - إرسالها إلى الحكومات العربية. وحددت الدعوة أهداف المؤتمر. وفي مقدمتها:

الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس.

مناقشة أسس قيام تعاون إسلامي مشترك.

معالجة القضايا ذات الطابع الديني.

بحث مسائل تتصل بالمعاملات المالية تخلصا من الوسائل الربوية.

وقد اقترح رئيس وزراء ماليزيا عدة مبادئ لتنظيم أعمال هذا المؤتمر هي:

ألا يتدخل المؤتمر في الشئون الداخلية للدول الإسلامية. وألا يتعرض للمذاهب الاجتماعية، أو لنظم الحكم في أي منها. وقد قام وفد إسلامي ماليزي بالطواف على البلاد الإسلامية تحضيرا لهذا المؤتمر؟

علي الخطيب

(بقية المنشور على صفحة ٧٥١)

هكذا روى في المذكر والمؤنث ص١٧٦، وفي سمط اللآلي ص ٥١٠، والديوان ص ٨٤ والمخصص ج١٧ ص ٢٠. وحرف في اللسان (أكل) إلى نفخ، بالخاء والمعجمة.

ط بولاق ج ١٣ ص ٢٣ س٨، ط بيروت ج ١١ ص ٢٣ س ١٢.

٢٥ - بيت الفرزدق:

ولكن وجدت السهم أهون فوقة
عليك فقد أودى دم أنت طالبه

روى بفتح تاء (وجدت) في المذكر والمؤنث ص ١٩٤، وفي الديوان ص ٤٨، وضبط في اللسان (فوق) وجدت بضم التاء والمعنى على فتحها، وضبط بالضم أيضا في المخصص ج ١٧ ص ٢٠.

ط بولاق ج ١٢ ص ١٩٦ س ٢٠، ط بيروت ج ١٠ ص ٣٢٠ س ٢٨ ب.

محمد عبد الخالق عضيمة

no sane person in his moments of critical awareness would like to attend to such unfounded slogans. A theory which denies the very criteria that distinguish men from animals, to which all ethics is non-sense and all religious experience delusion, is itself an abnormal phenomenon. In the absence of any substantial argument and contrary to all existing and historical evidence this view can only be sustained by wishful thinking, an 'evaluational wish, whtch qualifies this *scienticism and not science* as a religion-substitute. But it would be a very hazardous venture to choose a religion-substitute without recognizing such a need and without being aware of such a choice. The hurrah'-hurrah tactic makes capital out of the glaring achievements of science. 'Science has done this much, given time it will do the rest.' 'It has weighed earth, it will weigh love ; it has discovered electron, it will discover values.' In its simple form it is a mere extrapolation and subject to all criticism on that count. By ignoring the qualitative difference between the two fields and displaying deliberate forgetfulness to the self-imposed methodological limitations of science, it has further weakened its case. What substance remains behind can be considered under the social and human sciences which are indeed the last refuge of the scienticist.

The social and human sciences have their two feet on two separate boats. In so far as they are truly 'scientific' their subject-matter is descriptive and/or they analyse such subject-matter with the help of tools and conceptual schemes devoid of value judgment. As soon as they step into the evaluational field they grow freely speculative, and end-suggesting systems or value-charged concepts are imported surreptitiously. Thus in this part we have capitalist, socialist or facist economy, democratic, communist or Nazi politics, and the flights of Jungians of Freudians etc. Devoid of these 'isms' these sciences are cut to their proper size, i. e. descriptive analytical disciplines.

(To be continued)

We humans deal with means as well as ends and need conceptual schemes for both spheres. which by their very nature cannot long afford to contradict each other. For means science serves well, but the choice of ends demands answers to queries which science shuns. Hence the persistence of claimants for the answers. It is interesting to note the tremendous growth of 'isms' under the shadow of modern science and decaying religion, where previously the combination was strong religion and weak science. At any time however, science does not occupy the entire field alone and has had a complementary set with it. We may therefore lay down that *there is a way of looking and dealing with phenomena complementary to science*, for one such system is always found in every era and with every stage of science.

We now come to the crucial question which arises naturally at this stage. Granting the need of a complementary discipline, how can we assess the claims of variou claimants in this field and declare that religion is unique and forms *the counterpart,* not a counterpart, of science. The main discussion of this issue belongs to the next section where it will be maintained that science, together ıth thew various evaluational disciplines form part of religion; but some remarks are in place here. In the first place one could have done so by an act of definition. By defining religion as 'that which fulfills or attempts to fulfil precisely the above need' the issue apparently gets settled. But we are left with religion as well as pseudo-religions (which I propose to call substitutes) under this definition, and the need to distinguish between them would persist. These form a formidable array and are divisible into three groups. First, the scienticism or pseudoscience whose proponents claim that science itself is its counter - part. Second, the various evaluational disciplines like ethics, aesthetics, pœtry, art, etc. Third, the so called normative sciences or social sciences which partake of the characters of both fields and claim to be be hybrids.

Our previous discussion disposes of the claim of science, but a brief mention of two tactics of the scienticists will not be out of place here – namely the pooh-pooh tactic and hurrah-hurrah tactic. The pooh-pooh tactic makes light of the entire range of evaluational field saying "there is no such thing as conscious human choice", 'we are but pysico-chemicals' Religion is the opiate of the people' etc. But

region belonging wholly to religion; and that the findings in this region do not contradict nor are contradicted by the findings in science, but they combine to form a whole. The first part can be accepted if we see clearly that science does not claim the whole of reality as its domain but is emphatic about its limits and also that religion fills a substantial part of the remainder. Now it can be established that 'values' are not reducible to 'facts' and science therefore does not deal with values, purposes and human ends. It limits its search to 'how' and 'why' of a particular kind, namely, explaining one level 'facts' by another level. As to ultimate 'whither and whence and whys' it follows Buddha's precept of strict silence. Its tools are suited to the analysis of efficient causes' only but keep out scrupulously any 'final causes.' It weighs] in millimicro-grammes and calculates energies of heat, charges etc., but truth and justice, beauty and altruism etc. remain undetected, and powerful forces of love and hate, aggression and jealousy or envy etc. remain unpredictable and uncontrolled.

Psychic and spiritual entities or moral and aesthetic terms do find mention in science ; but either as extraneous considerations, or after these have been duly stripped off their 'evaluational' meaning and processed to fit in the framework. This question is in fact a prominent bone of contention and I do not wish to enter into details just now. Suffice it to say that claims of art, poetry, ethics and religion etc. remain and dichotomy of 'fact' and 'value' can be maintained. These 'evaluational' insights arose nearly simultaneously with the origin of scientific insight in human evolution and we are justified in accepting a 'survival value' in each, which is complementary to the other. With the sort of physical and psychological equipment he possesses, man cannot survive without using his inner resources to control or modify his surroundings as well as himself. Science is the story of man's control over the universe and evaluational systems including religion, that of his coming to terms with 'himself.' Since the dawn of civilization we have seen these twin forces working together, sometimes as magical formulae, at others as priest-cum-experts, still later as scholastics and so on. Even where the traditional religions are discarded, we find 'complementary systems' e.g, — isms, budding forth as if from nowhere to satisfy this vital need.

SCIENCE AND RELIGION*

BY :
AHMED SURTI

Introduction :

Religion and Science are both classes of classes but all member-classes in each have recognizable feature of belonging to 'science' or 'religion.' I propose to take this fact of distinction for granted and whenever needed, will freely pick out a member-class from either to illustrate my point. As the discussion proceeds, these points will become clearer and the whole topography wil emerge in a sharp relief. This discussion is based on three propositions :

1. There is a 'core' of religion which has a distinct domain from that of science and the two are complementary.

2. There is a special sense in which the totality of religion includes the domains of science (and for that matter those of any other discipline or activity etc.)

3. There exists a parallel between the way science works and the way religion works which supplies a good analogy or model to set our views of the working of religion on an intelligible line. The 'part' reflects the 'whole' very much as a map reflects the country.

In what follows I will try first to establish these basic propositions and then proceed to show how our understanding of the interaction between science and religion becomes clearer by applying these to various concrete situations. It may not be possible to 'prove' these according to all possible meanings of 'prove' ; but the least I hope to establish is that, among themselves, these supply the criteria and provide a method for analysing and evaluating the claims of religion and science. This in itself is not unimportant. We do need working hypotheses to make some sense of the maze of events happening in a world where 'science' and 'religion' are facts very much to be felt around us.

SECTION 1

The first statement says two things : that there is a distinct

* A method to analyse their claims.

from other nations of the world[1]

He goes on to say that :

"One of the cheif purposes of Islam in America is to bring about unity of our people. There is nothing that my people (the so-called Negroes) need more badly than unity. When this is achieved, we would have a greater weapon in in our hands and possession than all the atomic bombs the West can manufacture.

In the attainment of this goal, too, the school plays an important part. Students are taught all black men are brothers. Special history classes on the black man in Asia, Africa, and the United States are intended to promote an increased awareness of this brotherhood. Approximately fifty percent of the teachers in Muslim schools are non-Muslim Negroes, and the University of Islam in Detroit even accepts non-Muslim students in order to assure unity and strengthen the bonds between all Negroes.

---

(1) Elijah Muhammad, The Supreme Wisdom, second edition, Muhammad's Temple of Islam No. 2. Chicago. Ill. 1957, p. 82.

(Continued from page 7)

husband accuses his wife, but he has no witnesses, Islam gives him the right to escape the punishment by a procedure explained in the Holy Qur'an. The wife has been given the same right in the same way :

« والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . »

(٦ - ٩ النور)

It means : "And for those who launch a charge against their spouses, and have (in support) no evidence, but their own, — their solitary evidence (can be received) if one of thems bears witness four times (with an oath) by God that he is solemnly telling the truth ; "And fifth (oath) should be that he solemnly invokes the wrath of God on himself if he tells a lie." But it would avert the punishment from the wife, is she bears witness four times (with an oath) by God, that (her husband is telling a lie ; and the fifth (oath) should be that she solemnly invokes the wrath of God on herself if (her accuser) is telling the truth."

(Verse 6 — 9, Ch. 24)

(to be Continued)

We and our fathers have been robbed of all that we originally possessed. And now we are left without anything to use for self like wealth and modern instruments to start a civilization as you have, though we helped you to get what you have. We now must have justice and some of this earth and wealth that we can call our own.(1)

In the case of this objective, also, the school plays a major role. Supplementary texts introduce students to the independent (Muslim) facilities such as grocery stores, bakeries, and factories. Students are taught to use these facilities always in preference to non-Muslim facilities. Pupils are also taught to be thrifty and industrious, and to keep money within the Nation of Islam so that they may aid in helping the movement to become self - sufficient and independent. Elijah Muhammad has given his followers a twelve - point program for economic independence which includes the following :

1 — "Separate yourselves from the "slave master."

2 — Pool your resources, education and qualifications for independance.

3 — Stop forcing yourselves into places where you are not wanted.

4 — Make your own neighborhood a decent place to live.

5 — Rid yourselves of the lust of wine and drink laern to love self.

6 — Unite to create a future for yourself.

7 — Build your own homes, schools, hospitals, and factories.

8 — Do not seek to mix your blood through racial integration

9 — Stop buying expensive cars, fine clothes and shœs before being able to live in a fine home.

10 — Spend your money among yourselves.

11 — Build an economic system among yourselves.

12 — Protect your women.(2)

The fourth and final major goal of the Nation of Islam is the development of a unity between all black men. Elijah Muhammad states :

" . . . May people (the so-called Negrœs) also lack love, unity, and self-respect among themselves, which makes it even mor difficult for us to gain recognition and respect

(1) Elijah Muhammad, Message to the Blackman in America, op. cit., p. 227.

(2) Elijah Muhammad, Message to the Blackman in America, op. cit., p. 171.

"Although the Muslims held out no hope for a solution in the conventional sense — that is, integration or at least desegregation — they do provide a solution for the individual who can find in this religion and attitude a way of adapting himself to a society that excludes him. The decision to eschew all conctact with the white world removes from the Negro the heavy burden of trying to wrest equal rights from people unwilling to grant them".(1)

In the pattern typical cultural renewal, the (Muslims) set themselves apart from the white society, and begin to develop a satisfying culture of their own. The (Muslim) school plays a major role in the attainment of this goal. The school is the main way in which the Nation of Islam can teach its members the new religion, the new names, and the history of their new identity.

The school is the center for programs which teach Arabic, the religion of the (Muslims), and the history of the black men of the world. In this way, the school is the center for the introduction of new cultural elements and the development of a new identity. It is also through the schools that members of the Nation of Islam are taught the concepts of complete separation. The school teaches, through religious instruction, total separation of whites and Negroes, and warns against intermarriage end integration. Elijah Muhammad states :

"We believe that intermarriage or race mixing should be prohibited.(2) A third primary objective of the Nation of Islam is the development of selfsufficiency and an independent economy. Elijah Muhammad explains :

"We, the Muslims, will make jobs, for ourselves ! We, the Muslims, will build factories ! We are going to demand a place pretty soon ! We are not affraid to go to the government and tell them that we must have some of this earth ! We are not afraid ! And I dno't believe the intelligence of the government will deny us ! (3)

Muhammad goes on to say :

"We must have some of this earth that we can call our own !

---

(1) Morroe Berger, "The Black Muslims," Horizon, Vol. 1, No. 1, 1964, p. 59.

(2) Elijah Muhammad, Muhammad Speaks, Vol. 5 No. 43, July 15, 1966 (also in all issues).

(3) Eligah Muhammad, Muhammad Speaks, Vol. 1, No. 6, April, 1962, p. 5.

and the unity of the black man.

The freedom for which the (Muslims) strive is freedom from lower-class Negro values and attitudes, and rejection of the white man's way of life which tends to emphasize the exclusion of the Negro from full participation in the American society. The Nation of Islam seeks a release from the names and religion of the white man which were imposed on the black man when he was brought to the United States as a slave. The (Muslims) also want freedom from being taught by the white man because their children, if taught by the whites, have great difficulty in identifying with the Negroes. Elijah Muhammad explains :

"If we want freedom, justice, and equality, we must look for it among ourselves and our kind; not among the people who have destroyed and robbed us of even the knowledge of ourselves"[1].

He further states :

"Our first step is to give back to the white man his religion, Christianity, church, and his names. These three are chains of slavery that hold us in bondage to them. We are free only when we give up the above three"[2].

Elijah Muhammad also explains to his followere that :

"We boast that we should be recognized as equals. Let us make ourselves equals. We cannot be equal with the master until we own what the master owns, we cannot be equal with the master until we have the freedom the master enjoys. We cannot be equal with the master until we have the education the master has. Then we can say, "Master, recognize us as your equal".[3]

In order to achieve the equality of which Muhammad speaks. the (Muslim) school tries to teach its students the value of education, hard work and success. Though the (Muslims) are attempting to become equal to the white man through education, they do not desire to become an integrated part of the white society. Rather, of they wish to achieve equality while maintaining a separate society of their own. They intend to remove from themselves the traditional image of the lower-class Negro.

---

(1) Elijah Muhammad, Message to the Blackman in America, published by Muhammad's Mosque No. 2, Chicago, Illinois, 1965, p. 233.

(2) Ibid., p. 26.

(3) Ibid., p. 62.

The Role of The (Muslim) School In America In The Process of Cultural Renewal

— III —

BY :
DR. IBRAMIH M. SHALABY

In order to determine whether the school of the Nation of Islam has instigated any cultural renewal, it is necessary to study the school itself as a cultural system. Edward Tylor, the English scholar, defined culture as "that complex whole which includes knowledge, belief, art, morals, law, custom, and any other capabilities and habits acquired by man as a member of a society"(1). This definition provides a convenient frame of reference for determing whether or not the school's efforts have resulted in cultural renewal. By studying each part of Tylor's definition to determine what the cultural base has been, it is possible to detect any changes in the culture, and to determine what role the (Muslim) school has played in these processes of cultural renewal and indetity development.

(1) Edward B. Tylor, The Origins of Culture, Harper and Brothers Publishers, New York, 1958, p. 1.

OBJECTIVES

The chief objectives of the Nation of Islam as a whole were examined. Although the present study was concerned with the schools of the Nation of Islam, and not with the group per se, the school could not function isolated entirely from the total group. Consequently, it was considered necessary to examine the general objectives of the entire group, and then to observe what part the school plays in the teaching and fulfilling these goals.

In every issue of Muhammad Speaks(2) Elijah Muhammad sets forth the goals of the Nation of Islam. The four essential objectives of the (Muslims) are: freedon, justice and equality; separation of blacks from the whites; selfsufficiency and an independant economy;

(2) The Weekly Magazine of The Nation of Islam.

and forbid what is just, and are close with their hands. They have forgotten God; so He hath forgotten them. Verily the Hypocrites are rebellious and perverse".

(Verse 67, Ch. 9)

7 — Both good men and good women have been privileged with the threat directed from Almighty God to those who annoy or persecute them :

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا » (٥٨ الأحزاب)

It means : "And those who annoy believing men and women undeservedly, bear (on themselves) a calumny and a glaring sin".

(Verse 58, Ch. 33)

« إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ، فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق » . (١٠ البروج)

It means : "Those who persecute (or draw into temptation) the Believers, men and women, and do not turn in repentance, will have the Penalty of Hell ; they will have the Penalty of the Burnining Fire".

(Verse 10, Ch 85)

8 — The safety of both, believing men and believing women, was the target of Divine Scheme when God made the war avoided between Muslims and the people of Mecca in the sixth year A. H. :

« ...ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ... » . (٢٥ الفتح)

It means : "...Had there not been believing men and believing women whom ye did not know that ye were trampling down and on whose account a crime would have accrued to you without (your) knowledge..."

(Verse 25, Ch. 48)

9 — Believing women had their full share along with their believing brothers when Almighty God instructed His Prophet to ask forgiveness for His followers :

« فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم متقلبكم ومثواكم . » (١٩ محمد)

It means : "Know, therefore, that there is no god but God, and ask forgiveness for thy fault, and for the men and women who believe ; for God knows how ye move about and how ye dwell in your homes."

(Verse 19, Ch. 47)

10 — Both man and woman have the right to defend themselves, and their testimony in this regard has the same evaluation ; in the case a

(Continued on page 12)

fathers, their sons, their husband's sons, their brothers or their brother's sons or their sister's sons, or their women, or their slaves whom their right hands possess, or male servants free of physical needs, or small children who have no sense of the shame of sex; and that they should not strike their feet in order to draw attention to their hidden ornaments. And O ye Believers! Turn ye all together towards God, that ye may attain Bliss."

(Verse 30 & 31, Ch. 24)

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » . (١١ الحجرات)

It means : "O ye who believe! Let not some men among you laugh at others; it may be that the (latter) are better than the (former); nor let some women laugh at others; it may be that the latter are better than the (former) nor defame nor be sarcastic to each other, nor call each other by (offensive) nicknames; Ill-seeming is a name connoting wickedness, (to be used of one) after he has believed; and those who do not desist are (indeed) doing wrong".

(Verse 11, Ch. 49)

6 — In social life man and woman have the same responsibilities and may thus have the same effect on their community. So, if they form a good group both will receive the mercy of God, and if the group they form is a bad one, both will be censured :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » . (٧١ التوبة)

It means : "The Believers, men and women, are protectors, one of another; they enjoin what is just, and forbid what is evil; They observe regular prayers, practice regular charity, and obey God and and His Apostle. On them will God pour His mercy; for God is Exalted in power, Wise". (Verse 71, Ch. 9)

ويقول : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، إن المنافقين هم الفاسقون » .

(٦٧ التوبة)

It means : "The hypocrites, men and women, (have an understanding) with each other; they enjoin evil,

WOMAN'S POSITION IN ISLAM-III

By :

Dr. Ahmad I. Mohanna

4 — Both man and woman have the right to acquire wealth according to the nature and the capacity given by God to each of them :

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، إن الله كان بكل شيء عليما » . (النساء ٣٢)

It means : "And in no wise covet those things in which God hath bestowed His gifts more freely on some of you than on others ; to men is allotted what they earn ; and to women is allotted what they earn but ask God of His bounty. For God hath full knowledge of all things." (Verse 32, Ch. 4)

5 — Both man and woman have been instructed by the Holy Qur'an to keep their morality healthy. The instructions for both are almost the same :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن ، أو اخوانهن أو بني أخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » . (النور ٣٠ ، ٣١)

It means : "Say to the believing men that they should lower their gaze and guard their modesty ; that will make for greater purity for them ; and God is well acquainted with all that they do." "And say to the believing women that they should lower their gaze and guard their modesty ; that they should not display their beauty and ornaments except what (must ordinarily) appear thereof ; that they should draw their veils over their bossoms and not display their beauty except to their husbands, their fathers, their husband's

of culture and ethics. How great a force it was in oblitrating differences of colour, race and language and even differences of culture and and geographical boundaries. Indeed, it united man with man as such, and the hearts of those in the far east began to beat in unison with the hearts of those in the far west.

Islam proved to be not only the greatest but the only force unifying mankind, because, whereas other religions had succeeded merely in unifying the different elements of a single race, it had actually achieved the unification of many races, and and harmonized the jarring elements of humanity. It was Islam that actually brought about the great miracle of unifying a more disunited people, the ever - bickering tribes, and warring factions of Arabia, within a period of less than 20 years.

Some materialistic and anti-religious elements concoct the following charges against religion : That religion teaches the people to pray for their needs instead of working for them, that it keeps them subject to superstition and that it helps the capitalism which crushing of the advance of the poor. Through these allegations the anti-religious movemewt aims at concluding that religion makes people indolent, and it hinders the advance of sciences.

So far as the religion of Islam is concerned the facts are entirely contrary to these misconceptional allegations. Islam lays down, as one of the fundamental principles of religion that 'man shall have nothing but whât he strives for' (Holy Quran). It does teach man to pray but prayer instead of making him idle is to fit him for a still hard work. By turning to God, the Source of all strength, man will carry on his work and struggle in the face of failure and disappointment.

AS regards the advance of sciences Islam gives an impetus to learning and Science, and demands vigorously for knowledge and research. The Prophet enjoined the acquisition of knowledge upon all Muslims, both males and females. As for the social and economic system of Islam, it is derived from the doctrine of one God and one humanity. This doctrine gives equal social status and privileges to use the material sources of the earth. A person who owns is only a trustee of God's property which has been awarded to him to satisfy his living necessities in conformity with interests of the society where he lives. So the religion of Islam, through its revolutionary principles, actually made a most neglected nation in the world a nation of supreme conquerors in all phases of life.

affect man's life. It deals not only with the ways of devotion, with the forms of worship of God, with the means which make man attain the grace of the All - mighty, but also with the problems of the world around us, in rich detail. It deals with the questions of relations between man and man, his social and political life, institutions of marriage, divorce and inheritance, the division of wealth and the relations of labour and capital, the administration of justice, military oranization, peace and war, national finance debts and contracts, rules of the service of humanity. It lays doun laws for the help of the poor, the orphan and the widow, and lays down hundreds of rules not only for individual progress but also for the advaccment of society as a whole, of the nation and of humanity.

As a matter of fact, all these rules and laws are made effective by faith in God. The question which purturbs every mind to - day is whether a faith in God, or in a religion is necessary to humanity, and whether it is a force in the development of man ? It is through a faith in God that all that is good and noble in man has been inspired. Religion has been the supreme force in the development of mankind to its present condition. The teachings of the great religions change d the whole history of the human race, and raised it from the depths of degradation to moral heights. Civilization, with any pretence to endurance, can rest only on a moral basis, and that true and lofty morals are inspired only by faith in God. The true basis of a human civilization is unification. Then the religion of Islam is undoubtedly the greatest civilizing force the world has ever know or is likely to know.

As the last of the revealed religions and an all - inclusive religion, what is the impact of Islam on the development of mankind. Islam introduced into the world a new idea of the unity of the human race as a whole, not of the unity of this or that nation. This idea welded together nations which had warred with and hated each other since the world began. Fourteen hundred years ago it was Islam that cemented together the warring tribes of Arabian Peninsula, not only that but it eastablished a brotherhood of all nations of the world, even joining together those which had nothing in common except their common humanity.

Islam, also, saved humanity from crushing into an abyss of savagery, and helped human civilization whose very foundations had collapsed, and set about laying new foundation and rearing an entirely new edifice

all nations we will see that whenever it has begun to totter, a new religious impulse has always been at hand to save it from utter destruction.

It is often said that religion is responsible for much of the hatred and bloodshed in the world, but a cursory glance at the history of religion will show this to be a monstrous misconception. In fact love, sympathy and kindness have been the message of every religion. It is not only that every nation has learnt these essential lessons in their true purity through the spirit of selflessness and service which has been inspirsd by the faith in God. It there have beem selfishness, hatred and bloodshed, they have been there in spite of religion, not as a consequence of the message of love which all religions have brought.

The religion of Islam has two emportant significations among the religions of the world. Firstly, the root-meaning of the word 'Islam' is to enter into peace, and a 'Muslim' is one who makes his peace with God and man. The name of this religion, as clearly stated in the holy Qu'ra'n, is 'Islam' and the name given to those who follow that religious system is 'Muslim'. Some western writers call it 'Muhammadanism' after the name of Prophet Muhammad through him the Holy Qur'an was revealed. It was on the analogy of such names as Christianity, Buddhism, Confucianism and the like, but the name Muhammadnism was absolutely unknown to the followers of that religion, and is not to be found either in the Holy Quran or in the Sayings of the prophet. He is himself called a Muslim, as the Quran says : وأنا أول المسلمين It means : "And I am the first of the Muslims".

Secondly, Islam is the last of the great religions which have revolutionized the world and changed the destinies of nations. It is also an all — inclusive religion which contains within itself the essence of all religions which went before it, and it is a fundamental principle of Islam that a Muslim must believe in all the prophets and their messages, who were raised up before Prophet Muhammad. With the advent of Prophet Muhammad religion has received a new significance. The Holy Qur'an brought to mankind a system of life based on the upright nature of man, in which God created him, and on the universal experience of humanity.

The Holy Qur'an deals with a vast variety of subjects which

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

Dhu'l-Qa'dah 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	January 1969

The Role of Religion in the Development of mankind

BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

A superficial glance at the history of human civilization will show that religion has been the supreme force in the moral and intellectual development of mankind. It is through the Divine revelation and the teachings of the prophets that man has been able to conquer his lower nature and to set before himself the noble ideas. There is not a single doctrine of the true religion which is not made the basis of action for the development of man to the highest stage of life. The sphere of the religion is not confined to the spiritual side of man or to the next life; but its primary concern is rather with this life, so that man may attain to the consciousness of a higher existence, through a righteous life here on earth.

As regards the noble sentiments that inspire man to-day, we will find their origin in the teachings and examples of the great prophets and sages. The moral and ethical developments of man, to his present state, are due to religion. Religion has made possible a state of civilization which has again and again saved human society from disruption. It is through the teachings of a prophet of any time or place that man has been able to set before himself the *idea of selflessness and* the service of humanity. If we trace back the history of civilization in

الفهرس

English Section

مطبعة الأزهر

الثمن أربعون مليما

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء العاشر - السنة الأربعون - ذو الحجة سنة ١٣٨٨ هـ - فبراير سنة ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أحب أرض الله إلى الله

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ - على هذه الأرض القاحلة الماحلة وقف إبراهيم عليه السلام ، يناجى ربه بعيدا عن عيني زوجه وولده : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ومضى - عليه السلام - وترك زوجه هاجر وولده إسماعيل بين جبال تطل منها الأهوال ، وفى واد جديب غير ذى زرع ، ولم يعبأ بزوجه وهى تتابعه بالسؤال تلو السؤال : أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء ؟ بل مضى صامتا حتى سألته : آلله أمرك بهذا ... ؟ فقال : نعم . فقالت : إذن لا يضيعنا . . وعادت إلى ولدها . ومضى لسبيله .

٢ - وفى جوار بيت الله أقامت هاجر مع طفلها إسماعيل حتى نفد ما فى الجراب من زاد . وما فى السقاء من ماء ، واشتد بهما الظمأ حتى كاد يقتلهما ، ورأت الأم ولدها يتلوى ، ويضرب الأرض بيديه ورجليه من شدة الظمأ ، فكرهت أن تنظر إليه وهو على هذه الحال ، وأسرعت تسعى بين الصفا والمروة وتصعدهما ، وتمد بصرها فيما حولها عساها تجد من يغيثها بالماء ، وتكرر السعى

بينهما والصعود إليهما سبع مرات دون جدوى ، وعادت بمرارة اليأس وحرارة الأسى لتجد رحمة الله فى انتظارها بالأمل والجذل والأمن والسلام .

٣ — فقد مست بجناحها مكان الطفل ، فتفجر من ماء غزير عذب هو ماء زمزم ، وعلمت هاجر - بما شاء الله - أنه جل شأنه لن يضيعهما ، وأن له بيتا فى هذه الأرض يرفع قواعده إبراهيم وإسماعيل ، ثم حام طائر ظامىء فوق هذا الماء ، فنبه إليه أنظارا كانت غافلة عنه وأقبل الناس عليه ، وأقاموا حوله . وأشاعوا فى جوه الحركة والحياة والأنس .

٤ — وعاد إبراهيم إلى هذه الأرض ليستقبل محنة كبرى يمتحن الله بها إيمانه به وثقته بعدله وفضله ، وأى محنة أكبر من أن يذبح الوالد الشيخ ولده بيديه . وهو فلذة كبده وقرة عينيه ، وأمله الموصول . ومستقبله المأمول وحياته المتجددة ، ولكن الإيمان عند إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . كان مثالا لكمال الإيمان ، فى نفس المؤمن وكان إسلامهما صورة كبيرة لتمام الإسلام فى نفس المسلم فقد كان منهما ما يحكيه الله حيث يقول : « فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، ومضى الوالد بولده فوق هذه الأرض إلى « منى » ليقدما أعز ما يملكان قربانا لله ، ولكن رحمة الله فى هذه المحنة كانت الفجر الذى ينتظرهما « فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » ولم يكن هذا الفداء هو كل الجزاء ، فقد رزقه الله ولدا آخر ليكون مع إسماعيل نبيا آخر ، ولتكون منه ومنهما شجرة النبوة التى امتدت ظلالها فى كل اتجاه .

٥ — ثم عاد إبراهيم مرة أخرى إلى هذه الأرض ، ليرفع مع ولده إسماعيل قواعد البيت العتيق ، فكانا يقولان وهما يبنيان : « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك . وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » واستجاب الله دعاءهما . فجعل منهما أمة مسلمة له ، وبعث فى هذه الأمة رسولا منها ، فكان عمله فيها كما يقول الله « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » .

وكان لها وللناس جميعا كما يقول الله فيه :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

وكما يقول جل شأنه : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » .

فى هذه الأرض ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذه الأرض وقف عليه الصلاة والسلام يودعها . ويلقى فى مسمعها هذه الكلمات : والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله . ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت ...

وحول هذه الأرض مسجد النبى فى المدينة والمسجد الأقصى فى القدس ، والأزهر الشريف فى القاهرة ، والجامع الأموى فى دمشق ، وكل ما على الأرض من مساجد ترتفع مآذنها فى السماء يربطها بالمسجد الحرام فى هذه الأرض أنه قبلتها وقبلة المسلمين فيها .

يا أحب أرض الله إلى الله وإلى رسول الله إنى أراك بقلبى فى كل صلاة ، وأتنسم روائح الجنة فى شعابك وهضابك وترابك ، وأتصور الحجيج وهم يطوفون حول البيت ويقفون فى عرفات ، ويرفعون أصواتهم بالذكر والتلبية والصلاة على النبى فى أرجائك الرحبة وجوك النقى ، فأشعر بالشوق يثب بقلبى إليك وأذكر قول الله جل شأنه « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » فأدعوا الله أن يبدل خوف المسلمين أمنا ، وضعفهم قوة ، وفقرهم غنى ، فإنهم الذين يقول الله فيهم « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

عبد الرحيم فوده

يقول الله تعالى :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا »

(الفتح - : الآية ٢٧)

الأزهر

مجمع البحوث الإسلامية

مكتب الأمين العام

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فودة

مدير مجلة الأزهر، ورئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   وبعد :

فلقد سرنى ما لمسته فى « مجلة الأزهر » من تطور ملحوظ فى اختيار الموضوعات وغزارة المادة وحسن الإعداد، والتبويب، بحيث أصبح قارئها يحس طابع الأزهر فى محتواها، واختيار العالم لموضوعاتها، ولمسات الفن الصحفى فى إعدادها، والتعاون الصادق بين العاملين فيها.

ولقد تابعت هذا التطور حتى رأيته بارزاً، واضحاً فى عددى : رمضان، وشوال، موضوعا، وفكرة وتنسيقا. وإنى إذ أحمد الله أن وفق لك هذا الجهد المبارك المنبعث عن كفاءة واهتمام، ليطيب لى أن اشكر لك ولزملائك جميعا ما تبذلونه من جهد فى سبيل النهوض بهذه الرسالة الإسلامية الإعلامية الأزهرية.

وفقكم الله وسدد خطاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الأمين العام

لمجمع البحوث الإسلامية

دكتور محمود حب الله

١٣ من شوال سنة ١٣٨٨ هـ

٢ من يناير سنة ١٩٦٩ م

الاتباع والابتداع أو القديم والجديد

للدكتور عفيفي عبد الفتاح

كثيراً ما تلوك الألسنة حديث الاتباع والابتداع ، وهو حديث القديم والجديد فى شتى مجالاته ومختلف منازعه .

ففى المجال الشعبى : نرى جمهوراً من الناس يستروح لحياة الآباء والجدود ويقرظ أنماط وجودهم وأساليب معيشتهم .

وفى المجال الاجتماعى : نرى من يسجل الفضل كل الفضل للقدامى ، ويقف عندهم بشعور الإعجاب . فما ترك الأوائل كلمة لقائل ولا غادر الشعراء من متردم .

وفى المجال الدينى : نسمع أن الخير فى اتباع من سلف ، وأن كل بدعة ضلالة .

وفى ناحية الأخلاق : يقول الشاعر القديم :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وقد كان العصر الذهبى عند شيخ الفلاسفة أفلاطون ، هو عصر الذاهبين الأولين من الشعراء والخياليين، أمثال هزيود وهوميروس

وليس من شك فى أن هؤلاء يعبرون بإخلاص وصدق عن مشاعرهم ، ولكن لا شك أيضا فى أن هذه المشاعر والنزعات أصداء عن شىء كامن فى أعماق النفس البشرية سمه إن شئت شوقا ونزوعا للماضى الحى وتطلعا وحنينا إليه ، حتى كأن لهذا الماضى قيثارة تأنس النفس لنغمها وتطرب لأصواتها .

فمن الذى لا يهتز حين يسمع قصص الأوائل؟ ومن الذى لا تثيره كلمة « أيام زمان » ؟ ومن الذى لا ينفعل برموز الحياة التى ورثنا أدبها ، فى أطلالها وأكواخها وغزلانها ووحوشها ونسائها وهوادجها ؟ ومن الذى لا يهتز بذكر الأبطال السابقين ويلذ له التغنى بذكرهم والإشادة بأمجادهم ؟

وتلك ظاهرة نفسية ليست فى طبيعتها سوى خدعة معسولة ، وعلالة تتوارى بها النفس من شبح الحاضر وأعبائه إلى حظيرة التاريخ تقف عند طلوله ، لتداعب أخيلته وتغط فى أحلامه . ثم هى فى واقعها مظهر ركود وجمود ، تعقل الحياة والحركة معا ، ما لم تتخذ النفس منها إثارة لهما وحافزاً عليهما . فالحياة أصالة وابتداع لا استكانة واتباع .

إنها حركة دائبة لا توجد فى مسيرتها هدأة ولا بين أجزائها قطيعة ، وأحداث الوجود

كمقدمات ونتائج ، على أن ينتظم قياسها المقدمات الخلاقة ، أو كما يقول المناطقة : التأليفية لا التحليلية ، وعلى أن نفرضها فكر مبدع وحر حتى لا نفهم من المتابعة المطاوعة ولا من الإلزام محض الالتزام .

وكذلك كل شيء يتغير إلا قانون التغير ، وهو قانون التجديد لا التقليد ، والابتكار لا المحاكاة ولا التكرار ، وقصارى ما تفعل غريزة المحاكاة أن تمثل من أعمال الآخرين ما يمثل الرسام من مشاهد الطبيعة ، إذ يضفى عليها من أحاسيسه وخصائص ذاتيته ما به يكون التمثيل خلقا والفعل اختراعا .

ثم هو قانون الحياة الفكرية فى مشاعبها ومذاهبها ، فليس هناك ثابت ولا مستقر . لقد كره الفلاسفة الحقائق الجامدة أو الأصنام منذ (فرانسوا بيكون) وكرهوا الكينونات الصماء منذ (ديكارت) وأخضعوا المثل للتغيير طالما كانوا هم الذين يصطنعونها بأفكارهم وفى أفكارهم .

وليست هناك عقائد جامدة نستمدها بطبعها وطابعها من غيرنا ، إنا نشارك الغير فى مضمونها العام ومفهومها المشترك ، ولن تكون بذلك عقائدنا ولكن بجديد من أنفسنا وذاتيتنا ، وتختلف العقائد اختلافا بعيدا فى هذا بصورها وتصورها ، وتبعا لاختلاف مصادرها ومقوماتها .

فمن الناس من يعتقد بوحى الفطرة ، وهى أثر الشعور المباشر لمظاهر الطبيعة بما تحوى من جمال وجلال ، ولهذا الأثر قوة تستبد بالوجدان الباطنى مع معونة بعض الدوافع الطبيعية فى الإنسان ، كغريزة الخوف ولعل هذا اللون من العقيدة هو الوجود الأول لها ، وقد ينشأ الاعتقاد بتأثير البيئة ، فشيوع التقاليد الدينية مع الميل الفطرى لمتابعة الإلف ومطاوعة العرف عامل حاسم فى خلق العقيدة فى نفوس الأفراد ، وقد يكون هذا اللون هو الأغلب والأعم فى المجتمعات ، وقد تكون العقيدة أثراً لنفوذ المؤسسات الدينية ودعاية الشخصيات المحترفة ذات المقدرة على الاستهواء ، وذلك ما تعمله الجمعيات التبشيرية فى الأوساط الدنيا من مجاهل العالم .

ويرى العلماء أن العقيدة لا تستقيم عرجاء ولا تصح عمياء ، فهم يشدونها بالمنطق ، ويخلقونها بالبرهنة ، وذلك منهج الخاصة والفلاسفة .

هذه ألوان من العقائد تختلف مع الناس فى نشأتهم وأوضاعهم ومداركهم ، حتى ليقول (جان جاك روسو) : « كنت أعتقد فى طفولتى بسلطة الكنيسة : (كأثر للتربية فى عصره) ، وفى مراهقتى بعاطفتى (وهى أثر الشعور الاجتماعى) وفى عهد نضوجى

بالبرهان وأعتقد الآن لأنى رأيتنى دائما أعتقد » .

وليس لهذه الطرائق حصر ، فقد تنشأ العقيدة من حدس الميتافيزيقى أو إلهام المتروض أو تجربة العالم أو ذوق الفنان ، وليس بينها حدود فواصل .

فكثيراً ما تحدث من طرائق عدة تتآخذ وتتفاعل فى نفس المؤمن وليست كلها سواء فى التأثير والفعالية ، فأسلمها ما تكون وليدة الفطرة السليمة وأقواها ما تكون نتيجة النظر والبرهنة الصحيحة ، ولذا كانا معا أسلوب القرآن ومهجه فى الدعوة إلى الإيمان .

وإذا علمنا أن حكم الفطرة قائم على رعاية السببية فى معناها البسيط ، وأن البرهنة قائمة عليها فى معناها العلمى نعلم أن الخلاف بينهما خلاف فى الدرجة لا فى النوع ، وأن العقل ركيزة العقيدة ، فهو سندها فى مظهرها الأقوى ، وله تأثير ما فى إثباتها بالطرائق الأخرى ، ونعلم أخيراً أن الحق فى أن نعلم لنعتقد كما يقول مفكرو الإسلام ، لا أن نعتقد لنعلم كما يقول بعض المتصوفة من المسلمين والمسيحيين .

ونرى من هذا العرض أن ليس من الصواب فهم العقائد ، كما يفهمها الكسالى واعتبارها أحكاما جامدة ومسلمات نتقبلها من أسلافنا اتباعا وتقليدا ، فالعقيدة عقد قلبى يصطبغ بأمداد الحياة النفسية من عواطف ورغبات ومن خصائص الشخصية ، وهى بهذا تكون عقيدتى لا عقيدة غيرى وتشكل إيمانى لا إيمان الغير .

عقائدنا إذن أفعالنا الخاصة وشطر من ذاتيتنا نصطنعها ولا نستعيرها من سلف أو خلف ، وليس فى هذا القول غض من شأن الأوائل ، فقد كانوا أئمة وقادة لأنهم كانوا مجددين لا مقلدين ومبدعين لامتبعين ، وكانوا بذلك عمد النهضات .

ولقد قامت النهضات فى مجرى التاريخ بالثورة ضد التقليد والدعوة إلى الأصالة والتجـديد .

بدأت النهضة الحديثة بثورة أنصار المذهب الإنسانى الغاضبين على تقليدية المعارف فى العصور الوسطى وعلى الفلسفات الجدلية الفاشـلة .

وبثورة التجديد من دعاة البروستانتيسم ضد جمود الأورثوذكسية وبثورة الأحرار المتفائلين ضد المتزمتين المتشائمين من أنصار الكنيسة .

وفى الإسلام بثورة الفكر الاجتماعى ضد الذين يعزلون الدين عن الدنيا ، ويقيمون هوة ساحقة بينهما .

وبالثورة التشريعية التى استمدت من كتاب الله وهدى الرسول جماع القوانين الإنسانية فى التعامل والسلوك والآداب .

وكان المسلمون بذلك مثلا فى الجدة والأصالات .

وقد نعى الإسلام من يومه الأول على المشركين اتباعهم الآباء دون سند من النظر وسخر بمذهبهم فى أخذهم بعاداتهم ، ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون، وكان فى روحه ومنطقه ثورة على التبعية وانطلاقة إلى الحرية ، حرية الفكر والبناء .

وإن القرآن حين دعا الناس إلى التفكير فى الأرض وفى السماء والعظة بتعاقب الليل والنهار واختلاف الألوان والألسنة، قد وجه العقل البشرى لمناحى البحث والمعرفة التى ينطوى الكون عليها ، حتى لا نجد علما من العلوم ولا فنا من الفنون ولا صناعة من الصناعات التى ارتكزت عليها الحضارة ، إلا قد شد إليها الأنظار وجذب حولها الأفكار، فكان العلماء ، وكانوا العظماء . وكانت عظمتهم فى العمل الجديد والبناء والتشييد ، لخلق مدنية الإسلام أو مدنية الإنسانية .

وقد حمد الله للعاملين جهدهم وجعل منه وحده ميزان تفاضلهم ودرجاتهم لا فرق بين سابقهم ولاحقهم ، سلفهم وخلفهم ، وجعل آية ذلك فى مدى شمول جهادهم لخير البشرية وسعادة بنى الإنسان .

وإن من المحدثين والمعاصرين ، علماء وعاملين من يستأثر عند الله بفضل جم ، جزاء وفاقا لما عمل وأحسن ، وما كان الله ليضيع أجر من أحسن عملا .

د . عفيفى عبد الفتاح

يقول الله تعالى :

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير » (لقمان . الآية : ٢١)

الحج عبادة قديمة

للأستاذ أحمد حنفى نصار القوصى

الحج فى أصل اللغة : القصد ، وقد فرض الله على الناس الحج بمعنى القصد إلى بيت الله الحرام للنسك من عهد إبراهيم ، عليه السلام قال تعالى : « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » ومعنى هذا أن الله تعالى قد هيأ لهما المكان ، ودلهما عليه ، وحدده لهما ، قال تعالى : « وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل والمراد برفعهما القواعد بناؤهما جدارنه . لأن كل حجر فى البناء هو قاعدة للحجر الذى فوقه فالقرآن صريح الدلالة على أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان أقاما بناء هذا البيت الحرام ، ورفعا قواعده ابتداء .

وكان العرب من ذلك الوقت يحجون عملا بدين إبراهيم عليه السلام ، إلا أنهم بمرور الزمن ، وتعاقب الأجيال غيروا وبدلوا ، فخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا حتى أسلمهم الخلط إلى الوثنية والشرك ، وشوهوا عمل الخليل بتقاليد باطلة ابتدعوها ، وعادات عقوته ، وأفعال مقبوحة توارثوها .

وقد قال الله تعالى : « الحج أشهر معلومات » ولم يسم أشهر الحج ، لأنها كانت معلومة عندهم روى البخارى عن عاصم ، قال : قلت لأنس ابن مالك ، رضى الله عنه : أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة ؟ قال : نعم ، لأنها كانت من شعائر الجاهلية ، حتى أنزل الله : « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر ، فلا جناح عليه أن يطوف بهما » وروى : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بعرفات[1] ، فلما جاء الإسلام ، أمر الله نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، أن يأتى عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها ، فذلك قوله تعالى : « ثم افيضوا من حيث أفاض الناس والإفاضة الرجوع والتفرق .

وكان أهل الجاهلية يتقربون إلى الله فى الطواف بأن يطوف أحدهم ويده مقرونة بيد آخر بسير أو خيط فيسيران فى الطواف مقترنين روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ، مر وهو يطوف بالكعبة بإنسان يربط يده بإنسان آخر ، فقطعه النبى صلى الله عليه وسلم ، بيده وروى البخارى كذلك ، قال : دخل أبو بكر رضى

---

(١) ثبت أن الحمس ــ وهم قريش ومن دان دينها ــ كانوا يأبون الوقوف بعرفات ويقفون بمزدلفة ، ويقولون : لا نترك الحرم ونقف بالحل . (الخطيب)

الله عنه ، على امرأة من أحمس ، يقال لها زينب بنت المهاجر ، فرآها لا تتكلم . فقال : ما لها لا تتكلم ؟ قالوا : حجت مصمتة ، قال لها : تكلمى ، فإن هذا لا يحل . هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت . وكان العرب فى الجاهلية لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، ولكن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أفاض قبل أن تطلع الشمس .

وقد أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه ، فى الحجة التى أمره عليها ، قبل حجة الوداع ، أن يؤذن فى الناس ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . وكان أهل الجاهلية يقصدون بذلك أن يطوفوا كما ولدوا ، عراة بغير الثياب التى أذنبوا فيها . وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد ذلك : حجة الوداع ، وقد طهر الحج من كل ما يشين .

وكانت العرب فى الجاهلية تحرم أربعة أشهر ، لا يحدث فيها قتال ولا إغارة ثلاثة متتابعات وهى : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحدا فردا هو رجب ، ولما كان ذو الحجة شهر الحج حرموه ، وحرموا معه الشهر الذى قبله ، والشهر الذى بعده ، ليتأتى لكل أحد ، أن يقدم إلى مكة ويقفل منها ، وهو آمن . وأما شهر رجب ، فقد سمى رجبا ، لتعظيم العرب له ، وأكبر الظن أن رجبا عد من الأشهر الحرم ، للراحة من القتال والإغارات ، لطول المسافة بين المحرم وذى القعدة .

ولما جاء الإسلام ، وكان الحج معروفا فى الجاهلية ، إذ كان العرب يحجون البيت ويعتمرون ويطوفون ويسعون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار ، أقر تلك الأفعال بعد التعديل ، وأبطل ما عداها مما كان من الشوائب المحدثة ، والأعمال المنكرة ، التى تتصل بالشرك والوثنية ، وزاد على ما أقر ما زاد من العبادات المكملة لمناسك الحج فى الإسلام .

وقد فرض الإسلام الحج ، وأوجب أداءه فى العمر مرة ، على كل فرد ، ذكر وأنثى ، قال تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

والمتأمل فى أحكام الحج يرى أن الشارع الحكيم أدارها حول إثارة الوجدان إلى توقير الله ، جل جلاله ، سرا وجهرا ، وتعظيم شعائره ، وحرمات بيته الحرام ، حتى ينأى المسلم بنفسه عن مجرد الخواطر الرديئة ، ويبعد عما يخدش أدب العبودية ، ويجافى الاحتشام ، وبترك أسباب الزينة والتجمل

وفى أعمال الحج كثير من التذلل للمعبود، وإبداء مظاهر الشعث والتقشف، فالحاج يكثر من التلبية والتضرع لربه والاستغفار من زلاته والاستقالة من عثراته، ويقف موقف الملازم لباب مولاه، يسأل رحمته وإحسانه، ويلوذ بجنابه وحماه. كما أن فى الحج إظهار الحق الشكر لله، على نعمتى الصحة والمال، وهما الدعامتان اللتان تقوم عليهما عبادة الحج.

وفى مناسك الحج معان روحية رفيعة، فغسل الإحرام تطهير، ولباس الإحرام غير المخيط مذكر بالموت، ورمز لتحرير الإنسان عن الدنيا ومغرياتها، ومساواة واضحة بين الناس، والطواف سبع مرات حول الكعبة المشرفة، إشعار بالتعلق بالذات العلية، والسعى بين الصفا والمروة، تردد فى ساحة الله الكريم أملا فى القبول والمغفرة، والوقوف بعرفة حيث تتوحد جميع طبقات المسلمين ويجتمع مئات الألوف للتلبية والضراعة إلى الله خاشعين لله مستحضرين لعظمته وسلطانه وهم على سواء لا فوارق بينهم ولا حدود، ورمى الجمار معاهدة العبد لخالقه على الطاعة ومخالفة النفس الأمارة بالسوء ونبذ الشيطان وطرح مغرياته ومقاومة وساوسه

وفى الحج منافع كثيرة تعود على المسلمين أفراداً وجماعات، منها: الحصول على ثواب الله بالطاعة وتحمل المشاق ابتغاء مرضاته، وبإنفاق المال على المقيمين للعبادة حول بيته، وبذبح الهدايا تقرباً إليه، وشكراً له على نعمه الجزيلة، ومنها تمكين جماعة المسلمين كل عام على اختلاف أجناسهم وأقطارهم، من التشاور فيما يصلح شأنهم، ويحكم الروابط بينهم، ويقوى دولتهم، ويرفع بين أمم العالم منزلتهم.

والحج المبرور يمحو الذنوب، روى البخارى ومسلم، عن أبى هريرة رضى الله عنهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». أى خالياً من الذنوب مغفوراً له وروى ابن جريج عن جابر، رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال «هذا البيت دعامة الإسلام، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر، كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده رده بأجر وغنيمة». ذلك بأن الحج من أفضل الأعمال، بعد الإيمان بالله ورسوله، والجهاد فى سبيله. عن أبى هريرة، رضى الله عنه: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «ثم جهاد فى سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «ثم حج مبرور». وقال عليه السلام فى حديث متفق عليه: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

أحمد حنفى نصار القوصى

تحقيقات في المعجزة والكرامة والسحر

للأستاذ مصطفى الطير

— ٢ —

المعجـــزة

المعجزات الكونية :

فاقت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم الكونية جميع معجزات المرسلين ، وسأروى بعضها فيما يلي وأقارن بينها وبين غيرها من معجزات الرســل لتعرف علوها عنها وتفوقها عليها .

١ — من معجزاته انشقاق القمر ، قال تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » ، وروى البخارى عن أنس : (أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين) .

ولما قال قائلهم بعد انشقاقه « هذا سحر مستمر » قال بعضهم (انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم) قال الراوى (فجاء السفار فأخبروهم بذلك) رواه أبو داود وغيره ، قال ابن عبد البر قد روى حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ، ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا وتأيد بالآية الكريمة ، وقال ابن السبكى : الصحيح أن انشقاق القمر متواتر مروى فى الصحيحين وغيرهما .

وأقول : إن ذلك أعظم من معجزة العصا وانشقاق البحر وتفجير العيون بها لموسى ، ومن سائر آياته كما هو أعظم من معجزات عيسى ، فإن انشقاق القمر كان من شأنه أن يحدث هلاكا لمن فى الأرض ، وفسادا للكواكب المرتبطة به جاذبيا ، ولكن الله أمسك كل شىء بقدرته حتى تمت المعجزة ، ولم ينشأ عنها أضرار « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » وكيف يمكن أن يقارن شق بحر أو تفجير عيون أو ابتلاع سحر بعصا موسى ، أو يقارن إحياء عيسى لميت أو إبراء أكمه أو أبرص بهذا الحدث الكونى العظيم ذى الخطورة البالغة ، ومن معجزاته تسبيح الطعام ، روى البخارى عن ابن مسعود

قال : (كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام) .

ومنها حنين جذع النخلة إليه ، فقد كان مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسقوفا على جذوع نخل ، وكان إذا خطب يستند إلى جذع منها ، فلما كثر الناس صنع له منبر من ثلاث درجات ليسمعهم خطبته ، فلما قعد خار الجذع حتى تصدع وانشق ، وكان لخواره صوت كصوت الثور حتى ارتج المسجد لجؤاره ، فنزل إليه النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فسكت ، وكان خواره حزنا على فراق الرسول له .

وقد روى حديث جؤار الجذع بضعة عشر صحابيا فهو من المتواتر ، والإمام الشافعى يقول فى شأن هذه المعجزة : إنها أعظم من إحياء عيسى للموتى .

ومن معجزاته نبع الماء من بين أصابعه ، وهو مروى بصحاح الأحاديث ، وقد تعددت حوادثه وطرقه وسنقتصر على بعض رواياته لضيق المقام .

روى الصحيحان وغيرهما عن جابر قال : «عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها ، وجهش الناس نحوه فقالوا : يارسول الله ما عندنا ماء نتوضأ به ولا نشربه إلا ما بين يديك ، فوضع يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا ، قال راويه : قلت كم كنتم ؟ قال جابر : « لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » .

قال المزنى : نبع الماء من بين أصابعه أبلغ فى المعجزة من نبع الماء من الحجر لموسى ، لأن خروج الماء من الحجارة معهود ، بخلاف خروجه من بين اللحم والدم .

ومن معجزاته تكثير الطعام ، روى مسلم عن أبى هريرة قال : (لما كنا فى غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقال عمر : يارسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله عليها بالبركة فقال: نعم ، فدعا بنطع فبسط ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجىء بكف ذرة ، ويجىء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شىء يسير ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ، ثم قال : خذوا فى أوعيتكم فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملئوه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله . وأنى رسول الله . لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة) وله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة صحيحة فى إبراء ذوى العاهات وغير ذلك وحسبنا ما ذكرنا .

(الكرامة)

الكرامة أمر خارق للعادة يجريه الله على يد عبد صالح ، ولا يقترن بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة لها ، كما حدث لمريم إذ كانت تأتيها فى مصلاها فاكهة الصيف شتاء وبالعكس ، وكانت تهز النخلة بعد ولادتها لعيسى فتسقط عليها رطبا جنيا ، ولم يكن عليها تمر قبل ذلك وكما حدث الكثير من صلحاء المسلمين .

أخرج البيهقى والحاكم وصححه عن أنس قال: (كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة حتى ذهب من الليل ساعة. وهى ليلة شديدة الظلمة ، ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا ، فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه ، فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ هديه) وروى البخارى نحوه وأخرج البخارى وغيره عن حمزة الأسلمى قال : (كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء ، فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهورهم وما هلك منهم ، وإن أصابعى لتنير) .

وروى الإمام أحمد فى مسنده أن الناس قحطوا على عهد معاوية فخرج يستسقى بهم فلما وصلوا إلى المصلى قال معاوية لأبى مسلم الخولانى : قد ترى ما حل بالناس . فادع الله تعالى . قال : أفعل ، على بعضب مشرط ، فقام وعليه برنس فكشف البرنس عن رأسه ، ثم رفع يده ، ثم قال اللهم إنا منك نستمطر ، وقد جئت إليك بذنوبى فلا تخيبنى. فما انصرفوا حتى سقوا ، فقال أبو مسلم : اللهم إن معاوية أقامنى مقام سمعة ، فإن كان عندك لى خير فاقبضنى إليك ، وكان ذلك يوم الخميس ، فمات يوم الخميس المقبل وأبو مسلم هذا من كبار التابعين ، وحسبنا فى موضوع الكرامات ما ذكرنا . واعلم أن بعض الخوارق قد تظهر على أيدى بعض العوام ممن لا يعرف لهم صلاح فهذا لا يسمى كرامة بل معونة من الله ، ولا يسمى صاحبها وليا ، لأن الله يتولى الصالحين

(السحر)

السحر فى اللغة إظهار ما يدق ويخفى ، واصطلاحا أمر غريب عن مألوف الناس يشبه خوارق العادات وليس منها ، إذ يحدث وفقا لقواعد وعبارات يمكن تعلمها ، وبهذا فارق المعجزة التى يأتى بها الأنبياء والكرامات التى يأتى بها الأولياء دون معاناة لأسباب تستتبعها ، وإنما يمنحها الله لهم لتأييد الأنبياء وإكرام الأولياء .

والسحرة يزاولون صناعتهم بالتقرب إلى

الشياطين بأنواع القبائح كالرقى التى فيها ألفاظ الشرك ومدح الشيطان، وكعبادة الكواكب وارتكاب الجنايات وألوان الفسوق التى تبعدهم عن الحق تبارك وتعالى.

فلا بد من التناسب بين الساحر وبين الشيطان حتى يتم التعاون بينهما، فكما أن الملائكة لا تعاون إلا صالحى المؤمنين، فكذلك الشياطين لا تعاون سوى الأشرار، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الأنعام «ويوم يحشرهم يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس» أى استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم «وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض» أى انتفع الإنس بالجن بأن أخذوا عنهم السحر والكهانة والأكاذيب، واستمتع الجن بالإنس بطاعتهم وسلوك سبيلهم.

(اليهود سحـــرة)

كان بعض اليهود يمارسون السحر ويؤثرونه على التوراة ويجاهرون بذلك، وفى ذلك يقول الله تعالى «نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم» فالمراد من كتاب الله التوراة على الأرجح «واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان» أى اتبع اليهود السحر الذى تتلوه الشياطين على عهد ملك سليمان أو فى شأن ملكه. فقد كان الشياطين يلقون السحر إلى كهنتهم فيدونونه ويعلمونه الناس، وفشا ذلك فى عهد سليمان حتى قيل: إنهم يعلمون الغيب، وكانوا يقولون هذا علم سليمان، وما تم له ملكه إلا بهذا العلم الذى سخر به الإنس والجن والطير والريح التى تجرى بأمره.

ولقد كذبهم الله تعالى فقال «وما كفر سليمان» باستعماله للسحر وقيام ملكه عليه فإنه من أنبياء الله ورسله. وقد آتاه هذه النعم فى ضمن ملكه العظيم استجابة لدعوته عليه الصلاة والسلام فقد قال: «رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب» فاستجاب الله دعاءه، وفى ذلك يقول الله تعالى: «فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب».

أيها القارىء الكريم:

هذا مقالنا الأول فى الموضوع، وسنتبعه مقالا آخر نتحدث فيه عن سحر (هاروت وماروت) ومكانتهما والنبى الموجود فى عصرهما وآراء العلماء فى أن السحر حقيقة أو أنه خيال وأنواع السحر، ورأى الدين فى تعلمه وممارسته، وصوراً عجيبة من السحر قديما وحديثا وغير ذلك مما يفتح به الله تعالى، والله يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

تأمـــلات

للأستاذ محمود إبراهيم طـــيره

حياتك كلها سعى وركض — وسوق قائم ، وغداً يفض
فإما رابح . فتطيب نفساً — وإما خاسر ، فالهم فيض !

* * *

وأمر الناس فى الدنيا عجيب — شكاة من حياتهم ، ورفض !
كأن أمورها وكلت إليهم — ليمضوها كما شاءوا ، ويقضوا !
معاذ الله ، فالأقدار تجرى — بما قد كان ، والأقدار فرض
فما رد القضاء بمستطاع — وما يبرم ، فما للأمر نقض !
وما أمر الحياة يسير فوضى — وناموس الورى بسط وقبض
ودنيا الناس — مهما جد سعى — هى الدنيا : سماوات وأرض !!

* * *

وأرض الله واسعة ولكن — لما طول يحددها . وعرض
وآمال العباد بلا حدود — بل الأطماع ، مضجعنا تقض
فضاق الكون بالأطماع ذرعاً — وبات على نواجذه يعض !
وكم لمطامع الناس اصطدام — تحركه عداوات ، وبغض
ومن شرر الصدام ضرام حرب — وفى أهوالها للناس خوض
دمار حف بالمحنات تترى — فطرفك عن مشاهده تغض !
مآس هذه الدنيا ، وظلم — وكم بضميرها ألم ممض !!

* * *

ضيوف كلنا فيها ، سنمضى — فنحن من السما للأرض قرض !
ورد الدين محتوم ، فكائن — رأينا الحى ثوب العيش ينضو
وليد مقبل ، وأبوه ماض — ونبض ممسك ، ليدق نبض !
وما نال الخلود بها عظيم — وإن طال المدى ، للعين غمض !
شموع نحن فى الدنيا ، ولكن — ستطفأ كلهن ، وليس بعض !!

نفحات القرآن

خصوصيات

يكرم الله بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » آية ٦ — أحزاب

١ — كانت رعاية الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وارفة الظلال فى كل أحيانه . .

فلم يكن الرسول متروكا لنفسه أبدا : لا فى رخاء ولا فى شدة .

بل كانت عصمة الله له تصونه من كل مساس بدينه - وتبعد عنه كل تدبير للفتك به من جانب أعدائه : إلا ما يكون من بعض إساءات تلاحقه أحيانا . .

وفى تعرضه لها ترويض لنفسه على مصابرة أعدائه . وامتحان له ، وللمؤمنين معه فى سبيل الله ليكون لهم بمقدار ما أصابهم فى سبيل الله من سوء .

وكثيرا ما كان الأمر الكريه سببا يكشف الله به عن محبته لنبيه ، وتثبيته لقلبه ، ويسر به نفوس المؤمنين . ويغيظ به المنافقين ، والكافرين .

٢ — ومن قبيل ذلك : أن الرسول — صلوات الله عليه - أعلن فى المسلمين - يوما - أن يتهيأ للخروج إلى غزوة تبوك - مكان قرب المدينة -

وكان المسلمون فى أعقاب غزوة الفتح لمكة وما بعد هذه من غزوات أخرى سنة تسع من الهجرة .

بينما كان الحر شديدا ، والحاجة إلى المال متحكمة فيهم .. وهم على أهبة الحصاد للتمر وغيره من ثمار المدينة .

وبسبب ذلك كله ثارت عند بعض القوم خواطر متعددة .

ففريق استجاب ، وتهيأ للخروج مع النبى : مستهينا بالبلاء مهما يكن ، أو تكن ظروفه .

وفريق يعتذر بأسباب صادقة . وآخرون اصطنعوا لأنفسهم أعذارا مكذوبة ، كقولهم إنا سنستأذن آباءنا ، وأمهاتنا . أو قولهم : إن بيوتنا عورة مكشوفة لمن يهاجمها فى غيبتنا ... الخ .

وفى العادة : أن القائد يسره ألا يتخلف عنه أحد . . وخاصة إذا كان العدو حاشدا جموعه ، كما علم النبى عن أعدائه المقبلين على لقائه عند تبوك .

٣ — ومع رغبته - صلى الله عليه وسلم - فى تجييش أكبر جيش يستطيعه ، فقد تقبل الاعتذار من المعتذرين جميعا : دون تفريق بين من عرفوا بالإيمان ، والصدق وبين من يقستر من عهد فيهم النفاق .

ولعل هذه رحمة كانت تغلب على النبى فى مناسبات كهذه . أو لعله كان اجتهادا منه يرجع به أن من ينتمى إلى الإسلام - ولو ظاهرا - فشأنه ألا يجاهر بالاعتذار المكذوب .

وقد كان هذا الموقف - كما يقول القائلون من أهل العلم - سببا فى نزول الآية التى معنا « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » .

فإنها آية ترفع من مقام النبى - محمد - فوق كل مقام بين الناس ، وتثبت له خصوصية لم تعهد لأى رسول . وهى خصوصية الأولوية بالمؤمنين من أنفسهم .

* * *

٤ — ومعنى الأولوية ، الأحقية . وهى على وجهين :

أحدهما : من جانب الناس . . فالنبى يستحق منهم المحبة لشخصه ، والتعلق به أكثر مما يحبون أنفسهم ، ويتعلقون بها فيتمنون له من الخير أكثر مما يتمنون لأنفسهم . وذلك لأن النبى بعث لهدايتهم ، فهو يبلغهم ، ويرشدهم ، ويجنبهم المكاره كلها ولكن أنفسهم الأمارة بالسوء تجنح بهم إلى المفاسد ، وتدفع بهم فى أحضان الشيطان إلى الملذات المحرمة ، وتهوى بهم إلى المساقط المردية فى الهلاك : دينا ودنيا .

ومن هذا التباين بين مسلك الرشد فى متابعة النبى ومسلك الضلال فى متابعة النفس يكون مستحقا من الناس أن يفضلوه على أنفسهم بمقدار ما عرفوا من الخير فيه لهم وما عرفوا من الشر فى متابعة الأنفس

وذلك هو منطق العقل ، ووحى الفطرة عند من يحسنون تقدير الأمور ، ويضعون الحق فى نصابه .

ولعل هذه الأولوية المستحقة للرسول عند الناس تكون ملحظا واضحا فى كثير من الآيات .

فإن الله يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » فالأسوة الحسنة بالرسول تبعد بنا كل البعد عن متابعة النفس فيما تتهافت على فعله .

وكذلك قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .
سورة النساء - آية ٦٥ .

فالله تعالى يخاطب رسوله ويقسم بذاته على أن الإيمان لا يتحقق عند الناس إلا إذا اطمأنوا إليك . واحتكموا لديك فيما يكون بينهم من خلاف ... ثم لا يخامرهم شك فى عدالتك ، ويسلموا عن طيب خاطر بهذا القضاء ، وأنه على منهج الوحى الذى يوافيك من عند الله ـ سبحانه ـ .

فهذا التأييد الذى يتمثل من جانب الله لرسوله فى تلك الآية يعتبر تأكيدا للأولوية التى جعلها الله حقا للرسول على المؤمنين .

وإنما خص المؤمنين بالذكر لأنهم العارفون بقدر النبى ، وهم الآخـــذون بإرشاده ، وهم الحريصون على متابعة ما يعرفونه من شأن الرسول ، ورسالته .

فخطابهم بذلك خطاب تكليف ، وتكريم لهم بجانب تكريم الرســـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وخلاصة هـذا الوجه من معنى الأولوية أنها حق علينا ، ودعم لصلتنا بالرسول ... فإن لم يكن ذلك على وجه الكمال : فإنه يكون ـــ إلى حد ما ـــ تفككا ، وانحلالا ـــ والعياذ بالله .

• • •

أما الوجه الثانى فى معنى الأولوية ـــ فهو أولوية من جانب الرسول نفسه نحو أمته ... على عكس ما كان الوجه الأول .

ومعناها : أن النبى ـ عليه السلام ـ يتولى أمر المؤمنين وهو أحق بتلك الولاية عليهم من سواه ، كما يتولى الأب أبناءه .

وقد وردت أحاديث نبوية تبين لنا معنى هذه الأولوية .

ومنها ـ « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته » .

وقد كان النبى فى أول أمره ممنوعا من الصلاة على الميت الذى يكون مدينا بدين ، وليس له مال » .

وحكمة هذا فيما نفهمه حث الناس على سداد حقوق الغير قبل الوفاة .

فلما فتح الله على المسلمين، وتيسرت الأموال للرسول من الغنائم أو الجزية والصدقات : جعل الله لرسوله الحق فى سداد الديون عن المدين ، وجعل الله ولاية اليتامى بالإنفاق عليهم ، وهذه أحقية تليق بشأن الرسول بين قومه .

وفى هـــذا من الأحاديث قوله كذلك ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا . والآخرة . اقرأوا إن شئتم « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته : من كانوا فإن ترك دينا ، أو ضياعا ـ عيالا ـ فليأتنى فأنا مولاه .

فولاية النبي للمؤمنين على هذا الوجه — معناها : أحقيتهم برعايته لهم - كما هو الأحق بهديهم فى الدين والدنيا ويساعد على هذا قول الله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم . حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » آخر سورة التوبة .

فهذا ثناء على النبي يفيد رعاية النبي لأمته ورحمته بها .

وعلى وجه عام : فالأولوية : بمعنى استحقاقه لمحبة الناس ... أو بمعنى استحقاق الناس لرعايته من الخصوصيات التى جعلها الله تكريما لنبيه بين سائر خلقه ، وخاصة : المؤمنين به .

وفضلا عن هذا فإن نزول هذه الآية بسبب تخلف المتخلفين عنه يوم تبوك يعتبر زجرا لأولئك المتخلفين عنه وإشعارا لهم بأنه عند الله فى أكرم مقام ... فما كان ينبغى أن يبخلوا بأنفسهم عن مؤازرته ... أو يترددوا فى نصرته ، فإنه أحق بهم من أنفسهم وما بعثه الله إلا رحمة لهم ...

وقد أغناه الله فى هذه الحادثة عن لقاء عدوه ... إذا انصرف الكفار قبل أن يواجهوا جيش المسلمين « وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .

وبهذا انتهى أمر تبوك ، وظفر بثوابها من تهيأ لها .. وباء بالخسران من تخاذل فيها من المنافقين .

وكذلك كان تخلف المنافقين سببا - ثانيا - فى فضل الله على رسوله بما أثبت له من تكريم خالد ، وقد بدأه الله فيها بقوله « عفا الله عنك ، لم أذنت لهم . . حتى يتبين لك الذين صدقوا . . وتعلم الكاذبين » آية ٤٣ التوبة

فمطلع العتاب عفو من الله عن رسوله عليه السلام .

وليس العفو عن ذنب اجترحه .. لأنه معصوم عن الذنوب ، وإنما هو تعبير يراد به الإشعار بالمحبة .. كما تقول لولدك حين توجهه : لست غاضبا منك ، ولكن كان الأصوب أن تفعل كذا .. فهو عتاب تربية وتعليم ، مع الإشعار بالمحبة كما سلف .

وبهذا الأسلوب الحكيم الرحيم الذى يناجى الله به رسوله يتضح للناس تكريم الله لرسوله محمد ، إزاء كذب الكاذبين من أهل النفاق ، وزعمهم أن النبي فى حاجة إلى الناس وخاصة أولئك الذين احتالوا بالكذب على رسوله . وظنوا أن تخلفهم عنه سيضعف من شوكته أمام أعدائه ، وسوف لا ينتصر ، إذا حارب من دونهم .

فانظر : إلى التدبير السيء وإلى تخاذل المنافقين فى ساعات الشدائد ، ويكون هذا الشر سببا فى تكريم الله لمحمد أكثر مما كرمه

(البقية على صفحة ٧٩١)

تزييف في تفسير القرآن

للدكتور على العمارى

ترددت طويلا وأنا أمسك القلم لأكتب فى هذا الموضوع لأمرين :

الأول : أن الناقد لا يشعر أنه يعمل عملا جادا مفيدا إلا حين يرى أن العمل الذى يتناوله يحتاج إلى عمق فى التفكير ، وإمعان فى القضية ، وجدية فى الجدل ، أما هذا الكتاب الذى خلصت منه بأنه محاولة جديدة لتحريف القرآن فلا يحتاج من أى قارىء لأكثر من النظرة العابرة لكى يؤمن بما آمنت به .

الثانى : راجعت نفسى كثيرا هل من الخير أن نشير إلى مثل هذه الأعمال التى تنكر ما تعارف عليه الناس ، دون دليل نقلى أو عقلى ، ولا تكترث بشىء من المعانى التى يجلها المسلمون سواء كان ذلك عن جهل أو عن سوء نية ، أو حتى عن حسن نية .

ثم اطمأنت النفس إلى أن الإشارة إلى مثل هذه الأعمال إنما هو واجب دينى بل وواجب وطنى فى موضوعنا هذا الذى نتحدث عنه وأننا لا نفتح أعين الغافلين عن شىء قد يضرهم فى عقائدهم ، وقد ينتشر ما ينبغى أن يظل مستورا عنهم ، فإن أحدا من المسلمين ـ فيما أعتقد ـ لا يؤثر فى عقيدته شيئا أن يقرأ كتابا ليست فيه أية محاولة جديدة معقولة لتغيير أو تفسير قضية اتفق عليها الناس تفسيرا جديدا يستند إلى برهان أو دليل .

وليس من شأنى أن أبحث عن نية المؤلف فهى سر بينه وبين خالقه ، لتكن نيته حسنة أو لتكن سيئة ، أو ليكن هو مجردا من نية خيرة أو سيئة عندما كتب هذا الكتاب فكل ذلك لا يعنى من ينقد كتابا مطبوعا يتداوله الناس .

كما أنه ليس من شأن الناقد أن يبحث الدوافع التى دفعت بهذا المؤلف إلى أن يطبع كتابا تزيد صفحاته على الأربعمائة صفحة ، ثم يقدمه دون مقابل لمن يريد أن يقرأه ، فذلك ـ أيضا ـ مقصد لا يعنينا أن نبحث عنه .

وقد رأيت من الخير أن أغفل اسم الكتاب واسم مؤلفه فالذى يعنى إنما هو مادة الكتاب .

قلت فى عنوان هذا المقال إن تحريفا جديدا ظهر للقرآن الكريم . ولكن ليس هذا

التحريف لآيات القرآن ، فقد عجزت فيما أعتقد الجهات المعادية للإسلام عن ترويج هذا التحريف وإنما هو تحريف للمعانى الواضحة التى تتضمنها آيات القرآن الكريم ، ولو أنك قلت لشخص : ناولنى كتابا . فقال على مسمع ومرأى من الحضور إن فلانا يطلب منى أن ألقى بنفسى من قمة جبل لكان تعجب الناس من هذا الفهم ، بل من هذا الافتراء بالغا أشده ولوقفت أنت مذهولا من قول صاحبك هذا .

وأؤكد أن البعد الذى يظهر لنا بين معنى هذين التعبيرين ليس بأشد من البعد الذى يظهر لنا بين معانى الآيات الكريمة التى تناولها المؤلف ، وتفسيراتها ، وقد يبلغ التحريف فى التفسير أن يكون كالتحريف فى النص .

ولنأخذ لذلك مثلا تفسير المؤلف لقول الله تعالى : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر) . قال : الواو فى قوله تعالى (والفجر) واو عطف ، والفجر معطوف على قوله تعالى فى سورة الحشر : (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) فقوله تعالى : والفجر معطوف على قوله تعالى : (عالم الغيب والشهادة) . والمولى جل وعلا لا يحلف لمخلوقاته التى خلقها . وأنزل القرآن قسما ... قول فصل .

وقد نهى جل وعلا عن الحلف . والحلف لا يصدر إلا من ضعيف لقوى ، ومحال أن يحلف المولى وهو القوى العزيز بالفجر ... لمخلوقاته التى خلقها من العدم ، ولا معنى للحلف بالفجر ، وكان القارىء للقرآن فى أجيال صدر الإسلام يقرأ قوله تعالى : «عالم الغيب والشهادة» . ثم يتلو الآيات التى تسبقها الواو التى بدئت بها السور القصار . ومعنى الغيب ما كان خافيا عن السمع ، وما كان ماضيا . ومعنى الشهادة ما بين أيدى العباد .. الحاضر .. وما ظهر . يعلم سبحانه ما بطن وما ظهر . ومعنى الفجر ... غاشية التحنيط تبدأ فى الفجر التالى للموت .. ومعنى الفجر فجر الدم بتفجر الشرايين ... ومعنى الفجر الأشعة بتفجر الذرة (وليال عشر) وتستمر غاشية التحنيط ليالى عشر (والشفع) ضعف الليالى العشر .. عشرين ليلة (والوتر) مثل الليالى العشر ... عشر ليال .

ولكى يتضح مراد المؤلف من هذا التفسير نكمل الصورة من أقواله أيضا ، فهو يرى أن الفراعنة اهتدوا إلى (الذرة) وبها كانوا يحنطون موتاهم ، قال : (ومدة التحنيط أربعون ليلة يسبقها فجر) .

وتبدأ غاشية التحنيط فى الفجر قبل شروق الشمس ، فيفجر جسم الميت ، تفجر شرايينه وتستخرج أمعاؤه . ودرجة حرارة الأشعة

فى المدة الأولى (الليالى العشر) تكون عالية بقدر ، ثم تخفض إلى درجة حرارة أقل فى فى المدة الثانية (الليالى العشرين) وتخفض إلى هدوء فى المدة الأخيرة (الليالى العشر) ومدة التحنيط أربعون ليلة يسبقها فجر تفجر فيه الشرايين ، وتستخرج الأمعاء ، وتفجر الذرة . قال تعالى فى سورة الفجر : « والفجر وليال عشر والشفع والوتر » .

ومثال آخر - والأمثلة كثيرة جدا من هذا النوع - تفسير المؤلف لقوله تعالى : « وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » . ولكى لا أطيل بنقل كلام المؤلف أعمد إلى التلخيص ، فالمؤلف يرى - أولا - أن هذه السورة لا يصح أن تسمى سورة (البقرة) لأن سور القرآن لا تسمى بأسماء الماشية والمراد بالذبح فى الآية (الصفاء) ويستطرد فيقول : (وقوله تعالى يذكر اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام : (وفديناه بذبح عظيم) . فدى المولى عبده إسماعيل بقربان عظيم ، والقربان العظيم هو القرآن العظيم ، الصفاء العظيم الذى طهر أبناء آدم وأصفاهم وجعلهم على نور الهدى . ومعنى بقرة فى الآية (دجاجة) . فالطائر بقرة لأنه كاشف وخاص ، ويتعدى كل حاجز ، والقربان لله يكون ذا قيمة غالية ، ولهذا ظن بنو إسرائيل أن موسى يستهزىء بهم عندما قال لهم إن المولى يأمركم أن تقدموا قربانا لله دجاجة) .

والحكمة فى أمر الله هذا أن كل واحد من بنى إسرائيل كان يملك عدداً من الطيور ولكنهم جميعا - على حد قول المؤلف - اتحدوا فى صفة البخل ، فعصوا ربهم وسألوا موسى البيان ، فوصفها لهم القرآن بأنها (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) ، يقول المؤلف : (لا فارض) لم ينقطع منها البيض (ولا بكر) ليست فى حداثة النشأة (عوان بين ذلك) فهى وسط بين الصغيرة والمسنة تبيض البيض . قال : وازداد بنو إسرائيل حزنا عندما سمعوا الجواب ، فالدجاجة التى تبيض البيض لها وزن فى نفوسهم ، وهم عصبة البخل .

فطلبوا من موسى بيان لونها فبين لهم القرآن أنها (بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) قال المؤلف (صفراء) صافية البياض ، فلفظ صفراء اسم الطير الذى تسمونه بعد التحريف بالأوز والبط ، فمعنى صفراء تحدث مكاء ... صفيرا ذا صدى . . فهى ذات صوت يصفر فى السمع .

ونلاحظ أن المؤلف لم يجعل الوصف للدجاجة ، بل انتقل إلى (الأوز والبط) ، وكأن الله أراد أن يعسر على بنى إسرائيل فيعد أن امتنعوا عن ذبح دجاجة ،

ثم طلبوا بيان لونها أمروا بذبح طائر أكبر منها .

ثم ماذا ؟ ثم إن بنى إسرائيل طلبوا من موسى أن يدعو الله ليبين لهم (ما هى) فأجابهم الله تعالى بقوله : (قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها) قال المؤلف ـ وزاده الله علما وفهما ـ فى تفسير هذه الآية : (وتلك صفة الغراب) ولا غرابة فى ذلك . فهو طائر (بقرة) وليست من الطيور التى تذالل فى كنف ابن آدم ، فالغراب بقرة ليست بذلول . ومعنى تثير الأرض . معنى الأرض الزينة بمعنى النفس . ومعنى الأرض المرعى بمعنى النفس ، فقد خلق المولى آدم وذريته زينة ومرعى ينبت بالحياة ، ويجتث بالممات ومعنى (ولا تسقى الحرث) لا خير فى الغراب لزرع ابن آدم ، فالغراب لاينفع الحرث . . ومعنى (مسلمة) يحجل إذا سار فهو يمشى سلما بعد سلم . . ومعنى (لا شية فيها) لا ثمرة فيها ولا منفعة ، فلا يؤكل لحمه ولا يشتهى ... فالغراب لا يصلح قربانا .

وهكذا يمضى المؤلف فى تفسير كلمات القرآن وآياته ، وليعذرنى القارىء إذا كنت بعثت فى نفسه الضيق والملل ، فأظننى قد أضحكت سنه ، وشر البلية ما يضحك .

وقد مضى المؤلف من هذا الباب الواسع الذى فتحه فى تفسير القرآن دون أى اعتبار للغة ، أو المنطق ، أو حتى لعقول القارئين إلى إنكار أمور يدين بها كل مسلم ، والأدلة من القرآن والسنة والتاريخ متوافرة على ثبوتها .

فمن ذلك إنكاره إسراء النبى إلى بيت المقدس . فالإسراء عنده كان إلى سدرة المنتهى .

ويفسر آية الإسراء (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا) هكذا : آيات الله هى أرواح القدس معنى (أسرى) أوفى وأنهى . المسجد: قبلة النظر شخوص البصر ، ومعناه المنزل . ومعنى الحرام الحصان ، ومعناه المكنون ، والقرآن هو المسجد . قبلة البصر طاعة لله فى ختام ، ومكة نزل فيها القرآن ختام أرواح القدس ، وختام الرسالات ، فمكة قبلة النظر والمنزل ، ومعنى الحرام الحجاب ، و (المسجد الأقصى) هو سدرة المنتهى الأفق الأعلى ؛ فمعنى الأقصى الآب من فعل أبى ، وكافة الأرواح تعرف سدرة المنتهى بالآب ، والحول هو الخاتم وخاتم أرواح القدس السبعة[1] القرآن ثامن أرواح القدس .

---

(١) الأرواح السبع عند المؤلف هى "سموات السبع ، وهم : جبريل وميكال وإسرافيل وعزرائيل ومناة واللات والعزى قال : وقد رآهم محمد فى سدرة المنتهى ليلة أسرى به .

هذا - والله - كلامه بنصه وفصه، وعينه وأذنه . .

ومن ذلك إنكاره (بيعة الرضوان) ، فمن المعروف فى كتب السير والتاريخ أن المسلمين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حين شاع الخبر بأن أهل مكة قتلوا (عثمان بن عفان) على الحرب والقتال لأهل مكة ، وعلى أن لا يفروا ، وكان ذلك تحت شجرة يقال: إنها كانت شجرة طلح، وقد أخبر الله سبحانه أنه رضى عن المبايعين لرسول الله تحتها فى قوله عز وجل : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريباً) .

ولكن المؤلف يقول : (وما قيل لكم إن بيعة تمت بين الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبين من بايعوه بالإيمان فى ظل شجرة قول يخالف لسان العرب ، فلا يقال : جلست تحت الشجرة ، وإنما يقال جلست فى ظل الشجرة ، فمعنى جلس تحت الشجرة .. جلس قرار الشجرة .. فيختفى عن سطح الأرض . كما وأن المعنى واضح ، فالعهد بالبيعة هو تحت الشجرة .. فالمؤمنون يبايعون القرآن . مهد الكلمة ... أرض فلسطين) ص ٢٦٠ .

ثم فسر الآية الكريمة فزعم أن المراد بالمؤمنين هم أهل جيل الشهر الحرام الرابع (أى أهل عصرنا) حين يبايعون رسالة محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم (تحت الشجرة أرض فلسطين مشهد التبشير بنزول القرآن (فأنزل السكينة عليهم) فأضفى ربهم عليهم طمأنينة الهدى للقرآن (وأثابهم فتحا قريبا) وأثابهم برحمة منه كشفا صادقا لحجة هدى القرآن .

وهكذا يمزق المؤلف النظم الكريم ، ويبعد بمعناه أيما إبعاد عن الدلالة اللغوية للألفاظ .

وله غير هذين إنكارات كثيرة ، رتب عليها تأويلات بعيدة للآيات ، فمن ذلك إنكاره القسم فى القرآن ، ووجود الرق فى الإسلام، وقراءات القرآن ، ووقوع حرب الردة ، وأنه كان للنبى صلى الله عليه وسلم عم يعاديه اسمه أبو لهب ، وأنكر أن الإسلام يجوز تعدد الزوجات ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج بغير خديجة وعائشة ، وأن إدريس عليه السلام كان رسولا مع أن القرآن صريح فى ذلك ، وأنكر وجود أبى هريرة وأبى ذر الغفارى رضى الله عنهما ... وهكذا من غير برهان ولا تعقل .

* * *

وقد بالغ فى إنكاراته حتى أنكر أحكاما شرعية ثابتة بصريح القرآن . وركب فى ذلك الشطط فى تفسير الآيات التى صرحت بهذه الأحكام ، فنى رأيه أن الإسلام لم يبح للرجل

حق طلاق زوجته إلا أمام القاضي . قال : (وما أحل الله لمؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن يطلق زوجته بلسانه) ص٣٢١ وقال في موضع آخر : (والطلاق ليس حلا للزوج بكلمة تخرج من فمه ، فالزواج موثق يقرن بين زوجين فلا تحل عقدته بلسان الزوج ، وإنما يقضى بالطلاق من ولى قضاء أمر المؤمنين) ص ٣١٢ .

وأنكر أن تحل الزوجة لزوجها الأول إذا طلقها فتزوجت غيره وطلقها الأخير ، قال : (ويحل للمطلقين أن يتراجعا في أى وقت حتى تتزوج المطلقة بزوج غير مطلقها ، فإن تزوجت فلا تحل لمطلقها من بعد زوج آخر) ص ٣١٨ ، واعتسف ما شاء له الاعتساف في تأويل قوله تعالى : (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) فقد زعم أن (من بعد) معناه . من بعد زوج آخر لا تحل له ، وقوله تعالى (حتى تنكح زوجا غيره) تحل له أن يراجعها حتى تنكح زوجا غيره فلا تحل له من بعد زواجها بزوج آخر ، واتصل قوله تعالى : حتى تنكح زوجا غيره) في المعنى بقوله تعالى : (فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا . فإن طلقها فلا جناح على لزوجين أن يتراجعا حتى تنكح الزوجة زوجا آخر فلا تحل له من بعد زواجها ص ٣٢٢ .

وكما أنكر أحكاما شرعية ثابتة بكل الأدلة ادعى أن في الإسلام أحكاما أخرى ، ومنها على سبيل المثال بعض الحدود ، ففيما يزعم أن من يحلف بالطلاق صدقا أو كذبا يقام عليه الحد بالجلد ، ويشهر عن فاحشته .. ولا تقبل له شهادة ، ولا يؤخـــذ له رأى في جمع المؤمنين ص ٣١٢

وأن من جهر أمام أبصار المؤمنين ، وادعى أنه أوتى كشف الغيب ، أو أوتى خوارق الأعمال التي سميت بالكرامات مثل هذا الشخص يقام عليه حد الجلد ، فيجلد مائة جلدة ، ويعزل عن جمع المؤمنين ، دون نظر لصدق قوله أو كذبه ص ١٣٨ .

وقال : ولو أن مؤمنا في أجيال صدر الإسلام تجاوز حد أمر المولى في القرآن بقوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وأمر شخصا بدخول دين الإسلام ، أو دعاه للإسلام ، واستظهر من الدعوة خفاء غلبة أو إكراه مثل هذا المؤمن يقام عليه حد الجلد ، لأنه تجاوز حد أمر المولى في القرآن ، فيجلد جهرا أمام أبصار الناس مائة جلدة . ويهجر من المكان الذى جلد فيه . حتى ولو كان حاكما للإمارة ص١٨٦ .

ولا أدرى لمصلحة من يهون المؤلف من بيت المقدس ؟ فهو ينفى أن النبي جاءه ليلة أسرى به ويقول في غير اكتراث أو تعقل:

(ولم يذهب الرسول إلى فلسطين ليلة الإسراء ولم يقابل الأنبياء ، فلا خيال ولا خرافة فى الإسلام . وهذا الجامع الذى أقيم فى فلسطين كان قلعة لجنود الرومان ليلة أن أسرى بالرسول ولما تم الفتح اتخذها المسلمون جامعا ، وصلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا الجامع وقد تم الفتح فى عهد عمر .

والمضللون بعد الجيل الثالث الإسلامى سخروا من المسلمين لجهلهم يذكرون أورشليم بالقدس والجامع الذى أقيم فيها ببيت المقدس ، وسموه المسجد الأقصى) ص ٤٣ .

ولا يشفع له بعد ذلك أن يقول : فإن أوتيتم العلم بأن هذا الجامع ليس هو المسجد الأقصى فلا يضعف حماس القتال فى نفوسكم لتستردوا هذا الجامع ، وأرض فلسطين حتى لا تبوءوا بغضب الله .

فقد وصل بذلك عظيمة أخرى من عظائمه فأنكر أن النبى والمسلمين توجهوا فى صلاتهم فى بدء الإسلام إلى بيت المقدس ، وارتكب فى تفسير الآيات التى صرحت بذلك ما تنفر منه الأذواق السليمة ، وفى إنكاره هذه الشريعة يقول : (وما قاله السفهاء لغوا من أن الرسول والمؤمنين أيام فجر الرسالة اتخذوا قبلة صلاتهم الجامع الذى عرف بعد أن طغى الإفك بالمسجد الأقصى فمنذ أن فرضت الصلاة استقام الرسول والمؤمنون فى صلاتهم على الكعبة قبلة لهم بأمر المولى) .

ويطول بنا القول لو ذهبنا ننقل ما أول به الآيات التى تضمنت هذا التشريع .

وكذلك لا ندرى لمصلحة من ينفى أن أرض فلسطين هى المرادة بقوله تعالى : « إنك بالوادى المقدس طوى » ، فيقول فى تفسير هذه الآية : أرض فلسطين ليست هى الوادى المقدس . فالوادى المقدس هو الوادى المبارك طريق الأمان حتى الختام رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (القرآن) .

والحق أن المؤلف يمحو ويثبت ، وينكر ويعرف دون حجة أو برهان ، ويكفى أن نقول إنه : أنكر أن يسمى من فقد بصره (أعمى) قال : ولا يقال لمن كف بصره أعمى فإن الأبصار لا تعمى ، ولكن تعمى قلوب الضالين .

ولا غرابة فى ذلك فالمؤلف يدعى أن علماء اللغة وعلماء النحو حرفوا لغة العرب ، وأنهم جميعا من الضالين .

ولا نختم هذه الكلمة حتى نشير إلى أن المؤلف أكد فى غير موضع من كتابه أن تحريف تفسير القرآن تحريف للقرآن نفسه ، وأن اليهود حين عجزوا عن تحريف القرآن لأن الله حفظه لجأوا إلى تفسيره بالباطل واللغو والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل ؟

د : على العمارى

الكلمات والأساليب فى القرآن الكريم

للأستاذ أبو الوفا المراغى

القرآن الكريم نهج خاص فى الكلام العربى لا يطاوله بل لا يشابهه ولا يقاربه نهج آخر وبهذا النهج كان معجزا ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف متضمنا أصح المعانى ، وقد ثبت إعجازه بشهادة الفحول من بلغاء العرب وبعجزهم عن معارضته والإتيان بمثله بل بمثل أقصر سورة منه كما جاء فى القرآن الكريم حيث يقول : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » :

وقد اختلفت أنظار العلماء فى تفسير إعجازه على ما هو معروف ، إلا أن الذى لا شك فى صحته من هذه التفسيرات أنه معجز بأسلوبه ووضع ألفاظه مواضعها ، والقارىء المتدبر للقرآن الكريم تستوقفه أحيانا أساليب وألفاظ يقف أمامها معجبا مأخوذا ببلاغتها مشدود الانتباه إليها يعيد تلاوتها ويكررها ويتذوق حلاوتها ويستجمع ما انطوت عليه من معان فلا يجد فيما مر عليه من أساليب وما وعته ذاكرته من ألفاظ - مهما كانت ممارسته للأساليب والألفاظ - ما يقوم مقامها ويفى بأغراضها .

إن مادة القرآن الكريم من مادة اللغة وألفاظه من ألفاظها ، ولكن المعجز المفحم أن تؤلف من تلك المادة أساليب كأسلوبه وأن توضع ألفاظ اللغة مواضعها على النحو الذى نسقت عليه فى القرآن الكريم . وحسبنا أن نذكر هنا بعض الأساليب والألفاظ كدليل على ما نقول فمن تلك الأساليب قوله تعالى فى بيان حكمة القصاص : « ولكم فى القصاص حياة » . ففى كلمات لا يتجاوز ظاهرها أربعا بين الله حكمة القصاص الذى على أساسه يقوم نظام العالم وتستقر علاقات الجماعات وتصان أرواح الأفراد وأموالهم وأعراضهم . وفى التعبير بلفظ القصاص عموم يشمل القصاص فى الأنفس والأطراف والأموال ولا تكاد تخرج منه عقوبة من العقوبات أيا كان شأنها وكذلك فى التعبير بحياة « منكرا » تنويع يشمل حياة المقتول

وحياة غيره من الأفراد ، وقوانين العقوبات جميعها بمتونها وشروحها ومصنفاتها التى تبلغ الآلاف تكاد تكون تفسيرا لهذه الجملة وتعبيرا عنها .

وقد عنى علماء البلاغة قديما ببيان وجه إعجازها بالمقارنة بينها وبين ما أثر عن العرب فى معناها من قولهم : « القتل أنفى للقتل » ونحوه ، وبعد استفاضة فى الشرح والبيان والموازنة أجمعوا على أن أسلوب القرآن فى هذا المعنى لا يعد له أسلوب ولا يشابهه .

قال بعض المفسرين : إنها فى إيجازها قد ارتفعت أعلى سماء للإعجاز . وكانوا ينقلون كلمة فى معناها عن بعض البلغاء يعجبون من إيجازها فى بلاغتها ويحسبون أن الطاقة لا تصل إلى أبعد من غايتها وهى قولهم : « القتل أنفى للقتل » . وإنما فتنوا بهذه الكلمة وظنوا أنها نهاية ما يمكن أن يبلغه البيان ويفصح به اللسان ، لأنها قيلت قبلها كلمات أخرى فى معناها لبلغائهم كقولهم : قتل البعض إحياء للجميع . وقولهم : أكثروا القتل ليقل القتل . وأجمعوا على أن كلمة القتل أنفى للقتل أبلغها . وأين هى من كلمة الله العليا وحكمته المثلى !!

ومن الأساليب التى تأخذ بألباب الألباء ، وتتقاصر دونها أعناق البلغاء قوله تعالى فى تصوير حال فريق من المؤمنين استكرهوا على الخروج لقتال قريش بعد مجادلتهم النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر ذلك الخروج وبيان وجهة نظرهم فى ذلك : « يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

فقوله تعالى : كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون تصوير لحالة الرعب والفزع التى استولت على نفوس هذا الفريق ، ويكاد هذا الأسلوب يكون لوحة فنية معبرة تصور وجوههم مصفرة مكفهرة ، وعيونهم حائرة زائغة ، وأى منظر لجماعة يساقون إلى الموت ويشاهدون أسبابه من سيوف مصلتة ومقاصل مرفوعة ، وكراسى مكهربة موضوعة ، إن هذا تصوير لهول لا يمكن لأقلام البلغاء مجتمعة أن تؤديه أو تطمع فيه ؟ ولا يمكن لعبارة أخرى أن تقوم مقام هذه العبارة وتفى بمقاصدها .

ومن الأساليب السهلة الممتنعة التى تؤدى معناها وتبلغ غايتها دون تلبث أو توقف . قوله تعالى فى وصف القرآن وقوة تأثير ما فيه من مواعظ وزواجر تلين القلوب المتحجرة وترقق الأفئدة القاسية :

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » .

وقوله :

« ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا » .

بهذا الأسلوب السهل الذى لا يستعصى فهمه على عالم أو من دونه يصف الله القرآن. فليس العالم أو العاصى فى حاجة إلى أن يشرح له الأرض أو الجبال أو الموتى ، ولكن هذا الأسلوب وتأليفه بما ألف به من الكلمات على النحو القرآنى مما لا يطمع فى مثله بليغ مهما حصف عقله واستحصدت ملكته .

وهناك من الكلمات القرآنية ما لا يمكن أن يحل غيرها محلها ولا أن يقوم مقامها فيما جاءت فيه من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى فى دعاء إبراهيم ربه أن يرغب الناس فى البيت الحرام ، ويعطف قلوبهم على أهله : « واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » فكلمة «تهوى» هنا لا يمكن أن يحل محلها كلمة «تميل» ولا كلمة «تحب» ولا كلمة «تغرم» ؛ لأن معنى تهوى فيما تقدر عليه من العبارة ، تنجذب إليهم على الدوام مسرعة مشوقة منجذبة نحوهم كما يسرع الحجر فى سقوطه منجذبا نحو الأرض ، وهذا هو المعنى الذى يحسه من سعد بزيارة البيت ووقف موقف المناجاة فيه ، فهو طائر اللب مشوق منجذب إلى البيت لا يحيط بإحساسه عبارة ولا يمكن أن يصوره قول كما تصوره كلمة «تهوى» إليهم.

ومن تلك الكلمات قوله تعالى فى مدح سيدنا إبراهيم عليه السلام : « إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » فما أسعد إبراهيم بهذا المدح وما أرفع مقامه وأسنى منزلته بتلك الكلمة وهذه الشهادة ، شهادة الله رب الأرباب العالم بخفيات الصدور وما تكن من إخلاص ووفاء وتسترخص من تضحيات ، فكلمة «أمة» هنا فى مكانها قامت مقام عبارات وشروح طويلة فى بيان شمائل إبراهيم وخلاله ، ولم تدع شيئا من الفضائل إلا ألمت به واحتوته . فهو قانت لله شاكر لأنعمه مجتبى من الله لرسالته مخلص له فى دعوته جواد بما تتطلبه هذه الدعوة ولو كان الجود بالأبناء فصيح بصير بأساليب الدعوة والتأثير ، لا يحابى فى دعوته أحدا ولو كان أباه ، لين الجانب ، محب للفقراء ، جامع لكل ما تفرق فى الناس من الفضائل والشيم الكريمة ، وبذلك صار أمة وحده وفاز بمكانة الأبرار المقربين .

ومن الكلمات التى أخذت مكانها المناسب وأدت ما قصد أداؤه بها تمام الأداء ولا يصلح غيرها فيما صلحت له : قوله تعالى حكاية عن إبراهيم فى دعائه ربه « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » فقوله : تعالى « لسان صدق

فى الآخرين ، وإن فسرها المفسرون بأن المراد بها الذكر الحسن والثناء الجميل إلا أن هذا ليس كل المعنى الذى تؤديه ، لأنها تؤدى إلى جانب ذلك أن يكون الثناء متنقلا متحركا غير محصور كما يتنقل اللسان ويتحرك لينشر الثناء ويذيعه تبعا لتنقل صاحبه وتحركه من مكان إلى آخر ، إلى أن فى ضمن هذه الكلمة رجاء أن يوفقه الله إلى اكتساب ما يورثه الذكر الجميل والثناء الحسن ليكون الثناء صادقا خالصا من شوائب الرياء وأكدار الكذب .

تلك بعض الأساليب والكلمات التى أوردناها فى كلمتنا هذه . وإن فى معارض القرآن البلاغية من الأساليب والألفاظ ما يأخذ بلب القارىء ويقفه على أسرار الإعجاز التى تتجدد بتجدد التدبر والتفهم والبحث ، والقرآن كما قال (على) رضى الله عنه فى وصفه : « لا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد » ؟

أبو الوفا المراغى

(بقية المنشور على صفحة ٧٨٠)

الله بغير ذلك .. ويكون هذا مزيداً فى التشنيع على قوم زعموا أنهم يحسنون صنعا .

وهكذا شأن النفاق كله .. لا يكون إلا من خبثاء النفوس ... يمكرون .. ويسيئون .. ويتصنعون .. ويتظاهرون أنهم خلصاء ، طيبون . وقد سجل الله فى كتابه أن المكر السىء لا يحيق إلا بأهله . وإذا أساءوا بنفاقهم إلى أحد : فان الله ينتقم منهم ولا محالة .

وقد يخدع فيهم المؤمن ؛ فإن المؤمن غر كريم طيب ، وإن المنافق خب لئيم خبيث ماكر .

والنفاق على أى حال لا يرفع صاحبه إلا ليسقطه .. ولا يقربه إلى بعض النفوس إلا ليبعده ولا يهنأ به صاحبه يوما إلا ليشقى بسببه زمنا طويلا .

ولقد كثرت آيات القرآن وكلام الرسول عن مخازى النفاق ، وحذرنا الله منه كثيراً ، وهددنا عليه بسوء العذاب .. وهو نقيصة ، وإن كان فى شأن هين .

ومن الحق علينا أن نربأ بأنفسنا عن النفاق ، وأن نجنح إلى أخلاق الرسول والنبى أولى بنا من كل جهة من ناحيته أو من ناحية أنفسنا ، كما تقرر فى الكتاب الكريم ، وما أحسن قول من قال :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

عبد اللطيف السبكى

جرائم القتل المذكورة في القرآن

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

تحدث القرآن الكريم في عدد من آياته عن جريمة القتل ، وضرب لكل ما يتعلق بصورها وأحكامها مثلا ، بحيث إذا تأمل أي باحث في علوم « الجريمة والعقاب » هذه الآيات لوجد فيها بيانا علميا دقيقا يشير إلى أركان هذه الجريمة ويوضح أحكامها في أسلوب معجز للهداية وموعظة من الذكر الحكيم

فمن أول جريمة قتل ارتكبت على ظهر الأرض حدثنا القرآن كيف قتل قابيل أخاه هابيل فقال تعالى فيه : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين » !!

ثم تتابعت جرائم القتل .. ولم يكن القرآن سجلا يتابع أخبارها ، بل كان كتاب هدى يكفيه أن ينبه إلى أبشع هذه الجرائم ، وكان من أبشعها قتل الأنبياء والمصلحين وكذلك قتل الأطفال ، أما قتل الأنبياء والمصلحين ، فهو أمر تخصص فيه بنو إسرائيل ، يشير إلى ذلك قول الله عز وجل مخاطبا اليهود : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » . وشاء الله سبحانه وتعالى أن ينتقم منهم فسلط عليهم فرعون مصر يقتل أبناءهم ويسومهم سوء العذاب ، قال سبحانه : « اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . ثم شاء الله عز وجل أن يرسل لهم موسى عليه السلام رحمة منه فما تابوا ؛ بل قتلوا من بعده « يحيى » عليه السلام ، وطمس الله على قلوبهم فتفاخروا بقتل الأنبياء ، حتى زعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه يقينا ، بل طبع الله على قلوبهم فلا يؤمنون إلا قليلا .

وكما بين القرآن أن قتل الأنبياء كان من أبشع جرائم القتل ، أشار كذلك إلى أن قتل الأطفال فساد في الأرض وضلال وإثم كبير ،

تأمل قوله تعالى مستنكراً قتل فرعون الأطفال : « إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم . إنه كان من المفسدين » كما يستنكر رب العزة جل شأنه وأد عرب الجاهلية لبناتهم فيقول عز وجل « وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت » ! ولا يكتفى القرآن بذلك ، بل ينهى صراحة عن قتل الأطفال بصفة خاصة فيقول جل شأنه فيه « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطأ كبيراً » ويقول جلت حكمته « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله . افتراء على الله ، قد ضلوا ، وما كانوا مهتدين »

وقد حرم الله سبحانه كل قتل بغير وجه حق فى قاعدة عامة قال عز وجل فيها : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل ، إنه كان منصوراً » بمعنى أن القصاص من القاتل هو عقوبة القتل العمد فى الإسلام وقد جعلها القرآن الكريم لولى القتيل تحت إشراف ولى أمر المسلمين كما فصل القرآن هذا الحكم فى آية أخرى قال سبحانه وتعالى فيها : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .. ذلك أن إعدام القاتل سيجعل أكثر أولئك الذين يفكرون فى اقتراف جريمة القتل يعدلون عن ارتكابها فتحيا بذلك أنفس كثير من الناس .

ولم يفت القرآن أن يذكر حكم جريمة القتل الخطأ كما ذكر حكم جريمة القتل العمد ، فقال تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله . إلا أن يصدقوا ، فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما » . وما أجمل القرآن حينما أوجب صيام شهرين متتابعين على القاتل خطأ فى بعض الظروف ، وذلك توبة من الله . وكان الله عليما حكيما .

ونجد القرآن الكريم يقص علينا كيف قتل موسى عليه السلام واحداً من القبط الفراعنة قبل مبعثه ، كمثال لقتل كان دفاعا عن نفس ، لم يكن موسى عليه السلام يقصد به قتلا ولكنه أفضى إلى الموت ، وكمثال لرحمة الله ومغفرته لمن يقتل ثم يتوب إلى الله توبة نصوحا ... قال تعالى مصوراً ظروف

الواقعة ونتائجها : « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ، فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل مبين . قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ، فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين » .

وفى القرآن الكريم صور رائعة تحدث فيها عن الاتفاق على القتل : ضرب الله مثلا لجريمة اتفاق على قتل أوقف تنفيذه ، وذلك عندما اتفق القبط على قتل موسى انتقاما لصاحبهم ، ولما علم موسى بهذا الاتفاق أسرع بالخروج من مصر هاربا قبل تنفيذه . قال تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين . فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين » . فأنجاه الله منهم ثم بعثه إليهم رسولا ... وفى الآية السابقة تنبيه وإشارة دقيقة لرجل الأمن تبين له ضرورة التحرى عن أثر جريمة القتل فى أنفس أهل القتيل ، مع اتخاذ الحيطة للحيلولة دون وقوع جريمة قتل أخرى بإخراج من تقع العين على الثأر منه بعيدا عن موطن الجريمة وشهوة انتقام أهل القتيل.

وضرب الله مثلا آخر فى القرآن لجريمة اتفاق على قتل خاب أثره وذلك عندما اتفق الكفار على قتل المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ وقاموا بتنفيذ اتفاقهم بالتجمع حول داره فى انتظار خروجه عليه السلام فيضربونه بسيوفهم ضربة رجل واحد ليضيع دمه بين القبائل عندما يعجز قومه عن الأخذ بثأره ، فأنقذه الله عز وجل منهم وخاب أثر اتفاقهم على قتله ، إذ يقول جلت حكمته :

« وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سالما غانما بعد أن أعمى الله بصائر الكفار عنه وهو بينهم يحثو فى وجوههم التراب . ومرة أخرى يذكرنا القرآن بأن خروج المتفق على قتله وابتعاده عن موطن المجرمين هو خير وسيلة للحيلولة دون تنفيذ ما اتفقوا عليه .

كذلك حكى القرآن الكريم لنا كيف شرع إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى ذبح ابنه إسماعيل ، امتثالا لأمر الله عز وجل وابتلاء منه سبحانه وتعالى لإبراهيم بعد أن حقق الله له أمله فى ولد من الصالحين :

« رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدنى إن شاء الله

(البقية على صفحة ٧٩٩)

الأحلام عند الفارابي

للأستاذ فوزي عرفه

تدور تفسيرات الأحلام على أحد جانبين: إما ناحية داخلية سـواء أكانت نفسية أم عقلية أم حشوية وناحية خارجية جسمية أو بيئية، فقد لوحظ أن بعض أمنيات الإنسان أو ما حرم من تحقيقه في الواقع، يتحقق في الحلم، أو يحاول المرء أن يحققه عن طريق الحلم كما لوحظ أن تغيرات الغـدد والأعضاء الحشوية الداخليـة توحي للمرء بأحلام عدة أشهرها فيما يذكر الكابوس، ولوحظ أيضا أن تغيير حركات الجسم في النوم أو استقبال مؤثرات خارجية ينطبع عنه مجموعات من الأحلام متنوعة.

وهذه التفسيرات المختلفة قد وجدت على مدى التاريخ ولكن أشهرها هو التفسير النفسي العقلي عند (فرويد) الذي بنى تفسيره للحلم على أساس أن (الهي) مصدر الرغبات المكتومة يحاول أن يتلمس في النوم غيبة (الأنا الأعلى) أو ضعفه ليحقق ما لا يستطيع أن يحققه في صحوة (الأنا الأعلى) وهو يرى أن الحلم قد يتخذ صورا رمزية في تعبيراته كلون من ألوان التحايل للوصول إلى أغراضه بطريق ملتو غير مشروع، ولا نجزم أن هـذا الاتجاه الفرويدي في رمزية الأحلام لم يكن موجودا سابقا بل الأحرى أن يقال إنه كان موجودا من قبله فالتعبير الرمزي عن الحلم كان موجوداً بصورة شهيرة عند المسلمين في قصة سيدنا (يوسف) الذي رأى في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم ساجدين له فكانت الكواكب رمزا لإخوته والشمس والقمر رمزا لأبويه وقد فهم أبوه الرمز وكان هو نفسه من أشهر المحللين للأحلام العارفين لتأويلاتها عندما فسر حلم فرعون بالرمز أيضا. فرمزية الحلم موجودة في الماضي مذكورة في الكتب المقدسة والأمم السابقة وعند المسلمين. كما أن قسمة النفس إلى مناطق متعددة تختلف من الناحية الوظيفية معلومة عند (أفلاطون) و (أرسطو) و (الاسكندر الأفروديسي) ومن تابعهم، ويجمل ما يقال إن السبق في الدراسة الأحلام والضرب في مختلف جوانب التفسيرات والتأويلات للحلم كان موجودا منذ القديم. ومن الذين أسهموا برأي حول هذه الدراسة (الفارابي) المعلم الثاني والفيلسوف الإسلامي.

يقيم (الفارابي) نظريته في الأحلام على أساسين: الأول هو نظريته القوى، والثاني الواحدية في التعليل فهـو يرى أن النفس الإنسانية

تنقسم إلى مجموعة من القوى الحاسة والمتخيلة والناطقة . فالحاسة تتمثل بواسطة رواصفها من الحس الخارجى إلى المتخيلة التى ينطبع عليها رسم المحسوسات وهى تقوم إلى جانب هذا العمل بواجبين آخرين ، وهما خدمة القوة الناطقة ، وإفارد القوة النزوعية فإذا حدث أن عادت القوة الحاسة والنزوعية الناطقة إلى كمالها الأول أى لا تفعل أفعالها وأصبحت ساكنة لا تؤثر كما يحدث لها فى أثناء النوم . إنفردت القوى المتخيلة بنفسها فارغة بما تجده الحواس عليها دائما من رسوم المحسوسات وتخلت عن خدمة القوة الناطقة والنزوعية فتعود إلى ما تجده عندها من رسوم المحسوسات محفوظة باقية فتنفعل فيها أفعالها فتحاكيها أو أن تحاكى المعقولات أو أن تحاكى القوة النزوعية أو ما يعرض على البدن من المزاج وهكذا يحدث الحلم .

ومن ناحية أخرى فإن الفارابى يرجع الحلم كله إلى قوة واحدة وهذا ما نسميه الواحدية فى التعليل أى أن علة الظاهرة كلها راجع إلى سبب واحد وهو عند الفارابى القوة المتخيلة التى تعتبر - على حسب نظرته - نقطة التقاء القوى جميعا فيلتقى فيها صور المحسوسات ببدايات الصور التى تنتقل إلى القوة العاقلة كما هى وافدة - بوصفها حافلة بالصور - للقوة النزوعية ، ومن ثم يكون لديها القدرة على المحاكاة لكل هذه القوى فهى بذلك منفعلة وفاعلة ، ومتقبلة وقابلة لان تحدث ألوانا من من التأثير وتبدى ضروبا من الإيجابية ويصور الفارابى هذه الفعالية للمتخيلة بعمليات ثلاث : التركيب والتفصيل الحفظ والمحاكاة فتحتفظ بصور المحسوسات فى داخلها وتفصل بعضها عن بعض وتركب بعضها إلى بعض ثم لها فعل آخر وهو المحاكاة فإنها خاصة من بين سائر قوى النفس لها قدرة على محاكاة الأشياء المحسوسات التى تبقى محفوظة فيها . ولكن المحاكاة ليست نوعا واحدا وإنما هى أنواع متعددة وهى بالتحديد خمسة فأولها المحاكاة الجسمية، وثانيها المحاكاة العقلية ، وثالثها المحاكاة الغازية ، ورابعها المحاكاة النزوعية ، وخامسها ما يصادف البدن من المزاج وبهذا يستوفى الفارابى كل نظرية قيلت فى الحلم بعد ضيق أو توسع فى هذه الألوان الخمسة من المحاكاة .

ونظرية المحاكاة هذه التى قال بها الفارابى ليست موجودة عند من تقدمه من الفلاسفة الإسلاميين ، فالكندى يرى أن الرؤيا من حيث الأثر هى انطباع صور كل ما وقع عليه الفكر من ذى صورة فى النفس بالقوة المصورة لترك النفس استعمال الحواس ولزومها استعمال الفكر ، وأما المعتزلة فيرون فى الحلم آراء مختلفة فيرجعها بعضهم إلى الله ،

ويذهب بعض آخر إلى أنها من فعل الطبائع، ومنهم من يجمع بين هذين ويقول إنها على ثلاثة أنحاء: نحو يحذر الله به الإنسان في منامه من الشر ويرغبه في الخير، ونحو من قبل الإنسان، ثم نحو أخير من قبل حديث النفس والفكر، ويقول النظام: إن الرؤيا خواطر مثل مايخطر البصر، وعلى هذا لانجد عند من سبق الفارابي تحديداً لمصدر الحلم في قوى النفس وهم - نقصد الكندي والمعتزلة وحتى أرسطو وأفلاطون - عندما تواجههم مشكلة الإنباء بالمغيبات لايقصرون الحلم على « الفنطاسيا » كما يحلو للكندي تسمية المخيلة بل يشركون معها القوة الناطقة كما أن الكندي يرى أن « الفنطاسيا » تصور الصور في كمالها. ومن هنا يرى أن الصورة النومية أتقن وأحسن من الصور المحسوسة والفارابي يخالفهم في هاتين النقطتين: أعني أنه يرجع الحلم بجميع صوره إلى المخيلة التي تقوم بوظيفة المحاكاة على النحو الذي بيناه سابقاً ومن هنا تصورها في الحقيقة محاكاة للحاسة والناطقة وليست كاملة تمام الكمال.

والآن: كيف يحدث الحلم؟ هنا نجد توافقا طبيعيا بين كل من الكندي والفارابي وأرسطو إلا في نقطة واحدة، وهي التنبؤ بالمستقبل فإن الكندي والفارابي يخالفان أرسطو لأن صاحب اللوفيوم - فيما يرى الدكتور إبراهيم مدكور - في كتابه الفلسفة الإسلامية لايقبل مطلقاً التنبؤ بواسطة النوم، والسبب في مخالفة الكندي والفارابي لأرسطو هو نزعتهما الإسلامية وتأثرهما بالقرآن الكريم.

والحلم يحدث بتأثر المخيلة بما يحيط بها من خارج أو قوى جسدية أو داخلية فإذا كانت البيئة المحيطة بالنائم باردة أو يابسة تحول مزاج البدن إلى رطب أو حار فتحاكي المخيلة هذه الحالة فمثلا يحلم النائم بالمياه والسباحة فيها إذا كان مزاج البدن رطبا ولكن هنا يثار سؤال لماذا لاتصير المخيلة رطبة أو حارة على حسب ما يحيط بالنائم؟ يجيب الفارابي بأن المخيلة قوة مغايرة للحس فقوة الحس تقبل المحسوسات على ماهي عليه، وأما المخيلة لاتقبلها كما هي بل تحاكيها مثلها في ذلك كقوة النطق فإنها متى قبلت الرطوبة فإنها إنما تقبل ماهية الرطوبة بأن تعقلها ليست الرطوبة نفسها وكذلك المخيلة تقبل المحسوسات على حسب ما في جوهرها واستعدادها أن تقبل ذلك، ومن هنا تكون وظيفة المخيلة هي المحاكاة فقط لأنها وسط بين قوى الحس والنطق فهي تحاكي المحسوس، وكذلك تحاكي المعقول بما يحاكيه من المحسوسات، وهي كذلك بالنسبة للقوة النزوعية فهي تحاكيها في الغضب أو الشهوة أو الأفعال التي هي أفعالها على الجملة فتثير الأعضاء الخادمة لتقوم بنفس وظيفتها كما لو أثارتها القوة النزوعية وهنا يمكن تعليل

كثير من الأفعال التى يقوم بها النائم فيحس من نفسه القدرة على القيام والحركة والنزوع إلى أفعال مختلفة كما لو حدثت بالحقيقة . وأما بالنسبة للقوة الناطقة فإن معقولاتها إما فى نهاية الكمال أو ناقصة والأولى تحاكيها المخيلة بأفضل المحسوسات وأكملها مثل الأشياء الحسية المنظر والثانية بأحسن المحسوسات وأنقصها مثل الأشياء القبيحة المنظر .

هكذا تكون المخيلة معبرة عن الحاضر المحيط بالإنسان من جميع جوانبه من البيئة المؤثرة فى الجسد وتقوم المخيلة بدور نشيط فعال فتركب بعض الصور إلى بعض أو تفصل بعضها عن بعض ، ويكون تعبيرها عن هذا كله إما بالمحاكاة أو الرمز أو اللغز أو الإبدال أو التشبيه . وهى لا تقوم بهذا الفعل فقط فى ساعة النوم بل وفى ساعة اليقظة أيضاً ومن هنا فالأحلام نوعان: أحلام يقظة وأحلام نوم.

ولكن يثار سؤال هام هنا وهو : كيف يكون الحلم تنبؤا بالمستقبل ؟ هنا نبدو طرافة الفلسفة الإسلامية فى موقفها من التوفيق بين الفلسفة والدين أو بمعنى أصح فى السير فى ركاب الدين وعدم التقليد الأعمى للفلسفة اليونانية : إن أرسطو الذى يبعد عن مذهبه التفسيرات الدينية والتعليلات القائمة على قوى خفية وأسرار غامضة لا يقبل التنبؤ بواسطة الحلم وهذا الاتجاه الأرسطى موجود فى الدراسات الحديثة لعلم النفس التى ترى أن الحلم تعبير عن الماضى لا عن المستقبل ، ومن ثمة ينزعون كل صفة تنبؤية للحلم فى المستقبل . بينما الدين الإسلامى - كما رأينا سابقا - يتحدث عن أحلام تنبؤية . وقد واجهت هذه الظاهرة - ولا نقول المشكلة - المفكرين الإسلاميين فاختلفت تعليلاتهم لها حتى عصر الفارابى ، فالكندى مثلا يرى أن النفس لكونها علامة يقظانة حية قد ترمز بالأشياء قبل كونها أو تنبئ بها بأعيانها فإذا كان الحى متهيئا لكمال القبول بالنقاء من الأعراض التى يفسد بها قبول قوى النفس وكانت النفس قوية على إظهار آثارها فى آلة ذلك الحى ، أدت الأشياء أعيانها قبل كونها وعلى قدر حاله فى التهيؤ كذلك يكون كثرة ما تؤدى الأشياء أعيانها . فهذه هى العلة فى الرؤيا التى تقدم الإنباء بالشىء عينه قبل كونه.

فالكندى يرجع الصفة كلها إلى النفس أما الفارابى فيصمم على أن المخيلة وحدها هى التى تقوم بهذا كله ويفسر العملية كلها على أساس أن العقل عندما يخرج من القوة إلى الفعل يوجد القوة الناطقة التى هى ضربان ضرب نظرى وآخر عملى أما الجزء العملى فهو الذى يعقل الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، وأما النظرى فهو الذى يعقل المعقولات التى شأنها أن تعلم والمتخيلة بوصفها محاكية لكلا

الضربين السابقين اللذين يتأثران بالفعل الفعال فإنها تأخذ من النظرية المعقولات ومن العملية الجزئيات المحسوسة ، والمحسوسة حاضرة أو مستقبلة ومن هنا ينطبع على المتخيلة ، بلا توسط رؤيات من الجزئيات بالمنامات والرؤيات الصادقة ، وأما ما ينطبع عليها من المعقولات فتحاكيها بالكهانات على الأشياء الإلهية وهذا كله يحدث سواء فى اليقظة ـ وهو قليل ـ أو فى المنام ـ وهو كثير من حيث الجزئيات ولكنه قليل من حيث المعقولات ـ هذه هى نظرة الفارابى إلى الأحلام وهى نظرة نابعة من طويل تأمل فى الإنسان وكثرة ملاحظة مع دقتها فلم يعزل الإنسان كظاهرة عن غيره من الجوانب الأخرى للحياة المؤثرة فيه . كما أنه لم يجعل الإنسان مادة لا تتعالى وتتسامى عن الحياة الأرضية بل نظر إليه على أساس أنه درجة فى طريق التصاعد يمكن أن تسمو شيئا فشيئا وتتفاضل فى سلم التدرج حتى تصبح نفسه شفافة راقية تتقبل ما تعطاه من ذى العزة والجلال أو واجب الوجود على حسب تعبير الفارابى . فتفسيره للحلم وتصوره له هو فى الحقيقة مقدمة لنظريته فى الوحى والنبوة ؟

فوزى عرفه

(بقية المنشور على صفحة ٧٩٤)

من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » .

وعن الشروع فى القتل الذى خاب أثره ، يحدثنا القرآن الكريم كيف عزم الكفار على قتل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ثم ألقوه فى النار ، ولكن طاش سهمهم فما أصابه ، وخاب فعلهم فأنقذه الله منهم . « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ، إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين » .

وبعد : فقد كانت هذه هى الخطوط العامة لجريمة القتل فى القرآن الكريم ، ما أولانا بدراستها والوقوف أمام كل نقطة فيها ، وما أحوجنا لاستخلاص مبادىء منها يتم على أساسها تطوير تشريعاتنا القانونية ، فالقرآن الكريم كتاب الله وحبله المتين ونوره المبين ، لا تزيغ به الأهواء ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ... من حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم . « تنزيل من رب العالمين » .

د . عبد الناصر توفيق العطار

الرّشيد بين الحجّ والجهاد

للدكتور عبّاس حلمى إسماعيل

ذلكم هو الخليفة العباسى هارون الرشيد ، الذى عمل لدنياه وآخرته ، فشيد القصور الفخمة ، والمساجد الجامعة ، والأسواق العامرة ، والحمامات النظيفة ، ودور العلم وعلى رأسها بيت الحكمة ، وأنفق على كل هذه المنشآت مما تجمع لديه من ثروة وغنى ، حتى غدت بغداد مركزا تجاريا وعلميا ، الأمر الذى جعل الرشيد يفكر فى وصل البحرين الأحمر والمتوسط بقناة ، وحرص الطلاب والعلماء على زيارة معاهدها والأخذ عن علمائها .

وقدر للرشيد أن يكون خليفة دينا ، محافظا على التكاليف الشرعية دون مراءاة ، حرصا منه على الثواب ، فكان يصلى فى كل يوم مائة ركعة ، يخرج منها صافى النفس ، مخلصا فى عبوديته لله وحده ، مستعينا به وحده سبحانه وتعالى ، فعمل على ألا يكون تابعا لأحد ، ورفض أن يتعالى عليه أحد ، بل حرص على الندية ، فلا يرضى إلا أن يعامله ملوك العالم معاملة الند للند ، ولذا خطب وده أمبراطور الصين ، وشارلمان ملك الفرنج ، وعند ما تعالى عليه أمبراطور الدولة الرومانية الشرقية البيزنطية ، لقنه درسا قاسيا .

وكان للرشيد سمير فكه هو ابن أبى مريم المدنى ، سمعه مرة يقرأ فى صلاته : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون » فقال لأدرى والله ، وعندئذ ضحك الرشيد فى صلاته ثم التفت إليه كالمغضب وقال : « فى الصلاة أيضا ! إياك والقرآن والدين ، ولك ماشئت بعدهما » . وأحب الرشيد الجماعات فى صلواته ومعاملاته ، واقتضاه هذا أن يكون سخيا ، مخالفا جده الخليفة أبا جعفر المنصور ، الذى كان مقترا متشددا فى المحاسبة على الحبة والدانق وهو مقدار لا يزيد على سدس درهم ، فكان الرشيد يتصدق كل يوم بألف درهم سوى العطايا ، ولذا امتلأ بلاطه بالفقهاء والأدباء والشعراء والفنانين . وسمع الرشيد وعظ الواعظين ، وهو عند ذلك رقيق القلب ، سريع الدمعة من خشية الله . وعظه ابن السماك فقال : « اتق الله وحده ، لاشريك له واعلم أنك غدا بين يدى الله ربك ، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما : جنة أو نار » . فبكى هارون الرشيد حتى اخضلت لحيته . ودخل عليه ابن السماك مرة أخرى ، فبينا هو عنده إذ استسقى ماء ، فأتى بقلة من ماء ، فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها

قال له ابن السماك : « لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشربها ؟ » قال الرشيد : بنصف ملكى ، فلما شربها قال له : « لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها ؟ » قال: بجميع ملكى ، قال ابن السماك : إن ملكا قيمته شربة ماء لجدير ألا ينافس فيه . فبكى الرشيد .

وأما حجه ، فإنه كان لا يتخلف عنه ، إلا إذا كان مشغولا بالغزو ، فهو فى كل عام بين غاز وحاج ، وقد أقام للناس حجهم تسع مرات فى سنى حكمه ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحج عنه ثلثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة ، وفى إحدى حجاته قصد هو وأولاده إلى الإمام مالك بن أنس ، فسمعوا منه كتاب الموطأ فى الحديث ، الذى مكث فى تهذيبه وتنقيحه أربعين سنة ، وآمن الرشيد بأن الحج مؤتمر كبير ، يتعارف فيه المسلمون ، ويتشاورون فيما يرفع من شأنهم ويعلى من كلمة دينهم ، ويؤاخى بينهم ، فيوحدون سياستهم ، ويرسمون الخطط لحماية بلادهم من أعدائهم ، فتبدو الوحدة الإسلامية الكبرى فى أجمى صورها ، وثبت لديه بالتجربة أن الحج تدريب على احتمال المشقة والصبر ، مما يفيد فى الجهاد ، والحج موسم دينى عامر بالعبادة ، فيه تصفو النفس ، وتقبل على الله طامعة فى رحمته ورضوانه ، ، ووجد الرشيد فى الحج فرصة للتصدق والبذل ، مما يؤدى إلى قوة المجتمع وتماسكه ، الأمر الذى يساعد على هزيمة الروم .

وأما جهاده ، فإنه كان لا يترك الخروج مع جنده ، بل كان غالبا فى مقدمتهم يقودهم إلى المواضع المخوفة ، حتى لا يعتاد الراحة ، ولا يقعده الترف عن القيام بهذا الواجب ، حتى كان من ضمن مآثره أنه كان يغزو سنة ويحج أخرى . وكان له قلنسوة مكتوب عليها غاز حاج ، لما لبسها قال أبو المعالى الكلابى :

فمن يطلب لقاءك أو يرده
فبالحرمين أو أقصى الثغور

وقال مروان بن أبى حفصة :

وكل ملوك الروم أعطاه جزية
على الرغم قسرا عن يد وهو صاغر

لذلك كانت الخلافة لعهده فى أعلى درجات مهابتها واحترامها فى الداخل والخارج ، حتى استقامت له البلاد ، وهابه كل خارج وثائر ، واعتز بقوته ، حتى أنه كان ينظر للسحابة مسرعة تشق أجواز الفضاء ، فيقول لها فى إباء وشمم :

« اذهبى حيث شئت فسيأتينى خراجك » .

وتيسر الجهاد للرشيد ، بعد أن انتهت الاضطرابات التى صحبت سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

وكانت هـــذه الاضطرابات قد شجعت امبراطور الروم على توسيع رقعة دولته ، على طول الحدود الشرقية فى آسيا الصغرى

وأرمينية ، وذلك على حساب أطراف الدولة العربية الإسلامية من ناحية سورية واقتضت طبيعة الأوضاع السياسية والحربية بين الدولة العباسية وبين الدولة الرومانية الشرقية البيزنطية ، تحصين مناطق الحدود بينهما ، للحد من نشاط الإغارات التى كان يقوم بها كل من الفريقين على الآخر ، وكان خط الحدود يتكون من سلسلتى جبال طوروس ، بمعاقلها وحصونها التى عرفت بالثغور ، وإمعانا فى الدفاع عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة فى شمال العراق ، وجعلها حيزاً واحداً ، وسميت العواصم ، لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها ، فتعصمهم وتمنعهم من العدو إذا انصرفوا عن غزوهم وخرجوا من الثغر ، وكان من هذه العواصم « رعبان » و « أنطاكية » و « طرسوس » ، فأتاح الرشيد للمرابطين الفرصة للجهاد ، حتى لا تمس عيونهم النار يوم القيامة ، بأن يحرس الواحد منهم فى سبيل الله ، أو يراقب العدو ويرصد حركاته ، لا يضعف ولا يتقهقر ولو ضحى بنفسه .

كان يحكم الروم فى ذلك الوقت « إيرينى » وكانت فى أوائل أمرها تنوب عن ابنها قسطنطين السادس ، ثم استبدت بالملك سنة ١٧٤ هـ (٧٩٠ م) فاتفقت مع الرشيد على الصلح والمهادنة مقابل جزية تقوم بدفعها له ، وذلك لما رأته من إلحاح المسلمين عليها بالحرب . وعدم قدرتها على الدفاع ، لوقوعها بين المسلمين من جهة وبين شارلمان من جهة أخرى ، وكلتا الدولتين تناوئها العداء ، لأن الرشيد كان قد ذهب فى حملة لغزو آسيا الصغرى ، ووصلت هذه الحملة إلى شواطئ البوسفور قبالة القسطنطينية نفسها ، وكان شارلمان يريد توسيع نفوذه وإعادة دولة الرومان إلى عظمتها التى كانت لها من قبل . ثم تآمر بعض الرومان على « إيرينى » وخلعوها ، وولوا مكانها « نقفور » ، فعقد معاهدة مع شارلمان ، تحددت بمقتضاها تخوم الدولتين . ومن ناحية أخرى خطب شارلمان ود الرشيد ، ليكون حاميا للمسيحيين فى الشرق ، فيغدو أرفع درجة من نقفور ، ولذا أرسل إلى الرشيد سفراء ، بغية تيسير سبل حج الفرنج إلى بيت المقدس ، ونشر التجارة بين البلدين ، وارتشاف العلوم من مناهلها فى الشرق . وقد رحب الرشيد بالسفراء ، ليساعده شارلمان فى القضاء على الدولة الأموية بالأندلس المنشقة عن سيادة الدولة العباسية ، ولذا تبادلا الهدايا ، فأرسل الرشيد عدة هدايا تشير إلى ما كانت عليه الدولة العباسية من الثروة والتقدم ، ولا سيما الساعة المائية الدقاقة التى دهش لها الأوربيون وحسبوها سحراً ، وهم بعض رجال شارلمان بكسرها لولا أن منعهم . وبلغ من إعجاب شارلمان بالرشيد ، أن سعى فى إصلاح قوانين دولته ، مثلما فعل الرشيد.

أما «نقفور» ، فقد كتب إلى الرشيد : «من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب . أما بعد فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مكان البيدق ، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثاله إليها . لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك من أموالها ، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك . فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب ، واستعجم الرأى على الوزير من أن يشير عليه أو يستبد برأيه دونه . فدعا الرشيد بدواة ، وكتب على ظهر الكتاب : «بسم الله الرحمن الرحيم . من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك ، والجواب ما تراه دون أن تسمعه . والسلام» ثم شخص الرشيد من يومه ، وسار إلى هرقلة ، ففتح وغنم ، عندئذ طلب نقفور الموادعة على جزية يؤديها كل سنة فأجابه إلى ذلك . ولكن لما رجع الرشيد من غزوته إلى الرقة ، نقض نقفور العهد ، وكان البرد شديدا ، فلم يخبر أحد الرشيد بذلك ، إشفاقا عليه وعلى أنفسهم من الكرة فى مثل تلك الأيام . فقال الشاعر أبو محمد عبد الله بن يوسف :

نقض الذى أعطيته نقفور
وعليه دائرة البوار تدور

ملك تجــــرد للجهاد بنفسه
فعـدوه أبدا به مقهور

يا من يريد رضا الإله بسعيه
والله لا يخفى عليه ضمير

لا نصح ينفع من يغش إمامه
والنصح من نصحائه مشكور

نصح الإمام على الأنام فريضة
ولأهلها كفارة وطهور

ولم يكد نقفور يعلم باستعداد المسلمين لمقاتلته ، حتى كر راجعا ، فقال أبو العتاهية :

ألا نادت هرقلة بالخراب
من الملك الموفق بالصواب

أمير المؤمنين ظفرت فاسلم
وأبشر بالغنيمة والإياب

وبرغم أن الحروب لم تقف بين الطرفين ، فقد حدث فداء بين المسلمين والروم ، فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودى به ، وهذا أول فداء كان بين المسلمين والروم . فقال مروان بن أبى حفصة يمدح الرشيد :

وفكت بك الأسرى التى شيدت لها
محابس ما فيها حميم يزورها

على حين أعيا المسلمين فكاكها
وقالوا سجون المشركين قبورها

وفى الصيف سنة ١٩٠ هـ (٨٠٦) غزا الرشيد الصائفة بنفسه ، ففتح هرقلة وغيرها من أمهات مدن الروم بآسيا الصغرى ، ولذا بعث نقفور إليه بالجزية عن رأسه وولى عهده وبطاركته ، وكتب مع بطريقين فى جارية من سبى هرقلة كتابا جاء فيه :

«لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، من

نقفور ملك الروم ، سلام عليك ، أما بعد ، أيها الملك ، إن لى إليك حاجة ، لا تضرك فى دينك ولا دنياك ، هينة يسيرة ، أن تهب لابنى جارية من بنات أهل هرقلة ، كنت قد خطبتها على ابنى ، فإن رأيت أن تسعفنى بحاجتى فعلت ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فأمر الرشيد بطلب الجارية ، فأحضرت وزينت ، وأجلست على سرير ، وسلمت الجارية إلى رسول نقفور ، وبعث الرشيد إلى نقفور بما سأل من العطر والتمر والزبيب .

ولم تقتصر حروب الرشيد مع الروم على آسيا الصغرى بل تعدتها إلى البحر المتوسط ففى نفس السنة غزا العباسيون جزيرة قبرص وأسروا منها عددا كبيرا ، كان من بينهم أسقف الجزيرة .

وعلى الجملة ، فإن قوة المسلمين على عهد الرشيد كانت راجحة على قوة الروم ، لما كان يقوم به الرشيد بنفسه من الجهاد ، ومعه عظماء القواد العرب ، من سلالة العرب الأمجاد الذين فرضوا أنفسهم بالجهاد على التاريخ فرضا ومن نوع الرجال العباد الشجعان الذين وصفهم أبو حمزة الشارى . وهو من فرقة الشراة الذين شروا أنفسهم فى طاعة الله فقال : « شباب والله مكتهلون ، عمية عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم ، قد نظر الله إليهم فى آناء الليل منثنية أصلابهم بمثانى القرآن ، إذا مر أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم فى أذنيه .

قد وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم أنضاء عبادة ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم ، مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، مستقلون لذلك فى جنب الله ، موفون بعهد الله مستنجزون لوعد الله . إذا رأوا سهام العدو قد فوقت ، ورماحه قد أشرعت ، وسيوفه قد انتضيت ، وبرقت الكتيبة ، ورعدت بصواعق الموت استهانوا بوعيد الكتيبة لوعد الله ، فمضى الشباب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، قد رملت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء . فكم من مقلة فى منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كف بانت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها فى سجوده ، وكم من خد عتيق ، وجبين رقيق قد فلق بعمد الحديد ، رحمة الله على تلك الأبدان ، أدخل أرواحها فى الجنان .

وشبابنا العربى جدير بهذه التزكية ، فكثير منهم يجمعون بين القوة والفتوة ، والرزانة وسداد الرأى . مما يجعلهم أقدر على الجهاد ، والنهوض بجلائل الأعمال .

عباس حلمى إسماعيل

من أمجادنا :

عالم عربي معاصر يضع نظرية للسلام

للدكتور محمد رجب البيومي

حين قام (جاجارين) رائد الفضاء الأول برحلته المثيرة ، أخذ يتحدث عما شاهد في الكواكب النازحة من غرائب وأعاجيب وقد طلعت بعض الصحف الإنجليزية على الناس ببعض أحاديثه مشفوعة بما تنبأ به الكاتب الشهير (هـ. ج. ويلز) عن العوالم البعيدة ثم فسحت مجال المقارنة بين ما تخيله الكاتب الانجليزي وما شاهده الرائد الروسي ، ومن الطريف أنها ذكرت في نهاية الموازنة أن عالما عربيا كبيرا هو الشيخ طنطاوي جوهري قد رحل إلى الكواكب رحلة خيالية كرحلة هـ. ج ويلز ، وقد سجلها بدوره في كتابه العظيم أين الإنسان ؟ .

وقد غمرني شعور الفرح والزهو لتوفيق عالم إسلامي إلى إبراز حقائق طبيعية وفلكية تضارع ما سجله أعلام الفكر الحديث في الغرب ، وهرعت من فوري إلى كتاب أين الإنسان ، وأخذت أطالع روائعه المدهشة وأعجب لتساوق الأسلوب الأدبي مع الحقائق العلمية في نسق فني جميل ، وأستمع مأخوذا للكاتب حين يقول منذ نصف قرن أو تزيد .

الأرض تجري أمامي جريا حثيثا ، وهي تتلألأ جمالا وحسنا لما يسطع عليها من نور الشمس ، وحجمها كبير ممتد ! الأرض تجري مسرعة في الفضاء كأنها قلة المدفع إن قلة المدفع تجري عشرة أميال في الدقيقة ، والأرض تجري قدرها مائة مرة حول الشمس لتتم حركتها السنوية ! لعمرك لقد هالني المنظر ! حركات الأرض الثلاث تدور حول نفسها كهيئة النحلة في لعبة الأطفال ، وهي بنفسها وهيئتها مندفعة تجري حول الشمس أسرع من القلة مائة مرة ، وهذا المجموع الشمسي مسخر مسكين كأنه أرض تجري حول كوكب مجهول ، أدهشني الأنوار ، وغطت على عقلي عجائب الحركات ، نظرت أسفل فإذا زحل تحيط به حلقاته الساطعة الجميلة وهو يجري حول الشمس كأرضنا ولقد تعجبت من الأنوار الساطعة البديعة البهية الدائرة حول المريخ . فهناك قمران جميلان طالعان عجيب أمرهما وبهي نورهما ، ولما رأيت أقمار المشترى زاد تعجبي ، وما كنت أظن في العالم أقمارا غير قمرنا .

وتمضي الرحلة على هذا النسق البديع فتتحدث عن زحل وأورانوس ونبتون وأكثروس

وغيرها مما لا يحيط به غير المتخصصين من الأفذاذ.

قرأت هذا فى كتاب أين الإنسان وتعجبت لأنى أعلم أن هذا الكتاب الخالد ترجم إلى عدة لغات شرقية وغربية ، وقد تقدم به مؤلفه إلى جائزة نوبل للسلام او لكنى قلت فى نفسى إن الصفحات الأولى من الكتاب حديث بديع عن المشاهد الطبيعية والفلكية فى الكواكب البعيدة فكيف يخدم هذا الحديث قضية السلام حتى يتقدم به الفيلسوف لجائزة نوبل للسلام ! ! .

ولم يطل بى مدى السؤال فقد اهتديت إلى فلسفة الاستاذ حين ينظر إلى العالم نظرة واحدة ، فيرى أن نظام الكون يخضع إلى قانون عادل دقيق لا يشذ عنه كوكب من الكواكب والإنسان بعض هذا الكون فلا بد أن يخضع لمثل هذا القانون فلا ينحرف عن سننه العادلة إلى طريق جائرة تفضى إلى الحروب والدمار . والكاتب يوضح ذلك بجلاء إذ يقول فى رحلته المثيرة «لم أر كوكبا حاد عن كوكب ولا شمسا غادرت فلكها ، ولم تختل حركة الأرض اليومية . ولا حركة المجموعة الشمسية ، إن هذا لعدل إن هذا لهو الميزان !

مالى أرى أكابر الامم وسراسهم يقوضون معالم الإنسانية ! أليس النظام واحدا ؟ . أليس عالم الإنسان تابعا لهذا الجمال البديع ، وكيف يقولون ما لا يعلمون ، ويبطنون ما لا يظهرون ، وهل يعم العالم والنظام هذه العوالم البديعة ، ويذرنا نتخبط ويقتل بعضنا بعضا ، ونحن فى الحياة ظالمون معذبون جاهلون ! » .

ثم يطيل الكاتب المتعمق فى مثل هذه الحقائق والأقيسة حتى تفضى به إلى نتيجة محتومة هى صيانة نظام الكون واطراد سبل العدالة فى جميع الكوائن ومن بينها الإنسان! ذلك الكائن المتمرد الذى شذ عن طريقه فجلب على نفسه الدمار .

يا لله ! هذا كتاب علم وفلسفة وسياسة ، وهو جدير بما ناله من ذيوع فى الشرق والغرب وإذا كانت بعض الأقلام العربية لا تهتدى إلى تقديره فإن المخلصين من عشاق الفكر الخالد فى أوربا قد عرفوا له مكانته وفسحوا مجال النقد والتقريظ لحقائقه ، وفى طليعتهم العالم الطليانى «ساتيلانة» والبارون «كرادى ثو» الذى يقول فى كتابه (مفكرو الإسلام) بعد حديث طويل عن الشيخ : «وكتاب أين الإنسان . وضعه المؤلف بطريقة روائية فلسفية ، وهو فى هذا يشابه الفارابى من حيث الفكرة ، وابن طفيل من حيث الأسلوب والمنهج فجمع بين دقة الفكر وجمال الأسلوب .

والأستاذ في منحاه يذكرنا بأساليب لمائنا وأدبائنا في أوربا مثل « توماس موروس » و « كامبانيلا » ومعاصرنا « هانيريتز » ثم عرج « كرادي فو » على وصف الأستاذ للجمعية الإنسانية بما لا يشرفها . وأنه يتمنى أن تكون الدول جميعها مؤسسة على الحب العام وتبادل المنافع ، ثم وازن بين فكرة الأستاذ طنطاوى وفكرة دارون الإنكليزي ونيتشه الألماني وهي إبادة الضعفاء وغلبة الأقوياء وقال ما نصه « فمثل هذا الكتاب المملوء حكمة وعلما ، الغزير المادة ، السامي الفكرة ، الناتج عن تفكير عميق ، وبحث يقل نظيره ، يدعو دعوة حارة إلى سعادة الأمم أجمعين ويدعو أيضا بالحماسة الشديدة إلى التجديد العام ، وهو مفخرة لمصر والإسلام » ياليت قومي يعلمون ! يفني الشيخ طنطاوى في الأمة العربية ويذكره أعلام الغرب مقارنا بالفارابي وابن طفيل ونيتشه وداروين وموررس ! وهكذا نظل غافلين عن أفذاذنا حتى يقدمهم إلينا غيرنا من مكان بعيد ! أيكون العود الماطر في أرضه نوعا من الحطب كما يقال ! على أن الدعوة إلى السلام العالمي لم تكن مجرد فكرة قوية لدى الأستاذ سيطرت عليه بإلحاحها زمناً ما فسجلها في كتاب « أين الإنسان » وفرغ منها لغيرها كما يفعل كبار الكتاب ، بل كانت هذه الدعوة العظيمة دما يسرى في عروقه وعصبا يمتد في رأسه ، فأخذ يقلبها على شتى الوجوه ويدعمها بما يزيد رسوخها من الأدلة والبراهين . ورأى أن ينشرها في أفق عالمي فسيح فكتب كتابه « أحلام السياسة » باللغة الإنجليزية ، ونشره في أوربا ثم ترجمه في خريف حياته إلى اللغة العربية ليستفيد منه من يأنس إلى النظر الثاقب من صفوة قراء العرب - وقليل ما هم - ونحن بعد قراءة أحلام السياسة وموازنته بأين الإنسان نجد الروح الطنطاوى واحدا لا يختلف وإن كنا نلمس من البراهين والحجج الكرنية كل طريف جديد .

لقد نظر الأستاذ إلى أبعاد الكواكب السيارة عن الشمس فوجدها جارية على سنن هندسية مضبوطة محددة فهي كما كشفها العلامة بود .

٣ - ٦ - ١٢ - ٢٤ - ٤٨ - ٩٦ وهكذا .

فالنسبة بين هذه الأعداد لا تشذ فكل عدد يسلم إلى ضعفه دون زيادة أو نقصان ثم نظر إلى أشكال المادة وتنوعها فوجد الأحجار الساقطة تتبع نظاما حسابيا يرجع إلى الجذر والتربيع والمتواليات العددية ، ثم يجد هذا الجذر مسيطرا على حساب البنادل وحركات الضوء والصوت والحرارة والكهرباء بنظام لا يشذ بزيادة ونقصان كما وجد العناصر المشهورة المبدوءة بالأيدروجين المختومة

بالأورانيوم تتبع جدولا يضم متفرقها ويجعل بينها نسبا أفقية وأخرى رأسية بحيث لو وضع فى غير موضعه لاختل النظام ؟

وتابع النظر فى عشرات الأشياء حتى وصل إلى هذه النتيجة التى لخصها فى آخر مقال نشره فى حياته بمجلة الرسالة ٢٠/٣/١٩٣٩ فقال مستنداً إلى (أحلام السياسة) .

« كيف يكون لهذه العوالم هذا الجدول المنظم وتكون بينها هذه النسب البديعة ، ولا يكون للإنسان هذا النظام ! كلا ، العقل ينكر هذا ! هاهنا تحل مشكلة العالم ، هاهنا عرفنا سبب النزاع المقـــام بين الأسرات والممالك ، هأنذا عرفت سبب الجمال فى الحقول والسموات ليلا ونهاراً فأما أسباب الشقاء والنزاع بين الإنسان فالبحث جار فيه .

وكما رأينا نظام العناصر المختلفة فى جدولها تماما رأينا لأوراق النبات على الأشجار المختلفة جداول منظمة ذوات نسب فى الصفوف الرأسية والأفقية ، فهل فى شرعة الإنصاف أن نعتبر أفراد الإنسان فى هذا العالم كمية مهملة لا نظام يجمعهم ولا قانون يكبحهم ، وقد رأينا النسب والقوانين لم تذر ذرات الأيدروجين مع ذرات الصـــوديوم ، ولا ورقات التفاح مع ورقات الأعشاب ، ولا حركات سقوط الأحجار : كلا كلا ، إن قوى نوع الإنسان وعقوله لها نسب خفية ، وكل امرىء فى الأرض له نسب إلى غيره فى أمته وفى غيرها ، ولما خفى ذلك على الناس حاروا فى أمرهم فلم يجدوا مناصاً من الحرب، لأنهم لم يهتدوا إلى نظامهم ، فكل يزعم أن له عند الآخر حقاً يريد أخذه بالقوة » .

وتمضى أحلام السياسة فى هـذا النسق فتعرض صفحات مثيرة عن نظام الحشرات والجوارح والضوارى وعالك النحل والنمل والهوام ، وتتحدث عن المعادن والأحجار بما يؤيد قضية السلام فى منطق جرىء .

ولم يكد يظهر هذا الكتاب فى أوربا حتى قام له المفكرون وقعدوا ، وتحدث عنه العلامة الشهير « مارغيلوس » بمجلة الجمعية الآسيوية الملكية فيمن تحدثوا من مشـاهير النقاد وقد وازن موازنة دقيقة بين الفيلسوف « كانت الألمانى » والأستاذ طنطاوى جوهرى المصرى فقال : « إن عنوان هذا الكتاب يذكرنا بكتابين نشرهما العلامة كانت الألمانى فى السلام العام ، فإنه وإن كان عالما بالرياضة والفلك ، لم يستعملهما فى السلام العام أما الشيخ طنطاوى جوهرى فإنه أدخل فيه هذين العلمين ، وأضاف إليهما علم النبات والكيمياء والتشريح وعلم النفس ، فهذه العلوم كلها قد جعلها المؤلف وسيلة توصل إلى حل مشكلة السلام العـام » .

أما العلامة كريستان جوب فقد حضر من لكسمبرج إلى مصر سنة ١٩٣٨ ليلتى العالم الفيلسوف الشيخ طنطاوى جوهرى ! وقد

نقلت جريدة المقطم حديثاً عنه بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٣٨ يعلن فيه ، أنه حضر إلى مصر هذه المرة مخصوصاً للتشرف بمعرفته شخصياً بعد ما عرفه عن بعد ، وترجم كتابيه « أحلام السياسة » و« أين الإنسان » ولم يكتف بهذا الحديث الصحفي بل ألقى محاضرة في جمعية الشبان المسلمين كلها شرح مستفيض لابتكارات الأستاذ وتفكيره الهادف الأصيل.

هذا قليل من كثير مما يقال عن الفيلسوف خارج بلاده ، أما داخلها فلم تتقبل جميع الأذهان أهدافه الإصلاحية ، ومراميه العلمية ، فأعجب قوم بآثاره ، واقتنوا أبحاثه وأسرعوا إلى دروسه ومحاضراته . وناوأه آخرون وصاولوه ، وانتقلوا من الجدل العلمي إلى الوقيعة السياسية حتى اضطر إلى أن يردد الشكوى المريرة من هؤلاء وأن يقول في أحد مؤلفاته .

(إليك اللهم أشكو جور الحساد وغيظهم ، يقولون إذا خلوا مع الموظفين من أمة الإنجليز ، إن هذا إلا متعصب للدين فإذا تركتموه وشأنه أثار الثائرات ، وشن الغارات ، ويقولون للموظفين المصريين : ألا إنما هو خارج مؤول في الدين ، وإذا لقوا فريقاً آخر قالوا إنه خلط العلم مع الدين ، ومزجهما معاً خبط ضائع ، اللهم إني سأعمل بما قلت لنبيك صلى الله عليه وسلم ، فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، إنا كفيناك المستهزئين) .

وقد أثمرت هذه الدسائس ثمرها المرير ، فخورب الرجل في وظيفته ردحاً ما وانتقل من التدريس الجامعي إلى التدريس الثانوي وترك القاهرة إلى العواصم النائية ، وحوصرت داره مرات ، وصـــوردت مسوداته ومخطوطاته ، ولكن الليل لم يمتد به فقد أشرق عليه الصباح فواصل الكفاح في استبسال .

وقد كان السرور النفسي يغمره حين يجد التقدير الصائب من ذوي الإنصاف ، ويهون عليه ما يكابد من غصص الحاقدين ومكايد الجاهلين ، فهو يعرف لنفسه قدرها ويقرأ ما يكتبه أعلام الفكر في أوربا عنه فيشعر بالارتياح .

لقد كانت الصحف الغربية تقرنه بالأستاذ الإمام محمد عبده إذا تعرضت لبعض مؤلفاته بالنقد والتحليل ، ويوازن الدكتور (هارتمان) بين المصلحين الكبيرين فيجدهما يعملان على التوفيق بين المدنية الغربية والعلم الغربي وبين الحياة الاجتماعية والدينية في مصر ، ويقول إن الشيخ الطنطاوي كان يردد تعاليم الأستاذ الإمام مثل قوله : « إن الإسلام دين العقل لا دين التقليد ، وأن العلم إذا أحسن فهمه يصبح أداة صالحة لفهم الدين » ومثل مناهضته للمغالاة في تقديس الأولياء ومثل قوله « إن الاقتصار على مذهب واحد من مذاهب الفقه سبب الجمود والتأخر في الإسلام وأن الاجتهاد هو خير حل لجميع العلل » .

د : محمد رجب البيومي

معركة بين الكسائي وسيبويه

للأستاذ محمد علي الطعمي

نشبت هذه المعركة الضارية من غير أن تدق فيها طبول الحرب الرهيبة ، ومن غير قائد يعبيء الكتائب ويأمر بحمل السلاح .. ومع ذلك كان نشوبها مر المذاق ، صعب المراس ، احتدم بين قرمين استعذبا القتال وفارسين تشوقت قلوبهما إلى ملحمة لم يسمع بمثلها في تاريخ الحروب ، ثم تمخضت عن شهيد وقع قتيلا في هذه المعمعة ، دون أن يمسه القاتل بضربة من خنجر أو طعنة برمح أو لكمة بيد ، وتقول الروايات ، إن هذا الاشتباك الغير المسلح هز قصر الخليفة هزا ، وأقلق بال الجماهير الشعبية ، ووقف له البرامكة حيارى مدهوشين ... وتبدأ فصول المعركة برجل مجهول الشخصية خامل الذكر ، يدعى الكسائي ، كل معلوماته ومؤهلاته أنه يحسن القراءة والكتابة ، وله صلة قوية وصداقة متينة بشيخ من علماء النحو واللغة ، كان يتردد على مجلسه كثيرا ، ليأخذ عنه شيئا من المعرفة ويتزود ببعض العلوم ...

وفي يوم انتابت الكسائي وعكة خفيفة ، فتحامل على نفسه وذهب لزيارة صديقه النحوي كالمعتاد ، فسأله عما أصابه ، فقال الكسائي : « لقد عييت » بضم العين وتشديد الياء الأولى ، فغضب صديقه كل الغضب ، وأظهر امتعاضا وألما وقال له :

أتجالسني وأنت تلحن ... ؟

قال الكسائي

كيف لحنت ... ؟

قال الشيخ الصديق :

إن كنت أردت من كلامك انقطاع الحيلة والتحير في الأمر . فقل « عييت » مخففا ، وإن كنت أردت من التعب فقل « أعييت » بسكون العين وفتح الياء الأولى ...

سمع الكسائي هذا التصحيح المفاجيء من صديقه النحوي ، فتميز غيظا ، وأدرك أنه جاهل تماما بمخابر الألفاظ وصحة التعابير ، فاعترته حمرة الخجل وصفرة الوجل ، وفي ساعتها قام مستأذنا ، وسأل عن أشهر علماء النحو ، فدلوه عن (معاذ الهراء) . فأزمع السفر إليه ولزمه سنين عددا ، يرتشف من علمه وينهل من مورده حتى قارب على النضج والاستواء ...

لم يكتف الكسائي بهذا القدر العظيم الذى ناله من اللغة العربية ، فأم البصرة ، وفيها رأى الخليل وما يتمتع به من شهرة واسعة وفضل كبير ، فسأله فى لهفة ، من أين لك هذا ؟؟ فأجابه الخليل من نجد وتهامة وبوادى الحجاز ، فشد الكسائي رحله إلى تلك البقاع الناضرة ، وفيها تتلمذ على الشيوخ ، وتعمق فى أسرار اللغة وشواردها إلى أن أصبح نابغة ... ومن الأساطين الذين يقيمون الحجة تلو الحجة ، والدليل مع الدليل ...

غادر الكسائي أرض الحجاز عالما متعمقا وعبقريا ملهما ، وفى الكوفة ألقى عصا التسيار فرآها صاخبة بأولى الفضل ، مزدحمة بمعاهد التعليم ، وعندها استعداد لبروز شخصيته ، وذيوع صيته ، لكن لا سبيل إلى ذلك إلا إذا صال وجال ، وناظر أولئك المتصدرين على فلك المعانى والبيان ...

وتحين الكسائي أول فرصة مواتية ، فدخل مسجد البيع ، مع آذان الفجر ، حيث صلى مع المصلين ، وعلى بعد أمتار منه وجد حمزة بن حبيب الزيات ، أحد القراء السبعة المشهورين ، وجده جالسا على كرسى ، وحوله عديد من تلاميذه ، جاءوا ليقرأوا عليه القرآن الكريم ، ويأخذوا عنه روايته المعروفة ، فكان الكسائي أول من اندفع إليه وبدأ يقرأ عليه من أول سورة يوسف حتى بلغ قصة الذئب ، فقال « فأكله الذئب » من غير همزة ، فنظر إليه التلاميذ نظرة نكراء ، وقال له حمزة مصححا « فأكله الذئب » بالهمزة ، فقال الكسائي وكذلك أهمز الحوت فى قوله تعالى « فالتقمه الحوت » قال حمزة لا .. قال الكسائي ، ولم همزت الذئب ولم تهمز الحوت ؟

عندئذ تكهرب الجو وتلعثم حمزة ، وارتعشت أصابع يديه ، فأشار إلى خلاد أنبغ تلاميذه لكى يرد على الكسائي ، لكن خلادا انعقد لسانه ـ وأصابه اضطراب ، وقال للكسائي أفدنا أفادك الله .

قال الكسائي متطاولا .. السبب فى هذا هين وبسيط ، لأنك إذا نسبت الرجل إلى الذئب تقول . استذأب الرجل بالهمزة ، ولو قلت استذاب الرجل من غير همزة ، لكأنما نسبته إلى الهزال ، تقول استذاب الرجل من غير همزة ، أى ذهب شحمه ، وإذا نسبته إلى الحوت تقول استحات الرجل ... أى كثر أكله ، لأن الحوت يأكل كثيرا ولا يجوز فيه الهمز . ولا يخفى أن الذئب لا تسقط الهمزة من مفرده كما لا تسقط فى جمعه وأنشد قائلا .

أيها الذئب وابنه وأبوه

أنت عندى من أذؤب ضاربات

انتهى الكسائي من رده الذى جاء محكما ،

فتطلعت إليه أنظار الطلاب فى إعجاب مشير ودهشة بالغة . وأخذت تتصفح أسارير وجهه الذى أشرق بهذا الانتصار العظيم .

لم يقتنع الكسائى بهذا المجد المؤثل الذى حققه . فتاق إلى شهرة أوسع تروى طموحه العجيب . فرحل إلى بغداد عاصمة الخلافة فوصلها حثيثا ، وفى أشهر معدودات أصبح يجالس الخليفة الرشيد ، ويحظى بمقابلاته وإنعاماته حتى أثار حفيظة ، أبو يوسف القاضى ، الذى كان يتحامل على الكسائى ، ويتغامز عليه . كلما وجد إلى ذلك سبيلا الأمر الذى غاظ الكسائى ، وجعله يأخذ حذره ، ويستعد لمعـــركة فاصلة ، تطيح بهذا القاضى الثرثار .

وفى يوم أخذ أبو يوسف يذم النحو والنحويين أمام الكسائى ، وكان الخليفة الرشيد جالسا . فقال له الكسائى . ما تقول فى رجل قال لرجل . ، أنا قاتل غـلامك ، بالتنوين والنصب ، وقال له آخر ، أنا قاتل غلامك ، بالإضافة ؟ ؟ أيهما تأخذ به وتوقع عليه الجزاء ؟ قال أبو يوسف ، آخـذ بهما جميعا ، فقال الرشيد ـ وكان ضليعا فى اللغة ـ أخطأت ، فخجل أبو يوسف وقال كيف ذلك ، وعندئذ تصدى الكسائى قائلا . إن الذى يؤخذ بقتل الغلام هو الذى قال ، أنا قاتل غلامك ، بالإضافة ، لأنه فعل ماض ، أما الذى قال ، أنا قاتل غلامك ، بالتنوين والنصب فلا يؤخذ بشىء . لأنه كلام للمستقبل لم يحدث بعد ، قال الله تعالى ، ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ، فلولا أن التنوين للمستقبل لما جاز فيه ، غدا ، بالنصب .

بهذا الموقف الصامد استطاع الكسائى أن يحتل مكانة مرموقة فى بغداد ـ واستطاع أن يرد على هجوم العلماء ، ويذيق بعضهم اليأس والخوف ومرارة الهزيمة فأجمعوا أمرهم ودبروا له مكيدة ، واتفقوا فيما بينهم أن يناظروه مناظرة ساخنة ترهبه وترعبه وتكدر قلبه النشوان ، وبذلك يرحل من قصر الخلافة ، لكن من الذى يناظـــره ويتحداه؟ ومن الذى يقف أمامه وجها لوجه وهو فارس عنيد لا يشق له غبار ؟ من ؟ إنه سيبويه شيخ أئمـــة النحاة ومؤدب أولاد الخليفة ، ويملك الدين بالتقوى والدنيا بالمال . وله فى القصر أمر ونهى وجاه ، ولا يرد له كلام .

طارت أنباء هذه الخطة المرسومة فى مدينة بغداد حتى قرعت أذن الكسائى نفسه ـ فهلل وكبر ـ وقال جاء الفرج من عند الله ، ثم رمق أنصار سيبويه بنظرة احتقار ، ورماهم بالجهل والنزق ، واتهمهم مع شيخهم بالسطحية . . وقال عنهم إنهم قوم لا يعلمون .

وسيق الأمراء والوزراء والعلماء والجماهير

الشعبية الهادرة إلى قصر من قصور البرامكة الفسيحة ، ليشهدوا مناظرة وجت الارض رجا ، وجاءها البدو والحضر من كل فج عميق ، وتلاحم المحكمون العدول ، وذوو الرأى والحجا وأفذاذ البلغاء .

جلس الكسائى هادئا رزينا ومهاجما ... وبكل بساطة ، قال لسيبويه ، ما تقول فى قول العرب « كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور ، فإذا هو هى أو فإذا هو إياها » ؟ قال سيبويه « أقول فإذا هو هى ، ولا يجوز إياها بالنصب » . قال الكسائى « أخطأت لأن العرب ترفع ذلك وتنصبه » لكن سيبويه أصر على رأيه ، وصمم الكسائى على ورود الوجهين . إلا أن المحكمين شهدوا بأن القول ما قاله الكسائى ، وأن الحق فى جانبه ، فصفقت له الجموع المحشودة ودوت حناجرها بالهتاف ...

أين سيبويه داهية النحو وعملاق البيان ؟ أين هذا الشيخ المتفتح عبقرية وذكاء والذى طالما دوخ العلماء وأطاح بزعماء النحويين ؟

لقد أصيب بخيبة أمل كبرى ، فتاها دوار شديد جعله يخرج من قصر البرامكة لاعنا المحكمين والمتفرجين ، والكسائى الأحمق المجهول ...

والحق يقال ... إن سيبويه عز عليه أن يهزم على رءوس الأشهاد ، وعز عليه أن تخف موازينه فى ساحة الوزراء الضاربة ، مع رجل لا هو فى العير ولا فى النفير . وبالامس لم يكن شيئا مذكورا ، فثقلت عليه العلة يوما بعد يوم ، فحمله أنصاره ومريدوه إلى مسقط رأسه بمدينة « البيضاء » من أعمال الفرس ، حيث وافته منيته ، وهو فى ريعان الشباب وعمر الزهور .

ومن يومها تبوأ الكسائى عرش النحو والادب ، وأصبح محفوفا بالهيبة والوقار ، لا يجرؤ عالم على مناظرته . ولا أستاذ على منازلته . قال الفراء : أعجبتنى نفسى فأتيت الكسائى لأناظره مناظرة الأكفاء فكأنى كنت طائرا يغترف من البحر بمنقاره .

لفت هذا النبوغ أنظار البرامكة فاتخذوه سميرا ، واستطاع هؤلاء أن يفتحوا له قصر الخلافة على مصراعيه ، فأصبح الكسائى خليل الرشيد ومستشاره ومؤدب أولاده ، وأستاذهم الذى يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

مرت الليالى سراعا والأيام تباعا ، والكسائى تتضاعف انتصاراته ، وتبرز مواهبه ، وفى كل يوم يزحف إلى الأمام قدما ويحقق آمالا عظمى ، وأحلاما كبرى حتى إذا استوى على شطئه ، جاءته سكرة الموت بالحق سنة ١٨٩ هـ ، وهو فى صحبة الرشيد بمدينة الرى ، فحزن عليه كل الحزن ، ورثاه بلسانه ، وبكاه من عينه وقلبه .

محمد على الطمى

مكتبات خالدة

٢ - مكتبة الأمويين فى قرطبة

للأستاذ محمد جبر أبو سعدة

فى المقال السابق تحدثت عن المكتبة العباسية فى بغداد ، وأوضحت أن الرغبة فى نشر العلوم وجمع الكتب قد تمكنت من بعض خلفاء بنى العباس وأن الخليفة المأمون قد تفوق عليهم جميعا فى هذا المضمار، مما كان من نتائجه المباشرة تأسيس وازدهار أول وأشهر مكتبة إسلامية فى الشرق الإسلامى فى بغداد .

وفى هذا المقال فإننى أدعو القارىء إلى رحلة سريعة نلقى فيها عصا التسيار فى الأندلس حيث المدينة الخالدة « قرطبة » عاصمة الجناح الغربى من العالم الإسلامى لفترة مديدة من تاريخ الإسلام شهدت فيها مجدا عظيما ، وعاصرت حضارة عملاقة كانا ولا شك جزءا لا ينفك من كل أعظم وأكبر هو المجد الإسلامى والحضارة الإسلامية .

وستكون مهمتنا فى هذه الرحلة السريعة التنقيب عن واحد من أهم معالم الحضارة الإسلامية . فى الأندلس ، ذلكم هو مكتبة بنى أمية فى قرطبة ، وسوف يقتضينا هذا أن نحاول استعادة جانب من تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى حتى يمكننا تكوين فكرة عامة وصحيحة عن هذه المكتبة ، وستكون هذه الفكرة مرجعنا فيما بعد فى تسجيل حقيقة تاريخية علمية هامة هى التى ستكون موضوعا للمقال الرابع والأخير فى هذه السلسلة إن شاء الله ...

والآن إلى مكتبة قرطبة الخالدة :

فى منتصف القرن الرابع الهجرى تولى الحكم فى الأندلس خليفة أفاضت المصادر التاريخية فى الحديث عنه وعن حبه للعلم وشغفه بجمع الكتب وتزيين مجلسه بأكابر العلماء والأدباء وبذله فى سبيل ذلك المال الجم الكثير . ذلكم هو الخليفة الأموى الأندلسى الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ)

وهو المعروف فى تاريخ الأندلس بالحكم الثانى . وكانت فترة حكمه - على قصرها - خيراً وبركة على العلم والعلماء فى قرطبة والأندلس جميعا حيث تميزت هذه الفترة بنشاط علمى ثقافى متعدد الجوانب ...

ومن المهم أن نشير إلى وضع الأندلس حين تولى الحكم الثانى مقاليد الأمور فيها ؛ فقد كان هذا الوضع - بصفة أساسية - هو الذى ساعد الحكم على إشباع رغبته ونشر هوايته العلمية بين رعيته ، لقد تولى الحكم زمام السلطة عقب وفاة أبيه عبدالرحمن الناصر الذى استمر حكمه مدة خمسين عاما كاملة من بداية القرن الرابع الهجرى حتى منتصفه ، أنفق هذه السنين الطوال فى بناء صرح الاستقلال وتوكيد دعائم الاستقرار لمملكته العريضة حتى أصبحت شخصيته وشخصية الأندلس موضع اعتبار وإجلال فى المحيط الدولى ، وأضحت قرطبة عاصمة عالمية تحظى باهتمام خاص من مختلف الدول ، وتستقبل كثيرا من وفود هذه الدول وسفرائها الذين يرغبون فى خلق صلة وثيقة بينهم وبين الخلافة الإسلامية فى الأندلس (١)

وخلاصة الأمر أن الحكم الثانى قد ورث عن أبيه ملكا ثابت الأركان مستقر الدعائم تزخر خزائنه بما فيها من أموال لا تقع تحت حصر . وفى هذا الوضع المستقر وجد المناخ الملائم لقيام النهضة العلمية التى كانت شخصية الحكم من أقوى بواعثها .

روى القاضى صاعد الأندلسى أنه اشتهر « بفرط محبته للعلم وبعد همته فى اكتساب الفضائل وسمو نفسه إلى التشبه بأهل الحكمة من الملوك فكثر تحرك الناس فى زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم »(١).

ويقول ابن حزم الأندلسى : « وكان (أى الحكم) رفيقا بالرعية محبا للعلم ، ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم ... وأقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت إليها بضائعه من كل قطر »(٢) .

وعبارة ابن خلدون عنه أكثر إيضاحا وتفصيلا ، يقول : « وكان يبعث فى شراء الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار ،

---

(١) كان عبدالرحمن الناصر ٣٠٠-٣٥٠هـ أول من سمى نفسه بأمير المؤمنين عندما أصبحت الخلافة العباسية ضعيفة واستبد الأتراك بالأمر دون الخلفاء . وكان ذروة ذلك أيام المقتدر بالله الذى قتل بيد مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلاثمائة من الهجرة ... انظر المعجب لعبد الواحد المراكشى تحقيق محمد سعيد العريان ص ٥٤ =

= ونفح الطيب للمقرى تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج ١ ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(١) طبقات الأمم - ط مطبعة التقدم ص ٨٨ .

(٢) جمهرة أنساب العرب تحقيق ليفى بروفنسال ط دار المعارف ص ٩٢ .

ويرسل إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه ، وبعث فى كتاب الأغانى إلى مصنفه أبى الفرج الأصفهانى ، وكان نسبه فى بنى أمية ، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين ، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه بالعراق، وكذلك فعل مع القاضى أبى بكر الأبهرى المالكى فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك(١).

وغير هؤلاء كثيرون تحدثوا عن الناحية العلمية فى شخصية الحكم الثانى ، وخلاصة أقوالهم أنه لاتساع أفقه العلمى ودقة نظره وعظيم استفادته من قراءته وصحبته للعلماء وغشيانه مجالس الدرس والبحث كان بفضل جمع الكتب واستجلاب المصنفات من البلاد الأخرى على لذائذ الملوك وشهواتهم حتى أصبح أحد أجنحة القصر الملكى فى قرطبة غاصا بمئات الألوف من الأسفار والمجلدات المختلفة الفنون، وكان هذا الجناح هو مايعرف فى التاريخ باسم مكتبة قرطبة الأموية ...

ويفهم من النصوص الواردة بالمصادر التاريخية التى تناولت هذه المكتبة أنها قد أسست فى عهد عبد الرحمن الناصر أى فى حوالى العقد الرابع من القرن الرابع الهجرى وبإذن منه ، ولكن على يد الحكم الثانى وبجهوده هو . يروى صاعد الأندلسى أنه « لما مضى صدر من المائة الرابعة انتدب الأمير الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وذلك فى أيام أبيه إلى العناية بالعلوم وإلى إيثار أهلها ، واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التآليف الجليلة والمصنفات الغريبة فى العلوم القديمة والحديثة وجمع منها فى بقية أيام أبيه ثم فى مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهى ما جمعته ملوك بنى العباس فى الأزمان الطويلة»(١)

على أن الستة عشر عاما التى قضاها الحكم على رأس الدولة الأموية بالأندلس من ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ كانت تمثل العصر الذهبى لمكتبة قرطبة ، ونجد مصداق ذلك فى عديد من أقوال المؤرخين المتقدمين ؛ فيروى عبد الواحد المراكشى والعلامة ابن خلدون وغيرهما أن هذا الخليفة العالم قد جمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والإجادة فى التجليد فأوعى من ذلك كله ، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده(٢).

ولم يكن هذا الجهاز المخصص لتزويد مكتبة قرطبة بكل جديد فى عالم التآليف بالأندلس هو وحده الذى يعتمد عليه الحكم فى إثراء

(١) العبر لابن خلدون ط بولاق ٤/١٤٦

(١) طبقات الأمم ص ٨٨ .

(٢) أنظر المعجب للمراكشى ص ٦٢ ، والعبر لابن خلدون ج ٤ ص ١٤٦ .

مكتبته وزيادة محتوياتها ، بل إنه أرسل سفراءه من العلماء وبعث بهم إلى كل قطر لإحضار كل ماهو ثمين من الكتب ، وقدم من أجل ذلك المال الوفير وهو أكثر مايكون رضا وغبطة .

تحدث المؤرخون عنه فقالوا : « وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه ، وكان ذا غرام بها ، قد آثر ذلك على لذات الملوك ، فاستوسع علمه ، ودق نظره ، وجمت استفادته »[1].

وقالوا : « وكان الحكم يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار ويرسل إليهم الأموال لشرائها ، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه »[2]

ونتيجة لهذه الجهود الصادقة التي بذلها الحكم فإنه قد تكونت في قرطبة مكتبة كبرى اعتبرها القلقشندي إحدى مكتبات ثلاث تفوقت على غيرها من المكتبات الإسلامية في العصور الوسطى يقول في صبح الأعشى : « إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن ... الثالثة : خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس وكانت من أجل خزائن الكتب أيضاً ... »[1] .

فإذا تحدثنا بلغة الأرقام عن محتويات هذه المكتبة العريقة ، فإن هذه الأرقام تقول : « إنها كانت أربعمائة ألف مجلد »[2] . بل وصل بها أحدهم إلى أكثر من ذلك فقال : « وكان في مكتبة الخليفة الحكم الثاني بقرطبة ستمائة ألف كتاب »[3] .

وإذا اتضح الاختلاف بين هذين الرقمين الكبيرين في تحديد أعداد الكتب التي ضمتها مكتبة قرطبة فإننا برغم ذلك نخرج بحقيقة ثابتة هي أن هذه المكتبة كانت من الضخامة والاتساع بحيث تستطيع منافسة كبريات المكاتب في زماننا هذا ! .

ومكتبة على هذه الدرجة من الضخامة والعظمة لا بد أنها كانت تسير على نظام معين يجعل الاستفادة من كنوزها سهلة ميسورة ،

---

(١) نفح الطيب للمقري ج ١ ص ٣٧١ .

(٢) المعجب للمراكشي ص ٦١ .

(١) صبح الأعشى ـ ط دار الكتب ج ١ ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(٢) نفح الطيب للمقري ج ١ ص ٣٧١ . والإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ط دار الكتب ص ٢٤٦ .

(٣) حضارة العرب لجوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ط دار إحياء الكتب العربية ص ٥٢٧ .

وعماد هذا النظام هو الفهارس التي جمعت فيها أسامي الكتب ورتبت بحيث يعمد إليها المطالع أولا حتى يستطيع تحديد نوع ورقم الكتاب الذي يريد قراءته . ومن المعلوم أن هذا هو النظام المعمول به في معظم مكاتب عصرنا الحاضر . حدث أبو محمد بن حزم قال : « وأخبرني تليد الفتى - وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس - أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط » (١)

ويلاحظ أن من تناولوا هذه المكتبة بالذكر قد أغفلوا الحديث عن رجالها الذين كانوا يقومون بالخدمة المكتبية فيها يستثنى من ذلك رواية ابن حزم السابقة - وقد نقلها عنه كل من جاء بعده من الكتاب - والتي تضمنت اسم واحد من العاملين بها وهو تليد الفتى الذي شغل منصب الخازن (أمين المكتبة) ومن البدهي أن مكتبة على هذا القدر من الكبر لا تكتفي بواحد في إدارتها وتسهيل الخدمة فيها ، بل إن المنطق ليجزم بأن أكثر من واحد كانوا - إلى جانب تليد - مخصصين للعمل بالمكتبة متفرغين لخدمة روادها ، ولا ينفي ذلك عدم تعرض الكتاب لهم وإغفال ذكرهم .

وجدير بهذه المكتبة أن تتيه فخرا بنخبة ممتازة من أساطين العلم والأدب ، ترددوا عليها واستفادوا من نفائسها ، ونذكر من هؤلاء أبا على القالي صاحب الأمالي ، والخطيب الفقيه منذر ابن سعيد البلوطي قاضي قرطبة في عهد كل من عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، وأبا بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي الأديب صاحب أخبار النحويين ، ومختصر كتاب العين . وغيرهم من الأعلام والمشاهير .

ومن دواعي الأسى أن هذه المكتبة لم تعمر طويلا ، ولم تستمر في أداء رسالتها العلمية على الوجه الأكمل ؛ فإنه عقب وفاة مؤسسها وداعيها الحكم الثاني عدت عليها العوادي وامتدت إليها اليد التي لم تعرف للعلم قدره وقداسته ، وقد تحدث أكثر من مصدر عن حصار البربر لقرطبة أثناء المحاولة الناجحة التي قام بها المنصور بن أبي عامر للاستيلاء على السلطة ، وأثناء ذلك الحصار أخرجت الكتب من خزائنها في القصر الملكي وأحرق بعضها وأتلف البعض الآخر . [وسوف أكتفي هنا بإجمال رواية القاضي صاعد الأندلسي التي تعتبر في رأيي أقرب إلى الاقتناع بها فأقول : إن المنصور بن أبي عامر الذي تطلع إلى السلطة

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحقيق ليفي بروفنسال . ط دار المعارف ص ٩٢ .

ورام الاستئثار بها دون هشام المؤيد الذي خلف أباه الحكم الثاني - وكان هشام مايزال صبيا صغيرا - أراد أن يتقرب إلى العامة من الناس ويتودد إليهم فاستخرج كتب الفلسفة والنجوم وغيرها من علوم الأوائل ، وفصلها عن سائر الكتب وأحرق بعضها وقذف بالبعض الآخر فى آبار القصر وهيل عليها التراب، حيث كانت هذه الكتب - على حد قوله - مذمومة عندهم بل كانوا يتهمون قراءها بالإلحاد والزيغ !

ولم يكن هذا العمل - الذى يذكر للمنصور بالاستنكار - هو الفصل الأخير من قصة حياة مكتبة قرطبة وإنما كانت الخاتمة عندما تفرقت كلمة الأندلس عقب وفاة المنصور عام ٣٩٢ﻫ، وتهددت زعامة قرطبة على الجناح الغربى من العالم الإسلامى ، ثم تلاشت مع بداية القرن الخامس الهجرى بزوال ملك الجماعة ووجود ما يعرف فى تاريخ الأندلس بملوك الطوائف فتسربت الكتب من قصر قرطبة إلى كل مكان [١] .

ولم يعد يسمع بعدئذ خبر عن تلك المكتبة الخالدة التى كانت ذات تأثير كبير فى الحركة العلمية الرائدة بالأندلس على إمتداد القرن الرابع الهجرى ؟

محمد جبر أبو سعدة

---

(١) انظر طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ص ٨٨ ، ٨٩ .

يقول الله تعالى :

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين » (الجمعة . الآيات ٢ - ٥)

تصحيحات لكتاب لسان العرب في طبعتيه

للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة

— ٣ —

(٢٦) بيت الطرماح :

وقعن اثنتين واثنتين وفردة
يبادرن تغليسا سمال المداهن

روى هكذا في المذكر والمؤنث ص ١٩٧ وفي المخصص ج ١٧ ص ٢٤ : تبادر

وحرف في اللسان (زوج) فذكر ينادون بالياء والنون مكان يبادرن . السملة : بقية الماء في الحوض . المدهن : نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء . ط بولاق ج ٣ ص ١١٦ س ٧ ، ط بيروت ج ٢ ص ٢٩٢ س ١٩ .

(٢٧) بيت رؤبة :

إن تشف نفسى من ذبابات المسك
أجز بها أطيب من ريح المسك

روى (أجز) بالجيم والزاى في المذكر والمؤنث ص ١٩٨ ، وتهذيب إصلاح المنطق ج ١ ص ٦ ، وحرف في اللسان (مسك) إلى (أحر) بالحاء والراء المهملتين في موضعين (أجز) جواب الشرط لم يقترن بالفاء شذوذا . ضبط في ديوان رؤبة (أن) بفتح الهمزة وهو خطأ .

ط بولاق ج ١٢ ص ٣٨٦ س ٢١٦ ط بيروت ج ١٠ ص ٤٨٧ س ٢١ ، ١٥ ا .

(٢٨) البيت :

إذا اصطكت بضيق حجرتاها
تلاقى العسجدية واللطيم

حجرتاها ، بفتح الحاء في المذكر والمؤنث ص ٢٠٧ ، وفي مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤١٥ وضبطها اللسان في (عسجد ، لطم) بضم الحاء وهو ضبط خاطىء لأنه نص في (حجر) على أن الحجرة بمعنى الناحية بفتح الحاء .

ط بولاق ج ٤ ص ٣٨١ س ٢٠ ، ج ١٦ ص ١٧ س ٤ .

ط بيروت ج ٣ ص ٢٩٠ س ٢٥ ا ، ج ١٢ ص ٥٤٣ س ٢٠ ب .

(٢٩) المثل «يأكل وسطا ويرابض حجرة» يربض ، بكسر الباء في المذكر والمؤنث ص ٢٠٧ ، وفي مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤١٥ ونص على ذلك أيضا اللسان في (ربض) ولكن في (حجر) ضبطت الباء في يربض بالضمة وهو خطأ . المثل يضرب لمن يساعدك ما دمت في خير .

ط بولاق جـ ٥ صـ ٢٤١ س ٥ ، ط بيروت جـ ٤ صـ ١٦٩ س ١٦ ا .

(٣٠) بيت جرير :

وهبان مدين لو رأوك تنزلوا
والعصم من شعف العقول الفادر

هكذا فى ديوان جرير صـ ٣٠٥ وقبله .

يا أم طلحة ما لقينا مثلكم
فى المنجدين ولا بغور الغائر

وفى اللسان (رهب) ضبط (رأوك) بفتح الكاف والصواب كسرها لأن المخاطب أم طلحة فى البيت السابق .

كذلك ضبط فى اللسان (الفادر) بضم الراء والصواب الكسر .

ط بولاق جـ ١ صـ ٤٢١ س ١٢ ، ط بيروت جـ ١ صـ ٤٣٧ س ٢١ ا .

(٣١) فى اللسان (ملح) بيت جرير :

إلى المهلب جـد الله دابرهم
أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف

والرواية : آل المهلب كما فى ديوان جرير صـ ٣٩٠ والكامل للمبرد جـ ٧ صـ ٤١ .

ط بولاق جـ ٣ صـ ٤٣٨ س ٤ ، ط بيروت جـ ٢ ص ٦٠٠ س ٢٠ ا

(٣٢) بيت الشماخ :

كأن نطاة خيبر زودته
بكور الورد ريثة القلوع

ضبط فى اللسان (نطا) بكور ، بالرفع ، وكذلك ريثة ، وهما منصوبان صفة لموصوف محذوف ، أى حمى تباكر بوردوها جسمه ، وريثة القلوع : بطيئة فى مفارقة جسمه . نطات خيبر : حصن .

وانظر المذكر والمؤنث ص ٣٢١ . وديوان الشماخ ص ٥٧ .

ط بولاق جـ ٢٠ ص ٢٠٦ س ٨ ، ط بيروت جـ ١٥ ص ٣٣٢ س ٢٢ ب .

(٣٣) بيت المتنخل الهذلى :

أجزت بفتية بيض خفاف
كأنهم تملهم سباط

روى هكذا فى المذكر والمؤنث ص ٢٢١ بضم ميم (تملهم) وفى المصباح المنير .

« مللت الخبز واللحم فى النار ملا من باب قتل » .

ضبط فى اللسان (سبط) بفتح ميم (تملهم) وكذلك فى ديوان الهزليين جـ ٢ ص ٢٩ ساباط : الحمى .

ط بولاق جـ ٩ ص ١٨٣ س ١٨، ط بيروت جـ ٧ ص ٣١١ س ٢٥ ب .

(٣٤) الإيام ، بكسر الهمزة : الدخان هكذا بهذا الضبط فى المذكر والمؤنث ص ٢٢٤ وفى اللسان (آم) ، وفى ديوان الهزليين جـ ١ ص ٢٠٩ .

ط بولاق جـ ٢ ص ٤٣٢ س ١٧، ط بيروت جـ ٢ ص ١٢٧ س ١٥ ب .

(٣٥) البيت :

ويأكل الحية والحيوتا
ويدمق الأقفال والتابوتا

يدمق : بكسر روى هكذا فى اللسان (أنط ، دمق) وحرف فى (حى) إلى ويدمق الأغفال .

ط بولاق جـ ١٨ ص ٢٤١ س ١٤ ، ط بيروت جـ ١٤ ص ٢٢٠ س ١٤ ب .

(٣٦) فى اللسان (روح) : « الريح . هو عند سيبويه فعل ، وعند أبى الحسن فعل أو فعل » .

والصواب العكس فريح عند سيبويه يحتمل أن يكون فعلا أو فعلا وعند أبى الحسن الأخفش فعل لا غير :

انظر كتاب سيبويه جـ ٢ ص ٣٦٤ ، والمقتضب جـ ١ ص ١٠١ .

ط بولاق جـ ٣ ص ٢٨١ س ١٣ ، ط بيروت جـ ص ٢ ٤٥٥ س ٢٤ ، ٢٥ أ ، س ٢٨ ب .

(٣٧) بيت رؤبة :

كسر من عينيه تقويم الفوق

ضبط فى اللسان (فوق) بنصب (تقويم) والصواب الرفع .

انظر أراجيز العرب ص ٣٣ ، والديوان ص ١٠٧ .

ط بولاق جـ ١٢ ص ١٩٥ س ١٩، ط بيروت جـ ١٠ ص ٣٢٠ س ١ ا .

(٣٨) فى اللسان (نحر) « وناقة نحير ، ونحيرة فى أنيق نحارى) والصواب فى أينق ، بتقديم الياء على النون كما فى المذكر والمؤنث ص ٢٢٧ وقد تكلم على أينق وما تحتمله من القلب المكانى وغيره سيبويه جـ ١ ص ٣١٧ ، جـ ٢ ص ١٢٩ ط بولاق جـ ٧ ص ٤٨ س ١٠ ، ط بيروت جـ ٥ ص ١٩٥ س ٢٦ ب .

(٣٩) فى اللسان (عصر) « قال منصور ابن مرثد الأسدى » .

ومثله فى العينى جـ ٤ ص ٤٤٤ .

والصواب : منظور بن مرثد الأسدى كما فى السمط ص ٦٨٤ وترجمته فى الخزانة جـ ٢ ص ٣٣ ، ومعجم الشعراء ص ٣٧٤ ط بولاق

جـ ٦ ص ٢٥٣ س ١ ، ط بيروت جـ ٤ ص ٥٧٦ س ٢١ ب .

(٤٠) فى اللسان (ملح) : وملحت الناقة فهى ملح : سمنت قليلا ، ومنه قول عروة ابن الورد :

أقمنا بها حيناً وأكثر زادنا

بقية لحم من جزور ملح »

وقال ابن الأنبارى فى المذكر والمؤنث ص ٢٧٦ فى باب ماجاء من النعوت على (مفعل) بكسر العين : « ناقة ملح ، إذا كان فيها شىء من الشحم ، قال عروة :

ينوءون بالأيدى وأفضل زادهم

بقية شحم من جزور ملح

وكذلك ذكر ابن سيدة فى المخصص جـ ١٦ ص ١٣٣ - ١٣٤ فى باب (مفعل) .

فعلى هذا يكون صحة كلام اللسان : ملحت الناقة ، بالبناء للفاعل فهى ملح اسم فاعل » .

ط بولاق جـ ٣ ص ٤٤٢ س ١٧ ، ١٨ ، ط بيروت جـ ٢ ص ٦٠٤ س ١٨ ، ٢٠ أ

(٤١) المثل « سبق درته غراره » ضبط فى اللسان (غرر) برفع درته ونصب غراره والصواب العكس كما فى المذكر والمؤنث ص ٢٧٧ ومجمع الأمثال جـ ١ ص ٣٣٦ . والمعنى كما يقول الميدانى : سبق شره خيره . الغرار : قلة اللبن . والدرة : كثرته .

ط بولاق جـ ٦ ص ٣٢١ س ١٠ ، ط بيروت جـ ٥ ص ١٧ س ١٥ أ .

(٤٢) الأبيات التى مطلعها :

لقد تركت فؤادك مستجنا

مطوقة على فنن تغنى

نسبت فى اللسان (لحن) إلى يزيد بن النعمان وهى فى سمط اللآلىء لبريه بن النعمان .

ط بولاق جـ ١٧ ص ٢٦٥ س ٢٠ ، ط بيروت جـ ١٣ ص ٣٨١ س ١٦ ب . (يتبع)

محمد عبد الخالق عضيمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » .

(رواه أحمد والترمذى والنسائى)

مايقال عن الإسلام

التشريع الإسلامي

للدكتور أحمد فؤاد الاهوانى

خاض المستشرقون فى معظم العلوم الإسلامية ، ولكنهم لم يلتفتوا إلى الفقه الإسلامى أو التشريع الإسلامى ولم يصوبوا إليه أنظارهم ويوجهوا عنايتهم فى الدراسة والبحث ، اللهم إلا منذ عهد قريب جدا . كانت عنايتهم فى القرن الماضى موجهة إلى التصوف ثم إلى علم الكلام والفرق الإسلامية واهتموا بدراسة العلوم كالحساب والهندسة والفلك والطب ، وذلك منذ القرن الماضى كما استمر اهتمامهم بالقرآن وما يتصل به ساريا وبعلوم الحديث جاريا . أما الفقه الإسلامى فقد انصرفوا عنه . ولعل ذلك يرجع فى الأغلب إلى أن الدول الإسلامية التى خضعت للاستعمار . الانجليزى أو الفرنسى هجرت أحكام الفقه الإسلامى وأصبحت تطبق القانون المدنى ، المستمد فى الغالب من القانون الفرنسى . وبذلك لم يعد للفقه الإسلامى إلا أهمية تاريخية ، اللهم إلا فى العبادات .

ومع ذلك فالفقه الإسلامى جدير فى ذاته بالدراسة . وقد توفر بعض الباحثين فى أوربا على هذه الدراسة ، لذاتها وبصرف النظر عن أى أغراض استعمارية .

وقد عرضنا فى مقال سابق للدراسة الموجزة التى قام بها الأستاذ « بوسكيه » الفرنسى عن الفقه الإسلامى ونعرض الآن لدراسة أخرى بقلم الأستاذ « يوسف شاخت » سجلها فى كتاب بعنوان « مدخل إلى التشريع الإسلامى » An Introduction to Islamic Law, 1964 وصدر هذا الكتاب سنة ١٩٦٤ أى منذ أربعة أعوام ولهذا الأستاذ المعروف بدراساته الإسلامية كتاب آخر صدر منذ زمن وطبعته الثالثة سنة ١٩٥٩ ، هو أصول الفقه الإسلامى The Origins of Muhammadan Law هذا إلى جانب مقالات كثيرة فى مجلات الاستشراق .

وقد كتب المؤلف كتابه متبعاً منهجا يقسم البحث جزأين ، الأول تاريخى ، يتتبع فيه نشأة التشريع الإسلامى والثانى موضوعى يتحدث فيه عن الموضوعات المختلفة التى

ينقسم إليها الفقه الإسلامى ، كالإيجار والبيع والرهن وغير ذلك وهذه قسمة عادلة ، لأن البحث فى تاريخ التشريع الإسلامى شىء يختلف عن البحث فى التشريع نفسه بحسب ما انتهى إليه فى الوقت الحاضر .

ومن مزايا هذا الكتاب أنه يعنى بالمراجع ويسجل ثبتا يكاد يكون وافيا بالموضوع فضلا عن الرجوع إلى المؤلفات الحديثة فى الفقه الإسلامى المكتوبة بأقلام عربية ، سواء من رجال القانون المدنى مثل كتاب مصادر الحق للدكتور السنهورى أو بأقلام المتخرجين فى الأزهر مثل كتاب تاريخ التشريع الإسلامى للمرحوم الأستاذ الخضرى (١) بك ، والشيخ المرحوم محمد يوسف موسى فى كتابه مدخل لدراسة الفقه الإسلامى ، وغير ذلك .

ونحن لا ننتظر من المستشرقين أن يلموا بتاريخ التشريع الإسلامى إلمام جميع أهله وأربابه .

لا شك أن التشريع الإسلامى بعيد عن التأثر بالثقافات الأجنبية ، على خلاف ما قيل بالنسبة للفلسفة ، أو علم الكلام ، أو التصوف بل لقد قيل إن النحو العربى قد تأثر بالفلسفة اليونانية .

وعلة ذلك أن المصدر الأول للتشريع هو كتاب الله ، المنزل على النبى ؛ ولا جرم أن القرآن وحى إلهى وتشريع سماوى معظم عنايته بالأصول العامة ، وفيه بعض الآيات المتعلقة بالفروع ، وقد قيل : لا اجتهاد مع النص .

والمصدر الثانى هو السنة « النبوية » من قول أو فعل أو إقرار ، والسنة مبينة للكتاب وفيها تفصيل لبعض ما جاء مجملا فى القرآن .

فإن لم يوجد نص فى الكتاب أو السنة ، لجأ الفقيه أو « القاضى » إلى الاجتهاد برأيه لحديث الرسول عليه السلام عندما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن وسأله كيف يقضى؟ فكان جوابه أن يبدأ بالكتاب ، ثم بالسنة ثم يجتهد برأيه إن لم يجد نصا فى أى واحد منهما . ومعنى ذلك أن « الاجتهاد » مبدأ مقرر فى حياة الرسول ، وليس مستمدا من مصادر أجنبية .

وهذا ما بينه المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق فى محاضراته ، ونشره فى كتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» ، وذهب فيه إلى أن التفكير المبتكر الأصيل والمتجرد من أثر الثقافات الأجنبية هو أصول الفقه ، وبخاصة الشافعى فى رسالته .

أما أن يقال إن الفقه الإسلامى فى نشأته لم يكن إسلاميا بحتا ، وإنما تأثر بالفقه اليونانى والرومانى ، وبالشريعة الموسوية ،

---

(١) نشأ الخضرى بك نشأة أزهرية ثم انتقل منها إلى نوع آخر من التعليم .

فهذا شيء يعد مقحما على البحث العلمى المجرد وتتضح فيه نية تجريد الثقافة الإسلامية من كل فضل .

وليس هذا بغريب عن مستشرق ، يهودى يرغب فى النيل من الحضارة الإسلامية باسم البحث العلمى ، وفى الوقت نفسه يقوم بإقحام الثقافة اليهودية والإعلاء من شأنها ، بغير سند معروف .

هذه التهم الموجهة إلى الإسلام ليست جديدة ، ولكن الإصطبار على ترديدها هو الذى يلفت النظر حقا ، بعد أن عدل كثير من الغربيين أنفسهم عن تكرار مثل هذه الاتهامات الباطلة ، وعلى رأسها أن محمداً عليه السلام هو الذى كان يتصرف كحاكم على المدينة بغير وحى إلهى ، وأن كثيراً من التشريع الوارد فى القرآن استمرار لما كان معروفا إما عند العرب فى الجاهلية ، أو النصارى فى شبه الجزيرة ، أو اليهود فى المدينة .

وسنقتصر على ذكر ما أورده المؤلف من أهواء لا تتفق مع الحق أو الحقيقة ، دون الاستطراد إلى موضوعات الفقه نفسها فهى معروفة لدينا .

* * *

قطع يد السارق من الأمور الفقهية المنصوص عليها فى القرآن . ومن المعروف أن عمر بن الخطاب ، الخليفة الثانى بعد أبى بكر ، أفتى بعدم قطع يد السارق فى عام المجاعة ، وبيان ذلك فقهياً خاضع للقاعدة المشهورة بأن الضرورات تبيح المحظورات .

ولكن ليس هذا ما نقصد إليه ، إذ أن الاجتهاد فى هذه المسألة من الواضح أنه يرجع إلى المسلمين أنفسهم لا إلى أى مصدر آخر .

أما هذا المستشرق [1] فيقول :

إن عقوبة السارق وهى قطع اليد بنص القرآن قد عدل عنها إلى الجلد كما يشهد بذلك « يوحنا الدمشقى » الذى ازدهر فيما بين ٧٠٠ ، ٧٥٠ ميلادية ، دليل على صعوبة فرض عقوبة لم تكن معروفة عند العرب .

نقول : إن عقوبة قطع اليد أوقفها عمر ابن الخطاب لضرورة ، وهذه الضرورة كانت موقوتة ، وليست خروجا على نص الكتاب وقد روعيت هذه العقوبة أى قطع يد السارق على مر التاريخ الإسلامى . ويرجع تطبيقها أو عدم تطبيقها إلى تمسك الحاكم بالعدل والشرع .

ويقول : إن ثمة حالات كثيرة تحلل فيها المسلمون من النص الصارخ لآيات القرآن ، ومن الأمثلة على ذلك قصر الدليل على الشهادة وإنكار صحة الوثيقة المكتوبة ، مما يتنافى

---

(١) الإشارة هنا إلى الأستاذ يوسف شاخت فى الكتاب المذكور آنفا ، ولم نتقيد ببيان الصفحات اكتفاء بالكتاب .

مع صريح آيات قرآنية تنص على كتابة عقود يوثقها شهود ، ويذكر « يوحنا الدمشقى » الاعتماد على شهادة الشهود وحدهم باعتبار أن ذلك من عادات العرب فى زمانه ، وأكبر الظن أن ذلك أصبح مقرراً حول منتصف القرن الأول من الإسلام .

نقول: إن اعتماد المستشرقين على أخبار يوحنا الدمشقى وعدم تحرى الأخبار الواردة عند مؤرخى الإسلام ، لدليل على الهوى . أما الكلام فى شهادة الشهود والوثائق المكتوبة ، فأمر فرعى يرجع إلى طبيعة القضايا التى يفصل فيها ، ذلك أن شهادة الشهود واجبة فى حالة الزنا ، ولا عبرة بالوثائق المكتوبة . والكتابة ضرورية فى البيع والإيجار ، وقد تعززها الشهادة ، ولم يعدل الفقه الاسلامى أبداً أو مطلقاً عن الوثائق المكتوبة .

ويقول : إن الأحكام الخمسة فى الفقه ، وهى الواجب والمندوب ، والمباح ، والمكروه ، والحرام ، وما يتصل بها من مصطلحات فقهية مثل قولهم بالعقد الصحيح أو الباطل ، أو الفاسد وغير ذلك ، إنما استمده الفقهاء من الفلسفة الرواقية ، وليس لديهم دليل مؤكد على ذلك سوى ما يقولونه من أن النصارى الذين اعتنقوا الإسلام كانوا يرفلون فى حلل الثقافة اليونانية والتى كانت سائدة فى الشام والعراق . وقد أدى هذا التعليم إلى معرفة بعض أوليات القانون التى كانت لازمة لكل من يطلب العلم « بالخطابة » . وتسربت هذه القوانين إلى الدولة الرومانية ومنها إلى قانون جستنيان ، وكذلك إلى دولة فارس الساسانية ، وإلى الشريعة التلمودية . فلا غرابة أن تتسرب كذلك إلى هذا الدين الناشىء .

نقول : إن القول بالتحليل والتحريم والإباحة التى هى الوسط بينهما ، والمندوب الذى هو أقرب إلى الوجوب ، والمكروه الأقرب إلى التحريم ، سلم من الأحكام التى وردت بنص القرآن . وليس من المعقول أن يكون القرآن الكريم ، كلام الله ، ذلك التشريع السماوى ، قد استمد أحكامه من الرواقية ، وإنما المعقول أن الحل والحرمة ظاهرة عامة إنسانية ، شرعها الله لخير الإنسان ، بحسب قاعدة الأمر والنهى ، حين أمرنا بأفعال تأخذ بيد الفرد والجماعة والإنسانية كلها إلى الصلاح ، فأوجب علينا عبادات واعتقادات كالتوحيد والصلاة والزكاة والصوم ، كما أوجب علينا معاملات مثل رد الأمانة إلى أهلها ، والوفاء بالكيل والميزان . وفى القرآن آيات ، الحرمة فيها واضحة بلفظ التحريم ، مثل حرمت عليكم الميتة الخ . وأخرى الحرمة فيها بلفظ الأمر ، وعندما جاء الفقهاء ، ورتبوا الأحكام الفقهية

فسموها فى هذه الخمسة المذكورة ، وهو تقسيم يرجع إلى اجتهاد الفقهاء من المسلمين أنفسهم وإلى دقة نظرهم وتأملهم .

• • •

ونحب أن نوجه النظر إلى الفصل الأخير وهو « طبيعة الشريعة الإسلامية » إذ يتحدث المؤلف فيه عن فلسفة هذا التشريع ، أهو متماسك منظم ، أم متنافر مفكك لا تجمعه رابطة . أهو معقول أم لا معقول ، وإذا كانت فيه أجزاء تتنافى مع المعقول فما مصدرها ، وما سببها .

وفى ذلك يقول المؤلف ما فحواه : إن طبيعة التشريع الإسلامى محدودة إلى درجة كبيرة بتاريخه ، وتاريخه خاضع للتباين بين النظر والعمل . وهو كذلك محدود بأرض الإسلام ، ملزم للمواطنين فى ظل الدولة الإسلامية ، ولذلك فإنه لا يدعى صفة عالمية والتشريع الإسلامى شاعر بصفته الدينية وتطلعه إلى مثل أعلى دينى فالاعتبارات الدينية والأخلاقية تسود كل قاعدة من قواعده ، ولقد كان أوائل الفقهاء أنفسهم هم الذين وضعوا نظام التشريع الاسلامى . ولم يستعيروا هذا النظام من الشرائع السابقة على الاسلام[1] .

(ص ٢٠٢) .

غير أن المؤلف لا يلبث أن يناقض نفسه ، وفى نفس الصفحة ، قائلا إن هذه الصفة المقدسة للتشريع الإسلامى كانت سبباً فى أن يحمل بعض ملامح لا معقولة ومتنافرة ، جاءت من أن أصلين من أصوله هما القرآن والسنة .

والعناصر اللامعقولة فى التشريع الإسلامى بعضها إسلامى وبعضها الآخر من أصل سابق على الإسلام . مثال ذلك « الظهار » و « اللعان » و « القسامة » ، حتى إن الشافعى وهو أعظم منظم للفقه لم يستطع أن ينجح فى خلع صبغة عقلية على مثل تلك النظم ، يرضى عنها .

مهما يكن من شىء فإن الأحكام التى يصدرها المؤلف شديدة العموم ، وعرضة للمناقشة الواسعة ، ويبدو فيها الاضطراب والتناقض .

وقد يمكن أن يقال إن نظرته إلى التشريع جديدة ، لأنه يخضعها لبحث جديد كل الجدة وهو علم الاجتماع ، وهو نفسه يشير إلى ذلك ويرجو أن ينهض الباحثون بإجراء مثل هذه الدراسة لأنها لا تزال فى بدايتها ، إن النظرة الاجتماعية إلى الفقه يتضح منها وجود منهجين أدى كل منهما إلى وضع المذاهب الفقهية ، وهما المنهج التحليلى والمنهج القياسى .

كما يبين سوسيولوجيا التشريع : Sociology og law أن التشريع الإسلامى

(١) هذا يتعارض مع ما سبق أن قرره المؤلف من إستعارة كثير من قواعد الفقه الاسلامى من النصارى أو الروم أو اليهود أو الرواقية .

ذو صفة فردية (١) . وأنه على الرغم من المكانة العظيمة التى يشغلها منهج الإصلاح الاجتماعى (بمعنى zocial) وتحسين أوضاع الضعفاء اجتماعيا فى القرآن ، فإن التشريع الإسلامى فى بنائه القانونى يعد فرديا تماماً ، وهذا واضح مثلا من تركيب قانون الوراثة ، حيث يصبح كل وريث مالكا مباشرة لنصيبه الشخصى ؛ بل حتى فى نظام الوقف الذى كانت آثاره الاجتماعية كبيرة ، ولكنه من جهة وظيفته القانونية فردى من حيث إن ريع الوقف الذى ينص عليه الواقف له قوة القانون .

وينبغى أن نميز فى التشريع الإسلامى ، وكذلك فى غيره من التشريعات ، بين النوايا الاجتماعية للمشرع ، وبين الصفة السيولوجية لتشريعه (٢) . (ص ٢٠٨ - ٢٠٩) .

حقا هذا بحث جديد ، ندعو فقهاء القانون فى العالم العربى والإسلامى إلى دراسته ، وبخاصة فى هذه الآونة التى يحاول فيها كثير من الباحثين تطبيق مناهج جديدة من البحث على الإسلام ، ويدعو كثير من المفكرين المحدثين إلى البحث فيه من ناحية الصفة الاجتماعية للدين الإسلامى حتى فى العبادات ، كالزكاة والحج . إلى درجة أن الصلاة التى تعد صلة فردية وشخصية بين العبد والرب ، لها صفة اجتماعية ، لأن صلاة الجمعة وكذلك العيدين لا تصح إلا « جماعة » ، وصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد ؟

احمد فؤاد الاهوانى

---

(١) المقصود بصفة فردية : individ a Listic character أن التشريع الإسلامى يحتفظ للفرد بكيانه المستقل فى مقابل التشريعات التى تلغى كيان الفرد فى سبيل الجماعة ، وما أورده المؤلف بعد ذلك فى تحليله لما جاء فى القرآن دليل على نظريته ، كالزكاة المفروضة على كل فرد باعتبار أنه فرد قائم بذاته .

(٢) الصفة السيولوجية Sociological نسبة إلى علم الاجتماع ، وينبغى التفرقة بين اجتماعى (Social) ، وبين سيولوجى (Sociological) . فالاجتماعى يقال فى مقابل الفردى ، أما السيولوجى فهو البحث القائم على علم الاجتماع لا على علم النفس ، أو فى مثل هذا البحث : على القانون ، ولذلك ميز المؤلف بين نية المشرع الاجتماعية ، وبين القوانين التى تصدر بالفعل وتكون خاضعة للبحث فى علم الاجتماع ، مثال ذلك أن نظام الوقف نظام سيولوجى . ونية الفقيه من التشريعات الخاصة بالوقف تعد من النوايا الاجتماعية لأن الواقف حين حبس العين ، وخصص ريعها على طلبة العلم مثلا كانت نيته اجتماعية . أما الصفة القانونية لهذا التشريع فهى صفة سيولوجية .

الكتب

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيي الدين الألوائي

— ١٨ —

الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف (١)

للشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي

مؤلف هذا الكتاب الشيخ قطب الدين أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المشهور بشاه ولي الله الدهلوي ـ صاحب حجة الله البالغة. وتناول الكتاب موضوع أسباب الاختلاف في الفروع من الأحكام الفقهية ، ومذاهب الفقهاء ، فأتى على أسباب اختلاف الصحابة ، موضحا موضع الاختلاف ومتحريا الأصل الذي أولوه وخرجوه وكذلك المحدثين ، فقد سرد مآخذهم ورواياتهم ، وكذلك أتى المؤلف على أسباب اختلاف أئمة المذاهب الأربعة ، فقد بين الموارد التي استقى كل واحد منهم قوله منها ، وشرح الأدلة التي أقامها كل منهم لترجيح مذهبه ، ويعتبر هذا الكتاب مع صغر حجمه كثير الفوائد لكل باحث يريد الإحاطة بهذا الموضوع الخطير .

ويشمل الكتاب ـ مقدمة وثلاثة أبواب وثلاث فوائد . وفي المقدمة أوضح المؤلف أسباب وضع هذا الكتاب والظروف التي أحاطت به .

---

(١) طبع بمصر مع تنقيح وتعليق لفيف من العلماء .

وقد رتب المؤلف الأبواب ترتيبا متناسقا يليق بمن يتصدى لموضوع مثل موضوع الاختلاف بين الصحابة والتابعين وكبار الفقهاء ، حيث تناول فى الباب الأول أسباب اختلاف الصحابة والتابعين فى الفروع ، وفى الباب الثانى بين أسباب اختلاف مذاهب الفقهاء ، وفى الثالث تحدث عن أهل الحديث وأصحاب الرأى والفرق بينهما . واستهل الباب الأول بقوله :

« أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن الفقه فى زمانه الشريف مدونا ولم يكن البحث فى الأحكام يومئذ مثل بحث هؤلاء الفقهاء حيث يبينون بأقصى جهدهم الأركان والشروط والآداب ، كل شىء ممتازاً عن الآخر بدليله ، ويفرضون الصور من صنا ئعهم ويتكلمون على تلك الصور المفروضة ويحدون ما يقبل الحد ويحصرون ما يقبل الحصر ، إلى غير ذلك أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يتوضأ فيرى أصحابه وضوءه فيأخذون به من غير أن يبين هذا ركن وذلك أدب . وكان يصلى فيرون صلاته فيصلون كما رأوه يصلى . وحج فرمق الناس حجه ففعلوا كما فعل ، وهذا كان غالب حاله صلى الله عليه وسلم ولم يبين أن فروض الوضوء ستة أو أربعة . ولم يفرض أنه يحتمل أن يتوضأ إنسان بغير موالاة حتى يحكم عليه بالصحة والفساد إلا ما شاء الله وقلما كانوا يسألونه عن هذه الأشياء .

ثم أخذ المؤلف فى سرد بعض الأحاديث يستدل بها على قوله المذكور : عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض ، كلهن فى القرآن ، منهن : يسألونك عن الشهر الحرام فقال فيه ، ويسألونك عن المحيض . قال ابن عمر رضى الله عنهما لا تسأل عما لم يكن ، فإنى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يلعن من سأل عما لم يكن . عن عمرو بن اسحاق قال : لمن أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ممن سبقنى منهم ، فما رأيت قوما أيسر سيرة ولا أقل تشديداً منهم .

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى بيان مبعث الاختلاف بينهم : إذ تفرق الصحابة فى البلاد وصار كل واحد مقتدى للناس فى مصر من الأمصار فكثرت الوقائع وتنوعت المسائل وتطورت حياة الناس ، فاستفتوا فيها فأجاب كل واحد فيما يتعلق بالفروع والأحكام ، حسب ما حفظه واستنبطه ، وإن لم يجد فيما حفظه أو استنبطه ما يصلح للجواب اجتهد برأيه وعرف العلة التى أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الحكم فى منصوصاته ، فطرد

الحكم حيثما وجدها لا يألو جهداً فى موافقة غرضه صلى الله عليه وسلم ، فعند ذلك وقع الاختلاف بينهم للأسباب الآتية :

أن صحابيا سمع حكما فى قضية أو فتوى ولم يسمعه الآخر ، فاجتهد برأيه فى ذلك ، ومنها أن يروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل فعلا لحمله بعضهم على القربة وبعضهم على الإباحة ، مثاله ما رواه أصحاب الأصول فى قصة التحصيب إلى النزول بالأبطح عند النفر ، نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به فذهب أبو هريرة وابن عمر إلى أنه على وجه القربة ، لجعلوه من سنن الحج . وذهبت عائشة رضى الله عنها وابن عباس إلى أنه كان على وجه الاتفاق وليس من السنن .

وبعد أن عرض أمثلة من ضروب الاختلاف فى الرأى بين الصحابة والتابعين ومباعثها انتقل المؤلف إلى أسباب اختلاف مذاهب الفقهاء ، وفى تناوله لهذه الأسباب رجع بها إلى النقاط الآتية ، أولا : إن بعض الأحاديث الصحيحة لم تبلغ علماء التابعين ممن أسند إليهم الفتوى فاجتهدوا بآرائهم أو اتبعوا العموميات أو اقتدوا بمن مضى من الصحابة . فأفتوا حسب ذلك ، ثم ظهرت بعد ذلك فى الطبقة الثالثة ، فلم يعملوا بها ظنا منهم أنها تخالف عمل أهل مدينتهم وسنتهم التى لا اختلاف لهم فيها ، أو لم تظهر فى الثالثة وإنما ظهرت بعد ذلك عندما أمعن أهل الحديث فى جمع طرق الحديث إلخ . وثانيا ـ أنه لم تكن قواعد الجمع بين المختلفات مضبوطة عندهم ، فكان يتطرق بذلك خلل فى مجتهداتهم وثالثا ـ لما جاء عصر التابعين زادت المصادر فكان من كبار التابعين من له فتاوى فى حوادث لم تكن فى عهد النبى ولا الصحابة ، كما كان لهم آراء فى تقدير الصحابة من الناحية الفقهية ، فمنهم من يفضل أقوال عبد الله بن مسعود ـ مثلا ـ على غيره ، ومنهم من يفضل آراء على وابن عباس إلى غير ذلك ، ويغلب أن هذا الترجيح يرجع إلى البلد الذى فيه الصحابى والتابعى ، وجاء بعد التابعين طبقة أخرى تعمل عمل التابعين ، ثم تشعبت الطرق والمذاهب فى المسائل الفقهية .

بعد أن استوعب موضوع الاختلاف بين مذاهب الفقهاء وأسبابه انتقل إلى الباب الثالث الأخير وركز فيه الكلام على الفرق بين أهل الحديث وأصحاب الرأى ، وبين فيه حال الناس قبل القرن الرابع وبعده ، وقال فى مستهل هذا الموضوع : (كان الناس قبل القرن الرابع غير مجمعين على التقليد لمذهب واحد بعينه ، قال أبو طالب المكى فى قوت القلوب : إن الكتب والمجموعات محدثة ، والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد واتخاذ قوله والحكاية له من كل شىء والتفقه على مذهبه

لم يكن الناس قديما على ذلك فى القرنين الأول والثانى) (١) .

وأنهى المؤلف كتابه ببحث عن أهل الظاهر وأهل الرأى ، فقال : ليس المراد بالرأى نفس الفهم والعقل ؛ فإن ذلك لا ينفك من أحد من العلماء ، ولا الرأى الذى لا يعتمد على سنة أصلا فإنه لا ينتحله مسلم ، ولا القدرة على الاستنباط والقياس ، فإن أحمد وإسحاق والشافعى أيضا ليسوا من أهل الرأى بالاتفاق ، وهم يستنبطون ويقيسمون ، بل المراد من أهل الرأى قوم توجهوا ، بعد المسائل المجمع عليها بين المسلمين أو بين جمهورهم ، إلى التخريج على أصل رجل من المتقدمين ، فكان أكثر أمرهم حمل النظير على النظير والرد إلى أصل من الأصول دون تتبع الأحاديث والآثار . والظاهرى من لا يقول بالقياس ولا بالآثار كأبى داود وابن حزم ، وبينهما المحققون من أهل السنة كأحمد وإسحاق ...

وحسب المؤلف أنه قدم بحثا فياضا أحاط بهذا الموضوع الخطير ؟

محى الدين الألوائى

(١) نص ما جاء فى الكتاب .

قال تعالى :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

صدق الله العظيم

« يارب الحجيج »

لك الدين يارب الحجيج جمعتهم	لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة	إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت	لديك ولا الأقدار مختلفات

(أحمد شوقى)

أنباء وآراء

● أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى « المجلس الوطنى الفلسطينى » أن المخطط الصهيونى اتخذ من أرض فلسطين نقطة بداية ولن يتورع عن دفع هدفه حتى النهاية طالما أتيحت له الفرصة . وهو يتصورها اليوم متاحة له بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ . ويترتب على ذلك أن يكون واضحا بالنسبة لكل بلد عربى أنه لا يعطى للنضال الفلسطينى ما يعطيه منه أو تكرما أو لمجرد التضامن العاطفى وإنما هو يعطى ما يعطيه دفاعا عن النفس ودفاعا عن الحياة فى إطارها الوطنى وفى بعدها القوى .

إن الجمهورية العربية المتحدة تعارض بطريقة قاطعة أية محاولة لفرض أية وصاية على منظمات المقاومة ، لأن مثل هذه الوصاية لن تؤدى إلا إلى تعويق انطلاق المقاومة ، ومن ثم اعتراض طريق نموها الطبيعى .

● صرح مصدر خبير بالشئون الإسلامية فى مستواها الدولى بأن : « أحد الغربيين وضع ما أسماه « مصحفا » وادعى أنه رتبه حسب النزول ، وقد مضى على هذا الكتاب الموضوع نحوا من سبعمائة عام » .

وهذا الخبر يلقى ضوءا قويا على الأحداث الأخيرة التى تزعمها « محمد الباقر » المواطن اللبنانى . كما أنه يشير إلى مصدر لنسخته المهربة وقد وافينا هذا الخبر حقه فى نفس الباب من العدد الماضى .

● عقد « أرنولد توينبى » المؤرخ الانجليزى مقارنة بين الرسول صلى الله عليه وسلم .. ثم غاندى ، ونشرت صحيفة « الديلى ستيسمان » مقالة توينبى وقد حدثت بسببها اضطرابات عنيفة فى « كلكتا » احتجاجا على ما ورد بالمقال .

● صدر قانون فى جمهورية جنوب اليمن الشعبية ، يقضى بالاقتصار على « اللغة العربية » فى جميع المكاتبات الرسمية فى دواوين الحكومة والمحاكم وغيرها .

قضى هذا القانون على استعمال اللغة الإنجليزية فى الدوائر الرسمية .

● نص الدستور السودانى المقترح على اعتبار « الإسلام » الدين الرسمى للدولة .

● سيطرت على « الندوة الفلكية » التى انعقدت بالقاهرة فى ذى العقدة ١٣٨٨ بخصوص تحديد أوائل الشهور العربية ثلاثة اتجاهات كان على أولها رجال المساحة ، وثانيها رجال

الفلك ، وكلاهما اعتبر الأرقام غير مخطئة ، وكان الاتجاه الثالث يمثله رجال الدين وقد اعتبر الشيخ أبو العلا البنا أن أية محاولة بدون دراسة « لباب الهلال » خطأ ، وأن إصدار أية توصيات بلا مناقشة معناها « إجهاض الندوة ».

وقال الشيخ هريدى مفتى الجمهورية العربية المتحدة : إننا نعترف بالحساب الفلكى كأساس لتحديد أوائل الشهور العربية ، ولكننى لا يمكن أن أتجاهل الأحكام الشرعية ، ولا أنكر الحديث الشريف الذى يقول (بشأن تحديد أول رمضان): «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وعلى ذلك فإننا نختلف مع العلم فى الموانع الطبيعية .

ثم تكونت لجنة فنية مهمتها « تحديد الدرجة العلمية التى عندها تجوز رؤية الهلال » ثم صرح فضيلة المفتى بقوله: إن الاعتماد على الحساب الفلكى ضرورة ، ولكن الأهم هو وضع الحد الأدنى للرؤية ، وعلى هذا الأساس سأصدر الفتوى بناء على ما يقوله المرصد ، ومع ذلك سأوسل رجال الإفتاء إلى الأماكن المحددة كتقليد ، وكلمة المرصد هى الأساس وستكون طبقا للأوضاع والقيود التى انتهت إليها الندوة حتى لو أبلغتنى دولة عربية إسلامية لظهور الرؤية لديها .

● كتبت صحيفة يومية فتوى لفضيلة الشيخ أحمد هريدى مفتى الجمهورية العربية بشأن « من يحلف على مصحف . أو يحلف بالطلاق - لمرشح بانتخابه » وذكرت الصحيفة فتوى الشيخ بخصوص « حلف المصحف » فقالت : إن الذى يحلف على المصحف بانتخاب شخص معين ثم ينتخب الأصلح منه للوطن يكون قد أدى الصواب ، ويكفر عن يمينه ، لأن الشرع يبيح له ذلك ، ولم تذكر الصحيفة شيئاً عن اليمين الأخرى وتضيف إلى ما نشر :

أن من حلف بالطلاق لمرشح بانتخابه ثم رأى غيره خيراً منه وأصلح للوطن . فاختار الأصلح فيمينه هـــذه كاليمين السابقة تقع وزوجه طالق ، ولا كفارة ليمين الطلاق . وإنما تجرى أحكام الطلاق نفسها ، ولا يعتبر يمينه عن إكراه .

وإذا كان لا يليق بمرشح همه الأول رعاية المصالح الوطنية ، وفى مقدمتها « صيانة الأسرة » اللبنة الأولى فى جسد الأمة - أن يرتكب هذه الجريمة التى تفتت الأسرة ، فإن من الحق أن يستسلم أى ناخب لهذه الجريمة ، فيضيع حق الوطن فى تقديم الأصلح له ، ويهدد بناء أسرته - ثم يفقد قبل ذلك كله حرية ضميره وحسن اختياره ويتغاضى عن أقدس حقوق الوطن والأسرة ؟

على الخطيب

فهرس أبجدى عام

المجلد الأربعين

لمجلة الأزهر عام ١٣٨٨ هـ

During the Benin dynasties before Islam, the Yorobas of southern Nigeria believed in a God called "Oloron." The word signifies the owner of the Heavens. They believed that Olorn is the creator of all beings, that He is potent and might and that every soul will be at his mercy and jus'ice.

These three examples show that the Supreme God in the beliefs of most of the west African people is the same as Allah. It is obvious that these beliefs are parallel to many of the Islamic faiths in Allah if compared with verses of the Qur'an as :

« الله الذى خـــلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء ... ... »

(ابراهيم ٣٢)

It means : "Allah is He who created the heavens and the earth and Causeth water to descent from the sky. . . . ." (14 : 32)

« ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

(الروم ٢٤)

It means : "And, of His signs is this : He showeth you the lightning for a fear and for a hope, and sendeth down water from the sky, and thereby quickeneth the earth after her death, do, here indeed are portents for the folk who understand." (30 : 24)

We can also find other many examples of monotheism in the cults of other peoples in east and central Africa. The kikoyo of Kenya believe in "Morongo" who spread his soul every where and who had put his powers in the sun, the thunder and the storm and whose beauty is shown to people in the bright moon and twinckling stars. Lysa, the supreme Godess worshipped by many Bantuic tribes of central Africa, means the cause of every thing, the existence of all creatures and phenomena, the source of motions that cause, life and the sender of wind and the maker of rain.

In southern Sudan and northern Uganda most of the Nilotic tribes believe also in a Supreme God, almost called "Juok". We quote here the translation of some Shilluk songs and prayers which denote the beliefs concerning the Juok. In a song composed by king Yor they say :

"I pray to Juok, I pray to him alone For he directs the spears", and the spears thrusts are of Juok.

(to be Continued)

in the nature of the pure thought of mankind as cited in the Qur'an:

« فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (الروم ٣٠)

It means : ". . . . the nature (framed) of Allah in which He Hath created man. There is no altering (the laws of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not."

(Verse 30, Ch. 30)

Besides these major beliefs in in African thought there are other secondry faiths derived from mythological, historical and social concepts of the peoples. All these cults and beliefs, together with the cluster of rites and ceremonies, and ceremonies, inevitably lead to mental confusion and spritual instability and voidness.

Moreover, African social life and relations between communities were totally based on fanatism and tribalism that caused perpetual struggle between peoples.

So Africans before Islam were in need of a religion that brings to their life spritual integration and social stability. They found that Islam, with its faiths corresponding to their beliefs, and with its organization for society, was the aim. When they learnt about the principles and the main beliefs of Islam they easily accepted it because these beliefs were not very different from their nature and their thought as will be seen later.

Monotheism in African Traditional Religions

A Supreme Being in African traditional religions is a faith very similar to worshipping Allah alone. He is the creator of all, He is the omnipotent and the omniscient and He is the cause of all. Though the name of the supreme God differs from tribe to tribe He is, generally, the same as Allah with all His magnanimous descriptive names cited in the Glorious Qur'an.

For example ; the Mande people of west Africa believe in a supreme God called "Angoy." He is the first that self - existed. He then created every thing, gave life to hnman beings and filled the world with forces that, at his will, cause thunder and rain for punishing or rewarding people.

The Ashanties of Ghana also believe in a supreme Being called "Nionmi". He existed by himself before creation. The Heavens with stars and the world with all its features are the signs of his might and glory.

ISLAM AND AFRICAN THOUGHT

By : Mohammad Galal Abbas
General Sectretary of the Society of African Culture, Cairo.

Introduction

Most of European Africanists tried to disfigure the face of the history of Islam in Africa by adopting a theory that Islam had spread among between Africans either by means of force and direct military action against non-Islamic tribes, or by various kinds of material initements. They used all kinds of ill - informed knowledge and superstitions to further this theory. Their main object was to provocate African intelligensia and elite against Islam. Missionaries and colonial administrators, as well, encouraged this point of view as it was one of the impliments which were used to stop the spread of Islam among non-Islamicised Africans for the sake of their colonial and religious aims. This superstition about enforcing Islam upon African peoples had been long used before independence to put Africans far away from joining the liberation movement which were taking place all over Islamic world in North Africa and Asia, and to prevent any kind of association and cooperation with other Islamic nations struggling for freedom and independence.

Now, as Africans had recovered from colonialism and achieved their political independence, it became their duty to percieve the facts about their history and understand the true conception about Islam in Africa.

This article is intended to make clear that Islam had been intellectually accepted and spritually welcomed by Africans and that it was not enforced or based on blind attachments or material incitements.

Some Features of African Thought

That man is born In the spririt of Islam is a fact which can be traced in all African traditional religons. Every Afaican believes in a Supreme Being, in Etherical beings of which some are good and the others are evil, and in resurrection. It is obvious that thes beliefs correspond to three of the five Islamic pillers, ie., belief in Allah the one, Angels, and the rising of the dead. It is

Hand in hand with the value of working hard goes the value of thrift. The school works to instill the concept of thrift in its students. All pupils are urged to eat only two meals a day. It is suggested that their parents eat only one meal a day. No food is sold at the school, and pupils are inspected daily to see that they bring no food to school with them. One (Muslim) reported to the author that by cutting down the food intake of his family and stopping the practices of smoking, drinking and gambling, he increases his family budget by one-third. The school urges the students to buy only what they need, and to buy nothing at all on credit.

"Have you ever stopped to think what makes us want half the things we see in the store today ? We say we want it because it can be useful to us, or because it pleases us in some way. But . . . . it is possible that we were influenced by something we saw on television, or in the newspapers, or perhaps we just want to show that old Mrs. Brown next door, that we afford the same things she purchases (even if we have to starve for it)?

It's not that it's wrong to want these things of comfort — but buying things on credit dœsn't teach us the value of saving up to buy them".(1)

In addition to the concepts of working hard and thriftness, the (Muslim) school stresses the ideal of material gain, or success. In its supplementary reading material for students, young pupils read about "Our Shœ Shop," and "Our Bakery," and "Our Factory."(2) Students learn early to patronize (Muslim) shops, and to find self-sufficiency within the Nation of Islam.

---

(1) Sister Audrey 3X, "Watch that Buy Now. Pay Later Deal, It'll Break you," Muhammad Speaks, Vol 1, No. 5, March 1962, p. 14.

(2) Muhammad's Children, First Reader by Dr. Christine X Johnson, University of Islam Press, Chicago, 1 11., 1964.

is the value of hard work. Even within the school system this idea of working hard is readily apparent. The schools run on two shifts with night classes in adult education as well, and the students have only one month of vacation annually. A principal in the (Muslim) schools stated :

"The students are not encouraged in the direction of what is called recreation in this country. Too much of this recreation steers them completely into immorality. We keep our school going year ronnd. One month altogether vacation. The last two weeks in February (when Muslims usually have their annual convention to celebrate the Savior Day — the birthday of Master Wallace Fard Muhammad) and the last two week in August (summer vacation)". (1)

The religious instruction in the school condemns idleness in all members and urges the students to to help themselves by working for themselve. The white man is cited as an example of hard work and success :

"Observe the operations of the white man. He is successful. He makes no excuses for his failures. He works hard in a collective manner. You do the same. If there are six or eight Muslims with knowledge and experience in the grocery business — pool your knowledge, open a grocery store — and you work collectively and harmoniously. Allah will bless you with success.(2)

The school also urges that the students get help from the whites to become self sufficient and explains:

"Ask for a start for self-help and the American white people, I believe, are willing to give us a start, providing they see that you are willing to do for yourself. This would remove from them the responsibility of trying to give jobs and schools to a lazy people — but it would also get the Negro honor and sincere friendship all over the Asiatic world, and God, Himself, would prolong their time upon the earth".(4)

The religious instructuion of the school is intended to urge its pupils to work hard and promises them that God will bless them if they do so.

---

(1) Tape-recorded interview with a principal in the (Muslim) schools, Sept. 20 1965.

(2) Elijah Muhammad, Message to the Blackman in America, p. 174.

(3) Elijah Muhammad, Salaam, Vol. 1, No. 1, Philadelphia July 1960, p. 5.

not a thing. He must be dealt with, not as an instrumentality, but as a person sacred in himself. To do otherwise is todesecrate what he is . . . [1]

Udom also comments on the respect the (Muslim) seeks. He explains that "Mr. Muhammad's effort to inculcate a sense of pride and self-esteem among the Muslims by encouraging them to assimilate values and mannerisms that we associate with the middle class is apparent in his teachings. The Muslim's quest for responsibility within and outside the Negro community apperars to be one of the determinants of their public behavior". [2]

The way the (Muslim) attempts to achieve self-respect and respectability is apparent in his public attitudes. Elijah Muhammad is referred to as the "Honorable" and his wife is called the "First Lady."(3)

Members of the movement respectfully speak of each other as "brother" and "sister" and the school children are taugh to answer people, "Yes, Sir," and "Yes, Ma'am." The sense of self-pride is also instilled through mottos which appear on the walls of classrooms. One such motto reads, "Up you mighty race. You can accomplish what you will."(4) It is that the school tries to instill the value of respect for one another in its students by teaching them various respectful titles, greetings, and responses, as well as encouraging a high degree of personal esteem in the students.

"One only has to note the warmth of the greeting and haudshake as two Muslims meet each other. Their very attitude bespeaks the deep love and admiration they have for each other."(5)

Another major value which the school tries to instill in its members

---

(1) Erich Fromm, "Man Is Not a Things," Saturday Review, March 16, 1957, p. 9.

(2) E. U. Essien-Udom, Black Nationalism : A Search for an Identiy in America, doctoral dissertation, University of Chicago, 1961, p. 25 (University Microfilm, Inc., Ann Arbor, Michigan).

(3) Muhammad Speaks, Vol. 1, No. 8, June 1962, p. 3.

(4) Universal, Vol. 3, University of Islam Press, Chicago, Febreary 1965, p. 3.

(5) Muhammad Speaks, Vol. 1, No. 1, October-November, 1961, p. 4.

Elijah Muhammad himself speaks of education :

"The education and training of our children must not be limited to the "Three R'S" (reading, riting, and 'rithmetic) only. It should, instead, include the history of the black nation, the knowledge of civilizations of man and the universe, and all sciences. It is necessary that the young people of our Nation (Islam) learn all they can. Learning is a great virtue and I would like to see all the children of my followers become possessors of it. It will make us an even greater people tomorrow."(1)

Many of the pupils of the Universities of Islam(2) who wrote a theme on the things they would like most to be and to have showed a desire to attain knowledge and the benefits and professions derived from having and education. In Chicago, 94.3 percent of students from fifth grade to twelfth grade indicated that they valued an aducation, and in Detroit 73.8 percent of students from fifth through ninth grade indicated likewise. The aspirations of the (Muslim) students seem to show a desire for education which is far from the aspirations of the disadvantaged and the lower-class Negrœs. Frank Riesmann points out that one of the characteristics of the culturally deprived child is that he is anti-intellectual and ambivalent toward education.(3)

E. F. Frazier also asserts that the awareness of being a Negro belittles the Negro'shope and ambitions.(4)

A primary concern of the (Muslim) is the acquisition of respect for himself, not only by himself, but by others also. As Erich Fromm explains, "Man is not a thing The Negro is a man, and is therefore

---

(1) Elijah Muhammad, Salaam, Vol. 1, No. 1, July 1960, Philadelphia, p. 7.

(2) The elementary, the preparatory, and the secondary schools in the Nation of Islam are called, "Universities of Islam."The (Muslims) wanted this to degnify their work, and to serve as a motive for the members of the Nation of Islam to make then fulfledge Universities.

(3) Frank Riesmann, The Culturally Deprived Child, Harper and Row, New York, 1962, p. 4.

(4) E. Franklin Frazier, Negro Youth at the Crossways, American Council on Education, Washington, D. C., 1940, p. XXI of the Introduction.

The Role of The Muslim School of The Nation of Islam In America In Cultural Renewal (IV)

By :

Dr. Ibramih M. Shalaby

Values :

The main objectives of the Nation of Islam[1] were presented to facilitate a study of the (Muslims') values, since it is not the regularity of human behavior per se which constitutes the culture which a group possesses, rather, it is the common sanctions of right and wrong, good and bad, beautiful and ugly. It is the set of values which guides the members' mode of thinking and their way of action and feeling. Thus, to examine the (Muslims') attempt to initiate cultural renewal through their educational system, one must also study what the (Muslim) consider most important to their way of life — in essence, their value system.

Of growing concern to the (Muslims) student is the value of education. The leaders of the Nation of Islam stress the importance of education in several ways. They have established their own educational system for the instruction of their members, which, in itself, indicates that they consider education vital. In addition, they are attempting to educate the illiterate adult members of the group through the adult education program.

---

(1) The term "Nation of Islam" has been selected by Elijah Muhammad (the Leader) to disignate his people as a separate group. One of his major aims is to separate the Black man from the white man in America ; and to have two or three states for the Black man to live in separately from the white man. The term "Nation of Islam" was used by E. U. Essien Udom in his dissertation, while the term "Black Muslims" was used by Charles Erick Lincoln in his dissertation and was also used by the mass media in America. However, the members of the Nation of Islam prefer the term "Nation of Islam" and dislike to refer to their group as the "Black Muslims."

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ...... » (النساء ٣٤)

It means : "Men are the protecters and maintainers of women, because God has given the one more (strength) than the other, and because they support them from their means. . . . ."

(Verse 34, Ch. 4)

Islam considers the family as a cell in the body of the community. So it must be kept healthy and protected, as much as possible, against any destructive element. This is the duty not only of the husband and his wife but of their respective families, as well as the community at large. To reach this goal the Holy Qur'an guides us and explains what should be done. It is unquestionable that the fundamental factor in this respect is the way in which the husband and his wife treat each other. It is interesting to note that the duty of the husband is not confind merely to providing his wife wiht food, clothes, and shelter ; he must also observe her rights as a human being. The Holy Qur'an makes it clear that the husband is not permitted to deny the wife her rights as a mate. If he does, he will be given a period of four months during which he may change his mind. If he does not, he has to face at the end of that time, the termination of his marriage ; the Qur'an :

« للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ...... » (البقرة ٢٢٦،٢٢٧)

It means : "For those who take an oath for abstention from their wives, a waiting for four months is ordained ; if then they return, God is OftForgiving, Most Merciful." "But if their intention is firm for divorce, God heareth and knoweth all things."

(Verses 227&227, Ch. 2)

As for the wife, she should be obedient and harmonious in her husband's presence. In his absence, she should guard his reputation and property along with her own virtue. If she should deviate from this, her husband must verbally admonish her. If this dœs no good, he may refuse to share bed with her. If this fails, the husband may try a slight physical punishment if he thinks, in the light of his knowledge about her nature, this will save the family from destruction.

(To be continued)

That is why marriage should be founded on love and appreciation, then continue with mutual respect and understanding. As a sign of love the man must start his new life by presenting his prospective wife with a valuable gift. It could be money, a piece of land, or any other kind of property; as the Qur'an says which means :

"And give the women (on marriage) their dower as a free gift..."
(Verse 4, Ch. 4)

By doing this the man is proving his ability to financially support his wife, an ability about which every Muslim must be certain before marriage :

"Let those who find not the wherewithal for marriage keep themselves chaste, until God gives them means out of His Grace. . . ."
(Verse 33, Ch. 24)

This leads us to the rights and duties of each member of the marriage. We read in the Holy Qur'an :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ... »
(البقرة ٢٢٨)

It means : ". . . . And women shall have rights similar to the rights against them, according to what is equitable ; . . . "
(Verse 228, Ch. 2)

The best explanation for this is found in the verdict issued by the prophet (peace be upon him) when he settled a matter between the honorable Fatimah And Al-Imam Ali ; as for the wife, he said she is responsible for running the home to the best of her ability in the right manner, and for taking care of the children, while the husband is responsible for working and struggling to support his family in order to satisfy their needs.

With these particular duties the family, as any other group, must have a head, a person to whom all members can look when they face some important problems, one who can communicate with the outside world in the family interest. It is the Islamic view that the husband is the one who should assume this leadership with the responsibilities attached to it. This is the meaning of the Qur'anic expression :

« وللرجال عليهن درجة »

It means : ". . . But men have a degree (of advantage) over them.."
(Verse 228, Ch. 2)

This is a high digree of responsibility that the man is more able to carry out because of his nature. This is made clear in the other verse that reads :

« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ... »

It means : "Your wives are as a tilth unto you ; so approach your tilth when or how ye will ;. . ."
(Verse 223 Ch. 2)

It is also the only legal means through which the Muslim, Man or woman, can satisfy the sexual desire while guarding the honor and dignity of the person. Fornication and adultery are forbidden and described as indescent actions :

« ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ... »

It means: "And come not near to adultery : For it is a shameful (deed) And an evil opening the road (To other evils).
(Verse 32, Ch. 17)

Furthermore, any Muslim who commits such a crime must be punished according to the Holy Qur'an :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ... » (النور ٢)

It means : "The woman and the man guilty of adultery or fornication, flog each of them with a hundred stripes : let not compassion move you in their case, in a matter prescribed by God, if ye believe in God and the Last Day : and let a party of the believers witness their punishment. (Verse 2, Ch. 24)

Marriage, from the Qur'anic point of view, is much more than a means to satisfy desires and to have sons and daughters ; it provides tranquility and peace of mind because it is built upon mutual love and compassion :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ...... »

(الروم ٢١)

It means : "And among His Signs is this, that He created for you mates from among yourselves, that ye may dwell in tranquility with them, and He has put love and mercy between your (hearts) : verily in that are Signs for those who reflect." (Verse 21, Ch. 30)

The relationship between wife and husband is described by the Holy Qur'an as the strongest a Muslim may ever have :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ...... » (البقرة ١٨٧)

It means : "Premitted to you, on the night of the fasts, is the appreach to your wives ; they are your garments and you are their garments. . . ." (Verse 187, Ch. 2)

WOMAN'S POSITION IN ISLAM-IV

BY :

DR. AHMAD I. MOHANNA

FAMILY

Reading the legislative verses of the Holy Qur'an carefully, one will be astonished to discover the manner in which the Holy Book treats family life. All legislative work in the Holy Qur'an is presented in general form except those laws which deal with family problems. The degree of detail with which the Qur'an presents the family laws indicates the importance Islam places on the family whose health or sickness will cause the life or death of the community as a whole.

Hereinafter the reader will find the Qur'anic law according to which the Muslim should run the life of his or her family.

MARRIAGE

From the Islamic point of view, Marriage is a means which permits Muslims to propagate a cooperative type of community and encourages Muslims to have good relations with people in the community. Islam forbids marriage between close relatives because through marriage, Muslims should seek to establish new ties among members of their community. The Holy Qur'an says in this regard :

« ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ... ... » (النساء ٢٢-٢٣)

At means : "And marry not women whom your fathers married, except what is past; it was shameful and odious, an abominable custom indeed. " 'Prohibited to you (for marriage) are - your mothers' daughters, sisters; fathers' sisters, mothers' sisters ; brothers' daughters, sisters' daughters ; fostermothers (she gave you suck), foster sisters ; your wives' mothers ; your step-daughters under your guardianship, born of your wives to whom ye have gone in — no prohibition if ye have not gone in ; — (those who have been) wives of your sons proceding from your loins ; and two sisters in wedlock at one and the same time, except for what is past ; for God is Oft-Forgiving, Most Merciful ; ..."

(Verses 22 & 23 Ch. 4)

In Islam, marriage is the only leagal means for having children and for propagating a community. We read in the Holy book :

point. Thus it becomes the navel of earth. Also in cosmography, the Ka'ba corresponds with the Pole star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point in the earth. The four corners of the Ka'ba indicate the cardinal points of the compass.

Recognising a very high antiquity for the Ka'ba, Mr. William Muir writes . . . . "Tradition represents the Ka'ba as from time in memorial the scene of pilgrimage from all quarters of Arabia; from Yemen and Hadramaut, from the shores of the Persion Gulf, the deserts of Syriya, and the distant environs of Hira and Mesopotamia, men yearly flocked to Mecca (Makka). So extensive a homage must have had its beginnings in an extremely remote age." (Life of Muhammad by Muir P xe).

The fact of its being a centre of pilgrimage can only have come down from time immemorial, for there is no tradition or record showing that it was introduced at any time within historical memory.

The sacredness of Ka'ba and its connection with the names of Ibrahîm and Ismail finds, clear mentions in the early Makka revelations. Notwithstanding all that was said in the Holy Qur'an with regard to the sacredness of the Ka'ba and Makka, and the fact that pilgrimage to Makka had been ordained as a duty of the Muslims towards the close of the Prophet's stay at Makka, and even the fact that it was the Prophet's own desire that the Ka'ba should be made his qibla, (as clear from the Qur'anic verses of 145 - 145, Ch. 2) he continued to follow the qibla of the last Prophet before him (Al-Aqsa Mosque at Jerusalem) but at Makka he could turn his face to both places, to the Al-Aqsa Mosque and to the Ka'ba. As soon as he came to Madîna he felt the difficulty that he could no more, as at Makka, turn his face to both places. For sixteen months at Madîna, he had continued to pray with his back to Makka, because he would not do any thing of his own desire. Then the Prophet received a revelation to turn to the Ka'ba as the future qibla of the Mus'im world.



It means : "And when Abraham and Ismael were raising the foundations of the House, (Abraham prayed) : Our Lord ! Accept from us (this duty). Lo ! Thou, only Thou, art the Hearer, the knower."
(2 : 127)

In a long Hadith of Ibn Abbass, reported by Bukhari, speaking of Ibrahim leaving Ismail and his mother near the Ka'ba, and how long after this the father and the son re - built the house, it is said... Besides being in a ruined condition, it seems to have had idoles placed in it and Ibrahim was required to purify it of these, as stated in the Holy Qur'an :

« وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وعهدنا
إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين
والعاكفين والركع السجود » .
(البقرة ١٢٥)

It means : "And when We made the House (at Makka) a resort for mankind and a sanctuary, (saying): Take as your place of worship the place where Abraham stood (to pray) : And We imposed a duty upon Abraham and Ismail, (saying): Purify My house for those who go arround and those who meditate therein and those who bow down and prostrate themselves (in worship)".
(2 : 125)

The Ka'ba was again re-built by the Qureish when Prophet Muhammad was a young man and he personally took part in its building carrying stones on his shoulders. After construction a dispute arose among the tribes as to who should place the Black Stone in its place. Because every tribe was desirous of having this honour. A settlement was arrived at that the decision of the man who made his appearance first in the Ka'ba next morning should be accepted by all. The man who appeared first was Muhammad and then, there was a out cry that Al-Amin (the Faithful) had come. Finally the Holy Prophet decided to settle this dispute placing the stone in a cloth with his own hands and asking a representative of each of the tribes to hold a corner of that cloth and lift the stone to its place. The Prophet himself fixed it in its position.

All available historical evidence upholds the antiquity of Ka'ba and the fact of its being the first House of Divine Worship on earth. It is said in Islamic cosmology that before the world was created the Ka'ba was a focus in the flux of pre - existence and that the world was formed from this particular

handed down from antiquity as a decided proof of the connection of Prophet Ibrahîm with the Ka'ba. The Holy Qur'an refered to the history, antiquity and the connection of Ibrahîm with the Ka'ba in the following verses :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين . »

(آل عمران ٩٦ ، ٩٧)

It means : "Lo ! the first sanctuary appointed for mankind was that at Becca, a blessed place, a guidance to the peoples ; wherein are plain memorials (of Allah's guidance) ; the place where Abraham stood up to pray ; and whosover entereth it is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither. As for him who disbelieveth, (let him know that) lo ! Allah is Independent of (all) creatures. . . "

(3 : 96 - 97)

There is nothing in the Holy Qur'ān or in the Hadith (traditon of the Prophet) to show when and by whom the Ka'ba was first built ; but it is stated in the Holy Qur'an to be the first House appointed for mankind, in one place it is called Al-Baith al-Atîq or the Ancient House. It appears from the Holy Qur'an that the Ka'ba was already there when Ibrahîm left Ismail in the wilderness of Arabia, as the Qur'an says :

« ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

(إبراهيم ٣٧)

It means : "Our Lord ! Lo ! I have settled some of my posterity in an uncultivable valley near unto Thy Holy House, our Lord ! that they may establish proper worship; so incline some hearts of men that they may yearn toward them, and provide Thou them with fruits in order that they may be thankful. ".

(14 : 37)

It would seem that the Ka'ba was then in a demolished condition and was rebuilt by Ibrahim and Ismail sa stated in this verse :

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم » . (البقرة ١٢٧)

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

Dhu'l-Hijjah 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	February 1969

HISTORY OF THE KA'BA

BY :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The Ka'ba is the first sanctuary to be erected for mankind on earth. The eyes of the whole Muslim world fixed on that central spot which saw the first glimmerings of the light of truth. It is to this holy place that all Muslims turn at the time of prayers and make their pilgrimage. As the Ka'ba is an inescapable part of the Islamic religion, and there is concentrated the adoration of millions, and the chief features of the Haj centre round it, something must be known about the history, name and description of this Sacred House.

The root word 'Ka'ba' means it became high and exalted or became prominent. This Sacred House is called Ka'ba on account of its glory and exaltation. It is a rectangular building, almost in the centre of Masjid Al-Harâm (the Sacred Mosque of Makka). The front (north - east) and back (south - west) walls are each forty feet in length and the two side walls thirty-five feet each and the height being fifty feet. The door of the Ka'ba is in the north-east wall, about seven feet from the ground, near the Black Stone. A stair - case is placed in front of it to enable the visitors to reach the entrance.

The Hajar Al-Aswad (the Black Stone) is built into the wall in the east corner of the Ka'ba at the height of about five feet. It is of a reddish black colour about eight inches in diameter and is now kept in a silver bant. Within the Sacred Mosque is a small building called the Maqâm Ibrahîm. It means the place of Ibrahîm, and this name



الفهرس

English Section

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر